

۳

# المقالات العربية



## پنجمین کنگرہ جهانی حضرت رضا

The Fifth Global Congress of Imam Reza

المؤتمر العالمي الخامس للإمام الرضا

انديشه تمدنی امام رضا علیه السلام؛ عدالت برای همه، ظلم به هیچ کس

بسم الله الرحمن الرحيم

٣

## المقالات العربية

المؤتمر العالمي الخامس  
للإمام الرضا عليه السلام

مشهد المقدسة  
٤ و ٥ ذي القعدة



© المؤتمر العالمي الخامس للإمام الرضا (ع) - ١٤٤٥

### المقالات المؤتمر الخامس

نشرت لأول مرة بواسطة  
المؤتمر العالمي للإمام الرضا (ع)  
في مشهد المقدسة

كل الحقوق محفوظة. لا يجوز طباعة أي جزء من هذا النص أو إعادة إنتاجه بأي شكل من الأشكال أو بأي وسيلة إلكترونية أو ميكانيكية أو غيرها من الوسائل المعروفة حتى الآن أو التي سيتم اختراعها فيما بعد، بما في ذلك التصوير والتسجيل، أو للتخزين المستخدم في أنظمة المعلومات أو الاسترجاع.



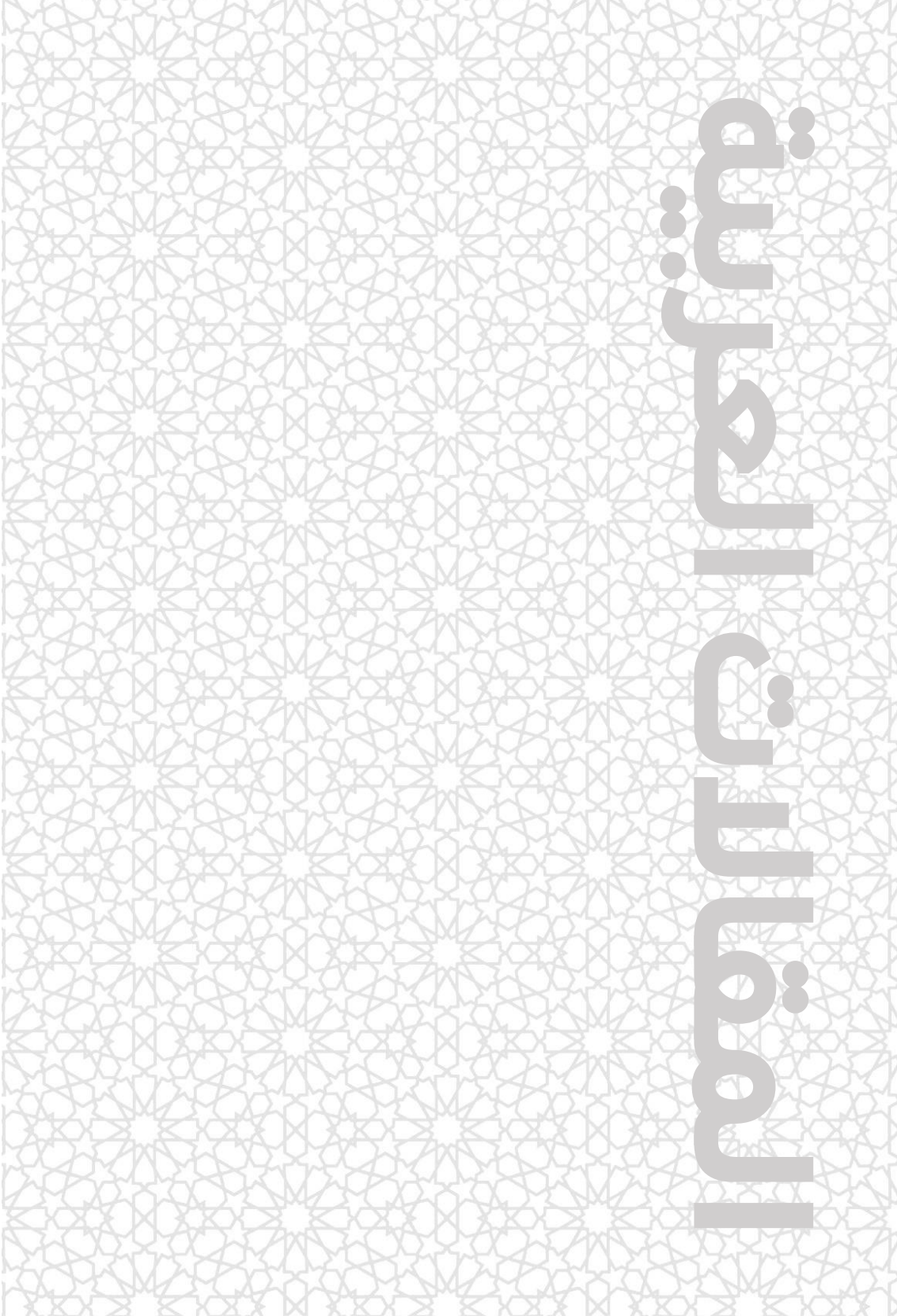
## المحتويات

العدالة ومناهضة الاستبداد عند الإمام الرضا عليه السلام: حاكم عالمي عادل، إقامة منهجية للعدالة والقضاء على التمييز في العالم   <b>سعيد رضا عاملي رزاني</b> ..... ٦٤١
الفكر السياسي للإمام الرضا (ع) ضد الطبقية والبرجوازية: المقاومة في سبيل إقامة العدل وإزالة الظلم   <b>علي أبو الخير</b> ..... ٦٦٨
خصائص العدالة في الفكر الحضاري للإمام الرضا عليه السلام   <b>ور الدين أبو لحية</b> ..... ٦٨٨
حقوق الإنسان في سيرة الإمام علي بن موسى الرضا (ع)   <b>إياد محمد علي الأرنؤوطي</b> ..... ٧٠٣
الرضا؛ ثابتاً من ثوابت الكرامة الإنسانية الإمام علي بن موسى الرضا؛ مثلاً   <b>عباس أمير</b> ..... ٧١٧
دور القيادة الإيجابية في مكافحة التمييز الاجتماعي و بناء مجتمعات شاملة الإمام الرضا عليه السلام نموذج   <b>حسين محسن علي سلوم التميمي</b> ..... ٧٢٧
التخطيط الاستراتيجي في فكر الامام الرضا "عليه السلام" لغرس مضامين الحياة اليومية: تنظيراً وتطبيقاً   <b>رحيم مزهر جبر (الكاتب المسؤول) و هناء كاظم خليفة</b> ..... ٧٤٣
العدالة الاجتماعية في الإسلام والتحديات المعاصرة: دراسة في ضوء الفكر الحضاري عند الامام الرضا عليه السلام   <b>عادل عبد الستار عبد الحسن الجنابي</b> ..... ٧٦٥
مقومات الأسرة الناجحة في رؤى الإمام الرضا (عليه السلام): رؤية في تكاملية التنظيم العائلي   <b>د. زهير يوسف عليوي حسين الحيدري</b> ..... ٧٨٠
استراتيجية المنهج الرضوي في تحديد معالم العدالة   <b>محمود شاكر عبود الخفاجي</b> ..... ٧٨٩
مظاهر التوحيد وخطاب العدالة عند الامام الرضا (ع): دراسة في بعض الشواهد القرآنية   <b>حيدر جبار دفتر و أحمد لفته رهمة القصير</b> ..... ٨٠٠
التسامح واحترام كرامة الانسان في المدرسة الرضوية   <b>خليل حسن الزركاني</b> ..... ٨٠٧
الديموقراطية والشورى   <b>شيخ عبدالمنعم الزين</b> ..... ٨٢٤
العدل الرضوي والنقيض الغربي المعاصر   <b>أمين سعود الساحلي</b> ..... ٨٤٨
من أساق الحقيقة إلى تجليات العدالة: قراءة استكشافية للحركة التوحيدية في الخطاب الرضوي   <b>حازم طاروش حاتم الساعدي</b> ..... ٨٥٩
الطوائف ودور الامام علي بن موسى الرضا(عليه السلام) في تحقيق التعايش السلمى   <b>سارة حمودي حسين عباس الشجيري</b> ..... ٨٦٨
حقوق الإنسان: الحرية في فكر الإمام علي الرضا عليه السلام   <b>إيمان شمس الدين</b> ..... ٨٧٨

- ميزان العدالة السياسية عند الإمام الرضا عليه السلام | **أحلام محمد أحمد الشهاري** ..... ٩٢٤
- جدلية التنازع الثقافي وفاعلية البعد الأخلاقي في خطاب الامام الرضا (عليه السلام): دراسة في رؤى الاستشراف للحضارة الإسلامية | **أحمد حسن صاحب** ..... ٩٣٠
- اهمية توحيد الخطاب الديني ودور الحوار في تعزيز التعايش السلمى: نظرة فكرية معاصرة الامام الرضا عليه السلام انموذجا | **عمار باسم صالح و محمد فرحان عبيد النائلي** ..... ٩٤١
- أثر العدالة في ترسيخ الأمن في المجتمع من منظور القرآن الكريم | **عادل بور** ..... ٩٥٣
- فلسفة الاخلاق، بين الفكر الرضوى والغربى واثريهما فى العدالة الاجتماعية | **صباح كاظم بحر العامري** ..... ٩٥٦
- مشاركة المرأة الإيرانية في المقاومة لتحقيق العدالة والتخلص من الظلم | **لال عباس** ..... ٩٦٩
- العدل والحياة الحضارية الطيبة عند الإمام الرضا (عليه السلام) | **آيات عبد جوني** ..... ٩٨٨
- الحقيقة المشتركة بين الاديان التوحيدية: مناظرات الامام الرضا(عليه السلام) ودورها في الاثراء المعرفي والاجتماعي في ارساء التعايش السلمى مع الاخر الديني | **حليم عباس و عبيد أ. حسين جويد موسى** ..... ١٠٠٢
- الكلم الفصل والحكم العدل عند الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام): حياة النفوس فى كلام غريب طوس | **وفاء محمد عيسى** ..... ١٠٣١
- أنماط التحدي العلوي وثيمات المقاومة الرضوية و أثرهما في تحقيق الأمن المجتمعي | **أ. د. نعمة دهش فرحان** ..... ١٠٦٦
- أهمية العدالة في نظر رضوي | **علامه سيد على فضل الله** ..... ١٠٧٨
- الحقيقة المشتركة بين الأديان التوحيدية: التوحيد — المُشتركات — الأديان — العدل | **عواد رسن قاسم** ..... ١٠٨٢
- التوجية الاقتصادي للإمام الرضا عليه السلام | **انوارحميد كريم** ..... ١١٠٤
- الامام الرضا (عليه السلام) وأثره في بناء الفرد والمجتمع | **علياء سعيد ابراهيم محمد** ..... ١١١٩
- الإمام الرضا (ع) الإمام في جهاد التبيين والشهيد له: جهاد المعركة وجهاد التبيين الرضوي أقرب إلى العدالة وأبقى للحرب والظلم | **محسن مدني نژاد** ..... ١١٣٢
- الإمام الرضا (عليه السلام) رائداً للعدالة الإسلامية: قراءة دلالية فى كتاب (الإمام على بن موسى الرضا و الفلسفة الإلهية) للشيخ الآملي | **سحر ناجي فاضل المشهدي** ..... ١١٥٧
- المنطق والبرهان فى مناظرات الامام الرضا(ع) منهج يحتذى لإظهار الحق فى وسائل التواصل الحديثة | **ميدون مرتضى** ..... ١١٤٥
- لتسامح واحترام كرامة الإنسان فى المدرسة الرضوية | **الشيخ بشير موني** ..... ١١٧٢
- مناظرة الإمام الرضا مع اليهود والنصارى والزرادشت: الإمام الرضا يرد على اليهود والنصارى والمجوس والقائلين بالنشوء الطبيعى | **أحمد راسم النفيس** ..... ١١٨٠

# المقالات الحديثة

# المقالات الجزئية



## العدالة ومناهضة الاستبداد عند الإمام الرضا عليه السلام: حاكم عالمي عادل، إقامة منهجية للعدالة والقضاء على التمييز في العالم

سعید رضا عاملي رناني<sup>١</sup>

### المقدمة

يتمحور المؤتمر العالمي الخامس للإمام الرضا (عليه السلام) حول النظرة الحضارية للإمام الرضا (عليه السلام) ويؤكد على الرغبة الأساسية للعالم، وهي العدالة وإرساء العدل للجميع. كما أن هذا المؤتمر، يبحث عن المعرفة ويسعى إلى إزالة الغموض عن الحقائق ووقائع العالم آخذاً بالنظر التحدي الأهم الذي يواجهه العالم المعاصر، وهو انتشار القمع والتمييز.

ينعقد هذا المؤتمر في الوقت الذي أصبح فيه التمييز والقمع أكثر انتشاراً وعمقاً، وأصبح الأمل في إقامة العدالة العالمية بين شعوب العالم ضعيفاً جداً، حيث نشهد الظلم والقمع منتشرين تجاه الجميع بطريقة أو بأخرى. إن الجريمة الكبرى بقتل الجماعي لأهالي غزة وأطفالها منذ أكتوبر ٢٠٢٣، يعدّ رمزاً لأهم وأعمق القمع والتمييز، وأدت إلى أشد الآلام والجراح على الأرض بحق شعب فلسطين المظلوم، مقتل أكثر من ١٦ ألف طفل، وقتل النساء الحوامل وتشريد ما يقرب من مليون شخص، ومجزرة اختفاء أكثر من ٥٠ ألف شخص، والدمار الواسع للمستشفيات والمدارس والمنازل السكنية، والجشع لاغتصاب آخر جزء من أرض الشعب الفلسطيني والضغط لتهجير الرجال والنساء والأطفال والمسنين إلى مكان لا يوجد فيه أحد، يظهر هذا "الألم والجرح الكبير" في جسد الجميع.

إن حالة المرحلة الثالثة وما فوقها في تصنيف شبكة معلومات التصنيف المتكامل لمراحل الأمن الغذائي<sup>٢</sup>، تعدّ حرجة وخطيرة وكارثية. للأسف وضع أهل غزة فوق المرحلة الرابعة. في الفترة ما بين ٢٤ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٢٣ و٧ ديسمبر/كانون الأول ٢٠٢٤، عانى أكثر من ٩٠ بالمائة من سكان قطاع غزة (حوالي ٢,٠٠٨ مليون نسمة) من مستويات عالية من انعدام الأمن الغذائي الحاد. ومن بين هؤلاء، كان أكثر من ٤٠% من السكان (٩٣٩'٠٠٠ شخص) في حالة الطوارئ (المرحلة ٤ من التصنيف المتكامل لمراحل الأمن الغذائي) وكان أكثر من ١٥% (٣٧٨'٠٠٠ شخص) في حالة الكارثة (المرحلة ٥ من التصنيف المتكامل لمراحل الأمن الغذائي). تواجه واحدة على الأقل من كل أربع أسر (أكثر من نصف مليون شخص) ظروفاً كارثية (المرحلة الخامسة، الكارثة). أصبحت المعاناة من النقص الحاد في الغذاء والجوع والتعب أمراً شائعاً بين سكان غزة<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> أمين اللجنة العلمية لمؤتمر الإمام الرضا (ع) العالمي، أستاذ قسم العلاقات والدراسات الأمريكية، جامعة طهران، ssameli@ut.ac.ir

<sup>٢</sup> The Integrated Food Security Phase Classification (IPC)

<sup>٣</sup> [https://www.ipcinfo.org/fileadmin/user\\_upload/ipcinfo/docs/IPC\\_Gaza\\_Acute\\_Food\\_Insecurity\\_Dec2023Feb2024.pdf](https://www.ipcinfo.org/fileadmin/user_upload/ipcinfo/docs/IPC_Gaza_Acute_Food_Insecurity_Dec2023Feb2024.pdf)



اليوم، أصبحت الحاجة إلى الاهتمام بهذا البيان المهم للحضارة الإلهية والرضوية، أي "العدل للجميع ولا ظلم لأحد" أكثر من أي زمن آخر في التاريخ. في هذا المجال، نحاول أولاً مناقشة التمييز والقمع في العالم في ثلاثة مستويات مترابطة تؤدي إلى هيكلية القمع والتمييز:

(أ) التمييز والقمع المؤسسي والمنهجي والعملي؛

(ب) الإجراءات القمعية؛

(ج) تسليط الضوء على صورة العدالة الجميلة من وجهة نظر الإمام الرضا (عليه السلام).

العدالة والتمييز مفهومان فرديان واجتماعيان، محليان وعالميان، وهما في الوقت نفسه عنصران أساسيان ومؤثران على الفرد والمجتمع. على مستوى العدالة الفردية، فإننا أمام ضرورة الإنصاف مع أنفسنا والاهتمام بالحقائق الإلهية الكامنة في القدرات البشرية الفطرية.

الإنسان الذي كسب أهم وأشرف مكانة في خلقه الله، يستطيع أن ينتقل إلى مرحلة الاقتراب من أن يكون إلهاً أو يصبح إلهاً. إنه ملئ بالقدرات المذهلة التي إذا رافقتها الحقيقة المدبرة، ستترتب من المستوى المتدرج من العدالة. مع العلم بأن هذا النمو والتمييز لن يخرج الإنسان من كونه مخلوقاً، إذ أنه في كل الأحوال، لا يستطيع أن يقوم مقام العلة المطلقة والنهائية للوجود.

وفي المجال الفردي يقترب الإنسان من الحقيقة الإنسانية والعدالة الفردية بقدر ما يتجه نحو بناء وإصلاح نفسه نحو الاتجاه الإلهي المنشود. العدالة الفردية هي أيضاً نوع من «تلقي الهوية الذاتية» يجد فيها الفرد كينونته وعدم وجوده، مما يقوده إلى «الهوية العليا» أو «الهوية المنحطة».

العدالة الاجتماعية هي أيضاً نتاج التواصل مع الآخر أو مع الآخرين. القضية الاجتماعية مبدئياً هي مسألة علائقية، والعدالة الاجتماعية هي نتاج نوع التواصل الذي تقوم به مع الآخرين، سواء في مجتمع صغير أو مجتمع كبير. إن عالم العدالة الاجتماعية صغير وكبير، ووفقاً لقانون المعاملة بالمثل أو قانون نيوتن الثالث للحركة، "كل فعل هو رد فعل؛ يساويه ويعاكسه"، ويعرف هذا القانون أيضاً بقانون الفعل ورد الفعل. في الواقع، يمكن أن يؤدي مسار العمل والضغط هذا إلى رد فعل وضغط متبادل أو حتى مضاعفة ردود الفعل. ومن هذا المنطلق فإن العدالة الاجتماعية تخلق شبكة من التأثيرات في بيئة الاتصالات الشبكية.

إن بسط نفوذ العالم في "مساحة واحدة مشتركة" متأثرة بصناعة الاتصالات الرقمية على منصة الفضاء الافتراضي، قد وضع عدداً كبيراً من سكان العالم وعددهم يبلغ ٦ مليارات و٢٠٠ مليون نسمة في بيئة مشتركة. وبالطبع فإن المجتمع المتصل والمجتمع المنفصل، أي مجموع سكان العالم البالغ عددهم حوالي ٨ مليارات نسمة، يتأثرون بالبيئة المشتركة ويؤثرون عليها.

ولذلك لا بدّ اليوم من الحديث عن مفهوم يُسمّى "العدالة العالمية والتمييز العالمي" واعتبار العدالة والظلم مفهوماً عابراً للمحلية. إذ لا يعتبر الله تعالى أن هذا الأمر يخص هذا العصر بالضرورة، بل هو يخص العالم بشكل عام، حيث يعتبر إحياء نفس واحدة وقتلها بمثابة إحياء وقتل جميع أهل العالم: "مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا" (مائدة: ٣٢)، وعلى هذا، ففي حكم العدالة والظلم ومنطقها، فإن العدالة العالمية والقمع العالمي أمران يتناسبان مع حقيقة الوجود وقدرات الإنسان في العالم، وإقامة العدالة الاجتماعية العالمية تتطلب حاكماً عادلاً عالمياً.

نحاول في هذا البحث، شرح مفهوم العدالة الفردية والاجتماعية من وجهة نظر الإمام الرضا عليه السلام، وبعد استعراض واقع التمييز المؤسسي والتنفيذي في العالم، سنقترح نموذجاً للتعامل مع القمع والتمييز وإقامة العدالة العالمية الشاملة، مع التأكيد على ضرورة وجود "حاكم عالمي عادل".

## الفصل الأول: مفهوم العدالة الفردية والاجتماعية وحقول العدالة من وجهة نظر الإمام الرضا (عليه السلام)

قد أمر الله بالعدل والإحسان في القرآن الكريم: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ» (نحل: ٩٠). وقد أشار العلامة الطباطبائي في شرح هذه الآية في تفسير الميزان إلى كلام راغب الأصفهاني (١٤٠٤ هـ: ٣٢٥) في كتاب المفردات:

«العدالة والمعادلة لفظ يقتضي معنى المساواة ويستعمل باعتبار المضايقة والعدل بفتح العين والعدل بكسر العين يتقربان، لكن العدل بفتح العين يستعمل فيما يدرك بالبصيرة كالأحكام» (العلامة الطباطبائي، د.ت، ج ١٢: ٤٧٧).

ويتحدث راغب أيضاً عن أنواع العدالة: «العدل ضربان: مطلق يقتضي العقل حسنه ولا يكون في شيء من الأزمنة منسوخاً ولا يوصف بالاعتداء بوجه نحو الإحسان إلى من أحسن إليك وكف الأذية عن كفاؤه عنك. وعدل يُعرف كونه عدلاً بالشرع، ويمكن أن يكون منسوخاً في بعض الأزمنة كالتقصص وأروش الجنائيات» (الراغب الأصفهاني، ١٤٠٤ ق: ٣٢٥).

وبالإضافة إلى ذلك، فإن العدالة الاجتماعية مذكورة أيضاً في هذه الآية: «فإن العدل هو المساواة في المكافأة إن خيراً فخير وإن شراً فشرّ، والإحسان أن يقابل الخير بأكثر منه والشر بأقل منه» (المصدر نفسه: ٣٢٥).

يقول العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان في تعريف العدل:

«قل أمر ربي بالنصيب العدل ولزوم وسط الاعتدال في الأمور كلها وأن تجتنبوا جانبي الإفراط والتفريط» (العلامة الطباطبائي، د.ت، ج ٨: ٧٣)؛ والمعنى الرئيسية للعدل هي:

«فإن حقيقة العدل هي إقامة المساواة والموازنة بين الأمور بأن يعطى كل من السهم ما ينبغي أن يعطاه فيتساوى في أن كلامها واقع موضعه الذي يستحقه» (المصدر نفسه، ج ١٢: ٣٣١).

ومعنى العدالة في الاعتقاد يكمن في هذا المفهوم:

«فالعدل في الاعتقاد أن يؤمن بما هو الحق، والعدل في فعل الإنسان في نفسه أن يفعل ما فيه سعاده ويتحرز مما فيه شقاؤه باتباع هوى النفس، والعدل في الناس وبينهم أن يوضع كل موضعه الذي يستحقه في العقل أو في الشرع أو في العرف فيثاب المحسن بإحسانه، ويعاقب المسيء على إساءته، وينتصف للمظلوم من الظالم ولا يبيعض في إقامة القانون ولا يستثني» (المصدر نفسه: ٣٣١).

أما عن أنواع العدل، كالراغب الأصفهاني، يُعدّ العلامة الطباطبائي في تفسير هذه الآية، نوعين من العدل، فيقول: «وكيف كان فالعدل وإن كان منقسماً إلى عدل الإنسان في نفسه وإلى عدله بالنسبة إلى غيره، وهما العدل الفردي والعدل الاجتماعي، واللفظ مطلق لكن ظاهر السياق أن المراد به في الآية العدل الاجتماعي وهو أن يعامل كل من أفراد المجتمع بما يستحقه ويوضع في موضعه الذي ينبغي أن يوضع فيه، وهذا أمر بخصلة

اجتماعية متوجه إلى أفراد المكلفين بمعنى أن الله سبحانه يأمر كل واحد من أفراد المجتمع أن يأتي بالعدل، ولازمه أن يتعلق الأمر بالمجموع أيضا فيكلف المجتمع إقامة هذا الحكم وتتقلده الحكومة» (المصدر نفسه: ٣٣١).

### منظومة الأفكار الحضارية للإمام الرضا عليه السلام الدالة على العدل واجتناب الظلم

العدالة وتجنب الظلم لهما مجال فردي و مجال بين الأفراد. ويشمل كلا من العدالة الاجتماعية والعدالة الجماعية. العدالة هي قضية تتعلق بكل حالة على حدة ولها نطاق عالمي. وفي الوقت نفسه، بحسب الإمام الرضا عليه السلام، فإن العدالة الشاملة ستكون في يد حاكم عادل للعالم، وهو ما تنتظره القلوب والأرواح. وفي جدول المعلومات أدناه، تنعكس أبعاد هذا الموضوع:



أ. العدالة الفردية: في العدالة الفردية، للعدالة علاقة جدية مع الفرد نفسه واتجاهات الفرد وسلوكه وكلامه. بمعنى آخر يمكن القول أن العدالة لها علاقة جدية وعميقة بالارتباط الداخلي للإنسان بشخصيته وهويته

واتجاهه. وفي هذا المجال من المهم مدى ارتباط الإنسان بالعالم الإلهي ونظره إلى الوجود من منظور إلهي. وفي العدالة الفردية، عندما يرى الإنسان نفسه إنساناً إلهياً، فهو يسعى إلى مراعاة العدالة وربط العدالة بالحقيقة والحق في علاقته مع الله. في الواقع، في العدالة الفردية، يصبح الأساس الرئيسي لفهم الهوية الذاتية للفرد مهمًا. عندما يدرك الإنسان "كينونته" كمؤمن فيما يتعلق بالله والقيم الإلهية المرغوبة، فإنه يضع كل صفات المؤمن كأساس للتفاعل مع الآخرين.

١. التسامح والعفو عن الظلم والتعدي على الحقوق الشخصية: إن العفو فيما يتعلق بالحقوق الشخصية هو أحد مظاهر الحياة الأخلاقية للإمام الرضا. ومن أمثلة عفو الإمام الهمام عليه السلام فيما يتعلق بحقوقه الشخصية، ما يتعلق بشخص اسمه الجلودي الذي هاجم المدينة المنورة في زمن هارون الرشيد ونهب أموال أبناء أبي طالب. وعندما وصل إلى بيت الإمام، لم يدخل إلى البيت بسبب إصرار الإمام، وأحضره الإمام الرضا عليه السلام بنفسه الأموال التي كانت في البيت. وبعد مرور بعض الوقت، عندما تغير الوضع، وأصبح الإمام الرضا (ع) ولياً للعهد في زمن المأمون العباسي، وأثناء محاكمة الجلودي، قال الإمام الرضا (ع) لمأمون: «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَبْ لِي هَذَا الشَّيْخَ» (العلامة المجلسي، ١٤٠٣ق، ج ٤٩: ١٦٧).

٢. احترام الآخرين في الحديث معهم: يقول إبراهيم بن عباس عن الإمام الرضا (ع): «حدثنا الحاكم أبو جعفر بن نعيم بن شاذان رضي الله عنه قال: حدثنا أحمد بن إدريس، عن إبراهيم بن هاشم، عن إبراهيم بن العباس، قال: ما رأيت أبا الحسن الرضا عليه السلام جفا أحداً بكلمة قط ولا رأيته قطع على أحد كلامه حتى يفرغ منه، وما رد أحداً عن حاجة يقدر عليها» (الشيخ الصدوق، د.ت، ج ١: ١٩٧).

## ب. العدالة الاجتماعية

تبرز العدالة الاجتماعية كنظام مؤسسي للحكم في المجال السياسي وفي المجال الاقتصادي والتوزيع العادل للموارد الوطنية وكذلك في القطاع الثقافي وتوفير الحقوق الثقافية واحترام كرامة الإنسان. ويوجد أمثلة ورموز بارزة في هذا المجال في السيرة العملية والسنن والحكم الرضوية. والحقيقة أن أساس العدالة، سواء الفردية أو الاجتماعية، هو قوة التوحيد واتساقه في الموقف الفردي والاجتماعي لضمان العدالة للجميع.

كتب الإمام الرضا (ع) على ظهر ميثاق المأمون له بتعيينه ولياً للعهد: «أشهد الله إن ولّاني على المسلمين أن أطيع الله وسنة نبيه في الجميع وخاصة بني العباس. ولا أسفك دماً ظلماً، وأخذ عرضاً ومالاً من صاحبه إلا حيث أمرتني الحدود» (حسيني عاملي، ١٣٨٧: ٢٥٨).

ومن الواضح أنه في طريق إرساء العدالة، وخاصة العدالة الاجتماعية، وفي محورها الأساسي أي العدالة والحكم السياسي، فإن المقاومة ووجود نظام تنفيذي على أساس الولاية ومركزية التوجيه وقيادة الإمام العادل، هو مبدأ أساسي. وهذا المسار يتطلب المقاومة والاستقرار. يقول الإمام الرضا (ع):

«ولقول أبي جعفر عليه السلام ... وحزّم الله الفرار من الزحف لما فيه من الوهن في الدين والاستخفاف بالرسول والأئمة العادلة عليهم السلام وترك نصرتهم على الأعداء والعقوبة لهم على إنكار ما دعوا إليه من

الإقرار بالربوبية وإظهار العدل وترك الجور وإماتة الفساد لما في من جرئة العدو على المسلمين وما يكون في ذلك من السببي والقتل وإبطال دين الله عز وجل وغيره من الفساد» (الشيخ الصدوق، د.ت، ج ١: ٩٩).

### ج. العدالة المؤسسية والحكم العادل والعدالة التنفيذية

١. إن الحكم بالعدل والصدق والوفاء بالعهود من الركائز الأساسية للحاكم العادل والحكومة العادلة: «و دخل عليه بخراسان قوم من الصوفية فقالوا له: إن أمير المؤمنين المأمون نظر فيما ولّاه الله تعالى من الأمر فرآكم أهل البيت أولى الناس بأن تأموا الناس، و نظر فيكم أهل البيت فرآك أولى الناس بالناس، فرأى أن يرد هذا الأمر إليك، و الأئمة تحتاج إلى من يأكل الجشيب ويلبس الخشن ويركب الحمار و يعود المريض؟ قال: و كان الرضا متكئاً فاستوى جالسا ثم قال: كان يوسف نبياً يلبس أقبية الديباج المزررة بالذهب، و يجلس على متكئات إلى فرعون، و يحكم إنمّا يراد من الإمام قسطه و عدله، إذا قال صدق و إذا حكم عدل، و إذا وعد أنجز» (المحدث الإربلي، د.ت، ج ٢: ٨٢٩).

٢. إن مساعدة المحتاجين والاهتمام بالفئات الخاصة رمز للعدالة: «عن معمر بن خلاد قال: كان أبو الحسن الرضا إذا أكل أتى بصحفة فتوضع قرب مائدته، فيعمد إلى أطيب الطعام مما يؤتى به فيأخذ من كل شيء شيئاً، فيوضع في تلك الصحفة، ثم يأمر بها للمساكين» (العلامة المجلسي، ١٤٠٣ ق، ج ٤٩: ٩٧).

٣. إعطاء الأولوية للإقليم الخاضع للحكم وتجنب الهجمات القمعية: اليوم تسعى أمريكا وتحالفها الأوروبي وإسرائيل دائماً إلى توسيع الهيمنة على الآخرين بالقوة ودون مراعاة للأمن القومي للدول واحترام حقوق الإنسان.

وقد خاطب الإمام الرضا (عليه السلام) المأمون الذي كان له نفس الروح وقال بوضوح: أولويتك الأولى كحاكم يجب أن تكون أولاً -الاهتمام بالأشخاص الذين أنت المسؤول عنهم، وثانياً تجنب التوسع الإقليمي، حتى في بلاد المشركين. البناء الذي يقوم على القهر والقوة لا يدوم، والأصالة ليست مع الحرب. ولذلك اعتبر الإمام الرضا (ع) رعاية شؤون المسلمين من واجبات الأمراء، وعندما أخبره المأمون بفتح بعض قرى كابول قال الإمام عليه السلام:

«حدثنا حمزد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي أبي طالب عليه السلام بقم في رجب سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، قال: أخبرني علي بن إبراهيم بن هاشم فيما كتب إلي سنة سبع وثلاثمائة قال حدثني ياسر الخادم قال كان الرضا عليه السلام ... فإذا هو فتح لبعض قرى كابل فيه إنا فتحنا قرية كذا وكذا فلما فرغ قال له الرضا عليه السلام: وسرك فتح قرية من قرى الشرك فقال له المأمون أو ليس في سرور؟ فقال: يا أمير المؤمنين إئت الله في أمة محمد (ص) وما ولاك الله من هذا الأمر وخصك به فانك قد ضيعت أمور المسلمين وفوضت ذلك إلى غيرك يحكم فيهم بغير حكم الله وقعدت في هذه البلاد وتركت بيت الهجرة ومهبط الوحي وأن المهاجرين والأنصار يظلمون دونك ولا يرقبون في مؤمن ولا ذمة ويأتي على المظلوم دهر يتعب فيه نفسه ويعجز عن نفقته ولا يجد من يشكو إليه حاله ولا يصل إليك فاتق الله يا أمير المؤمنين في أمور المسلمين» (الشيخ الصدوق، د.ت، ج ١: ١٧٠).

٤. الحكم العادل وغير التمييزي: قد نقل في كتاب عيون أخبار الرضا: «حدثنا الحاكم أبو علي الحسين بن أحمد البيهقي، قال: حدثني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثني عون بن محمد الكندي قال: حدثنا أبو الحسين محمد بن أبي عباد قال: لما كان من أمر الفضل بن سهل ما كان وقتل، دخل المأمون إلى الرضا عليه السلام يبكي وقال له: هذا وقت حاجتي إليك يا أبا الحسن، فتنظر في الأمر وتعيني فقال له عليك التدبير يا أمير المؤمنين وعلينا الدعاء قال: فلما خرج المأمون قلت للرضا عليه السلام لِمَ أَخَّرْتَ أعزك الله ما قاله لك أمير المؤمنين وأبيته؟ فقال: ويحك يا أبا حسن لست من هذا الأمر في شيء قال: فرأيتي قد اغتممت فقال لي: ولك في هذا لو آل الأمر إلى ما تقول وأنت مني كما أنت عليه الآن ما كانت نفقتك إلا في كحك وكنت كواحد من الناس» (المصدر نفسه: ١٧٥)

٥. حكم خالٍ من الظلم والفساد والكذب: إن صلاح المجتمع وسلامته وازدهاره يعتمد على الحكم الرشيد المبني على القيم الإلهية وتجنب النفاق والكذب، وكذلك تجنب القسوة وظلم الآخرين. لقد أكد الإمام الرضا (ع) في مواقف مختلفة وبطرق مختلفة على نفي حكم الظلم وإقامة حكم العدل. واعتبر الإمام (ع) في إحدى رواياته أن قيام حكومة طاغية هو مصدر للفساد، قائلاً:

«قال أَخْبَرَنِي أَبُو الْقَاسِمِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ قَوْلَوَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ يَاسِرٍ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرُّضَا عَلِيِّ بْنِ مُوسَى ع قَالَ: إِذَا كَذَبَ الْوَلَاةُ حَيْسَ الْمَطْرُوقِ وَإِذَا جَارَ السُّلْطَانُ هَانَتِ الدُّوَلَةُ وَإِذَا حَيْسَتِ الرُّكَاةُ مَاتَتِ الْمَوَاشِي» (الشيخ المفيد، ١٤١٣ ق: ٣١٠).

ويقول (ع) أيضاً في جزء من رسالته إلى المأمون: «وَالْبَرَاءَةُ مِمَّنْ نَفَى الْأَخْيَارَ وَشَرَّدَهُمْ، وَأَوَى الطَّرْدَاءَ اللَّعْنَاءَ وَجَعَلَ الْأَمْوَالَ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ، وَاسْتَعْمَلَ الشُّفَهَاءَ» (الشيخ صدوق، د.ت.ا، ج ١: ١٣٣).

٦. اجتناب طلب الفضيلة للنفس وللأقارب: ومن أمثلة القمع والتمييز منح امتيازات خاصة للأبناء والأقارب والأصدقاء وأبناء المدينة، مما يؤدي في النهاية إلى فجوة بين الطبقة الحاكمة والشعب. عندما قبل الإمام الرضا (ع) ولاية المأمون عنوة، كان زيد النار شقيق الإمام أيضاً في خراسان. لقد كان زيد النار موضع غضب المأمون بسبب دعوته والثورة التي بدأها في المدينة المنورة. فتنازل المأمون عن عقوبته بسبب السياسة واحتراماً للإمام الرضا (ع). روي أنه في المجلس الذي كان فيه الإمام الرضا (ع) يتحدث، بدأ أخوه زيد النار يتحدث عن فضائل السادات وأولاد النبي، فردّ عليه الإمام:

«حدثنا محمد بن علي ماجيلويه ومحمد بن موسى المتوكل وأحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رضي الله عنهم قالوا: حدثنا علي بن إبراهيم هاشم قال: حدثني ياسر أنه خرج زيد بن موسى أخو أبي الحسن عليه السلام بالمدينة وأحرق وقتل وكان يسمى زيد النار فبعث إليه المأمون فأسر وحمل إلى المأمون فقال المأمون: اذهبوا به إلى أبي الحسن، قال ياسر: فلما أدخل إليه قال له أبو الحسن عليه السلام: يا زيد أغرك قول سفلة أهل الكوفة أن فاطمة عليها السلام أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار ذلك للحسن والحسين خاصة إن كنت ترى إنك تعصي الله عز وجل وتدخل الجنة وموسى بن جعفر عليه السلام أطاع الله ودخل الجنة فانت إذا أكرم على الله عز وجل من موسى بن جعفر عليه السلام والله ما ينال أحد ما عند الله عز وجل إلا بطاعته وزعمت أنك تناله بمعصيته فبئس ما زعمت» (الشيخ الصدوق، د.ت.ا، ج ١: ٢٥٩).

## د. العدالة الثقافية واحترام الحقوق الاجتماعية

١. عدم التمييز في التعامل الاجتماعي بين الأغنياء والفقراء: يقول الإمام الرضا (ع): «حدثنا الحسين بن أحمد بن إدريس رضي الله عنه قال حدثنا أبي عن جعفر بن محمد بن مالك الكوفي قال حدثني محمد بن أحمد المدائني عن فضل بن كثير عن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: من لقي فقيرا مسلما فسلم خلاف سلامه على الأغنياء لقي الله عز وجل يوم القيامة وهو عليه غضبان» (المصدر نفسه: ٥٧).

٢. تقبيل المسؤولية والواجب: يقول الإمام الرضا (ع): «... رُبَّمَا صَارَتْ إِلَيَّ النُّعْمَةُ فَمَا أَتَهْنَأُ بِهَا حَتَّى أَعْلَمَ أَنِّي قَدْ أَدَّيْتُ مَا يَجِبُ عَلَيَّ فِيهَا» (الشيخ الطبرسي، ١٣٨٥ق، ٤٧٥).

ويقول (ع): «ومن فعل ما لزمه من أمر المؤمنين، باهى الله تعالى به ملائكته» (المحدث النوري، ٤٠٨ق، ١٢: ٤٣٧).

٣. المحبة واللطف والصدقة تجاه المرؤوسين: روي عن ياسر -خادم الإمام الرضا (ع)- قوله: «حدثنا حمزد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي أبي طالب عليه السلام بقم في رجب سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، قال: أخبرني علي بن إبراهيم بن هاشم فيما كتب إلي سنة سبع وثلاثمائة قال حدثني ياسر الخادم قال كان الرضا عليه السلام إذا كان خلا جمع حشمه كلهم عنده الصغير والكبير فيحدثهم ويأنس بهم ويؤنسهم، وكان عليه السلام إذا جلس على المائدة لا يدع صغيرا ولا كبيرا حتى السائس والحجماج إلا أقعده معه على مائدته» (الشيخ الصدوق، د.تأ، ج١: ١٧٠).

وكذلك يقول نادر -خادم آخر للإمام الرضا (ع): «عن نادر الخادم قال: كان أبو الحسن إذا أكل أحدنا لا يستخدمه حتى يفرغ من طعامه» (العلامة المجلسي، ١٤٠٣ق، ٤٩٦: ١٠٢).

٤. احترام حقوق الأقليات: «حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رضي الله عنه قال حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم عن ياسر الخادم... قال ياسر وكتب من نيسابور إلى المأمون أن رجلا من المجوس أوصى عند موته بمال جليل يفرق في الفقراء والمساكين ففرقه قاضي نيسابور على فقراء المسلمين فقال المأمون للرضا عليه السلام يا سيدي ما تقول في ذلك فقال الرضا عليه السلام إن المجوس لا يتصدقون على فقراء المسلمين فاكتب إليه أن يخرج بقدر ذلك من صدقات المسلمين فيتصدق به على فقراء المجوس» (الشيخ الصدوق، د.تأ، ج١: ١٨).

٥. اللطف مع الناس ومراعاتهم في أي موقف: «حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رضي الله عنه قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم قال: حدثنا ياسر الخادم قال: لما كان بيننا وبين طوس سبعة منازل اعتل أبو الحسن عليه السلام فدخلنا طوس وقد اشتدت به العلة فبقينا بطوس أياما فكان المأمون يأتيه في كل يوم مرتين فلما كان في آخر يومه الذي قبض فيه كان ضعيفا في ذلك اليوم فقال لي ما صلى الظهر: يا ياسر ما أكل الناس شيئا يا سيدي من يأكل هبنا مع ما أنت فيه فانتصب عليه السلام ثم قال: هاتوا المائدة ولم يدع من حشمه أحدا إلا أقعده معه على المائدة يتفقد واحدا واحدا فلما أكلوا قال: إبعثوا إلى النساء بالطعام فحمل الطعام إلى النساء فلما فرغوا من الأكل أغمي عليه وضعف فوَقعت الصبيحة وجاءت جوارِي» (المصدر نفسه: ٢٦٩).

## الفصل الثاني: نظرة على حالة العدالة في النظام العالمي

في العالم الذي نعيش فيه، هناك ١٩٥ دولة تدير شؤونها على شكل نظام الحكومة- الشعب. وبالطبع تعتبر دولتان في هذه المجموعة، فلسطين والفاتيكان، دولتين مراقبتين. وفي الهيكل الجائر للأمم المتحدة، لا يُعترف بفلسطين كدولة.

والى جانب هذه البلدان البالغ عددها ١٩٥ دولة، هناك مؤسسات دولية وشركات دولية تسعى جاهدة لتحقيق الإدارة والسيطرة الشاملة العالمية والإقليمية من خلال التنظيم والأعمال التجارية. في الوقت الراهن، لقد أثرت منصات الفضاء الافتراضية على أكبر عدد من سكان العالم. ولا يمكن الحديث عن طبيعة الدول والمؤسسات الدولية والشركات الكبرى ومنصات إدارة الفضاء الإلكتروني الكبيرة في هذا المجال. وبما أن العدالة والتمييز هما موضوع نقاشنا سواء من الناحية المفاهيمية أو العملية، فقد تناولنا في هذا الفصل الواقع الميداني للظلم والتمييز في العالم على مستويين:

١. التمييز والقمع على المستوى الشامل وفي المؤسسات والأنظمة
٢. الإجراءات التمييزية والظلم العالمي.

### أ. التمييز والقمع على المستوى الشامل وفي المؤسسات والأنظمة

يجب علينا ملاحظة أن مسار العالم بشكل عام يتجه نحو زيادة القمع والتمييز وتراجع العدالة. وبحسب تقرير "مؤشر سيادة القانون"<sup>١</sup> الصادر عن منظمة تخطيط العدالة العالمية<sup>٢</sup> (٢٠٢٣)، فقد أصبح التمييز أكثر انتشاراً في جميع أنحاء العالم وحالته تزداد سوءاً. وبحسب هذا التقرير فإن ٧٠% من الدول شهدت تصاعد التمييز بين عامي ٢٠٢١ و٢٠٢٢، ومنذ عام ٢٠١٥ تم تقييم التمييز في ثلاثة أرباع دول العالم الذي يضم ١٤٠ دولة، وتشير النتيجة إلى زيادة كبيرة في التمييز في العالم. وهذه إن دلت على شيء فتدلّ على وجود آليات مؤسسية ومنهجية لتطوير وازدياد القمع في العالم. وفيما يتعلق بالقانون الدولي، يمكن ملاحظة أن المؤسسات التي ينبغي أن تكون مدافعة عن حقوق الإنسان تهتم بحقوق الإنسان بطريقة استثنائية، وبعض الناس يحظى بشرف أكبر والعديد منهم لا يُنظر إليهم أساساً. في الواقع، «المكونات الأساسية للقانون الدولي تمنع بشكل منهجي السكان الفقراء من الحصول على حقوقهم، والمنظمات الدولية المركزية مثل منظمة التجارة العالمية، وصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي مصممة أيضاً بطريقة تساهم بشكل منهجي في استمرارية الفقر» (بوغ، ٢٠٠٦).

وفيما يلي بعض الأمثلة على القمع والتمييز المؤسسي:

### الظلم في استخدام واختبار الأسلحة النووية

في عصرنا هذا، لا يتم الاهتمام بحقوق المجتمع البشري فحسب، بل تؤدي العديد من التصرفات أيضاً إلى تعريض أهم حق من حقوق الإنسان للخطر، وهو "الحق في الحياة". على سبيل المثال، ينبغي أن نتطرق إلى قضية التجارب النووية ونتحدث عنها باعتبارها قمعاً مؤسسياً خطيراً يصنف قيمة الحياة البشرية، ويخلق جيلاً ذا قيمة وجيلاً لا قيمة له.

وفقاً لتقرير مؤسسة ستانلي<sup>٣</sup> بعنوان "عدم المساواة العنصرية والسياسة النووية" (٢٠٢٢)، فإن التجارب النووية وإنتاج الأسلحة الذرية في الدول التي تنتج مثل هذه الأسلحة، تظهر أنه يتم بناء واختبار هذه

<sup>1</sup> Rule of Law Index

<sup>2</sup> World Justice Project (WJP)

<sup>3</sup> Stanley, center



الأسلحة في كثير من الأحيان في المواقع والمناطق التي يعيش فيها الأشخاص الأكثر ضعفاً في المجتمع، بما في ذلك السكان الأصليين، والأشخاص ذوي البشرات الملونة، والمستعمرات السابقة، والفئات الاجتماعية المحرومة، وما إلى ذلك، وكان قرار القيام بذلك دون موافقتهم أو أي مراعاة لحياتهم. ومنذ أوائل الخمسينيات أظهرت بعض السياسات هذا التمييز والعنصرية، والمهم هو أن العنصرية المخبأة في هذه السياسات النووية ليست عرضية أو نتيجة غير مقصودة، بل هي استراتيجية متعمدة تقوم على فرضية مفادها أن جميع الأرواح هي كائنات بشرية غير متساوية. على سبيل المثال، في الولايات المتحدة، تشير وثيقة تابعة لوزارة الطاقة بشأن تجارب الأسلحة النووية في الغلاف الجوي<sup>١</sup> إلى أنه في الفترة من ١٩٥١ إلى ١٩٥٨، أجرت الولايات المتحدة ١٢٠ تجربة في موقع اختبار نيفادا، مما أدى إلى إطلاق إشعاعي في البيئة خارج موقع الاختبار هذا.

كذلك، قبل السبعينيات، أجرت الولايات المتحدة ودول أخرى أكثر من ٥٠٠ تجربة للأسلحة النووية في الغلاف الجوي، مما أدى إلى انتشار الجزيئات المشعة والغازات الأخرى في الغلاف الجوي وخلقت بذلك إمكانية إلحاق الضرر بالمجتمعات البشرية. وأظهرت الأبحاث التي أجراها مركز مكافحة الأمراض والوقاية منها في الولايات المتحدة والمعهد الوطني للسرطان أن كل شخص يعيش في أمريكا منذ عام ١٩٥١ قد تعرض لبعض الموجات المشعة (ميشرا وأمير، ٢٠٢٢: ٣).

أو مثلاً، في خمسينيات القرن المنصرم، قررت لجنة الطاقة الذرية الأمريكية عدم تحسين تهوية مناجم اليورانيوم في ولاية نيفادا، حيث يعمل العديد من عمال المناجم، حتى تتمكن من دراسة آثار تراكم غاز الرادون في المناجم على صحة الإنسان. وحتى بعد عقدين من إجراء ذلك البحث وتوضيح الآثار الضارة لاستخراج الرادون، لم يتم اتخاذ تدابير وقائية لعمال المناجم. وهذا يدل على انتهاك صارخ لحقوق عمال المناجم. كما أن قرار لجنة الطاقة الذرية الأمريكية باختيار مواقع تجارب الأسلحة النووية في ولاية نيفادا أضر بالسكان الأصليين.

تظهر الأدلة التاريخية أن القبائل الأصلية المختلفة كانت عرضة لفقدان أرضها وثقافتها وحقها في حياة صحية مطمئنة. كما أثبت إلقاء النفايات النووية في ولاية نيفادا حقيقة مفادها أن الحكومة الأمريكية، التي تدرك تمام الإدراك العواقب المترتبة على مثل هذه السياسات، عرضت القبائل الأصلية للإشعاع. ولا تزال آثار هذه التصرفات وتداعياتها مرئية في الأجيال التي تلتها، وعلى سبيل المثال، أظهرت التقارير التي نشرتها المراكز الأمريكية لمكافحة الأمراض والوقاية، ومنها تقرير عام ٢٠١٦، أن آثار اليورانيوم لا تزال مرئية في أجساد أطفال نافاجو<sup>٢</sup> الهنود (ميشرا و أمير، ٢٠٢٢: ٥).

### التمييز في الأسلحة العسكرية

وفي مختلف المجالات، نرى ازدواجية المعايير بين ما يسمى بدول الشمال الاستثنائية وبقية دول العالم. ومن الأمثلة الواضحة في هذا المجال ما يتعلق بالحقوق المتعلقة بالأسلحة العسكرية. على سبيل المثال،

<sup>1</sup> Atmospheric nuclear weapons

<sup>2</sup> Navajo

عندما قامت العديد من الدول بالتوقيع والتصديق على اتفاقية الأسلحة الكيميائية<sup>١</sup>، اتفقت جميع الدول الأعضاء على التخلي عن برامج الأسلحة الكيميائية الخاصة بها، لكن معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية (NPT)، ميزت بين الدول التي كانت لديها برامج أسلحة نووية قبل هذه المعاهدة والدول التي طورتها بعد هذا الحدث.

وكانت الدول التي تمتلك قدرات السلاح النووي قبل هذه المعاهدة، تُسمّى الدول الحائزة للأسلحة النووية (ONP)، والتي شملت الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا والصين وروسيا. وعملياً، كانت لهم امتيازات مقارنة بدول المجموعة الثانية.

في الواقع، هناك معايير مزدوجة واضحة، فمن ناحية، الدول الخمس الدائمة العضوية، يمكنها اتهام دول المجموعة الثانية، التي طورت برامجها النووية منذ إرساء قواعد عدم انتشار الأسلحة النووية بموجب معاهدة حظر الانتشار النووي، بانتهاك هذه القواعد، ومن ناحية أخرى، فإنها أنفسها تتحدى الأعراف الدولية من خلال امتلاك وتحديث مخزونات الأسلحة النووية وأنظمة الإطلاق (ميشرا وأمير، ٢٠٢٢). وفي الواقع، هناك تمييز مؤسسي في هذا المجال بين هاتين المجموعتين.

### التمييز في العمل

على سبيل المثال، في الولايات المتحدة الأمريكية خلال فترة الكساد الكبير، تم اقتراح بعض السياسات في إطار برنامج الصفقة الجديدة<sup>٢</sup> خلال عهد روزفلت من أجل تعزيز المعايير وظروف العمل والأجور، والتي، على الرغم من أنها أدت إلى تحسين حياة ملايين الأسر، لكن المشرّع اعتبر معظم هذه المزايا للعمال البيض وفي نفس الوقت استبعد ذوي البشرة السوداء وحصرهم. ساعدت هذه الإجراءات في إضفاء الطابع المؤسسي على عدم المساواة العرقية في الرفاهية الاقتصادية وإضفاء الشرعية عليها. على سبيل المثال، قدم قانون معايير العمل العادلة الصادر في الصفقة الجديدة لعام ١٩٣٨ (FLSA) (أسبوع عمل مدته ٤٠ ساعة، وحظر عمل الأطفال، ووضع حدًا أدنى للأجور الفيدرالية وشروط العمل الإضافي، لكن هذه المزايا كانت مخصصة للعمال البيض، تاركة العمال الأمريكيين من أصول أفريقية، مع استثناءات كثيرة منعتهم من الحصول على هذه المزايا، مما أدى إلى زيادة فقرهم (سالمون وآخرون، ٢٠١٩).

### التوزيع العالمي غير العادل للدخل والثروة

يتميز العالم اليوم بمستوى مرتفع للغاية من عدم المساواة في الدخل ومستوى حاد من عدم المساواة في الثروة. وبحسب "تقرير عدم المساواة في العالم ٢٠٢٢"، تحصل أدنى ٥٠% من طبقات العالم على ٨,٥% فقط من دخل العالم، بينما تحصل أعلى ١٠% من طبقات العالم على ٥٢% من إجمالي الدخل. وفيما يتعلق بالثروة، فإن هذا التوزيع غير العادل أكبر. ويمتلك النصف الأفقر في العالم، ٢% فقط من إجمالي الثروة الصافية (المختبر العالمي لعدم المساواة، ٢٠٢٢: ١٠ و منظمة مبادرات التنمية، ٢٠٢٣). كما أن

<sup>1</sup> Chemical Weapons Convention

<sup>2</sup> New Deal

<sup>3</sup> The New Deal's Fair Labor Standards Act of 1938 (FLSA)

٤٠% من الطبقات الوسطى يملكون ٢٢% من إجمالي صافي الثروة في العالم، و ١٠% من أغنى الناس يمتلكون ٧٦% من إجمالي صافي الثروة (منظمة مبادرات التنمية، ٢٠٢٣: ٦).

The richest 10% of people own 76% of wealth.



The middle 40% of people own 22% of wealth.



The poorest 50% of people own 2% of wealth.



وفقاً لتقرير الثروة العالمية الصادر عن Credit Suisse، تمثل أمريكا الشمالية وأوروبا معاً ٥٧% من إجمالي ثروات الأسر ولكن ١٧% فقط من السكان البالغين في العالم (أرقام ٢٠٢١). على العكس من ذلك، تمثل البلدان الأفريقية ١% من الثروة و ١٣% من السكان البالغين.

### التفاوت العالمي في اكتساب الثروة

ووفقاً لتقرير عدم المساواة في العالم لعام ٢٠٢٢، كانت الزيادة في الثروات الخاصة متفاوتة داخل البلدان وعلى مستوى العالم. كان أصحاب الملايين في العالم يمثلون حصة غير متناسبة من نمو الثروة العالمية في العقود الأخيرة، حيث يمثل أعلى ١% من أصحاب الملايين ٣٨% من إجمالي الثروة الفائضة المتراكمة منذ منتصف التسعينيات. بينما ٥٠% من الطبقات الدنيا حصلت على ٢% منها فقط.

وزادت ثروات أغنى الناس على وجه الأرض بنسبة تتراوح بين ٦ و ٩ في المائة سنوياً منذ عام ١٩٩٥، في حين زاد متوسط الثروة بنسبة ٣,٢ في المائة سنوياً. وأيضاً، منذ عام ١٩٩٥، ارتفعت حصة المليارديرات من الثروة العالمية من ١% إلى أكثر من ٣%، وهي الزيادة التي اشتدت خلال جائحة كوفيد-١٩. (المختبر العالمي لعدم المساواة، ٢٠٢٢: ١٥)

وفقاً لمنظمة مبادرات التنمية (٢٠٢٣)، خلال أزمة كوفيد-١٩، أضاف المليارديرات حول العالم ١,٩ و ١,٦ تريليون دولار إلى صافي ثروتهم في عامي ٢٠٢٠ و ٢٠٢١ على التوالي.

## انبعاث الغازات الدفيئة

وفقاً لتقرير فجوة الانبعاثات لعام ٢٠٢٣<sup>١</sup> (برنامج الأمم المتحدة للبيئة<sup>٢</sup>، ٢٠٢٣)، فإن حصة إجمالي سكان العالم في انبعاث الغازات الدفيئة المبنية على الاستهلاك<sup>٣</sup> ليست متساوية، ويطلق ١٠% من السكان ذوي الدخل الأعلى، حوالي ٤٨% من الغازات المسببة للاحتباس الحراري وإن ثلثي ذوي الدخل الأعلى يعيشون في البلدان المتقدمة، وأن الـ ٥٠% الأدنى من سكان العالم يصدرون ١٢% فقط من الغازات المسببة للاحتباس الحراري في العالم. في المجمل، تصدر دول مجموعة العشرين ٧٦% من الغازات الدفيئة في العالم، بينما تنتج الدول الأقل نمواً ٣,٨% فقط من الغازات الدفيئة في العالم. وتشير هذه الأرقام إلى حصة المجتمعات المختلفة في الأضرار البيئية العالمية، وتظهر أنه على الرغم من أن سكان العالم الأقل نصيباً في الانبعاثات، إلا أنهم يتحملون تكلفة كبيرة.

## الحصة المرتفعة للبلدان ذات الدخل المرتفع في استخدام الموارد الفائضة التراكمية

تظهر الأبحاث المتعلقة بـ "الحصة العادلة" لكل دولة في استخدام الموارد، وكذلك مسؤولية الدول عن الأضرار البيئية الناجمة عن الاستهلاك المفرط للموارد، أن البلدان ذات الدخل المرتفع (١٦% من سكان العالم)، مسؤولة عن ٧٤% من الفائض التراكمي لاستخدام الموارد في جميع أنحاء العالم. وفي العالم، تتمتع الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي بأعلى استهلاك للمواد الخام وهما مسؤولان عن ٢٧% و ٢٥% من الأضرار العالمية (هيكل وآخرون: ٢٠٢٢).

## الاستخدام غير العادل للموارد

لقد تضايف استخراج الموارد الطبيعية من الأرض ثلاث مرات خلال العقود الخمسة الماضية، ويعود ذلك إلى إنشاء البنية التحتية في العديد من أنحاء العالم وارتفاع مستويات استهلاك المواد الخام، خاصة في البلدان المرتفعة والمتوسطة الدخل. ويشير تقرير "توقعات الموارد العالمية ٢٠٢٤"<sup>٤</sup> إلى أن نمو استخدام الموارد ارتفع من ٣٠ مليار طن إلى ١٠٦ مليارات طن منذ عام ١٩٧٠، وهذا ما يترتب عليه آثار بيئية كبيرة. ولكن هناك تفاوتات جوهريّة في استخدام الموارد العالمية، مما يعني أن البلدان المنخفضة الدخل تستهلك مواد أقل بستة أضعاف وتنتج تأثيراً مناخياً أقل بعشر مرات من تلك التي تعيش في البلدان المرتفعة الدخل (برنامج الأمم المتحدة للبيئة، ٢٠٢٤).

## تزايد عدم المساواة العالمية مع التقدم التكنولوجي

وفقاً لتقرير عام ٢٠٢١ حول التكنولوجيا والابتكار الصادر عن الأونكتاد (مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية)، فإن عدم المساواة في الدخل في العالم قبل الثورة الصناعية الأولى كان منخفضاً للغاية وعند مستوى

<sup>1</sup> Emissions Gap Report 2023

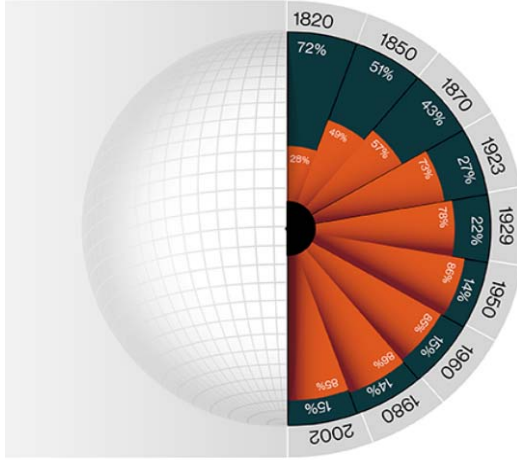
<sup>2</sup> UN Environment Program

<sup>3</sup> Consumption-based emissions

<sup>4</sup> The 2024 Global Resource Outlook

أدنى ومحدودا داخل البلدان ومنذ ذلك الحين، ومع كل موجة من التغيير التكنولوجي، تزايدت فجوة التفاوت بين البلدان.

وفقا لتقرير مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (الأونكتاد) لعام ٢٠٢١ حول التكنولوجيا والابتكار، بين عامي ١٨٢٠ و٢٠٠٢، مقارنة بعدم المساواة الداخلية، زاد عدم المساواة بين البلدان من ٢٨ في المائة في عام ١٨٢٠ إلى ٨٥ في المائة في عام ٢٠٠٢.



### تزايد عدم المساواة بعد كورونا

حسب تقرير البنك الدولي لعام ٢٠٢٣، إذا كان عام ٢٠٢٢ هو عام عدم اليقين، فإن عام ٢٠٢٣ هو عام عدم المساواة. وكما هو الحال مع العديد من الأزمات، فإن أفقر بلدان العالم هي التي تعاني أكثر من غيرها وتعرض لضغوط أكبر في ضائقة الديون وتواجه خطر أزمة الديون مع ارتفاع تكاليف الاقتراض (البنك الدولي، ٢٠٢٣). ووفقا للتقرير أيضا، في حين انخفض الفقر المدقع في البلدان المتوسطة الدخل، فإن الفقر في أفقر البلدان والبلدان المتضررة من الصراع أو العنف لا يزال أسوأ مما كان عليه قبل فيروس كورونا. يعيش ما يقرب من ٧٠٠ مليون شخص في جميع أنحاء العالم اليوم في فقر مدقع، مما يعني أنهم يعيشون على أقل من ٢,١٥ دولار في اليوم (البنك الدولي، ٢٠٢٣).

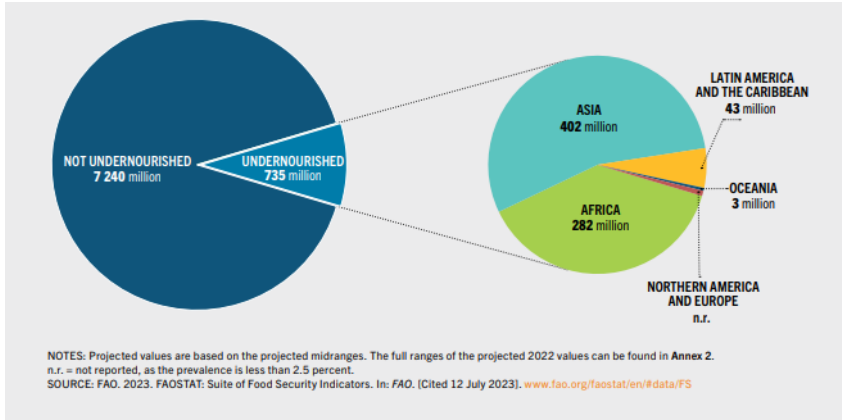
### ب- الإجراءات التمييزية و عدم المساواة العالمي

إن التمييز والقمع بأي شكل ومستوى، لا يليق بالمجتمع البشري. كما وأن تعريض الاحتياجات الإنسانية الأساسية في الوصول العادل إلى الغذاء والمياه النظيفة والمسائل المتعلقة بالصحة والرعاية الصحية والتعليم والسكن باعتبارها ٥ احتياجات أساسية، أمر كارثي للغاية.

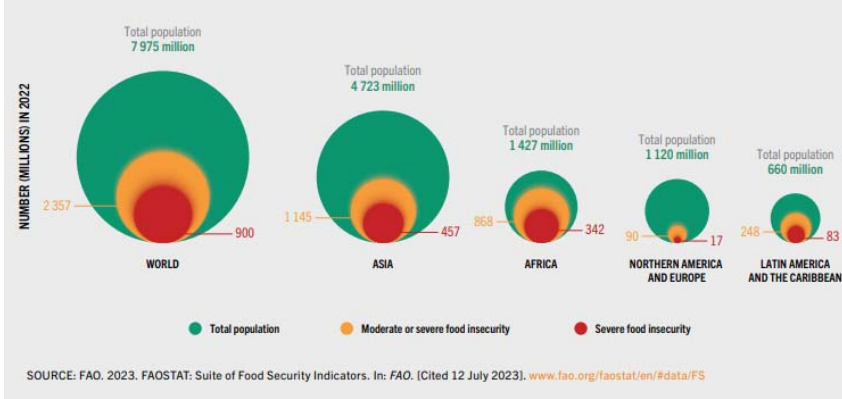
هنا سيتم التركيز على الأعمال الهادفة للربح ، والأفعال القاسية والظالمة في التمييز ضد الأطفال والاتجار والفساد الجنسي في العالم واستهلاك المشروبات الكحولية والحرب واستخدام حربة تعريض الغذاء للخطر، وخاصة طعام النساء والأطفال في الحرب، مع التأكيد على خطورة الظروف في غزة.

### عدم المساواة في الوصول إلى الغذاء والأمن الغذائي العالمي

وفقاً لتقرير منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة (الفاو) لعام ٢٠٢٣ بعنوان "حالة الأمن الغذائي والتغذية في العالم"، فإن ٧٨٣ مليون شخص في جميع أنحاء العالم يواجهون الجوع. كما يعيش نحو ٢,٤ مليون شخص في حالة انعدام الأمن الغذائي، أي ما يقارب ٣٠% من سكان العالم. ويبين هذا التقرير أن الجوع يتزايد في غرب آسيا ومنطقة البحر الكاريبي وأجزاء من أفريقيا. وكما يظهر أدناه، ففي عام ٢٠٢٢ تأثرت شعوب آسيا (٤٠٢ مليون نسمة) ومن ثم شعوب أفريقيا (٢٨٢ مليون نسمة) بالجوع، وهذا الرقم منخفض جداً في الدول المتقدمة (منظمة الأغذية والزراعة، ٢٠٢٣: ١٢):



ويبين الشكل أدناه أن تركيز وتوزيع الأمن الغذائي يختلف اختلافا كبيرا في مناطق العالم على أساس درجة الخطورة. ووفقاً لهذا الشكل، فمن بين إجمالي ٢,٤ مليار شخص في العالم الذين واجهوا انعدام الأمن الغذائي في عام ٢٠٢٢، نصفهم تقريباً (١,١ مليار شخص) في آسيا، و٣٧% (٨٦٨ مليون شخص) في أفريقيا، و١٠,٥% (٢٤٨ مليون شخص) في أمريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي و ٤٪ (٩٠ مليون شخص) في أمريكا الشمالية وأوروبا. ويظهر هذا الشكل أيضاً نسباً مختلفة لانعدام الأمن الغذائي الشديد أو المعتدل عبر المناطق، وبناءً على، فإن انعدام الأمن الغذائي الحاد أقل في أمريكا الشمالية وأوروبا (منظمة الأغذية والزراعة، ٢٠٢٣: ٢٢):



في الواقع، نحن نعيش في عالم يتم توزيع الغذاء فيه بشكل غير متساو ويتأثر الأمن الغذائي بأنماط التنمية الاجتماعية والاقتصادية، والتجارة الدولية، وتوافر الموارد الطبيعية والاستيلاء عليها. يظهر تقرير منظمة الصحة العالمية لعام ٢٠٢٣ أيضًا أن "النظام الغذائي فشل في توفير الوصول العادل إلى أنظمة غذائية صحية وآمنة" لسكان العالم. ويحدّد عدم المساواة في النظم الغذائية من إمكانية الحصول على نظم غذائية صحية، مما يؤدي إلى عدم المساواة في النظام الغذائي والتغذية والصحة. وقد تزايد انعدام الأمن الغذائي والهدر، وانتشرت الأمراض التي تنقلها الأغذية على نطاق واسع، وأصبح النظام الغذائي غير الصحي وسوء التغذية من الأسباب الرئيسية للأمراض. هذا على الرغم من حقيقة أنه يتم إهدار كمية كبيرة من الأغذية المنتجة للاستهلاك البشري في العالم. على سبيل المثال، في أمريكا، تهدر الأسر الأمريكية ٤٨% من فائض الغذاء، مما يعني أن ٤٤ مليون طن من الغذاء من أصل ٢٤١ مليون طن من الغذاء المنتج يتم إلقاؤها في القمامة. وفي الاتحاد الأوروبي، تنتج الأسر أكثر من ٥٠% من نفايات الطعام، والتي تصل إلى ٤٧ مليون طن من مجموع النفايات. وفي بريطانيا، تتخلص الأسر البريطانية من ٤,٥ مليون طن من الطعام سنويًا (IFCO: ٢٠٢٣).

### التمييز في الوصول إلى شبكة المياه والصرف الصحي

تظهر الأبحاث أن التمييز البيئي والعنصرية المنهجية والحرمان الاجتماعي<sup>١</sup> في البلدان ذات الدخل المرتفع هي أسباب أزمة مياه الشرب والفجوات في خدمات المياه وشبكات الصرف الصحي، والتي تظهر في المناطق الريفية والثابتة. في الواقع، كانت العنصرية النظامية أساس عدم المساواة والحرمان في الوصول إلى الموارد بين فئات الأقليات العرقية والإثنية، ومجتمعات السكان الأصليين، والمهاجرين، وذوي البشرة الملونة. مثلاً، في الولايات المتحدة، تزيد احتمالية أن تكون الأسر الأمريكية الأصلية غير قادرة على الوصول إلى المياه المعالجة<sup>٢</sup> والصرف الصحي<sup>٣</sup> بمقدار ١٩ مرة مقارنة بالأسر البيضاء، كما أن هذه النسبة تصل إلى ضعفين لدى الأسر السوداء واللاتينية (مورفي، ٢٠٢١).

<sup>1</sup> Social exclusion

<sup>2</sup> Functional Water

<sup>3</sup> Wastewater

وأيضًا، وفقًا لتقرير الأمم المتحدة لعام ٢٠٢٣، لا يزال مليارات الأشخاص لا يحصلون على مياه الشرب الآمنة وشبكات الصرف الصحي، ولا تزال الأزمة المائية وندرة المياه مصدر قلق في أجزاء كثيرة من العالم. وفقًا لهذا التقرير، في عام ٢٠٢٢، لم يتمكن حوالي ٢ مليار شخص في جميع أنحاء العالم من الوصول إلى مياه الشرب المأمونة، منهم ٧٠٣ مليون شخص يفتقرون إلى الوصول إلى خدمات المياه الأساسية (الأمم المتحدة، ٢٠٢٣: ب: ٢٤).

### التمييز العالمي في الوصول إلى خدمات الرعاية الصحية

نشرت منظمة الصحة العالمية والبنك الدولي بشكل مشترك تقرير رصد التغطية الصحية العالمية ٢٠٢٣<sup>١</sup>، الذي يوضح أن "أكثر من نصف سكان العالم لا يزالون غير مشمولين بالخدمات الصحية الأساسية. بالإضافة إلى ذلك، يواجه ملياري شخص مشاكل مالية حادة عند دفع ثمن الخدمات والمنتجات التي يحتاجونها في هذا المجال. وفقًا لهذا التقرير، في العقدين الماضيين، قام أقل من ثلث البلدان بتحسين تغطية الخدمات الصحية وخفض التكاليف الصحية المرتفعة (منظمة الصحة العالمية، ٢٠٢٣). على سبيل المثال، فيما يتعلق بوفيات الأمهات، يوضح تقرير منظمة الصحة العالمية لعام ٢٠٢٣ (٢٠٢٣) أنه في عام ٢٠٢٠، توفي ما يقرب من ٨٠٠ امرأة يوميًا لأسباب يمكن الوقاية منها تتعلق بالحمل والولادة. وحدث ما يقرب من ٩٥ بالمائة من جميع وفيات الأمهات هذا العام في البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل. وشكلت منطقة جنوب الصحراء الكبرى الأفريقية وجنوب آسيا حوالي ٨٧ بالمائة من وفيات الأمهات العالمية المقدرة في عام ٢٠٢٠. كما تظهر بعض الأبحاث الحديثة أن الصناعة الطبية العالمية تشكل تهديدًا للصحة العامة لملايين الأشخاص حول العالم، وأن العنصرية التاريخية ساعدت في تشكيلها. على سبيل المثال، تشير مجموعة المقالات المنشورة في مجلة لانست الطبية تحت عنوان "العنصرية وكرهية الأجنبي والتمييز والصحة" إلى وجود التمييز في مجال الرعاية الصحية وتوضح كيف يمكن أن يكون التمييز مقصودًا أو غير مقصود ويمكن أن يسبب الوفاة المبكرة أو المرض بين السكان الذين غالبًا ما يكونون من بين الفئات المحرومة في المجتمع (لانست، ٢٠٢٢). وأظهرت دراسة أخرى أجريت عام ٢٠١٩ في مجلة Science دليلاً على التحيز العنصري في خوارزميات الرعاية الصحية في أمريكا، والتي، على سبيل المثال، خفضت عدد التوصيات الطبية للمرضى السود للحصول على مزيد من الرعاية الطبية. تمت برمجة هذه الخوارزميات لاستخدامها في تقدير التكاليف الصحية، ونتيجة لهذا التحيز، تم إنفاق أموال أقل على المرضى السود، وفي الواقع أظهرت الخوارزمية نتيجة تفيد بأن المرضى السود يتمتعون بصحة أفضل من المرضى البيض (أوبرمير وهمكاران: ٢٠١٩).

### التمييز في السكن كماوى للحياة

اليوم، يتعرض عدد كبير من السكان في العالم لضغوط شديدة لتوفير السكن. فإما لديهم مشكلة عدم توفر مساحة كافية للعيش، أو أنهم مستأجرون، أو أنهم من سكان الأحياء الفقيرة، أو أنهم بلا مأوى. يعد التشرد مشكلة عامة كبيرة في العالم، والدول المتقدمة أيضًا تعاني من وضع سيئ في هذا الموضوع. وفي المرة الأخيرة



التي أجرت فيها الأمم المتحدة مسحاً عالمياً في عام ٢٠٠٥، كان هناك حوالي ١٠٠ مليون شخص بلا مأوى في جميع أنحاء العالم. ويفتقر حوالي ١,٦ مليار شخص إلى السكن اللائق (هيبينات، ٢٠١٥). وفي عام ٢٠٢١، أفاد المنتدى الاقتصادي العالمي أن ١٥٠ مليون شخص بلا مأوى في جميع أنحاء العالم.<sup>١</sup>

وفقاً لوزارة الإسكان والتنمية الحضرية بالولايات المتحدة، عانى حوالي واحد من كل ٥٠٠ أمريكي من التشرد في يناير ٢٠٢٣. ويذكر في هذا التقرير أنه في عام ٢٠٢٣، عانى ٦٥٣'١٠٤ شخصاً من التشرد. ويمثل ذلك زيادة بنسبة ١٢,١ بالمائة عن نفس التقرير في عام ٢٠٢٢.<sup>٢</sup>

وأيضاً، وفقاً لتقرير وزارة الخزانة الأمريكية لعام ٢٠٢٢، لا يتم توزيع فوائد ملكية المنازل بالتساوي في هذا البلد، وفي الربع الثاني من عام ٢٠٢٢، بلغ معدل ملكية المنازل للأسر البيضاء ٧٥٪. هذا الرقم للأسر السوداء هو ٤٥٪ و كان الرقم ٤٨٪ للأسر ذات الأصول الأسبانية و ٥٧٪ للأسر غير الإسبانية من الأجناس الأخرى. كما أن الفجوة في معدل ملكية المنازل بين البيض والسود لم تتغير في نصف القرن الماضي، من عام ١٩٧٠ إلى عام ٢٠٢٠، ولم يكن لإقرار قانون الإسكان العادل عام ١٩٦٨ أي تأثير عليها.<sup>٣</sup>

ويظهر البحث الذي أجرته جامعة إلينوي للأبحاث أن قيمة المنازل في الأحياء البيضاء تبلغ حوالي ٣ أضعاف قيمة المنازل في الأحياء التي يعيش فيها أصحاب البشرة الملونة، مما يزيد من صعوبة تقليص فجوة الثروة لديهم.<sup>٤</sup>

فيما يتعلق بالأحياء الفقيرة في العالم، وفقاً لتقارير الأمم المتحدة، يعيش اليوم أكثر من مليار شخص في الأحياء الفقيرة أو في ظروف مماثلة في المدن. ومن المتوقع أنه بحلول عام ٢٠٢٥، قد يتضاعف هذا العدد ثلاث مرات، وسيعيش أكثر من ٣ مليارات شخص في الأحياء الفقيرة، خاصة في البلدان النامية. ووفقاً لهذا التقرير، يتركز ٨٥٪ من سكان الأحياء الفقيرة اليوم في ثلاث مناطق في العالم: وسط وجنوب آسيا (٣٥٩ مليون شخص)، وشرق وجنوب شرق آسيا (٣٠٦ مليون شخص)، وجنوب الصحراء الكبرى في أفريقيا (٢٣٠ مليون شخص).<sup>٥</sup> ووفقاً لهذا التقرير، يعيش حالياً نصف سكان العالم في المناطق الحضرية، ومن المتوقع أن تصل هذه النسبة إلى ٧٠٪ بحلول عام ٢٠٥٠. في عام ٢٠٢٠، كان واحد من كل أربعة من سكان المدن يعيش في أحياء فقيرة أو مناطق غير رسمية.<sup>٦</sup> وأيضاً، وفقاً لتقرير سوق الإسكان العالمي لعام ٢٠٢٣، من المتوقع أن تشهد منطقة أفريقيا والشرق الأوسط زيادة في عدد سكان الأحياء الفقيرة الحضرية بأسرع معدل بين جميع المناطق. لأن البناء التجاري للوحدات السكنية ذات الأسعار المعقولة لا يمكن أن يواكب الطلب في المناطق الحضرية سريعة التوسع.<sup>٧</sup>

<sup>1</sup> <https://www.homelessworldcup.org/homelessness-statistics>

<sup>2</sup> <https://usafacts.org/articles/how-many-homeless-people-are-in-the-us-what-does-the-data-miss/>

<sup>3</sup> <https://home.treasury.gov/news/featured-stories/racial-differences-in-economic-security-housing#:~:text=housing%20equity%20wealth,-Homeownership,households%20of%20any%20other%20race.>

<sup>4</sup> <https://www.bloomberg.com/graphics/2023-home-prices-racial-gap-us-cities/>

<sup>5</sup> <https://unstats.un.org/sdgs/report/2023/goal-11/>

<sup>6</sup> <https://unstats.un.org/sdgs/report/2022/goal-11/>

<sup>7</sup> <https://www.marketwatch.com/press-release/global-housing-industry-report-2023-construction-of-new-housing-is-forecast-to-advance-2-1-per-year-through-2028-following-a-decline-in-2023-vs-2022-researchandmarkets-com-c160cb10>

### عدم المساواة في الوصول إلى التعليم

بحسب تقرير الأمم المتحدة (٢٠٢٠)، فإن عدم المساواة هي القضية الأكثر خطورة في التعليم حول العالم، والتي ترتبط بمستوى تطور الدول. وعلى الرغم من زيادة العدد المطلق والنسبي للطلاب في العالم كله، فإن الفارق بين أغنى وأفقر الناس والأشخاص الذين يعيشون في المناطق الريفية والحضرية لم يتضاءل. وهذا "نتيجة غياب السياسات التي تعتبر المساواة في التعليم، الوسيلة الأساسية لتحقيق مجتمعات أكثر عدلاً". كما أنه وفقاً لتقرير الأمم المتحدة لعام ٢٠٢٣، فإن ٢٤٤ مليون طفل ومراهق تتراوح أعمارهم بين ٦ و ١٨ عاماً محرومون من التعليم. ومن بين دول العالم، فإن أكثر الأطفال المحرومين من التعليم موجودون في دول جنوب الصحراء الكبرى في أفريقيا، تليها دول وسط وجنوب آسيا (الأمم المتحدة، ٢٠٢٣، ١).

### العنصرية والتمييز ضد الأطفال

يؤكد تقرير اليونسيف لعام ٢٠٢٢ بعنوان "الحقوق المنكّرة: تأثير التمييز على الأطفال" أن «العنصرية والتمييز ضد الأطفال على أساس العرق واللغة والدين أمر شائع في جميع أنحاء العالم». يوضح هذا التقرير مدى تأثير العنصرية والتمييز على التعليم والصحة والوصول إلى تسجيل المواليد والنظام العادل. وتوضح كاترين راسل<sup>١</sup>، المديرية التنفيذية لليونسيف، أن «العنصرية والتمييز الممنهجين يعرضان الأطفال لخطر الحرمان<sup>٢</sup> والإقصاء<sup>٣</sup>، وهو ما يمكن أن يستمر لقبية حياتهم» (اليونسيف، ٢٠٢٢).

وفقاً لتقرير اليونسيف لعام ٢٠٢٢، فإن الأطفال من المجموعات العرقية واللغوية والدينية المهمشة في ٢٢ دولة شملتها الدراسة يتخلفون كثيراً عن أقرانهم من حيث مهارات القراءة. ووفقاً لهذا التقرير أيضاً، فيما يتعلق بمعدل تسجيل المواليد، هناك فرق كبير بين أطفال المجموعات الدينية والعرقية. على سبيل المثال، في لاوس، بين مجموعة المون الخمير<sup>٤</sup> العرقية المهمشة، يتم تسجيل ولادات ٥٩% فقط من الأطفال دون سن ٥ سنوات. بينما يبلغ هذا الرقم في مجموعة لاو تاي<sup>٥</sup> العرقية ٨٠ بالمائة (اليونسيف، ٢٠٢٢).

وفقاً لتقرير اليونسيف لعام ٢٠٢٢، في النظام التعليمي، على سبيل المثال، في السياسات التأديبية للولايات المتحدة، يكون الأطفال السود أكثر عرضة للإيقاف عن المدرسة بنسبة ٤ مرات تقريباً مقارنة بالأطفال البيض (اليونسيف، ٢٠٢٢). وفيما يتعلق بالمشاعر بالتمييز بين الأطفال والمراهقين، أظهرت نتائج استطلاع شمل أكثر من ٤٠٠ ألف مشارك، أن ما يقرب من ثلثي المشاركين يشعرون بأن التمييز شائع في بيئتهم المعيشية. كما قال نصفهم إنهم شعروا بأن التمييز أثر بشكل كبير على حياتهم أو حياة معارفهم (اليونسيف، ٢٠٢٢).

كما يوضح تقرير منظمة المبادرات التنموية (٢٠٢٣) أن الأطفال يعيشون في فقر أكثر من البالغين. وهم يشكلون ثلث سكان العالم، ولكنهم يشكلون نصف السكان الذين يعيشون في فقر مدقع. الأطفال الأكثر فقراً معرضون للوفاة مرتين أكثر من الأطفال الأكثر ثراءً. وفقاً لليونسيف، حتى في البلدان الأكثر ثراءً، يعيش واحد من كل سبعة أطفال في فقر. تردى الخدمات الأساسية خلال جائحة فيروس كورونا وانخفاضها قد أثر

<sup>1</sup> Catherine Russell

<sup>2</sup> Deprivation

<sup>3</sup> Exclusion

<sup>4</sup> Mon-Khmer

<sup>5</sup> Lao-Tai

على الظروف التعليمية وفي مثل هذه الحالة تأثر بشكل خاص أطفال الأسر الأكثر فقراً، الذين لم يستطيعوا الوصول إلى معدات تكنولوجيا المعلومات.

### الاتجار بالجنس والفساد في العالم

وفقاً لتقرير مؤسسة مراقبة الإنترنت<sup>١</sup> لعام ٢٠٢٣، يواصل الاتحاد الأوروبي استضافة معظم محتوى الاعتداء الجنسي على الأطفال في العالم. ووفقاً لهذا التقرير، من بين كل خمسة بلاغات عن الاعتداء الجنسي على الأطفال، تتم استضافة ثلاثة منها في إحدى الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي، وسجل أعلى معدل للتسجيل في هولندا وسلوفاكيا.

فيما يتعلق بالاتجار بالجنس، يتم الاتجار بملايين الأطفال والنساء المستضعفين في كل عام لأغراض الجنس في جميع أنحاء العالم. عاشت الغالبية العظمى من ضحايا الاتجار بالبشر في أوضاع اقتصادية سيئة، ومن المرجح أن يقبلوا عروض العمل التي تُعدُّ بالمال السريع. وبحسب تقرير بعثة العدالة الدولية<sup>٢</sup>، يتم استغلال حوالي ١,٧ مليون طفل في الاتجار بالجنس.

ووفقاً لتقرير مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة<sup>٣</sup> لعام ٢٠٢٢، يمثل الاتجار بالبشر الشكل الحديث للعبودية. وتحليل إحصاءات الاتجار بالبشر حسب المنطقة، يظهر مستويات أعلى من الإفلات من العقاب في مناطق جنوب الصحراء الكبرى الأفريقية وجنوب آسيا. تدين البلدان في هذه المناطق عدداً أقل من المتاجرين بالبشر ويتم التعرف على عدد أقل من الضحايا مقارنة بالدول الأخرى في العالم. وفي الوقت نفسه، يتم التعرف على ضحايا هذه المناطق في نطاق أوسع من بلدان المقصد مقارنة بضححايا المناطق الأخرى.

بالإضافة إلى ذلك، يوضح هذا التقرير أن الضحايا الإناث أكثر عرضة للعنف الجسدي على يد المتاجرين بثلاث مرات أكثر من الرجال، ويتعرض الأطفال للعنف مرتين تقريباً مقارنة بالبالغين.

إن النساء اللاتي يتم استجوابهن بتهمة الاتجار بالبشر، يُدانن أكثر بكثير من الرجال، مما يشير إلى أن النظام القضائي قد يميز ضد المرأة، أو أن دور المرأة في شبكات الاتجار بالبشر قد يزيد من احتمالية إدانتهم. الاغتصاب في الولايات المتحدة له نطاق وتكرار واسع، ووفقاً لتقرير مؤسسة طومسون ريتزر<sup>٤</sup>، فهي واحدة من أخطر ١٠ دول على النساء. وهنا نتطرق إلى حالات الاعتداء الجنسي في الولايات المتحدة حسب تقرير المركز الأمريكي لمكافحة الأمراض والوقاية منها (٢٠٢٤):

- تعرض أكثر من نصف النساء وحوالي واحد من كل ثلاثة رجال للعنف الجنسي بما في ذلك التحرش الجسدي خلال حياتهم.
- تعرضت واحدة من كل ٤ نساء وواحد من كل ٢٦ رجلاً للاغتصاب أو الاعتداء الجنسي.
- أفادت أكثر من ٤ من كل ٥ ناجيات من الاغتصاب، أنهن تعرضن للاغتصاب لأول مرة قبل سن ٢٥ عاماً، وتعرضت نصفهن تقريباً للاغتصاب لأول مرة في مرحلة الطفولة (أي قبل سن ١٨ عاماً)

<sup>1</sup> Internet Watch Foundation

<sup>2</sup> International Justice Mission

<sup>3</sup> United Nations Office on Drugs and Crime (UNODC)

<sup>4</sup> <https://news.trust.org/item/20180612134519-cxz54/>

- تواجه النساء والأقليات العرقية والإثنية عيباً أكبر من العنف الجنسي. على سبيل المثال، أكثر من ٢ من كل ٥ نساء هنديات أمريكيات غير اللاتينيات أو نساء ألاسكا الأصليات والنساء الهجينات غير اللاتينيات تعرضن للاعتداء الجنسي في حياتهن.

### استهلاك المشروبات الكحولية والمخدرات

فيما يتعلق بتعاطي المخدرات، فإن ١٢٪ من متعاطي المخدرات في العالم يوجدون في أمريكا؛ في كل عام، يموت ٩٥ ألف شخص في الولايات المتحدة بسبب تعاطي الكحول؛ ٧٠٪ من متعاطي المخدرات في أمريكا يجربون المخدرات غير المشروعة قبل سن ١٣ عاماً؛ ووفقاً لتقرير نشر في مجلة ساينس الأمريكية، فإن عدد الوفيات الناجمة عن جرعات زائدة من المخدرات في الولايات المتحدة قد زاد بشكل كبير على مدى السنوات الـ ٣٨ الماضية، حيث تضاعف بنسبة ٩ في المائة تقريباً كل عام، ويتضاعف تقريباً كل ثماني سنوات (وزارة الخارجية الصينية، ٢٠٢٣).

أيضاً، وفقاً لتقرير عام ٢٠١٠ الصادر عن مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة، تمثل أمريكا الشمالية أكثر من ٤٠٪ من استهلاك الكوكايين في العالم. وتليها بعد ذلك ٢٧ دولة من الاتحاد الأوروبي وأربع دول من رابطة التجارة الحرة الأوروبية التي تشكل أكثر من ربع إجمالي استهلاك الكوكايين.

### المقاومة وإعادة التوزيع غير العادل للدمار

في أمريكا (٥٨ مليون)، ألمانيا (٢٩ مليون)، هولندا (١,١ مليون)، المملكة المتحدة (٢٩ مليون)، كندا (١٩,٣ مليون)، أستراليا (٦,٨ مليون) وفرنسا (٤ مليون). في هذه الدول يعيش أكبر عدد من المقامرين في العالم<sup>١</sup>. تظهر الأبحاث المختلفة أنه في الولايات المتحدة، يعاني ما بين ١ و ٢ بالمائة من السكان من إصابات القمار وقد عانوا من اضطراب القمار (ويلان، ٢٠٢٣).

في إنجلترا، أظهرت الأبحاث أن عدداً كبيراً من الأشخاص الذين يعانون من اضطراب القمار ينتحرون. كما أظهرت الأبحاث في السويد أن احتمالية الانتحار لدى الرجال والنساء الذين يعانون من اضطراب القمار أعلى بـ ١٥ مرة من عامة السكان، وفي الرجال الذين تتراوح أعمارهم بين ٢٠ إلى ٤٩,٧ عاماً، يكون أعلى بـ ١٩ مرة (سوليفان، ٢٠٢٣).

من ناحية أخرى، تظهر الأبحاث أن المقامرة مرتبطة بالجريمة، وأن ما يقرب من ٥٠٪ من المقامرين الذين يعانون من مشكلات يرتكبون جريمة تتعلق بالمقامرة (إما للحصول على أموال للعب القمار أو لسداد ديون القمار)<sup>٢</sup>.

كما تظهر العديد من الأبحاث في الولايات المتحدة أن العدد الأكبر من المقامرين هم من أفقر الناس الذين يعتبرون ذلك وسيلة للخروج من الفقر. المقامرة منتشرة على نطاق واسع في الولايات المتحدة. وفقاً لهذا البحث، فإن الأشكال المختلفة للمقامرة لها أكثر التأثيرات ضرراً على الأشخاص ذوي الدخل المنخفض. في الواقع، السوق المستهدف للمقامرة هو الفقراء الذين ينظرون إلى المقامرة باعتبارها إحدى الفرص القليلة للتقدم المالي. ومن ناحية أخرى، من خلال تقنين القمار، تحصل الحكومة على مصدر مالي جيد من

<sup>1</sup> <https://gamblingindustrynews.com/global-gambling-statistics/#3>

<sup>2</sup> [https://dbhdd.georgia.gov/sites/dbhdd.georgia.gov/files/imported/DBHDD/AD/Gambling/Pg\\_20Crime.pdf](https://dbhdd.georgia.gov/sites/dbhdd.georgia.gov/files/imported/DBHDD/AD/Gambling/Pg_20Crime.pdf)

خلال الضريبة التي تلتها. ولأن جميع المقامرير تقريباً يخسرون أكثر مما يربحون، ولأن آلات المقامرة اليوم مصممة لإبقاء الناس يلعبون، فقد ساهمت المقامرة العامة في عدم المساواة الاقتصادية والاجتماعية. ومن الواضح أيضاً أن "القمار لا ينتج أي ثروة جديدة، بل هو مجرد إعادة توزيع غير عادلة للأموال".<sup>1</sup>

### الحرب وانعدام الأمن الغذائي

أدت غارات الطائرات الأمريكية بدون طيار في أفغانستان وباكستان والصومال واليمن إلى مقتل ما بين ٩١٠ إلى ٢٢٠٠ مدني، من بينهم ٢٨٣ إلى ٤٥٤ طفلاً، في الفترة من فبراير ٢٠٠٤ إلى فبراير ٢٠٢٠، وفقاً لمكتب الصحافة الاستقصائية<sup>٢</sup> ومقره لندن. كشفت منظمة إنترنست<sup>٣</sup>، وهي منظمة إخبارية أمريكية غير ربحية، في عام ٢٠١٥ أنه خلال فترة خمسة أشهر من العمليات الأمريكية، لم يكن ما يقرب من ٩٠ بالمائة من الأشخاص الذين قتلوا في الغارات الجوية أهدافاً مقصودة. كما أن حروب الهنود الأمريكيين دمّرت بشكل مباشر ملايين الأمريكيين الأصليين؛ وأدت الحرب الفلبينية الأمريكية إلى مقتل ما بين ٢٠٠ ألف إلى مليون فلبيني. وأسفرت الحرب الكورية عن مقتل أكثر من ٣ ملايين مدني؛ وأسفرت حرب فيتنام عن مقتل ٢ مليون مدني.<sup>٤</sup> وفيما يتعلق بالحرب في أفغانستان، يوضح "مشروع تكاليف الحرب" في جامعة براون<sup>٥</sup> أن أكثر من ١٧٤ ألف شخص لقوا حتفهم بشكل مباشر في الحرب في أفغانستان، منهم أكثر من ٤٧ ألف مدني<sup>٦</sup>. ووفقاً للمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، فقد أجبرت الحرب في أفغانستان ٢,٦ مليون أفغاني على الفرار إلى الخارج وتسببت في نزوح ٣,٥ مليون آخرين.

وفي حرب العراق، بحسب موقع ستاتيسا، في الفترة من ٢٠٠٣ إلى ٢٠٢١، فقد نحو ٢٠٩ آلاف مدني عراقي حياتهم في حروب وصراعات عنيفة، وأصبح نحو ٩,٢ مليون عراقي لاجئين أو أجبروا على مغادرة وطنهم.<sup>٧</sup> وفي سوريا، اتهمت لجنة التحقيق التابعة للأمم المتحدة الجيش الأمريكي بتنفيذ هجمات عشوائية في سوريا، مما أدى إلى سقوط ضحايا من المدنيين وإظهار الاستهتار بعواقبها، وهي جرائم حرب. وأشار تقرير للأمم المتحدة نُشر في سبتمبر/أيلول ٢٠١٩ إلى أن العديد من الغارات الجوية التي نفذها التحالف بقيادة الولايات المتحدة في مناطق مثل سوريا لم تتخذ الاحتياطات اللازمة للتمييز بين الأهداف العسكرية والمدنية. وذكرت صحيفة نيويورك تايمز أيضاً أنه بناءً على مراجعة لوثائق البنتاغون السرية، تسببت الغارات الجوية الأمريكية المتكررة في سوريا في سقوط العديد من الضحايا المدنيين بسبب "فجوات استخباراتية خطيرة" و"الاستهداف غير المناسب" الذي عادة ما يخفيه البنتاغون أو لا يعاقب عليه. على سبيل المثال، في ١٨ مارس/آذار ٢٠١٩، قتلت طائرات أمريكية بدون طيار ما لا يقل عن ٦٤ امرأة وطفلاً مدنياً أثناء البحث عن "الجماعات المتطرفة" في مدينة الباغوز على الحدود السورية العراقية. وفي فبراير ٢٠٢٢، نفذ الجيش الأمريكي هجوماً على محافظة إدلب السورية، قُتل فيه ما لا يقل عن ١٣ شخصاً، بينهم ستة أطفال وثلاث نساء. في

<sup>1</sup> <http://www.vitainternational.media/en/article/2016/04/13/how-gambling-contributes-to-inequality/325/>

<sup>2</sup> Bureau of Investigative Journalism

<sup>3</sup> Intercept

<sup>4</sup> <http://en.people.cn/n3/2023/0908/c90000-20069157.html>

<sup>5</sup> The Brown University's Costs of War Project

<sup>6</sup> <https://english.news.cn/20220809/df33c619baf04b259981bcbba3961810/c.html>

<sup>7</sup> <https://english.news.cn/20220809/df33c619baf04b259981bcbba3961810/c.html>

سوريا، وبحسب البيانات التي نشرتها الأمم المتحدة، فقد أدى التدخل العسكري الأمريكي إلى مقتل ما لا يقل عن ٣٥٠ ألف شخص في سوريا. قد نزح أكثر من ١٢ مليون شخص، وأصبح ١٤ مليون مدني في حاجة ماسة إلى المساعدات الإنسانية.<sup>١</sup>

في ٢٤ مايو ٢٠١٨، أصدر مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة قرارًا يدين استخدام انعدام الأمن الغذائي والجوع كتكتيك حرب. وتدعو الوثيقة أطراف النزاع إلى السماح بوصول المساعدات الإنسانية دون عوائق إلى السكان الذين هم في أمس الحاجة إليها، وتنص على أن "استخدام تجويع المدنيين كوسيلة للحرب قد يشكل جريمة حرب".<sup>٢</sup>

إن تاريخ الحرب مليء بأمثلة على التكتيكات العسكرية التي تم استخدامها عمدًا بهدف تجويع جيوش العدو أو السكان المدنيين. على سبيل المثال، خلال الحرب الأهلية الأمريكية، كان بإمكان الجنود تجويع جنود العدو المسلحين أو غير المسلحين بموجب ما يسمى بقانون ليبير<sup>٣</sup>. أو، اقترح النازيون خلال الحرب العالمية الثانية خطة للتجويع كان من الممكن، في حال تنفيذها، أن تؤدي إلى مجاعة ٢٠ مليوناً أو أكثر في المناطق التي يسيطر عليها السوفييت، وأثناء حصار لينينغراد (سانت بطرسبرغ) في الاتحاد السوفييتي مات مئات الآلاف من الأشخاص بسبب المجاعة بين عامي ١٩٤١ و١٩٤٤.<sup>٤</sup>

وفي جنوب السودان، اندلعت حرب أهلية عام ٢٠١٣ أدت إلى مقتل ٤٠٠ ألف شخص ونزوح ٤ ملايين من منازلهم ومصادر غذائهم. وفي عام ٢٠١٧، ساهم الصراع وضعف المحاصيل في حدوث أزمة جوع وأزمة اقتصادية، مما سبب ارتفاع أسعار المواد الغذائية بما يتجاوز إمكانيات معظم الناس. وعلى الرغم من وقف إطلاق النار الضعيف، لكن اعتبارًا من عام ٢٠١٩، أفادت الأمم المتحدة أن أكثر من نصف السكان يعانون من انعدام الأمن الغذائي الحاد.<sup>٥</sup>

وفي سوريا، وفقا لتقرير برنامج الأغذية العالمي التابع للأمم المتحدة لعام ٢٠٢٣، يعاني ١٢,٩ مليون شخص من انعدام الأمن الغذائي، و٢,٦ مليون معرضون لخطر المجاعة، و٦,٧ مليون نازح داخليا. ولا تزال سوريا من بين الدول العشر التي تضم أكبر عدد من الجياع في العالم. وقد أدى الصراع الذي طال أمده، إلى جانب مستويات التضخم غير المسبوقة، وضعف النظام الغذائي المحلي، واستمرار الأزمات الطارئة مثل الزلازل الكارثية في فبراير ٢٠٢٣، إلى تفاقم الظروف الاجتماعية والاقتصادية.

وفيما يتعلق باليمن، وصف تقرير برنامج الأغذية العالمي التابع للأمم المتحدة لعام ٢٠١٨ الوضع في اليمن بأنه "أسوأ كارثة من صنع الإنسان في تاريخ العالم الحديث"، وهو ما أظهر بوضوح العلاقة بين الصراع والجوع.<sup>٦</sup>

وبحسب تقرير البنك الدولي، يعد انعدام الأمن الغذائي أحد أهم التحديات في اليمن، ويعاني أكثر من نصف سكانه من انعدام الأمن الغذائي. ويعاني اليمن من أزمة غذائية كما أن تغير المناخ يزيد من خطر حدوث المزيد من الأزمات.

<sup>1</sup> <https://english.news.cn/20220809/df33c619baf04b259981bcbba3961810/c.html>

<sup>2</sup> <https://education.nationalgeographic.org/resource/hunger-and-war/>

<sup>3</sup> Lieber Code

<sup>4</sup> <https://education.nationalgeographic.org/resource/hunger-and-war/>

<sup>5</sup> <https://education.nationalgeographic.org/resource/hunger-and-war/>

<sup>6</sup> <https://education.nationalgeographic.org/resource/hunger-and-war/>

بحلول مارس/آذار ٢٠٢٣، كان حوالي ١٧ مليون شخص أو حوالي ٦٠٪ من السكان يواجهون أزمة أو ظروف حادة لانعدام الأمن الغذائي<sup>١</sup>. كما أنه بحسب تقرير منظمة الغذاء العالمي لعام ٢٠٢٤، تسببت الصراعات في اليمن، إلى جانب الركود الاقتصادي، في انعدام الأمن الغذائي لنحو ١٧ مليون شخص، ونزوح نحو ٤,٥ مليون شخص داخليا، يعيش الكثير منهم في المخيمات. كما يحتاج ١٨,٦ مليون من سكان اليمن البالغ عددهم ٣٣,٧ مليون نسمة إلى مساعدات إنسانية.

وفيما يتعلق بحرب غزة، أشار تقرير الأمم المتحدة الصادر في فبراير/شباط ٢٠٢٤ إلى المجاعة الوشيكة في غزة والحاجة إلى وقف فوري لإطلاق النار. ووفقا لهذا التقرير، فإن ما لا يقل عن ٥٧٦ ألف شخص في غزة (أي ما يعادل ربع السكان) أصبحوا على حافة المجاعة، ويحذر خبراء الأمن الغذائي من الانهيار الكامل للزراعة في شمال غزة بحلول شهر مايو إذا استمر الوضع على ما هو عليه. كما قال نائب المدير العام لمنظمة الأغذية والزراعة (الفاو) حول انعدام الأمن الغذائي في غزة.

إن خطر المجاعة يتزايد يوميا في غزة، وأن أهل غزة في "أزمة" أو أسوأ، و"لقد تأثرت سلسلة الإمدادات الغذائية بأكملها. بالإضافة إلى ذلك، في غزة، «ستتوقف خمسة مصانع تعمل قبل ٧ أكتوبر عن العمل اعتباراً من نوفمبر ٢٠٢٣. كما أن الأضرار الجسيمة التي لحقت بالبنية التحتية للمياه بسبب الحرب وانقطاع إمدادات الكهرباء والوقود في أكتوبر/تشرين الأول، أثرت على إمكانية الوصول إلى المياه، وهي ضرورية لإنتاج الغذاء. لقد أصبح صيد الأسماك، الذي كان لفترة طويلة مصدرا هاما للغذاء والدخل في غزة، مستحيلا تقريبا منذ ٧ أكتوبر/تشرين الأول، عندما مُنعت القوارب من دخول البحر. وبالإضافة إلى ذلك، أدى نقص العلف والمياه، فضلاً عن الحرب، إلى نفوق الماشية وتدمير مصدر مهم آخر للغذاء والدخل. وأصيب القطاع التجاري، الذي كان الجزء الرئيسي من شبكة توزيع الأغذية، بالشلل بسبب نقص المنتجات المحلية والقيود الواسعة النطاق على الواردات التجارية<sup>٢</sup>.

في ديسمبر/كانون الأول ٢٠٢٣، نشر التصنيف المرحلي المتكامل للأمن الغذائي<sup>٣</sup> تقريراً قدر فيه أنه في الفترة ما بين ٢٤ نوفمبر/تشرين الثاني و٧ ديسمبر/كانون الأول ٢٠٢٣، كان أكثر من ٩٠ بالمائة من سكان غزة (من إجمالي عدد السكان البالغ حوالي ٢,٠٨ مليون نسمة) قد تعرضوا "لمستويات عالية من انعدام الأمن الغذائي الحاد" الذي يصنفه على أنه ظروف على مستوى الأزمة أو ما هو أسوأ. ووفقاً لهذا التقرير، سيواجه جميع سكان غزة البالغ عددهم ٢,٢ مليون نسمة مستويات حادة من انعدام الأمن الغذائي بحلول فبراير/شباط ٢٠٢٤ بسبب النزاعات المسلحة. ومن هذا المجموع أيضًا، من المتوقع أن يواجه حوالي نصف السكان (١,١٧ مليون شخص) مستويات الطوارئ<sup>٤</sup> وأكثر من نصف مليون شخص يعانون من ظروف كارثية<sup>٥</sup>.

## الخاتمة: العدالة العالمية والحقيقة وارتباطها بالحاكم العالمي العادل

<sup>1</sup> <https://www.worldbank.org/en/news/feature/2023/04/27/breaking-the-cycle-of-food-crises-in-yemen#:~:text=An%20estimated%2017%20million%20people,the%20backbone%20of%20Yemeni%20livelihoods.>

<sup>2</sup> <https://press.un.org/en/2024/sc15604.doc.htm>

<sup>3</sup> Integrated Food Security Phase Classification (IPC)

<sup>4</sup> Emergency

<sup>5</sup> Catastrophe

<sup>6</sup> <https://www.ipcinfo.org/ipcinfo-website/alerts-archive/issue-94/en/>

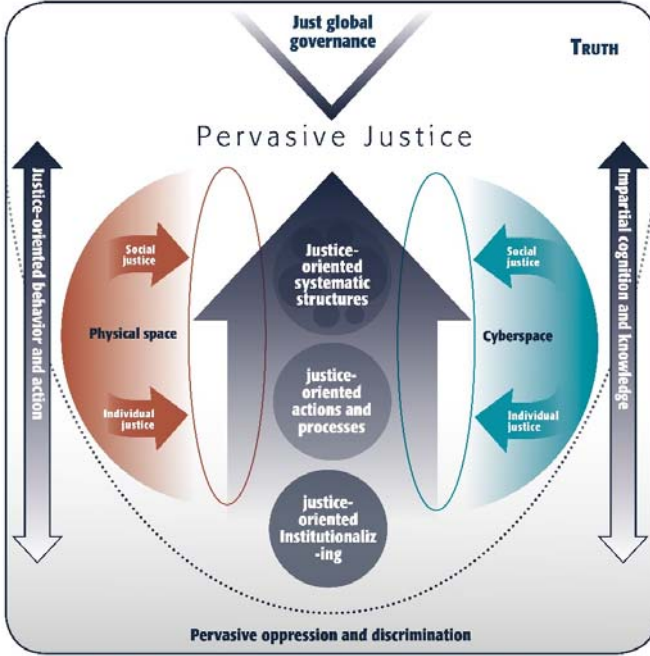
قد ذكر الإمام الرضا (ع) في كلامه انتشار العدل في عهد المهدي (ع) وكان العَلَم الاجتماعي للأئمة وقبل الأنبياء هو العدل، وكان الإمام الرضا (ع) نفسه يلقب بـ "الحاكم العادل".  
يقول الإمام الرضا عن علي (ع) : «إنه قائم بالحق، ومظهر للدين، وناشر للعدل».  
ويقول الإمام الرضا: «سيعدل المهدي بين الناس فلا يظلم أحد أحداً».  
ويروي الإمام الرضا عن النبي (ص): «إن المهدي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وفساداً».  
وروي عن الإمام الرضا: «عندما يخرج المهدي فيملاً الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً».  
وروي أيضاً عن الإمام الرضا قوله: «ثم يُظهر الله المهدي فيملاً به الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً» (نقلًا عن سجادي أصفهاني ١٣٩٠).

إن وضع مقياس العدالة بين الناس والمكانة الرادعة لهذا الإجراء لمنع الظلم وإرساء العدل يدل على وجود مؤسسة ونظام يعززان إقامة العدل ويساهمان فيه. فإذا اليوم قد أصبح "القمع المؤسسي" سبباً في تقليص العدالة في العالم، يقابله "النظام والمقياس" الصانع للعدالة في الأنظمة الحضارية، الذي يؤثر أيضاً على جميع الاتجاهات والعمليات. وفي الواقع فإن الإمام المهدي عليه السلام، هو وارث العدالة العالمية، وسيحقق قضية العدالة العالمية.

روي عن أبي علي ريان بن صلت:

«قلت للرضا عليه السلام: أنت صاحب هذا الامر؟ فقال: أنا صاحب هذا الامر ولكنني لست بالذي أملاها عدلاً كما ملئت جوراً، وكيف أكون ذلك على ماترى من ضعف بدني، وإن القائم هو الذي إذا خرج كان في سن الشيوخ ومنظر الشبان، قويا في بدنه حتى لو مدّ يده إلي أعظم شجرة على وجه الأرض لقلعها، ولو صاح بين الجبال لتدكدكت صخورها، يكون معه عصا موسى، وخاتم سليمان عليهما السلام. ذاك الرابع من ولدي، يغيبه الله في ستره ما شاء، ثم يظهره فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً» (كما للدين، ج ٢: ٦٩).





Theory of Justice and Global Governance

ومن هذا المنطلق، فبالرغم من أن العدالة الاجتماعية والعدالة الجماعية هي نتاج العدالة الفردية، إلا أن المهم في هذه العملية التأكيد على عدة متغيرات محورية:

١. العدالة الفردية هي العدالة تجاه الحقيقة الذاتية وهي نوع من "الفعل المعرفي والسلوكي الفردي" المبني على الحقائق الإلهية. وفي الواقع إن الاتجاه صوب الحقيقة هو نفس العدالة، والعدل في المعرفة والسلوك هو نتيجة لهذه الحقيقة.

٢. العدالة الاجتماعية - العدالة تجاه الآخرين في المجتمعات الصغيرة أو الكبيرة- تشمل المكان والأوسع من المكان، وبطبيعة الحال لديها علاقة قطعية مع الحقيقة.

٣. عندما نتحدث عن طبيعة العدالة، لا يمكننا أن نحصر العدالة في أنظمة التوزيع أو التوزيع الأمثل. ويصبح محتوى العدالة مهما في هذا الاتجاه. وفي الواقع فإن مضمون العدالة هو نفس الحقيقة التي جاء الأنبياء الإلهيون ليبينوها. على سبيل المثال، نسبة "الحكومة والحقيقة والعدالة" أو نسبة "الأخلاق وتهذيب النفس والعدالة" أو نسبة "نظام التعليم والتدريب والعدالة" أو نسبة "القواعد والقوانين مع العدالة" و العديد من الأسس المهمة الأخرى للحقيقة، هي التي تشكل طبيعة العدالة وجوهرها.

وعلى هذا الأساس فإن نطاق العدالة يتوافق مع نطاق الحق واتساعه، وتصح هذه المقولة المهمة وهي أنه "يقدر ما يتعد عن الحق الذي قدره الله، فإننا بنفس القدر نتقرب من الظلم والتمييز" ويقدر ما

- نقرب من الحقائق الإلهية، سنقرب من العدالة سواء على المستوى الفردي أو على المستوى الاجتماعي أو على المستوى المحلي والعالمي.
٤. العدالة الاجتماعية أمر عالمي، فبسبب نظام التأثير والتأثر فإن العدالة والقمع ليسا أمرين مستقلين وسيطيين. في الأساس، كان للعدالة دائماً أرضية عالمية، واليوم، نتيجة للعولمة، ظهرت "مساحة واحدة"، حيث يتأثر الجميع "بالمواقف والأفعال في الوقت نفسه". إن قانون التأثير والتأثر وسيادة الأصل الثالث من قوانين نيوتن للحركة، والتي تنص على أن لكل فعل رد فعل، يحكم كل نوع من الأفعال العادلة منها و الظالمة. ولذلك فإن الظلم في هذا الجانب من العالم يؤثر على الجانب الآخر من العالم. على سبيل المثال، في البيئة، يؤثر التلوث البيئي في أي جزء من العالم على بيئة الأجزاء الأخرى.
٥. العدالة الاجتماعية المؤسسية أكثر أهمية من العدالة الفردية وهي أولوية محورية. العدالة المؤسسية تتحدث عن النظام. وفي هذا النظام، يكون الموقف تجاه السلطة موجهاً نحو العدالة. والمؤسسات الوطنية والعالمية أنظمة موجهة نحو العدالة، وجميع الإجراءات والعمليات مصممة على أساس الإنصاف والعدالة وتجنب القمع والتمييز.
٦. من وجهة النظر المؤسسية والعملية، تصبح العدالة نظاماً منظماً لا يتم فيه اتخاذ أي إجراء خارج النظام المحدد. ومن الناحية العملية، نحن في نظام خوارزمي. على سبيل المثال، في الأنظمة المصرفية، يعمل الاستلام والدفع وجميع أنواع العقود المالية وفق خوارزمية غير ربوية. أو في الأنظمة المالية كسوق الأوراق المالية أو القروض الكبيرة والصغيرة، يتم تصميم الأمور على أساس متغير مستقل غير الفائدة. لا توجد مؤسسة دولية توفر إمكانية الهيمنة على دول أخرى، والمؤسسات الدولية في "عدالة التوزيع"، مهمة بالتوزيع الأمثل للموارد حسب الأولويات.
٧. العدالة نظام أساسه المعرفة العادلة وركائزها الممتدة هي المؤسسات والسلوكيات.
٨. الحاكم العادل للعالم يعزز حقيقة العدالة والعدالة الحقيقية على المستوى العالمي. إن تحقيق العدالة في العالم أمر ممكن نسبياً، لكنه يتطلب بالتأكيد وبشكل شامل وجود حاكم عالمي عادل لتوفير النظام البيئي المترابط للعدالة والحقيقة.
٩. انطلاقاً من هذا النموذج، فإن العدالة للجميع ولا ظلم لأحد، هو المثل الأعلى المعياري، وهو المنطق الوحيد لضمان العدالة الشاملة والعدالة الكونية. وفي الوقت نفسه فإن العدالة للجميع ولا ظلم لأحد، ضرورة عالمية حتى تتمكن من الاستفادة من بيئة مثالية ومعيارية لإقامة العدالة والقضاء على الظلم والتمييز، ولا نشهد اضطرابات تمييزية ومعادية من هذا الجانب من العالم إلى الجانب الآخر منه.

### قائمة المآخذ والمصادر

- ابن شعبه الحراني (١٤٠١ق). تحف العقول، مؤسسة النشر الإسلامي.
- حسيني عاملي، ج. م. (١٣٨٧). الحياة السياسية للإمام الثامن(ع)، ترجمة خليل خليليان، قم: تبيان.(بالفارسي)
- الراغب الأصفهاني (١٤٠٤ق). المفردات في غريب القرآن، دفتر نشر الكتاب.
- زارعي سبزواري، ع. (د.تا). السيرة العلمية والعملية للإمام الرضا عليه السلام، مشهد: دار بهنشر (بالفارسي)
- شيخ الصدوق (بيتا). عيون أخبار الرضا، بينا.

- شيخ صدوق (١٣٧٧). متن و ترجمه معاني الأخبار، تهران: دارالكتب الاسلاميه.
- شيخ كليني (١٤٠٧ق). الكافي (ط- الإسلامية)، تهران: دار الكتب الإسلامية.
- شيخ مفيد (١٣٦٤). الأمالي (للمفيد)، ترجمة استاد ولي، مشهد المقدسة: العتبة الرضوية المقدسة.
- طبرسي، علي بن حسن (١٣٨٥ق). مشکاه الأنوار في غرر الأخبار، نجف: منشورات المكتبة الحيدرية.
- علامه طباطبائي (د.تا). الميزان في تفسير القرآن، منشورات اسماعيليان.
- علامه مجلسي (١٤٠٣ق). بحار الأنوار، بينا.
- علي بن عيسى اربلي (د.تا). كشف الغمة في معرفة الأئمة، لبنان: دار الأضواء.
- المحدث الإربلي (د.تا). كشف الغمة في معرفة الأئمة، الرضي.
- محدثي، ج. (١٣٩٤). السيرة الرضوية: ترجمة و توضيح لأربعين حديث عن سيره الإمام الرضا(ع)، مشهد: دار بهنشر . (بالفارسي)
- محمدي ري شهري، محمد (١٣٨٩). تحكيم الأسرة من منظور القرآن والحديث، قم: المؤسسة دار الحديث العلمية الثقافية، (بالفارسي)
- مفيد، محمد بن محمد (١٤١٣ق). الأمالي (للمفيد)، قم: كنگره شيخ مفيد.
- محدث نوري، ميرزا حسين (١٤٠٨ق). مستدرک الوسائل و مستنبط المسائل، بيروت: مؤسسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.
- Centers for Disease Control and Prevention (2024). Fast Facts: Preventing Sexual Violence. Retrieved from: <https://www.cdc.gov/violenceprevention/sexualviolence/fastfact.html>
- Development Initiatives (2023). *Inequality: Global trends, factsheet*. Development Initiatives.
- Hickel, J. et al (2022). National responsibility for ecological breakdown: a fair-shares assessment of resource use, 1970–2017, *The LANCET Planetary Health*, 6(4).
- IFCO (2023). Global food waste by country: who's the biggest waster?. Retrieved from: [https://www.ifco.com/countries-with-the-least-and-most-food-waste/?\\_cf\\_chl\\_tk=tet4RFQj6qiYmgfdtqibQhQcDOIbqNa52r3t5c2U1cE-1714042361-0.0.1.1-1685](https://www.ifco.com/countries-with-the-least-and-most-food-waste/?_cf_chl_tk=tet4RFQj6qiYmgfdtqibQhQcDOIbqNa52r3t5c2U1cE-1714042361-0.0.1.1-1685)
- International Justice Mission (2024). Sex Trafficking. Retrieved from: <https://www.ijm.org/our-work/trafficking-slavery/sex-trafficking>
- Internet Watch Foundation (IWF) (2023). EU still hosts the most child sexual abuse material in the world. Retrieved from: <https://www.iwf.org.uk/news-media/news/eu-still-hosts-the-most-child-sexual-abuse-material-in-the-world/>
- Ministry of Foreign Affairs of the People's Republic of China (2023). Drug Abuse in the United States. Retrieved from:

- [https://www.fmprc.gov.cn/eng/wjdt\\_665385/2649\\_665393/202302/t20230209\\_11022554.html](https://www.fmprc.gov.cn/eng/wjdt_665385/2649_665393/202302/t20230209_11022554.html)
- Mishra, S., & Amir, W. (2022). *Racial Inequalities and Nuclear Policy*. Stanley Center for Peace and Security.
- Obermeyer, Z., et al (2019). Racial bias in health algorithms. *Science*, 366(6464), 447-453.
- O'Sullivan, J. (2023). Gambling Disorder, Financial Loss and Suicide—A Journey to the 'Outer Reaches' of the Common Law. *Current Legal Problems*, 76(1), 173–200.
- Pogge, T. (2006). Recognized and Violated by International Law: The Human Rights of the Global Poor. *Leiden Journal of International Law*, 18(4), 717-745.
- Solomon, D. et al (2019). *Systematic Inequality and Economic Opportunity*. Center for American Progress.
- The Food and Agriculture Organization of the United Nations (2023). *The State of Food Security and Nutrition in the World*. The Food and Agriculture Organization of the United Nations.
- The Lancet (2022). The Lancet Series on racism, xenophobia, discrimination, and health. Retrieved from: [https://www.thelancet.com/series/racism-xenophobia-discrimination-health?dgcid=tlcom\\_infographic\\_lancetracehealth22\\_lancet](https://www.thelancet.com/series/racism-xenophobia-discrimination-health?dgcid=tlcom_infographic_lancetracehealth22_lancet)
- The World Bank (2023). 2023 in Nine Charts: A Growing Inequality. Retrieved from: <https://www.worldbank.org/en/news/feature/2023/12/18/2023-in-nine-charts-a-growing-inequality>
- UN (2020). Recognizing and Overcoming Inequity in Education. Retrieved from: <https://www.un.org/en/un-chronicle/recognizing-and-overcoming-inequity-education>
- UN (2023a). 244M children won't start the new school year (UNESCO). Retrieved from: <https://www.unesco.org/en/articles/244m-children-wont-start-new-school-year-unesco>
- UN (2023b). *The Sustainable Development Goals Report, Special edition*. United Nations.
- UN Environment Programme (2023). *Emissions Gap Report 2023: Broken Record - Temperatures hit new highs, yet world fails to cut emissions (again)*. Nairobi, UN Environment Programme.
- UN Environment Programme (2024). Rich countries use six times more resources, generate 10 times the climate impacts than low-income ones, <https://www.unep.org/news-and-stories/press-release/rich-countries-use-six-times-more-resources-generate-10-times>

- UN Trade & Development (2021). Technology and Innovation Report 2021. Retrieved from: <https://unctad.org/page/technology-and-innovation-report-2021>
- Unicef (2022). Racism and discrimination against children rife in countries worldwide – UNICEF. Retrieved from: <https://www.unicef.org/tajikistan/press-releases/racism-and-discrimination-against-children-rife-countries-worldwide-unicef>
- UNODC (2010). Drug trafficking. Retrieved from: <https://www.unodc.org/unodc/en/drug-trafficking/index.html>
- UNODC (2023). UNODC global report on trafficking in persons: crises shift trafficking patterns and hinder victim identification. Retrieved from: <https://www.unodc.org/unodc/en/press/releases/2023/January/global-report-on-trafficking-in-persons-2022.html>
- Whelan, J. P. (2023). Millions of Americans are problem gamblers – so why do so few people ever seek treatment?. Retrieved from: <https://theconversation.com/millions-of-americans-are-problem-gamblers-so-why-do-so-few-people-ever-seek-treatment-197861>
- World Food Program (2023). Syria. Retrieved from: <https://www.wfp.org/emergencies/syria-emergency>
- World Food Program (2024). Yemen. Retrieved from: <https://www.wfp.org/countries/yemen#:~:text=Nearly%20a%20decade%20of%20conflict,of%20whom%20live%20in%20camps.>
- World Health Organization (2023). *Transforming food systems to reduce global inequality and improve food safety and health*. World Health Organization.
- World Health Organization (2023a). Billions left behind on the path to universal health coverage. Retrieved from: <https://www.who.int/news/item/18-09-2023-billions-left-behind-on-the-path-to-universal-health-coverage>
- World Health Organization (2023b). Maternal mortality. Retrieved from: <https://www.who.int/news-room/fact-sheets/detail/maternal-mortality>
- World Inequality Lab (2022). *World Inequality Report 2022*. World Inequality Lab.
- World Justice Project (2023). Discrimination is Getting Worse Globally. Retrieved from: <https://worldjusticeproject.org/news/discrimination-getting-worse-globally>

## الفكر السياسي للإمام الرضا (ع) ضد الطبقيّة والبرجوازية: المقاومة في سبيل إقامة العدل وإزالة الظلم

علي أبو الخير<sup>1</sup>

### مقدمة

الكتابة عن الإمام الرضا تعني الكتابة عن الخط المحمدي الأصيل، وأيضا تعني وجود طرف سياسي مباشر وغير مباشر حكم على الإمام الرضا عليه السلام، فالظروف السياسية التي عاش أجواءها، جعلته يدخل في المعترك السياسي رغما عن رفضه، ولكنه في النهاية صار وليا لعهد الخليفة المأمون، ففي خلال توليه العهد عمل لنشر العدل ليقضي على الطبقيّة البرجوازية المقيتة وينصف المظلومين من معارضين سياسيين وغير سياسيين، وهذا المعترك السياسي الرضوي لم يروق لأصحاب السلطة، فسعوا للوشاية به، ثم استعجل المأمون الأمر فقام بقلته بالسم.

إن السياسة في الفكر الرضوي، جزء لا يتجزأ من فكر الأئمة من آباءه الأئمة السابقين عليه، بداية من دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وما جاء به عندما خاض غمار تأسيس دولة رسالية تقوم على أسس التوحيد الخالص ثم العدل الإلهي، وكذلك في فكر الإمام علي بن أبي طالب (ع)، حيث كانت السياسة تقوم على نفس الأسس التي جاء بها الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فلم يؤثر عن الإمام علي (ع) أنه خاض أي غمار حرب من أجل الوصول إلى سدة الحكم، وهو الذي قال لابن عباس وكان يخصف نعله: «يا ابن عباس ما قيمة هذا النعل؟» قال ابن عباس «لا قيمة له يا أمير المؤمنين»، قال أمير المؤمنين «والله لهي أحب إلي من إمرتكم إلا أن أقيم حقاً وأدفع باطلاً»، أي أن حذاه الذي كان من ليف أثنى عنده من الأمرة التي لا يقام فيها الحق ولا يدفع فيها الباطل، أي أن الخلافة وسيلة لإقامة الحق والعدل، ولا يكون التكالب عليها من أجل الدنيا، كما أن سيرتي الإمامين الحسن والحسين (ع) كانت نبрасا للسياسة الحاكمة للإمام الرضا، فضلا عن آباءه الكرام التابعين على الإمام الحسين، من زين العابدين حتى الكاظم عليهم السلام، سياسة ناضجة لا تفرط في الوسيلة من أجل النصر أبداً، هي سياسة القرآن الكريم والإنسانية العالمية، والإمام الرضا (ع) سار على نفس النهج الرسالي الرباني، لا تقوم على سفك الدماء ولا طلب المال أو الحكم للغلبة فقط، أو للوجاهة السياسية وحدها، طلب الحكم عنده هو وسيلة وغاية معا، وسيلة شريفة لهدف نبيل، وقد رأى المسلمون أن الأمويين ثم العباسيين لم يتورعوا عن القتل وإراقة الدماء، فراح آلاف الآلاف من النفوس البريئة من أجل الخلاف الباطشة والأثرة الظالمة.

1 استاذ دانشگاه طرابلس ليبيا، از كشور مصر، محقق ونويسنده، aliabouelkher@hotmail.com

2 علي أبو الخير - في رحاب كربلاء - مركز بافا للدراسات - القاهرة - ٢٠٠٠ - ص ٧

### المحور الأول: الحالة الطبقيّة والثورات في العصر العباسي

من أهمّ المخاطر التي واجهت الدولة العباسية وهددت وجودها بشكل أو بآخر: الثورات التي كانت تشتعل هنا وهناك من أرجاء تلك الدولة، صراع بين القرشيين وما تبقى من أهل الأنصار وصراع بين العرب الفرس وصراع بين الفقراء والاعتناء.

وقد تفاقم هذا الوضع في أوائل حكم المأمون العباسي حتّى عدّ المؤرّخون ما يقرب من ثلاثين ثورة للعلويين وقعت بين أيّام السّفاح وأوائل أيّام المأمون (سنة ٢٠٠ هـ)، أي في فترة لا تتعدى سبعين عاماً، وهذا الرقم لا يشمل الثورات والانتفاضات التي قام بها غير العلويين، وإن كانت تلك الثورات ربّما تصبّ في نفع العلويين.

لقد أشبه الجوّ السياسيّ للدولة العباسية في عصر المأمون إلى درجة كبيرة الجوّ السياسيّ الغالب في عصر الأمويين، وكان الفارق الوحيد بينهما هو أنّ عدداً كبيراً من الناس كانوا مخدوعين بالإعلام العباسي، وكانوا يعتبرون هذه الثورات أمراً يقوم به الساعون إلى السلطة والمطالبون بها، ونكبت عن الصراع الطبقي وثورات العلويين، وانتشار فكر أهل البيت عليهم السلام.

### الحالة السياسية في العصر العباسي

من أهمّ المخاطر التي واجهت الدولة العباسية وهددت وجودها بشكل أو بآخر: الثورات التي كانت تشتعل هنا وهناك من أرجاء تلك الدولة، وقد تفاقم هذا الوضع في أوائل حكم المأمون العباسي حتّى عدّ المؤرّخون ما يقرب من ثلاثين ثورة للعلويين وقعت بين أيّام السّفاح وأوائل أيّام المأمون (سنة ٢٠٠ هـ)، أي في فترة لا تتعدى سبعين عاماً، وهذا الرقم لا يشمل الثورات والانتفاضات التي قام بها غير العلويين، وإن كانت تلك الثورات ربّما تصبّ في نفع العلويين.

لقد أشبه الجوّ السياسيّ للدولة العباسية في عصر المأمون إلى درجة كبيرة الجوّ السياسيّ الغالب في عصر الأمويين، وكان الفارق الوحيد بينهما هو أنّ عدداً كبيراً من الناس كانوا مخدوعين بالإعلام العباسي، وكانوا يعتبرون هذه الثورات أمراً يقوم به الساعون إلى السلطة والمطالبون بها.

### العوامل التي مهّدت للثورات

إن استقراءً سريعاً لوضع العام للدولة الأموية بعد توطيد معاوية حكومته وإرسائه دعائم مملكته الظالمة التي دامت ثمانية وأربعين عاماً (سواءً داخل الشام أو في أرجاء البلدان الإسلاميّة) يظهر بجلاء أنّ عمارة الناس، والطالبيين والعلويين على الخصوص، وحتّى العباسيين كانوا ساخطين على تلك الحكومة، وأنّ نار الحقد على الأمويين ما فتئت تشتعل في صدورهم، حتّى إذا استعر أوارها في لحظة مناسبة، اشترك جميع هؤلاء الناقمين في إسقاط تلك الدولة.

### الدعوة العباسية

يمكن القول أنّ العلويين هم الذين بدأوا بالدعوة أوّلاً، فقد نظّم أبو هاشم عبدالله بن محمّد بن الحنفية الدعاة وربّتهم، ثم انضوى تحت لوائه محمّد بن علي بن عبدالله بن العباس، ومعاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب،

وعبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب، وغيرهم. ثم إنَّ محمَّد بن علي بن عبدالله بن العباس تعرّف على الدعاة، واستطاع بعد موت أبي هاشم أن يُسيطر عليهم ويستقلّ بهم، واختار محمَّد بن عليّ العباسي خراساناً ليرسل إليها دعاته، وأمرهم أن يتحاشوا العلويين، لكنّه ظلّ يتظاهر ومن معه من العباسيين الذين استنوا بسنّته، أنّه يدعو للعلويين، ورَفَع شعارات مُبهمة انطلت على غالبية الناس، فتبعوه أملاً في إسقاط الأمويين وإعادة القيادة إلى أصحابها الشرعيّين: أهل البيت عليهم السّلام ومن تلك الشعارات شعار الرضا من آل محمَّد. وقال خطيب العباسيين الأوّل يقول على منبر مسجد الكوفة: "... وإنا أخرجنا الأئمة من ابتزازهم حقناً، والغضب لبني عمنا"، ولقبوا أبا مسلم الخراساني «أمير آل محمَّد»، ثم ادّعوا الخلافة بالإرث عن طريق الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السّلام ومحمَّد بن الحنفية، ويحتجّون بقرابهم النسبية من رسول الله صلّى الله عليه وآله، وانتمائهم إلى العباس عمّ النبيّ صلّى الله عليه وآله.

### ثورات العلويين

تصدّى الطالبيون -وعلى الأخص من انحدر من نسل الإمام الحسن المجتبي عليه السّلام - لحكام بني العباس، ونهضوا لمقارعة ظلمهم، وكان لهم اليد الطولى في إثارة أطراف البلاد الإسلامية ضد حكومة بني العباس. وكان من جملتهم: محمَّد بن عبدالله بن الحسن المثنى المعروف بـ«النفس الزكية» الذي بايعه المنصور العباسي مرتين: إحداهما بالأبواء على طريق مكّة، والأخرى بالمدينة، ثم بايعه مرّة ثالثة في المسجد الحرام بمكّة، ثم حرص أشدّ الحرص على الظفر به وقتله، وكان محمَّد النفس الزكية قد ثار في المدينة، أمّا أخوه إبراهيم شهيد باخمري، فقد ثار في البصرة.

ومن الطالبين الذي ثاروا في وجه العباسيين: الحسين بن عليّ المشهور بـ«صاحب فخ» الذي ثار في الحجاز في عصر الهادي العباسي، ومنهم: يحيى بن عبدالله المحض المعروف بـ«صاحب الديلم» الذي ثار في طبرستان زمن هارون الرشيد. ومع أنّ هذه الثورات قد قُمت بحوشية، وقُتل القائمون بها شرّاً قتلة، إلّا أنّ ذلك كلّه كان يوجّه في قلوب الطالبين السخط على النظام العباسي الحاكم.

إن العلويين فقد انقسموا - في التعامل مع نظام الحكم العباسي - إلى طائفتين:

أولاهما الأئمة الأطهار والمقربون إليهم، وقد ارتأوا - لظروف المرحلة التي عاصروها - أن ينصرفوا إلى تعريف الناس على حقائق الدين ونشر شعائره وعلومه، ولم يسلكوا مسلك الثورة المسلحة في وجه العباسيين، وحذّروا أتباعهم وأقرباءهم من التصدّي لعمل عسكري لم تنضج ظروفه.

يحدّثنا التاريخ أنّ الإمام الصادق عليه السّلام حدّر عبدالله بن الحسن المحض من التصدّي للخلافة والدعوة إليها، فلم يقبل عبدالله كلامه.

كما أنّ الإمام الصادق عليه السّلام رفض الاستجابة لكتاب أبي مسلم الخراساني لما كتب إليه يُبايعه، وقال لحامل الكتاب: ليس لكتابك جواب، أخرج عمّاً، كما أنّ الإمام الصادق رفض طلب أبي سلمة الخلالّ بالقدوم عليه ليُبايعه، ثم أحرق الكتاب وطرد الرسول الذي جاء به.

أمّا الطائفة الثانية من العلويين، فقد أشبهوا الطالبين من نسل الإمام الحسن المجتبي عليه السّلام في الثورة والعمل العسكري على السلطة القائمة.



وقد تصاعدت ثورات العلويين في عصر المأمون العباسي، وتزايد سخطهم على نظام الحكم، فكانوا يترصدون الفرص للثورة والتمرد على نظام الحكم، فثار منهم محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بـ «ابن طباطبا» في الكوفة، ودعا الناس للانتحاق بالعلويين وأوكل قيادة جيشه إلى السري بن منصور المعروف بـ «أبي السرايا» فحقق بعض الانتصارات. ثم توفي ابن طباطبا فجأة، فخلفه في الثورة محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين، وأعانه أبو السرايا في ثورته. واستطاع أبو السرايا أن يستقطب إليه أهل العراق، وضرب النقود باسمه ثم إنّه أرسل العباس بن محمد بن عيسى بن جعفر إلى البصرة، وأرسل الحسين بن الحسن الأفتس إلى مكة، كما أرسل إبراهيم بن موسى بن جعفر - وهو أخو الإمام الرضا عليه السلام - إلى اليمن، وأرسل أخاه الآخر: زيد بن موسى بن جعفر إلى الأهواز، ومحمد بن سليمان بن داود إلى المدائن، وإسماعيل بن موسى بن جعفر - الأخ الآخر للإمام الرضا عليه السلام - إلى فارس. وقد بذل المأمون جهوداً كبيرة لقمع هذه الثورة، فتمكّن بعد مشقة من قتل أبي السرايا... وقد أدت هذه الثورات العنيفة إلى إحداث قناعة كبيرة لدى المأمون في أنّ الحلّ الأمثل لتهدئة ثورات العلويين والسيطرة على تحركاتهم هو أن يستقدم الإمام الرضا عليه السلام من المدينة إلى مرو، فيعهد إليه بولاية العهد في حكومته.

### الثورات في عصر المأمون

#### الثورة في خراسان

نشبت ثورة في خراسان في عصر المأمون العباسي بقيادة الحسن الهرش، وأنّه دعا الناس إلى (الرضا من آل محمد)، فالتحق به جمع كثير وذلك في سنة ١٩٨ هـ فأفرغ ذلك المأمون وخشي منه، إذ أنّ تلك الثورة هدّدت مدينة «مرو» مركز حكومة المأمون آنذاك، إلا أنّ الفضل بن سهل وزير المأمون استطاع بدهائه أن يتغلّب على جيش الحسين بن هرش ويُدخره في سنة ١٩٩ هـ فاعتقل الحسين هذا ثم قُتل.

#### الثورة في البصرة

لم تكن الأحوال في البصرة بأحسن منها في خراسان، فقد خرج فيها زيد بن موسى بن جعفر فأحرق دُور العباسيين في البصرة بالنار، فسُمّي «زيد النار»، ولم يستطع والي البصرة الحسين بن علي المأموني مقاومته كثيراً. ثمّ أنّ الحسن بن سهل وجّه إليه جيشاً بقيادة علي بن سعيد، فتمكّن عليّ بعد حرب شديدة من هزيمة جيش زيد، وأخذَه إلى مرو أسيراً.

#### الثورة في اليمن

وفي نفس هذه الفترة ثار إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد في اليمن، وكان بها إسحاق بن موسى بن عيسى عاملاً للمأمون، فلما بلغه اقتراب جيش إبراهيم من صنعاء، سار منها نحو مكة خائفاً من مواجهة إبراهيم، فاستولى إبراهيم بجيشه على اليمن، ولم يجد هارون الرشيد بُدّاً من أن يُقرّ إبراهيم عليها لما رأى من تأييد أهلها له.

#### الثورة في مكة

حدث أنّ محمد بن محمد بن زيد ومعه أبو السرايا أرسلوا الحسين بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي - ويُقال له الأفتس - إلى مكة والياً عليها، فلما بلغ الحسين بن الحسن منطقة «شرف»، خرج إليه قوم فأخبروه أنّ مكة قد خلت من بني العباس، فدخلها حتّى طاف بالبيت، ثمّ بقي بمكة إلى أن انقضت السنة.

ثم إن الحسين نزع كسوة الكعبة وكساها كسوة أخرى أرسلها أبو السرايا من الكوفة، وكانت من القز، وتتبع ودائع بني العباس وأتباعهم فأخذها، ثم إن نبأ مقتل أبي السرايا بلغه، فأتى هو وأصحابه إلى محمد بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي، وكان شيخاً محبباً إلى الناس، وكان يروي العلم عن أبيه الإمام جعفر عليه السلام، فطلبوا منه أن يُبايعوه بالخلافة فلا يختلف عليه اثنان، فامتنع من ذلك، فلم يزالوا به حتى أجابهم إلى طلبهم. ثم أنهم لم يلبثوا إلا يسيراً حتى قدم إسحاق بن موسى العباسي من اليمن، فاجتمع الطالبون إلى محمد بن جعفر وأعلموه بالأمر، ثم صمّموا على أن يحفروا خندقاً، فقاتلهم إسحاق مدة، ثم كره القتال فسار نحو العراق، فلقبه الجند الذين أنفذهم هزيمة إلى مكة ومعهم الجلودي، فقالوا لإسحاق: إرجع معنا ونحن نكفيك القتال فرجع معهم، فقاتلوا الطالبين فهزموهم، فأرسل محمد بن جعفر يطلب الأمان، فأمنوه، ودخل العباسيون مكة في جمادى الآخرة من سنة مائتين للهجرة.

### الثورة في الكوفة

خرج بالكوفة في سنة ١٩٩ هـ محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى يدعو إلى (الرضا من آل محمد) والعمل بالكتاب والسنة، وهو الذي يُقال له «ابن طباطبا». وكان القيم بأمره في الحرب وتديريها وقيادة جيوشه «أبو السرايا»، واسمه السري بن منصور.

وكان أهل العراق قد تحدّثوا بينهم أنّ الفضل بن سهل قد غلب على المأمون، وأنه غدا يقترز الأمور على هواه ويستبدّ بالرأي دون المأمون، فغضب بنو هاشم ووجوه الناس في العراق، فكان أول من خرج بالكوفة ابن طباطبا، واستوثق له أهلها بالطاعة، وآتاه من نواحي الكوفة الأعراب وغيرهم؛ وكان عامل الكوفة يومئذ من قبل العباسيين — حين دخلها ابن طباطبا — سليمان بن أبي جعفر المنصور. وزاد من سخط أهل الكوفة ونقمتهم أن المأمون كان قد صرف طاهر بن الحسين (ذا اليمينين) عمّا كان عليه من ولاية البلدان التي فتحها - ومنها الكوفة - وتوجيهه إلى ذلك الحسن بن سهل.

روى أبو الفرج الاصفهاني في سبب خروج محمد بن إبراهيم، أن نصر بن شبيب كان قد حاجاً وكان متشعباً حسن المذهب، وكان ينزل الجزيرة، فلما ورد المدينة سأل عن بقايا أهل البيت ومَن له ذكر منهم، فذكر له: علي بن عبيد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وعبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن المثنى. . . ومحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى فأما علي بن عبدالله فكان مشغولاً بالعبادة لا يصل إليه أحد ولا يأذن له، وأما عبدالله بن موسى فكان مطلوباً خائفاً أحد، وأما محمد بن إبراهيم فإنه كان يقارب الناس ويكلّمهم في هذا الشأن، فأتاه نصر بن شبيب فدخل إليه وذاكره مقتل أهل بيته وغضب الناس إياهم حقوقهم، وقال: حتى متى تُوظفون بالخسف وتُهتّمتم وشيعتكم وتبزي على حَقِّكم؟! وأكثر من القول في هذا المعنى إلى أن أجابه محمد بن إبراهيم، وواعده لقاءه بالجزيرة.

وروى أبو الفرج أيضاً أن ابن طباطبا خرج يوماً يمشي في بعض طرق الكوفة، إذ نظر إلى عجوز تتبع أحمال الرطب فتلقط ما يسقط منها فتجمعه في كساءٍ عليها رث، فسألها عمّا تصنع بذلك، فقالت: إنني امرأة لا رجل لي يقوم بمؤونتي، ولي بنات لا يُعَدُن علي أنفسهن بشيء، فإنا أتبع هذا من الطريق وأتقوته أنا وولدي. فبكى ابن طباطبا بكاءً شديداً وقال: أنت - والله - وأشباهك تُخرجوني غداً حتى يُسفك دمي، وقرّ قراره على الثورة.

وزاد في نقمة الناس - ومنهم بنو العباس أنفسهم - أنّ المأمون نقل مركز الخلافة الإسلامية إلى مرو في بلاد خراسان، وكانت أمّ المأمون جارية فارسية، فنقم عليه أكابر بنو العباس في بغداد. يُضاف إلى ذلك: الحرب التي دارت بين ولديّ هارون: المأمون والأمين وانتهت بقتل الأمين في بغداد، وتسبب المأمون لمقام السلطنة. وقيل إنّ سبب خروج أبي السرايا أنّه كان من رجال هرثمة في فتنة الأمين والمأمون، فلمّا قُتل الأمين نقصه هرثمة من أرزاقه وأرزاق أصحابه فخرج في نفر من أصحابه، وسار إلى (عين التمر) فأخذ ما فيها من المال وفرقه على أصحابه، ثمّ سار إلى الأنبار فقتل عامل بنيّ العباس وأخذ ما فيها، ثمّ سار عنها إلى الرقة فالتقى بمحمّد بن إبراهيم «ابن طباطبا» فبايعه ثمّ إنّ الحسن بن سهل وجّه زهير بن المسيّب في عشرة آلاف فارس وراجل، فالتقى بجيش ابن طباطبا وأبي السرايا، فهزموه واستباحوا عسكره وأخذوا ما كان معه من مال وسلاح ودواب. نصل في تقييم الثورات وحركات التمرد التي واجهت الدولة العباسية، وخاصة في عصر المأمون العباسي، إلى أنّ العلويّين كانوا يمثّلون الخطر المهّمّ الذي يهدّد أركان الدولة العباسية وقد أنهكتها الحرب المدمرة التي دارت بين الأخوين المأمون والأمين، وأنّ عمّة الناس كانوا ينحازون إلى صفّ هذه الثورات ويؤيّدون القائمين بها، ويفضّلونهم على رجال الدولة من بني العباس، خاصّة وهم يترّون فيهم الجدارة والعدل والزهد، ويرون - في الجانب المقابل - ظلم سلاطين بني العباس وولاتهم واستئثارهم بالأموال دون عمّة الناس، ويلحظون إجحافهم في حقّ العلويّين. ونلاحظ أنّ هذه الثورات قد أخفقت في النهاية على الرغم من التأييد الذي اكتسبته من قبل فئات واسعة من الناس، ولعلّ السبب في ذلك يعود إلى عدم وجود الخبرة الكافية لدى قادة هذه الثورات، وانعدام التنسيق بينهم، علاوة على الاختلافات القبليّة والعرقية الموجودة حينذاك.

### المحور الثاني: الحالة الاجتماعية والبرجوازية القرشية في عصر المأمون

إنّ من يُلق نظرة إلى التاريخ يتضح له أنّ الظروف التي أحاطت بالمأمون تختلف عن الظروف التي أحاطت بغيره من الخلفاء، فإنّ المأمون العباسي رغم ذكائه وفطنته بل رغم كونه أفضل رجل عباسي من حيث العلم والمعرفة والذكاء والكياسة، إلا أنّ ميول العباسيين إلى أخيه الأمين كانت أكثر من ميولهم إليه بكثير... فبعد أن بايع الرشيد لولده الأمين بولاية العهد أراد أن يضمن للمأمون نصيبه من الخلافة فجعله ولي العهد بعد أخيه، وكتب العهود والمواثيق وأشهد عليها وعلقها في جوف الكعبة، كما ولاه الحرب وولى أخاه السلم، ووهب للمأمون كل ما في العسكر من كراع وسلاح، وكان الرشيد متخوفاً ممّا تؤوّل إليه الأمور، ولذا نراه يجيب زبيدة زوجته عندما عاتبته على إعطائه السلاح والكراع للمأمون قائلاً: (إنا نتخوف ابنك على عبد الله، ولا نتخوف عبد الله على ابنك إن بويع . . .). وكيف لا يتخوف ولا يتخوف الجميع وهم يرون الأمين يصرح بعد أن أعطى العهود والمواثيق وحلف الأيمان، بأنه كان يضمّر الخيانة لأخيه المأمون

### الحالة الاجتماعية في عصر المأمون

إنّ من يُلق نظرة إلى التاريخ يتضح له أنّ الظروف التي أحاطت بالمأمون تختلف عن الظروف التي أحاطت بغيره من الخلفاء، فإنّ المأمون العباسي رغم ذكائه وفطنته بل رغم كونه أفضل رجل عباسي من حيث العلم والمعرفة والذكاء والكياسة، إلا أنّ ميول العباسيين إلى أخيه الأمين كانت أكثر من ميولهم إليه بكثير.

وذلك لأن الأمين عباسي الأب والأم، فأمه زبيدة حفيدة المنصور وسيدة البلاط العباسي، وأبوه هارون الرشيد، وكان في حجر الفضل بن يحيى البرمكي وهو أخو الرشيد من الرضاة، وكان المشرف على مصالحه الفضل بن الربيع - العربي - أما المأمون فإن أمه فارسية، وكان مؤدبه الفضل بن سهل<sup>١</sup>، ولذا وجدنا أن هارون الرشيد يعطي ولاية العهد من بعده لولده الأمين، رغم أن المأمون كان يفوقه فضلاً وسناً - وذلك تماشياً مع الجوا العام كما صرح بنفسه في ذلك، فقد قال: (لو لا أم جعفر - يعني زوجته زبيدة - وميل بني هاشم إليه - أي إلى الأمين - لقدمْتُ عبد الله عليه...)<sup>٢</sup>.

بعد أن بايع الرشيد لولده الأمين بولاية العهد أراد أن يضمن للمأمون نصيبه من الخلافة فجعله ولي العهد بعد أخيه، وكتب العهود والمواثيق وأشهد عليها وعلقها في جوف الكعبة<sup>٣</sup>، كما ولاه الحرب وولى أخاه السلم، ووهب للمأمون كل ما في العسكر من كراع<sup>٤</sup> وسلاح، وكان الرشيد متخوفاً مما تؤول إليه الأمور، ولذا نراه يجيب زبيدة زوجته عندما عاتبته على إعطائه السلاح والكراع للمأمون قائلاً: (إننا نتخوف ابنك على عبد الله، ولا نتخوف عبد الله على ابنك إن بويح...)<sup>٥</sup>. وكيف لا يتخوف ولا يتخوف الجميع وهم يرون الأمين يصرح بعد أن أعطى العهود والمواثيق وحلف الأيمان، بأنه كان يضمّر الخيانة لأخيه المأمون<sup>٦</sup>.

لذا نرى الرشيد يقول:

محمد لا تظلم أخاك فإنه عليك يعود البيغي إن كنت باغيا

ولاتعجلن الدهر فيه فإنه إذا سال بالأقسام لم يبتق باقيا

وبعد ما توفي الرشيد وتسلم الخلافة ولده الأمين، بدأ يتحين الفرص لعزل المأمون - الذي ولاه الرشيد المناطق من همدان إلى آخر المشرق بما في ذلك خراسان وجهاتها - وبالفعل فقد خلعه وبايع لابنه موسى ولقبه بالمناطق بالحق، وهو إذاك طفل رضيع، ثم ندب إلى حربه علي بن عيسى بن ماهان وقال له: أوثق المأمون ولا تقتله حتى تقدم به إلي، ولما سمع المأمون بذلك خلع أخاه من السلطة وتسمى بإمرة المؤمنين وندب إلى حربه أخاه طاهر بن الحسين. وبدأ الصراع بين الأخوين واستمر ما يقارب الأربع سنوات، دُمرت فيها البلاد وأهلكت العباد، فقد حوصرت بغداد خمسة عشر شهراً ورميت بالمجانيق، وكثر الخراب والدمار والهدم حتى درست معالم المدينة وعمّ الفقر والبؤس جميع سكانها.

انتهت الحرب بقتل الأمين شر قتلة، حيث ذبحوه من قفاه وأخذوا رأسه فمضوا به إلى طاهر بن الحسين وتركوا جثته<sup>٧</sup>، فنصبه طاهر على برج، وخرج أهل بغداد للنظر وطاهر يقول هذا رأس المخلوع، ثم بعث بالرأس إلى المأمون، فلما وصل إليه الرأس سجد لله شكراً وأعطى لمن أتاه به ألف ألف درهم<sup>٨</sup>.

١ جلال الدين السيوطي - تاريخ الخلفاء - تحقيق حمدي الدمرداش - مكتبة نزار الباز - القاهرة - ٢٠٠٤ - يتصرف من الكتاب

٢ تاريخ الخلفاء - المصدر السابق - يتصرف من الكتاب

٣ المسعودي مروج الذهب ومعادن الجوهر - مؤسسة الأعلمي، وتاريخ الطبرسي أحداث سنة ١٨٦، ج ٣ ص ٣٨٧

٤ الكراع: الخيل والدواب المشية.

٥ المسعودي، مروج الذهب - مصدر سابق ج ٣ ص ٣٨٦.

٦ سيد جعفر مرتضى العاملي - الحياة السياسية للإمام الرضا (ع): نسخة كمبيوترية - ص ٢٢٢.

٧ ابن جرير الطبري - تاريخ الأمم والملوك - بيت الأفكار الدولية - بيروت - ٢٠٠٩ - ص ٤٥٦

٨ ابن جرير الطبري - تاريخ الأمم والملوك - المصدر السابق - أحداث سنة ١٨٦

وضعت الحرب أوزارها وصفا الملك للمأمون وخضعت له الرقاب، لكن الأخطار أخذت تهدد دولته الداخلية وحكومته، فلقد استغل العلويون الضعف الحاصل في الدولة، نتيجة تلك الصراعات الداخلية وتوالت الثورات فخرج أبو السرايا في الكوفة، وإبراهيم بن موسى بن جعفر في اليمن، وزيد بن موسى بن جعفر في البصرة، ومحمد بن جعفر بالمدينة، وهكذا أخذت الثورات تتسع وتحظى بالتأييد من مختلف الطبقات، ويخرج مع كل نائر عشرات الألوف ينصرونه على أولئك الجبابرة، فأخذت الأمور تتفاقم على المأمون إذ أنه للتو خرج من حرب مدمرة ما كان لها غرض إلا تحصيل الملك والخلافة، وهو يرى اليوم كرسي خلافته مهدداً بالزوال فما الحل؟ وعلى من يعتمد؟ أعلى العرب الذين قتل أبناءهم وخرب بلادهم؟ أم على العباسيين الذين قتل زعيمهم؟

إذن كيف يواجه المأمون هذا المد العلوي؟ وكيف يضمن لسلطته البقاء؟ وكيف يحافظ على مكانته الاجتماعية من الزوال؟ إنه لا يوجد عند المأمون من ناصر ولا معين سوى الخراسانيين الذين كانوا يتمتعون بميول إلى أهل البيت (ع).

إذن فماذا على المأمون أن يفعل، وقد أدرك خطورة الموقف، وأيقن أن الجري على منهج آبائه القائم على البطش والإرهاب يؤدي إلى زوال خلافته.

### الطريق إلى مهادنة العلويين ... ولاية العهد

كان المنفذ الوحيد الذي يضمن بقاء الحاكم العباسي في السلطة هو مهادنة العلويين الذين كانوا شوكة في عيون السلطة الجائرة، فقد أدرك المأمون أن القاعدة الجماهيرية العلوية أخذت بالانتشار والتزايد، وأن زحفها المقدس لا يمكن أن يقف حتى يقتلع الفساد من جذوره وتعاد الراية إلى أهلها الحقيقيين، والمأمون موقن سلفاً بأن أصل حكمهم الجائر ما كان ليقوم لولا التظاهر بالدعوة للرضا من آل محمد، فكيف يستوعب الموقف خصوصاً وأن أنصاره الخراسانيين كانوا من أتباع أهل البيت؟ إنه لا بد من عمل يوفق فيه المأمون بين إرضاء العرب الذين دمر بلدانهم وقتل الكثير من أبنائهم، وإرضاء الخراسانيين الذين ناصروه وأوصلوه إلى دفة الحكم، وإيقاف الثورات العلوية التي كادت تختطف كرسي الخلافة منه، انه موقف حرج للغاية، تأمل المأمون كثيراً وهو عارف بأن النضوج السياسي والفكري ما كان ليحصل لولا وجود أئمة أهل البيت (عليهم السلام) فأراد أن يضرب عصافير كثيرة بحجر واحد، فقرر أن يعطي ولاية العهد للإمام الرضا (ع)، لكن المأمون كان على مستوى من الذكاء، عارفاً بأن الأمة وخصوصاً العلويين لا يقبلون بغير تحكيم الراية المحمدية الأصيلة، وأن أغراضه العديدة لا تستوفي لو عرض على الإمام ولاية العهد ابتداءً، فيبادر بعرض الخلافة على الإمام - وهو على يقين بأن الإمام سوف لن يقبلها - قائلاً له: (يا ابن رسول الله قد عرفتُ علمك وفضلك وزهدك وورعك وعبادتك وأراك أحق بالخلافة مني، فقال الرضا (ع): بالعبودية لله عز وجل افتخر، وبالزهد في الدنيا أرجو النجاة من شر الدنيا، وبالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمغانم، وبالتواضع في الدنيا أرجو الرفعة عند الله عز وجل، فقال المأمون: فإني قد رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة وأجعلها لك وأبايعك)؛ إنه ذكاء كبير ودقة في العمل منقطع النظير، فإي خلافة هذه التي يتصرف في شؤونها المأمون وتفنتقير إلى توفر أبسط شروطها الموضوعية، فكيف يحقق الإمام العدالة في الأرض وهو محاط بمجموعة من الوزراء والقواد وقد تطلخت أيديهم بالكثير من الدماء من أجل الحكم والخلافة، أفلا يعني قبولها الانتحار؟! أفلا يعني أن الإمام

يضع نفسه في قفص لا يمكن الخروج منه فيما بعد؟ فإن قبول خلافة كهذه ليس إلا مجازفة لا يقدم عليها إلا شقي جاهل ليس لديه أدنى اطلاع.

بالإضافة إلى أن الإمام كان عالماً بمكر المأمون ودهائه وأن تنازله عن الخلافة ليس جدياً وأن من ورائه مكائد عديدة، وقد جاءته بالأمس رسالة الفضل وهي تدعوه للقدوم إلى خراسان ليكون شريكاً للمأمون في أمره فقد جاء في الرسالة: (فإذا أتاك كتابي جعلتُ فداك - وأمكنتك أن لا تضعه من يدك حتى تسير إلى أمير المؤمنين، الذي يراك شريكاً في أمره، وشفيعاً في نسبه وأولى الناس بما تحت يده..)<sup>١</sup>

إن معنى الشركة في الأمر، لا يخلو في واقعه من أمرين، إما أن يكون المأمون خليفة والإمام ولي عهد - وهو الظاهر من العبارة - وهذا يعني أن المأمون كان عازماً من أول الأمر على إعطاء ولاية العهد دون الخلافة، وإنما تظاهر بإعطاء الخلافة ليراه الناس مرتدياً لباس القديسين وقد قدم الخلافة للإمام على طبق من ذهب، لكن الإمام رفضها فيكون المأمون معزوراً عند سائر الموالين والمحبيين لأهل البيت حينئذ، أو يكون الإمام هو الخليفة والمأمون ولي عهده، وهذا يعني أن التنازل عن الخلافة كان مسبوقاً بشرط وهو تولي المأمون لولاية العهد، وحينئذ وحيث أن الإمام يكبر المأمون بـ (٢٢) سنة فإنه سيموت في النتيجة إن لم يكن المأمون قد أعد العدة لقتله، وبالتالي يتسلم المأمون الخلافة ويكون مرتاح البال هادئ الضمير وقد أرضى الجميع وحافظ على سلطانه أيضاً. على أن الشواهد على زيف المأمون كثيرة جداً، فهل يعقل أن المأمون يتنازل عن الخلافة بهذه السهولة؟ فلماذا الحرب إذن؟ لماذا الخراب والدمار؟ لماذا آلاف الضحايا؟ لماذا السجود شكراً عند وصول رأس أخيه الأمين إليه؟ ولماذا إعطاء ألف درهم لمن جاءه بالرأس؟ أليس من أجل الملك والسلطان؟ ثم لماذا الإصرار على ولاية العهد؟ ولماذا التهديد بالقتل عند رفضها؟ أهمل يتناسب القتل مع فكرة التنازل عن الخلافة؟ ثم صلاة العيد خير شاهد على ما نريد، فلماذا الإرجاع حيث أن المأمون عندما عرف أن مرو تزعرت بالبكاء والنحيب، وخاف من افتتاح الناس بالإمام (ع) أمر بإرجاعه بإشارة من الفضل بن سهل على، لماذا الخوف من افتتاح الناس بالإمام؟ فليفتنوا وليكن هو الخليفة أفليس المأمون كان يريد التنازل عنها؟ وغير ذلك الكثير الكثير من الشواهد التي تفضح المأمون وتكشف سوء نواياه، وتبين أنه لم يفكر آنأ ما في التنحي عن الخلافة، وكان جل همه أن يظهر بمظهر المصلح والورع التقى، ويُرِي الناس بأنه أعاد الخلافة إلى أهلها لكي يتمكن من الحفاظ على مملكته، لكن عقلانية الإمام الذي ألهمه الله علمه وحكمته لم تفتته خطط المأمون، ولم يتركه يظهر للناس بلباس القديسين فأجابه قائلاً: (إن كانت هذه الخلافة لك والله جعلها لك، فلا يجوز لك أن تخلع لباساً ألبسك الله وتجعله لغيرك، وإن كانت الخلافة ليست لك فلا يجوز لك أن تجعل لي ما ليس لك).

فورم أنف المأمون من جواب الإمام الحاسم، فراح يقول: (لا بد لك من قبول هذا الأمر) فأجابه الإمام (ع) (لستُ أعمل ذلك طائعاً)<sup>٢</sup>

وورد أن المفاوضات دامت نحواً من شهرين<sup>٣</sup>، أسفرت عن رفض الإمام القاطع تسلم الخلافة، وقد أثار رفض الإمام هذا دهشة الوزير الفضل بن سهل (ذي الرياستين) الذي يظهر أنه لم يكن يعرف خيوط اللعبة، ولذا نراه قد خرج على الناس قائلاً: (واعجابه وقد رأيت عجباً... رأيت المأمون أمير المؤمنين يقول لعلي بن موسى: قد رأيت

١ عبد الكريم الرافي الشافعي- كتاب التدوين في أخبار قزوين - المكتبة الشاملة الالكترونية - ج٢٤٧

٢ عيون أخبار الرضا (ع): - مصدر سابق - ج٤ ب٣٣.

٣ عيون أخبار الرضا (ع): - مصدر سابق ج٤ ب٣١.

أن أفلدك أمور المسلمين وأفسخ ما في رقبتي وأجعله في رقبتك، ورأيت علي بن موسى الرضا يقول: يا أمير المؤمنين لا طاقة لي بذلك ولا قوة، فما رأيت خلافة قط أضيع منها، إن أمير المؤمنين يتفصى منها ويعرضها على علي بن موسى وعلي بن موسى يرفضها ويأبى<sup>١</sup>.

كانت إذن ولاية العهد خدعة مأمونية لإرباك العلويين، هذا من جهة، ومن جهة أخرى طمس الحقيقة عن المسلمين المتشوقين للإمام الرضا ليكون خليفة أو ولياً للعهد، وإذا رفض الرضا الخلافة ضمناً، أو رفض ولاية العهد صراحة، يكون المأمون قد أظهر للناس أنه فعل ما عليه، وأن إمام العلويين هو الذي رفض، ومن ثم أسقط حقوقهم في الخلافة، وكان الإمام الرضا يدرك هذا الأمر بصورة جيدة، ومن هنا نكتب عن كيفية تعامل الإمام الرضا من ذلك الأمر في المحور الثالث.

### المحور الثالث: المقاومة في سبيل إقامة العدل وإزالة الظلم عند الإمام الرضا (ع)

إن تبريرات المأمون التي أدت به إلى التنازل عن الخلافة للإمام الرضا (ع) كانت متناقضة ولا تنسجم مع مجريات الأحداث: إن المأمون لما أراد العقد للرضا علي بن موسى (ع)، فكيف يصح أن يعقد العهد على إعطاء الخلافة ويكون الوفاء بإعطاء ولاية العهد؟ فبعد أن رفض الإمام تسلم الخلافة يكون المأمون قد عجز عن الوفاء بعهده، فما الداعي حينئذ إلى الإصرار والتهديد على قبول ولاية العهد؟! فالعهد المزعوم - الذي عقده المأمون مع الله - لم يتم الوفاء به على كافة الوجوه.

وخلال فترة ولاية العهد قام الإمام الرضا (ع) بإقامة العدل بين الناس وأشاع المساواة وطب الفكر الرسالي، وكان ذلك من ضمن أسباب اغتياله واستشهاده كما سنكتب في الدراسة...

### الفكر المقاوم عند الإمام الرضا (ع)

إن تبريرات المأمون التي أدت به إلى التنازل عن الخلافة للإمام الرضا (ع) كانت متناقضة ولا تنسجم مع مجريات الأحداث:

١- إن المأمون لما أراد العقد للرضا علي بن موسى (ع) وحدث نفسه بذلك، أحضر الفضل بن سهل وأعلمه بما قد عزم عليه من ذلك، وأمره بالاجتماع مع أخيه الحسن بن سهل على ذلك ففعل واجتمعوا بحضرته، فجعل الحسن يعظم ذلك عليه ويعرفه ما في إخراج الأمر من أهله عليه، فقال له المأمون: (إنني عاهدتُ الله أنني إن ظفرت بالمخلوع - يعني الأمين - أخرجت الخلافة إلى أفضل آل أبي طالب، وما أعلم أحداً أفضل من هذا الرجل على وجه الأرض...)<sup>٢</sup>.

فكيف يصح أن يعقد العهد على إعطاء الخلافة ويكون الوفاء بإعطاء ولاية العهد؟ فبعد أن رفض الإمام تسلم الخلافة يكون المأمون قد عجز عن الوفاء بعهده، فما الداعي حينئذ إلى الإصرار والتهديد على قبول ولاية العهد؟! فالعهد المزعوم - الذي عقده المأمون مع الله - لم يتم الوفاء به على كافة الوجوه.

١ بهاء الدين الاريزلي - كشف الغمة في معرفة الأئمة - دار الطباعة كربلائي محمد حسين - ١٣٨١ هـ - ج ٢ ص ٧٩٩.

٢ ورد ذلك في مصادر عديدة منها: انظر في ذلك مقال الطالبين: لأبي الفرج الأصفهاني - مكتبة البابي الحلبي - القاهرة - ١٩٦٥ - ص ٤٥٤، و البهان: للمجلسي ج ٤٩ ص ٤٤٥،

قد يكون مراد المأمون من تسليم الخلافة إعطاء ولاية العهد، وحينئذ إن كان الرجل قد وفي بعهده فماذا يعني تنازله عن الخلافة إذن؟ ألم تكن مسرحية حاول تمريرها على الرأي العام ليكون في نظرهم زاهداً قديساً قد أعاد الخلافة إلى أهلها كما تقدمت الإشارة إليه؟

٢- إن المأمون أراد من خلال ذلك مكافأة الإمام علي بن أبي طالب في ولده، ومن الواضح أن بطلان هذا الادعاء لا يحتاج إلى مزيد بيان، فإن الأعداد الكثيرة التي قتلها المأمون من العلويين وأتباعهم خير شاهد على كذب مزاعمه هذه.

ومن بين هؤلاء إخوة الإمام الرضا (ع) زيد بن موسى بن جعفر، الذي سقاه المأمون سمّاً، وأحمد بن موسى بن جعفر الذي خرج للطلب بئثر أخيه الرضا (ع) وكان معه ثلاثة آلاف من العلويين فاشتبكوا مع جيوش المأمون في قم وخراسان في معارك أدت إلى استشهاد أحمد بن موسى مع الكثير من أصحابه، وهارون بن موسى الذي كان في القافلة التي تقصد خراسان وكانت تضم ٢٢ علويّاً وعلى رأسها السيدة فاطمة بنت موسى بن جعفر (ع) فأرسل المأمون إلى هذه القافلة جنوداً قتلوا وشردوا كل من فيها، وجرحوا هارون المذكور، ثم هجموا عليه فقتلوه وهكذا غيرهم.

يقول الكاتب علي أكبر تشيد: (إن كثيراً من العلويين كانوا قد قصدوا خراسان أيام تولي الإمام ولاية العهد من المأمون، لكن أكثرهم لم يصل، وذلك بسبب استشهاد الإمام (ع) وأمر المأمون الحكام، وأمراء البلاد بقتل أو إلقاء القبض على كل علوي...)<sup>٤</sup>.

هذا يقطع النظر عن جريمته الكبرى وقتله للإمام الرضا (ع) التي تدل عليها الشواهد، منها الرسالة التي وجهها عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن (ع) إلى المأمون رداً على رسالة المأمون إليه، التي أخبره فيها بأنه يريد أن يوليّه العهد، والتي جاءت بعد استشهاد الإمام الرضا (ع) فقد جاء في مقاتل الطالبين: (وكان عبد الله تورى في أيام المأمون، فكتب إليه بعد وفاة الرضا يدعوه إلى الظهور لي يجعله مكانه ويباع له...).

فأجابه عبد الله برسالة طويلة يقول فيها: فبأي شيء تغرني؟ ما فعلته بأبي الحسن الذي أطعمته إياه فقتلته... والله ما يقعدني عن ذلك خوف من الموت ولا كراهة له، ولكن لا أجد لي فسحة في تسليطك على نفسي، ولولا ذلك لأتيتك حتى تريحني من هذه الدنيا الكدرة... هبني لاثار لي عندك وعند آباءك المستحلين لدمائنا، الآخذين حقنا، الذين جاهروا في أمرنا فحذرناهم، وكنت الطف حيلة منهم بما استعملته من الرضى بنا والتستر لمحنتنا، تختل واحداً فواحداً منا... الخ.

ونقل في المقاتل أيضاً نصاً أخر للرسالة ولعلها رسالة أخرى جاء فيها: وصل كتابك وفهمته تختلني فيه عن نفسي ختل القانص، وتحتال علي بحيلة المغتال القاصد لسفك دمي... وعجبت من تبدلِكَ العهد وولايته لي بعدك، كأنك تظن أنه لم يبلغني ما فعلته بالرضا، ففي أي شيء ظننت أنني أرغب من ذلك؟ | ... أفي الملك الذي قد غرتك نضرتة وحلاوته؟ فوالله لأن أقذف وأنا حي في نار تتأجج أحب إلي من أن

١ باقر شريف القرشي - حياة الإمام الرضا (ع) ج٢ - دار العلم - بيروت - ١٣٧٢ هـ ص ٢١٩.

٢ باقر المجلسي - بحار الأنوار - المكتبة الشاملة الالكترونية - ج ٤٨ ص ٣١٥.

٣ محسن الأمين العاملي - أعيان الشيعة - دار التعارف للمطبوعات. بيروت - ١٣٧١ هـ - ٥٦١|٤

٤ جعفر مرتضى العاملي الحياة السياسية للإمام الرضا - المركز الإسلامي للدراسات - نسخة الكترونية - ٢٠٠٨ - ص ٤٢٨.



ألي أمراً بين المسلمين أو أشرب شربة من غير حلها مع عطش شديد قاتل... أم في العنب المسموم الذي قتلت به الرضا... الخ<sup>١</sup>  
فقد أفصحت الرسالتان عن مكائد المأمون وسوء نيته وقيامه بقتل الإمام الرضا (ع) واغتياله للعلويين واحداً فواحداً... وهكذا يجد المنتعق أقوال المأمون وتبريراته بعيدة كل البعد عن واقع الأحداث كما أنها متناقضة فيما بينها.

### ولاية العهد وأسباب قبول الإمام لها

كان كما ذكرنا أن للمأمون العباسي مناورات سياسية وأهدافاً عديدة أراد تحقيقها من خلال إعطاء الإمام ولاية العهد، ولذا رأينا أن الإمام قد رفض تلك الولاية رفضاً قاطعاً حتى هُدد بالقتل، وحينئذ قبل بذلك مكرهاً وشرط شروطاً عديدة لقبولها، وهذا يعني وكما تقدم أن الإمام لم يدخل في هذا الأمر إلا دخول الخارج منه، وأن الذي حملة على قبول ذلك ما حمل جده أمير المؤمنين على الدخول في الشورى، كما صرح بنفسه (ع) بذلك<sup>٢</sup>.

ولكي ينجلي الغبار وتوضح الحقيقة ناصعة بيضاء نتعرض بشيء من التفصيل إلى أهم الأسباب والدواعي التي دفعت المأمون إلى إعطاء ولاية العهد للإمام الرضا (ع).

١- إن المأمون العباسي عالم بأن مركز الخطر الحقيقي الذي يهدد حكومته هو وجود الإمام (ع)، وهو بصير بأن النضوج الفكري والسياسي ما كان ليتولد في المجتمع لولا وجود أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، فأراد أن يحد من خطر وجود الإمام بوضعه تحت الرقابة، حتى يتمكن من معرفة أخباره والتقليل من اتصال أتباعه به، بل ويحاول التعرف على أهم الأقطاب الموالية التي تتصل بالإمام (ع)، وبالتالي يستطيع القضاء عليها بيسر وسهولة.

وقد حدثنا الريان بن الصلت عن ذلك حيث قال: وكان هشام بن إبراهيم الراشدي الهمداني من أخص الناس عند الرضا (ع) من قبل أن يحمل، وكان عالماً أديباً لبيباً وكانت أمور الرضا (ع) تجري من عنده وعلى يده، وتصير الأموال من النواحي كلها إليه قبل حمل أبي الحسن (ع)، فلما حمل أبو الحسن (ع) اتصل هشام بن إبراهيم بذوي الرئاستين والمأمون، فقربه ذو الرئاستين وأدناه، فكان ينقل أخبار الرضا (ع) إلى ذوي الرئاستين والمأمون، فحظي بذلك عندهما، وكان لا يخفي عليهما من أخباره شيئاً، فولاه المأمون حجابة الرضا، وكان لا يصل إلى الرضا إلا من أحب، وضيع على الرضا (ع) فكان من يقصده من مواليه لا يصل إليه، وكان لا يتكلم الرضا (ع) في داره بشيء إلا أوردته هشام على المأمون وذوي الرئاستين<sup>٣</sup>.

كما أن المأمون العباسي قد أشار بنفسه لهذه الحقيقة في معرض جوابه على حميد بن مهران وجمع من العباسيين عندما عاتبوه ولاموه على ما أقدم عليه من البيعة للإمام الرضا (ع)، فقد قال: (... وقد خشينا إن تركناه على تلك الحالة أن يفتق علينا منه ما لا نسده ويأتي علينا منه ما لا نطيقه...)<sup>٤</sup>

١ مقاتل الطالبين - أبو الفرج الأصفهاني - مصدر سابق - ص ٤٩٨-٥٠٠.

٢ أبو علي القالي - الأمالي: المكتبة الشاملة الإلكترونية- ص ٦٨، وأيضاً عيون أخبار الرضا (ع): مصدر سابق ج ٢ ص ٤٠٤ ع.

٣ البحار: مصدر سابق - ج ٤٩ ص ١٣٩.

٤ عيون أخبار الرضا - مصدر سابق - (ع): ج ٢ ص ٤١٠ ح.

ومنها أيضاً إرسال بعض الجوّاري إلى الإمام بعنوان هدية<sup>١</sup> فإنّ المأمون كان يدسّ الوصائف هدايا ليطلعنه على أخبار من شاء... وأنّ للمأمون على كل واحد صاحب خبر، فينتج من جمع الأحداث بعضها البعض، إن إرساله بعض الجوّاري كان لعين الهدف المتقدم. كما نلاحظ أنّ الإمام قد كتب في رسالة منه إلى أحمد بن محمد البيزنطي يقول: (وأما ما طلبت من الأذن علي، فإنّ الدخول إليّ صعب، وهؤلاء قد ضيقوا عليّ في ذلك، فلست تقدر عليه الآن...)<sup>٢</sup>.

٢- وحيث أنّ الجوّ العام كان يعلم أنّ الخلافة مغتصبة، وأنّ أهل البيت أحقّ الناس بها، فقد أراد المأمون بعمله هذا إضفاء الشرعية على خلافته وخلافه من سببه، فوجود الإمام في الخلافة المأمونية يعني شرعيته وبالتالي شرعية الحكومات السابقة التي انبثقت منها خلافة المأمون، وفي هذا الصدد نلاحظ المأمون يقول: قد كان هذا الرجل مستتراً عنا يدعو إلى نفسه، فأردنا أن نجعله ولي عهدنا ليكون دعاؤه لنا، وليعترف بالملك والخلافة لنا، وليعتقد فيه المفتتون به أنه ليس مما دعي في قليل ولا كثير، وأنّ هذا الأمر لنا من دونه... وحينئذ يكون المأمون - وفي تصوره بالطبع - قد استطاع أن يدحض ركيزتين قد ارتكز عليهما الأتباع والموالون في دعوتهم للحق، وهما المظلومية المتمثلة بسلب الخلافة عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) والقدااسة المتمثلة بزهدهم وورعهم وتقواهم وابتعادهم عن العمل في الحكومات الظالمة، وحينما يرى الناس أنّ الإمام يتولى عهد سلطان قاهر طليق اليد في أمور البلاد فسوف ينكشف لهم أنه لم يكن مظلوماً ولا مقدساً، خصوصاً وأنّ الإمام كان يكبر المأمون ٢٢ عاماً مما قد يوحي في الأذهان أنه كان من محبي التسلسل فإنّ الوضع الطبيعي أن يكون ولي العهد أصغر من الخليفة بكثير، ولا أقلّ أن يكون مقارباً له في العمر، أما أن يكون أكبر من الخليفة، بهذا الفارق ومع ذلك يقبل بتولي العهد فقد يعني الشيء الكثير، ولذا نلاحظ أنّ رفض الإمام كان قاطعاً غير قابل لأدنى مناقشة، وقد تقدمت النصوص على ذلك فلا نعيد.

٣- القضاء على نضال التشيع الذي زلزل الأرض تحت أقدام المأمون، فقد تفجرت عليه الثورات من كل حذب وصب، في وقت كانت حكومته بأمس الحاجة إلى الأنصار والأعوان، بعد الانقسام الحاصل في البيت العباسي والحروب الدامية التي جرت بينه وبين أخيه الأمين، فأراد أن يجعل من الإمام الرضا ورقة سياسية يساوم بها العلويين، ويتخلص من المد الثوري المستمر الذي كان أدقّ يقض أركان مملكته، فعند تولي الإمام الرضا لولاية العهد يكون العلويون قد هدأت ثائرتهم، إذ لا يمكنهم القيام ضد حكومة يكون الإمام أحد أفرادها، ونلاحظ في رسالة المأمون إلى العباسيين ما يشير إلى هذا الهدف، فقد جاء في رسالته وهو يتحدث عن ولاية العهد: (فما كان ذلك مني إلا أن أكون الحاقن لدمائكم والذائد عنكم باستدامة المودة بيننا وبينهم... وإنّ تزعموا أنني أردت أن يؤول إليهم عاقبة ومنفعة فإني في تدبيركم والنظر لكم ولعقبكم وأبنائكم من بعدكم، وأنتم ساهون لاهون تائهون في غمرة تعمهون لا تعلمون ما يراد بكم...).

وهذه الفقرة من الرسالة إن دلّت فإنّما تدلّ على أنّ المأمون كان يشعر بمواطن الخطر، وأنّ الخلافة العباسية مهددة بالزوال، فأراد تثبيت أركانها ودفع السوء عنها، ولم يجد المأمون سبيلاً للحفاظ على

١ البحار: ج ٤٩ ص ١٦٤.

٢ حياة الإمام الرضا - جعفر مرتضى العاملي مصدر سابق ص ٢١٣.

٣ عيون أخبار الرضا - مصدر سابق - (ع): ج ٣ ص ٤٧ ح ١٨.

٤ عيون الإخبار - مصدر سابق - ج ٢ ص ٤١ ح ١.

مملكته وحقن دماء أبناء عمومته، إلا بالصلح مع العلويين ومهادنتهم، فقام بإعطاء ولاية العهد للإمام (ع)، ونستطيع القول إن المأمون قد نجح في إيقاف المد الثوري العلوي بلعبته هذه، ولم يحدثنا التاريخ بأن هناك ثورات قد انطلقت في فترة تولي الإمام لولاية العهد.

٤- إن المأمون لم يكن ليتمكن من الوصول إلى السلطة لولا سيوف الخراسانيين الذين كانوا يتمتعون بميول إلى أهل البيت (عليهم السلام)، فكان عليه أن يعمل عملاً يُرضي فيه العرب الذين قتل رجالهم وخرّب بلادهم، ويحافظ فيه على انتصاره الخراسانيين، فكانت فكرة ولاية العهد، وبالطبع فإن الخراسانيين عندما يرون أن ولي عهد المأمون هو الإمام الرضا (ع) سوف يشعرون بصدقه وقداسته، كما أن العرب سوف يرون بأعينهم بأن قتالهم لم يكن من أجل الحكم والسلطان، بل من أجل خدمة الأمة والنظر في مصالحها، وأن المأمون وإن اتخذ من مرو عاصمة له إلا أنه لا يفرق بين فارسي وغيره، وحينما رأى أن الإصلاح يتحقق في إخراج الأمر من بني العباس أخرجه وخالف في ذلك سيرة آباءه وأسلافه.

٥- حيث أن أم المأمون هي مراحل الفارسية ومؤدبه الفضل بن سهل الفارسي، وعاصمته مرو، كما أنه قام بقتل الكثير من العرب وقتل زعيمهم الأمين (أخيه) وخرّب بلادهم، فقد كان مقامه الاجتماعي متدنياً وسمعته سيئة جداً، وكان مرفوضاً عند العرب والعباسيين، بل وعند سائر الناس أيضاً، حتى أن المأمون جلس مرة يستأجّر على دجلة من وراء ستر، فمرّ ملاح وهو يقول بأعلى صوته: (أتظنون أن هذا المأمون ينبل في عيني وقد قتل أخاه؟! والشواهد على تدني مقام المأمون الاجتماعي، سواء من جهة أمه أو من جهة قتاله العرب وقتل أخيه كثيرة، والغرض أن المأمون أراد بخبطته تلك - إعطاء ولاية العهد للإمام (ع) - إعادة مقامه الاجتماعي، وحاول أن يكسب معنوية وشهرة عظيمة، إذ كان من الطبيعي أن يثني عليه الأكثر إن لم يكن الجميع؛ لكونه قد انتخب شخصية مرموقة ومقدسة ومن نسل النبي محمد (ص) لتولي هذا المنصب الخطير، وقد حرم اخوته وأبناءه من هذا الامتياز.

٦- كان في تصور المأمون أنه يستطيع من خلال هذا العمل أن يجعل من الإمام مستشاراً لنظام خلافته، وبالتالي يتمكن من القضاء على أي تمرد أو حركة مناوئة تحاول الإطاحة بعرشه؛ وذلك من خلال الشرف والاحترام الكبير الذي يتمتع به الإمام أولاً، والحنكة والعلم ومعرفة توجيه الأحداث بصورة صحيحة ثانياً، ولذا نرى المأمون يقول للإمام: يا أبا الحسن لو كتبت إلى بعض من يطيعك في هذه النواحي التي فسدت علينا...<sup>١</sup> وقد رفض الإمام ذلك الطلب.

وقد تلخص من مجموع ما ذكرنا أن جل هدف المأمون كان الحفاظ على ملكه وسلطانه وأنه لم يكن يريد نقل الخلافة بل العكس هو الصحيح.

### الفكر السياسي للإمام الرضا (ع) عند ولاية العهد

بعد أن فشلت المفاوضات حول منصب الخلافة، وحسم الأمر برفض الإمام لتولي ذلك المنصب، لمعرفته بمناورات المأمون وخططه السياسية قام المأمون بعرض ولاية العهد قائلاً: (فإن لم تقبل الخلافة ولم تجب مبايعتي لك فكن ولي عهدي لتكون لك الخلافة من بعدي...) <sup>٢</sup> وقد رفض الإمام هذا الطلب أيضاً رفضاً قاطعاً لأنه كان

١ بحار الأنوار - مصدر سابق - ر: ٤٩: ١٥٥.

٢ عين أخبار الرضا (ع) -: مصدر سابق - ج ٣: ٤٠ ح ٣٤.

عالمًا بأغراض المأمون من وراء ذلك، وأن غاية ما يريده هو تثبيت أركان سلطنته على ما يأتي بيانه عند ذكر أسباب إعطاء ولاية العهد، وإن النصوص التي دلت على رفض الإمام كثيرة جداً، فقد جاء في إرشاد المفيد بعد أن نقل عرض الخلافة على الإمام ورفض الإمام لها: فردّ عليه الرسالة - أي المأمون: فإذا أبيت ما عرضت عليك فلا بد من ولاية العهد من بعدي، فأبى عليه الرضا إباءً شديداً، فاستدعاه إليه وخلا به ومعه الفضل بن سهل ذو الرئاستين، ليس في المجلس غيرهم وقال له: إني قد رأيت أن أقلدك أمر المسلمين وأفسخ ما في رقبتي وأضعه في رقبته، فقال له الرضا (ع): (الله الله - يا أمير المؤمنين - إنه لا طاقة لي بذلك ولا قوة لي عليه) قال له: إني موليك العهد من بعدي... فقال له: (اعفني من ذلك يا أمير المؤمنين) فقال له المأمون كلاماً كالتهديد على الامتناع عليه، وقال له في كلامه: إن عمر بن الخطاب جعل الشورى في ستة أحدهم جدك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وشرط فيمن خالف منهم أن تضرب عنقه، ولا بد من قبولك ما أريده منك فإنني لا أجد محيصاً عنه، فقال له الرضا (ع): (فاني أجيبك إلى ما تريد من ولاية العهد، على أنني لا أمر ولا أنهي، ولا أفني ولا أقضي، ولا أوّلي ولا أعزل، ولا أغير شيئاً مما هو قائم) فأجابه المأمون إلى ذلك كله<sup>١</sup>

وجاء في مقاتل الطالبين: (فأرسلهما - يعني الفضل بن سهل وأخاه الحسن - إلى علي بن موسى فعرضاً عليه ذلك فأبى، فلم يزالا به وهو يأبى ذلك ويمتنع منه، إلى أن قال له أحدهما: إن فعلت وإلا فعلنا بك وضعنا، وتهدده، ثم قال له أحدهما: والله أمرني بضرب عنقك إذا خالفك ما يريده، ثم دعا به المأمون فخطبه في ذلك فامتنع، فقال له قولاً شبيهاً بالتهديد ثم قال له: إن عمر جعل الشورى في ستة أحدهم جدك، وقال: من خالف فاضربوا عنقه ولا بد من قبول ذلك، فأجابه علي بن موسى إلى ما التمس<sup>٢</sup>.

وجاء في الأمالي والعيون وغيرهما أن الإمام الرضا (ع) قال للمأمون: والله لقد حدثني أبي عن آباءه عن أمير المؤمنين عن رسول الله (ص) أنني أخرج من الدنيا قبلك مقتولاً بالسهم، مظلوماً تبيكي عليّ ملائكة السماء وملائكة الأرض، وأدفن في أرض غربة إلى جانب هارون الرشيد، فبكى المأمون ثم قال له: يا ابن رسول الله يا بن ومن ذا الذي يقتلك أو يقدر على الإساءة إليك وأنا حي، فقال الرضا (ع) أما إني لو أشاء أن أقول من الذي يقتلني لقلت، فقال المأمون يا ابن رسول الله، إنما تريد بقولك هذا التخفيف عن نفسك ودفع هذا الأمر عنك ليقول الناس أنك زاهد في الدنيا، فقال الرضا (ع) والله ما كذبت منذ خلقني ربي عز وجل وما زهدت في الدنيا للدنيا وإني لأعلم ما تريد، فقال المأمون: وما أريد قال: الأمان على الصدق، قال لك الأمان، قال: تريد بذلك أن يقول الناس أن علي بن موسى لم يزهد في الدنيا، بل زهدت الدنيا فيه، ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعاً في الخلافة؟ فغضب المأمون، ثم قال: إنك تتلقاني أبداً بما أكرهه وقد أمنت سطوتي، فبالله أقسم لئن قبلت ولاية العهد وإلا أجزرتك على ذلك فإن فعلت وإلا ضربت عنقك، فقال الرضا (ع): قد نهاني الله عز وجل أن ألقى بيدي إلى التهلكة، فإن كان الأمر على هذا فافعل ما بدا لك وأنا أقبل ذلك على أيّ لا أولي أحداً ولا أعزل أحداً ولا أنتقض رسماً ولا سنة وأكون في الأمر من بعيد مشيراً، فرضي منه بذلك وجعله ولي عهده على كراهته منه (ع) لذلك<sup>٣</sup>.

كما حدث أبو الصلت الهروي أنه دخل على الإمام الرضا (ع) فقال له: يا ابن رسول الله إن الناس يقولون إنك قبلت ولاية العهد مع إظهارك الزهد في الدنيا، فقال (ع): قد علم الله كراهتي لذلك فلما خيرت بين قبول ذلك

١ الشيخ المفيد - لإرشاد - المطبعة الحيدرية - النجف الاشرف - ١٩٦٢ - ج ٢ ص ٢٥٩

٢ مقاتل الطالبين - مصدر سابق - ص ٥٥٤

٣ الأمالي - مصدر سابق - ص ٦٥ وعيون أخبار الرضا: ج ٣ ص ٤٠

وبين القتل اخترتُ القبول على القتل... إلى أن قال: ودفعنتي الضرورة إلى قبول ذلك على إكراه وإجبار بعد الإشراف على الهلاك، على أنني ما دخلت في هذا الأمر إلا دخول خارج منه، فإلى الله المشتكى وهو المستعان<sup>١</sup>. إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة والتي يتلخص منها عدة أمور تؤكد عقلانية الإمام الرضا ومنهجه الرسالي القائم على رفض الخلافة والسلطان بقبول السلطنة ممن سفك الدماء وقتل الأبرياء منها:

- ١- إن الإمام رفض الدخول في ولاية العهد رفضاً قاطعاً.
- ٢- إن المأمون ألزمه بذلك وأجبره عليه بل وهدده بالقتل إن رفض ذلك.
- ٣- إن الإمام ومن منطلق الحفاظ على نفسه من القتل قبل الدخول في ولاية العهد، لكنه اشترط شروطاً تجعل من دخوله في ولاية العهد رمزياً لا أكثر، وتبين للملأ أن الإمام غير راض عن الدخول في هذا الأمر، وهذه الشروط هي:

- أ- أن لا يعزل ولا يوحى أحداً.
- ب- أن لا يأمر ولا ينهى ولا يفتي ولا يقضي.
- د- أن لا ينقض رسماً ولا سنة.
- هـ- أن لا يغير شيئاً مما هو قائم.
- و- أن يكون مشيراً من بعيد في شؤون الدولة<sup>٢</sup>

هذا وإن رفض الإمام لولاية العهد لم يكن تقصياً عن الخلافة وهروباً منها، كيف وإن الأئمة كان جل همهم إقامة حكومة إسلامية عادلة في الأرض، وبذلوا الجهد الكبير في تهيئة الأرضية المناسبة لذلك؛ لكن الإمام كان عالماً وعارفاً بآرب المأمون ومخططاته، وأن ولاية العهد ليست إلا لعوبة أراد المأمون تمريرها على عامة الناس، ذكر المدائني عن رجاله قال: لما جلس الرضا علي بن موسى (ع) في الخلع بولاية العهد، قام بين يديه الخطباء والشعراء وخفقت الألوية على رأسه، فذكر عن بعض من حضر ممن كان يختص بالرضا (ع) أنه قال: كنتُ بين يديه في ذلك اليوم، فنظر إليّ وأنا مستبشر بما جرى، فأومأ إليّ أن أدنُ مني فدنوت منه: فقال لي من حيث لا يسمعه غيري: (لا تشغل قلبك بهذا الأمر ولا تستبشر به، فإنه شيء لا يتم)<sup>٣</sup>

وبالفعل لم يتم الأمر، واستشهد الإمام الرضا، ولكن تبقى سيرته السياسية نبزاسا لكل من يريد السياسة على أصولها السياسية، ولذلك نكتب نظرات حول حياته السياسية.

### خاتمة ونتائج: المقاومة من أجل المستضعفين

من العرض السابق يتبين بوضوح كافي أن الإمام الرضا سار على النهج الرسالي المحمدي، رفض الظلم، لأن سياسة العترة الطاهرة هي سياسة بناءة تعمل على إيجاد الوسائل السلمية لرفي المجتمع وبلوغ أهدافه في الحياة الحرة الكريمة سياسة تسعى لتحقيق المساواة في ربوعه، والفرص المتكافئة بين أبنائه لوقايتهم من الظلم والحرمان. سياسة تبنت العدل الخالص، والحق المحض، ومثلت وجهة الإسلام الصحيحة وأهدافه الإنسانية في عالم السياسة والحكم والإدارة هي أرفى سياسة عرفها التاريخ وأجدرها بتحقيق العدل السياسي والعدل الاجتماعي بين الناس

١ البحار ٤٩: ٣٠، الأملالي ص ٦٨ - مصادر سابقة

٢ الإرشاد: - مصدر سابق - ج ٣ ص ٢٥٩،

٣ الإرشاد ج مصدر سابق - ٢ ص ٦٦٣

لأنها تنشد الاطمئنان لا يشوبه قلق، والأمن لا يشوبه خوف، والعدل لا يشوبه ظلم. سياسة صريحة واضحة في جميع معالمها وجميع أهدافها. ولصلاية تنفيذها في الحق الصريح، وصرامتها في العدل السليم ثار عليها النفعيون والمنحرفون وطالبوهم أن ينهجوا منهجاً يلبي مصالحهم وأطماعهم، ولو أنهم استجابوا لهم لما آلت الخلافة إلى غيرهم ولكنهم سلام الله عليهم آثروا رضا الله عز وجل وسلوكوا الطريق الواضح الذي يقره الدين الحنيف، وهي سياسة الحق والعدل والعقل والنقل على السواء... سياسة تقوم على القضاء على النظام الطبقي البرجوازي، ومن ثمّ إنصاف الضعفاء والمظلومين من أي دين أو مذهب، فقط لفطرته إنسانية وحدها

## خصائص العدالة في الفكر الحضاري للإمام الرضا عليه السلام

### أ. د. نور الدين أبو لحية<sup>1</sup>

#### الملخص

يهدف هذا المقال إلى التعرف على الخصائص المميزة للفكر الحضاري الذي يمكن استنباطه من خلال ما ورد عن الإمام الرضا من روايات وأحاديث، وقد رأينا أنه يمكن حصرها في أربع خصائص كبرى: أولها: الحاكمية الإلهية، والمراد بها استناد العدالة إلى المصدر الإلهي، سواء من خلال الدستور الذي تتبناه، وتعتبره مرجعها، وهو القرآن الكريم، أو من خلال الأمر الذين يفهمون الدستور، ويعونه، ويعرفون المنهج الأمثل لتنفيذه. ثانيها: مراعاة المصالح المختلفة، لأنه لا يمكن أن تقوم العدالة من دونها، وهي تستند -بالإضافة إلى المصادر المقدسة- إلى ما أودعه الله تعالى في الفطر النقية، والعقول السليمة، والتي تنسجم تمام مع كل تشريعات الله تعالى. ثالثها: عموم المسؤولية لكل المسلمين، خاصة كانوا أو عامة، لأنه لا يمكن أن تتحقق العدالة في الواقع من دون أن يكون هناك من يحرص على الدعوة إليها أو تطبيقها. رابعها: مراعاة العدالة للواقع والظروف المختلفة وطاقت الإنسان، لأن عدالة الله تعالى تأتي أن تكلف الإنسان ما لا يطيق.

#### المقدمة

من خلال استقراء الواقع الفكري الإسلامي المرتبط بالموقف من العدالة، وعلاقتها بالفكر الحضاري الإسلامي، أو بالحضارة الإسلامية، نجد تيارين:

**أولهما** - التيار الذي يتصور أن التاريخ والتراث الإسلامي هو الممثل الشرعي والصحيح للإسلام، ولذلك يفتخر به، ويدعو إلى إعادة تفعيله في الواقع، مغضيا الطرف عن كل السلبيات التي علقت به، بل إنه يبررها، ويحاول أن يجد لها مسوغا من القرآن الكريم، فإن لم يجد التمس لها المسوغ من الأحاديث الكثيرة، والتي دون الكثير منها بعد فترة طويلة من وفاة رسول الله، فإن لم يجد التجأ إلى الفقهاء الذين كانوا محيطين بالسلطين، ليستدل بهم، باعتبارهم علماء، وهم أدرى الناس بالدين.

**وثانيهما** - التيار الذي يرى أن مصدر الحضارة الإسلامية هو الإسلام بمصادره الأصلية، التي لم تكدر ولم تبدل، والذي يعتبر القرآن الكريم أساسا للعدالة، باعتباره الممثل الحقيقي الأكبر للإسلام، وما عداه لا يمكن

1 كاتب وأستاذ جامعي جزائري

الوثوق به أو قبوله دون الرجوع إليه لتبين مدى تطابقه معه، وهذا ما يطلق عليه في التعبير المعاصر [الإسلام الأصيل] أو [الإسلام المحمدي الأصيل]، أو [الإسلام الإلهي]، والذي نرى تداوله لدى قادة الثورة الإسلامية الإيرانية أو من تتلمذ عليهم.

وهذا المعنى هو ما ورد التعبير عنه في القرآن الكريم بمصطلح [الضراط المستقيم]، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]

ولهذا نرى هذا التيار، يحاول - ومن خلال المصادر المقدسة - البحث عن كل ما يرتبط بالحضارة الإسلامية، ويجوانبها المختلفة، وخصوصا ما يرتبط بالعدالة منها، باعتبار أن تلك المصادر هي التي تمثل الإسلام، لا المسلمون الذين قد ينحرفون عنها.

وأول من يمثل هذا التيار رسول الله الذي كان يحذر من ما قد يندس في الدين، فينحرف به عن مساره، ومما يروى عنه في ذلك أنه قال لبعض أصحابه عندما رآه يحمل كتابا من كتب اليهود: (والذي نفسي بيده، لقد جفتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني)<sup>(١)</sup>، فهذا الحديث يفرق فيه رسول الله بين الدين الخالص النقي الأبيض الصافي الذي ليس فيه أي دنس أو شبهة تمنع العقل السليم من التسليم له، وبين الدين المختلط بالخرافات المتسربة والمندسة من الأديان المحرفة أو غيرها.

وفي حديث آخر تنبأ رسول الله بوقوع هذا في الأمة، وحذر منه، ودعا في نفس الوقت إلى تبني الدين الأصيل، فعن عبد الله بن مسعود قال: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ خَطًّا ثُمَّ قَالَ: (هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ) ثُمَّ خَطَّ خَطُّوْطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: (هَذِهِ سَبِيلُ مَافَرَقَةَ، قَالَ: عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣])<sup>(٢)</sup> وهكذا سار أئمة الهدى من بعده، والذين وردت الوصية بهم في الأحاديث الكثيرة باعتبارهم قرناء للقرآن، وراسخين في العلم، ومحافظين على الدين الأصيل، ومن بينهم الإمام الرضا عليه السلام، والذي مثل الدعوة للعدالة بسلوكه، ومن خلال الأحاديث الكثيرة المروية عنه.

وقد رأينا من خلال استقرائنا لها أنه يمكن اختصار خصائص العدالة - كما يراها الإمام الرضا عليه السلام - في أربعة خصائص، هي:

١. الحاكمية الإلهية، سواء من خلال الرجوع للقرآن الكريم، باعتباره مصدر التشريع، أو الرجوع لأئمة الهدى والراسخين في العلم باعتبارهم القادة والهداة؛ فلا يمكن أن يطبق تعاليم العدالة من كان خاليا منها.
٢. مراعاة المصالح الشخصية والاجتماعية، والتي تطلبها الفطرة السليمة، وجاءت الشرعية العادلة لخدمتها.
٣. التزام المسؤولية من طرف الجميع قيادة وشعبا؛ فلا يمكن أن تتحقق العدالة من دون أن يكون هناك من يسعى لتحقيقها.

١ مسند أحمد، أحمد بن حنبل، دار الفكر، بيروت، ٣/ ٣٨٧ ح (١٥١٩٥)

٢ المستدرک علی الصحیحین، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، حققه مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١، ١٩٩٠، ٢/ ٣١٨.



٤. مراعاة الواقع، والظروف المختلفة؛ فتكليف الناس بما لا يستطيعون ظلم، والله تعالى أجل من أن يأمر بما فيه ظلم.  
وقد تناولنا في هذا المقال هذه الخصائص الأربعة، مفردين كل خاصية منها بمطلب خاص.

### أولاً - العدالة والحاكمية

الخاصية الأولى من خصائص العدالة في الفكر الحضاري للإمام الرضا عليه السلام هي الرجوع لشريعة الله تعالى في كل شؤون الحياة، سواء تلك التي تتعلق بالأفراد وشؤونهم الشخصية، أو تلك التي تتعلق بالمجتمع، وفي كل المجالات الاجتماعية، أو تلك التي تتعلق بالدولة وكل المشاريع المرتبطة بها، أو تلك التي تتعلق بالأمة ومشروعها الحضاري.

وهذا من الأمور الواضحة في القرآن الكريم، فهو كله يدل على أن شريعة الله تعالى أشمل من أن تنحصر في الحياة الشخصية أو بعض الشؤون الاجتماعية، بل هي تشمل الحياة جميعاً.  
وبذلك؛ فإن حاكمية الشريعة الإسلامية حاكمة شاملة لكل شؤون الحياة، ومن أعرض عنها، فقد أعرض عن الله تعالى، لأن الشريعة هي قانونه، ومن عصى القانون، فقد عصى من وضعه.  
ومن الأمثلة على ما ورد في القرآن الكريم مما يدل على هذا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، وقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]، وهي آيات تبين مدى الكفر والظلم والفسوق الذي يقع فيه الذين فصلوا حياتهم عن شريعة الله، وقد ذكرت الأحكام فيها بذلك الترتيب بحسب نوع الإعراض عن حكم الله، فإن كان إعراضاً كلياً، ممتلئاً بالجحود والتحقيق، فهو الكفر بعينه، وإن كان الإعراض ناتجاً عن التقصير والكسل، فصاحبه - كما تنص الآيات الكريمة - ظالم وفساق.

وهكذا نرى القرآن الكريم يعتبر الشرائع والقوانين التي تعارض مع شريعة الله شرائع وقوانين جاهلية، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْتَغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، واعتبر تارك شريعة الله، والملتجئ لغيره مشركاً؛ فقال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ سَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]  
بل نجد من الآيات الكريمة ما ينفي الإيمان عن المعرض عن أحكام الله، كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]  
ويمكن اعتبار كل كلمات الإمام الرضا، ومثله سائر أئمة الهدى في الدعوة لتنفيذ وصايا رسول الله الخاصة بالولاء للعترة الطاهرة ممثلاً لهذه الخاصية، ذلك أن الحاكمية الإلهية أو [الحكومة الإسلامية] لا تتحقق إلا بأمرين مهمين:

### ١. الحاكمية والدستور

الشرط الأول لتحقيق الحاكمية الإلهية هو ارتباطها بالدستور أو الشريعة، وكونها شريعة الله الخالصة التي لم تبدل ولم تحرف ولم تغير، وكل القرآن الكريم يدل على ذلك؛ ذلك أن الله تعالى أنزل الكتاب ليحكم به الناس في كل شؤون حياتهم، كما قال تعالى: ﴿وَأَن احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاتَّخِذْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَم أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٩]

ولهذا نرى الإمام الرضا مثل سائر أئمة الهدى يدعون إلى القرآن الكريم، ومن الأمثلة على ذلك ما روي عنه أنه ذكر يوماً القرآن فعظم الحجة فيه والآية المعجزة في نظمه، فقال: (هو جبل الله المتين، وعروته الوثقى، وطريقته المثلى، المؤدي إلى الجنة، والمنجي من النار، لا يخلق من الأزمنة، ولا يبعث على اللسنة، لأنه لم يجعل لزمان دون زمان بل جعل دليل البرهان، وحجة على كل إنسان، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)<sup>(١)</sup>

وقال في حديث آخر محذراً من الأهواء التي تسربت للدين: (من دان بغير سماع ألزمه الله البتة إلى الفناء، ومن دان بسماع من غير الباب الذي فتحه الله عز وجل لخلقه فهو مشرك، والباب المأمون على وحي الله تبارك وتعالى محمد)<sup>(٢)</sup>

وقال في حديث آخر يدعو إلى أخذ العلم من منابعه الصحيحة: (رحم الله عبداً أحيا أمرنا)، قيل له: وكيف يحيي أمركم؟ قال: (يتعلم علومنا ويعلمها الناس، فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لا يتبعونا)، قيل: يا ابن رسول الله فقد روى لنا عن الإمام الصادق أنه قال: (من تعلم علماً ليماري به السفهاء، أو يباهي به العلماء أو ليقبل بوجوه الناس إليه فهو في النار)، فقال: (صدق جدّي، أفتدري من السفهاء؟)، قيل: لا، يا ابن رسول الله، قال: (هم قصاص مخالفينا، أو تدري من العلماء؟)، قيل: لا، يا ابن رسول الله فقال: (هم علماء آل محمد الذين فرض الله طاعتهم وأوجب مودّتهم)، ثم قال: (أو تدري ما معنى قوله: أو ليقبل بوجوه الناس إليه؟)، قيل: لا، فقال: (يعنى والله بذلك ادّعاء الإمامة بغير حقّها، ومن فعل ذلك فهو في النار)<sup>(٣)</sup>

وبناء على هذا دعا الأمة إلى التفقه الذي يحميها من الأهواء والضلالات، فقال: (من لم يتفقه في دينه ما يخطئ أكثر ممّا يصيب، فإنّ الفقه مفتاح البصيرة، وتمام العبادة، والسبب إلى المنازل الرّفيعة، وحاز المرء المرتبة الجليلة في الدّين والدّنيا، فضل الفقيه على العباد كفضل الشمس على الكواكب، ومن لم يتفقه في دينه لم يزكّ الله له عملاً)<sup>(٤)</sup>

## ٢. الحاكمية والإمامة

الشرط الأول لتحقيق الحاكمية الإلهية هو ارتباطها بالمنفذين لتلك الشريعة، وكونهم عدولاً صالحين فقهاء، بحيث يمكنهم تطبيقها على أحسن وجه، وعدم الاحتيال عليها والتلاعب بها.

وهو أمر معقول المعنى، ذلك أن شريعة الله مقدسة، تنص على الدعوة إلى تطبيق العدالة والرحمة وكل القيم النبيلة في الواقع، ولا يستطيع أن يقوم بذلك من لم تتوفر لديه القدرات العلمية والسلوكية التي تؤهله لتحقيق ذلك، وإلا حصل التناقض بين شخصيته، وبين ما يدعو إليه.

والواقع أيضاً يدل على ذلك؛ فمع توفر كتب الطب والهندسة إلا أننا لا نجد من يمارس الطب والهندسة إلا من تعلم ذلك وتدرّب عليه من أهله، لا من اقتصر على مطالعة بعض تلك الكتب.

١ عيون أخبار الرضا عليه السلام لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت. - لبنان سنة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، ص ٢٧١.

٢ عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري، دار الكتاب العربي، بيروت، ج ٢ ص ٩.

٣ عيون الأخبار، ج ١ ص ٣٠٧.

٤ المحاسن، ابن جعفر محمد بن خالد البرقي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ص ٤.

وهكذا؛ فإن القرآن الكريم وجميع الكتب المنزل تحتاج إلى القيمين على تطبيقها، ممن توفر فيهم الخصائص اللازمة لذلك، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَخُكُّمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّيْبَانِيُّونَ وَالْأَخْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَحْشَسُوا النَّاسَ وَاحْشَسُوا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَخُكِّمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، فالآية الكريمة لم تكتف بالدعوة إلى تحكيم التوراة، وإنما ذكرت من له أهلية الحكم بها، حتى لا يصبح الكتاب المقدس وسيلة للنتهازيين لتفسيره وتطبيقه بحسب ما تتطلبه أهواؤهم.

وقد حصرت الآية الكريمة أهلية الحكم في ثلاث أصناف من الناس: وهم (النبيون) والمراد بهم الأنبياء ورسول الله تعالى، و(الريائيون) وهم ورثتهم من الأئمة، و(الأخبار) وهم ورثة الأئمة من العلماء الصالحين، فأثبتت الآية الكريمة الولاية للعلماء في حال غياب الأنبياء والأئمة.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣]، فهذه الآية الكريمة تصرح بالدعوة للرجوع لرسول الله أو لأولي الأمر، وهي تذكر من صفاتهم القدرة على استنباط حكم الله في المسألة، وذلك لا يكون إلا للفقهاء العالم.

وهذا معنى متفق عليه نظرياً عند الفقهاء والمفسرين، وبين المدارس الإسلامية المختلفة، ومنهم الجويني، الذي نص على هذا بقوله: (إذا كان صاحب الأمر مجتهداً فهو المتبوع، الذي يستتبع الكافة في اجتهاده ولا يتبع، أما إذا كان سلطان الزمان لا يبلغ مبلغ الاجتهاد فالتبوعون العلماء، والسلطان نجدتهم وشوكتهم، والسلطان مع العالم كملك في زمان نبي، مأمور بالانتهاء إلى ما ينهيه إليه النبي)<sup>(١)</sup>

ومثله قال الفخر الرازي: (لكن المقصود بأولي الأمر في الآية هم العلماء، وأعمال الأمراء والسلطين موقوفة على فتاوي العلماء، والعلماء في الحقيقة أمراء الأمراء، فكان حمل لفظ أولي الأمر عليهم أولى)<sup>(٢)</sup>

لكن ذلك للأسف نسخ في الواقع بسبب ما يمكن أن نطلق عليه [حكومة الأمر الواقع]، حيث أقر الكثير من الفقهاء الحكومات الأموية والعباسية والعثمانية وغيرها، على اعتبار أنها حكومات شرعية لا يمكن تغييرها، ولذلك لم يكتفوا بذلك الاستبداد الذي مارسته تلك الحكومات، وإنما راحوا يجعلونها شرعية، ويعطوها بذلك المصادقية التي لم تكن تحلم بها.

ولهذا - ومع التطور التاريخي - أصبحت تلك الحكومات في أذهان الكثيرين هي الممثل الشرعي والحقيقي للنظام الإسلامي، وهو ما استند إليه بعد ذلك المستشرقون والمستغربون والعلمانيون في التحذير من النظام الإسلامي بناء على ما حصل منه في الواقع.

ولهذا نجد أئمة الهدى، بمن فيهم الإمام الرضا يحذر من التعاون مع تلك الحكومات، أو اعتبارها حكومات شرعية، بل هو يسميها حكومات الظلمة.

ومن الأمثلة على ذلك ما روي عن سليمان الجعفري قال: قلت للإمام الرضا: ما تقول في أعمال السلطان؟

١ الغياني غياث الأمم في التياث الظلم، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بامام الحرمين، المحقق: عبد العظيم الديب، مكتبة إمام الحرمين، الطبعة: الثانية، ١٤٠١هـ، ص ٣٨٠.

٢ مفاتيح الغيب (تفسير الرازي، التفسير الكبير)، الفخر الرازي، محمد بن عمر، بيروت، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١٤٠١هـ/١٩٨١م، (١٥٠/٥)

فقال: (يا سليمان الدخول في أعمالهم والعون لهم والسعي في حوائجهم عدل الكفر، والنظر إليهم على العمدة من الكبائر التي يستحق به النار)<sup>(١)</sup>

وقال في حديث آخر: حرم الله التعرب بعد الهجرة للرجوع عن الدين وترك المؤازرة للأنبياء والحجج، وما في ذلك من الفساد وإبطال حق كل ذي حق لعلة سكنى البدو، ولذلك لو عرف الرجل الدين كاملا لم يجز له مساكنة أهل الجهل والخوف عليه، لأنه لا يؤمن أن يقع منه ترك العلم والدخول مع أهل الجهل والتماذي في ذلك<sup>(٢)</sup>.

وقال: حرم الله الفرار من الزحف لما فيه من الوهن في الدين، والاستخفاف بالرسول والأئمة العادلة، وترك نصرتهم على الأعداء والعقوبة لهم على ترك ما دعوا إليه من الإقرار بالربوبية، وإظهار العدل، وترك الجور وإماتة الفساد، لما في ذلك من جرأة العدو على المسلمين، وما يكون في ذلك من السبي والقتل وإبطال دين الله عز وجل وغيره من الفساد<sup>(٣)</sup>.

وسئل: ما تقول في أعمال السلطان؟ فقال: (يا سليمان الدخول في أعمالهم والعون لهم والسعي في حوائجهم عدل الكفر، والنظر إليهم على العمدة من الكبائر التي يستحق به النار)<sup>(٤)</sup>

وبناء على هذا أيضا نراه مثل سائر الأئمة يحذرون من الغلاة الذين انحرفوا عن معنى الإمامة والولاية؛ فحولوها عن معناها المرتبطة بالحاكمية الإلهية إلى معان شركية، لا علاقة لها بالدين.

ومن الأمثلة على ذلك ما روي عن أبي هاشم الجعفري قال: سألت الإمام الرضا عن الغلاة والمفوضة، فقال: (الغلاة كفار، والمفوضة مشركون، من جالسهم أو خالطهم أو وكلهم أو شاربهم أو واصلهم أو زوجهم أو تزوج إليهم أو أمنهم أو اثمنهم على أمانة أو صدق حديثهم أو أعانهم بشطر كلمة خرج من ولاية الله عز وجل وولاية الرسول وولايتنا أهل البيت)<sup>(٥)</sup>

وعن أبي الصلت أنه قال للإمام الرضا: يا ابن رسول الله، ما شيء يحكيه عنكم الناس؟ قال: وما هو؟ قلت: يقولون: إنكم تدعون أن الناس لكم عبيد، فقال: (اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة، أنت شاهدٌ باني لم أقل ذلك قط، ولا سمعت أحداً من آبائي قال قط، وأنت العالم بما لنا من المظالم عند هذه الأمة، وإن هذه منها)، ثم أقبل عليّ فقال: (يا عبد السلام، إذا كان الناس كلهم عبيدنا على ما حكوه عنا فمن نبيهم؟)، فقلت: يا ابن رسول الله صدقت، ثم قال: (يا عبد السلام، أمنتك أنت لما أوجب الله عز وجل لنا من الولاية كما ينكره غيرك؟)، قلت: معاذ الله بل أنا مقرٌّ بولايتكم<sup>(٦)</sup>.

وعن محمد بن زيد الطبري قال: كنت قائماً على رأس الإمام الرضا بخراسان وعنده جماعة من بني هاشم منهم إسحاق بن العباس بن موسى فقال له: (يا إسحاق بلغني أنكم تقولون: إن الناس عبيد لنا، لا وقرابتي من رسول

١ تفسير العتاشي، محمد بن مسعود بن عتاش (م ٣٢٠ق)، طهران: مكتبة العلمية الإسلامية، ج ١ ص ٢٣٨.

٢ من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، ط مؤسسة النشر الإسلامي التابع لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، ٣/ ٣٦٩.

٣ المرجع السابق، ٣/ ٣٦٩.

٤ تفسير العتاشي، ج ١ ص ٢٣٨.

٥ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، العلامة المجلسي، تحقيق عدة من الأفاضل، دار الكتب الإسلامية، طهران، (٢٥/ ٢٧٣)، عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، طهران، انتشارات جهان، ص ٣٢٦.

٦ بحار الأنوار: ٢٥/ ٣٦٨، وعيون أخبار الرضا عليه السلام، ص ٣١١.

الله ما قلته قط ولا سمعته من أحد من آبائي ولا بلغني عن أحد منهم قاله، لكننا نقول: الناس عبيد لنا في الطاعة، موال لنا في الدين، فليبلغ الشاهد الغائب<sup>(١)</sup>

كان الإمام الرضا يقول في دعائه: (اللهم، إني بريء من الحول والقوة، ولا حول ولا قوة إلا بك. اللهم، إني أعوذ بك، وأبرأ إليك من الذين ادّعوا لنا ما ليس لنا بحق. اللهم، إني أبرأ إليك من الذين قالوا فينا ما لم نقله في أنفسنا. اللهم، لك الخلق ومنك الرزق، وإياك نعبد وإياك نستعين. اللهم، أنت خالقنا وخالق آباؤنا الأولين وآبائنا الآخرين. اللهم، لا تليق الربوبية إلا بك ولا تصلح الإلهية إلا لك، فالعن النصارى الذين صغروا عظمتك، والعن المضاهئين لقولهم من برئتكم. اللهم، إنا عبيدك وأبناء عبيدك، لا نملك لأنفسنا نفعاً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً. اللهم، من زعم أننا أرباب فنحن منه برآء، ومن زعم أن إلينا الخلق وعلينا الرزق فنحن برآء منه، كبرياء عيسى بن مريم عليه السلام من النصارى. اللهم، إننا لم ندعهم إلى ما يزعمون، فلا تؤاخذنا بما يقولون، واغفر لنا ما يدعون، ولا تدع على الأرض منهم دياراً، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً)<sup>(٢)</sup>

### ثانياً - العدالة والمصالح

الخاصية الثانية من خصائص العدالة في الفكر الحضاري للإمام الرضا عليه السلام هي ربطه بين الشرائع الإسلامية والمصالح، وهي مكملية للخاصية السابقة، ذلك أن البعض قد يتوهم بأن تطبيق الشريعة الإلهية تطبيق تعبدية، ولا علاقة له بالمقاصد ولا بالحكم ولا للعلل، وهو مما يسيء إلى الشريعة كثيراً.

ذلك أن الله تعالى منزه عن الظلم، وقد قال في القرآن الكريم: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]

ولهذا يذكر الله تعالى أن كل تشريعاته مرتبطة بعلمه بخلقه، وخبرته بمصالحهم، فيقول: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [المملك: ١٤]، ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف: ١٠ - ١١]

ولهذا يربط الله تعالى بين الشرائع والمصالح المرتبطة بها، ومن الأمثلة على ذلك قوله في مقاصد الصلاة، فقال: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْتَهِي عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]

ومثل ذلك ذكر مقاصد الزكاة، فقال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]

ومثل ذلك ذكر مقاصد الحج، فقال: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقْتَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٢٧ - ٢٨] ومثل ذلك ذكر مقاصد الصيام، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١83)﴾ [البقرة: ١٨٣]

ومثل ذلك ذكر مقاصد الوضوء، فقال: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦]

١ الأملالي، المفيد، محمد بن محمد، قم، إيران، منشورات دار المدرسين في الحوزة العلمية، ط٣، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص ١٤٨.  
٢ بحار الأنوار: ٣٤٣/٢٥، والاعتقادات في دين الإمامية لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق)، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت. - لبنان سنة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، ص ١٠٩.

ومثل ذلك ذكر مقاصد القصاص، فقال: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (179) ﴿البقرة: 179﴾  
ومثل ذلك ذكر مقاصد حد السرقة، فقال: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ  
وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: 38]

وبناء على هذا المنهج القرآني نرى الإمام الرضا يهتم بذكر علل الشرائع المختلفة، ويبين قيامها على المصالح، حتى أننا يمكننا أن نعتبره رائداً في علم المقاصد، متقدماً على الشاطبي وغيره ممن يعتبرونهم رواداً في هذا العلم. وقد عبر الإمام الرضا عن مراعاة الشريعة للمصالح بقوله: (إننا وجدنا كل ما أحل الله فيه صلاح العباد وبقاؤهم، ولهم إليه الحاجة، ووجدنا المحرم من الأشياء لا حاجة بالعباد إليه، ووجدناه مفسداً، ثم رأيناه تعالى قد أحل ما حرم في وقت الحاجة إليه؛ لما فيه من الصلاح في ذلك الوقت، نظير ما أحل من الميتة والدم ولحم الخنزير إذا اضطر إليها المضطر؛ لما في ذلك الوقت من الصلاح والعصمة ودفع الموت<sup>(١)</sup>.)  
ومن الأمثلة على ذلك ما روي عنه في بيان أسرار الحدود الشرعية، وخلوها من الظلم، بل مساهمتها في الحد من الجرائم المختلفة.

فقد قال في علة الحد المرتبط بقذف المحصنات: حرم الله قذف المحصنات لما فيه من فساد الأنساب، ونفي الولد، وإبطال الموارث، وترك التربية، وذهاب المعارف، وما فيه من الكباير والعلل التي تؤدي إلى فساد الخلق<sup>(٢)</sup>.  
وقال في علة اشتراك حد القاذف مع حد شارب الخمر: علة ضرب القاذف، وشارب الخمر ثمانين جلدة، لأن في القذف نفي الولد، وقطع النسل، وذهاب النسب، وكذلك شارب الخمر، لأنه إذا شرب هذى، وإذا هذى، افتري، فوجب عليه حد المفتري<sup>(٣)</sup>.

وقال في علة حد السرقة: علة قطع اليمين من السارق لأنه يباشر الأشياء بيمينه، وهي أفضل أعضائه وأنفعها له، ففعل قطعها نكالا وعبرة للخلق، لئلا يبتغوا أخذ الأموال من غير حلها، ولأنه أكثر ما يباشر السرقة بيمينه، وحرم غضب الأموال وأخذها من غير حلها لما فيه من أنواع الفساد، والفساد محرم لما فيه من الفناء وغير ذلك من وجوه الفساد، وحرم السرقة لما فيها من فساد الأموال وقتل الأنفس لو كانت مباحة، ولما يأتي في التغاصب من القتل والتنازع والتحاسد وما يدعو إلى ترك التجارات والصناعات في المكاسب واقتناء الأموال إذا كان الشيء المقتنى لا يكون أحد أحق به من أحد<sup>(٤)</sup>.

وقال في علة ما ورد من التشريعات المرتبطة بالقضاء والبينة والشهود: العلة في أن البينة في جميع الحقوق على المدعي، واليمين على المدعى عليه ما خلا الدم، لأن المدعى عليه جاحد، ولا يمكنه إقامة البينة على الجحود، لأنه مجهول، وصارت البينة في الدم على المدعى عليه، واليمين على المدعى لأنه حوط يحتاط به المسلمون، لئلا يبطل دم امرئ مسلم، وليكون ذلك زاجراً وناهياً للقتال، لشدة إقامة البينة على الجحود عليه، لأن من يشهد على أنه لم يفعل قليل، وأما علة القسامة أن جعلت خمسين رجلاً فلما في ذلك من التعليل والتشديد والاحتياط، لئلا يهدر دم امرئ مسلم<sup>(٥)</sup>.

١ علل الشرائع - الشيخ الصدوق، ط ١٣٨٦، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ٥٩٢/٤٣.

٢ من لا يحضره الفقيه ٣/٣٧٠.

٣ علل الشرائع ٥٤٥/١، وعيون أخبار الإمام الرضا ٢/٩٧/١.

٤ عيون أخبار الإمام الرضا ٢/٩٦.

٥ علل الشرائع: ٥٤٢/٢، وعيون أخبار الإمام الرضا ٢/٩٦/١.

وقال: العلة في شهادة أربعة في الزنا، واثنين في سائر الحقوق لشدة حد المحصن، لأن فيه القتل، فجعل فيه الشهادة مضاعفة مغالطة، لما فيه من قتل نفسه، وذهاب نسب ولده، لفساد الميراث<sup>(١)</sup>.

وقال في علة تحريم أكل مال اليتيم: حرم الله أكل مال اليتيم ظلماً لعلل كثيرة من وجوه الفساد: أول ذلك أنه إذا أكل الإنسان مال اليتيم ظلماً فقد أعان على قتله، إذ اليتيم غير مستغن ولا محتمل لنفسه ولا قائم بشأنه، ولا له من يقوم عليه ويكفيه قيام والديه فإذا أكل ماله فكأنه قتله وصيره إلى الفقر والفاقة مع ما حرم الله عليه وجعل له من العقوبة في قوله عز وجل: ﴿وَلْيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩]، ولقول الإمام الباقر: ان الله أوعد في أكل مال اليتيم عقوبتين: عقوبة في الدنيا، وعقوبة في الآخرة، ففي تحريم مال اليتيم استبقاء اليتيم واستقلاله بنفسه والسلامة للعقب أن يصيبهم ما أصابه لما أوعد الله من العقوبة مع ما في ذلك من طلب اليتيم بثأره إذا أدرك وقوع الشحنة والعداوة والبغضاء حتى يتفانوا<sup>(٢)</sup>.

وقال في علة تحريم القتل: (حرم الله قتل النفس لعله فساد الخلق في تحليله لو أحل وفنائهم وفساد التدبير<sup>(٣)</sup>.)  
وقال في علة تحريم الخمر: (حرم الله الخمر لما فيها من الفساد، ومن تغيير عقول شاربيها، وحملها إياهم على إنكار الله عز وجل، والفرية عليه وعلى رسله، وسائر ما يكون منهم من الفساد والقتل والقذف والزنا، وقلة الاحتجاج من شيء من المحارم، فبذلك قضينا على كل مسكر من الأشربة أنه حرام محرّم، لأنه يأتي ما عاقبتها ما يأتي من عاقبة الخمر، فليجتنب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتولانا ويتحلل مودتنا كل شراب مسكر، فإنه لا عصمة بيننا وبين شاربيها<sup>(٤)</sup>.)

وقال في علة تحريم الخنزير: وحرم الخنزير، لأنه مشوه، جعله الله عظة للخلق وعبرة وتخويفاً، ودليلاً على ما مسخ على خلقته؛ لأن غذاءه أقدّر الأقدار، مع علل كثيرة، وكذلك حرم القرود، لأنه مسخ مثل الخنزير، وجعل عظة وعبرة للخلق، ودليلاً على ما مسخ على خلقته وصورته، وجعل فيه شبهاً من الإنسان، ليدل على أنه من الخلق المغضوب عليهم، وحرمت الميتة، لما فيها من فساد الأبدان والآفة، ولما أراد الله عز وجل أن يجعل تسميته سبباً للتحليل وفرقاً بين الحلال والحرام، وحرم الله الدم كتحریم الميتة، لما فيه من فساد الأبدان، وأنه يورث الماء الأصفر، ويبخر الفم، وينتثر الريح، ويسيء الخلق ويورث قساوة القلب، وقلة الرأفة والرحمة، حتى لا يؤمن أن يقتل ولده ووالده وصاحبه<sup>(٥)</sup>.

وهكذا بين العدالة المرتبطة بالتفريق بين الذكور والإناث في الميراث، فقد روي أنه قيل له: كيف صار الرجل إذا مات وولده من القرابة سواء، يرث النساء نصف ميراث الرجال، وهن أضعف من الرجال، وأقل حيلة؟ فقال: لأن النساء يرجعن عيالاً على الرجال<sup>(٦)</sup>.

وروي أنه قال: (علة إعطاء النساء نصف ما يعطى الرجال من الميراث، لأن المرأة إذا تزوجت أخذت، والرجل يعطي، فلذلك وفر على الرجال، وعلة أخرى في إعطاء الذكر مثلي ما تعطى الأنثى لأن الأنثى، في عيال الذكر إن

١ علل الشرائع: ٥١٠/٢.

٢ من لا يحضره الفقيه: ٣/٣٧٠/١٧٤٨.

٣ من لا يحضره الفقيه ٣/٣٦٩/١٧٤٨.

٤ علل الشرائع ٤٧٥/١، وعيون أخبار الإمام الرضا ٢/٩٨/٢.

٥ علل الشرائع: ٤٨٤/٤، وعيون أخبار الإمام الرضا ٢/٩٤/١.

٦ الكافي، الكليني، مطبعة الحيدري طهران - إيران سنة ١٣٧٧ هـ، ٧/١٨٤/١.

احتاجت وعليه أن يعولها وعليه نفقتها، وليس على المرأة أن تعول الرجل ولا تؤخذ بنفقتها إن احتاج، فوفر على الرجال لذلك، وذلك قول الله عز وجل: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤]<sup>(١)</sup>

وهكذا نراه في كل الشرائع الإلهية يبين وجوه المصالح المرتبطة بها، ومن الأمثلة على ذلك قوله في علة الصلاة: (علة الصلاة أنها إقرار بالربوبية لله عز وجل، وخلع الأنداد، وقيام بين يدي الجبار جل جلاله بالذل والمسكنة والخضوع والاعتراف، والطلب للإقالة من سالف الذنوب، ووضع الوجه على الأرض كل يوم إعظماً لله عز وجل، وأن يكون ذكراً غير نابس ولا بطير، ويكون خاشعاً متذليلاً راغباً، طالباً للزيادة في الدين والدنيا، مع ما فيه من الإيجاب والمداومة على ذكر الله عز وجل بالليل والنهار لثلاً ينسى العبد سيده ومدبره وخالفه، فيبطر ويطنغي، ويكون في ذكره لرته، وقيامه بين يديه، زجراً له عن المعاصي، ومانعاً له عن أنواع الفساد)<sup>(٢)</sup>.

وقال: إنما أمروا بالصلاة لأن في الصلاة الإقرار بالربوبية، وهو صلاح عام، لأن فيه خلع الأنداد والقيام بين يدي الجبار<sup>(٣)</sup>.

وهذا يدل على اعتبار السؤال، والبحث في العلل، وأن شريعة الله تعالى كلها مصالح ورحمة وعدالة، وفي كل الشؤون، وهو ما ينفي عنها ما يتوهمه المعاندون من كونها شريعة تسلط وهيمنة، وأن العبد فيها مأمور بالتنفيذ فقط، ومن دون وعي لما يقوم به.

### ثالثاً - العدالة والمسؤولية

الخاصية الثالثة من خصائص العدالة في الفكر الحضاري للإمام الرضا عليه السلام هي دعوة جميع المسلمين لتحمل مسؤولياتهم نحو تحقيق العدالة، وبحسب ما أوتوا من الطاقات.

وهذا يشمل كل ما ورد الأمر به في القرآن الكريم من الدعوة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمناصحة، وغيرها، ومن أقوال الإمام الرضا في هذا: لتأمرن بالمعروف، ولتنهين عن المنكر، أو ليستعملن عليكم شراكم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم<sup>(٤)</sup>.

وهو يشمل كذلك الدعوة إلى الله تعالى، لأنه لا يمكن أن تتحقق العدالة من دون الالتزام الديني والأخلاقي، ومما يروى عن الإمام الرضا في هذا أنه قيل له: لم سمي الحواريون الحواريين؟ فقال: أما عند الناس فإنهم سمو حواريين لأنهم كانوا قصارين يخلصون الثياب من الوسخ بالغسل وهو اسم مشتق من الخبز الحوار، وأما عندنا فسموا الحواريون الحواريين لأنهم كانوا مخلصين في أنفسهم، ومخلصين لغيرهم من أوساخ الذنوب بالوعظ والتذكير<sup>(٥)</sup>.

وهو يشمل كذلك النصح للمسلمين، وقد ذكر الإمام الرضا خطورة التقصير في ذلك، فقال: من مشى في حاجة أخيه فلم ينصحه، كان كمن حارب الله ورسوله<sup>(٦)</sup>.

١ من لا يحضره الفقيه: ٤/ ٢٥٣ / ١٤٤.

٢ المرجع السابق: ١/ ١٣٩ / ٦٤٥.

٣ عيون أخبار الإمام الرضا: ٢/ ١٠٣، وعلل الشرائع: ٢٥٦.

٤ الكافي ٥/ ١١ / ٣.

٥ علل الشرائع: ٨٠ / ١، وعيون أخبار الإمام الرضا ٢/ ٧٩ / ١٠.

٦ الفقه المنسوب للإمام الرضا المشتهر بفقه الرضا، علي الرضا بن موسى، مشهد: الناشئ: المؤتمر العالمي للإمام الرضا، ص ٣٦٩.



وقال في حديث آخر: حق المؤمن على المؤمن، أن يحضه النصيحة - في المشهد والمغيب - كنصيحته لنفسه<sup>(١)</sup>.

ولم يكتف الإمام الرضا بهذا، بل إنه حذر من السكون للظلمة، أو الرضا عن أفعالهم، لأن ذلك يجعل من الساکت الراضي ظالما، ومما يروى عنه في هذا أنه قيل له: لأي علة أغرق الله عز وجل الدنيا كلها في زمن نوح عليه السلام وفيهم الأطفال ومن لا ذنب له؟ فقال: ما كان فيهم الأطفال لأن الله عز وجل أعقم أصلاب قوم نوح وأرحام نسايتهم أربعين عاما فانقطع نسلهم فغرقوا ولا طفل فيهم، ما كان الله ليهلك بعذابه من لا ذنب له، وأما الباقون من قوم نوح فغرقوا بتكذيبهم لنبي الله نوح عليه السلام وسائرهم أغرقوا برضاهم بتكذيب المكذبين، ومن غاب عن أمر فرضي به كان كمن شاهده وأتاه<sup>(٢)</sup>.

وبما أن أداء أمثال هذه المسؤوليات يرتبط به أنواع الأذى، فإننا نجد الإمام الرضا ينتهج منهج القرآن الكريم في الدعوة للجمع بين الصبر وهذه المسؤوليات، فمما يروى عنه في ذلك قوله: سبعة أشياء بغير سبعة أشياء من الاستهزاء: من استغفر بلسانه ولم يندم فقد استهزأ بنفسه، ومن سأل الله التوفيق ولم يجتهد فقد استهزأ بنفسه، ومن استحزم ولم يحذر فقد استهزأ بنفسه، ومن سأل الله الجنة ولم يصبر على الشدائد فقد استهزأ بنفسه، ومن تعوذ بالله من النار ولم يترك الشهوات فقد استهزأ بنفسه، ومن ذكر الله ولم يستبق إلى لقاءه فقد استهزأ بنفسه<sup>(٣)</sup>.

#### رابعاً - العدالة والواقعية

الخاصية الرابعة من خصائص العدالة في الفكر الحضاري للإمام الرضا عليه السلام هي مراعاة الواقع عند رعاية المصالح المختلفة، والتي تحتاجها الرعية، وخاصة الضرورية منها، ولو اضطر الأمر إلى التعامل مع الحكومات الكافرة أو الظالمة.

وقد أشار الله تعالى إلى شرعية ذلك عندما ذكر طلب يوسف عليه السلام العمل في الحكومة المصرية، خدمة لمصالح الناس، كما قال تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمٍ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوهُ مِنْهَا حَيْثُ شَاءَ نَصِيبٌ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٥ - ٥٦]

وقد استدلل الإمام الرضا بهذا عند اضطراره لقبول ولاية العهد، فقد روي أن بعضهم قال له: أصلحك الله كيف صرت إلى ما صرت إليه من المأمون؟ فقال له: يا هذا أيما أفضل النبي أو الوصي؟ فقال: لا بل النبي، فقال: أيما أفضل مسلم أو مشرك؟ فقال: لا بل مسلم، قال: فإن العزيز عزيز مصر كان مشركا، وكان يوسف عليه السلام نبيا، وإن المأمون مسلم وأنا وصي، ويوسف سأل العزيز أن يوليه حين قال: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمٍ﴾ [يوسف: ٥٥] وأنا أجبرت على ذلك<sup>(٤)</sup>.

وعن الريان بن الصلت قال: دخلت على الإمام الرضا، فقلت له: يا ابن رسول الله، إن الناس يقولون: إنك قبلت ولاية العهد مع إظهارك الزهد في الدنيا، فقال: قد علم الله كراهتي لذلك، فلما خيرت بين قبول ذلك وبين القتل اخترت القبول على القتل، ويحهم أما علموا أن يوسف عليه السلام كان نبيا رسولا فلما دفعته الضرورة إلى

١ المرجع السابق، ص ٣٦٩.

٢ علل الشرائع: ٣٠٠/١، وعيون أخبار الإمام الرضا ٢/٧٥.

٣ كنز الفوائد الكاتب: كراچكي، محمد بن علي، قم، مكتبة المصطفوي: ١/٣٣٠.

٤ علل الشرائع: ٢/٣٣٨، وعيون أخبار الإمام الرضا ٢/١٣٨/١.

تولي خزائن العزيز قال له: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ﴾ [يوسف: ٥٥]، ودفعتني الضرورة إلى قبول ذلك على إكراه وإجبار بعد الإشراف على الهلاك، على أنني ما دخلت في هذا الأمر إلا دخول خارج منه، فيلبي الله المشتكى وهو المستعان<sup>(١)</sup>.

ومن هذا الباب أيضا ما روي عنه من جواز العمل عند السلطان الظالم، مع ما روي عنه في النهي عنه، فقد حدّث الحسن بن الحسين الأنباري قال: كتبت إلى الإمام الرضا أربعة عشر سنة استأذنه في عمل السلطان، فلما كان في آخر كتاب كتبت به إليه أذكر أنني أخاف على خبط عنقي وأن السلطان يقول لي: إنك رافضي ولسنا نشك في أنك تركت العمل للسلطان للرفض، فكتب إلي: (قد فهمت كتابك وما ذكرت من الخوف على نفسك فإن كنت تعلم أنك إذا وليت عملت في عملك بما أمر به رسول الله ثمّ تصير أعوانك وكتائبك أهل ملتك فإذا صار إليك شيء وأسيت به فقراء المؤمنين حتى تكون واحدا منهم كان ذا بدا وإلا فلا)<sup>(٢)</sup>

وروي أنه قال: (إن لله مع السلطان أولياء يدفع بهم عن أوليائه. أولئك عتقاء الله من النار)<sup>(٣)</sup>

ومن هذا الباب أيضا ما روي من ردوده على المتنطعين المتطرفين ببيان يسر الدين ورفع الحرج، فقد روي عنه أنه قال: (إن الله تعالى يبغض القبيل والقال، وإيضاع المال وكثرة السؤال. إن بني إسرائيل شدّدوا شدّدوا الله عليهم، قال لهم موسى عليه السلام: اذبحوا بقرة، قالوا: ما لونها؟ فلم يزالوا شدّدوا حتى ذبحوا بقرة يملأ جلدوها ذهباً، ثم قال: (إن الحكماء ضيّعوا الحكمة لما وضعوها عند غير أهلها)<sup>(٤)</sup>

وقال في اعتبار رفع الحرج، ومراعاة المراتب: (إنما أمروا بحجة واحدة لا أكثر من ذلك، لأن الله وضع الفرائض على أدنى القوة، كما قال: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٩٦] يعني شاة، ليسع القوي والضعيف، وكذلك سائر الفرائض إنما وضعت على أدنى القوم قوة، فكان من تلك الفرائض الحج المفروض واحدا، ثم رغب بعد أهل القوة بقدر طاقتهم)<sup>(٥)</sup>

وقال في أحكام الحج: (إنما أمروا بالحج لعل الوفاة إلى الله عز وجل وطلب الزيادة، والخروج من كل ما اقترب العبد تائباً مما مضى، مستأنفاً لما يستقبل، مع ما فيه من إخراج الأموال، وتعب الأبدان، والاشتغال عن الأهل والولد، وحظر النفس عن اللذات شاخصاً في الحر والبرد، ثابتاً على ذلك دائماً، مع الخضوع والاستكانة والتذلل، مع ما في ذلك لجميع الخلق من المنافع لجميع من في شرق الأرض وغربها، ومن في البر والبحر، ممن يحج وممن لم يحج، من بين تاجر وجالب وبائع ومشتري وكاسب ومسكين ومكار وفقير، وقضاء حوائج أهل الأطراف في المواضع الممكن لهم الاجتماع فيه، مع ما فيه من التفقه ونقل أخبار الأئمة إلى كل صقع وناحية، كما قال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفْرٌ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢] و﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٨]<sup>(٦)</sup>

١ علل الشرائع: ٣٧٣/٣، وعيون أخبار الإمام الرضا ٢/ ١٣٩/٢.

٢ الكافي ج ٥ ص ١١٢.

٣ مشكاة الأنوار في غرر الأخبار لأبي الفضل علي الطبرسي، الطبعة الأولى، دار الحديث، سنة ١٤١٨ هـ، ص ٣١٦.

٤ قصص الأنبياء، قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي، مؤسسة الهادي، سنة ١٤١٨ هـ، ص ١٦٠.

٥ علل الشرائع: ٣٧٣، وعيون أخبار الإمام الرضا: ٩٠/٢.

٦ علل الشرائع: ٣٧٣، وعيون أخبار الإمام الرضا: ١١٩/٢.

ومن هذا الباب أيضا ما روي من ردوده على المتشددين الذين ظهروا في عصره، فراحوا يتشددون في الموقف من اللباس، حيث روي عنه أنه قال: (لإن الله تبارك وتعالى يحب الجمال والتجمل، ويبغض البؤس والتبؤس، وإن الله عز وجل يبغض من الرجال القاذورة، وإنه إذا أنعم على عبده نعمة أحب أن يرى أثر ذلك النعمة)<sup>(١)</sup> وعنه، قال: قال أبي: ما تقول في اللباس الحسن؟ فقلت: بلغني أن الحسن كان يلبس، وأن جعفر بن محمد كان يأخذ الثوب الجديد فيأمر به فيغمس في الماء، فقال لي: البس وتجمل، فإن علي بن الحسين كان يلبس الحبة الخبز بخمسائة درهم، والمطرف الخبز بخمسين دينارا، فيشتو فيه، فإذا خرج الشتاء باعه فتصدق بثمنه، وتلا هذه الآية: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]<sup>(٢)</sup> ومن هذا الباب أيضا ما روي من فتاواه الكثيرة، والمرتبطة بما يحصل في الواقع، ومن ذلك إجازة القتل للدفاع عن النفس، بناء على تقصير الحكومات في ذلك، فقد روي عنه أنه قيل له: الرجل يكون في السفر ومعه امرأته فيجيء قوم يريدون أخذها أئمنهم من أن تؤخذ وإن خاف على نفسه القتل؟ قال: نعم، قيل: وكذلك الأم والبنات وابنة العم والقرابة يمنعن وإن خاف على نفسه القتل؟ قال: نعم، وكذلك المال يريدون أخذه في سفر فيمنعه وإن خاف القتل؟ قال: نعم.<sup>(٣)</sup>

وروي أنه قيل له: لص دخل على امرأة وهي حبلى فقتل ما في بطنها، فعمدت المرأة إلى سكين فوجأتها بها فقتلته، فقال: هدر دم اللص.<sup>(٤)</sup>

وروي أنه قيل له: رجل استغاث به قوم لينقذهم من قوم يغيرون عليهم ليستبيحوا أموالهم ويسبوا ذراريهم، فخرج الرجل يعدو بسلاحه في جوف الليل ليغيث القوم الذين استغاثوا به، فمر برجل قائم على شفير بئر يستقي منها فدفعه وهو لا يريد ذلك ولا يعلم فسقط في البئر فمات، ومضى الرجل فاستنقذ أموال أولئك القوم الذين استغاثوا به، فلما انصرف إلى أهله، قالوا له: ما صنعت؟ قال: قد انصرف القوم عنهم وأمنوا وسلموا، فقالوا له: أشعرت أن فلان بن فلان سقط في البئر فمات؟ فقال: وأنا والله طرحته، قيل: وكيف ذلك؟ فقال: إني خرجت أعدو بسلاحي في ظلمة الليل وأنا أخاف الفوت على القوم الذين استغاثوا بي، فمررت بفلان وهو قائم يستقي من البئر فزحمته ولم أزد ذلك فسقط في البئر فمات، فعلى من دية هذا؟ فقال الإمام الرضا: ديته على القوم الذين استنجدوا الرجل فأنجدهم وأنقذ أموالهم ونساءهم وذراريهم، أما أنه لو كان بأجرة لكانت الدية عليه وعلى عاقلته دونهم.<sup>(٥)</sup>

وروي أنه قال: والجهاد واجب مع إمام عادل، ومن قاتل فقتل دون ماله ورحله ونفسه فهو شهيد، ولا يحل قتل أحد من الكفار في دار التقية إلا قاتل أو باغ وذلك إذا لم تحذر على نفسك، ولا أكل أموال الناس من المخالفين وغيرهم، والتقية في دار التقية واجبة، ولا حث على من حلف تقية يدفع بها ظلما عن نفسه.<sup>(٦)</sup>

١ فقه الإمام الرضا، ص ٣٥٤.

٢ قرب الإسناد، أبو العباس عبد الله بن جعفر الحميري، الطبعة الأولى، مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث، سنة ١٤١٣ هـ، ص ١٥٧.

٣ الكافي: ٥ / ٥٢ / ٥.

٤ من لا يحضره الفقيه: ٤ / ١٢٢ / ٤٢٣.

٥ الكافي: ٧ / ١٣٦٩ / ١.

٦ تحف العقول: ٣١٣.

## الخاتمة

من خلال هذا العرض الموجز لخصائص العدالة في الفكر الحضاري للإمام الرضا عليه السلام، ومن خلال نماذج الروايات التي رويت عنه، نستنتج النتائج التالية:

١. أن العدالة بمفهومها القرآني لا يمكن أن تتحقق في الواقع إلا من خلال العودة للمصادر الأصلية للدين، ابتداء بالقرآن الكريم، وانتهاء بكل وسائل الهداية، سواء كانت نبوة أو ولاية أو ما هو نابع منهما مستق منها، مكتف بهما.
٢. أن الحضارة الإسلامية بصورتها التاريخية لا تمثل القيم الإسلامية بالضرورة، وخاصة في جانب العدالة منها؛ ولذلك فإن ربطها بالإسلام تهمة وإساءة له، خاصة وأن رسول الله أخير عن التحريف والتغيير الذي يحصل من بعده.
٣. أن العدالة - كما تقتضي أن يكون مصدرها مقدسا - فإن المكلف بتطبيقها في الأمة يحتاج أيضا أن يكون طاهرا، وله القدرة على فهم القرآن الكريم، وفهم الشريعة، وفهم مقتضيات العدالة، ولذلك فإن النظام الديمقراطي المبني على الاختيارات المبنية على الأهواء لا يمكن أن تحقق العدالة، ولو بحدودها الدنيا.
٤. أن الشريعة الإسلامية، وفي كل التعاليم المرتبطة بها، تخدم المصالح المختلفة، وبأجمل صورة، فلذلك لا حاجة للجوء لغيرها، لأن كل إضافة خارجية عنها قد تدنسها، أو تسيء إليها، كما دل على ذلك التاريخ والواقع.
٥. أن العدالة مسؤولية وتكليف إلهي مرتبط بالأمة جميعا؛ فعليها أن تسعى لتحقيقها عبر الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة وغيرها.
٦. أن الشريعة الإسلامية راعت الواقع، وفي كل الجوانب؛ فلذلك لم تكلف الخلق بما لا يطيقون، بل راعت الظروف المختلفة.

## المصادر والمراجع

١. الاعتقادات في دين الإمامية لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق)، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان سنة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
٢. الأمالي، المفيد، محمد بن محمد، قم، إيران، منشورات دار المدرسين في الحوزة العلمية، ط ٢، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.
٣. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، العلامة المجلسي، تحقيق عدة من الأفاضل، دار الكتب الإسلامية، طهران.
٤. تفسير العياشي، محمد بن مسعود بن عياش (م ٣٢٠ ق)، طهران: مكتبة العلميّة الإسلاميّة.
٥. علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ط ١٣٨٦، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف.
٦. عيون أخبار الرضا عليه السلام لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان سنة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
٧. عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، طهران، انتشارات جهان.

٨. عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري، دار الكتاب العربي، بيروت.
٩. الغياثي غياث الأمم في التياث الظلم، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين، المحقق: عبد العظيم الديب، مكتبة إمام الحرمين، الطبعة: الثانية، ١٤٠١ هـ.
١٠. الفقه المنسوب للإمام الرضا المشتهر بفقهِ الرضا، علي الرضا بن موسى، مشهد: الناشر: المؤتمر العالمي للإمام الرضا.
١١. قرب الإسناد، أبو العباس عبد الله بن جعفر الحميري، الطبعة الأولى، مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث، سنة ١٤١٣ هـ.
١٢. قصص الأنبياء، قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي، مؤسسة الهادي، سنة ١٤١٨ هـ.
١٣. الكافي، الكليني، مطبعة الحيدري طهران - إيران سنة ١٣٧٧ هـ.
١٤. كنز الفوائد الكاتب: كراچكي، محمد بن علي، قم، مكتبة المصطفوي.
١٥. المحاسن، ابن جعفر محمد بن خالد البرقي، دار الكتب الإسلامية، طهران.
١٦. المستدرک علی الصحیحین، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، حققه مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١.
١٧. مسند أحمد، أحمد بن حنبل، دار الفكر، بيروت.
١٨. مشكاة الأنوار في غرر الأخبار لأبي الفضل علي الطبرسي، الطبعة الأولى، دار الحديث، سنة ١٤١٨ هـ.
١٩. مفاتيح الغيب (تفسير الرازي، التفسير الكبير)، الفخر الرازي، محمد بن عمر، بيروت، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م.
٢٠. من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، ط مؤسسة النشر الإسلامي التابع لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.

## حقوق الإنسان في سيرة الإمام علي بن موسى الرضا (ع)

### إياد محمد علي الأرنؤوطي<sup>1</sup>

#### خلاصة البحث

يتضمن البحث مقدمة ومفهوم (الحق) في اللغة والاصطلاح تفصيلاً، والاستعانة بخطبة لأمير المؤمنين علي (ع) في نهج البلاغة في تبيين الحق، وطرفيه، وجهة تشريعه، وتاريخ وعي الإنسان الفطري لحقوقه، وانتهاكها، وما شهدته الحياة الإنسانية من اختلافات، تحولت إلى صراعات دامية، كما أخبر القرآن الكريم بذلك، وفسّره العلامة الطباطبائي في (الميزان).

ثم مفهوم حقوق الإنسان في العصرين: القديم الذي يمتد إلى ما قبل الميلاد؛ حيث حضارة بلاد الرافدين في سومر وبابل، وحضارة الهند، وما قدّمه مفكرو الحضارات اليونانية والرومانية من إسهامات كبيرة في ميدان حقوق الإنسان؛ والعصر الحديث الذي يشمل القرنين: الحالي والسابق، والوقوف تفصيلاً على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وما سجّله عليه آية الله الشيخ محمد تقي المصباح البيزدي قدس سرّه من مؤاخذات، تضمّنها كتابه: (النظرية الحقوقية في الإسلام)، ومنها ما تضمّنه هذا الإعلان من تناقضات، وما عجز عن الإجابة عنه من تساؤلات. ويقف البحث على سبق الرسالة الإسلامية ممثلة بالقرآن الكريم وسنة المعصومين الأربعة عشر في هذا الميدان، بل فاق ما تضمّنه الإعلان كمّاً ونوعاً؛ هذا هو الجانب النظري في البحث.

أما الجانب التطبيقي فيعرض مفاهيم حقوق الإنسان الأسس: كحق الحياة، وحق الكرامة، وحق المساواة في الحقوق العامة، ويقف البحث على مفهوم كل منها، في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وفي الشريعة الإسلامية، ويورد مواضعها في أحاديث الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام)، التي وردت في الأقوال، والمواقف العملية للإمام (عليه السلام)، التي ترجمت هذه الحقوق واقعاً، كلا في موضعه. وقد يعرّج البحث على نصوص الأئمة الأطهار من أجداد الإمام الرضا (عليه السلام) مؤكداً أنهم نور واحد، وشجرة واحدة، طابت وطهرت، ولا سيما إذا كانت تؤلّف وحدة متكاملة مع النص الرضوي، مع مراعاة محورية أحاديث الإمام الرضا (عليه السلام)، بوصفها موضوع البحث.

**الكلمات المفتاحية:** الإمام الرضا (ع)، حقوق الإنسان، حق الحياة، حق المساواة.

<sup>1</sup> العراق، الاستاذ الدكتور جامعة بغداد، eyadmohammed1961@gmail.com

## مقدمة

على الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها الدارسون لتراث الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، إلا أن كثيراً من درر سيرهم العطرة ما زال ينتظر من يستخلصه من بحار علومهم؛ هذا من جانب، ومن جانب آخر، بهرت بهارج الحضارة الغربية عقول كثير من المسلمين، حتى لم يروا فيها إلا ما هو إيجابي ومشرق، وراحو ينسبون إليها كثيراً من المحاسن التي سبقها إليها الإسلام العظيم ممثلاً بالكتاب المجيد، وسير المعصومين (عليهم السلام). وسعيًا لإماطة اللثام عن بعض جواهر التراث المقدس لأهل البيت (ع) عامة، والإمام الرضا (ع) خاصة، كان هذا البحث المتواضع في موضوع (حقوق الإنسان).

## الحق في اللغة

قال الراغب الأصفهاني: "أصل الحق: المطابقة والموافقة... والحق يقال على أوجه:

الأول: يقال للموجد الشيء بسبب ما تقتضيه الحكمة، ولهذا قيل في الله تعالى: هو الحق، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ﴾<sup>١</sup>، وقيل بعيد ذلك: ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعُدَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصِرُّونَ﴾<sup>٢</sup>

والثاني: يقال للموجد بحسب مقتضى الحكمة، ولهذا يقال فعل الله تعالى كله حق، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾<sup>٣</sup>

والثالث: في الاعتقاد للشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه، كقولنا: اعتقاد فلان في البعث والثواب والعقاب والجنة والنار حق، قال الله تعالى: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾<sup>٤</sup>.

والرابع: للفعل، والقول الواقع بحسب ما يجب، ويقدر ما يجب، وفي الوقت الذي يجب، كقولنا: فعلك حق، وقولك حق، قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾<sup>٥</sup> - ﴿حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾<sup>٦</sup>. وقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ﴾<sup>٧</sup> يصح أن يكون المراد به: الله تعالى، ويصح أن يراد به: الحكم الذي هو بحسب مقتضى الحكمة.

ويقال أحققت كذا، أي أثبتته حقاً، أو حكمت بكونه حقاً، وقوله تعالى: ﴿لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ﴾<sup>٨</sup> فإحقيق الحق على ضربين:

أحدهما: بإظهار الأدلة والآيات... .

والثاني: بإكمال الشريعة وببناها... كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُظْفَرُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾<sup>٩</sup> - ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾<sup>١٠</sup>، وقوله:

١ الأنعام: ٦٢

٢ يونس: ٣٢

٣ يونس: ٥

٤ البقرة: ١١٣

٥ يونس: ٣٣

٦ السجدة: ١٣

٧ المؤمنون: ٧١

٨ الأنفال: ٨

٩ الصف: ٨

١٠ التوبة: ٣٣

﴿الْحَاقَّةُ﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿إشارة إلى القيامة كما فسره بقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ﴾<sup>١</sup> لأنه يحق فيه الجزاء، ويقال: حاقفته فحقفته، أي: خاصمته في الحق فغلبته... . ويستعمل استعمال الواجب، واللازم، والجائر، نحو ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>٢</sup>.

ومن التأمل في المعاني التي تتحرك فيهما المفردة يتضح أن معنى الواجب للإنسان على غيره، هو الأقرب للمراد من (الحق) في المركب الإضافي (حقوق الإنسان)، وأنه:

١- لا بد من طرفين، أحدهما: له الحق، والآخر: مكلف عليه الحق، فهما متضايقان لا يعقل أحدهما من دون الآخر.

٢- لا بد من مرجعية للحق، سواء أكانت هذه المرجعية العقل الحاكم بالأدلة، أو جهة لها حق التشريع.

أما مفهوم الإنسان فشيوع المعنى العرفي للمفردة، وانطباقه على مصداقها الشائع يغنيانا عن تتبع معناها في مصادر اللغة.

### الحقوق في الحياة الإنسانية

أفاض أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في الحديث عن الحقوق في الحياة الإنسانية في خطبة له، فقال: " أَمَّا بَعْدُ... فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الْأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ، وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ، لَا يَجْرِي لِأَحَدٍ إِلَّا جَرَى عَلَيْهِ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلَّا جَرَى لَهُ، وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلَا يَجْرِيَ عَلَيْهِ، لَكَانَ ذَلِكَ خَالِصًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ، لِقُدْرَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ، وَلَكِنَّهُ جَعَلَ حَقَّ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةً الثَّوَابِ تَفَضُّلاً مِنْهُ، وَتَوَسُّعاً بِمَا هُوَ مِنَ الْمَزِيدِ أَهْلُهُ، ثُمَّ جَعَلَ - سُبْحَانَهُ - مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقاً افْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ، فَجَعَلَهَا تَنَكُّافاً فِي وُجُوهِهَا، وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَلَا يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ"<sup>٥</sup>

ومن هذه الخطبة تتضح رؤية أمير المؤمنين عليه السلام في مسألة الحقوق، وهذه فحواها:

١- أن الحقوق مجعولة من الله تعالى، فله وحده حق تشريعها في الإسلام.

٢- على رغم حلاوة الحق في الكلام، لكن في الإنسان ميل غريزي لإجحاف حقوق غيره، " فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الْأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ، وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ"

٢- تضاييف الحقوق سنة الهيبة مطردة لا يستثنى منها مخلوق، فمن وجب له حق على أحد، وجب عليه حق تجاهه " لَا يَجْرِي لِأَحَدٍ إِلَّا جَرَى عَلَيْهِ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلَّا جَرَى لَهُ".

٣- لم يستثن الله تعالى ذاته المقدسة من هذه السنة المطردة، إذ جعل لنفسه حقوقاً على خلقه، وحمل لخلقه حقوقاً عليه، تفضلاً من ورحمة.

وجاء في الحديث الشريف عن معاذ بن جبل: "يا معاذ بن جبل، هل تدري ما حق الله على عباده، وما حق العباد على الله؟ فإن حق الله على العباد: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله: أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً"<sup>٦</sup>

١ الحاققة: ١

٢ المطففين: ٦

٣ الروم: ٤٧

٤ مفردات غريب القرآن ١٢٥ ١٢٦

٥ نهج البلاغة، ٢١٦، ص ٣٣٣

٦ كنز العمال: ١/ ٧٢، الحديث ٢٨٣



- ٤- لو كان الحق يجري لأحد، ولا يجري عليه، لكان الأجدر بذلك هو الله تعالى، لسببين: "الأول: أنه القادر المطلق، فلا يعجزه شيء، يستطيع أن يقهر عباده على حقوقه، ويحملهم عليها، ولا يعطيهم شيئاً، وأما غيره فلا يملك ذلك.
- الثاني: أنه لو لم يجزهم بأعمالهم، ومع ذلك كلّفهم بها لكان عادلاً، لأنّ له من النعم على العباد ما لو عبده مدى الدهر لم يوفوه حقّ نعمة واحدة منها"<sup>١</sup>
- ٥- جعل الله تعالى من حقوقه حقوقاً لبعض الناس على بعض، فهي حقوق مزدوجة الجانب، من انتهكها انتهك حقّين، أحدهما لله الذي افترضها، والآخر للطرف الذي افترض الله له الحق.
- ٦- لا تستقيم الحياة الإنسانية وتصلح إلا برعاية الحقوق، حقّ الله، والحقوق المتبادلة بين البشر، التي هي من وجه آخر حقوق لله.
- ولالإمام زين العابدين (عليه السلام) رسالة نفيسة معروفة بـ (رسالة الحقوق)، تضمنت كثيراً من الحقوق المتبادلة للإنسان الفرد، ما له وما عليه.

### (حقوق الإنسان) في التاريخ القديم

إذا كانت الدعوة إلى احترام حقوق الإنسان، بمصطلحها هذا، وليدة النهضة المعاصرة، فإنّ جذورها تمتد عميقاً في التاريخ الإنساني، فالتنازع في العيش على هذه الأرض، يقتضي العداوة، المنصوص عليها في ثلاث آيات من كتاب الله، هي قوله سبحانه: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾<sup>٢</sup>، وقوله سبحانه: ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾<sup>٣</sup>، وقوله سبحانه: ﴿قَالَ اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّْي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾<sup>٤</sup>؛ فكلما قوي إنسان على آخر ضعف أثر التعاون الاجتماعي، وحكم العدل، فلا يراعيه القوي في حق الضعيف، وعلى ذلك جرت أحداث التاريخ إلى يومنا هذا، الذي يدعي أنه عصر الحضارة والحرية. فالإنسان محب لذاته بطبيعته، ظلوم جهول، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَتَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾<sup>٥</sup>؛ فصار القوي يستفيد من الضعيف أكثر مما يفيد، وينتفع الغالب من المغلوب من غير أن ينفعه، ويقابله الضعيف المغلوب ما دام ضعيفاً مغلوباً بالحيطة والمكيدة والخدعة، فإذا قوي وغلب قابل ظالمه بأشد الانتقام، فكان بروز الاختلاف مؤدياً إلى انتهاك حقوق الإنسان، وفناء الفطرة، وانتفاء السعادة. وهذا الاختلاف ضروري الوقوع بين أفراد المجتمع الإنساني نظراً لطبيعة حياة البشر من جانب، والفروق الفردية بين البشر من جانب آخر، وظهور هذا الاختلاف هو الذي استدعى تشريع قوانين كلية يوجب العمل بها ارتفاع الاختلاف، ونيل كل ذي حق حقه، وفرضها على الناس. ولرفع الاختلاف بين الناس عن طريق تشريع القوانين ثلاثة طرق، هي:<sup>٦</sup>

١ شرح نهج البلاغة (الموسوي) ٣/ ٤٩٧

٢ البقرة: ٣٦

٣ الأعراف: ٢٤

٤ طه: ١٢٣

٥ الأحزاب: ٧٢

٦ ينظر: الميزان في تفسير القرآن ٢/ ١١٩، ١٢١.

الأول: سيادة القوانين المبنية على الأعراف الاجتماعية مع إلغاء المعارف الدينية، من التوحيد والأخلاق الفاضلة، فالأخلاق تابعة للتطور الاجتماعي، فما وافق حال المجتمع من الأخلاق فهو الخلق الفاضل، فيوما العفة، ويوما الخلاعة، ويوما الصدق، ويوما الكذب، ويوما الأمانة، ويوما الخيانة، وهكذا.

الثاني: فرض القوانين على المجتمع عن طريق التربية الأخلاقية، مع إلغاء المعارف الدينية أيضا. وكلا الطريقتين فاشل في تحقيق سعادة الإنسان، فإن هذا الإنسان مخلوق لله، متعلق الوجود به سبحانه، بدأ من عنده، وسيعود إليه، وإغفال المعارف الدينية إغفال للغاية التي خلق لأجلها الخلق، وللمصير الذي سيؤولون إليه.

الثالث: التشريع الإلهي المبني على عقيدة التوحيد التي بعث بها النبيون، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اٰخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اٰخْتَلَفَ فِيهِ اِلَّا الَّذِينَ اُوْتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ اٰمَنُوا لِمَا اٰخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِاِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ اِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>١</sup>، هذا التشريع قائم على أساس أن للإنسان حياة باقية بعد الارتحال من هذه الدنيا، حياة طويلة الأمد، وهي مرتبة على هذه الحياة الدنيوية، وكيفية سلوك الإنسان فيها، فإذا بنى الإنسان حياته في هذه الدنيا على نسيان توحيد الله، فقد أهلك نفسه، إن القافلة البشرية على جناح سفر، ومن الواجب على المسافر أن يراعي في جميع أحواله حال وطنه، وغاية سفره التي يريد لها، وهي الحياة الآخرة، فإذا نسي الإنسان ذلك ضل وهلك.

لذا شرع الله سبحانه ما شرعه من الشرائع على أساس التوحيد، أي على أساس تعليم الناس وتعريفهم حقيقة أمرهم من مبدئهم إلى معادهم، وأنهم يجب أن يسلكوا في هذه الدنيا حياة تنفعهم في غده، ويعملوا في العاجل ما يعيشون به في الآجل، وقرن سبحانه بعثة الأنبياء بالتبشير والإنذار، بإنزال الكتاب المشتمل على الأحكام والشرائع الرفاعة لاختلافهم، فالذين رفضوا التشريع الإلهي رفضوا الإيمان بالمعاد، قال تعالى على لسانهم: ﴿إِنْ هِيَ اِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾<sup>٢</sup>، فإنهم إنما كانوا يصرون على قولهم ذلك، لا لدفع القول بالمعاد حسب، بل لأن القول بالمعاد والدعوة إليه يقتضي طاعة قوانين دينية مشتملة على أحكام تشريعية: من العبادات، والمعاملات، والسياسات، أي أن القول بالمعاد كان يستلزم التدين بالدين، وأتباع أحكامه في الحياة، ومراقبة النفس في جميع الأحوال والأعمال.

وبذلك ظهر تنازع جديد بعد إنزال الكتاب الإلهي بالحق، هذا التنازع خلق انتهاكا لحقوق الإنسان، ابتداء من قتل قابيل هابيل، المنصوص عليه في قوله سبحانه: ﴿وَأْتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ \* لَئِن سَطَطْتُ إِلَيْكَ يَدِي لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ \* إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ \* فَطَلَّوَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾<sup>٣</sup>، واستمرارا بكل أشكال الظلم والعدوان التي غصت، وتغص بها الحياة البشرية، نتيجة الانحراف عن رسالات الله، التي تلبى حاجات الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>٤</sup>.

١ البقرة: ٢١٣

٢ المؤمنون: ٣٧

٣ المائة: ٣٧- ٣٠

٤ الروم: ٣٠

لقد "عانت الإنسانية منذ أن ظهر الطاغوت على الأرض، ألوانا من الهدر لكرامة الإنسان، والسحق لإرادته، والمصادرة لحرياته، من خلال طغيان الطواغيت، وجور السلاطين الذي كثيرا ما كان يأخذ أبعادا مأساوية دموية تنتهي إلى قتل الآلاف من البشر، وتشريد أضعافهم، وهتك أعراضهم، والغارة على الأخضر واليابس من مقومات معاشهم وممتلكاتهم"<sup>١</sup> وقد ولد الإنسان، وولد معه الشعور الفطري بحقوقه، لكن وعي هذه الحقوق، والتمتع بها، والجهد لاستردادها حينما تستلب، شهد مسيرة طويلة في التاريخ البشري، وضع أساسها الأنبياء (عليهم السلام)، وستبقى مسيرة المطالبة بها مستمرة طالما وجد ظالم ومظلوم على هذه الأرض، وطالما عطلت حاكمية شريعة الله، حتى إقامة دولة العدل المهدوية.

هذه المسيرة الطويلة ممتدة عشرات القرون قبل الميلاد "فقد عثرت بعثة تنقيب فرنسية، كانت تعمل في أطلال مدينة لكش في قضاء الشطرة (جنوب العراق) في عام ١٨٧٨، على مخروط طيني مدون باللغة السومرية والخط المسماري، يضم عدداً من الاصطلاحات الاجتماعية التي وضعها العاهل السومري "أورو كاجينا" (٢٣٧٨-٢٣٧١ ق.م) حاكم دولة مدينة لكش في حدود عام ٢٣٧٥ قبل الميلاد للقضاء على المسائى التي كان يتذمر منها شعب المدينة تلك، وإزالة المظالم والاستغلال الذي كان يقع على الفقراء من الأغنياء والمتنفذين ورجال المعبد. وقد ورد نص في متن هذه الوثيقة يقول (بيت الفقير صار بجوار بيت الغني) دلالة على رغبة "أورو كاجينا" في تحقيق المساواة في مجتمع دولة مدينته"<sup>٢</sup>

أما شريعة حمورابي، التي أصدرها الملك البابلي، في العام الثلاثين من حكمه، الذي امتد أكثر من خمسين عاما بين (١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م) فقد تضمنت أشهر القوانين التي عنيت بحقوق الإنسان بعد إعادته توحيد وادي الرافدين بدولة واحدة.<sup>٣</sup>

ومن الهند انطلق بوذا الذي عاش في خلال (٦٥٠-٤٨٠ ق.م) الذي لم يدع إلى دين وإنما طرح حلولاً عملية للحياة، وانتشرت تعاليمه في الصين واليابان وفي جنوب شرقي آسيا، وتضمنت تعاليمه كثيراً من مبادئ المساواة والحرية، مما ينضوي تحت عنوان (حقوق الإنسان)، فيرى بوذا أن لا فرق بين جسم الأمير وجسم المتسول الفقير وكذلك لا فرق بين روجيها.<sup>٤</sup>

وقدم مفكرو الحضارات اليونانية والرومانية إسهامات كبيرة في ميدان حقوق الإنسان، ومنهم "سوفو كليس" المفكر اليوناني الذي عاش قبل حوالي ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد، والذي شهر بقوله الخالد: (كثيرة هي المعجزات في الدنيا، ولكن الإنسان أعظمها)، أما أرسطو (٣٨٤-٣٢٢ قبل الميلاد)، فقد أكد أن الدولة إنما وجدت لصالح الإنسان، ولم يوجد الإنسان لصالح الدولة فما وُلِدَ الإنسان إلا لیسعد.<sup>٥</sup>

### مفهوم (حقوق الإنسان) في العصر الحديث

درج مؤرخو حقوق الإنسان على تغافل ما قدّمته الرسالة الإسلامية في هذا الميدان، فأرخوا القرن الثامن عشر انطلاقة في مسيرة هذه الحقوق، إذ صدر الإعلان الفرنسي لحقوق الإنسان في (١٧٨٩/٨/٢٨م) الثامن والعشرين

١ حقوق الإنسان (التسخيري)، المقدمة

٢ حقوق الإنسان (د. رياض): ٥٤

٣ ينظر: نفسه ٦

٤ ينظر: حقوق الإنسان (د. رياض): ٨

٥ ينظر: نفسه ٩

من شهر آب عام تسع وثمانين وسبعمئة وألف، الذي أصبح جزءاً من الدستور الفرنسي في (١٧٩١/٩/٣) الثالث من أيلول عام واحد وتسعين وسبعمئة وألف.<sup>١</sup>

وفي العاشر من كانون الأول عام ثمانية وأربعين وتسعمئة وألف (١٩٤٨/١٢/١٠) شهد التاريخ البشري إقرار هيئة الأمم المتحدة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان إثر تعاضد الدعوة البشرية العارمة المطالبة بتلك الحقوق بعد معاناة طويلة استمرت قروناً متطاولة.<sup>٢</sup>

يعني مصطلح (حقوق الإنسان) اليوم "تلك الحقوق الطبيعية الأساسية المتصلة بشخصه بوصفه آدمياً، والتي يستوي بالنسبة لها جميع بني الإنسان"، فهي امتيازات يستحقها الإنسان من حيث أنه إنسان. هذه الحقوق تنقسم بسمتين: إحداهما: أنها موروثية، وليست مكتسبة، يستحقها الإنسان إنسانيته. والآخر: أن بني الإنسان ينالونها بالتساوي، بلا تفاضل بينهم.

وجاء في ديباجة العهد: "لما كان الاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم المتساوية الثابتة هو أساس الحرية والعدل والسلام في العالم. ولما كان تناسي حقوق الإنسان وازدراؤها قد أفضيا إلى أعمال محجبة آذت الضمير الإنساني، وكان غاية ما يرنو إليه عامة البشر انبثاق عالم يتمتع فيه الفرد بحرية القول والعقيدة ويتحرر من الفاقة. ولما كان من الضروري أن يتولى القانون حماية حقوق الإنسان لكيلا يضطر المرء آخر الأمر إلى التمرد على الاستبداد والظلم. ولما كانت شعوب الأمم المتحدة قد أكدت في الميثاق من جديد إيمانها بحقوق الإنسان الأساسية وبكرامة الفرد وقدره وبما للرجال والنساء من حقوق متساوية وحزمت أمرها على أن تدفع بالرقى الاجتماعي قدماً وأن ترفع مستوى الحياة في جو من الحرية أفسح، ولما كانت الدول الأعضاء قد تعهدت بالتعاون مع الأمم المتحدة على ضمان اطراد مراعاة حقوق الإنسان والحريات الأساسية واحترامها، ولما كان للإدراك العام لهذه الحقوق والحريات الأهمية الكبرى للوفاء التام بهذا التعهد، فإن الجمعية العامة تنادي بهذا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على أنه المستوى المشترك الذي ينبغي أن تستهدفه كافة الشعوب والأمم حتى يسعى كل فرد وهيئة في المجتمع، واضعين على الدوام هذا الإعلان نصب أعينهم، إلى توطيد احترام هذه الحقوق والحريات عن طريق التعليم والتربية واتخاذ إجراءات مطردة، قومية وعالمية، لضمان الاعتراف بها ومراعاتها بصورة عالمية فعالة بين الدول الأعضاء ذاتها وشعوب البقاع الخاضعة لسلطانها"

واشتدت الدعوة إلى احترام هذه الحقوق والتزامها إثر الحرب العالمية الثانية، وما شهدته من مجازر وحشية، ذهب ضحيتها الملايين من الرجال والنساء والأطفال، رمياً بالرصاص، أو قتلاً بالغازات السامة الخانقة، فضلاً عن استعمال مختلف أساليب التعذيب الوحشي كالكي بالنار، ونزع الأظافر، وفرض الأشغال الشاقة.<sup>٥</sup>

ولا يتسع البحث للاستطراد في تفاصيل المواثيق الدولية في الموضوع، وسنشير في بحثنا إلى ما ينبغي الإشارة إليه من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، إلا أنه لا بد من تأكيد الآتي:

١ ينظر: حقوق الإنسان (التسخيري)، المقدمة، ٨٧.

٢ ينظر: نفسه، المقدمة، ٧.

٣ في الأصل (كادمي)، والضوابط ما أتيتّه

٤ حقوق الإنسان (د. عبد الكريم علوان): ٧.

٥ ينظر: حقوق الإنسان (د. عبد الكريم علوان) ٨.

- ١- أنّ أنبياء الله وخلفاءهم، يبلغون عن الله، وأنّ الرسالات الإلهية ستبقى حججاً على الفكر الوضعي، قديمه وحديثه، مهما بدا سائغاً، فحقائق الله مطلقة، متحررة من قيدي الزمان والمكان، وحقائق الإنسان نسبية، مقيدة بقيديهما، وهي وليدة الحضارة التي أفرزتهما، حتى قيل: علم الأُمس خرافة اليوم، وعلم اليوم خرافة الغد.
- ٢- أنّ المواثيق الدولية صيغت بلغة فضفاضة ينتابها الكثير من الغموض، لعدم استنادها إلى رؤية كونية شاملة للعالم، محددة المعالم، واضحة الأسس، في حين تستند الرؤية الإسلامية إلى أسس واضحة قوامها عبودية الإنسان لله وحده، وقد خلق لمسيرة تكاملية تنتهي بلقاء الله، وهو مسؤول عما يعتقد ويفعل، وملاق جزاءه في حياة أبدية خالدة.
- ٣- تحدثت المواثيق الدولية عن حقوق الإنسان، ولم تتحدث عن واجباته<sup>١</sup>، فافتقرت إلى معادلة متوازنة، وعلى التوازن يقوم نظام التكوين، وعليه ينبغي أن يقوم نظام التشريع السليم، "فالإنسان الذي يمكن أن نتصور له حقوقاً هو الموجود الذي يمتلك بطبيعته عناصر فطرية، تولد معه، وتبقى معه، وهي تتطلب في الواقع مسيرة معينة إذا خرج عنها خرج عن الصفة الإنسانية ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>٢</sup> ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾<sup>٣</sup>. وإذا عومل معاملة تخالف فطرته كانت تلك الممارسة ممارسة لا إنسانية"<sup>٤</sup>
- ٤- حقوق الإنسان في ضوء المواثيق الدولية وحقائق وجدانية "لا نستطيع الاستدلال عليها إلا بها... فبالوجدان نصل إلى ما نقطع من أحكام عقلية تشكل أسساً لمعرفتنا كلها، وبه أيضاً نصل إلى ما نؤمن به جميعاً من حسن في الأفعال، أو قبح فيها، لتبنى عليها كلّ البنى الأخلاقية والاجتماعية"<sup>٥</sup>
- ٥- يبقى السؤال قائماً أمام تلك المواثيق الدولية، عاجزة عن الإجابة: كيف يثبت حقّ لشخص؟ وما منشأ الحقّ وأصله؟ وجواب الإسلام: الله منشأ الحقوق، إذ له وحده حقّ التشريع، وأفعاله ناشئة من الحكمة ورعاية المصالح الواقعية، وقد خلق الإنسان ليصلو به السلوك الاختياري إلى سعادته الأبدية، وكمال، بالقرب من ربه الكريم، فشَرعَ ماله من الحقوق، وما عليه من الواجبات.<sup>٦</sup>

### من معالم حقوق الإنسان في سيرة الإمام الرضا (ع)

لقد تضمّنت سيرة الإمام الرضا (ع) إجمالاً كل ما منحتّه الرسالة الإسلاميّة المقدّسة للإنسان من حقوق، من خلال أمرين:

أحدهما: شخصية الإمام الرضا (ع) نفسه بوصفه إماماً مفترض الطاعة، منصوباً من الله تعالى، امتداداً لجده الرسول الأعظم (ص)، وآبائه المعصومين (ع).

والآخر: تأكّيده (ع) في مختلف المناسبات، انطلاقه من حقائق الإسلام نصّاً أو فحوى.

١ النظرية الحقوقية في الإسلام: ١/٢٨٧

٢ الحشر: ٢١٩

٣ الأعراف: ١٧٩

٤ حقوق الإنسان (التسخيري) ١٧-٤١٨

٥ في المطبوع (و)، والسياق يقتضي (أو)، ٥

٦ حقوق الإنسان (التسخيري) ٢١-٢٢٢

٧ ينظر: النظرية الحقوقية في الإسلام، ١/٣٦٩ — ٣٧١

وليس من الغريب أن لا نجد في سيرة الإمام الرضا (ع)، تفاصيل هذه الحقوق، لما يأتي:

- ١- ليس كلام الإمام (ع)، أو فعله، وثيقة متخصصة في حقوق الإنسان، وإنما هو كلام أو فعل صدر في ظروف وسياقات محددة.
  - ٢- المخاطب في هذه الخطابات هو شخص واحد، أو مجموعة محدّدة، ولم يشرك الإمام الرضا (ع) الأمة عامة في الخطاب، ليفصل القول في حقوق الإنسان وواجباته، لذا وردت أغلب الإشارات للحقوق لا الواجبات.
  - ٣- عالج الإمام الرضا (ع) في قوله أو فعله، موضوعات خاصّة، فلم يستطرد في بيان جزئيات الموضوع التفصيليّة.
- ولكن يمكن تلمّس بعض هذه الحقوق، في أقوال الإمام الرضا (ع)، وأفعاله، وهو ما يهمننا في هذا البحث، من ذلك:

### ١- حقّ الحياة

الحياة هبة الرب الرحمن الرحيم لخلقه، ليس لأحد أن يستلبها منهم إلا بالحق، الذي تقرره شريعته سبحانه، وحين سأل الرسول (ص) أمير المؤمنين (ع): "ما أول نعمة بلاك الله (عز وجل)، وأنعم عليك بها؟ قال: أن خلقني جل ثناؤه. ولم أكن شيئاً مذكوراً. قال: صدقت، فما الثانية؟ قال: أن أحسن بي إذ خلقني فجعلني حياً لا ميتاً<sup>١</sup>، فلو انتفى هذا الحق لكان خلق الله الإنسان عملية عبثية لا حكمة من ورائها، ﴿شُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُقُولُونَ غُلُوًّا كَبِيرًا﴾<sup>٢</sup>، ولتوقفت حركة الإنسان في مسيرته التكاملية.<sup>٣</sup>

لذا قرر القرآن الكريم أنّ قتل النفس البشرية اعتداء على الإنسانية كلها، فقال سبحانه: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾<sup>٤</sup>.

يقرّر الإمام الرضا (عليه السلام) في حديث له مفهوم (رب العالمين)، فيقول: "رب العالمين، مالكهم وخالقهم، وسائق أرزاقهم إليهم من حيث يعلمون، ومن حيث لا يعلمون، فالرزق مقسوم، وهو يأتي ابن آدم على أي سيرة سارها من الدنيا، ليس تقوى متق بزيادة، ولا فجور فاجر بناقصه، وبينه وبينه ستر، وهو طالبه، فلو أن أحدكم يفر من رزقه، لطلبه رزقه كما يطلبه الموت"<sup>٥</sup>، فالحديث الشريف يومئ إلى حق الإنسان في الحياة على الله تعالى، جعله سبحانه على نفسه المقدسة، ولما ثبت ذلك على الله تعالى يجعل منه، فهو على المخلوقين أثبت وأكد، فليس لإنسان أن يحرم آخر إلا بتشريع إلهي يسلب المحكوم عليه بالقتل حق الحياة.

### ٢- حقّ المساواة في الإنسانية

البشر نظائر في الخلق، بلا تمييز بمازأ آخر، فهم سواسية أخوة من حيث أنهم بشر، لا يميزهم بياض على سواد، عن علي بن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال: قلت: يا بن رسول الله،

١ الأُمالي ٤٩٢

٢ الإسراء: ٢٤٣

٣ النظرية الحقوقية في الإسلام: ٢٨٣/١

٤ المائدة: ٣٢

٥ عيون أخبار الرضا (ع)، ج ١ - ص ٢٥٥

لم خلق الله عز وجل الخلق أنواع شتى، ولم يخلقه نوعا واحدا؟ فقال: لئلا يقع الأوهام أنه عاجز، فلا تقع صورة في وهم ملحد إلا وقد خلق الله عز وجل عليها خلقا، ولا يقول قائل: هل يقدر الله عز وجل على أن يخلق على صورة كذا وكذا إلا وجد ذلك في خلقه تبارك وتعالى، فيعلم بالنظر إلى أنواع خلقه، أنه على كل شيء قدير<sup>١</sup> وعن إبراهيم بن العباس يقول: "سمعت علي بن موسى الرضا (عليه السلام) يقول: حلقت بالعتق ألا أحلف بالعتق إلا أعتقت رقبة، وأعتقت بعدها جميع ما أملك، إن كان يرى أنه خير من هذا (وأومى إلى عبد أسود من غلمانه)، بقرابتي من رسول الله (ص) إلا أن يكون لي عمل صالح، فأكون أفضل به منه"<sup>٢</sup>.

وجاء تاريخها عن آخر ساعات حياة الإمام الرضا (ع) "فلما كان في آخر يومه الذي قبض فيه، كان ضعيفا في ذلك اليوم، فقال لي ما صلى الظهر: يا ياسر ما أكل الناس شيئا؟ يا سيدي، من يأكل هيهنا مع ما أنت فيه؟ فانتصب (عليه السلام) ثم قال: هاتوا المائدة، ولم يدع من حشمه أحدا إلا أقعده معه على المائدة، يتفقد واحدا واحدا، فلما أكلوا قال: إبعثوا إلى النساء بالطعام، فحمل الطعام إلى النساء"<sup>٣</sup> انظر إلى الأخلاق الرضوية، انطلاقا من النظرة المتساوية في الإنسانية، "لم يدع من حشمه أحدا إلا أقعده معه على المائدة، يتفقد واحدا واحدا"

### ٣- حق التعامل السمح

ركب الله تعالى في الإنسان قوتين تتصارعان في أغلب الأحيان، هما: العقل والشهوة، ففي حين تحلق به الأولى إلى حيث رضوان الله وجنانه، تهبط به الأخرى، إذا ما خرجت عن سلطان العقل إلى أسفل سافلين، حيث غضب الله وعقابه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ \* ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ \* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾<sup>٤</sup>، وبين مقامي: الأحسن تقويم، والأسفل سافلين، تدرج مقامات كثيرة يحل فيها الناس كل بحسب ما بلغه من كمال وتقوى، لا يخرج من ذلك إلا من عصمه سبحانه من الزلزل، وطهره من الرجس، قال ربنا سبحانه على لسان يوسف (ع): ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>٥</sup>، فبشريرتهم تقتضي احتمال الزلل منهم، عن مقتضى العقل، ومستلزمات التعايش الاجتماعي، عن قصد، أو من دون قصد، قال (عليه السلام): "يَفْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلُّ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعُلَلُ، يُؤْتِي عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَأِ"<sup>٦</sup>؛ و"كل الناس يخطئون، ومن ذا الذي تخلو صحيفته من هفوة، ما دام يعيش مع الناس ويحتك بهم؟ حتى الذي يعيش معتزلا قد يخطئ ويقصر بحق خالقه، ولكنه تعالى يعفو ويصفح عمن يطلب منه العفو والصفح"<sup>٧</sup>، لذا لزم أن يكون الأصل في معاملة البشر السماحة والعفو، والعقوبة التي هي إجراء تقتضيه عملية تربية الإنسان لتكامله، وتستلزمه المصلحة الاجتماعية العليا. ومن مظاهر التعامل السمح مع الناس التي وردت في سيرة الإمام الرضا (ع):

١ عيون أخبار الرضا (ع)، ج ٢ - ص ٨١

٢ عيون أخبار الرضا (ع)، ج ٢ - ص ٦٦٢

٣ عيون أخبار الرضا (ع)، ج ٢ - ص ٣٦٩

٤ التين: ٦٤

٥ يوسف: ٥٣

٦ نهج البلاغة (الصالح)، كتاب: ٥٣، ص ٤٢٨

٧ في ظلال نهج البلاغة ٥٢٠١/٤

أ. عن الفضل بن شاذان: سمعت الرضا (عليه السلام) يقول: "استعمال العدل والإحسان، مؤذن بدوام النعمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله"، فمن آثار العدل في الدنيا، التي ذكرها الإمام (ع)، دوام النعم، ونقيض العدل هو الظلم، الذي له آثار سيئة على فاعله في الدنيا والآخرة، والتدبر في الحديث الشريف، يقود إلى أن من آثار الظلم في الدنيا زوال النعم.

ب. عن عبد العظيم بن عبد الله الحسيني محمود بن أبي البلاد، قال سمعت الرضا (عليه السلام) يقول: من لم يشكر المنعم من المخلوقين، لم يشكر عز وجل<sup>١</sup>، والشكر الذي يعني استشعار نعمة المنعم، قلباً، أو الاعتراف بذلك لساناً، أو فعلاً، أو اجتماع أكثر من واحد من هذه الأمور، حق للمنعم من المخلوقين، وإن كان المنعم الحقيقي في كل ذلك هو الله تعالى، فكل جميل في هذا الوجود عندما هو من فيض جماله سبحانه. واللافت للنظر في الحديث الشريف قوله (ع): "من المخلوقين" فلم يقيد بأي جنس أو فئة أو نوع من أنواع البشر، بل من أنواع المخلوقات.

ث. روى الإمام الرضا (ع) عن جده رسول الله (ص) قوله: "من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، فهو ممن كملت مروّته، وظهرت عدلته، ووجبت أخوته، وحرمت غيبته"<sup>٢</sup>؛ ففي هذا الحديث الشريف، يذكر الإمام (ع) من رذائل الأخلاق المنفية في معاملة الناس: عدم الظلم، وعدم الكذب، وعدم إخلاف الوعد، ويصف المنتفية عنهم هذه الرذائل، بكمال المروءة، وظهور العدالة، ووجوب الأخوة، وحرمة اغتيابه. واللافت للنظر في الحديث الشريف قوله (ع): "من عامل الناس"، فلم يقصر هذه المعاملة، على فئة أو جنس، أو نوع من الناس.

ث. عن الحسن بن الجهم، قال: سألت الرضا (عليه السلام)، فقلت له: جعلت فداك، ما حدّ التوكل؟ فقال لي: أن لا تخاف مع الله أحداً؛ قال: قلت: فما حد التواضع؟ قال: أن تعطي الناس من نفسك، ما تحب أن يعطوك مثله"<sup>٣</sup>؛ فالإمام (ع)

### ٣. حقّ العدل والمساواة في الحقوق العامة

أي: التعامل العادل المساوي بين الناس فيها، "والمساواة هي حجر الأساس في حقوق الإنسان بوصفه كائناً اجتماعياً يعيش في جماعة، قد تختلف عناصرها العرقية، أو الدينية، أو اللغوية، أو السياسية"<sup>٤</sup>.

وعن الفضل بن شاذان سمعت الرضا (عليه السلام) يقول: "استعمال العدل والإحسان، مؤذن بدوام النعمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله"<sup>٥</sup>

وروى الإمام (ع) حديث جده رسول الله (ص): "من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، فهو ممن كملت مروّته، وظهرت عدلته، ووجبت أخوته، وحرمت غيبته"<sup>٦</sup>

١ عيون أخبار الرضا (ع)، ج ٢ - ص ٢٦

٢ عيون أخبار الرضا (ع)، ج ٢ - ص ٢٦

٣ عيون أخبار الرضا (ع)، ج ٢ - ص ٣٣٣

٤ عيون أخبار الرضا (ع)، ج ٢ - ص ٥٤

٥ قانون حقوق الإنسان ٢٢٦

٦ عيون أخبار الرضا (ع)، ج ٢ - ص ٢٦

٧ عيون أخبار الرضا (ع)، ج ٢ - ص ٣٣٣



## ٤. حق الحياة بكرامة

قال ربنا سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّلِيَّاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾<sup>١</sup>، تشير الآية الكريمة إلى ثلاثة أقسام من المواهب الإلهية، التي جباها الله لبني البشر<sup>٢</sup>:

أولاً: ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾، ربما قدّم الله تعالى موهبة الحركة في البر والبحر على المواهب الأخرى، لأنّ الإفادة من الطيبات لا تحدث بلا حركة، و حركة الإنسان على الأرض تستلزم وسيلة نقل، أو أن السبب هو إظهار سلطة الإنسان على الأرض كلها لكل نوع من أنواع الموجودات سلطة على جزء محدود منها، أما الإنسان فإنه يحكمها ببرها وبحرها وهوائها.

ثانياً: ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّلِيَّاتِ﴾، مع الالتفات إلى سعة مفهوم (الطيب) الذي يشمل كل موجود طاهر تتضح عظمة وشمولية هذه النعمة الإلهية الكبيرة.

ثالثاً: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾.

الفرق بين (كرمنا) و (فضلنا) أنّ (كرمنا) إشارة إلى المواهب الموروثة للإنسان، في حين (فضلنا) إشارة إلى الفضائل المكتسبة، وإن كانت بتوفيق الله، أو أنّ (كرمنا) إشارة إلى الجوانب المادية، أما (فضلنا) فهي إشارة إلى المواهب المعنوية، لأن كلمة (فضلنا) غالباً ما تأتي في القرآن بهذا المعنى.

الآية الكريمة تثبت كرامة تكوينية للإنسان، لماذا؟ بعض المفسرين يعزو سبب التكريم لقوة العقل، وتعدد الاستعدادات، وحرية الإرادة، وبعضهم يعزوه إلى الجسم المتزن العمودي، وبعضهم يعزوه إلى الأصابع التي تمكّن الإنسان من القيام بوساطتها بمختلف الأعمال الدقيقة، ومنها القدرة على الكتابة، وبعضهم يعزوه إلى أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يأكل طعامه بيده، أو لتسلطه على الكائنات الأرضية جميعاً، أو إلى قدرة الإنسان على معرفة الله، وعلى إطاعة أوامره.

ولا مانع من القول: إن التكريم يتجلى من خلال جميع هذه المواهب وغيرها. إن للإنسان امتيازات كثيرة على باقي المخلوقات، فضلاً عن الامتيازات الجسمية، للإنسان الاستعدادات والقدرات الكبيرة التي تؤهله لطبي مسيرة التكامل على نحو غير محدود.

الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يتكون من قوى مختلفة، مادية ومعنوية، جسمية وروحية، وينمو وسط المتضادات، وله استعدادات غير محدودة للتكامل والتقدم. قال أمير المؤمنين (عليه السلام): "إن الله عز وجل ركب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركب في البهائم شهوة بلا عقل، وركب في بني آدم كليهما، فمن غلب عقله شهوته، فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم"<sup>٣</sup>. ولكن هل البشر جميعاً أفضل من الملائكة، و بين البشر الكفار والمجرمون والظالمون، وهم من أسوأ خلق الله. الجواب: نعم، جميع البشر أفضل، ولكن بالقوة والاستعداد، يعني أن الجميع يملكون القابلية ليكونوا أفضل، ولكنهم إذا لم يفيدوا منها سقطوا في الهاوية.

ويرى آية الله محمد تقي مصباح اليزدي أنّ الآية الكريمة " في مقام بيان تفوق الإنسان في القوة والاستعداد الوجودي بالنسبة لسائر الموجودات، وليس لإثبات حقّ للإنسان، بل بالعكس فإنها بصدد بيان هذه النقطة المهمة،

١ الإيسراء: ٧٠

٢ ينظر: الأمل ٧ / ٣٤٧، ٣٥٢

٣ بحار الأنوار ٥٧/٢٩٩

وهي: أننا قد وهبنا للإنسان الكثير من النعم، فعليه أن يؤدي وظيفته في العبودية لله تعالى، وإذا افترضنا إمكانية استنباط حق قانوني للإنسان من هذه الكرامة، فذلك لا يعني حفظ كرامته وإن ارتكب أفعال الجرائم، إذ يصبح الإنسان أحياناً بتصرفاته الإجرامية أسوأ من أي حيوان آخر. ' ويخلص إلى القول: "إن الكرامة التي وهبها الله للإنسان لا توجب الفخر والشرف لجميع الناس، وإن ما يوجب الفخر والشرف يتوقف على أفعال وتصرفات الإنسان<sup>٢</sup> الاختيارية، وكيف يستفيد<sup>٣</sup> من النعم الإلهية لتحقيق الكمال الإنساني؛"

ويرى الباحث على قصر الباع، وقلة العدة، أن القرآن الكريم يثبت للإنسان كرامتين: إحداهما: تكوينية موروثية، والأخرى: مكتسبة بالتقوى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾<sup>٤</sup>، فإذا أضاع الثانية حرم الأولى، كما يحرم حق الحياة بقتل غيره من دون حق.

جاء عن الإمام الرضا (ع): قال أبو الصلت: فقلت له: "يا بن رسول الله (ص)، ما شيء يحكيه عنكم الناس؟ قال: وما هو؟ قلت: يقولون أنكم تدعون أن الناس لكم عبيد فقال: اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت شاهد بأني لم أقل ذلك قط، ولا سمعت أحداً من آبائي (عليهم السلام) قاله قط، وأنت العالم بما لنا من المظالم عند هذه الأمة، وأن هذه منها؛ ثم أقبل علي فقال لي: يا عبد السلام، إذا كان الناس كلهم عبيدنا على ما حكوه عنا فممن نبيعه؟ قلت: يا بن رسول، صدقت<sup>٥</sup>. وإذا انتفت عبودية الإنسان لسادة الخلق محمد وآله (صلوات الله عليه وعليهم)، فانتفاؤها عن سواهم من باب أولى.

## الخاتمة

هذه وقفات سريعة عابرة عند معالم حقوق الإنسان في حياة الإمام الرضا (ع)؛ لم نستقص فيها هذه المعالم في سيرة الإمام الرضا (ع) جميعها، في كتبنا الروائية، وإنما اقتصرنا فيها على ما وجدناه في كتاب (عيون أخبار الرضا (ع) للشيخ الصدوق، وقد وجدنا فيها من الدرر الزاهرة، ما يحق للمسلم أن يفخر به، أن يكون كتابه، وحملته المعصومين (ع) قد سبقوا البشرية بقرون بالدعوة لحقوق الإنسان.

## المصادر غير القرآن الكريم

الأمامي للشيخ الطوسي (ت ٤٦٠)، مؤسسة البعثة، ط ١، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع - قم، ١٤١٤ هـ.  
الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، لآية الله ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة الأعلمي للطبوعات، ط ١، بيروت ٢٠٠٧.  
بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، تحقيق: محمد تقي المصباح اليزدي، محمد الباقر البهبودي، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة المصححة ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م.  
حقوق الإنسان للدكتور رياض عزيز، شركة العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، والمكتبة القانونية، بغداد، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

١ ينظر: النظرية الحقوقية في الإسلام / ٢٩٤

٢ الصواب: أفعال الإنسان وتصرفاته

٣ الصواب: يفيد

٤ نفسه: ٣٩٦

٥ الحجرات: ١٣

٦ عيون أخبار الرضا (ع)، ج ٢ - ص ١٩٧

حقوق الإنسان، للدكتور عبد الكريم علوان  
 حقوق الإنسان بين الإعلان الإسلامي والعالمي، للشيخ محمد علي التسخيري، رابطة الثقافة والعلاقات  
 الإسلامية، مديرية الترجمة والنشر، طهران، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.  
 شرح نهج البلاغة، للسيد عباس الموسوي، دار الرسول الأكرم ودار المحجة البيضاء، ط ١ ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.  
 عيون أخبار الرضا (ع)، للشيخ الصدوق (٥٣٨١)، تحقيق تصحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلمي،  
 مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان، ١٤٠٤ - ١٩٨٤ م  
 في ظلال نهج البلاغة، لمحمد جواد مغنية، دار العلم للملايين، ط ١، بيروت ١٩٧٣.  
 كنز العمال، للمتقي الهندي (ت ١٩٧٥هـ)، ضبط وتفسير: الشيخ بكرى حياني، تصحيح وفهرسة: الشيخ صفوة  
 السقا، مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان، ١٤٠٩ - ١٩٨٩ م.  
 مفردات غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، مكتب نشر الكتاب، قم، ط ٢، ١٤٠٤هـ  
 الميزان في تفسير القرآن، للسيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، ج ٢، الناشر: منشورات جماعة  
 المدرسين في الحوزة العلمية - قم المقدسة، بلا سنة طبع  
 النظرية الحقوقية في الإسلام، للشيخ محمد تقي المصباح اليزدي، دار الولاء لصناعة النشر  
 نهج البلاغة (خطب الإمام علي (ع) التي جمعها الشريف الرضي)، ضبط نصه وابتكر فهرسه العلمية: الدكتور  
 صبحي صالح، الطبعة الأولى، ١٣٨٧ - ١٩٦٧ م

## الرضا؛ ثابتاً من ثوابت الكرامة الإنسانية الإمام علي بن موسى الرضا؛ مثالاً

أ. د. عباس أميراً

### الملخص

يستند البحث، إلى ركيزتين رئيسيتين، هما؛ فلسفة الاسم في ضمن المحدد القرآني للتسمية، وبلحاظ علاقة الاسم بالمسمى أولاً، وانعكاسات تلك التسمية على سلوك المسمى ثانياً. أما الركيزة الثانية فهي بناؤه المعرفي على فرضية علمية مفادها أن ألقاب الأئمة عليهم السلام، وكناهم، في ضمنهم الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، تستمد مرجعيتها من مستندات المعرفة والعلمية والأخلاقية القادرة على استشراف علاقة حسن التسمية ومدى مناسبتها للمسمى، فضلاً عن قدرة تلك التسمية على أن تكون دليلاً على سيرة الإمام وعلامة على سلوكه العقدي والأخلاقي والمجتمعي. ولتأكيد تلك الفرضية يعمد البحث إلى التأسيس القرآني لمفهوم الرضا، وفقاً لشروطه النصية والموضوعية الضابطة لذلك المفهوم، جاعلاً من محاولته الإجابة عن التساؤل الآتي، مقصداً رئيساً. والسؤال هو؛ ما الذي يمكن اكتشافه من تسمية الإمام علي بن موسى عليه السلام ب(الرضا)، وما طبيعة تلك العلاقة بين الاسم والمسمى، معرفياً، وما صلة تلك التسمية بمفهوم الكرامة الإنسانية؟! وقد اعتمد البحث، بغية استحصال إجابات علمية لفرضياته السابقة، وسؤاله الرئيس، على منهج تحليلي يستعين بالمنهج المعرفية والسيمايائية المعاصرة. ويخلص البحث، استناداً إلى فرضيته العلمية تلك، وأسئلته المتعلقة بها، ومنهجه في المعالجة وأدواته التحليلية، إلى جملة من النتائج؛ منها؛ إن الاسم الأشهر، من أسماء الإمام علي بن موسى عليه السلام، وهو لقب (الرضا)، ظاهرة أولى وأصل منهجي وكمال معرفي، قابل لأن ينحل في مسماه؛ الإمام علي بن موسى عليه السلام. فهو دالٌّ على ذاتية الإمام عليه السلام، وهي تفيض بحقيقة (الرضا) التي امتدت آثارها في الواقع الخارجي المحيط بالإمام، وكان خير امتدادها، وكلها خيرٌ، هو حرصه الشديد على كرامة الإنسان، بدءاً بدائرة الإنسان الأول المحيطة بالإمام، متمثلة بمواليه ومماليكه، مروراً بقبوله ولاية العهد، وانتهاءً بمن حاورهم علمياً من المخالفين. فالرضا) بعددٍ دوراً إمامياً جلّاه الإمام الثامن من أئمة أهل البيت عليهم السلام، ليس صفة عارضة علقت بالموصوف بل الإمام نفسه هو الذي جلّى هذا المفهوم فأضاف إليه ما سماه به إلى مزيد من مراتب التمام بعد الكمال. ولا أدلّ على ذلك من رضا الخاصة والعامة عنه، وهذا ما يؤكد دور الرضا من أدوار الأئمة في هذه الحقبة التاريخية من حقب التشويه والإيلام التي عانتها الكرامة الإنسانية المهذورة، بأثر من انحراف مسار التمثل البشري للدين الإسلامي. والذي يدعم حقيقة (الرضا) وهي تتجلى في شخصية الإمام علي بن موسى

عليهما السلام، امتدادها في تلك الصفات المرتبطة بصفة (الرضا)، تلك التي جعلت منها السببية التاريخية لزيمة شخصية الإمام بل هي شهيرة به؛ فالإمام الرضا هو (الصابر) و(الزكي) و(الوفاي) و(الصدّيق) و(الفاضل)، و(الرؤوف)، وما هذه الصفات التي أثبتتها الآخرون للإمام بعد ثبوت صفة (الرضا) توقيفا، إلا دليل راسخ من أدلة صوغ الإمام لحقيقة الكرامة الإنسانية حواليه صوغاً علوياً وارف الظلال.

### الكلمات المفتاحية: الاسم والمسمّى الرضا الإمام الرضا الكرامة الإنسانية

#### أولاً: (الرضا) بين الاسم والمسمّى

الاسم تنويه بالدلالة على المسمى. وعتبة الاسم مدخل رئيس من مداخل فهم المسمّى. والعلاقة بين الاسم ومعناه كائنه في أن "المعنى تحت الاسم"<sup>١</sup>. وبين كل اسم ومسمّاه "علاقة ورابطة تناسبية وقلماً يتخلف ذلك؛ فالألفاظ قوالب المعاني، والأسماء قوالب المسميات"<sup>٢</sup>. ولأن الأسماء قوالب المعاني، والمعاني في ضمن وعائها المعرفي، "اقتضت الحكمة أن يكون بينها وبينها ارتباطاً و تناسباً، وأن لا يكون المعنى معها بمنزلة الأجنبي المحض الذي لا تعلق له بها، فإن الحكمة تأبى ذلك، والواقع يشهد بخلافه، بل للأسماء تأثير في المسميات، وللمسميات تأثير عن أسمائها في الحسن والقبح، والخفة والثقل، واللطافة والكثافة"<sup>٣</sup>. وقد تختلف الأسماء على المسمى، والمسمّى واحد. ومن اختلافها، هاهنا، ثلاث علامات يوسم بها المسمّى، ألا وهي؛ اللقب والكنية والاسم. "هذه الثلاثة وإن اشتركت في تعريف المدعوّ بها، فإنها تفترق في أمر آخر، وهو أن الاسم إمّا أن يُفهم مدحاً أو ذمّاً، أو لا يُفهم واحداً منهما؛ فإن أفهم ذلك فهو اللقب (... ) وإمّا أن لا يُفهم مدحاً ولا ذمّاً، فإن صدّر بأبٍ وأمّ، فهو الكُنْيَةُ، كأبي فلان وأم فلان، وإن لم يُصدّر بذلك، فهو الاسم، كزيد وعمرو"<sup>٤</sup>. وبالعكس فقد تختلف المعاني والاسم واحد. ولهذا يقول الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، وهو يبيّن للسائل اختلاف تسمية آل البيت عليهم السلام بأسماء الله الحسنى، "جمعنا الاسم واختلف المعنى"<sup>٥</sup>.

أما وضع الاسم للمسمّى فهو فعل المُسمّي (بكسر الميم الثانية)، والفعل الذي يقوم به المسمّى هو فعل التسمية. "والتسمية عبارة عن فعل المُسمّي ووضعه الاسم للمسمّى، كما أن التحلية فعل المحلّي، ووضعه الحلية على المحلّي، فهنا ثلاث حقائق: اسم، ومسمّى وتسمية"<sup>٦</sup>. فالتسمية تحديد المسمّى (بفتح الميم الثانية)، بما يسمح بحمل صفةٍ عليه. على أن ثمة تفرقة بين نوعين أو مرتبتين من مراتب التسمية. أما المرتبة الأولى فهي مرتبة التسمية الذاتية، وتعني ما يؤخذ فيه بنظر الاعتبار الصفات الجوهرية الداخلة في الموضوع المسمّى. وأما المرتبة الثانية فهي مرتبة التسمية غير الذاتية أو الخارجية. وهذه تُعنى، حين وضعها، بعلاقة الموضوع المسمّى بغيره من الموضوعات. وواردٌ فيها، أن تنحلّ إلى تسمية ذاتية<sup>٧</sup>.

١ ابن منظور، لسان العرب؛ مادة (سما).

٢ الجوزية، ابن القيم؛ زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط؛ ج٢/ص ٣٠٧.

٣ المصدر نفسه.

٤ الجوزية، ابن القيم، تحفة المودود بأحكام المولود، تحقيق عثمان بن جمعة ضميرية؛ ص ١٩٨-١٩٩.

٥ الصدوق، ابو جعفر، عيون أخبار الرضا، تحقيق مهدي الحسيني اللاجوري، ج١/ص ١٤٧.

٦ الجوزية، ابن القيم، تفسير ابن القيم، تحقيق محمد أويس الندوي؛ ص ٤٧٧-٤٧٨.

٧ صليبا، الدكتور جميل، المعجم الفلسفي؛ ج١/ص ٢٧٢.

ومن جانب آخر، ويلحظ أن الاسم "أمر يحدث عن الأثر أو يكون عنه الأثر"<sup>(١)</sup>، يتضح لنا أن فالاسم سابق لأثره وأثره مترتب عليه مرة، وهو يتبع ذلك الأثر ويترتب عليه مرة أخرى. وهذا ما يفسر امتدادات ذلك المعطى الابتدائي المتمثل بالاسم، كما يفسر تعدد تلك الامتدادات أو الأسماء الدالة على مقاصد التسمية الداعية إلى التأمل فيها ومزاولة معانيها واستخبار مضامينها<sup>(٢)</sup>، وبما يخلص بنا إلى أن الاسم هو ((أول كمال يُعرّف به المسمّى نفسه إلى من يجله))<sup>(٣)</sup>. وبدلالة هذا الكمال الأول، وعلاقة التأثير والتأثر الكائنة بين الاسم والمسمى، وباستدكار مرتبتي التسمية؛ الذاتية والخارجية، نخلص إلى أننا يباين النظر في حقيقة (الرضا) بعدّه ظاهرة أولى وأصلاً منهجياً وكاملاً معرفياً، قابلاً لأن ينحل في مسماه؛ الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، وبعده دالاً على ذاتية الإمام عليه السلام، وهي تفيض بحقيقة (الرضا) فتمتد بأثره في الواقع الخارجي المحيط بالإمام، أو وهي تتكوّن عملياً عبر الضرورة التاريخية بأثر من ذلك (الرضا)، من حيث هو ثابت قرآني أصيل ينتظم بنية الكمال الانساني، من حيث إن كمال الرضا البشري مشروط بتحقيق إرادة رضا الله، ابتداءً، ولا يكون تحققها إلا بوقوع مرادها في المرضي عنه ثم إذا وقع رضاه في المخلوق قابل ذلك الوقوع، رضا من وقع فيه الرضا عن خالقه. ومن جانب آخر، يبدو الرضا عن المرضي عنهم أكمل من الرضا عن أعمالهم. ولهذا علق الباري رضاه عن فئة من عباده بهم أنفسهم لا بأعمالهم. وبين الرضا عنه، في قوله: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا فِيهَا أَيْدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (المائدة: ١١٩). والرضا عن عمله، كما في قوله: ﴿وَرَضِي لَهُ قَوْلًا﴾ (طه؛ جزء من الآية ١٠٩)، وقوله: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ (الزمر؛ جزء من الآية ٧)، فرق، "فإن رضاك عن شيء هو أن لا تدفعه بكرهه ومن الممكن أن يأتي عدوك بفعل ترضاه وأنت تستخط على نفسك، وأن يأتي صديقك الذي تحبه بفعل لا ترضاه"<sup>(٤)</sup>. فالرضا الأول من مقامات العبودية، "ومن آثار هذا المقام أن العبودية إذا تمكنت من نفس العبد ورأى ما يقع عليه بصره وتبلغه بصيرته مملوكاً لله خاضعاً لأمره فإنه يرضى عن الله فإنه يجد أن كل ما آتاه الله فإنه آتاه من فضله من غير أن يتحتم عليه فهو جود ونعمة، وأن ما منعه فإنه منعه عن حكمة"<sup>(٥)</sup>

الذي نوهت به كتب التاريخ والسيرة هو اختلاف أسماء عدة على شخص الإمام، وثبتت أخرى. أما ما ثبت فاسمه وكنيته، فهو علي، وكنيته؛ أبو الحسن. وأما الذي تعدّد فلقابه<sup>(٦)</sup>. فهو، وفقاً لأشهرها، (الرضا)، فضلاً عن ألقاب أخرى، منها؛ (الصابر) و(الزكي) و(الوفاي) و(سراج الله) و(قرة عين المؤمنين) و(مكيدة المُلحدِين) و(الصدق) و(الفاضل). وورد في زيارة الإمام محمد الجواد عليه السلام أباه مخاطبته إياه بقوله: "السلام على الإمام الرؤف"<sup>(٧)</sup>. والمستخلص الأشهر، اسماً ولقباً وكنيةً، هو علي الرضا أبو الحسن. وقد ورد عن محمد الجواد عليه السلام، وهو يدفع زعم من زعم من المخالفين أن المأمون هو الذي سمى الإمام (الرضا)، وذلك لما رضيه لولاية العهد، قوله: "كذبوا والله وفجروا، بل الله تبارك وتعالى سماه الرضا لأنه كان رضى لله في سمائه ورضى لرسوله والأئمة

١ العجم، رقيق، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي؛ ص ٥٩.

٢ ظ: أمير، عباس، حسنية الاجتباء: المفهوم والمصداق ومظاهر الاجتباء، (بحث مستل)، مجلة العميد؛ ص ٣٠.

٣ الجيلي، عبد الكريم، الإنسان الكامل؛ ص ٣١.

٤ الطباطبائي، محمد حسين، الميزان؛ ج ٦/ص ٢٦٨-٢٦٩

٥ الطباطبائي؛ ج ٦/ص ٢٦٩.

٦ ظ: القرشي، باقر شريف، حياة الإمام علي بن موسى الرضا: دراسة وتحليل؛ ج ١/ص ٢٣ وما بعدها.

٧ ظ: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٩٩/ص ٥٥.

من بعده صلوات الله عليهم في أرضه"، ويسأل السائل عن ذلك الزعم الذي يردده الإمام، ألم يكن كل واحد من آبائك رضى لله، فلماذا يخصّ أبك بهذا الرضا، ويجيب الإمام؛ "لأنه رضى به المخالفون كما رضى به الموافقون من أوليائه ولم يكن ذلك لأحد من آبائه عليهم السلام، فلذلك سُمّي من بينهم الرضا عليه السلام"<sup>١</sup>. ويروى عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، أنه، ومدّ كان ابنه صغيراً، كثيراً ما يكان يقول؛ "ادعوا لي ولدي الرضا وقلت لولدي: الرضا، وقال لي ولدي الرضا، وإذا خاطبه قال يا أبا الحسن"<sup>٢</sup>.

### ثانياً: (الرضا) موطناً للكرامة

والبيادي مما سبق كله أن (الرضا) اسم دال على ذات الإمام، أكثر مما يدل على صفة من صفاته، فالرضا) مصدر الفعل (رضي). ومعلوم لدى أهل اللغة أن المصدر، يقوم به المعنى من دون حاجة إلى ما يحتاج إليه الفعل ليقوم بالدلالة على المعنى. فالرضا) من حيث هو سمة الإمامة وسموها الذي تجلّى في شخصية علي بن موسى عليه السلام ليس صفة مشروطة بالزمان والمكان والكيفية. ومن هنا فالرضا) يعدّ دوراً إمامياً جلّاه الإمام الثامن من أئمة أهل البيت عليهم السلام، ليس صفة عارضة علقّت بالموصوف بل الإمام نفسه هو الذي جلّى هذا المفهوم فضاف إليه ما سما به إلى مزيد من مراتب التمام بعد الكمال. وبذلك يصير الإمام دالاً على مفهوم (الرضا) بالمقدار الذي يدل فيه المفهوم على المصداق. وباعتبار المصدر توكيداً للفعل، يبدو أن مفهوم (الرضا)، الأصل الأخلاقي، وهو يتسلسل من أصله في (المرتضى) عليّ عليه السلام، وفي الزهراء عليها السلام؛ (الرضيّة) صفة ظاهرة، ومن طريق ستة من أبنائهم عليهم السلام، صفة باطنية، يبدو أن هذا حركة هذا الفعل، وهو يتعدّد أدواراً، قد بلغت في توسمها وسموها الغاية في القوّة، مع الإمام علي بن موسى عليهما السلام، فثبتت مصدراً. ومن هنا نفهم، جانباً من جوانب قول الإمام الجواد، وهو يكشف عن العلة في تسمية أبيه (الرضا) عليهم السلام؛ (لأنه رضى به المخالفون كما رضى به الموافقون من أوليائه ولم يكن ذلك لأحد من آبائه عليهم السلام، فلذلك سُمّي من بينهم الرضا عليه السلام).

وفي التفريق بين (الرضا) و (الرضي)، ورد في اللغة أن (الرضا) مصدر راضيته رِضاً ومُراضاً فهو ممدود. أما (الرضي) فهو مصدر رَضِيَ رِضًى فهو مقصور<sup>٣</sup>. وفي هذا ما يشير إلى أن (الرضا) غاية (الرضي). وذلك الشعور بالرضي شعور فردي لا يلزم منه رضاء الآخر، أما (الرضا) فيتضمن الشعور الفردي ويتجاوز به إلى شعور الآخر بذلك الرضا. فالرضا هنا فعل حدث جارٍ بين طرفين يتشاركان فعل الرضا، على أن أحدهما يقوم مرضاة الآخر. ومن حيث هذه (المرضاة) يكون قبول الآخر وعدم التسخّط منه. وهاهنا فرق بين نوعين من الرضا، رضا على كراهة، ورضا مجرداً من تلك الكراهة، مرده إلى طيب نفسي، بموجبه يصير الرضا نظير المحبة فلا فرق بينهما إلا بضدّيتهما، فالمحبة ضد البغض، والرضا؛ ضدّه السخّط<sup>٤</sup>. ويتضح من ذلك أن الرضا الذي هو نظير المحبة أعلى رتبة من سابقه. وبمقتضاه، وهو لزم المحبة والمحبة لزمه، تُحفظ قيمة الآخر المختلف وتُحترم كرامته، والذي يدعم هذه الرتبة العليا من رتبتَي (الرضا) وهي تتجلّى في شخصية الإمام علي بن موسى عليهما السلام، امتدادها في تلك الصفات المرتبطة

١ الصدوق، ابو جعفر؛ ج/١ ص ١١٣ .

٢ المصدر نفسه؛ س ١٤ .

٣ ابن منظور؛ مادة (رضي) .

٤ العسكري، أبو هلال، معجم الفروق اللغوية، تحقيق بيت الله بيّات؛ ص ٢٥٦ .

بصفة (الرضا)، تلك التي جعلت منها السببية التاريخية لزيمة شخصية الإمام بل هي شهيرة به؛ فالرضا هو (الصابر) و(الزكي) و(الوفاي) و(الصدّيق) و(الفاضل)، و(الرؤوف). ولعلّ تعاقب تلك الصفات الرديفة لصفة (الرضا)، وهي تعلق بشخص الإمام، ما يبرر لنا القول، مرة أخرى؛ إن (الرضا) ليس صفة عارضة علقّت بالموصوف بل الإمام نفسه هو الذي جلّى هذا المفهوم فأضاف إليه ما سماه به إلى مزيد من مراتب التمام بعد الكمال. وبذلك يصير الإمام دالاً على مفهوم (الرضا) بالمقدار الذي يدل فيه المفهوم على المصداق. إذ، وبموجب ما ثبت للإمام من تلك الصفات الرديفة، يصير تعريف (الرضا) أوفى، وتصير مساحته أوسع، وتصير محاولة استخلاصه مشروطة بصفات الصبر والزكوة والصدق والفضيلة والرافة. فهو ليس مجرد القبول الطيب بل هو القبول المشروط بكل تلك الصفات الرضوية.

### ثالثاً: من الرضا الإمامي إلى الكرامة الإنسانية

في معرض تفسيره للآية الخامسة عشرة من سورة آل عمران المباركة، يعرف صاحب الميزان (الرضا) بقوله: "وهو أن يلائم الأمر الواقع نفس صاحبه من غير أن يتمتع منه ويدافعه، ويقابله السخط"<sup>١</sup>. ما يعني أن هناك ملاءمة بين الشعور بالرضا لدى الراضي وبين ما يرضى عنه، على أن تلك الملاءمة لا تعني موافقة الأمر الواقع فيما لو كان ها الأمر الواقع مناقضاً للمنظومة القيمية للراضي بل تعني احترام حتمية الاختلاف والمباينة الكائنة بين الذات والواقع الخارجي. ولعل محاوره ذلك الواقع المختلف والحرص على تقبّله، على الرغم من اختلافه، هو التجلي الأتم لصيرورة (الرضا) مرتكزا رئيسا من مرتكزات قبول ذلك الواقع علميا وثقافيا وأخلاقيا.

وبلحاح أن النفس إذا رضيت عن شيء أحبته وأقبلت عليه<sup>٢</sup>، وأن (الرضي) هو الضامن والمحب<sup>٣</sup>، يتضح أن الرضا صفة نفسية وحالة عاطفية، أصلا، يمتد أثرها إلى العقل فنصير إرادة. ومن آثارها الطمأنينة النفسية والاستقرار النفسي والشعور بالبهجة والسعادة والأنبساط والسرور، وإن كان الواقع الخارجي مُرّاً يصعب قبوله<sup>٤</sup>. وبموجبها يتساوى لدى الإنسان شعوره بما يسبب له ألما وانزعاجا مع ما يسبب له فرحا وارتياحا. ومن هنا يتكشّف أن مبدأ احترام حقيقة الاختلاف لا يكون حقا واجبا لآخر المختلف إلا إذا تمّ تنبيهه عن رضا، وإلا إذا تمت ضمانته عن محبة. أما ما سوى ذلك فإنه تعبير عن حالة نفسية تستند إلى الاضطراب والكراهية وعدم الحب، وهذا ما يرتّب انتفاء كمالات الرضا. وهو، فضلا عن ذلك يستدعي الغضب الشديد والسخط، ويفضي إلى مزيد من الضيق والانقباض. وهذا ما لا يريده النص المؤسّس للمعرفة الدينية الإسلامية؛ القرآن الكريم، وعدله؛ الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام.

ومن جانب آخر، ولأن إرادة الرضا مبنية على فعل المشاركة من (راضي) و(أرضي)، كما قرّر سابقا، يصير مهما في (الرضا) الحرص على رضی الطرف الآخر المختلف. فالمقصد في (الرضا) (بمدّ الألف) ليس الوقوف عند عتبة (رضي) صاحب الرضا فقط بل بلوغ مثابة إرضاء الآخر، من طريق احترام كرامته الإنسانية. وذلك "لأن الرضا عبارة عن ارادة حدوث الشيء من الغير، غير أنها لا تسمى بذلك إلا إذا وقع مرادها، ولم يتخللها كراهة، فتسميتها بالرضا، موقوفة على وقوع المراد"<sup>٥</sup>.

١ الطباطبائي؛ ج٣/ ص ١١١.

٢ ابن منظور؛ مادة (رضي).

٣ الفيروز آبادي، مجد الدين؛ ص ١٢٨٨.

٤ الجرجاني، علي بن محمد، معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي؛ ص ٩٦.

٥ الطوسي، أبو جعفر، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، ج٣/ ص ٤٧٥.



من أحب الأمور التي كان للإمام فيها رضى، عتقه للعبيد وتحريرهم من رق العبودية، حتى روى الرواة أنه اعتق ألف مملوك<sup>١</sup>. بل إنه كان إذا أراد أن يحلف ليُلزم نفسه بما حلف، حَلَفَ بالعتق، ليعتق مملوكًا ثم يُعْتِقُ كلَّ ما يملك. وكان من مقاصده إذا حلف بالعتق أن لا يرى لنفسه فضلًا وكرامة على فضل مملوكه وكرامته إلا بعمل صالح يجريه<sup>٢</sup>. والبيادي من هذين الحديثين أن الإمام يلزم نفسه إلزام المحب أن يجعل من ضمانته حرية المملوكين ميدانًا رئيسًا من ميادين التجلّي العقدي والأخلاقي لصفة (الرضا) من صفاته الشريفة. ولربما كان الأجدر بالبحث العلمي، هاهنا، أن يعيد النظر في مفهوم الكرامة الإنسانية وفاقًا لشخصية الإمام من حيث هو صفة (الرضا) وموصوفها وهي تؤسس لتوطئتها الفلسفية لمفهوم الكرامة، باعتبارها إثارةً منهجية وفكرية تجعل مفهوم الكرامة الإنسانية متصلًا اتصالًا وثيقًا بمفهوم الحرية الإنسانية، ومنطلقًا في ترسيم ملامحه الأولى من ثابتين رئيسيين مؤداهما، أن خير ما تكرم به الآخر هو إعطاؤه حرّيته، وأن خير تلك الحرية المعطاة أن تُعطى عن رضا، وعن محبة. فإن أُعْطِيَتْ عن ذنبك الرضا والمحبة، كانت مدعاة لمزيد من الزكوة، وداعية لكمالات الطهارة النفسية في المُعْطَى والمُعْطَى. وقد كان الإمام الرضا (الزكوي) يعطيها وفاقًا لما يتطلبه خُلُقُ الزاكي الزكوي.

يجيئه أحدهم، وهو في مجلسه وقد اجتمع إليه الناس يسألونه عن دينهم، فيسلم عليه ثم يبادره أن يعطيه من المال ما يكفيه، لأنه قد صدر من الحجّ فافتقد مؤونته وليس معه ما يبلغ به أهله في خراسان، وأنه إذا أنهضه الإمام إلى بلده وعليه نعمة منه تصدّق عن الإمام بما يعطيه لأنه ليس ممن تجوز عليهم الصدقة. فيدخل الإمام حجرته، بعد أن يفرّق الناس ثم يخرج يده من وراء الباب، وينادي على الخراساني فيقول له: "خذ هذه المائتي دينار، واستعن بها في مؤونتك ونفقتك وتبرّك بها ولا تصدّق بها عني، واخرج فلا أراك ولا تراني". ويسأله أحد رجالاته؛ "جُعِلْتُ فذاك لقد أجزلتُ ورحمتُ، فلماذا سترت وجهك عنه؟ ويجيبه الإمام؛ "مخافة أن أرى ذلّ السؤال في وجهه لقضاء حاجته"<sup>٣</sup>

والمهم في استشعار قيمة تلك الكرامة هو أن تجنّب الآخر امتلاكها بعد فقدانها، وذلك لأن إجبار الآخر على فقدها ثم العود إليه بإعطائها ليس فضيلة. وهذا ما رعته شخصية الإمام الرضا (الفاضل) (الرؤوف). يروي أحدهم عن الإمام، قائلاً؛ "كنت مع الرضا عليه السلام في سفره إلى خراسان فدعا يوماً بمائدة له فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم، فقلت: جُعِلْتُ فذاك لو عزلتُ لهؤلاء مائدة فقال: مه إنَّ الربَّ تبارك وتعالى واحد والأُمُّ واحدة والأب واحد والجزاء بالأعمال"<sup>٤</sup>.

ولعل في ما يروى عن إبراهيم بن العباس، ما يكشف عن مقدار ما تعنيه له الكرامة الإنسانية، لا باعتبارها منةً بل باعتبارها فضلًا وفضيلة وثابتًا من ثوابت الرضا العلوي. يقول؛ "ما رأيت أبا الحسن الرضا عليه السلام جفا أحدًا بكلمة قُطُّ، وما رأيت قطعه على أحدٍ كلامه حتى يفرغ منه، وما ردُّ أحدًا عن حاجة يقدر عليها، ولا مدُّ رجله بين يدي جليس له قط، ولا اتكأ بين يدي جليس له قُطُّ، ولا رأيت شتم أحدًا من مواليه ومماليكه قُطُّ، ولا رأيت تفلُّ قُطُّ، ولا رأيت يقهقه في ضحكه قُطُّ، بل كان ضحكه التبشُّم. وكان إذا خلا ونصب مائدته أجلس معه على

١ القرشي؛ ص ٣٧.

٢ المجلسي، ج ٤٩، ص ٩٦-٩٥.

٣ المجلسي؛ ج ٤٩، ص ١٠١.

٤ المصدر نفسه.

مائدته مماليكه حتى البواب والسائس، وكان عليه السلام قليل النوم بالليل، كثير السهر، يحبى أكثر لياليه من أوّلها إلى الصبح، وكان كثير الصيام، فلا يفوته صيام ثلاثة أيام في الشهر، ويقول: ذلك صوم الدهر، وكان عليه السلام كثير المعروف والصدقة في السر، وأكثر ذلك يكون منه في الليالي المظلمة، فمن زعم أنه رأى مثله في فضله فلا تصدّق<sup>١</sup>. وفي هذا وغيره ما يفسر نصّ أبيه عليه إماماً من بعده، "لفضله على جماعة إخوته وأهل بيته وظهور علمه وحلمه وورعه [واجتهاده]، واجتماع الخاصة والعامّة على ذلك فيه ومعرفتهم به منه. ولنصّ أبيه عليه السلام على إمامته من بعده، وإشارته إليه دون جماعة إخوته وعشيرته"<sup>٢</sup>.

ولعل في صيرورة (الرضا) ثابتاً في شخصية الإمام، تتحرك بمقتضاه الفضائل الخلقية كلها، ما يفسّر قوله: "التودّد إلى الناس نصف العقل"<sup>٣</sup>، جاعلاً من ذلك التودّد غرضاً ضرورياً في تجنب الأذى مشاعر مؤلمة تحتل الطرف الأسفل من طبيعته الإدراكية، فتخدش كرامته. ويذهب بعيداً، فيجعل نصر الله معقوداً بالعفو، والعفو لزيم الرضا، يقول: "ما التقت فتناً قط إلا نصر أعظمهما عفواً"<sup>٤</sup>.

ولأن الإنسان كائن محتاج، فقير، ضعيف، في طبيعته، يقول تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وِجْيَاءَ الْوَسْوَاسِ الْغَابِرِينَ﴾ (النساء: ٢٨). فهو أحوج ما يكون إلى إعانتته، حفاظاً على كرامته، يقول سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: جزء من الآية: ٢). ولكن إعانتته التي نحفظ له كرامته ليست إعانة مُكْرَه بل إعانة من يشكر الله سبحانه لهديته المعين إلى تلك الإعانة. ولهذا يقول، الإمام (الوفاي) وفاء لتلك الكرامة وتاماً لها بجعل التعاطف مع الإخوان وإعانتهم شكراً لله وأنساً بمعرفة نعمته، "واعلموا أنكم لم تشكروا الله بشيء -بعد الإيمان بالله ورسوله، وبعد الاعتراف بحق أولياء الله من آل محمد - أحبّ إليكم في الله من معاونتكم لإخوانكم المؤمنين على دنياهم التي هي معبر لهم إلى جنان ربهم، فإن من فعل ذلك كان من خاصة الله"<sup>٥</sup>.

وبالعود إلى التسمية، ولكن من حيث تعلق التسمية بذات الإمام هذه المرة، يتضح لنا أن (الرضا)، من حيث هو صفة كمال، لا يرقى إلى الكون مقاماً إلا إذا استند إلى معرفة عقلية وصبر قلبي على ما يؤلم، يُروى عن والد الإمام عليهما السلام، في السنة التي قبض فيها، قوله، في معرض قصه لما سيؤول إليه أمره وأمر الإمامة من بعده: "إني أُؤخِّدُ في هذه السنة والأمر إلى ابني عليّ، سميّ عليّ وعليّ، فأما عليّ الأول فعليّ بن أبي طالب، وأما عليّ الآخر فعليّ بن الحسين، أُعطيّ فهُم الأول وحلمه ونصره ووَدّه ودينه، ومحنة الآخر وصبره على ما يكره"<sup>٦</sup>. وفي هذا ما يؤسّس لأمرين متلازمين، أما الأول منهما فهو أن مفهوم (الرضا) أوسع من أن يُقَيّد بالصبر على ما يكره. وذلك لأن صبرا على المكروه من دون أن يستند إلى فهُم وحلم ووَدّ ودين لا يمكن أن يفضي إلى كمالات الرضا ومقاماته العالية. وأما الثاني مفاده أن الشعور بكرامة الآخر مشروط بتجربة الفقد وما يترتب على محنة الفقد من صبر جميل بالنسبة إلى العارفين. ولهذا كان الإمام (الرضا) علامة دالة للإنسان -وإن كان المختلف أو المخالف- الذي يبحث عمّن يحترمه فيه كرامته الإنسانية. تلك الكرامة التي جعلها الإمام الرضا عليه السلام نصب عينه، حينما قبل ولاية العهد مكرهاً، فاشتراط على المأمون "أن لا يولّي أحداً ولا يعزل أحداً ولا يغيّر رسماً ولا

١ المصدر نفسه؛ ص ٩١-٩٠.

٢ الإربلي، أبو الحسن، كشف الغمّة في معرفة الأئمة، تحقيق علي آل كوثن؛ ج ٣/ ص ٣٥١-٣٥٢.

٣ مستد الإمام الرضا، جمع وترتب عزيز الله العطاردي؛ ج ١/ ص ٢٨٥.

٤ المصدر نفسه؛ ٢٨٤.

٥ الراوندي، قطب الدين، الخرائج والجرائج، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي؛ ج ٣/ ص ٦٥٩.

٦ الإربلي؛ ج ٣/ ص ٣٥٦.

شئته وأن يكون في الأمر مشيراً من بعيد<sup>1</sup>، وفي شرطه ما يؤكد أنه لم يشأ أن يكون أداة من أدوات انتهاك تلك الكرامة التي انتهكت كثيرا في عصره وعصر من قبله من آبائه.

### ملخص البحث ونتائجه

استند البحث، إلى ركيزتين رئيسيتين، أثناء صياغته لفرضيته العلمية والأسئلة المترتبة عليها، ألا وهما؛ فلسفة الاسم في ضمن المحدد القرآني للتسمية، من حيث علاقة الاسم بالمسمى أولاً، ومن حيث انعكاسات تلك التسمية على سلوك المسمى ثانياً. أما الركيزة الثانية فهي بناؤه المعرفي على فرضية علمية مفادها أن ألقاب الأئمة عليهم السلام، وكناهم، في ضمنهم الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، تستمد مرجعيتها من مستنداتها المعرفية والعلمية والأخلاقية القادرة على استشراف علاقة حسن التسمية ومدى مناسبتها للمسمى، فضلاً عن قدرة تلك التسمية على أن تكون دليلاً على سيرة الإمام وعلامة على سلوكه العقدي والأخلاقي والمجتمعي. ولتأكيد تلك الفرضية عمد البحث إلى التأسيس القرآني لمفهوم الرضا، وفقاً لشروطه النصية والموضوعية الضابطة لذلك المفهوم، بغية التعرف إلى حدود المصطلح وما يترتب عليه من آثار مختلفة تصلح أن تكون ضامنة لقبول التعدد والاختلاف، فضلاً عن ضمان كرامة الإنسان.

وعلى هذا، خلص البحث إلى جملة من النتائج، منها؛ إن الاسم الأشهر، من أسماء الإمام علي بن موسى عليه السلام، وهو لقب (الرضا)، ظاهرة أولى وأصل منهجي وكمال معرفي، قابل لأن ينحل في مسماه؛ الإمام علي بن موسى عليه السلام. فهو دالٌّ على ذاتية الإمام عليه السلام، وهي تفيض بحقيقة (الرضا) فتمد بأثره في الواقع الخارجي المحيط بالإمام، لتتكوّن شخصيته عملياً عبر الصيرورة التاريخية بأثر من ذلك (الرضا)، من حيث هو ثابت قرآني أصيل ينتظم بنية الكمال الانساني في شخصية الإمام.

(الرضا)، من أسماء الإمام، اسم دال على ذات الإمام، أكثر مما يدل على صفة من صفاته. وهو حيث هو سمة الإمامة وسموها الذي تجلّى في شخصية علي بن موسى عليه السلام ليس صفة مشروطة بالزمان والمكان والكيفية. ومن هنا (الرضا) بَعْدَهُ دوراً إمامياً جلّاه الإمام الثامن من أئمة أهل البيت عليهم السلام، ليس صفة عارضة علقت بالموصوف بل الإمام نفسه هو الذي جلّى هذا المفهوم فأضاف إليه ما سما به إلى مزيد من مراتب التمام بعد الكمال.

الرضا (بمدّ الألف) الذي هو فعل مشاركة وقصّ في الراضي لإرضاء الآخر، أعلى رتبة من (الرضى) (بالألف المقصورة)، الذي هو شعور فردي لا يوجب إرضاء الآخر، وبمقتضى الأول منهما، وهو لزييم المحبة والمحبة لزييمه، تُحَفَظ قيمة الآخر المختلف وتُحْتَرَم كرامته. والذي يدعم هذه الرتبة العليا من رتبتي (الرضا) وهي تتجلى في شخصية الإمام علي بن موسى عليهما السلام، امتدادها في تلك الصفات المرتبطة بصفة (الرضا)، تلك التي جعلت منها السببية التاريخية لزيمة شخصية الإمام بل هي شهيرة به؛ فالرضا هو (الصابر) و(الزكي) و(الوفي) و(الصدّيق) و(الفاضل)، و(الرؤوف). محاوراة الواقع المختلف والحرص على تقبله، على الرغم من اختلافه، هو التجلي الأتم لصيرورة (الرضا) مرتكزا رئيسا من مرتكزات قبول ذلك الواقع علميا وثقافيا وأخلاقيا. وهذا ما جلّاه الإمام خير تجلية، بدءا بقبوله ولاية العهد، ومرورا بمحاورته المختلفين علميا، وخصوصاً إلى الدائرة الأولى المحيطة به متمثلة بمواليه ومماليكه.

إن خير ما يُكرم به الآخر، وأتمّ ما به تُحترم الكرامة الإنسانية، هو إعطاء الآخر حريته، وأن خير تلك الحرية المعطاة أن تُعطى عن رضا، وعن محبة. فإن أُعطيت عن ذينك الرضا والمحبة، كانت مدعاة لمزيد من الزكوة، وداعية لكلمات الطهارة النفسية في المُعطي والمُعطى. وقد كان الإمام الرضا (الزكي) يعطيها وفاقاً لما يتطلبه خلق الزاكي الزكي. وبموجب هذه الخلاصة، تصير توسعة مفهوم الكرامة الإنسانية ببعديه الاجتماعي والفلسفي ضرورة، توجب الاستناد في تعريفها إلى مصطلح (الرضا) بشقّه: المفهومي، مرة، والشاخص في شخصية الإمام الرضا عليه السلام، مرة أخرى.

### المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

القرآن الكريم

ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، (د. ط. تا).

الإربلي، أبو الحسن علي بن عيسى أبو الفتح، كشف الغمّة في معرفة الأئمة، تحقيق علي آل كوش، مركز الطباعة والنشر للمجمع العلمي لأهل البيت عليهم السلام، دار التعارف- بيروت، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

أمير، عباس، المعنى القرآني بين التفسير والتأويل- دراسة تحليلية معرفية في النص القرآني، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.

الجرجاني، علي بن محمد، معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة.

الجيلي، عبد الكريم بن إبراهيم، الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، تصحيح وتعليق فاتن محمد خليل، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

الجوزية، ابن القيم، تحفة المودود بأحكام المولود، تحقيق عثمان بن جمعة ضميرية، دار عطاءات العلم، ط٤، ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م.

زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، دار الرسالة، بيروت لبنان، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

تفسير ابن القيم، تحقيق محمد أويس الندوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

الراوندي، قطب الدين، الخرائج والجرائح، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي، قم، ط١، ١٤٠٩هـ. ق.

الصدوق، ابو جعفر، عيون أخبار الرضا، تحقيق مهدي الحسيني اللاجوردي، رضا مشهدي، ١٣٤٣.

صليبا، الدكتور جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، ١٩٨٢.

العسكري، أبو هلال، معجم الفروق اللغوية، تحقيق بيت الله بيت، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٢هـ.

الطباطبائي، محمد حسين، الميزان، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٩هـ ش.

الطوسي، أبو جعفر، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان.

العجم، رفيق، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٩.

الفيروز آبادي، مجد الدين، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٥م.

القرشي، باقر شريف، حياة الإمام علي بن موسى الرضا: دراسة وتحليل، انتشارات سعيد بن جبير- قم، ١٣٧٢ هـ.  
المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط٣.  
مستد الإمام الرضا، جمع وترتيب عزيز الله العطاردي، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، (دون. تا).

ثانيًا: الدوريات

مجلة العميد، السنة (١٢)، المجلد (١٢)، العدد (٤٥)، آذار ٢٠٢٣.

## دور القيادة الإيجابية في مكافحة التمييز الاجتماعي و بناء مجتمعات شاملة الإمام الرضا عليه السلام نموذج

حسين محسن علي سلوم التميمي<sup>١</sup>

### الملخص

يسعى هذا البحث إلى استكشاف كيفية مساهمة القيادة الإيجابية، بالاستناد إلى نموذج الإمام الرضا (عليه السلام)، في مكافحة التمييز وتعزيز الشمولية داخل المجتمعات، من خلال تحليل دور الإمام الرضا كقائد ومعلم، يركز البحث على كيفية استخدامه للتعليم والحوار للتغلب على التمييز وبناء مجتمع أكثر شمولاً وعدالة. بيان البحث:

يتناول البحث دور القيادات الراشدة في بلورة وعي اجتماعي رافض لمظاهر التمييز والتفتيت، مستنداً في ذلك إلى سيرة الإمام أنيس النفوس (عليه السلام) الذي قدم نموذجاً يحتذى به في القيادة الحسنة والعدالة الاجتماعية.

أهداف البحث:

١. تحليل الأساليب التي اعتمدها الإمام الرضا في دعم الشمولية الاجتماعية ومكافحة التمييز.
٢. الكشف عن كيفية تأسيس الإمام الرضا لمنهج قيادي يرسخ للعدالة ويشجع الاندماج والتنوع.
٣. الإسهام في إرساء دعائم المعرفة حول تطبيقات القيادة الإيجابية في المجتمعات المعاصرة مسترشدين بالمثّل العليا الإسلامية.

بعض نتائج البحث:

- وجد البحث أن نهج الإمام غريب الطوس عليه السلام في القيادة يمكن أن يكون مرشداً للقادة الحديثين في تعزيز الوعي الاجتماعي المناهض للتمييز.
- كما أظهرت النتائج أن تبني مبادئ الإمام الرضا يساعد في تشكيل مجتمعات تبجل الاحترام المتبادل وتقبل التنوع.
- أبرزت النتائج إمكانية استيعاب قيم العدالة والمساواة كجزء أساسي من السياسات الاجتماعية والثقافية في المجتمعات المتنوعة.
- أكد البحث على أهمية الحوار البنّاء وتبادل المعرفة الذي مارسه الإمام كأدوات فعّالة في تحقيق التقارب الاجتماعي ودرء التمييز.

<sup>١</sup> باحث ومؤلف في مركز الدراسات والمراجعة العلمية التابع، لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة، العراق، husaan1788@gmail.com

## المقدمة

يعتبر التمييز الاجتماعي واحداً من أبرز التحديات التي تواجهها المجتمعات المعاصرة، حيث يعمل على تعزيز الشقوق والانقسامات داخل النسيج الاجتماعي ويؤدي إلى تهميش بعض الفئات. بالمقابل، تلعب القيادة دوراً محورياً في تشكيل رؤى وأساليب التعامل مع التحديات الاجتماعية، وبناء مجتمعات يسودها الدمج والتنوع. في هذا السياق، يهدف هذا البحث إلى دراسة "دور القيادة الإيجابية في مكافحة التمييز الاجتماعي وبناء مجتمعات شاملة"، مُسلطاً الضوء على نموذج الإمام الرضا (عليه السلام) كأحد أبرز النماذج العملية في هذا المجال.

عبر التاريخ الإسلامي، قدّم الإمام عليه السلام مثلاً يُحتذى به في كيفية إدارة التنوع الفكري والثقافي ضمن الأمة، دون إقصاء أو تفرقة، استطاع بأسلوبه القيادي، الذي يعكس عمق الفهم الديني وسعة الأفق الإنساني، أن يجمع الناس على مبادئ العدل والمساواة والشمولية. لذلك، يُقدّم تحليل دوره كمنارة رُشد في مواجهة التمييز، أرضية خصبة لاستخلاص دروس قيّمة قابلة للتطبيق العملي في مجتمعاتنا اليوم.

لتحقيق أهداف هذا البحث، سيتم اعتماد منهجية تحليلية تاريخية لاستقصاء الحوادث والمواقف التي مر بها الإمام الرضا والدروس المستفادة من سلوكه القيادي. كما سيتم إجراء مراجعة شاملة للادبيات ذات الصلة لبناء إطار نظري متكامل يُعزّز الفهم العميق للمشكلة ويُسهّل وضع الحلول المقترحة.

يُمثل البحث مساهمة في جسر الفجوة بين النظريات القيادية وممارساتها الإيجابية في مجال العدالة الاجتماعية والاندماج، ويُعد دعوة لاستلهاام الإرث الثري للإمام الرضا في بناء مجتمعات تستند إلى مبادئ التسامح والتعايش السلمي،

حيث يكون المحث الأول: القيادة الإيجابية وتعريفها وأهميتها والمفاهيم والغايات وتحدي التمييز الاجتماعي، وموضوع المطلب الأول: تعريف القيادة الإيجابية وأهميتها، ونتطرق في المطلب الثاني: تحديات التمييز الاجتماعي ودور القيادة الإيجابية الاستراتيجية، وأما المبحث الثاني: "نمذجة القيادة الإيجابية عبر منهج الإمام الرضا (عليه السلام): دراسة تحليلية لتأثيره الاجتماعي والتواصلي"، وسيكون المطلب الأول: "تشديد أسس القيادة الإيجابية المعاصرة: من تاريخ ومنهج الإمام الرضا (عليه السلام)"، وفي المطلب الثاني: "تطبيقات عملية من السيرة الرضوية في بناء القيادات والتصدي للعنصرية".

- بيان موضوع البحث: "دور القيادة الإيجابية في مكافحة التمييز الاجتماعي وبناء مجتمعات شاملة الإمام الرضا عليه السلام نموذج"

- أهمية البحث: "أهمية تبني نهج قيادي إيجابي لمكافحة التمييز ودعم الاندماج الاجتماعي"

- أهداف البحث: "الإسهام في تعميق الفهم لأساليب القيادة الإيجابية وتأثيرها في خلق المجتمعات الشاملة"

- منهج البحث: "اعتماد منهجية تحليلية نقدية لدراسة نموذج الإمام الرضا (عليه السلام) في القيادة"

- أسئلة البحث: السؤال الأصلي: "كيف يسهم القياديون الإيجابيون في تعزيز تماسك المجتمع ومواجهة التمييز؟" و الأسئلة الفرعية: "ما الدروس المستفادة من حياة الإمام الرضا (عليه السلام) في مكافحة التمييز الاجتماعي؟" "كيف يمكن تطبيق مبادئ الإمام الرضا (عليه السلام) في القيادة للنهوض بالمجتمعات المعاصرة؟" "ما أثر القيادة الإيجابية على بناء المجتمعات الشاملة؟"

- فرضيات البحث: "نهج الإمام أبو الحسن الثاني (عليه السلام) يقدم إطاراً متيناً للقيادة يمكن أن يعمل على تفكيك التمييز الاجتماعي ويشجع على الإدماج"  
 - السابقة الدراسية للبحث: "دراسة الأعمال الفكرية حول القيادة في الإسلام وتحديد الثغرات البحثية المتعلقة بنموذج الإمام ثامن الأئمة (عليه السلام)"

## التمهيد

في عصر يزداد فيه التعقيد والتغير السريع، تبرز الحاجة الملحة لقيادة هادفة وإيجابية تهدف إلى توحيد الصفوف وتشجيع الفهم المتبادل والتعايش السلمي بين مختلف شرائح المجتمع، القيادة الإيجابية لا تقتصر على مجرد إدارة العمليات والمهام، بل تمتد لتشمل بناء القدرات والهياكل والناس وخلق بيئة تسودها الثقة والاحترام والانتماء، يهدف هذا البحث إلى دراسة دور هذا النوع من القيادة في مواجهة آفة التمييز الاجتماعي وكيفية استخدامها لتعزيز الدمج والشمولية في أوساط المجتمعات المتنوعة.

تحتل سيرة الإمام الرضا عليه السلام مكانة رفيعة ومرموقة لاعتباره كأحد المنتجين للقيادة الذين أثروا في الثقافة الإسلامية والتاريخ، مقدمين نموذجاً للقيادة التي تعالج قضايا التمييز وتسعى نحو الشمولية الاجتماعية، تركز الدراسة على الاعتقاد بأن استخدام مبادئ القيادة التي اتبعها الإمام عليه السلام يمكن أن يوفر إطاراً مفيداً للممارسات القيادية التي تواجه التحديات الاجتماعية المماثلة في العصر الحديث.

سُتعرض في هذا البحث عدة محاور، نبدأها بمناقشة مفهوم القيادة الإيجابية وصلتها بالتمييز الاجتماعي، ثم ننتقل إلى تحليل شخصية وسيرة الإمام الكريم عليه السلام كقائد جمع بين الحكمة والرحمة في تعامله مع التنوع البشري والثقافي، وفي الختام سيتم تقديم استنتاجات وتوصيات قابلة للتطبيق لإرساء مجتمعات أكثر شمولية وتكاملاً.

إن تأثير الإمام الرضا سلام الله عليه وسيرته العطرة تمتد لتشكل دليلاً وضاءً ليس فقط على المستوى الروحي والأخلاقي وإنما كذلك على المستوى الاجتماعي والإنساني، ما يجعل من تحليل دوره في هذا السياق مساهمة قيّمة في قطاع القيادة والإدارة، وخصوصاً في مجتمعاتنا التي تتكامل فيها الثقافات والأعراف والأديان.

المبحث الأول: القيادة الإيجابية وتعريفها وأهميتها والمفاهيم والغايات وتحدي التمييز الاجتماعي.

المطلب الأول: تعريف القيادة الإيجابية وأهميتها:

يمكن تعريف القيادة الإيجابية لغوياً: بأنها فعل التوجيه والهداية للأشخاص أو المجموعات نحو تحقيق الأهداف المنشودة بأسلوب يتسم بالإيجابية، البناء والحماس. واصطلاحاً: فإنها نمط من القيادة يركز على الاستفادة من نقاط القوة والإمكانات الكامنة في الفرد والمجموعة، ويُعزز المرونة والتفكير المبتكر، بالإضافة إلى السعي للتغلب على التحديات بروحية مفعمة بالأمل والتطلع نحو تحويل سلبيات الحياة إلى فرص للنمو والتطور. إن أهمية القيادة الإيجابية: تكمن في قدرتها على إحداث تغييرات جوهرية في سلوك الأفراد والمجتمعات، من خلال تعزيز ثقافة الأمل والتعاون والتماسك الاجتماعي، تقوم القيادة الإيجابية بمكافحة التمييز الاجتماعي وتعزيز الإدماج والشمولية في المجتمع.

نموذج الامام الرؤوف عليه السلام يعد مثلاً يحتذى به في القيادة الإيجابية، حيث كانت مواقفه تجسد المثالية في السلوك القيادي المستنير والرحيم، لقد قدّم أنموذجاً للتعايش والسلام الاجتماعي من خلال إشاعة



روح الامان والعدالة بين الناس، كان يدعو لقبول الآخرين بمختلف أعراقهم ومعتقداتهم ويعمل على بناء جسور الحوار والتفاهم، وهذا ما يوضح الأثر العميق للقادة الإيجابيين في بناء مجتمعات تتسم بالتكافؤ والتعاقد. وفي سياق القيادة الإيجابية، تتجسد العديد من المفاهيم والغايات التي تسعى هذه القيادات لتحقيقها ونشرها في المجتمعات، من أبرز هذه المفاهيم والغايات نجد:

١. التمكين: القيادات الإيجابية تحرص على تشجيع الأفراد على إدراك واستخدام قدراتهم الشخصية، تمكّن القيادة الأفراد من تحقيق أهدافهم وتعزيز الاعتماد على النفس.
٢. الإلهام: تحفز القيادات الإيجابية الآخرين على السعي وراء الأهداف العالية وتحفيزهم ليكونوا أفضل ما يمكن.
٣. الاستباقية: يتمتع القادة الإيجابيون بمبادرة قوية، يعملون لحل المشكلات قبل وقوعها ويبدلون جهوداً للتنبؤ بالعقبات والتغلب عليها مسبقاً.
٤. التحفيز: يقدم هؤلاء القادة التشجيع المستمر والدعم للأفراد من أجل تحفيزهم وتحسين أدائهم.
٥. الأمل: تعمل القيادة الإيجابية على زرع الأمل في قلوب الناس، والتأكيد على إمكانية تحسين الظروف مهما كانت صعبة.

٦. التطوير: يسعى القادة إلى تطوير الأفراد والمؤسسات والمجتمعات، بشكل مستمر ومن خلال مناهج مختلفة. ٧. الشمولية: تبرز القيادة الإيجابية في تفانيها لضممان التمثيل العادل ومشاركة جميع أفراد المجتمع. مثال على هذا في حياة الإمام ضامن الجنة عليه السلام، حيث تظهر قيادته الإيجابية من خلال تعاملاته التي كانت تجسد التواضع وتمنح الثقة لكل انسان طموح، وكذا سعيه إلى إزالة الفوارق الطبقية والتمييز الاجتماعي، فيقدم لنا نموذجاً عملياً يمكن استلهامه للنهوض بالمجتمعات وجعلها أكثر شمولية وتكافل.

(. عن عبد الله بن الصلت، عن رجل من أهل بلخ قال: كنت مع الرضا (عليه السلام) في سفره إلى خراسان فدعا يوماً بمائدة له فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم فقلت: جعلت فداك لو عزلت لهؤلاء مائدة؟ فقال: مه إن الرب تبارك وتعالى واحد والام واحدة والأب واحد والجزء بالاعمال) من هذه الأسماء يونس بن عبد الرحمن كان بمثابة سلمان المحمدي وزكريا بن آدم الذي عبر عنه الامام المأمون على الدين والدينيا واحمد الزنطي حيث أكثر بنقل الرواية عن الامام وكانوا هولاء قمة في ثقافة المعارف وبالعلوم الدينية.

وروي عن علي بن المسيب الهمداني الثقة قال: " قلت للرضا عليه السلام: شقتني بعيدة فلست أصل إليك في كل وقت، ممن أخذ معالم ديني؟ قال: من زكريا بن آدم القمي المأمون على الدين والدينيا".<sup>٣</sup> هذا الحديث يوضح بجلاء أهمية الوسائط العلمية في حفظ الدين ونقل تعاليمه، وبالأخص في الظروف التي لا يمكن فيها للمرء أن يأخذ العلم مباشرةً من مصدره الأصلي، وهو ما يدفنا للتأمل في كيفية اختيار هذه الوسائط، حيث يجب أن يكونوا ذوي أمانة وموثوقية في حمل رسالة الدين وتفصيله.

١- الشيخ الكليني، الكافي: ٢٣٣/٨، سنة الطبع: ١٣٦٢ ش، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة: الرابعة

٢- الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه: ٤٧٠/٤، سنة الطبع: ١٤٠٤، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة: الثانية

ومن خلال فهم هذا النموذج، يمكننا إدراك الطريق الأمثل لصناعة العقول الإيجابية التي تسهم في إعلاء شأن الأمة وخدمتها، يكمن الصناع الحقيقيون للتطور الحضاري في الأمة في أولئك الذين يتمسكون بقيم العلم والمعرفة ويستثمرونها لخلق أجيال متتابعة من العلماء والمفكرين والعاملين للخير.

الحديث يشير أيضاً إلى مسؤولية هؤلاء العلماء في تكوين طبقات أدوار حركية تعليمية، خدمية، وثقافية داخل الأمة، تكون قادرة على التصدي لتحديات الزمان والمكان ومنيبة لأئمة المسلمين.

لذا، فإن توجيه الأمة للاعتماد على أمثال هؤلاء العلماء في الأمور الدينية يعدّ ضرورة للحفاظ على تواصل المجتمعات الإسلامية بأصولها الفقهية والعقيدية، مما يحقق الاستقرار الفكري والروحي في الأمة.

المطلب الثاني: تحديات التمييز الاجتماعي ودور القيادة الإيجابية الاستراتيجية:

يواجه المجتمع الحديث في بنيتها الاجتماعية العديد من التحديات التي قد تتيح تقدمه وتطوره، ومن أبرز هذه التحديات يبرز التمييز الاجتماعي الذي قد يتجلى في صور متعددة كالتفرقة على أساس العرق، الجنس، الدين، الطبقة الاجتماعية أو الوضع الاقتصادي، في مواجهة هذه القضايا، تلعب القيادة الإيجابية دوراً محورياً في التصدي للتمييز وتعزيز الإدماج والتماسك الاجتماعي.

إن القائد الإيجابي يعتبر مصدر إلهام سواء من خلال القول أو الفعل يسعى إلى بناء ثقافة تنظيمية قائمة على الاحترام المتبادل والقيم المشتركة، من خلال تبني سياسات وممارسات تشجع على التنوع والشمول، يمكن للقائد الإيجابي أن يضع الأساس لبيئة ترحب بالجميع وتكافح التمييز بكل أشكاله.

القيادة المثمرة تتجاوز العمل الفردي للقائد؛ حيث تشمل إنشاء نظام يحفز الأفراد داخل المنظمة أو المجتمع على التعاون من أجل تعزيز القيم الشاملة وتقدير التنوع، كذلك يؤكد القادة على أهمية التعليم والتوعية كأدوات رئيسية في كسر الحواجز وبناء فهم أعمق لقضايا التمييز.

تأتي أهمية القيادة النموذجية في هذا السياق لأنها توفر الرؤية والدافع للتغيير والتحسين المستمر، يقوم القائد بتنظيم وتوجيه الطاقات نحو غايات بناءة، مثل تزويد المهارات وتعزيز التعاطف الاجتماعي والثقافي، بما يؤدي إلى خلق مجتمع أكثر عدلاً ومساواة.

في هذا السياق لا بد من الإشارة إلى أن القيادة الإيجابية لا تحظى فقط بفائدة أخلاقية، بل وفائدة عملية أيضاً، فالأنظمة الشاملة أثبتت أنها أكثر استقراراً وابتكاراً، وهو ما يعزز الأداء والإنتاجية الاقتصادية للمجتمع ككل.

ولقد تمثلت الاستراتيجيات التي اتبعها الإمام الرضا عليه السلام في عصره، عصر كان يمثل فسحة عظيمة لنشر الوعي الثقافي، في جهوده الرائدة ونضاله الخفي الهادئ، والذي كان له أثر بالغ في المستقبل، فقد استطاع عن طريق هذه الجهود أن يخلق مساحات بشرية متحركة وأدوات علمية منفتحة.

على سبيل المثال بدأها الامام بدافع معنوي جميل بتوجيه حديث يرفع ويعلم نفوس الأمة ويصنع دافع قيادي إيجابي مشمر من خلال مقاله سلام الله عليه

للهروري حيث يقول سمعت الإمام أبا الحسن علي بن موسى الرضا يقول: «أحبوا أمرنا، رحم الله من أحبنا أمرنا. قلت: يا بن رسول الله وكيف يحيى أمركم؟ قال: أن يتعلم علومنا ويعلمها الناس؛ فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لتبعونا»<sup>1</sup>

1 الشيخ الصدوق، معاني الأخبار؛ ٨٠، سنة الطبع: ١٣٧٩ - ١٣٣٨ ش، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، تحقيق تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري.

رغم وجود قوى سلطوية قوية، كحكومة بني العباس وسلطة المأمون العباسي، إلا أن الإمام، من خلال ولايته للعهد، أحيانا النفوس ووحيد جميع الاتجاهات الدينية نحو أسس الدين والشريعة، وبهذا تحركت مساحات شاسعة في اتجاه خلق منظومة بها قيادة إيجابية مثمرة، متصدية وملتزمة بصيانة عقول متحصنة، ومنطلقة من مبدأ العقل المحمدي وروحية آل محمد. يمكن القول إن استراتيجيات القيادة الإيجابية، التي نهجها الإمام الرضا عليه السلام، قد شكلت نموذجاً يستحق الدراسة والتأمل، فهي تساعد على مكافحة التمييز وتستحدث بيئات شاملة ومفتوحة تسير احتياجات العصر وتعمل على رفع مستوى الوعي بين أفراد المجتمع.

نشهد في التاريخ الإسلامي أحداثاً عظيمة كان لها دور حاسم في صياغة المشهد الديني والسياسي، ومن بين هذه الأحداث نجد نفوذ التشيع بعد وصول الإمام الرضا عليه السلام إلى خراسان، لقد كان لقدوم الإمام تأثير بالغ أسهم في تهئية الأرضية لحركات العلويين في المنطقة، والتي أبرزها خروج محمد بن قاسم العلوي في طالقان. هذا الخروج الذي وقع في العام ٢١٩ هجرياً، وإن كان يُعد حدثاً قصير الأجل في ظل الدولة العباسية آنذاك وخاصة في عهد المعتصم، إلا أنه كان له بالغ الأثر في توسيع دائرة الشيعة جغرافياً في خراسان وما جاورها، حيث أظهر البيعة لمحمد بن قاسم ألاف الموالين التي تجاوزت ٤٠ ألف شخص، ما يشير إلى النفوذ والقبول الواسع لمبادئ التشيع ودعوتهم في الأوساط الشعبية<sup>١</sup>.

إن الإقبال المذهل على بيعة محمد بن قاسم يكشف عن الانتشار الواضح للتشيع وإيمان الناس بالعدالة الاجتماعية والمبادئ التي وقف لها أهل البيت عليه السلام. كما يدل على التأثير الروحي والثقافي الذي جلبه الإمام الرضا عليه السلام لتلك الربوع، مُعززاً بذلك مسار التشيع ومعتقداته.

يمكن القول بأن وجود الإمام الرضا عليه السلام في خراسان، لم يكن مجرد حدث تاريخي، بل كان تحولاً نوعياً في الجغرافيا السياسية والدينية للمنطقة، فاكتمل التشيع قوة ومكانة بارزة انعكست في الحركات اللاحقة واستمرار الدعوى لعدالة أهل البيت (ع) وحققهم في قيادة المجتمع الإسلامي لذلك مع مرور العصور أصبحت خراسان أرض ملاذ امن للتشيع.

يُظهر التاريخ أن العديد من القادة المتفرقين في البقاع قد أثروا بشكل كبير في مجتمعاتهم، معتمدين على استراتيجيات فكرية وروحية لمواجهة التحديات الاجتماعية، في سياق الحديث عن الإمام الرضا عليه السلام، نجد كيف استطاع، حسب التاريخ والمصادر الإسلامية، أن يضع بصمته الفكرية والروحية في عصر مليء بالتحديات، كسطوة الخلافة العباسية وغيرها.

وعلى الرغم من الظروف الصعبة والضغوط السياسية، استطاع الإمام الرضا من خلال حكمة قيادته وعمق نظرته أن ينشر الوعي ويوحد الأمة حول أسس الدين الحقيقية، فيما يلي بعض من الاستراتيجيات التي يمكن رؤية مثال عليها في حياته ومنهجها والتي تتفق مع الممارسات المعروفة عن القيادة الإيجابية:

١. التعليم والتوعية: العمل على نشر الوعي الثقافي والديني من خلال الحوار والنقاش الهادئ، ومحاولة إحياء الجانب العلمي في الدين.
٢. الصبر والحكمة: التحلي بالصبر واستخدام الحكمة في التعامل مع الخصوم والمنافسين السياسيين، ومحاولة الاستفادة من المواقف الصعبة لتحقيق منافع طويلة الأمد.

٣. الإدماج والوحدة: توحيد الكلمة والسعي نحو إدماج مختلف الاتجاهات والمذاهب الدينية تحت مظلة المبادئ الأساسية للدين.
٤. مناهضة التمييز: استخدام موقعه لدعم الفئات المهمشة ومحاربة أي شكل من أشكال التمييز الاجتماعي أو الديني.
٥. القدرة على التأثير: العمل على أساس العقلانية والروحانية معاً، إثراء الفكر والوجدان، ومحاولة تأثير متعمق يعالج الجذور بدلاً من الأعراض.
٦. إبتكار الأساليب: استحداث أساليب جديدة في الدعوة والتعليم تتناسب مع الظروف والحاجات الراهنة.
٧. إقامة النموذج: كون الشخصية القائدة نفسها مثلاً وقدوة في الفكر والسلوك، مما يحفز الآخرين على الاقتداء.

### ولدينا وثيقة مهمة جدا ومستديمة مع العصور حين يرسل مولانا

الإمام الرضا عليه السلام - لعبد العظيم الحسيني -: (يا عبد العظيم ، أبلغ عني أوليائي السلام، وقل لهم أن لا يجعلوا للشيطان على أنفسهم سبيلاً ، ومُرهم بالصدق في الحديث وأداء الأمانة ، ومُرهم بالسكوت ، وترك الجدال فيما لا يعينهم ، وإقبال بعضهم على بعض ، والمُراوَرَة ، فإن ذلك قربةٌ إليّ . ولا يشغلوا أنفسهم بتمزيق بعضهم بعضاً فإنّي آليت على نفسي أنه من فعل ذلك وأسخط ولياً من أوليائي دعوتُ اللهليّعدّته في الدنيا أشد العذاب وكان في الآخرة من الخاسرين . وعرفهم أنّ الله قد غفر لمُحسِنهم وتجاوز عن مُسيئهم إلا من أشرك به أو آذى ولياً من أوليائي أو أضمر له سوءاً فإنّ الله لا يغفر له حتّى يرجع عنه ، فإن رجّع ، وإلّا نزع روح الإيمان عن قلبه وخَرَجَ عن ولايتي ، ولم يكن له نصيباً في ولايتنا ، وأعوذُ بالله من ذلك)١.

التأثير الاستراتيجي للإمام الرضا عليه السلام على النسيج الاجتماعي والأخلاقي لا يتبعه لا يزال يمثل ركيزة أساسية في تشكيل الوعي الديني والتماسك الاجتماعي ضمن المجتمعات الإسلامية، من خلال الوثائق التاريخية التي وصلتنا، نستشرف عظمة هذا التأثير، وفي مقدمة هذه الوثائق تأتي الرسالة الإستراتيجية التي بعث بها إلى السيد عبد العظيم الحسيني (ره).

في هذه الرسالة، لخص الإمام سلام الله عليه جملة من التعاليم الأخلاقية الرفيعة التي تظهر جلياً أهمية ما يرمي إليه من تقوية العرى بين أفراد المجتمع ودعوتهم إلى التقوى والزهد والعدل والأمانة، محشداً هذه النصائح داخل إطار ديني وعملي مشتمل على الإصلاح الذاتي والاجتماعي.

يُعظم الإمام في كلماته من شأن السلام الذي يبعثه لأتباعه عبر السيد الجليل، مشدداً على تجنب إيواء الشيطان ودروب الفتنة التي تهدد صفو العلاقات، كما يحث على الصدق والأمانة كأساسيات مهمة في تعاملات المرء، مُفنداً أهمية السكوت والانكفاف عن الجدال في أمور لا تعني الفرد، بما يكفل تماسك الروابط الاجتماعية ويمنع تفككها.

تبين الرسالة العمق الاستراتيجي في مشروع الإمام، الذي لا يعالج فقط السلبيات بل يهدف إلى تحقيق المصالح وترسيخ دعائم الأخوة الإسلامية، وبلا شك، فإن التأكيد على مزورة المؤمنين لبعضهم البعض يعتبر من قبيل القربات التي تقربهم من الإمام ومن تعاليم أهل البيت عيها السلام.

١ الحر العاملي، وسائل الشريعة: ٢٢٨/٢٠، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، تحقيق: تصحيح وتذييل: الشيخ محمد الرزي / تعليق: الشيخ أبي الحسن الشعراني.

تبقى هذه الاستراتيجيات مثلاً على كيفية استخدام القيادة الإيجابية لتأسيس تأثير دائم وبناء، حتى وإن كان في ظروف سياسية واجتماعية معقدة، وتُعطى لمحة عن الإمكانيات الكبيرة للقيادة الروحية والفكرية في تحقيق تغيير مستدام وفَعَال.

المبحث الثاني: "نمذجة القيادة الإيجابية عبر منهج الإمام الرضا (عليه السلام): دراسة تحليلية لتأثيره الاجتماعي والتواصلية".

المطلب الأول: "تشديد أسس القيادة الإيجابية المعاصرة: من تاريخ ومنهج الإمام الرضا (عليه السلام)" إن من خلال التاريخ الإسلامي، نجد عصر فيه نماذج عديدة حول القيادة الإيجابية التي يمكن تعلمها وتطبيقها في الوقت الحاضر، أحد أبرز هؤلاء القادة هو الإمام الرضا عليه السلام، عبر فهم فلسفته ومنهجه في القيادة، نستطيع أن نتعلم ونستوعب أشكالاً جديدة من القيادة الفعالة مستوحاة من سيرته وحياته. إن الإمام عليه السلام، نرى قائداً ذا بصيرة تصل إلى بُعيد ويدرك القمع والظلم الذي تعرض له الكثيرون، ومع ذلك فهو لم يستهلك غضبه وتوجهه نحو التغيير عن طريق العنف، بل من خلال الحوار البناء، التواصل الفعال، والطموح لتحقيق العدل والمشاركة الإيجابية في المجتمع.

الإمام الرضا لم ينعزل بمعزل عن شرائح المجتمع المختلفة، بل كان يتفاعل معها جميعاً بمرونة وود، قام ببناء جسور التواصل والتفاهم، والتي ليست فقط بين الناس ولكن بين الفكر والمعتقدات المختلفة أيضاً مثل الملحدين والزنادقة والطوائف الأخرى.

كما أنه قام بعملية تعليمية تثقيفية ضخمة، حيث تركز على التغيير ومعالجة قضايا المجتمع بطريقة سمحت بالتطور والازدهار، وكان لهذا الأسلوب الفذ تأثير بالغ في تحقيق السلام والاستقرار الاجتماعي.

من الأصحاب الذين بذلوا ما في وسعهم من تأثير إيجابي وتغيير نفسي عند المجتمع وحتى مع الأعداء هو الصحابي المخلص: أبو الصلت الهروي، هو عبد السلام بن صالح الهروي وهو من الراويين والمحدثين والناقلين للإمام الرضا عليه السلام وهو الذي نقل حادثة الاستشهاد وحالة دس السم للإمام صلوات ربي عليه وأبو صلت يعتبر ناقل تاريخي مميز حيث نقل وروى مواقف تاريخية كثيرة حيث أوصلها لأجيال متلاحقة يشهد لها الكتب الروائية وله باع وجهاد مخلد بكثير من المناظرات مع المرجئة والجهمية والزنادقة والقدرية وروى احاديث اهل البيت عليهم السلام<sup>١</sup>.

نلاحظ شخصية أخرى قد جاهدت وبذلت وقد اخذت كلمات البشرية من فم المعصوم الطاهر الأ وهو يونس بن عبد الرحمن حيث ضمن الدعم المعنوي والشهادة العالية من الامام ثلاثة مرات حيث بشر بالجنة<sup>٢</sup>.

وهو كان بمثابة سلمان المحمدي في حديث يقول: «يونس في زمانه كسلمان الفارسي في زمانه»<sup>٣</sup>. لما له من مكانة علمية وارث فقهية وكذا دورة في تدريس جيل من الطلبة حسب النصوص، فهذه لها أثرها في تربية وتنشئة شخصيات تكون لها محورية في العقيدة والدين والمجتمع لذلك كان يعطي ويرد عن المسائل بكل معالم الدين.

١ تهذيب الكمال، المزي: ٧٩/١٨، سنة الطبع: ١٤١٣ - ١٩٩٢ م، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان، تحقيق: وضبط وتعليق: الدكتور بشار عواد معروف، الطبعة: الأولى .

٢ الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): ٧٧٩/٢، الناشر: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، تحقيق: تصحيح وتعليق: مير داماد الأسترابادي / تحقيق: السيد مهدي الرجائي .

٣ روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، محمد تقي المجلسي (الأول): ٤٧٧ / ١٤، سنة الطبع: ١٤٠٦ ق، الناشر: مؤسسه فرهنكي اسلامي كوشانپور - قم، تحقيق: محقق / مصحح: موسوي كرمانى ، حسين و اشتهاىدى على بناه، الطبعة: الثانية .

(عن عبد العزيز بن المهدي - وكان خير قمي رأبته وكان وكيل الرضا عليه السلام وخاصة - قال : سألت الرضا عليه السلام فقلت : إني لا ألتفك كل وقت ، فعمن آخذ معالم ديني؟ قال : خذ عن يونس بن عبد الرحمن).<sup>١</sup> من خلال هذه الصناعة لابد ان نستلهم من الإمام الرضا عليه السلام في القيادة الإيجابية من خلال تحليل نهجه وأسلوبه في كل المجالات مدى أهمية التفاهم والتواصل مع الآخر، وكيف يمكن للقيادة الإيجابية أن تكون ذات تأثير كبير في المجتمعات المعاصرة عند إعطاء الدور الفعلي.

وإن الاستعراض التاريخي لحياة القادة يُعد عنصراً حاسماً في فهم دورهم التاريخي والأثر الذي تركوه في صفحات التاريخ، عند التدبر في حياة الإمام الرضا عليه السلام والسياق الذي عاش فيه، نجد أسساً لفهم كيف يمكن للنماذج القيادية الإيجابية أن تغير وجه التاريخ وتقود الأمة نحو مستقبل مزدهر.

لقد عاش الإمام الرضا في زمن شديد التقلبات والمليء بالتحديات على مستوى الحكم والسياسة، في عهد الدولة العباسية التي شهدت اضطهاداً كبيراً للأهل البيت وأتباعهم، برغم هذا التحدي الكبير، أثبت الإمام الرضا حكمته في التعامل مع هذه الظروف الصعبة، إذ لم يسمح للظلمة بأن يستغلوا الفرص لمزيد من القمع والطغيان، وبدلاً من ذلك، سعى إلى إيجاد طريق للإصلاح من داخل النظام.

دمج الإمام الرضا عليه السلام لتعاليمه وسياساته في وجدان الأمة لم يتم فقط عبر الخطب والتعاليم الدينية، ولكن أيضاً عبر المثال الشخصي الملموس في حياته اليومية. عرف عنه الصبر والعلم والزهد، وكان يتخذ من الحوار أداة لبناء جسور التفاهم والتواصل الفعال مع مختلف طبقات الناس، مما جعله قدوة في القيادة الصالحة والحكيمة.

في استذكار سيرته، يبرز الدور الذي تلعبه التعاليم التاريخية والاستفادة من النماذج القيادية في تمكين الأمة من الوقوف في وجه الظلم وعدم إعطاء الفرص للظلمة لتثبيت أقدامهم، يُظهر لنا الإمام الرضا أن بهمة القادة الربانيين وصبرهم وحكمتهم، يمكن للأمة أن تتجنب الانزلاق في طريق الظلم والإثم.

لذا، فإن إحياء جنبه وهي عبارة عن صفحة من صفحات حياة الإمام الرضا وتعاليمه في نفوس الناس لا يقتصر على الجانب الديني فقط، بل هي حاجة معنوية وثقافية تعين الأمة على مقاومة الظلم والبناء نحو مجتمعات قائمة على العدل والمساواة.

إن الرغبة في استلهام الدروس من حياة الإمام الرضا عليه السلام والاستفادة من نهجه في القيادة، تدفعنا لاستكشاف تلك الحقيقة والعوامل التي شكلت ذلك السياق التاريخي، ومن هذا الفهم يمكننا تعزيز قدرتنا على مواجهة التحديات الراهنة في سعينا لتشكيل مستقبل أفضل.

المطلب الثاني: "تطبيقات عملية من السيرة الرضوية في بناء القيادات والتصدي للعنصرية"

في زماننا هذا تبرز الحاجة الماسة إلى قيادات راسخة تستمد قوتها من تراث عميق وقيم أخلاقية متجذرة، تتجلى أهمية هذا الأمر في مواجهة تحديات كبيرة كالعنصرية، التي لا تزال تُعيق تطور مجتمعاتنا وتعيق السلام العالمي في هذا السياق، نستلهم العبر من السيرة الرضوية، مستخلصين منها دروساً في القيادة والتسامح.

١ العلامة المجلسي، بحار الانوار: ٢/ ٢٥١، سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م، الناشر: مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية المصححة .

## التطبيقات العملية

السيرة الرضوية للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، توفر لنا نموذجاً يُحتذى به في الوفاق، الصبر، والحكمة، من خلال التأمل في حياته، نستشف كيف يُمكن لتلك الصفات أن تساهم في بناء قادة قادرين على التأثير الإيجابي والسير قُدماً نحو مستقبل أكثر تقدماً وعدالة.

منها هذه الرواية التي لها معاني كثيرة جداً تقول الرواية: (إنّ عليّاً الرضا عليه السلام أعتق ألف مملوك)<sup>١</sup>. ويشير إلى عدة أبعاد معرفية وخيرية وإنسانية قام به بأن أعتق - أي أطلق سراح - ألف مملوك، هذا العمل يحمل دلالات عميقة تتعلق بالقيم الإسلامية والأخلاقية وحرية الإنسان.

## شرح الحديث يتناول أبعاداً عديدة

١. الإنفاق في سبيل الله: يُظهر فعل الإمام التزاماً بأحد المبادئ الأساسية في الإسلام وهو الإنفاق من أجل تحرير العبيد والسعي لرفع الظلم عنهم، مما يعكس مدى رحمته وسعة صدره.
  ٢. منح الثقة والكرامة للإنسان: بإعتاق الرقيق يكون الإمام قد أعاد إلى هؤلاء الأفراد كرامتهم وحريرتهم، مما يؤكد على حق الإنسان في العيش بحرية وعزة.
  ٣. ترسيخ القوة والمعرفة الإسلامية: تعزيز الشخصية الإسلامية لدى الأفراد بعد تحريرهم يشكل جزءاً من صناعة جيل واعٍ بقيم الإسلام ومتمكن من التعامل مع التحديات، وذلك يعبر انعكاس لتوجيهات الدين الحكيم.
  ٤. إبراز نموذج أخلاقي: تقدم سيرة الإمام الرضا عليه السلام نموذجاً عملياً للأخلاق الرفيعة التي يجب أن يتحلّى بها المسلم، وأهمية الأعمال التي تصب في مصلحة الجماعة.
  ٥. مواجهة سياسات الأعداء: من خلال تربية أفراد أقوياء ومدركين للأسس الصحيحة للأمة، يمكن لهم أن يكونوا درعاً دفاعياً ضد محاولات الأعداء لإضعاف الأمة أو التأثير على مبادئها.
- من خلال هذه التفاتة العظيمة من الإمام الرضا عليه السلام، نجد تأكيداً على أهمية القيادة الايجابية، ودوره في بناء مجتمع قوي ومتماسك.

## محاورة العنصرية

لقد شدد الرضا عليه السلام على العدالة الاجتماعية ونبذ أي فكرٍ مُنحاز يقوم على التفرقة العرقية أو الطبقية، في حقيقتنا الراهنة، يُمكن تطبيق هذه المفاهيم عبر ترسيخ مبادئ المساواة والاحترام المتبادل في جميع مستويات القيادة والإدارة. ففي رواية تبين هذا الأمر (عن ابن أبي نصر قال: قرأت في كتاب أبي الحسن الرضا عليه السلام إلى أبي جعفر عليه السلام يا أبا جعفر بلغني أن الموالي إذا ركبت أخرجوك من الباب الصغير فإنما ذلك من بخل منهم لئلا ينال منك أحد خيراً، وأسألك بحقّي عليك لا يكن مدخلك ومخرجك إلا من الباب الكبير، فإذا ركبت فليكن معك ذهب وفضة ثم لا يسألك أحد شيئاً إلا أعطيته)<sup>٢</sup>.

١ الشيخ عبد الله البحراني، العوالم، الإمام الرضا (ع): ١/٧٦، سنة الطبع: ١٤١٣ق، الناشر: مؤسسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف - قم، الطبعة: الأولى.

٢ السيد هاشم البحراني، حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار (ع): ٣٧٦/٤، سنة الطبع: ١٤١١ق، الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية - قم، الطبعة: الأولى.

ويشكل الحديث رسالةً توجيهيةً من الإمام الرضا عليه السلام إلى ابنه الإمام الجواد عليه السلام، الرسالة تحمل في طياتها عدة رسائل ودروس:

١. تجاوز المظاهر والفوارق الاجتماعية: ينتقد الإمام الرضا تصرفات الموالي الذين يهتمون بالمظاهر الزائفة مثل استخدام أبواب مختلفة للجلبانيات الاجتماعية، ويأمر ابنه بأن يتجنب هذه التصرفات وأن يكون قريباً من الناس دون تمييز.

٢. العدالة والمساواة في العطاء: يدعو الإمام الرضا ابنه إلى أن يعطي الناس دون تفرقة أو تمييز، ما يعكس قيمة العدالة والإنصاف وأن الخير يجب أن يعم على الجميع.

٣. السخاء كأساس للمجتمع الإسلامي: الأمر بأن يكون الامام الجواد دائم الإعطاء والسخاء يؤكد على أهمية العطف والرحمة في الإسلام، وكيف أن القيادة الصالحة تكون بالرفع والبركة للناس.

٤. الاستقلالية عن سياسات الدولة الفاسدة: يلفت الإمام إلى أن سياسات الدولة العباسية المبنية على التفرقة والعنصرية لا تتوافق مع رسالة الإسلام الصحيحة والتي تهدف إلى توحيد الصف ورعاية حقوق كل إنسان.

نشاهد العنصرية في أمريكا حول الرجل الأسود والشخص الأبيض هي قضية معقدة ومهمة تحظى بالكثير من الاهتمام والنقاش. تاريخياً، تعود هذه العنصرية إلى فترة العبودية وتفشيها خلال تاريخ الولايات المتحدة. فهي معانات إنسانية واجرام بحق المجتمع لا يمكن وضع جميع الناس في فئة واحدة أو القول بأن جميع الأشخاص البيض هم عنصريون أو جميع الأشخاص السود هم ضحايا للتمييز العنصري.

فنزى الشرطة الأمريكية لا ترحم الأسود، والحكومة الأمريكية تقرب الأبيض، واما من تقربهم من السود في مناصب فهذه سياسة تتبعها أمريكا من أجل غايات واهداف مبطنه.

ففي السنوات الأخيرة، شهدت أمريكا حركات احتجاج واسعة النطاق تطالب بالمساواة ونهاية العنصرية، هذه الحركات تسعى إلى نشر الوعي وتعزيز التغيير في النهج والسياسات العامة لمحاربة التمييز العنصري والظلم الاجتماعي. وتسعى أيضاً لتوفير فرص الاهتمام المتساوية لجميع الأشخاص بغض النظر عن لون بشرتهم.

هذا الحديث هي الرسالة ليست فقط للإمام الجواد عليه السلام، بل هي رسالة لجميع المسلمين لتكون دليل سلوك ونبراس في تعاملاتهم اليومية، تعلمنا الرسالة أن نكون كراماً ومعطاءين وأن نجعل الخير الذي نملكه متاحاً للجميع دون استثناء أو تحيز، تماشياً مع المبادئ الأخلاقية التي أرساها الإسلام.

### البناء الشخصي والتأثير الاجتماعي

إن جوهر القيادة حسب السيرة الرضوية يُعزز من فكرة أن القائد الحقيقي هو من يستطيع أن يقود نفسه قبل أن يقود الآخرين، من هذا المُنطلق، نتعلم كيف يكون التحلي بالأخلاق وتنمية الذات هي الأساس في بناء مجتمع ناشئ على الإنصاف وتقبل الآخر.

لا يختصر دور السيرة الرضوية على كونها مجرد حكايات تاريخية بعيدة عن واقعنا، بل هي منهاج حياة يوضح لنا كيف يُمكن أن نعيش بإنسانية تامة، نُدرك فيها احتياجات بعضنا البعض ونعمل سوياً لصنع مستقبل خالٍ من العنصرية، مليء بالمحبة والسلام، إن الالتزام بدروس السيرة الرضوية في عملنا اليومي ونهج قيادتنا، يُمثل الخطوة الأولى نحو هذا الأفق الواعد.



الإمام الرضا عليه السلام، بحكمته وبرؤيته البعيدة، استخدم نهجاً استراتيجياً في التأثير على المجتمع وتربيته نحو تحصيل أسمى الثمار الإيجابية، بغية تحقيق تغيير اجتماعي وديني مستدام. استراتيجيته في التعامل مع الحركات الثورية والتمردات التي قد تنشأ في المجتمع كانت تتسم بالعمق والبعد البنائي.

### أولاً. التحليل النقدي للثورات

الإمام الرضا عليه السلام لم يرفض الثورات والانفاضات من حيث المبدأ، بل انتقدها عندما تفتقر إلى الهدف الواضح والمصلحة العامة للأمة، وعندما تهدر الطاقات في صراعات لا تخدم الإسلام ولا المجتمع الإسلامي. التخطيط السليم والتنظيم الدقيق والأهداف العليا هي جوهر العمل السياسي والاجتماعي الناجح والفعال في منظوره.

### ثانياً. التفرقة بين الجهاد والفوضى

الإمام الرضا عين الله عليه كان حريصاً على التفرقة بين الجهاد في سبيل الله وبين الأعمال التي تؤدي إلى العنف وإراقة الدماء دون وجود مبرر شرعي. ولذلك، كان منطقهم يعارض تلك الحركات التي تبشر أعمالاً اندفاعية تمس الاستقرار العام، بدءاً بالتشريد والقتل وانتهاءً بالأزمات التي تعصف بالمجتمع ككل.

### ثالثاً. مستقبل المجتمع ومسؤولية القيادة

الإمام كان يرى أن على القيادات الدينية والسياسية مسؤولية بناء مستقبل المجتمع على أسس صلبة من العلم والأخلاق، وأن عمق التأثير يجب أن يعكس القيم الإسلامية الأصيلة، ولا يعتمد على الردود العاطفية الزائلة.

### رابعاً. الرفض الحاسم للتجاوزات

رفض الإمام الرضا التجاوزات التي قام بها زيد بن علي عليهما السلام ومعارضة سلوكياته الثورية التي اعتُبرت جذبت إلى الفوضى ولم تكن تصب في مصلحة الأمة الإسلامية. كان هذا الرفض يحمل دلالة على معيار النقد الذاتي والموضوعي للحركات الاجتماعية وحتى للأقارب إذا ما تم الخروج عن الثوابت الإسلامية ومصالح الأمة.

### خامساً. تطوير عمل القيادي

يدعو الإمام الأفراد والقادة إلى الصبر والتخطيط الرصين وبناء الأسس الإيجابية للأمة، يعكس هذا النهج القائم على الرؤية والحكمة قيم الإسلام في قيادة المجتمع نحو التقدم وتؤكد على دور القيادة في بلورة مجتمع قوي ومتماسك وذو عطاء. في تصور الإمام عليه السلام، القيادة الحقيقية هي التي تستطيع أن تعمل على تحقيق التغييرات الاجتماعية والثقافية الضرورية دون أن تلجأ إلى العنف أو الإقصاء، وتلك هي كانت استراتيجية الإمام الرضا عليه السلام في التأثير على المجتمع وتوجيهه نحو الأفضل تتسم بالحكمة والبعد النظر، فقد كان يؤكد على أهمية العمل المنظم والمخطط بدلاً من التسرع والاندفاع الذي قد يؤدي إلى الفوضى والخسائر.

منهج الإمام الرضا يُظهر إدراكاً عميقاً للتحديات التي تواجهها الأمة وضرورة بناء أساس قوي للتغيير يهتم بالمصالح العليا ولا يقوم على مصالح فردية أو جماعية ضيقة. هذا البناء يشمل تطوير التفكير القيادي وتنشئة جيل يملك القدرة على تحمل المسؤولية وصنع التغيير الإيجابي بحكمة وعلم.

أما بالنسبة لموقفه من الحركات الثورية التي لم تحسب حساب العواقب، مثل حركة زيد بن علي المعروف بـ"زيد النار"، والتي تميزت بالتسرع وعدم وجود تخطيط استراتيجي، فقد أظهر الإمام موقفاً يعكس قلقه ورفضه للعنف الذي يؤدي إلى الفشل ويضر بالأمة ككل، كان يريد للتغيير أن يأتي بثماره على المدى الطويل دون إلحاق الأذى بالمجتمع

بهذا السياق، يُبرز الإمام الرضا عليه السلام رؤيةً واضحةً لأهمية الصبر، التخطيط، والبناء الداخلي للأمة بطريقة تضمن التطور السلمي والازدهار المستدام، بعيداً عن التصرفات الانفعالية التي تزيد من تعقيدات الوضع بدلاً من حلها.

### الخاتمة

لقد كان الإمام الرضا عليه السلام قمة في استيعاب الاختلافات ومظهراً للقيادة التي تجسد الإصلاح والتقدم، يُعتبر دوره في مكافحة التمييز الاجتماعي والعنصري وعدم الكراهية أيقونة للعمل القيادي الذي يبني جسور الثقة ويؤسس لثقافة الإنسانية والشمول، يتمثل الدرس الأكبر في أهمية القيادة الإيجابية التي لا تقف عند حد بل تعزز من القيم الراقية التي تهدف إلى توحيد الصفوف وبناء مجتمع شامل لا يتوانى عن احتواء جميع فئاته والعمل من أجل مستقبل تسوده محبة الخير للجميع.

ومن هنا، ندرك أننا كأفراد المجتمع علينا استلهام هذه الرؤى الرضوية وتفعلها في خضم مسيرتنا نحو مكافحة كافة أشكال التمييز والكراهية. إن بناء مجتمع شامل لا يتحقق عبر الإنجازات الفردية فحسب، بل بتوحيد الجهود وتعزيز روح الجماعة التي أرسى أسسها الإمام الرضا بقيادته الراشدة، مانحاً إيانا مثلاً يضيء درب العدل والسلام للأجيال الراهنة والقادمة.

### النتائج

تشابك نتائج البحث المعاصرة حول موضوع القيادة الإيجابية بشكل وثيق مع الحاجة إلى تجاوز التحديات التي تفرق المجتمعات، مثل التمييز الاجتماعي والعنصرية وثقافة الكراهية، تُظهر هذه النتائج أن القيادات القادرة على توظيف المبادئ الإنسانية الرفيعة وتطبيقها في سياساتها وممارساتها تقود المجتمعات نحو التماسك وتعزز الاندماج الاجتماعي.

الإمام الرضا عليه السلام، بكونه نموذجاً، يأتي كدليل قاطع على أن توجهات القيادة المبنية على الرحمة والتواضع والعدالة قادرة على إحداث تغييرات جذرية في أساسيات بنية المجتمع، الدراسات المعاصرة تؤكد أن الأفعال التي تسعى للإصلاح وترسيخ القيم الإنسانية تسهم بصورة مباشرة في خلق بيئة مواتية للتعاطف والتفاهم بين مختلف الطوائف والأعراق، وتصب في نهاية المطاف في صياغة مجتمعات شاملة.

إن جهود القيادة الإيجابية في هذا الإطار ليست مجرد مبادرات إصلاحية لحظية بل استراتيجيات طويلة الأمد تُؤسس لثقافة تقبل وتحتفل بالتنوع، وتقدر كل فرد كجزء لا يتجزأ من نسيج المجتمع، بهذا نفهم أن البحوث المعاصرة تُسلط الضوء على أهمية القيادة الرشيدة كعامل أساسي في القضاء على العوائق التي تعترض طريق التقدم والوئام الاجتماعي.

١ محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري: ١٢٣/٧، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان، تحقيق: مراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلاء.

## نتائج أخرى

تم اكتشاف مفاهيم وغايات تشكل نقاطاً رئيسية في صناعة القيادات الإيجابية، تمثلت في تعامل الإمام الرضا عليه السلام، الذي خلق قدوة ذات دور إيجابي في المجتمع.

لقد ابتكر الإمام نماذج قيادية نموذجية تنسم بالحوية والتفاعل مع شتى جوانب الحياة الدينية والدينية، إذ كانت رائدة في التطور الحضاري والحفاظ على التراث الديني في خراسان، وهذه النماذج تُعدّ سبّاقاً عبر العصور، ما أسهم حتى يومنا هذا في إحياء مخطوطات ذات أهمية قصوى.

كانت استراتيجية الإمام الرؤوف عليه السلام تمتاز برؤية مستقبلية وأثرها ممتد عبر العصور، تضمنت التنوع في الأفراد، مشابهة لحركة جده في كربلاء، اتخذت هذه الاستراتيجية أشكالاً متعددة منها العمل اللفظي كالخطابات والفعلي كالممارسة الرفقة والخدمات التنظيمية، هذه الجهود أرسّت أساسات متينة، حيث أصبحت خراسان تربة خصبة لأمان المذهب ومهد لتنامي قيادات فاعلة ومثمرة.

بدخول مولانا الإمام أنيس النفوس عليه السلام إلى خراسان، مثل هذا الحدث تحولاً تاريخياً إيجابياً، وضع الإمام ضوابط للحركات الإصلاحية وكرس معايير للنتائج البناءة، وصاغ مؤهلات للقيادة الحكيمة، والتي أصبحت بمثابة إرث سياسي جغرافي مستقل بنكهة رضوية، هذا وقد تجلت تأثيرات هذه الآراء في ثورة محمد بن القاسم بشكل واضح.

إن الوصية التي منحها الإمام كريم آل محمد عليه السلام للسيد عبد العظيم الحسيني رضوان الله تعالى عليه، تحمل أهمية بالغة، ومنها استخلصت مجموعة من النقاط التي تُسهم في تعزيز العمل الاستراتيجي ضمن المجتمع، والتي تساعد في بروز شخصيات إيجابية مؤثرة بشكل مستمر.

إذا تم الأخذ بنهج وسير الشخصيات القيادية التي ظهرت في عهد الإمام الرضا عليه السلام، مع تطبيق طرقهم كالحوار والتفاعل مع المجتمع، فإن ذلك يعد برنامجاً مثيراً للاهتمام. خذ مثلاً أبو الصلت الهروي، الذي أغنى عصرنا بتراث قيم، وكذلك يونس الذي يعتبر في منزلة سلمان المحمدي. من المهم إحياء هذه الشخصيات فنياً وعلمياً، فعلى الرغم من تغيرات المعتقدات، استطاعت شخصيتهم أن تبقى خالدة. من الضروري دراسة خصائص هذه الصحبة وتأثيرهم على الأعداء وخدمة عصرهم وإثرائهم لعصرنا الحالي.

على الرغم من نظرنا المحدودة وتقصيرنا، فإن البحث المذكور قد تناول تقسيم وتطبيق السيرة الزكية للإمام الرضا عليه السلام، إذا ما نظرنا إلى التطبيق العملي لها، نجد فيها عتق ألف مملوك دون النظر إلى لونهم أو اتجاههم، مما يضفي بعداً معرفياً خبيراً إنسانياً مع معاني عميقة ودلالات غنية.

وبالنسبة لمسألة العنصرية، فقد أرسى الإمام، الذي تغديه أرواحنا، أساليب عاطفية لتفكيك التمايز العرقي والطبقي، وقد تم الاستفادة من نقاط محددة استخلصت من الروايات المتعلقة بسيرة الإمام عليه السلام في كيفية تأكيده وترغيبه في العطاء دون التفرقة بين الأسود والأبيض وأي شكل من أشكال الانتماء.

في السنوات القليلة الماضية، انتشرت في الولايات المتحدة الأمريكية حركات احتجاجية طالبت بالعدالة المتساوية والقضاء على العنصرية، هذه الحركات، التي تهدف إلى رفع مستوى الوعي ودفع التغيير في التوجهات والسياسات الرسمية لمكافحة التمييز العنصري والظلم الاجتماعي، تسعى أيضاً لضمان فرص مماثلة في الاهتمام لكافة الأفراد، بصرف النظر عن لون بشرتهم وهذا ما تخفيه الاعلام الغربي حتى يبقى التشوية فقط للإسلام.

توجيه التوصية للإمام الجواد عليه السلام، بل يعتبر رسالة لكافة الأمة لتكون منهاجاً للسلوك ومثالاً يُحتذى به في تعاملاتهم اليومية، تعلمنا الرسالة أن نكون كرماء، معطاءين، وأن نقاسم خيراتنا مع الآخرين دون تمييز أو تحيز، بالتوافق مع القيم الأخلاقية التي أسس لها الإسلام.

## التوصيات

الوصايا التي يمكن استخلاصها من دور القيادة الإيجابية:

١. لا بد من عدم التسامح مع التمييز الاجتماعي أو العنصرية في أي سياق.
٢. يجب بذل الجهود للقضاء على ثقافة الكراهية مهما كانت الظروف.
٣. ينبغي على القادة تعزيز التقبل والتعاطف وتقدير الاختلافات.
٤. الاعتذار عن الأخطاء والتخطيط في الإدارة يعتبر خطوة مهمة نحو المصادقية والقيادة الإيجابية.
٥. وان يكون السعي للتواصل والتفاهم بين مختلف الثقافات والعرقيات لإنشاء مجتمعات شاملة.
٦. تذكر أن كل فرد في المجتمع يكون له قيمة ومساهمة لا يمكن إغفالها.
٧. كذلك أن يهدف القادة إلى خلق بيئة تشجع على التعلم والنمو والتطور.
٨. القيادة تتطلب التنبؤ الفاعل للعدالة والمشاركة الإيجابية في تغيير الظروف الحالية.
٩. الإمام الرضا (ع) يكون خير نموذج من خلال التواصل الإيجابي والتقبل والعدل في مواجهة التمييز الاجتماعي والعنصرية وعدم الكراهية.
١٠. استعمل دور القيادة الإيجابية كأداة لتعزيز التعايش السلمي وتطبيق مبادئ العدل والمساواة خلال جميع مراحل الحياة.

## المصادر

- الشيخ الكليني، الكافي: ٢٣٠/٨، سنة الطبع: ١٣٦٢ ش، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة: الرابعة.
- الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه: ٤/٧٠، سنة الطبع: ١٤٠٤، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة: الثانية.
- الشيخ الصدوق، معاني الأخبار: ١٨٠، سنة الطبع: ١٣٧٩ - ١٣٣٨ ش، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، تحقيق تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري.
- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٤٧٢، الناشر: دار صادر - بيروت - لبنان.
- تهذيب الكمال، المزي: ٧٩/١٨، سنة الطبع: ١٤١٣ - ١٩٩٢ م، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان، تحقيق: تحقيق وضبط وتعليق: الدكتور بشار عواد معروف، الطبعة: الأولى.
- روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، محمد تقي المجلسي (الأول): ١٤/٤٧٧، سنة الطبع: ١٤٠٦ ق، الناشر: مؤسسه فرهنگي اسلامي كوشانبور - قم، تحقيق: محقق / مصحح: موسى كرماني، حسين و اشتهااردی علی پناه، الطبعة: الثانية.

- العلامة المجلسي، بحار الأنوار: ٢/ ٢٥١، سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م، الناشر: مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية المصححة.
- الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): ٧٧٩/٢، الناشر: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، تحقيق: تصحيح وتعليق: مير داماد الأسترابادي / تحقيق: السيد مهدي الرجائي.
- الحر العاملي، وسائل الشيعة: ٢٠/ ٢٢٨، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، تحقيق: تصحيح وتذييل: الشيخ محمد الرازي / تعليق: الشيخ أبي الحسن الشعراني.
- الشيخ عبد الله البحراني، العوالم، الإمام الرضا (ع): ١/ ١٧٦، سنة الطبع: ١٤١٣ ق، الناشر: مؤسسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف - قم، الطبعة: الأولى.
- السيد هاشم البحراني، حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار (ع): ٤/ ٣٧٦، سنة الطبع: ١٤١١ ق، الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية - قم، الطبعة: الأولى.
- محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري: ٧/ ١٢٣، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان، تحقيق: مراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلاء.

## التخطيط الاستراتيجي في فكر الامام الرضا "عليه السلام" لغرس مضامين الحياة اليومية: تنظيرا وتطبيقا

أ.د. رحيم ماهر جبر (الكاتب المسؤول)<sup>١</sup>  
أ.د. هناء كاظم خليفة<sup>٢</sup>

### الملخص

المعروف يقينا أن للامام علي بن موسى الرضا "عليهما السلام" سياساته الخاصة لصياغة ممارسات من شأنها احترام كرامة الانسان وهذه الممارسات تؤدي الى تحقيق مضامين العدالة من خلال التواصل اليومي منطلقا من استراتيجية البناء الاخلاقي في غرس هذه المنظومة، اذ سعى الامام الرضا سلام الله عليه أن يكرس مفهوم البناء الاخلاقي والاجتماعي عن طريق منهج عمله اليومي ليحقق ذلك الاثر الملموس في التنمية وانعكاسها على بناء الفرد والمجتمع في ظل دولة رسمت لها آفاق بعيدة تماما عن منهج آل البيت عليهم السلام، وهنا يأتي دور الامام الرضا في السير عكس تيار السلطة الحاكمة لغرس الأسس التربوية بمنهج رسالي مستمد أصوله من قواعد جده المصطفى صلى الله عليه واله وسلم. تم الاعتماد على المنهج الوصفي - التاريخي واقتضت خطة البحث الى تقسيمه الى عدد من المحاور كل محور منها بحثٌ حثيئة معينة بعد أن تم اختيار نماذج معينة من الاحداث التاريخية التي عكست كيفية أعداد الامام الرضا سلام الله عليه لأستراتيجياته التي عالجت محطات يومية، وخلصنا الى أبرز النتائج التي توصلنا اليها ومنها: خلق وعي عند الافراد لمواجهة مشكلات الواقع، مواجهة الامام "عليه السلام" المد المعارض له بالافتناع وايضاح الصورة، طرح الامام "عليه السلام" أفكاره وفقهه وعلومه لمن طلبها وأراد الاستزادة منها و نهوضه "عليه السلام" بمهامه كمصلح ولم تأخذه في الله لومة لائم.

**الكلمات المفتاحية:** تحديد الاولوية، تدابير الامام الرضا "عليه السلام"، العدالة، رؤى تنظيرية، مضامين تطبيقية

### المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وحبیب رب العالمین نبینا محمد وعلى آله وسلم، وبعد... قال تعالى في محكم كتابه الكريم: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ"<sup>٣</sup>

١ جامعة بغداد، كلية اللغات، قسم اللغة الفارسية، drraheem2004@colang.uobaghdad.edu.iq

٢ الجامعة المستنصرية، كلية الاداب، قسم التاريخ

٣ التحل: ٩٠

تنبع أهمية الموضوع كونه يشكل تحدياً كبيراً إلى طبيعة السلطة العباسية المتمثلة بخليفته المأمون ورجالاته، إذ أستطاع الإمام الرضا "عليه السلام" من استخدام أدواته لتحقيق أهدافه من خلال جهوده لغرس ممارسات الحياة اليومية على الرغم من جهود السلطة في تحجيم دوره وأقصاء نشاطه. والمعروف يقيناً أن للإمام علي بن موسى الرضا "عليهما السلام" سياساته الخاصة لصياغة ممارسات من شأنها احترام كرامة الإنسان وهذه الممارسات تؤدي إلى تحقيق مضامين العدالة من خلال التواصل اليومي منطلقاً من استراتيجية البناء الأخلاقي في غرس هذه المنظومة، إذ سعى الإمام الرضا سلام الله عليه أن يكرس مفهوم البناء الأخلاقي والاجتماعي عن طريق منهاج عمله اليومي ليحقق ذلك الأثر الملموس في التنمية وانعكاسها على بناء الفرد والمجتمع في ظل دولة رسمت لها آفاق بعيدة تماماً عن منهج آل البيت عليهم السلام، وهنا يأتي دور الإمام الرضا في السير عكس تيار السلطة الحاكمة لغرس الأسس التربوية بمنهج رسالي مستمد أصوله من قواعد جده المصطفى "صلى الله عليه واله وسلم".

فرضية البحث:

ما هو المنهاج الذي وضعه الإمام الرضا "عليه السلام" في خلق واقع مخطط له لغرس مضامين الحياة اليومية؟

أهداف البحث:

توثيق الدور الحضاري للإمام الرضا سلام الله عليه من خلال استراتيجياته الإصلاحية.

تشخيص طبيعة العلاقة القائمة بين الإمام والمجتمع بفئاته المختلفة

الوقوف على دور الإمام في تفعيل دوره النهضوي لبناء الدولة

تحديد طبيعة التحديات التي تقف بوجه التطور والبناء

استعراض أبرز المواقف التي واجهها الإمام وكيفية معالجتها بعد الوقوف على حيثياتها

## المحور الأول

الأبعاد الاستراتيجية للإمام "عليه السلام" وطريقة تعاطيه مع ناقديه لأنكارهم عليه قبول ولاية العهد:

لم يدرك البعض حقيقة واضحة مفادها: ان الإمام الرضا سلام الله عليه بأنه قد وضع من قبل السلطة العباسية في موقف يشعره بالتعب، لذا انهال عليه ناقديه لقبوله ولاية العهد التي فرضها المأمون العباسي، لكن الجدير ذكره هو ذلك التعامل من قبله سلام الله عليه أزاء أولئك الناقدين. إذ منحهم كل التقدير واجابهم بصدق أبعد أي شك ممكن ان يلبس عليهم المسألة مدركا تماما ان مثل أولئك الأشخاص قد غابت عن ذهنهم ألاعب السلطة العباسية ولم يقيموا الوضع بتفاصيله كما هو في حقيقته لا كما قدمه الخليفة العباسي. لذا فقد قال له رجل: أصلحك الله كيف صرت إلى ما صرت إليه من المأمون؟ وكأنه أنكر ذلك عليه فقال له الإمام الرضا "عليه السلام": يا هذا أيهما أفضل النبي "صلى الله عليه واله وسلم" أو الوصي؟ فقال: لا بل النبي قال: فأيهما أفضل مسلم أو مشرك؟ قال: لا بل مسلم قال: فإن العزيز عزيز مصر كان مشركا وكان يوسف "عليه السلام" نبيا وأن المأمون مسلم وأنا وصي ويوسف سئل العزيز أن يوليه حين قال "اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليهم" \* وأنا أجبرت على ذلك.<sup>١</sup>

١ الشيخ الصدوق: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت، ٣٨١هـ)، عيون اخبار الرضا (ع)، تصحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلمي، (بيروت-١٩٨٤)، ج٣، ص١٥٤.

ولم ينحصر الموقف على ذلك فقد وجه جماعة من الشيعة وغيرهم نقدا للإمام الرضا "عليه السلام" على ذات موضوع يقوله لولاية العهد من قبل المأمون العباسي منهم: محمد بن عرفة: اذ اقبل نحو الامام، وقال له: يا بن رسول الله ما حملك على الدخول في ولاية العهد؟ فاجابه الامام سلام الله عليه: ما حمل جدي أمير المؤمنين "عليه السلام" على الدخول في الشورى لقد أرغم الامام أمير المؤمنين "عليه السلام" على الدخول في الشورى التي عقدها عمر بن الخطاب لانتخاب الخليفة من بعده، وقد أعلن الامام عن أساه وحزنه لانضمامه مع أعضاء الشورى، قائلا: فيا لله وللشورى متى أعترض الريب في مع الأول حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر وكما أرغم جده وأكره على الدخول في الشورى فكذلك أرغم هو على قبول ولاية العهد.<sup>١</sup>

وعلى ما يبدو ان الامام الرضا "عليه السلام" قد أختار أمثلته المنتقاة كأجوبة على تلکم الاستفهامات التي كان يطرحها الآخريين حول القبول بولاية العهد ولم يأبه بتكرار ذات السؤال عليه سلام الله عليه، بل تقبل الامر منطلقا من هدف بضرورة التأكيد أن ما يحدث ليس مجرد حدث عابر على مسرح الاحداث السياسية، ومن المهم وقوف الأفراد على حيثيات الوضع. ولنؤكد مسألة في غاية الأهمية وهي: لو لم يكن الامام الرضا سلام الله عليه شخصا مؤثرا ومهما في ذات الوقت لما وجه اليه هذا النقد والانكار؛ لانه لا احد ينتقد شخصا غير مهم أبدا.

واستمر الحال مع الريان بن الصلت اذ دخل على الإمام الرضا "عليه السلام" فقال له: يا بن رسول الله إن الناس يقولون: إنك قبلت ولاية العهد مع اظهارك الزهد في الدنيا؟ فاجابه الامام: قد علم الله كراهتي لذلك، فلما خيرت بين قبول ذلك، وبين القتل اخترت القبول على القتل، ويحهم ان يوسف كان نبيا رسولا، فلما دفعته الضرورة إلى تولي خزائن العزيز، قال له: اجعلني على خزائن الأرض اني حفيظ عليهم، ودفعني الضرورة إلى قبول ذلك، على اكراه واجبار بعد الاشراف على الهلاك، على أني ما دخلت في هذا الامر إلا دخول خارج منه فإلى الله المشتكى، وهو المستعان. وأعرب الامام عن كراهته البالغة وبغضه الشديد لهذا المنصب إلا أنه أرغم وأجبر على ذلك.

ولم يتوقف الامر عند ذلك فقد اقبل خارجي يشتد نحو الامام سلام الله عليه وفي كفه مديّة مسمومة، وقد قال لأصحابه: والله لآتين هذا الذي زعم أنه ابن رسول الله وقد دخل لهذا الطاغية فيما دخل فأسأله عن حجته، فان كانت له حجة، وإلا أرحت الناس منه، فاتاه، واستأذن عليه، فأذن له. فقال له أبو الحسن عليه السلام: أجيبك عن مسألتك على شريطة تفي لي بها. فقال له: وما هذه الشريطة؟ فقال: إن أجبتك بجواب يقنعك وترضاه تكسر التي في كمي وترمي بها؟ فبقي الخارجي متحيرا، وأخرج المديّة، وكسرها. فقال له: اخبرني عن دخولك لهذا الطاغية فيما دخلت فيه، وهم عندك كفار، وأنت ابن رسول الله "صلى الله عليه واله وسلم"، فما حملك على هذا؟ فقال "عليه السلام": "وهؤلاء أكفر عندك أم عزيز مصر وأهل مملكته؟ أليس هؤلاء على حال يزعمون أنهم موحدون، وأولئك لم يوحدوا الله ولم يعرفوه ويوسف بن يعقوب نبي ابن نبي، فسأل العزيز وهو كافر فقال: "اجعلني على خزائن الأرض اني حفيظ عليهم" وكان يجلس مجلس الفراغة، وانما أنا رجل من ولد رسول الله "صلى الله عليه وآله" أجبرني على هذا الامر، وأكرهني عليه، ما الذي أنكرت، ونقمت علي وراح الخارجي يقول: أشهد أنك ابن رسول الله، وانك صادق وأعرب الإمام "عليه السلام" في أحاديثه

١ الشيخ الصدوق، عيون، ج٢، ص١٥٢؛ القرشي: باقر شريف، حياة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام "دراسة وتحليل، (قم المقدسة - ١٣٧٢ هـ)، ج٢، ص٣٠٩-٣١٣.



مع الناقدين له عن أرغامه على قبول ولاية العهد، فقد خبر بينها وبين القتل فأختار ولاية العهد لأنقاذ نفسه من الهلاك الذي لا يعود بأية فائدة على القضية الإسلامية.<sup>١</sup>

كل ذلك أوضحه الامام من خلال كتابه "عليه السلام" الى المامون يذكر فيه: اني ادخل في ولاية العهد على أن لا آمر ولا أنهي ولا أقضي ولا أغير شيئاً مما هو قائم وتعيني من ذلك كله فأجاب المأمون إلى ذلك وقبلها على هذه الشروط ودعا المأمون الولاية والقضاة والقواد والشاكرية وولد العباس إلى ذلك فأضطربوا عليه فأخرج أموالاً كثيرة وأعطى القواد وأرضاهم إلا ثلاثة نفر من قواده أبوا ذلك أحدهم عيسى الجلودى وعلي بن أبي عمران وأبو يونس فأنهم أبوا أن يدخلوا في بيعة الرضا عليه السلام فحبسهم وبويع الرضا "عليه السلام" وكتب ذلك إلى البلدان.<sup>٢</sup>

الملفت أن الامام سلام الله عليه أستمر في أسلوبه الهادئ وطريقته المتأنية في توضيح الموقف الذي أضحي هو الحديث اليومي الأكثر تداولاً بين أوساط المجتمع بمختلف فئاته مع الحرص الشديد أن لا يمنح أحداً من أثاره نفس السؤال. والجدير بالذكر أن الأمثلة التي قدمها الامام سلام الله عليه أمثلة يعرفها الجميع وهي ما بين ما ورد في كتاب الله من قصة النبي يوسف "عليه السلام" ومن سيرة الامام علي "عليه السلام" ومعالجتهم لذات الموقف الذي تعرض له الامام الرضا "عليه السلام" لتوضيح الصورة أمام المجتمع وأيضال المعنى الحقيقي لهم.

بل انه "عليه السلام" وضع موقفه بشكل أكثر وضوحاً للمامون نفسه عندما قال: يا أمير المؤمنين إن النصح لك واجب والغش لا ينبغي لمؤمن، أن العامة تكره ما فعلت بي والرأي لك أن تبعدنا عنك حتى يصلح لك أمرك.<sup>٣</sup>

ويعرب المامون عن تأثره بموقف الامام سلام الله عليه بقوله: رحم الله الرضا "عليه السلام"، ما كان أعلمه، لقد أخبرني بعجب. سألته ليلة، وقد بايع له الناس، فقلت: جعلت فداك، أرى لك أن تضي إلى العراق، وأكون خليفتك بخراسان، فتبسم، ثم قال: لا.. لعمرى.. إلى أن يقول المأمون: فجهدت الجهد كله، وأطمعته في الخلافة، وما سواها، فما أطمعني في نفسه.. "والسؤال هنا هو لماذا هذا العرض؟ عجيب إذن هكذا أصبحت الخلافة رخيصة إلى هذا الحد الخلافة. التي لم يكن يعدلها عنده في الدنيا شيء الخلافة التي قتل من أجلها المئات والألوف وخرب المدن ودك الحصون. التي قتل من أجلها أخاه، ومن معه، وقواده، ووزراءه الخلافة هذه أصبحت رخيصة إلى حد أنه يبذلها - حسب منطق - لرجل غريب، وفي مقابل أي شيء؟ في مقابل أن يذهب إلى العراق ولماذا يجهد الجهد كله؟ ولماذا يبذل الخلافة؟ ولماذا يبذل ما سواها؟ لماذا كل ذلك؟ أليس هو ذا القوة والسلطان؟ فلم لا يجبر الإمام "عليه السلام" على ذلك، كما أجبره على قبول ولاية العهد؟ ألم يكن باستطاعته أن يرسله مقيداً مصفداً بالحديد؟ ولماذا يسمح له بأن يعصيه ويخالف أمره؟ أفلا يعتبر ذلك جريمة يستحق عليها أقسى العقوبات، باعتبار أنه يعرض الخليفة والخلافة، وهبتهما للخطر؟.

١ قطب الدين الراوندي: سعيد بن هبة الله (ت، ٥٧٣هـ)، الخرائج والجرائح، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي (ع) بإشراف السيد محمد باقر الموحّد الأبطحي، (قم المقدسة ١٤٠٩هـ)، ج٣، ص٧٦٧: الحر العاملي: محمد بن الحسن (ت، ١١٠٤هـ)، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، ط٣، (قم المقدسة ١٤١٤هـ)، ج٧، ص٢٠٦: القرشي، حياة، ج٣، ص٣٠٩-٣١٣.

٢ الشيخ الصدوق، عيون، ج٣، ص١٦١.

٣ الشيخ الصدوق، عيون، ج٣، ص١٥٧.

نعم إنه يريد أن يذهب الإمام إلى بغداد، ولكنه يريد في نفس الوقت أن يذهب راضياً وغافلاً عما يهدف إليه المأمون من وراء ذهابه هذا. وإلا فإن ذهابه نفعاً، لأنه قد جرب معه الإكراه والإجبار من قبل، في قضية ولاية العهد، ورأى أن الإمام قد اتخذ ذلك وسيلة من الوسائل المضادة، من أجل تضييع الفرصة على المأمون. كما أن بذله للخلافة لم يكن مجازفة بها، لأنه كان مطمئناً إلى أن ما يبذله اليوم سوف يعود إليه غداً. وبالشكل الأفضل والأكمل، لو أن الإمام "عليه السلام" قبل منه ما كان عرضه عليه. إنه يريد أن يرسله إلى بغداد وطلب منه أن يذهب وحده، ويبقى هو خليفة له في خراسان، ليواجه المحنة، التي لن يكون له القدرة على تحملها، والصمود في وجهها. ويتخلص المأمون منه بذلك من أهون سبيل.<sup>١</sup>

## أستثمار الناس فرصة وجود الامام الرضا "عليه السلام" والأستفادة من علمه

### ١- الأستفادة من حديثه سلام الله عليه، حديث السلسلة الذهبية أنموذجاً

عندما دخل نيسابور تعرض له الحافظان: أبو زرعة الرازي، ومحمد بن أسلم الطوسي، ومعهما من طلبة العلم ما لا يحصى، وتضرعوا إليه أن يريهم وجهه، فأقر عيون الخلائق بطلعته، والناس على طبقاتهم قيام كلهم. وكانوا بين صارخ، وبك، وممزق ثوبه، و متمرغ في التراب، ومقبل لحافر بغلته، ومطول عنقه إلى مظلة المهدي، إلى أن انتصف النهار وجرت الدموع كالأنهار، وصاحت الأئمة: معاشر الناس أنصتوا وعوا ولا تؤذوا رسول الله "صلى الله عليه وآله" في عترته فأملى "صلوات الله عليه" عليهم بعد أن ذكر السلسلة الذهبية الشهيرة السند، قوله: سمعت النبي "صلى الله عليه وآله" يقول سمعت جبرائيل يقول: قال الله جل جلاله: إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني من جاء منكم بشهادة أن لا إله إلا الله بالاخلاص دخل في حصني ومن دخل في حصني أمن من عذابي. فقد بلغ من أهتمام العلماء بأحاديثه أنه عند اجتيازه هذا في نيسابور وازدحامهم عليه قد بلغ عددهم ما يتيف على عشرين ألفاً وهم يحملون المحابر وطلبوا منه أن يتحفهم بحديث عن جده رسول الله "صلى الله عليه وآله" ونظراً لأهميته فقد كتبه بعض أمراء السامانية بالذهب وأوصى أن يدفن معه.<sup>٢</sup>

### ٢- دور التأليف والتصنيف في تعامل الامام الرضا "عليه السلام" اليومي، "الرسالة المذهبية" في الطب أنموذجاً

ما المقصود بالرسالة المذهبية او الذهبية؟

الرسالة المعروفة بالذهبية وطب الرضا هي عدة أوراق في الطب صنفها الامام الرضا "عليه السلام" للمأمون.<sup>٣</sup>

ما موضوع الرسالة المذهبية او الذهبية؟

موضوع هذه الرسالة في حفظ صحة المزاج، وتدبيره بالأغذية والأشربة والأدوية، وكان المأمون في نيشابور وفي مجلسه الامام الرضا "عليه السلام"، وجماعة من المتطبيين والفلاسفة مثل يوحنا بن مسويه، وجبرئيل بن بختيشوع،

١ الشيخ الطوسي: محمد بن الحسن (ت، ٤٦٠هـ)، الغيبة، تحقيق: الشيخ عباد الله الطهراني، الشيخ علي أحمد ناصح، (قم المقدسة-١٤١١هـ)، ابن شهر اشوب: محمد بن علي (ت، ٥٨٨هـ)، مناقب آل أبي طالب، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، (النجف الأشرف-١٩٥٦)، ج٣، ص٤٤٩؛ ص٢٣: العاملي: السيد جعفر مرتضى، الحياة السياسية للإمام الرضا (عليه السلام) دراسة وتحليل، ط ٢، (بلا مكان-١٤٠٣هـ)، ص ٣٨٤-٣٨٧.

٢ الشيخ الصدوق، عيون اخبار الرضا، ج٢، ص٤٣؛ القرشي، حياة، ج٢، ص٨٦؛ العاملي، الحياة السياسية، ص١٤٦.

٣ القمي: علي ابن بابويه (ت، ٣٢٩هـ)، فقه الرضا، تحقيق: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، (قم المقدسة-١٤٠٦هـ)، ص١٦.

وصالح ابن سلهمة الهندي، وغيرهم من منتحلي العلوم وذوي البحث والنظر. فجرى ذكر الطب وما فيه صلاح الأجسام وقوامها، فأغرق المأمون ومن بحضرته في الكلام، وتغلغلوا في علم ذلك وكيف ركب الله تعالى هذا الجسد، وجميع ما فيه من هذه الأشياء المتضادة من الطبائع الأربع ومضار الأغذية ومنافعها وما يلحق الأجسام من مضارها من العلل. والامام الرضا " عليه السلام " ساكت لا يتكلم في شيء من ذلك، فقال له المأمون: ما تقول يا أبا الحسن في هذا الامر الذي نحن فيه هذا اليوم، والذي لا بد منه من معرفة هذه الأشياء، والأغذية النافع منها والضار، وتدبير الجسد؟ فقال " عليه السلام ": عندي من ذلك ما جربته، وعرفت صحته بالأختبار ومرور الأيام، مع ما وقفت عليه من مضى من السلف مما لا يسع الانسان جهله ولا يعذر في تركه فأنا أجمع ذلك مع ما يقاربه مما يحتاج إلى معرفته. وعاجل المأمون الخروج إلى بلخ. وتخلف عنه الامام الرضا " عليه السلام "، وكتب - إليه " عليه السلام " - المأمون كتابا يتنجزه ما كان ذكره مما يحتاج إلى معرفته من جهته، على ما سمعه منه وجربه من الأطعمة والأشربة وأخذ الأدوية والفضد والحجامة

### والسواك والحمام والنورة والتدبير في ذلك، فكتب إليه الرضا " عليه السلام " كتابا نسخته

بسم الله الرحمن الرحيم، أعتصمت بالله، أما بعد فإنه وصل إلي كتاب أمير المؤمنين، فيما أمرني من توقيفه على ما يحتاج إليه، مما جربته وسمعته، في الأطعمة والأشربة، وأخذ الأدوية، والفضد، والحجامة، والحمام، والنورة، والباه، وغير ذلك مما يدبر استقامة أمر الجسد، وقد فسرت له ما يحتاج إليه، وشرحت له ما يعمل عليه، من تدبير مطعمه ومشربه، وأخذ الدواء، وفضده، وحجامته، وباهه، وغير ذلك، مما يحتاج إليه من سياسة جسمه، وبالله التوفيق. أعلم أن الله عز وجل لم يبطل الجسد بقاء حتى جعل له دواء... إلى آخره.<sup>١</sup> وقد عرضت الرسالة بصورة موضوعية وشاملة إلى برامج الأغذية الصحية التي تعتبر الأساس للصحة العامة، كما عرضت إلى ما يصلح بدن الانسان، وبقية من الإصابة بكثير من الأمراض، وكان من جملة تلك الصفات عدم الإسراف في تناول الطعام، فان الإسراف فيه يعرض الانسان للإصابة بارتفاع الضغط الدموي، والإصابة بداء السكر، وتصلب شرايين القلب، وغير ذلك من الأمراض الخطرة، ومن المؤكد إن وصايا الامام الصحية لو طبقت على مسرح الحياة لجعلت الطب وقائياً. <sup>٢</sup> ولا يقتصر طب الرضا " عليه السلام " على هذه الرسالة وحسب، بل إن له " عليه السلام " نظرات في الطبّ والعلاجات، وإستخدام الأطعمة والأشربة، وما إلى ذلك ممّا يتعلّق بهذا الموضوع، لو جمعت لكانت كتاباً.<sup>٣</sup>

سبب تسمية الرسالة الطبية بالرسالة الذهبية وموقف المامون منها: عندما تلقى المأمون هذه الرسالة بارتياح كبير وأعرب عن تقديره لها بأن أمر أن تُكتب بماء الذهب، وتوضع في خزنة الحكمة، ومن هنا سُمّيت الرسالة الذهبية.<sup>٤</sup>

١ المجلسي: محمد باقر(ت، ١١١١هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الأطهار، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، ط٢، (بيروت- ١٩٨٣)، ٥٩٤، ص٣٠٨:النوري الطبرسي، خاتمة المستدرک، ج١ص٢٢٤-٢٢٦: الأمين: محسن، أعيان الشيعة، تحقيق وتخریج: حسن الأمين، (بيروت-١٩٨٧)، ج٢، ص٢٧.

٢ القرشي، حياة الامام الرضا ع، ج٤، ص١٤.

٣ الشاكري: حسين، موسوعة المصطفى، (قم المقدسة-١٤١٨هـ)، ج٢، ص٣٥٣.

٤ الامين، اعيان الشيعة، ج٢، ص٢٦

### أطراء المأمون على الرسالة الذهبية والإعجاب بها

يقول المأمون في إطراء الرسالة الذهبية: أما بعد، فإنني نظرت في رسالة ابن عمي الأديب والفاضل الحبيب، والمنطقي الطيب، في إصلاح الأجسام، وتدبير الحمّام، وتعديل الطعام، فأرأيتها في أحسن التمام، ووجدتها في أفضل الإنعام، ودرستها متدبراً، ورددت نظري فيها متفكراً، فكلّما أعدت قراءتها والنظر فيها، ظهرت لي حكمته، ولاحت لي فائدتها، وتمكّنت من قلبي منفعتها، فوعيتها حفظاً، وتدبرتها فهماً، إذ رأيتها من أنفسي العلائق، وأعظم الذخائر، وأنفع الفوائد، فأمر أن تُكتب بماء الذهب لنفاستها، وحسن موقعها، وعظم نفعها، وكثرة بركتها، وسمّيتها الرسالة الذهبية، وخزنتها في خزانة الحكمة، وذلك بعد أن نسخها آل هاشم فتبان الدولة... لأنّ بتدبير الأغذية تصلح الأبدان وبصحة الأبدان تُدفع الأمراض ويدفع الأمراض تكون الحياة وبالحيوة تُنال الحكمة، وبالحكمة تُنال الجنة وكانت أهلاً للصيانة والأذخار وموضعاً للتأهيل والاعتبار وحكيماً يُعوّل عليه ومشيراً يُرجع إليه ومن معادن العلم أمراً ونهاياً يُنقاد له. ولأنّها خرجت من بيوت الذين يوردون حكم النبي المصطفى " صلى الله عليه وآله " وبلاغات الأنبياء ودلائل الأوصياء وآداب العلماء وشفاءً للصدور والمرضى من أهل الجهل والعمى فعرضتها على خاصّتي من أهل الحكمة والطب، وأصحاب التأليف والكتب والمعدودين في أهل الدراية والمذكورين بالحكمة، وكلّ مدحها وأعلاها ورفع قدرها وأطراها إنصافاً لمصنّفها، وإذعاناً لمؤلّفها وتصديقاً له فيما حكاه فيها.<sup>١</sup>

### قيمة الرسالة الذهبية العلمية والتاريخية: تتضح قيمة هذه الرسالة في الطب في مجموعة من الحقائق

#### نوجزها كالآتي

١ - أنها ظهرت في عصر المأمون الذي يعتبر العصر الذهبي لما يسمى بعلوم الحكمة والفلسفة وحيث بلغت حركة الترجمة أوج نشاطها. وفي تلك الفترة أسس المأمون بيت الحكمة واشتغل مجموعة كبيرة من السريان وبعض العرب بترجمة الكتب العلمية المتعلقة بالطب والنبات والحيوان والفلك والجغرافيا والحساب والرياضيات.. إلخ من اليونانية والسريانية، وفي بعض الأحيان اللغة الهندية والفارسية إلى اللغة العربية. وكان يرأس فريق المترجمين حنين بن إسحاق. وتولى يوحنا بن ماسويه رئاسة بيت الحكمة. كما اشتهرت عائلة بختيشوع وكلمة. بخت تعني العبد ويشوع المقصود بها عيسى "عليه السلام". وهذه العائلة من نصارى السريان في جنديسابور وقد ظهر منها عدد كبير من الأطباء الذين خدموا الخلفاء العباسيين ونالوا لديهم الحظوة. وكان جيراثيل بن بختيشوع(ت، ٢١٣هـ) الذي التحق بخدمة الرشيد ثم الأمين ثم المأمون. وله بعض المؤلفات مثل كتاب الباءة ورسالة في الطعام وكناش في الطب. وكان مقرباً لدى الخلفاء العباسيين.. وكتبه عبارة عن ترجمة من الكتب اليونانية والسريانية. وكان معاصراً للإمام الرضا"عليه السلام". وكان المأمون واسع الاطلاع عالماً بمختلف فنون المعرفة في عصره وخاصة ما يسمى بعلوم الحكمة مثل الطب والفلك والرياضيات. وله مقدرة على المشاركة في مجالس العلماء والحكماء والفلاسفة الذين كانت تزدان بهم مجالسه. وقد أوضحت رسالة المأمون وتقريضه لرسالة الرضا في الطب وكافة العلماء من أهل الدراية في الطب والحكمة والفلسفة الذين كان يعج بهم قصره ومجلسه، وإعترافهم

١ القرشي، حياة، ج ١، ص ٢٠٢؛ الشاكري، موسوعة المصطفى، ج ١ ص ٣٥٥-٣٥٦.

بفضل كتابتها، وأمره بكتابتها بالذهب وتسميتها بالرسالة المذهبية، الدليل على تلك المكانة العظيمة التي تبوأتها رسالة الإمام علي الرضا في الطب في ذلك العصر.<sup>١</sup>

٢ - تتميز هذه الرسالة بأنها أول رسالة في الطب يكتبها عربي مسلم، ولم تكتب قبلها سوى رسائل مترجمة من اليونانية والسريانية وكلها قام بها نصارى من السريان مثل أسرة بختيشوع وعائلة ماسويه أو من نصارى العرب مثل حنين بن إسحاق وابنه إسحاق بن حنين العبادي ومثل ثابت بن قرة الحراني. وإن كان ثابت بن قرة (ت، ٢٨٨ هـ) قد ظهر في القرن الثالث الهجري وابنه سنان الذي عاش إلى القرن الرابع الهجري. وإذا علمنا أن الإمام الرضا "عليه السلام" استشهد سنة ٢٠٣ هـ وأنه كتب هذه الرسالة عندما استقدمه المأمون من المدينة إلى خراسان أي أنها كتبت في حدود سنة ٢٠٠ هـ وقد كتبها بطلب المأمون عندما تذكروا في الأغذية والأدوية والأبدان. وقد أعتزف الجميع للرضا "عليه السلام" بتقدمه وفضله. وبأهمية هذه الرسالة وقروضها جميعا، ولا تعتبر هذه أول رسالة في الطب يكتبها مسلم فحسب، بل تعتبر أول رسالة في الطب تُوِّلت في التاريخ الإسلامي.. حيث أن ما كتب قبلها لا يعدو ترجمات من كتب اليونان والسريان الطبية. وهذه الرسالة تختلف عن كل ما كتب أنها ضمت معلومات الإمام الرضا سلام الله عليه الطبية التي استفادت بدون شك من طب اليونان ولكنها أضافت إليها ما أخذه الإمام عن أبيه عن جده، وما استفاده من كلام جده المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله كما أنها تضم أيضا ما استفاده الإمام الرضا من علوم آباءه. ولم يكتب الإمام الرضا بذلك كله ولكنه أضاف إليها تجاربه الشخصية ومعارفه الذاتية. وأستطاع بعد ذلك كله أن يوجز هذه المعلومات بإيجازا بلغا في ١٤ صفحة فقط من المطبوع من القطع الصغير. ومع هذا فقد شرحها العلماء والحكماء في مئات الصفحات.<sup>٢</sup>

٣ - تتميز هذه الرسالة بأنها كتبت في موضوع واحد محدد هو حفظ الصحة. وكيفية تدبير الغذاء والحمام في مختلف فصول السنة وما يناسب الإنسان من الأطعمة ومقارها والرياضة والنكاح وكيفية الاعتدال في ذلك كله. وذكر أهمية السواك وتحديث عن أهمية استخدام الأدوية حين الحاجة إليها وخاصة الحجامة والفضد وأوقاتها. وتحديث عن مراحل عمر الإنسان وما يصلح لكل مرحلة. ومقدار النوم الذي يحتاجه في كل مرحلة من هذه المراحل. وفي أثناء ذلك كله يبث معلوماته بإيجاز شديد وبيان واضح جلي عن التشريح وعلم وظائف الأعضاء ويستدل بالأحاديث النبوية دون أن يذكر سندها. وفي الغالب يشير إلى معنى من معانيها دون أن يذكر متنها، وينبه المأمون إلى ما ينبغي أن يفعل في الحضر والسفر وفي اختلاف فصول السنة ويذكر ذلك فضلا فضلا وشهرا شهرا بالتقويم الشمسي مبتدئا بشهر آذار / مارس ومنتها بشهر شباط / فبراير، وينتهي الإمام الرضا رسالته بذكر مراحل العمر ويقسمها إلى أربع مراحل: مرحلة البناء وبداية الشباب إلى سن خمس عشرة سنة. ومرحلة القوة وغلبة المرة الصفراء من سن ١٥ إلى سن ٣٥ سنة. ومرحلة الحكمة والمعرفة وصحة النظر وفيها غلبة المرة السوداء وتبدأ من سن ٣٥ سنة. ثم تبدأ المرحلة الرابعة التي يتحول فيها إلى الهرم والنقص ونكد العيش وذبول الجسم حتى ينام عند القوم ويسهر عند النوم. وفيها غلبة المادة البلغمية.<sup>٣</sup>

١ البار: محمد علي، امام علي الرضا ورسالته في الطب النبوي، (بيروت-١٩٩٠)، ص ١٢٣-١٢٤.

٢ البار، امام علي الرضا ورسالته في الطب النبوي، ١٢٥

٣ البار، امام علي الرضا ورسالته في الطب النبوي، ١٢٦

## الإعجاب بكلام الامام الرضا عليه السلام والتأثر به

قال قاضي القضاة يحيى بن أكثم: كنت يوماً عند المأمون وعنده الرضا " عليه السلام " فدخل الفضل بن سهل ذو الرئاستين فقال للمأمون: قد وليت الثغر الفلاني فلانا التركي. فسكت المأمون. فقال الرضا "عليه السلام": ما جعل الله لإمام المسلمين وخليفة رب العالمين القائم بأمر الدين أن يولي شيئاً من ثغور المسلمين أحداً من سني ذلك الثغر، لأن الأنفس تحن إلى أوطانها وتشفق على أجناسها وتحب مصالحها وإن كانت مخالفة لأديانها. فقال المأمون: اكتتبوا هذا الكلام بماء الذهب.<sup>١</sup>

سبل تعامل الامام الرضا "عليه السلام" من خلال صدق المعاملة مع الآخرين، خطبته في التوحيد أنموذجاً:

### أهمية الخطبة

تعتبر هذه الخطبة من غرر خطب أئمة أهل البيت "عليهم السلام"، ومن روائع ما أثر عنهم في قضايا التوحيد، ولو لم يكن للإمام الرضا "عليه السلام" من تراث إلا هذه الخطبة لكفى بها للتدليل على إمامته، وبلوغه مرتبة سامية من العلم والفضل لم يبلغها إلا الأئمة المعصومون سلام الله عليهم. وقد جاء في مقدمتها: "إن الخطبة المعروفة الواردة في التوحيد إلى جناب الحضرة المقدسة والساحة المطهرة... ثامن أئمة الدين إمام الورى علي بن موسى الرضا عليه التحية والثناء، لما كانت بحراً عميقاً، محتوية على فوائد ومعارف... جامعة من فنون العلم وصنوف المعرفة ما لا يجمعه سواها الخ...".

### أسباب أنشاء الخطبة

ان سبب إنشاء الامام لهذه الخطبة فهو أن المأمون لما أراد أن يولي الامام ولاية العهد حسده بنو هاشم - وهم بنو العباس - وقالوا له: أتولي رجلاً جاهلاً ليس له بصير بتدبير الخلافة؟ فابعث إليه رجلاً يأتينا به فترى من جهله ما يستدل به عليه، فبعث إليه فاتاه فقال له بنو هاشم: يا أبا الحسن اصعد المنبر، وانصب لنا علماً نعبده الله عليه، فصعد المنبر، فقعده ملياً لا يتكلم، ثم أنتفض وأستوى قائماً، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي وأهل بيته، ثم قال: أول عبادة الله معرفته، وأصل معرفة الله توحيداً ونظام توحيد الله نفي الصفات عنه، لشهادة العقول أن كل صفة وموصوف مخلوق وشهادة كل مخلوق أن له خالقاً ليس بصفة، ولا موصوف، وشهادة كل صفة وموصوف بالإقتران، وشهادة الإقتران بالحدث، وشهادة الحدث بالإمتناع من الأزل الممتنع من الحدث، فليس الله عرف، من عرف بالتشبيه ذاته ولا إياه وحده من اكتننه ولا حقيقته أصاب من مثله، ولا به صدق من نياه ولا صمد صمده من أشار إليه ولا إياه عنى من شبهه، ولا له تذلل من بعضه، ولا إياه أراد من توهمه. كل معروف بنفسه مصنوع، وكل قائم في سواه معلول، بصنع الله يستدل عليه، وبالعقول يعتقد معرفته، وبالفطرة تثبت حجته خلق الله الخلق حجاً بينه وبينهم، ومباينته إياهم مفارقتهم، وابتدائه إياهم دليلهم على أن لا ابتداء له لعجز كل مبتدئ عن ابتداء غيره، وأدوات إياهم دليل على أن لا أداة فيه لشهادة الأدوات بغاظة المتأدبين. وأسماؤه تعبير، وافعال تفهيم، وذاته حقيقة وكنهه تفريق بينه وبين خلقه، وغبوره تحديد لما سواه، فقد جهل الله من استوصفه، وقد تعداه من اشتمله وقد أخطأه من اكتننه، ومن قال: كيف فقد شبهه، ومن قال: لم؟ فقد علله، ومن قال: متى؟ فقد وقته، ومن قال: فيم؟ فقد ضمنه، ومن قال: لإلام؟ فقد نهاه...<sup>٢</sup>

١ المشعري العاملي: يوسف بن حاتم الشامي (ت، ٢١٤هـ)، الدر النظيم، (قم المقدسة-بلاط)، ص ٢٨٢.

٢ الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا (ع)، ج٤، ص ١٣٥-١٣٨؛ القرشي، حياة، ج٢، ص ٣٣٧-٣٣٩.

### طرق اكتساب الآخرين، أثر القصيدة التائية الخالدة لدعبل الخزاعي أنموذجا

تعد قصيدة دعبل التي ألقاها على الإمام الرضا " عليه السلام " من ذخائر الأدب العربي، ومن مناجم التراث الإسلامي وهي من أشهر قصائد دعبل، وقد أثرت في نفس الامام تأثيرا بالغا، حتى بكى، وأغمى عليه ثلاث مرات لأنه عرض فيها الفجائع القاسية التي حلت بأهل البيت " عليهم السلام " وقد كتبها دعبل في ثوب وأحرم فيه وأوصى أن يكون في أكفانه.

موقف المأمون من قصيدة دعبل:

لقد انتشرت قصيدة دعبل انتشارا هائلا في ذلك العصر، وقد سمعها المأمون فأعجب بها، وطلب من دعبل أن يقرأها عليه، وقال له: لا بأس عليك ولك الأمان من كل شيء فيها، وقد رويتها إلا إني أحب أن أسمعها من فيك، فأنشدها والمأمون يبكي حتى أخضلت لحيته من دموعه.

### القصيدة التائية واللصوص

من طريق ما ينقل عن هذه القصيدة الغراء ان دعبل لما سار من مرو في قافلة قطع عليهم اللصوص الطريق، وأخذوا كل ما معهم، واتفق ان لصا كان ينهب ما عند دعبل وينشد بيتا من قصيدته التي ألقاها على الامام وهو: أرى فيهم في غيرهم متقسما وأيديهم من فيهم صفرات فقال له دعبل: لمن هذا البيت ؟ فقال له لرجل من خزاعة يقال له دعبل، فقال له: انا دعبل، ثم أنشده القصيدة فذهل ونادى ببقية اللصوص أن يردوا على القافلة ما أخذوه منها تكريما لشاعر أهل البيت فردوه عليهم.<sup>١</sup>

### جائزة الامام "عليه السلام" لدعبل

اما جائزة الامام لدعبل فقد وهبه الامام صرة فيها عشرة آلاف درهم من الدراهم المضروبة باسمه ولم تكن تلك الدراهم قد وقعت في يد أحد قبل دعبل، فرفض دعبل أخذها، وقال: لا والله ما هذا أردت، ولا له خرجت وانما جئت للتشرف به والنظر إلى وجهه وطلب من خادم الامام أن يهب الامام له ثوبا من ثيابه، فانفذ إليه الامام بجبة خز مع الدراهم وقال له: خذ هذه الصرة فإنك ستحتاج إليها. وانصرف دعبل حتى انتهى إلى قم وقد أذيع فيها حديث جبة الإمام "عليه السلام" فسارع القميون إلى دعبل، وسألوه أن يبيع إليهم الجبة بثلاثين ألف درهم فأبى وسار عن قم فلحقه قوم من القميين، وقالوا له: إن شئت أن تأخذ المال، وإلا فأنت أعلم، فقال لهم: إني والله لا أعطيكم إياها طوعا ولا تنفعكم غصبا، فإنها انما تراد لله عز وجل وهي محرمة عليكم، وحلف أن لا يبيعها إليهم إلا ان يعطوه بعضها لتكون في كفه فاعطوه كما واحدا فكان في أكفانه. وأما الدراهم فقد باع دعبل كل درهم منها بعشرة دراهم إلى أهالي قم فبلغت حصته مائة ألف درهم.<sup>٢</sup>

١ ابن العديم: عمر بن أحمد بن جرادة (ت، ٦٦٠هـ)، بغية الطلب في تاريخ حلب، حققه وقدم له: الدكتور سهيل زكار، ج٦، ص ٣٦٧؛ ابن داود: الحسن بن علي الحلبي (ت، ٧٤٠ هـ)، رجال ابن داود، تحقيق وتقديم: السيد محمد صادق آل بحر العلوم، (النجف الأشرف-١٩٧٢)، ص ٩٢؛ القرشي، حياة، ج ٢، ص ٣٢٤-٣٢٧.

٢ دعبل الخزاعي: دعبل بن علي بن رزين بن سليمان (ت، ٢٤٦هـ)، ديوان دعبل الخزاعي، تحقيق: شرحه وضبطه وقدم له: ضياء حسين الأعلمي، (بيروت-١٩٩٧)، ص ٢٣؛ أبي الفرج الاصفهاني: عبد الله بن محمد بن سالم بن يونس بن سالم (ت، ٣٥٦هـ)، الاغانى، دار إحياء التراث العربي، بلاتا، ج ٢، ص ٣١٤؛ القرشي، حياة، ج ٢، ص ٣٢٤-٣٢٧.

## المحور الثاني

استراتيجية الامام الرضا "عليه السلام" في التعامل مع تنصيب ابراهيم بن المهدي خليفة لبغداد:

### ١- موقف بني العباس من ولاية العهد للامام الرضا "عليه السلام"

وجّه المأمون في سنة ٢٠٠ هـ رجاء ابن أبي الضحّاك، وهو عمّ الفضل بن سهل وفرناس الخادم لإشخاص الامام الرضا "عليه السلام".<sup>١</sup> ولا بد من القول بداية ان القوى المعادية لأهل البيت "عليهم السلام" نقت على المأمون لعقده بولاية العهد للإمام الرضا "عليه السلام" واعتبروا ذلك تحويلاً للخلافة عن الأسرة العباسية التي ينعمون في ظلالها. وكان من أشد الناقمين على المأمون الأسرة العباسية فقد اعتبرت ذلك خطراً على مملكتهم وقد قامت قيامتهم وورمت آناهم وقاموا بما يلي من الاجراءات: خلع المأمون: واعتبروها لاغية وأعلنوا أمام الجماهير عصيانهم للمأمون، وطلبوا من المواطنين رفض بيعته، وبيعه ولي عهده فاستجاب لهم خلق كثير، وبذلك فلم تعد بيعة للمأمون في أعناقهم.<sup>٢</sup>

### ٢- بيعة المنصور بن المهدي

ان البيعة العامة بعد قتل المخلوع يوم الأحد لخمس ليلال بقين من المحرم سنة ١٩٨ هـ وبايع للرضا "عليه السلام" بالعهد بعده، وأزال لبس السواد ولبس بدله الخضرة وأخذ الناس بذلك فأضطرب من بمدينة السلام من الهاشميين، وعظم ذلك على أهل بغداد عامة وعلى الهاشميين خاصة لزوال الملك عنهم ومصيره إلى ولد أبي طالب وبايعوا المنصور بن المهدي.<sup>٣</sup> وقد سموه المرتضى كتبوا اسمه على الدنانير.<sup>٤</sup> فلم يتم له أمر، لانه امتنع من قبول ذلك عدلوا عنه إلى إبراهيم بن المهدي وكان مضعفاً فبايعوا أخاه إبراهيم ابن المهدي بالخلافة لخمس خلون من المحرم سنة ٢٠٢ هـ ودعى له على المنابر بمدينة السلام وغيرها.<sup>٥</sup>

### ٣- من هو ابراهيم بن المهدي؟

لا بد من الإشارة بداية الى ان ابراهيم هذا هو: أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي بن المنصور أبي جعفر بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي أخو هارون الرشيد كانت له اليد الطولي في الغناء والضرب بالملاهي وحسن المناداة وكان أسود اللون لأن أمه كانت جارية سوداء واسمها شكلة بفتح الشين. <sup>٦</sup> وكان عاملاً للمأمون على البصرة وعرف بكونه من ألد أعداء الإمام علي بن أبي طالب وولده "عليهم السلام".<sup>٧</sup>

١ الشاكري، موسوعة المصطفى، ج١ ص٢٣٣

٢ القرشي، حياة، ج٢، ص٣٠٩-٣١٤.

٣ المسعودي: علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ)، التنبيه والاشراف، (بيروت-بلانا)، ص٣٠٣؛ ابن خلكان: احمد بن محمد بن ابي بكر (ت، ٦٨١هـ)، وفيات الاعيان وأبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت-بلا تا). ج٢ ص١٣١.

٤ ابن عساکر: علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت، ٥٧١هـ)، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها، تحقيق: علي شبري، (بيروت-١٤١٥هـ)، ج٦، ص٣٥٤.

٥ المسعودي التنبيه والاشراف ص٣٠٣؛ ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص١٣١.

٦ ابن خلكان، وفيات، ج١ ص٤٠.

٧ العاملي، راحة الحياة السياسية، ص٣٨٢-٣٨٤.



ومع كونه مولعا بضرب العود فقد كان منهمكا في الشرب.<sup>١</sup> وكان غزير الأدب واسع النفس سخي الكف، و معروفًا بصناعة الغناء، حاذقًا فيها.<sup>٢</sup> بل انه رأسًا في فن الموسيقى.<sup>٣</sup> و يتقدم في صنعة الغناء كل أحد. وكان اسحق وإبراهيم بعده يأخذون عنه ويتحاكم المغنون إليه في صناعتهم. وله من الكتب، كتاب أدب إبراهيم وكتاب الطبيب وكتاب الغناء.

#### ٤- بيعة إبراهيم بن المهدي

بوع إبراهيم بن المهدي أيام الفتنة بالخلافة.<sup>٤</sup> عندما كان المأمون بخراسان و بايع بالعهد للرضا "عليه السلام" ونوه بذكركه وغير زي آباءه من ليس السواد وأبدله بالخضرة فغضب بنو العباس بالعراق لهذين الأمرين وخلعوه وبايعوا إبراهيم بن المهدي عمه ولقبوه المبارك.<sup>٥</sup> اذ بايع أهل بغداد له في داره المنسوبة إليه في ناحية سوق العطش\* ببغداد وخطب له على المنابر.<sup>٦</sup> وقيل سموه المرضي وكانت مبايعته يوم الثلاثاء لخمس بقين من ذي الحجة سنة إحدى ومائتين ببغداد بايعه العباسيون في الباطن ثم بايعه أهل بغداد في أول يوم من المحرم سنة اثنتين ومائتين وخلعوا المأمون فلما كان يوم الجمعة لخمس خلون من المحرم أظهروا ذلك وصعد إبراهيم المنبر.<sup>٧</sup> و تنصيبه هذا ما هو الاكرد فعل عندما قام المأمون بجعل ولاية العهد إلى الامام الرضا"عليه السلام" فأنكر بني العباس ذلك ونقضوا بيعته وبايعوا لعمه إبراهيم بن المهدي وظهر من الهرج والخلاف وانقطاع السبيل وتعدد الثوار والخوارج.<sup>٨</sup>

#### ٥-مدة خلافة إبراهيم بن المهدي

كانت مدة ولايته الخلافة سنة وأحد عشر شهرا واثنا عشر يوما، وكان بدء اختفائه في أواخر ذي الحجة سنة ثلاث ومائتين، فمكث مختلفيا ست سنين وأربعة أشهر وعشرا.<sup>٩</sup>

١ عطارد: الشيخ عزيز الله، مسند الامام الرضا (ع) تجميع وترتيب: الشيخ عزيز الله عطاردى الخبوشاني، (طهران-١٤٦٦هـ)، ج، ١، ص ٩٢.  
٢ ابن كثير: إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت، ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق وتدقيق وتعليق: علي شيري، (بيروت-١٩٨٨)، ج، ١، ص ٣١٨.  
٣ الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان (ت، ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، إشراف وتخرنج: شعيب الأرنؤوط، تحقيق: حسين الأسد، ٩٦، (بيروت-١٩٩٣)، ج، ١، ص ٥٥٧-٥٥٩.

٤ الصولي: حمد بن يحيى (ت، ٣٣٥هـ)، الاوراق، تحقيق: ج. هيورث. دن، (القاهرة-٢٠٠٤)، ج، ٢، ص ٣.  
٥ الصفدي: خليل بن ايبك (ت، ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، (بيروت-٢٠٠٠)، ج، ١٧، ص ٣٥١؛  
الكتبي: صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد (ت، ٧٦٤هـ)، (بيروت-٢٠٠٠)، فوات الوفيات، ج، ٥، ص ٥٨٥.  
\* سوق العطش: كان من أكبر محلة ببغداد بالجانب الشرقي بين الرصافة ونهر المعلى بناه سعيد الحرشي للمهدي وحول إليه التجار ليخرب الكرخ، وقال له المهدي عند تمامها: سمها سوق الري، فغلب عليها سوق العطش، وكان الحرشي صاحب شرطته ببغداد، وأول سوق العطش يتصل بسويقة الحرشي وقيل: إن سوق العطش كانت بين باب الشماسية والرصافة تتصل بمسناة معز الدولة. ياقوت الحموي: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت، ٦٦٦هـ)، معجم البلدان، (بيروت-١٩٧٩)، ج، ٣، ص ٢٨٤.

٦ الخطيب البغدادي: أحمد بن علي (ت، ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد او مدينة السلام، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت-١٩٩٧)، ج، ٦، ص ١٤٠-١٤١.

٧ ابن خلكان، وفيات، ج، ٤، ص ٤٠.  
٨ ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت، ٨٠٨هـ)، تاريخ ابن خلدون، ط٤، (بيروت-بلانا)، ج، ١، ص ٣١٢.  
٩ ابن كثير، البداية والنهاية، ج، ١، ص ٣١٨؛ القمي، الكنى، ج، ١، ص ٣٣٠.

## ٦-اوضاع منصب الخلافة في عهد ابراهيم بن المهدي

كانت خلافته موضع استهزاء وسخرية من قبل الأوساط الواعية والمفكرة، وذلك لاستهتاره، وتحلله من جميع القيم والأعراف وفيه يقول الشاعر الاجتماعي الشاعر دعبيل الخزاعي:

نصر ابن شكلة بالعراق وأهله فهفا إليه كل اطللس مائق

ان كان إبراهيم مضطلعا بها فلتصلحن من بعده لمخارق

ولتصلحن من بعد ذاك لزلزل و لتصلحن من بعده للمارق

أني يكون وليس ذاك بكائن يرث الخلافة فاسق عن فاسق

لقد سخر دعبيل من الخلافة التي تولاها هذا المائق المتحلل، وإذا صلحت له فلتصلح من بعده لأقرانه المغنين أمثال زلزل ومخارق ومن سخرية الأقدار أن تؤول الخلافة الإسلامية لإبراهيم، ويتولى شؤون المسلمين.<sup>١</sup>

موقف المأمون من العباسيين بعد بيعته الامام الرضا"عليه السلام" وبيعتهم لابراهيم بن المهدي: يتجلى موقف المأمون وبصورة جلية من خلال رسالته لاعمامه العباسيين.

## رسالة المأمون للعباسيين

تم تبادل رسائل السب والقذف بين المأمون وأقربائه العباسيين، وكان من بينها هذه الرسالة التي بعثها المأمون للعباسيين وهذا نصها بعد البسملة: الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآل محمد على رغم أنف الراغمين أما بعد: عرف المأمون كتابكم، وتدبير أمركم، ومخض زبدتكم، وأشرف على قلوب صغيركم، وكبيركم، وعرفكم مقبلين، ومدبرين، وما آل إليه كتابكم قبل كتابكم في مراوضة الباطل، وصرف وجوه الحق عن مواضعها ونبذكم كتاب الله والآثار، وكلما جاءكم به الصادق محمد" صلى الله عليه وآله"، حتى كأنكم من الأمم السالفة، التي هلكت بالخسفة والغرق، والريح والصيحة والصواعق والرجم. أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟ والذي هو أقرب إلى المأمون من حبل الوريد، لولا أن يقول قائل: إن المأمون ترك الجواب عجزا لما أجبتمكم، من سوء أخلاقكم، وقلة أخطاركم وركاكة عقولكم، ومن سخافة ما تأوون إليه من آرائكم، فليستمع مستمع، فليبلغ شاهد غائبا.

## وحفل هذا المقطع من كلام المأمون بما يلي

- ١ - انه ابتدأ رسالته بالصلاة على النبي، ثم عطف عليه آله فضلى عليهم وعقب ذلك بقوله: " على رغم الراغمين " وعنى الراغمين بنى العباس الذي جهدوا على محو ذكر آل النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وإزالة أروادتهم الروحية والفكرية من دنيا الاسلام.
- ٢ - ان المأمون مطلع على خفايا نفوس العباسيين، وعالم بدخائل قلوبهم عرفهم مقبلين ومدبرين، عرفهم مندفعين نحو الباطل نابذين للحق، تاركين لكتاب الله، وما جاء به الرسول الأعظم "صلى الله عليه وآله وسلم".

١ ابن العديم، تاريخ حلب، ج٧، ص٣٥٠٩؛ الصفدي، الوافي، ج٦، ص٧٤؛ القرشي، حياة، ج٣، ص٣٠٩-٣١٤.

٣ - انه انما أجابهم عن رسائلهم لا عناية بهم، وانما كي لا يقال انه عاجز عن الجواب.

اما الفصل الثاني من رسالة المأمون فقد جاء فيه بعث الله تعالى بعث محمدا "صلى الله عليه واله وسلم" على فترة من الرسل، وامانته "صلى الله عليه واله وسلم" وايمان السيدة خديجة بنت خويلد التي واسته بمالها، ثم آمن به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو ابن سبع سنين، لم يشرك بالله شيئا والحديث عن عمومة رسول الله اما مسلم مهين أو كافر معاند، إلا حمزة فإنه لم يمتنع من الاسلام وأما أبو طالب فإنه كفله ورباه، ولم يزل مدافعا عنه، ومانعا منه، وعرض هذا المقطع إلى بعثة الرسول الأعظم "صلى الله عليه واله وسلم" في مجتمع متكبر يرى أنه لا يدانيه، ولا يساويه أحد، وفي فجر الدعوة المشرفة. الى ان يقول المأمون: ولم يقم مع رسول الله "صلى الله عليه وآله" أحد من المهاجرين كقيام علي بن أبي طالب، فإنه آزره، ووقاه بنفسه، ونام في مضجعه، ثم لم يزل بعد مستمسكا بأطراف الثغور، وينازل الانباط، ولا ينكل عن قرن، ولا يولي عن جيش، منبع القلب يؤمر على الجميع، ولا يؤمر عليه أحد، أشد الناس وطأة على المشركين، وأعظمهم جهادا في الله، وأفقههم في دين الله، وأقرأهم لكتاب الله وأعرفهم بالحلال والحرام.<sup>١</sup>

وهو صاحب الولاية في حديث "غدير خم" وصاحب قوله "صلى الله عليه واله وسلم": "أنت مني بمنزلة هارون من موسى" إلا أنه لا نبي بعدي" وصاحب يوم الطائف، وكان أحب الخلق إلى الله تعالى والى رسول الله "صلى الله عليه واله وسلم" وصاحب الباب فتح له، وسد أبواب المسجد وهو صاحب الراية يوم خيبر، وصاحب عمرو بن عبد ود في المبارزة وأخو رسول الله "صلى الله عليه واله وسلم" حين آخى بين المسلمين. وهو منبع جزيل، وهو صاحب آية "ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا" وهو زوج فاطمة سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء أهل الجنة، وهو ختن خديجة، وهو ابن عم رسول الله "صلى الله عليه واله وسلم" ربه وكفله، وهو ابن أبي طالب في نصرته وجهاده، وهو نفس رسول الله "صلى الله عليه واله وسلم" في يوم المباهلة، وهو الذي لم يكن أبو بكر وعمر يتقلدان أمرا حتى يسألانه عنه، فما رأى أنفذه، ولم يره رده، وهو دخل من بني هاشم في الشورى، ولعمري لو قدر أصحابه على دفعه عنه، كما دفع العباس رضوان الله عليه، ووجدوا إلى ذلك سبيلا لدفعوه. فاما تقديمكم العباس عليه، فان الله تعالى يقول: "أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوتون عند الله". والله لو كان ما في أمير المؤمنين من المناقب والفضائل والآي المفسرة في القرآن خلة واحدة في رجل من رجالكم أو غيره لكان مستأهلا للخلافة، مقدما على أصحاب رسول الله "صلى الله عليه واله وسلم" بتلك الخلة، ثم لم تزل الأمور تترقى به إلى أن ولي أمور المسلمين فلم يستعن بأحد من بني هاشم إلا بعبد الله بن عباس، تعظيما لحقه.<sup>٢</sup>

ويستمر المأمون ويقول: ثم نحن وهم يد واحدة - كما زعمتم - حتى قضى الله تعالى بالأمر إلينا، فأخفناهم، وضيقنا عليهم، وقتلناهم أكثر من قتل بني أمية إياهم، ويحكم ان بني أمية انما قتلوا من سل منهم سيفا، وانا معشر بني العباس قتلناهم جملا فلتسألن أعظم الهاشمية، بأي ذنب قتلت، ولتسألن نفوسا ألقيت في دجلة والفرات، ونفوس دفنت ببغداد والكوفة احياء، هيئات، انه "من عمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا

١ ابن طاووس: علي بن موسى(ت، ٦٦٤هـ)، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، (قم المقدسة-١٣٩٩هـ)، ص٢٧٧؛ القرشي، حياة، ٢، ص٣١٤-٣١٦.

٢ البحراني: السيد هاشم (ت، ١١٠٧هـ)، غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاص والعام، تحقيق: السيد علي عاشور، (باصكان-بلا)، ص٥٥؛ الميانجي: علي الأحمدي، مكاتيب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، (قم المقدسة-١٤١٦هـ)، ج٤، ص٣١٦؛ القرشي، حياة، ج٢، ص٣١٦-٣١٨.

يره " ويستمر بقوله: وأما ما وصفتم في أمر المخلوع، وما كان فيه من لبس، فلعمري ما لبس عليه أحد غيركم، إذ هونتم عليه النكث، وزينتم له الغدر، وقتلتم له: ما عسى أن يكون من أمر أخيك، وهو رجل مغرب، ومعك الأموال والرجال، نبعث إليه فيؤتى به، فكذبتم ودبرتم، ونسيتم قول الله تعالى: " ومن بغى عليه لينصرنه الله ".

وأما ما ذكرتم من استبصار المأمون في البيعة لأبي الحسن الرضا فما بايع له المأمون إلا مستبصراً في أمره، عالماً بأنه لم يبق أحد على ظهرها أبين فضلاً، ولا أظهر عفة، ولا أروع ورعا ولا أزهد زهداً في الدنيا، ولا أطلق نفساً، ولا ارضى في الخاصة والعامة، ولا أشد في ذات الله منه، وإن البيعة له لموافقة رضى الرب عز وجل، ولقد جهدت وما أجد في الله لومة لائم. ولعمري لو كانت بيعتي محاباة لكان العباس ابني وسائر ولدي أحب إلى قلبي، وأحلى في عيني، ولكن أردت أمراً، وأراد الله أمراً فلم يسبق أمري أمر الله.

وأما ما ذكرتم مما مسكم من الجفأ في ولايتي فلعمري ما كان ذلك إلا منكم بمظافتكم علي، وممايلتكم إياه، فلما قتلته، وتفرقت عبايد فطورا أتباعا لابن أبي خالد، وطورا أتباعا لاعرابي، وطورا أتباعا لابن شكلة، ثم لكل من سل سيفاً علي، ولولا أن شيمتي العفو، وطبيعتي التجاوز ما تركت على وجهها منكم أحداً، فكلكم حلال الدم محل بنفسه. وأما ما سألتكم من البيعة للعباس ابني... أتستبدلون الذي هو أدني بالذي هو خير؟ ويليكم إن العباس غلام حدث السن، ولم يؤنس رشده، ولم يمهل وحده ولم تحكمه التجارب، تدبره النساء، وتكلفه الإمام، ثم لم يتفقه في الدين، ولم يعرف حلالاً من حرام إلا معرفة لا تأتي به رعية، ولا تقوم به حجة، ولو كان مستأهلاً قد أحكمته التجارب، وتفقه في الدين، وبلغ مبلغ أمير العدل في الزهد في الدنيا، وصرف النفس عنها ما كان له عندي إلا ما كان لرجل من عك وحمير، فلا تكثروا من هذا المقال فان لساني لم يزل مخزوناً عن أمور وأنباء كراهية أن تخنت النفوس عندما تنكشف علماً بأن الله بالغ أمره، ومظهر قضاة يوماً...

وأما ما كنت أردته من البيعة لعلي بن موسى بعد استحقاق لها في نفسه، واختيار مني له، فما كان ذلك مني إلا أن أكون الحاقن لدمائكم، والذائد عنكم، باستدامة المودة بيننا وبينهم، وهي الطريق أسلكها في أكرام آل أبي طالب، ومواساتهم في الفئ بيسير ما يصيبهم منه....

وأما ما ذكرتم من العثرة كانت في أبي الحسن نور الله وجهه، فلعمري أنها عندي للنهضة والاستقلال الذي أرجو به قطع الصراط، والامن والنجاة من الخوف يوم الفزع الأكبر، ولا أظن عملاً هو عندي أفضل من ذلك إلا أن أعود بمثلها إلى مثله، وأين لي بذلك وأين لكم بتلك السعادة<sup>١</sup>

أما الفصل الأخير من هذه الرسالة يذكر فيه المأمون قوله: وأما تعييركم إياي: بسياسة المجوس، وإياكم فما أذهبكم الأنفة في ذلك، ولو ساستكم القردة والخنازير، وما أردتم إلا أمير المؤمنين، ولعمري لقد كانوا مجوساً فأسلموا كآبائنا وأمهاتنا في القديم، فهم المجوس الذين أسلموا، وأنتم المسلمون الذين ارتدوا، فمجوسي أسلم خير من مسلم ارتد فهم يتناهون عن المنكر، ويأمرون بالمعروف ويتقربون من الخير، ويتباعدون من الشر، ويذوبون عن حرم المسلمين، يتباهجون بما نال الشرك وأهله من النكر، ويتباشرون بما نال الاسلام وأهله من الخير... منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً. وليس منكم إلا لاعب بنفسه، مأفون في عقله، إما مغن، أو ضارب دف، أو زامر، والله لو أن بني أمية الذين قتلتموهم بالأمس نشروا فليل لهم: لا تأنقوا من معائب تناولوهم بها لما زادوا على ما صيرتموه لكم شعاعاً وداراً، وصناعة وأخلاقاً.

ليس منكم إلا من إذا مسه الشر جزع، وإذا مسه الخير منع، ولا تأنفون، ولا ترجون إلا خشية وكيف يأتي من بيت مركوب، ويصبح بإثمه معجبا، كأنه قد اكتسب حمدا، غايته بطنه وفرجه، لا يبالي أن ينال شهوته بقتل ألف نبي مرسل، أو ملك مقرب، أحب الناس من زين له معصية أو اعانه في فاحشة، تنظفه المخمورة، وتربده المظمورة، مشئت الأحوال، فان ارتدتم مما أنتم فيه من السيئات والفضائح، وما تهذرون به من عذاب ألسنتكم وإلا فدونكم تعلو بالحديد، ولا قوة إلا بالله، وعليه توكلني وهو حسبي.<sup>١</sup>

### تنبيه المأمون من قبل الامام سلام الله عليه من رجالاته ونصحها بوجوب وضع ثقته بمن هم أهل لذلك

لقد نجح الإمام "عليه السلام" في إزالة الغشاوة عن عيني المأمون من ناحية الفضل بن سهل وأخيه الحسن، وتبصيره بما كان يحاول الفضل إخفاؤه عنه من أحوال البلاد المضطربة حتى إنهم بايعوا عمه إبراهيم بن المهدي المغني خليفةً بدله، وبدا المأمون وكأنه يسمع ذلك لأول مرة حتى رد على الإمام الرضا "عليه السلام" قائلاً: إنهم لم يبايعوا له بالخلافة، وإنما صبروه أميراً يقوم بأمرهم. بل وأخبره الإمام الرضا "عليه السلام" عن الحرب التي تدور رحاها بين إبراهيم بن المهدي والحسن بن سهل، وأن الناس تكره مقام الفضل وأخيه من المأمون، وما كان أحدٌ يجرؤ على أن يقول الحق للمأمون.<sup>٢</sup> فالفضل بن سهل كان يطوى ذلك عن المأمون ويبالغ في إخفاؤه حذرا من أن يتغير رأى المأمون فيه وفي أخيه.<sup>٣</sup>

والجدير بالذكر أنه لما وقعت هذه الفتن بالعراق بسبب الحسن بن سهل ونفور الناس من استبداده وأخيه على المأمون ثم من العهد للإمام علي الرضا سلام الله عليه وإخراج الخلافة من بني العباس والفضل بن سهل يطوى ذلك عن المأمون ويبالغ في إخفاؤه وعندما جاء هرثمة بن أعين للمأمون وعلم أنه يخبره بذلك وان المأمون يثق بقوله احكم السعاية فيه عند المأمون حتى تغير له فقتله.

فازدادت نفرة الشيعة وأهل بغداد وكثرت الفتن وتحدثت القواد في عسكر المأمون بذلك ولم يقدرُوا على إبلاغه فجأؤوا إلى علي الرضا "عليه السلام" وسألوه انتهاء ذلك إلى المأمون فأخبره بما في العراق من الفتنة والقتال وانهم بايعوا إبراهيم بن المهدي.

فقال المأمون للرضا سلام الله عليه: ومن يعلم هذا غيرك فقال يحيى بن معاذ وعبد العزيز بن عمران وغيرهما من وجوه قوادك فاستدعاهم فكتموا حتى استأمنوا إليه ثم أخبروه بما أخبره به الرضا وان الناس بالعراق يتهمونه بالرفض لعهد لعلي الرضا وان طاهر بن الحسين مع علم أمير المؤمنين ببلائه قد دفع إلى الرقة وضعف أمره والبلاد تغيبت من كل جانب وإن لم يتدارك الأمر ذهبت الخلافة منهم فاستيقن المأمون ذلك وأمر بالرحيل. واستخلف على خراسان غسان بن عباد وهو ابن عم الفضل بن سهل.<sup>٤</sup>

١ ابن طاووس، الطرائف، ص ١٢٨٢ القرشي، حياة، ج ٢، ص ٣٢٣-٣٢٤.

٢ عطاردي، مسند، ج ١، ص ١١٠ الشاكري، موسوعة المصطفى، ج ١٢، ص ٢٩٣.

٣ ابن خلدون، تاريخ، ج ٣، ص ٢٤٥-٢٥٠.

٤ ابو الفدا: المؤيد عماد الدين إسماعيل (ت، ٧٣٢هـ)، المختصر في أخبار البشر تاريخ أبي الفداء، (بيروت-بلاتا)، ج ٢، ص ١٣٣ ابن خلدون، تاريخ، ج ٣، ص ٢٤٥-٢٥٠.

## استراتيجية الإمام الرضا عليه السلام في انقاذ المأمون لتجنب الوضع المتأزم للخلافة

المعروف ان المال قل على ابراهيم بن المهدي في أيام خلافته ببغداد فألح الاعراب عليه في أعطياتهم فجعل يسوف بهم. ثم خرج إليهم رسوله يقول: إنه لا مال عنده اليوم، فقال بعضهم: فليخرج الخليفة إلينا فليغن لأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات، ولأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات. فقال في ذلك دعبل يذم إبراهيم بن المهدي: <sup>١</sup>

يا معشر الأجناد لا تقنطوا خذوا عطاياكم ولا تسخطوا

فسوف يعطيكم خنينية يلدّها الأمد والأشمط

والمعبدات لفتوادكم لا تدخل الكيس ولا تربط

وهكذا يرزق أصحابه خليفة مصحفه البربط <sup>٢</sup>

فقد حارب الحسن بن سهل إبراهيم وهزمه وألحقه بواسط وأقام إبراهيم بالمدائن ثم سار جيش الحسن وعليهم حميد الطوسي وعلي بن هشام فهزموا إبراهيم فاختلفوا وانقطع خبره إلى أن أظهر في وسط خلافة المأمون فعفا عنه. <sup>٣</sup> وعليه فالحروب كانت بينهم سجلاً. <sup>٤</sup>

حتى اختل الأمر في العراق وكل ذلك والمأمون لا يعلم كان الفضل يخفي عنه الأخبار - كما ذكرنا-، ولا يخبره أحد خوفاً من الفضل فأخبره الرضا " عليه السلام " بذلك، وأشار عليه بالرحيل إلى بغداد. اذ قال " عليه السلام " له: يا أمير المؤمنين، النصح لك واجب، والغش لا يحل لمؤمن، إن العامة تكره ما فعلت معي، والخاصة تكره الفضل بن سهل، فالرأي أن تنحينا عنك حتى يستقيم لك الخاصة والعامة، فيستقيم أمرك. <sup>٥</sup> وما كاد أن يخطم الأمر حتى بادر المأمون من خراسان إلى بغداد. <sup>٦</sup> ولما قرب المأمون من بغداد اضطرب على إبراهيم من كان يعتمد على نصرته، وقعد عنه أكثر من بايعه من الهاشميين وغيرهم فاستتر وقال معاتبا للعباسيين.

فلا جزيت بنو العباس خيراً على رغي ولا اغتبطت بري <sup>٧</sup>

وضعف أمر إبراهيم بن المهدي، وقصرت يده، وتفرقت الناس عنه. <sup>٨</sup> واضطربت بغداد في أيام إبراهيم، وثارَت الرويضة وسموا أنفسهم المطوعة وهم رؤساء العامة والتوابع، ولما قرب المأمون من مدينة السلام صلى إبراهيم بن المهدي بالناس في يوم النحر واختلف في يوم الثاني من النحر وذلك في سنة ثلاث ومائتين فخلعه أهل بغداد وكان دخول المأمون ببغداد سنة أربع ومائتين ولباسه الخضرة ثم غير ذلك، وعاد إلى لباس السواد، وذلك حين قدم طاهر بن الحسين من الرقة إليه. <sup>٩</sup>

١ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، ص٣١٨.

٢ الشيخ الصدوق، عيون، ج٢، ص١١٧؛ الشاكري، موسوعة المصطفى، ج١٢، ص٣١٢-٣١٣.

٣ الذهبي، سير، ج١، ص٥٥٩؛ الصفي، الوافي، ج١٧، ص٣٥١؛ الكتبي، فوات، ج١، ص٥٨٥.

٤ المسعودي، التنبيه والاشراف، ص٣٠٣؛ خليفة، هناك كاظم، دراسة في سيرة وإسهامات هزيمة بن أعين (٢٠١هـ) العسكرية، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد١٦٤، كانون الاول، ٢٠١٣، ص٣٧٣.

٥ الاربلي: علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت، ٦٩٣هـ)، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ط٢، (بيروت-١٩٨٥)، ج٣، ص١٠٢؛ الشاكري، موسوعة المصطفى، ج١٢، ص٣١٣-٣١٥.

٦ ابن خلدون، تاريخ، ج١، ص٢١٢.

٧ المسعودي، التنبيه والاشراف، ص٣٠٣.

٨ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٦، ص١٤٠-١٤١.

٩ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجواهر، ط٢، (قم المقدسة-١٩٨٤)، ج٣، ص٤٤٢.

### المحور الثالث: طرق تعامل الامام الرضا"عليه السلام" لخلق حالة التغيير عند الاخر

١- موقف الامام الرضا"عليه السلام" و استراتيجيته من زيد النار بالتنبيه الى ممارساته السلبيه:

من هو زيد النار؟

هو زيد بن موسى بن جعفر "عليهما السلام: والذي ظهر في البصرة وأحرق دور بني العباس وأتباعهم، وكان إذا أتى برجل من المسودة أحرقه وأخذ أموالاً كثيرة من مال التجار سوى أموال بني العباس.<sup>١</sup>

#### مكان سكنه

كان زيد هذا ينزل بغداد على نهر كرخايا.<sup>٢</sup>

سبب تلقيبه بزید النار:

إنما سمي بذلك لأنه لما غلب على البصرة أحرق نفراً من أهلها، وأسواقاً كثيرة.<sup>٣</sup>

#### الاحداث التي برزت زيد النار واسباب استتاره

انضم زيد إلى الثورة التي أعلنها أبو السرايا داعية محمد بن إبراهيم الحسني، وقد قلد زيدا ولاية الأهواز، فسار إليها ليتولى مهام منصبه، فأجتاز على البصرة، وكانت خاضعة للحكم العباسي فأحرق دور بني العباس، ولما فشلت ثورة أبي السرايا، واستتر زيد فطلبه الحسن بن سهل فظفر به، فحبسه، ولم يزل في الحبس حتى ظفر إبراهيم شيخ المغنبيين، فجهم البغداديون على السجن، وأخرجوا زيدا من السجن، ومضى إلى يثرب، ودعا لبيعة محمد بن جعفر فبعث المأمون جيشاً فقبض على ثورة، وأسر زيد وجيء به مخفورا إلى المأمون فقال له: يا زيد خرجت بالبصرة، وتركت أن تبدأ بدور أعدائنا من أمية وثقيف، وغنى، وباهلة، وآل زياد، وقصدت دور بني عمك - يعني بني العباس - فقال له زيد بمرح: يا أمير المؤمنين أخطأت من كل جهة، وإن عدت للخروج بدأت بأعدائنا. وضحك المأمون، وبعثه إلى الإمام الرضا "عليه السلام" وقال له: وقد وهبت لك جرمه فأحسن أدبه.

#### موقف الامام الرضا"عليه السلام" من زيد النار وأستراتيجيته في التعامل معه

##### موقف المامون من خروج زيد

خرج زيد بن موسى بن جعفر على المأمون بالبصرة وفتك بأهلها، وقد تغلب عليها وأنصرف القائد عيسى الجلودي إلى البصرة، ونهب دورا وأموالا كثيرة للناس، وكان معه جماعة من القيسية وغيرهم، فلما قرب الجلودي حاربوه يومهم ذلك، ثم انهزموا، وانهمز زيد فأخذه عيسى الجلودي، وحمله إلى المأمون، فمن عليه، وأطلق سبيله وعفاه لمكان الرضا "عليه السلام" منه.<sup>٤</sup> إذ ان الامام الرضا علي بن موسى "عليهما السلام" كان

١ الفيض الكاشاني: محمد محسن (ت، ٩١هـ)، الوافي، عني بالتحقيق والتصحيح والتعليق عليه والمقابلة مع الأصل: ضياء الدين الحسيني الأصفهاني، (اصفهان-٤٦هـ)، ج٣، ص٢٢٦؛ عطارد، مسند الإمام الرضا (ع)، ج ١، ص٥١.

٢ الشيخ الصدوق، عيون، ج٢، ص٢٥٨-٢٥٩.

٣ الشريف الرضي: محمد بن الحسين بن موسى الموسوي البغدادي (ت، ٤٦هـ)، خصائص الأئمة، تحقيق: محمد هادي الأميني، (مشهد المقدس-٤٦هـ)، ص٤٥.

٤ البيهقي: حمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت، ٢٨٤هـ)، تاريخ يعقوبي، (بيروت-بلاتا)، ج٢، ص٤٤٩؛ الطبري: محمد بن جرير (ت، ٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك، مراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجله، (بيروت-١٩٨٣)، ج٧، ص١٢٣؛ ابن

وليا للعهد من قبل المأمون في هذه الفترة<sup>١</sup> ولما حمل زيد بن موسى بن جعفر إلى المأمون وهب المأمون جرمه لأخيه علي بن موسى الرضا "عليه السلام" قال له: يا أبا الحسن لئن خرج أخوك وفعل ما فعل لقد خرج قبلة زيد بن علي فقتل ولو لا مكانك مني لقتلته فليس ما أتاه بصغير فقال الرضا "عليه السلام": يا أمير المؤمنين لا تنفس أخي زيدا إلى زيد بن علي فإنه كان من علماء آل محمد غضب لله فجاهد أعداءه حتى قتل في سبيله.<sup>٢</sup>

### موقف الامام الرضا "عليه السلام" من زيد النار

أنكر الامام الرضا "عليه السلام" على أخيه زيد بن موسى الخروج على السلطان.<sup>٣</sup> وكان المأمون قد حمله إلى الرضا أخيه مكرما فلما جيء به إليه عاتبه في خروجه ووعظه.<sup>٤</sup> بل ان المأمون أرسل إليه أخاه عليا يرده عن ذلك عندما مثل زيد أمام الرضا "عليه السلام" عنقه وقال له: ويلك يا زيد، فعلت بالمسلمين بالبصرة ما فعلت، وتزعم أنك ابن فاطمة بنت رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" "والله لأشد الناس عليك" رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم "يا زيد ينبغي لمن أخذ برسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" أن يعطيه به فيبلغ كلامه المأمون فيبكي وقال هكذا ينبغي أن يكون أهل بيت رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم".<sup>٥</sup> والجدير بالذكر ان زيد بن موسى دخل على المأمون فأكرمه وعند الرضا "عليه السلام" فسلم زيد عليه فلم يجبه فقال: أنا ابن أبيك ولا ترد علي سلامي، فقال "عليه السلام": أنت أخي ما أطعت الله فإذا عصيت الله فلا أخاء بيني وبينك.<sup>٦</sup> كما انه سلام الله عليه كان يقول لزيد: يا زيد اتق الله فإننا بلغنا ما بلغنا بالتقوى، فمن لم يتق ولم يراقبه فليس منا، ولسنا منه. يا زيد إياك أن تعين علي من به تصول من شيعتنا فيذهب نورك. يا زيد إن شيعتنا إنما أبغضهم الناس، وعادوهم واستحلوا دماءهم، وأموالهم لمحبتهم لنا، واعتقادهم لولايتنا، فإن أنت أسأت إليهم ظلمت نفسك وأبطلت حركك.<sup>٧</sup>

وقال له كذلك يا زيد ما أنت قائل لرسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" إذا سفكت الدماء وأخفت السبل وأخذت المال من غير حله غرك حديث حمقى - او ناقلي - أهل الكوفة أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: إن فاطمة أحصنت فرجها فحرمها الله وذريتها على النار إن هذا لمن خرج من بطنها كالحسن والحسين لا لي ولا

خلكان: احمد بن محمد بن ابي بكر(ت، ١٨١هـ) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (لبنان- بلا تا)، ج٣، ص٢٧١؛ الشهرستاني: السيد علي، وضوء النبي، (قم المقدسة-١٤١٥هـ)، ج١، ص٣١٥؛ خليفة، الدور الاداري لهرثمة بن أعين (=ت)، ٢٠١هـ) في الدولة العباسية، مجلة الاستاذ، كلية التربية-ابن رشد للعلوم الانسانية، جامعة بغداد، العدد٢١٠، المجلد الاول، ٢٠١٤، ص٤٨٥.

١ الشيخ المفيد: محمد بن محمد بن نعمان ابن المعلم(ت، ٤١٣هـ)، المسائل الجارودية، تحقيق: الشيخ محمد كاظم مدير شانجي، ط٢، (بيروت-١٩٩٣)، ص٣٩.

٢ الفيض الكاشاني، الوافي، ج٢، ص٢٢٦.

٣ الشيخ المفيد، المسائل الجارودية، ص٣٩.

٤ الصفيدي، الوافي، ج١٥، ص٣٦.

٥ الشيخ الصدوق، عيون، ج٢، ص٢٥٨-٢٥٩؛ ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٢٧١؛ القرشي، حياة، ج٢، ص٣٥١.

٦ ابن شهر اشوب، مناقب، ج٣، ص٤٧١.

٧ الشيخ الصدوق، عيون، ج٢، ص٢٥٩-٢٦١؛ الموسوي: السيد فاخر، التجلي الاعظم في الصلاة على آل النبي الاكرم، (قم المقدسة-١٤٢١هـ)، ص٣١٧.



لك والله ما نالوا ذلك إلا بطاعة الله تعالى فإن أردت أن تنال بمعصية الله ما نالوه بطاعته إنك إذن لأكرم على الله منهم. فاما أن يكون موسى بن جعفر "عليهما السلام" يطيع الله ويصوم نهاره ويقوم ليله وتعصيه أنت ثم تحيئان يوم القيامة سواء؛ لانت أعز على الله عز وجل منه إن علي بن الحسين عليه السلام كان يقول: لمحسنا كفلان من الأجر ولمسيئنا ضعفان من العذاب.<sup>١</sup>

وقال عليه السلام: من أحب عاصيا فهو عاص، ومن أحب مطيعا فهو مطيع، ومن أعان ظالما فهو ظالم، ومن خذل ظالما فهو عادل، انه ليس بين الله وبين أحد قرابة ولا ينال أحد ولاية الله الا بالطاعة ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لبنى عبد المطلب: أيتوني بأعمالكم لا بأحسابكم وأنسابكم قال الله تبارك وتعالى: فإذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون.<sup>٢</sup>

### موقف الامام الرضا عليه السلام من القائد العباسي عيسى الجلودي وتعزيز سياسة العفو

كان الجلودي من القادة البارزين حتى أن المأمون قال لعبد الله بن طاهر منصرفه من مصر كيف حمدك أصحابك، واخذ يذكر صفاتهم وعندما وصل حديثه عن الجلودي قال: فأما عيسى الجلودي فأسد في التراب إذا الحراب قال فإين أنت عن رجل أخرته وقد تقدم قال يا أمير المؤمنين ذاك كما قال الشاعر:

فتى هو أحيى من فتاة حبية وأشجع من ليث بخفان خادر<sup>٣</sup>

وان المأمون وجه ببيعة الرضا "عليه السلام" مع عيسى الجلودي إلى مكة. وتولى ولاية مصر لمرات ومنها في سنة ٢١٣هـ ثم وليها عنه أبو إسحاق المعتصم فأمر عليها عيسى الجلودي ثم صرفه وولى عليها عمر بن الوليد التميمي في سنة ٢١٤هـ ثم وليها عيسى الجلودي ثانيا في آخر السنة المذكورة. والمعروف ان الجلودي قد انصرف إلى البصرة، وقد تغلب عليها زيد بن موسى، ونهب دورا وأموالا كثيرة للناس، فلما قرب الجلودي حاربوه يومهم ذاك، ثم انهزموا، وانهمز زيد، فأخذه عيسى، وحمله إلى المأمون.<sup>٤</sup>

اما موقف الجلودي من البيعة للامام الرضا "عليه السلام" فقد كان من بين من امتنع من البيعة للإمام "عليه السلام"، بل انه من بين الذين حقدوا عليه وكرهوه، ونقموا على المأمون ببيعته بولاية العهد للامام عندها أمر المأمون بالقضاء القبض عليهم وايداعهم في السجن. تنفيذ حكم الاعدام فيهم ثم أمر بإخراج هؤلاء الممتنعين من البيعة للامام من السجن، فلما مثلوا عنده رأوا الامام إلى جانبه فتميزوا غيظا وغضبا، ودخل عليه الجلودي، وكان من أعدى الناس لأهل البيت "عليهم السلام" وهو الذي بعثه هارون الرشيد من قبل لسلب بنات رسول

١ الشيخ الصدوق، عيون، ج٢، ص٢٥٨؛ الزمخشري: محمود بن عمر(ت، ٥٣٨هـ)، ربيع الابرارو نصوص الأخبار، تحقيق: عبد الأمير مهنا، (بيروت-١٩٩٢)، ج٤ ص٢٦٣؛ المناوي: محمد عبد الرؤوف(ت، ١٠٣١هـ)، فيض القدير في الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، تحقيق: تصحيح أحمد عبد السلام، (بيروت-١٩٩٤)، ج٣، ص٥٨٧.

٢ الشيخ الحويري: عبد علي بن جمعة(ت، ١١١٢هـ)، تفسير نور الثقلين، صحيح وتعليق: السيد هاشم الرسولي المحلتي، ط٤، (قم المقدسة-١٤١٢هـ)، ج٣، ص٥٦٢.

٣ ابن عساکر، تاريخ، ج٤٨، ص٤٦.

٤ اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٤٩.

٥ القلقشندي: أحمد بن عبد الله (ت، ٨٢١هـ)، مازلاناقة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، (الكويت-١٩٦٤)، ج١، ص٢١٥.

٦ اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٤٩.

الله " صلى الله عليه واله وسلم" في يثرب، ومصادرة ما عليهن من حلي وحلل، فجاء إلى بيت الإمام الرضا "عليه السلام" وأراد الهجوم على بيت الامام، وسلب ما على العلويات من ثبات فأبى الامام فلم يعن به الجلودي، وأخذ الامام يتوسل إليه، ويعدده بأن يأتي ما أراد فانصاع لقوله، ودخل الامام إلى بيته فجمع له كل ما على العلويات من حلي وحلل فجاء به إلى الجلودي فأخذه وقد طلب الامام من المأمون أن يهب له الجلودي، فقال المأمون: يا سيدي هذا الذي فعل بنات محمد " صلى الله عليه واله وسلم" ما فعل من سلبهن؟ ونظر الجلودي إلى الامام وهو يكلم المأمون ويتوسل إليه في العفو عنه فظن الغيبي أنه يريد الانتقام منه لما فعله معه، فقال للمأمون: يا أمير المؤمنين أسألك بالله، ويخدمتي للرشيد أن لا تقبل قول هذا في. وألثفت المأمون إلى الإمام الرضا "عليه السلام" فقال له: يا أبا الحسن قد استعفى، ونحن نبر قسمه. وخاطب المأمون الجلودي فقال له: لا والله لا أقبل قوله فيك. ثم ألثفت إلى الشرطة وأمرهم بضرب عنقه. وبعد كل ما تم ذكره لا يسعى إلا القول بان الجلودي لم يمكن نفسه من حب ومودة آل البيت "عليهم السلام" وجهل مكانة حبيهم الذي يحفز في النفس المطمئنة اليهم حالة الراحة واستشعار نقاط القوة في داخلها.<sup>٢</sup>

### لجوء الامام الرضا "عليه السلام" الى الإنفاق السخي لتنظيم أمور الآخرين

من المهم الإشارة إلى أن الامام الرضا "عليه السلام" قد جعل الإنفاق من بين سلوكياته كعادته وعادة آل البيت "عليهم السلام" من خلال التحرك لخلق سيرا حسنا عند من ينفق عليهم والمعروف أن الإمام "عليه السلام" أنفق جميع ما يملك بخراسان على الفقراء والبؤساء فأنكر عليه الفضل بن سهل، وقال له: إن هذا المغرم. فرد عليه الامام ببالغ الحجة قائلا: بل هو المغنم، لا تعدن مغرما ما تبعته به اجرا وكرما. انه ليس من المغرم في شيء أنفاق الامام جميع ما عنده على الفقراء والمحرومين، وانقاذهم من غائلة الفقر وويلات البؤس، وانما المغرم ما كان ينفقه ملوك العباسيين وإخوانهم الأمويون من الأموال الطائلة على شهواتهم ولبيابهم الحمراء، ولم ينفقوا اي شيء على فقراء المسلمين.<sup>٣</sup>

### الخاتمة

وضّح البحث رغبة الامام الرضا "عليه السلام" الشديدة في إتباع إستراتيجيته في خلق وعي عند الافراد لمواجهة مشكلات الواقع الذي يعيشونه، وبيان ذلك من خلال تعايشه بينهم وتطبيق منهجه أمامهم. من بين المشاكل التي واجهت الكثير من الافراد مسألة قبوله سلام الله عليه لولاية عهد المأمون العباسي مكرهاً وما كان منهم إلا أن تقدموا بأنكارهم ذلك وصوبوا إنقاداتهم اليه عليه السلام فواجه ذلك المد المعارض بالافتناع وإيضاح الصورة التي اجبرته على ذلك وقبل أن يباشر بالقبول أكد للمأمون منهجه وأنه هو نفسه سلام الله عليه بمبادئه وإن تظاهر الخليفة بغير حقيقته.

١ الشيخ الصدوق، عيون، ج٢، ص١٧١-١٧٤؛ القمي: الشيخ عباس، الكنى واللقاب، تقديم محمد هادي الأميني، (طهران-بلاتا)، ج٢، ص١٥٠؛ شريف، حياة، ج٢، ص٣٦.

٢ خليفة، مجلة الاستاذ، كلية التربية -ابن رشد للعلوم الانسانية، جامعة بغداد، عدد خاص بالمؤتمر العلمي الرابع، المجلد الثاني، ٢٠١٦، ص٢٨٤.

٣ ابن شهر اشوب، مناقب، ج٣، ص٤٧٠؛ المجلسي، بحار الانوار، ج٤٩، ص١٠٠؛ شريف، حياة، ج٢، ص٣٣٧.

شتمَّ الامام الرضا "عليه السلام" عن ساعديه في تقديم ما لديه فطرح أفكاره وفقهه وعلومه لمن طلبها وأراد الاستزادة منها ولم يتوان عن تقديمها كلما سنحت الفرصة لذلك دون وجل او خوف من سلطة جعلته أمام ناظرها لمتابعته وأعوانه.

لم تنحصر إستراتيجية الامام في أعانة مريديه ومحبيه بل شمل عطفه ونصحه حتى مخالفه من رجال السلطة وعلى رأسها الخليفة المأمون، كيف لا وهو الامام الرؤوف، في وقت كان من المفترض على المأمون ورجالاته أن يكونوا سعداء بذلك لكن طبعهم الغدار يأبى عليهم الا أن يكونوا كما هم.

نهض الامام الرضا سلام الله عليه بمهامه كمصلح ولم تأخذه في الله لومة لائم وأن كان المخطئ اخيه كما هو الحال مع زيد النار لتكوين موقف حازم ضد من تسول له نفسه في تفشي الفساد وأن كان اخ ولي العهد ومن أهل بيته وهو بذلك قدم للمجتمع صورة واضحة بأن وقوفه مع الحق ولا مجال لتفشي العصبية القبلية التي ألفتها المجتمع وعانى منها. وجعل زيد النار يضع عينيه قاعدة صارمة وهي: وإن عفى عنه المأمون الا أن ذلك لا يعني مسامحة الامام سلام الله عليه لما ارتكبه من جرائم.

كان الحوار جزء من إستراتيجيات الامام الرضا "عليه السلام" في التعامل اليومي، ومن هنا فضروري التعرف على تلكم الأساليب الحوارية لمعالجة الأمور في ظل سلطة المأمون العباسي.

## العدالة الاجتماعية في الإسلام والتحديات المعاصرة: دراسة في ضوء الفكر الحضاري عند الامام الرضا عليه السلام

عادل عبد الستار عبد الحسن الجنابي<sup>1</sup>

### الملخص

تناول هذه الورقة البحثية موضوع العدالة الاجتماعية انطلاقاً من التصور الإسلامي عن الحياة والمجتمع الإنساني، وتحديداً من خلال دراسة واستحضار مواقف وسيرة وفكر وروايات الامام الرضا عليه السلام في سبيل الوصول الى الهدف الرسالي وهو تطبيق حقيقي للعدالة الاجتماعية بمفهومها الاسلامي إذ أن تحقيق هذا الهدف المهم من أساسيات مهام الشريعة الإسلامية على مستوى المجتمع الإنساني في كل زمان ومكان. والسؤال المحوري هذه الدراسة هو: ما دور الامام الرضا عليه السلام في إرساء وترسيخ معالم العدالة الاجتماعية؟ وما النهج الذي سار عليه في تحقيق هذا الهدف السامي؟ وللإجابة على هذا السؤال نحتاج الى توظيف المنهجين الوصفي والتحليلي للوصول الى جوانب العدالة الاجتماعية في تعاليم الامام الرضا عليه السلام ومنظومته الفكرية والعلمية، وفكره التوحيدى والعدل ونهجه الحضاري، ومواقفه السياسية والاجتماعية التي تبين منهجه عليه السلام في إرساء معالم العدالة الاجتماعية، وازعاف مواقع التحديات التي تواجه هذا الفكر الاصيل وتعرقل مساره في تحقيق أعلى مستوى من العدالة الاجتماعية وهو بناء المجتمع العادل الذي يضمن العيش الكريم والتسامح واحترام كرامة الانسان. وأهم وأبرز النتائج التي توصلت لها هذه الدراسة هي تعزيز العدالة الاجتماعية والدور الاجتماعي الفاعل الذي جسده عليه السلام قولاً وفعلاً وتقريراً، وارتكازه على عوامل مؤثرة في تحقيق العدالة الاجتماعية كالمحبة، والتسامح، والحضور والتفاعل مع قضايا المجتمع وهمومه، والانصاف، والحضور الاجتماعي، والحرية، ورفض الظلم والاستبداد، وقبول الآخر المختلف، والتسامح، والتأسيس لاحترام حقوق الانسان، وتلك التعاليم التي انتجها الامام الرضا عليه السلام في مجال العدالة الاجتماعية أساسية وفاعلة وتميز بالتنوع، وأهمية الاستعانة بتلك التعاليم كوسيلة لمواجهة التحديات المعاصرة بوصفها من أهم الخصائص والمقومات الأساسية في البناء الحضاري، والاجتماعي.

**الكلمات المفتاحية:** العدل، العدالة الاجتماعية، المساواة، التحديات المعاصرة، بناء الحضارة

1 أستاذ دكتور في جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية، متخصص في الدراسات الفقهية وفقه القرآن، adil.abdulsatar@ircoedu.uobaghdad.edu.iq و adil70k@gmail.com

## المقدمة

ان مبدأ العدل والإحسان من المبادئ والأصول الأساسية في الشريعة الإسلامية، والعدالة الاجتماعية بوصفها جزء مهم من العدل الشامل ومن الأحكام المرتبطة بالقيم الاجتماعية مقصد شرعي لا غنى عنه في بناء المجتمعات بناءً حضارياً بحيث يسبب ضياع العدالة الاجتماعية التدهور القيمي الذي ينتهي بالدول والمجتمعات الى السقوط والانهيار.

ويتطلب كشف نظرة الإسلام الكاملة إلى هذه العدالة، واستعراض طبيعتها وأسسها ووسائلها في محيطها الواسع، تحليل جوانب العدالة الاجتماعية في تعاليم الإمام الرضا عليه السلام التربوية والحضارية، ومنظومته الفكرية والعلمية وفكره التوحيدى والعدل، ونهجه الحضاري حيث العدالة للجميع ولا ظلم من وعلى أحد، وهذا النهج الرسالي كفيلاً بتطوير نظام مفاهيمي لفهم الاتجاهات والسلوكيات المتمحورة حول العدالة على أساس أن تلك التعاليم من أهم سبل تحقيق العدالة الشاملة والوصول الى الحقيقة في ظروف العالم المعاصر، والقضاء على الظلم والتمييز الاجتماعيين والحيلولة دون تضييع حق الحياة.

والتعاليم التي انتجها الإمام الرضا عليه السلام في مجال العدالة الاجتماعية أساسية وفاعلة وتمتيز بالتنوع من حيث انها صفة لكل أنواع القيم والمبادئ السامية، ومن عناصر هذا التنوع مما يمكن أن نشخصه في سيرته عليه السلام في منظومته القيمية الاجتماعية: الأنصاف، والحضور الاجتماعي، والحرية، ورفض الظلم والاستبداد، وقبول الآخر المختلف، والتسامح، والتأسيس لاحترام حقوق الإنسان.

## المبحث الأول: العدالة الاجتماعية في الإسلام والأنظمة المعاصرة

### المطلب الأول: العدالة الاجتماعية في مفهومها المعاصر

ان العدالة الاجتماعية مصطلح ومفهوم مركب واسع الاستخدام، ذو مضامين اجتماعية واقتصادية وسياسية، وذو جوانب وأبعاد متعددة، فهي فكرة فلسفية، مثلما هي فكرة دينية، وقيمة اجتماعية ومبدأ أخلاقي. وتداخل مع مفاهيم المساواة وتكافؤ الفرص والتمييز والتهميش والعدالة الاقتصادية والعدالة القانونية والفقر والحرية، ومنها الاتصال الوثيق بين العدالة الاجتماعية والنظم الاقتصادية-الاجتماعية<sup>(١)</sup>

ولا يوجد تعريف شامل للعدالة الاجتماعية، حيث تعود جذور الفهم المعاصر لهذا المفهوم إلى الفلسفة السياسية، كما ساهمت التخصصات المختلفة بما في ذلك علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي والقانون والفقه والجغرافيا البشرية في صياغة وترسيخ دعائمه النظرية وفي تحديد عناصره الأساسية.

وأقرب تعريف شامل للعدالة الاجتماعية وفق الفهم المعاصر يصفها بأنها " تلك الحال التي ينتفي فيها الظلم والاستغلال والقهر والحرمان من الثروة أو السلطة أو كليهما، والتي يغيب فيها الفقر والتهميش والإقصاء الاجتماعي وتنعدم الفروقات غير المقبولة اجتماعياً بين الأفراد والجماعات والأقاليم داخل الدولة، ويتمتع فيها الجميع بحقوق اقتصادية واجتماعية وسياسية وبيئية متساوية وحرية متكافئة ويعم فيها الشعور بالإنصاف والتكافل والتضامن والمشاركة الاجتماعية ويتاح فيها لأعضاء المجتمع فرص متكافئة لتنمية قدراتهم وملكاتهم وإطلاق طاقاتهم من مكانتها وحسن توظيفها لمصلحة الفرد وبما يكفل له إمكانية الحراك

(١). أنظر: العدالة الاجتماعية والنماذج التنموية؛ إبراهيم العيسوي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط١، بيروت ٢٠١٤

الاجتماعي الصاعد من جهة، ولمصلحة المجتمع في الوقت نفسه، من جهة أخرى ولا يتعرض فيها المجتمع للاستغلال الاقتصادي وغيره من مظاهر التبعية من جانب مجتمع أو مجتمعات أخرى<sup>(١)</sup> بمعنى آخر، يشير هذا المصطلح إلى كافة الحقوق وجميع الوسائل التي تمكن المواطنين من العيش بحرية والتمتع بالمساواة. وكل دول العالم تقريباً تنص على أهمية العيش في ظل مبادئ العدالة الاجتماعية لكنها في الغالب لا تتجاوز التنظير والقيود الدستوري البعيد عن التطبيق العملي.

فهو بذلك نظام اقتصادي واجتماعي يهدف إلى ازالة التفاوت الطبقي وتعزز ثقافة الخير والتسامح في المجتمع، والتمتع بمجموعة من الحقوق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية باعتبارها حقوقاً أساسية من حقوق الإنسان. ويتطلع الناس في كل زمان ومكان إلى تطبيق العدالة الاجتماعية، وتأسيس مجتمع متوازن قائم على احترام الإنسان، وإشاعة الحريات العامة، وسيادة القانون، وتكافؤ الفرص للجميع<sup>(٢)</sup>.

وتعتبر العدالة الاجتماعية مطلباً إنسانياً أساسياً في الدولة الحديثة، وقد اكدت الأمم المتحدة ان العدالة الاجتماعية هي مبدا اساسي من مبادئ التعايش السلمي الذي يتحقق في ظله الازدهار الاقتصادي والرفق الاجتماعي وتوفير متطلبات التنمية. وأمام الاهتمام الدولي المتزايد بموضوع العدالة الاجتماعية، قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة، خلال دورتها الـ(٦٣) في شهر نوفمبر عام 2008 اختيار يوم ٢٠ شباط من كل عام، ليكون اليوم العالمي للعدالة الاجتماعية، يحتفل به العالم سنوياً لدعم جهود المجتمع الدولي للقضاء على الفقر، وتعزيز العمالة الكاملة، إضافة إلى تحقيق المساواة والرفاه الاجتماعي، والعدالة الاجتماعية والاستقرار للجميع<sup>(٣)</sup>.

وهو تأكيد أممي على أهمية وضرورة تحقيق العدالة الاجتماعية ضماناً لتحقيق التعايش السلمي بين الأفراد في المجتمع. وضمان العدالة الاجتماعية والسعي لتحقيقها هو الطريق لبناء الدولة الحضارية وضمان التنمية والرفق والازدهار. وبين العدالة الاجتماعية وحقوق الانسان والتعايش السلمي ارتباط وثيق وعلاقة كبيرة، إذ أن فكرة العدالة الاجتماعية لا يمكن فصلها عن فكرة حقوق الإنسان، حيث يشير مصطلح العدالة الاجتماعية إلى حقوق الإنسان التي تنجلي في الحياة اليومية للناس على كل المستويات، ويقصد بها غالباً توزيع الثروة والفرص والرعاية الصحية والتعليم وغير ذلك بشكل عادل ومتساوٍ، فهي استحقاق أساسي للإنسان نابع من استحقاقه وجدارته بالتمتع بمجموعة من الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والحريات السياسية والمدنية، على ما هو مقرر في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وما يلحق به من العهود والمواثيق والاتفاقيات الدولية مثل العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والاتفاقيات الخاصة بحقوق الانسان والمرأة والأقليات، فلا تسود العدالة الاجتماعية إلا باحترام حقوق الإنسان، فإن احترام الإنسان كإنسان وتكريمه هو من أجل مصاديق تطبيق العدالة. وكذلك فإن العدالة الاجتماعية أكثر من مجرد ضرورة أخلاقية، لأنها أساس الاستقرار الوطني والازدهار العالمي، فالعدالة الاجتماعية تعد مبدأً أساسياً من مبادئ التعايش السلمي بين الأمم، وركن أساس من أركانه لأن اختلال ميزان العدالة الاجتماعية سيؤدي إلى نشوب الاضطرابات والانفجار الاجتماعي واهتزاز السلطة<sup>(٤)</sup>.

(١). المصدر نفسه ص ٩٥-٩٦.

(٢). العدالة الاجتماعية في القرآن الكريم: عبد الله أحمد اليوسف (ط، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م) ص ٧.

(٣). أنظر: اليوم العالمي للعدالة الاجتماعية ويكيبيديا: <https://ar.wikipedia.org/wiki>

(٤) أنظر: العدالة الاجتماعية في رسالة الحقوق للامام السجاد عليه السلام، نسيب محمد حطيط، موقع العتبة الحسينية المقدسة: <https://new.imamhussain.org/arabic/26895>.

### المطلب الثاني: العدالة الاجتماعية مقصد إسلامي قرآني رضوي

أن العدل من أهم الأصول والمبادئ العظيمة في الإسلام فهو يمثل جوهر الإسلام وروحه، وهو المحور الأساسي لتطبيق أصول الدين وفروعه، وعليه تركز فلسفة التشريع، وحكمة التكوين، وبناء المجتمع، وحفظ الحقوق، وتعميق المبادئ الأخلاقية.

ومفهوم العدل في الإسلام هو إعطاء كل ذي حق حقه، ووضع الأمور في أماكنها الصحيحة. والعدل من صفات الله تعالى الكمالية المؤكدة بالشهادة العظمى قال تعالى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)<sup>(١)</sup>.

إن تحقيق العدالة بمختلف وجوهها ولا سيما الاجتماعية منها، من الموضوعات التي أولاها الدين الإسلامي اهتماماً كبيراً، ولم تهتم الرسالة الإسلامية بقضية بعد الأيمان بالله تعالى وتوحيده وطاعته كالاهتمام بقضية القسط والعدل، بل أنها من أهم وظائف وأهداف بعثة الأنبياء والمرسلين وقد ذكر القرآن الكريم ان الله سبحانه وتعالى انما بعث الأنبياء والمرسلين لإقامة العدل والقسط وليسود العدل وتحقق العدالة الاجتماعية في المجتمع، ونجد ذلك بعدد من الآيات منها قول الله تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ).<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى: (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رُسُوكٌ فَإِذَا جَاءَ رُسُوكُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)<sup>(٣)</sup>.

وبحسب تصور أصول ومبادئ القرآن الكريم، فان العدالة الاجتماعية من أهم مكونات ومرتكبات العدل في الإسلام، والعدل بمفهومه الواسع في الإسلام والرؤية قرآنية: يشمل منظومة الحقوق بجميع أقسامها سواء حقوق الله تعالى على الانسان أو حقوق الناس فيما بينهم أو حق الانسان على نفسه بحيث يكون مفهوم العدل في هذا الحال معادلاً لجميع القيم السامية أما موضوع العدل الاجتماعي فهو يتحدد بالعلاقة بين الانسان وأخيه الانسان وما يترتب على هذه العلاقة من حقوق، بصرف النظر عن علاقة انسان بالله تعالى أو علاقته بنفسه، بحيث يقابل العدل الاجتماعي ظلم الآخرين فقط وليس الظلم في حق الله تعالى أو حق النفس.

والعدالة الاجتماعية في الإسلام ليست مطلوبة للإنسان فردياً واجتماعياً فحسب، بل هي أمر إلهي، بقول الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ)<sup>(٤)</sup>.

ولقد فرض الله العدل على المسلمين ليشمل كل شيء في حياتهم، ابتداء من العدل في الحكم، إلى الشهادة ومعاملة الأسرة والزوجة وجميع الناس، حتى مع الأعداء والخصوم، وقد قال الله تعالى: (فَلِذَلِكَ فَادَعُ وَاَسْتَقِيمَ كَمَا أَمَرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ)<sup>(٥)</sup>. وقد ركز القرآن الكريم كثيراً على أهمية تطبيق العدالة في المجتمع، وبالرغم من أن القرآن الكريم قد أشار إلى مختلف أنواع العدالة فيما يقرب من ثلاثين مرة في القرآن الكريم، إلا أن العدالة الاجتماعية قد حظيت

(١). سورة آل عمران: الآية ١٨.

(٢). سورة الحديد: الآية ٢٥.

(٣). سورة يونس: الآية ٤٧.

(٤). سورة النحل: الآية ٩٠.

(٥). سورة الشورى/ ١٥

بأكثر من نصف الآيات التي أشارت إلى العدل، وتشير الكثير من آيات القرآن الكريم إلى العدل الاجتماعي بمصاحيق متعددة ومن ذلك قول الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ)<sup>(١)</sup>

وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْبُدُوا اللَّهَ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)<sup>(٢)</sup>، وأيضاً قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ)<sup>(٣)</sup>

وفي رعاية العدل بين الأزواج يقول تعالى: (فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِن حِفْظُهُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاجِدَةٌ)<sup>(٤)</sup>

أما في صيانة وضمأن الحقوق المالية فقوله تعالى: (إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ)<sup>(٥)</sup>

وقد نبه الامام الرضا عليه السلام إلى ان في العدل والإحسان آثار وثمار منها أنها من موجبات دوام النعم وحسن العاقبة: فقد روى الشيخ الصدوق رحمه الله عن الفضل بن شاذان قال: (سمعت الرضا عليه السلام يقول: استعمال العدل والإحسان مؤذن بدوام النعمة، ولا حول ولا قوة الا بالله)<sup>(٦)</sup>، وروى محمد بن يعقوب الكليني رحمه الله: ... عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام - في حديث - قال: (لا تمل من الدعاء فانه من الله بمكان، وعليك بالصبر وطلب الحلال وصله الرحم، وإياك ومكاشفة الناس، فإننا أهل بيت نصل من قطعنا، ونحسن إلى من أساء إلينا، فنرى والله في ذلك العاقبة الحسنة)<sup>(٧)</sup>

### المبحث الثاني: منهج الامام الرضا عليه السلام في ترسيخ العدالة الاجتماعية

لما كانت العدالة الاجتماعية من أهم المبادئ الرئيسية في النظام الاقتصادي والاجتماعي الإسلامي، والتي من خلالها يتم تحقيق المساواة بين جميع أفراد المجتمع، وتشكل أهمية كبيرة في عملية الإصلاح الاجتماعي وخصوصاً في مجتمع يتعرض وبشكل مستمر للكثير من النكبات والنزاعات والصراعات الفكرية والعقدية فقد أخذت تلك القضية اهتماماً كبيراً وأولوية في فكر الامام الرضا عليه السلام ونشاطه الاجتماعي. ولتأكيد هذا الاهتمام نبحت في المطالب الآتية أبرز الأسس والمبادئ والأركان والمقومات التي تركز عليها العدالة الاجتماعية في المدرسة الرضوية.

(١). سورة النساء: الآية ٥٨.

(٢). سورة المائدة: الآية ٨.

(٣). سورة النساء: الآية ١٣٥.

(٤). سورة النساء: الآية ٣.

(٥). سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

(٦). بحار الأنوار، العلامة المجلسي ٢/٧٢٦.

(٧). الكافي، الكليني ٢/٤٨٨ حديث ١.



## المطلب الأول: الحب والحضور الاجتماعي

الحب علامة الايمان والخلق الكريم، والمحبة التي نادى بها الإسلام هي أن يحب كل انسان لغيره ما يحب لنفسه، وتحقق العدالة الاجتماعية في محبة الناس واحترامهم ومداراتهم، وسيرة الإمام الرضا عليه السلام زاخرة بالحب والمعرفة والبصائر، فقد كان عليه السلام بنفسه الكريمة واخلاقه الحسنة شديد التواضع وحسن المعاشرة، ومدارة الناس، وكان معروفاً في وسط المجتمع بالصدق وأداء الأمانة والوفاء بالعهد، واحترام الآخرين، والاهتمام بالمسلمين، وقضاء حوائجهم، وتلك سمات المحب التي طالما لزمها الامام عليه السلام في أقواله وأفعاله، والدور الاجتماعي الذي جسده عليه السلام في هذا الاتجاه يركز على عناصر عديدة منها: عنصر الحب، وعنصر الحضور والتفاعل مع قضايا المجتمع وهمومه. وصفه إبراهيم بن العباس بقوله: (ما رأيت أبا الحسن الرضا عليه السلام جفا أحداً بكلامه قط، وما رأيت قطع على أحد كلامه، حتى يفرغ منه، وما ردّ أحداً عن حاجة يقدر عليها، ولا مدّ رجليه بين يدي جليس له قط، ولا إنكأ بين يدي جليس له قط، ولا رأيت شتم أحداً من مواليه ومماليكه قط،... وكان كثير المعروف والصدقة في السر، وأكثر ذلك يكون منه في الليلي المظلمة. فمن زعم أنه رأى مثله في فضله فلا تصدّفوه)<sup>(١)</sup>

وقد أظهر الله عزوجل به العدل والرأفة والرحمة بين الناس: نقل المحدث القمي رحمه الله: عن الدر النظيم لجمال الدين يوسف بن حاتم العاملي قال في ذكر الرضا عليه السلام:... قال أبو الحسن موسى عليه السلام: (... بينا أنا نائم إذ أتاني جدي وأبي... فقالا: يا موسى ليكون لك من هذه الجارية خير أهل الأرض بعدك، ثم أمراني إذا ولدته أن اسميه عليا، وقالا: إن الله سيظهر به العدل والرأفة والرحمة، طوبى لمن صدقه، وويل لمن عاداه وجحده)<sup>(٢)</sup>

والامام الرضا عليه السلام لُقّب في حياته بكوكبة من الألقاب الكريمة وكلها تحكي للمجتمع الانساني عظمة شخصيته وجوانب حياته. وهذا يفسر ما كان يملكه الامام من رصيد اجتماعي وقاعدة شعبية عند المؤتلف والمخالف ولعل وسبب تسميته عليه السلام بالرضا واشتقاره بهذا اللقب الكريم مع كثرة ألقابه خير دليل على حضوره الاجتماعي فقد روى الشيخ الصدوق رحمه الله بسنده عن أحمد بن محمد بن أبي نصير البيزنطي، قال: (قلت لأبي جعفر محمد بن علي بن موسى عليهم السلام: إن قوما من مخالفكم يزعمون أن أباك عليه السلام إنما سماه المأمون (الرضا) لما رضيه لولاية عهده. فقال عليه السلام: كذبوا والله! وفجروا، بل الله تبارك وتعالى سماه (الرضا) لأنه كان رضي لله عزوجل في سمائه، ورضي لرسوله، والأئمة من بعده صلوات الله عليهم في أرضه. قال: فقلت له: ألم يكن كل واحد من آبائك الماضين عليهم السلام رضي لله تعالى، ولرسوله، والأئمة عليهم السلام؟ فقال: بلى! فقلت: فلم سمي أبوك عليه السلام من بينهم (الرضا)؟ قال: لأنه رضي به المخالفون من أعدائه، كما رضي به الموافقون من أوليائه، ولم يكن ذلك لأحد من آباءه عليهم السلام، فلذلك سمي من بينهم الرضا عليه السلام)<sup>(٣)</sup>

كان الرضا عليه السلام آية الحق وراية العدل ورمزا للفضيلة، وكانت روعة الإيمان تغطي وجهه، لذلك كان يحظى بنفوذ مطلق في المجتمع المسلم، ورصيد جماهيري كبير، وله شخصية فذة ومهيمنة، وكانت له في

(١). بحار الأنوار، العلامة المجلسي ٩١/٤٩.

(٢). مستدرک سفينة البحار، الشيخ علي النمازي ٣٩٢/٧.

(٣). عيون أخبار الرضا: ١/١٣١، حديث-١، علل الشرائع: ١/٢٣٦.

قلوب الناس هيبه كبيرة، لقد فجر الإمام العاطفة في قلب كل انسان مسلم، فقد وجدوا فيه انسانية فذة استمدها من روح الرسالة، وأوضح دليل تاريخي على هذه المحبة والحضور الاجتماعي حادثة صلاة يوم الجمعة حين طلب المأمون طلب منه عليه السلام أن يصلي بالناس صلاة العيد في مرو فلما خرج للصلاة ورآه القواد والعسكر رموا بأنفسهم عن دوابهم ونزعوا خفافهم وقطعوها بالسكاكين لما رأوه راجلاً حافياً، ولما بلغ المأمون خطورة التدفق الجماهيري لاستقبال الامام الرضا عليه السلام منعه من إقامة الصلاة خوفاً من الانقلاب وخروج الأمر عن السيطرة.<sup>(١)</sup>

ويشير الامام عليه السلام الى أن للحب آثار كبيرة ينالها المؤمن في الدنيا والآخرة وخصوصاً إذا كان هذا الحب في الله عز وجل: فقد روى الشيخ الصدوق رحمه الله: عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: (المتحابين في الله يوم القيامة على منابر من نور، قد أضاء نور وجهم وأجسادهم ونور منابهم كل شيء، حتى يعرفوا أنهم المتحابون في الله عز وجل)<sup>(٢)</sup>.

كما يؤكد الامام أن في المصاحبة الاجتماعية حقوق وواجبات ومسؤوليات يجب مراعاتها روى الحلواني رحمه الله: قال الرضا عليه السلام: (اصحب السلطان بالجد، والصديق بالتواضع، والعدو بالتحرز، والعامه بالبشر)<sup>(٣)</sup>.

وحتى مع كون الإمام الرضا عليه السلام له من الصفات الكريمة مثل الزهد في الدنيا، والأعراض عن مباحها وزينتها، إلا أنه عليه السلام يراعي مسألة الصلة بالمجتمع والتزين له، وفي ذلك روى الشيخ الصدوق رحمه الله... عن أبي عباد قال: (كان جلوس الرضا عليه السلام في الصيف على حصير، وفي الشتاء على مسح، ولبسه الغليظ من الثياب، حتى إذا برز للناس تزين لهم)<sup>(٤)</sup>. ولقيه سفيان الثوري وقد لبس ثوباً من خز فقال له: يا ابن رسول الله لو لبست ثوباً أدنى من هذا فقال: هات يدك، فأخذ بيده وأدخل كفه فإذا تحت ذلك مسح، فقال، يا سفيان! الخز للخلق، والمسح للحق)<sup>(٥)</sup>. كما أنه عليه السلام عمل على تصحيح المفاهيم المغلوطة التي يؤمن بها الصوفية وغيرهم ممن يعتقد أن الزهد يكون في ترك الزينة والأعراض عن مباح الحياة وترك الطعام واللباس الحسن، وذلك حين دخل عليه قوم من الصوفية فقالوا: إن أمير المؤمنين المأمون لما نظر فيما ولاه من الأمور فراكم أهل البيت أولى من قام بأمر الناس، ثم نظر في أهل البيت فراك أولى بالناس عن كل واحد منهم، فرد هذا الأمر إليك، والإمامة تحتاج إلى من يأكل الخشن ويلبس الخشن ويركب ويعود المريض ويشيع الجنائز، وكان الرضا متكفاً فاستوى جالسا، ثم قال « كان يوسف بن يعقوب نبياً فلبس أقبية الديباج المزركشة بالذهب والقباطي المنسوجة بالذهب وجلس على متكآت آل فرعون، وحكم وأمر ونهى، وإنما يراد من الإمام قسط وعدل، إذا قال صدق وإذا حكم عدل وإذا وعد أنجز، إن الله لم يحرم ملبوساً ولا مطعماً وتلا قوله تعالى: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) (٦) »<sup>(٧)</sup>.

(١). الامام الرضا عليه السلام سيرة وتاريخ، عباس الذهبي ص ٨٢.

(٢). ثواب الأعمال: ١٨٢ حديث ١.

(٣). نزهة الناظر وتنبية الخاطر: ١٣٣٠ حديث ٢٥.

(٤). عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٣٤/٢ ج١- المناقب: لابن شهر آشوب ٣٦٠/٤.

(٥). مسند الامام الرضا عليه السلام، الشيخ عزيز الله عطاردى ٤٧/١.

(٦). سورة الأعراف: الآية ٣٢.

(٧). كشف الغمة ٨٢/٣.

### المطلب الثاني: المساواة الإنسانية ومحاربة الظلم والتمييز

العدالة الاجتماعية من المفاهيم العامة التي تستخدم بشكل واسع وهي من الحقائق المشتركة بين جميع الأديان التوحيدية بل أن جميع الحضارات والمجتمعات الإنسانية تؤمن بها لأنها تنسجم مع حقوق الإنسان وكرامته، وفقدانها بالتمييز والظلم من أهم مسببات الفشل الأخلاقي على مستوى العالم، وقد يفضي الى الصراع السياسي والعسكري، والتقهقر الحضاري ( فَكَأَيُّنَ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْعُرُ مُعْتَلِئَةً وَقَصْرٍ مَشِيدٍ )<sup>(١)</sup>، لذلك فان المسؤولية الشرعية والأخلاقية والإنسانية تستلزم الاهتمام بتحقيق العدالة الاجتماعية ووضع الحلول التي تعالج الظلم والتمييز.

إن مفهوم العدالة الاجتماعية، مفهوم عام يشمل كل مجالات الحياة، وذلك لأن موضوعه هو المجتمع، وأساسه الأول هو العدل، والإسلام حقق العدالة الاجتماعية وحارب الظلم بشتى أنواعه، وساوى بين البشر جميعاً في الحقوق والحريات والكرامة الإنسانية بغض النظر عن الدين والجنس واللون، ولم يميز بين المسلمين وغير المسلمين في ذلك. وقد أظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ملاك التفوق في موارد متعددة، فمنها: قوله صلى الله عليه وآله وسلم في خطبة في الحج الأكبر: (أيها الناس! إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لادم وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى)<sup>(٢)</sup>، وقد تبرأ الإسلام من العصبية القبلية والعنصرية فبلغ بذلك مستوى حضاري لم تصل إليه حضارة أخرى على الإطلاق وهذا قمة العدالة الاجتماعية.

والعدالة الاجتماعية بمفهومها الإسلامي وكما هو واضح في فكر الإمام الرضا عليه السلام إنما تتحقق عند بناء المجتمع العادل الذي يضمن العيش الكريم، وتحقيق الكرامة الإنسانية، ونشر المساواة والتضامن بين جميع أفراد المجتمع، ومحاربة التمييز والظلم والكرهية. المقاومة الفكرية والعملية التي انتهجها الإمام الرضا عليه السلام تعد من أهم التجارب الناجحة في مواجهة ومحاربة الظلم والقضاء على التمييز الاجتماعي وكانت القاعدة القرآنية (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) حاضرة دوماً في علاقاته مع الجميع، فيتعامل مع غلمانته بدافع المحبة، وبدافع إنساني، لا بدافع وظيفي، فضلاً عن الناس الآخرين، وفي المصنفات المعتمدة أحاديث وروايات نقلت على لسان معاصريه تجسدت فيها مكارم أخلاقه عليه السلام وإنسانيته في تعامله مع الفقراء والخدم وسيماه التواضع وحسن المعاشرة بخلق الله تعالى ولو كانوا مماليك وضعفاء فلا ينظر إليهم إلا بعين الإخوة في الله ووحدة النوع الإسلامي ولا يفاضل بين نفسه وغيره إلا بالتقوى. روى الشيخ محمد بن يعقوب الكليني رحمه الله: بسنده عن عبد الله بن الصلت، عن رجل من أهل بلخ قال: (كنت مع الرضا عليه السلام في سفره إلى خراسان، فدعا يوماً بمائدة له، فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم. فقلت: جعلت فداك لو عزلت لهؤلاء مائدة؟، فقال: مه، إن الرب تبارك وتعالى واحد، والأمّ واحدة، والأب واحد، والجزاء بالأعمال)<sup>(٣)</sup>

وكان عليه السلام يحذر من التمييز على الأسس الاجتماعية. فقد روى الشيخ الصدوق رحمه الله: بسنده عن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: (من لقي فقيراً مسلماً فسلمّ خلاف سلامه على الأغنياء لقي الله عزّ وجل يوم القيامة وهو عليه غضبان)<sup>(٤)</sup>

(١). سورة الحج: الآية ٤٥.

(٢). بحار الأنوار: العلامة المجلسي ٣١/٣٥٥.

(٣). الكافي، الكليني ١٩٢/٨ حديث ٢٩٦.

(٤). عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٥٢/٢ حديث ٢٠٢.

وكان الامام يرى أن ما له من فضل انما هو بالتقوى وليس فقط بالانتساب الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالولادة. قال الشيخ الصدوق رحمه الله: حدثنا الحاكم البيهقي، عن الصولي، عن أبو عبد الله محمد بن موسى بن نصر الرازي قال: (سمعت أبي يقول: قال رجل للرضا عليه السلام: والله ما على وجه الارض أشرف منك أباً، فقال عليه السلام: التقوى شرفهم، وطاعة الله أحظتهم، فقال له آخر: أنت والله خير الناس فقال له: لا تحلف يا هذا: خير مني من كان أتقى لله تعالى وأطوع له، والله ما نسخت هذه الآية (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (١١) (٢).

ومن كلماته عليه السلام في الحب والطاعة والاعانة ما رواه الشيخ الصدوق رحمه الله: بسنده عن إبراهيم بن محمد الهمداني قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: (من أحب عاصياً فهو عاص، ومن أحب مطيعاً فهو مطيع، ومن أعان ظالماً فهو ظالم، ومن خذل عادلاً فهو ظالم، إنه ليس بين الله وبين أحد قرابة، ولا ينال أحد ولاية الله إلا بالطاعة، ولقد قال: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبني عبد المطلب ايتوني بأعمالكم لا بأحسابكم وانسابكم، قال الله تعالى: (فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدِينَ) (٣) (٤).

ويقول إبراهيم بن العباس: سمعت علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول: (حلفت بالعتق، ولا احلف بالعتق إلا أعتقت رقبة، وأعتقت بعدها جميع ما املك، ان كان يرى أنه خير من هذا، وأوماً إلى عبد أسود من غلمانه، إذا كان ذلك بقرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا أن يكون له عمل صالح فأكون أفضل به منه) (٥). وكان الإمام عليه السلام كثير البر والاحسان إلى العبيد، ومن سمى أخلاقه عليه السلام في معاشرته مع ممالئكه، كان إذا وضع المائدة دعا خدومه وغلمانه وأجلسهم إلى جانبه، روى ابن شهر آشوب رحمه الله: عن إبراهيم بن العباس قال: (كان الرضا عليه السلام إذا جلس على مائدته، أجلس عليها ممالئكه حتى السائس والبواب...) (٦).

وروى الشيخ الصدوق رحمه الله... عن ياسر الخادم قال: (كان الرضا عليه السلام إذا خلا، جمع حشمه كلهم عنده، الصغير والكبير، فيحدثهم ويأنس بهم، ويؤنسهم، وكان عليه السلام إذا جلس على المائدة لا يدع صغيراً ولا كبيراً، حتى السائس والحجّام إلا أقعده معه على مائدته) (٧).

وكل هذه الأمثلة مبادئ ودروس عملية قدمها الإمام في المساواة الإنسانية ورفض الظلم والتمييز الاجتماعي، وان الناس جميعاً على صعيد واحد لا فضل لأحد على آخر الا بالتقوى. وحيث أنه عليه السلام آمن بكرامة الإنسان وحرية فقد سعى إلى تحرير عتق العبيد، فقد روي عنه أنه أعتق ألف مملوك<sup>(٨)</sup>.

(١). سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٢). عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/٢٣٦ حديث ١٠.

(٣). سورة المؤمنون: الآيات ١٠-١٣.

(٤). عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/٢٣٥ حديث ٧.

(٥). المصدر نفسه ٢/٢٣٧.

(٦). المناقب، لابن شهر آشوب ٤/٣٦١.

(٧). عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/١٥٩ حديث ٣٤.

(٨). الاتحاف بحب الاشراف / الشيخ عبد الله الشيرازي: ١٥٥.

## المطلب الثالث: التكافل والضمان والتوازن الاجتماعي.

الصورة الإسلامية للعدالة الاجتماعية تحتوي على جانبين عامين، لكل منهما خطوطه وتفصيلاته: أحدهما التكافل العام، والآخر التوازن الاجتماعي. وفي التكافل والتوازن بمفهومها الإسلامي يوجد المفهوم الإسلامي للعدالة الاجتماعية<sup>(١)</sup>.

والضمان الاجتماعي في الإسلام يقوم على أساس الأيمان بحق الجماعة كلها في مصادر الثروة لأن هذه المواد الطبيعية قد خلقت للجماعة كافة لا لفئة دون فئة (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا)<sup>(٢)</sup>، وهذا الحق يعني أن كل فرد من الجماعة له حق الانتفاع بثروات الطبيعة والعيش الكريم منها، والنصوص الإسلامية واضحة كل الوضوح في التأكيد على المسؤولية المباشرة للدولة في الضمان الاجتماعي<sup>(٣)</sup>.

وكانت الزكاة والضمان الاجتماعي الأساس الذي استندت إليه الشريعة الإسلامية لتحقيق العدالة الاجتماعية، ويتم الوصول إلى العدالة الاجتماعية في الشريعة الإسلامية من خلال نظام التكافل الاجتماعي الذي يهدف إلى قيام التوازن بين الأفراد والجماعات والطبقات أي أن التكافل الاجتماعي يقيم ويحافظ على النسيج الاجتماعي ويحقق الموازنة في حد الكفاية للمجتمع وضبط التفاوتات بضوابط الحلال الديني والكفاية في العطاء، ووضع سقف للتفاوت يمنع الاحتكار والأثرة والظغيان.

وجاء في كتاب الامام علي عليه السلام الى واليه على مصر: (ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمنى، فان في هذه الطبقة قانعا ومعترأ، واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسماً من بيت مالك وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلد، فان للأقصى منهم مثل الذي للأدنى...)<sup>(٤)</sup>

وكان الامام الرضا عليه السلام كآبائه عليهم السلام جوادا كريما، يقضي حوائج المحتاجين والمعوزين وينفق عليهم، ولا يرد سائلا، ويحفظ كرامة السائل. عن الحسن بن علي الوشاء، قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: (السخي قريب من الله، قريب من الجنة، قريب من الناس، بعيد عن النار، والبخيل بعيد عن الجنة، بعيد عن الناس، قريب من النار)<sup>(٥)</sup>.

وعن يعقوب بن إسحاق النوبختي، قال: (مر رجل بأبي الحسن الرضا عليه السلام فقال له: أعطني على قدر مروءتك، قال لا يسعني ذلك فقال: على قدر مروءتي، قال إذا فنعم ثم قال يا غلام أعطه مائتي دينار)<sup>(٦)</sup>، وقد فرق بخراسان ماله كله في يوم عرفة، فقال له الفضل بن سهل: (إن هذا لمغرم، فقال: بل هو لمغنم، لا تعدن مغرما ما ابتغيت به أجرا وكرما)<sup>(٧)</sup>.

وعن معمر بن خلاد قال: (كان أبو الحسن الرضا عليه السلام إذا أكل أتى بصحفة فتوضع قرب مائدته، فيعمد إلى أطيب الطعام مما يؤتى به فيأخذ من كل شيء شيئا، فيوضع في تلك الصحفة، ثم يأمر بها للمساكين،

(١). ومضات: السيد باقر الصدر (ط)، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر (رض) ص ١٧٢

(٢). سورة البقرة: الآية ٢٩.

(٣). ومضات: السيد باقر الصدر ص ١٥٠.

(٤). نهج البلاغة ص ٤٣٦ الرسالة ٥٣.

(٥). عيون أخبار الرضا ١٥/٢ الحديث ٢٧.

(٦). المناقب / ابن شهر آشوب ٣٩٠/٤.

(٧). المصدر نفسه ٣٩٠/٤.

ثم يتلو هذه الآية ( فَلا أَفْتَحَمَّ الْعَقَبَةَ ) ثم يقول: علم الله عزوجل أن ليس كل إنسان يقدر على عتق رقبة، فجعل لهم السبيل إلى الجنة باطعام الطعام<sup>(١)</sup>، وعنه عليه السلام قال: (خير مال المرء ذخائر الصدقة)<sup>(٢)</sup>. وقد عمل الامام الرضا عليه السلام على نشر المفاهيم الاسلامية المتعلقة بالحياة الاقتصادية والنظام الاقتصادي الاسلامي على الرغم بانه لم يكن على رأس سلطة حتى يستطيع اصلاح الاوضاع الاقتصادية اصلاحا فعليا. كما كان الامام الرضا عليه السلام يستثمر جميع الفرص المتاحة للإصلاح والتغيير الاخلاقي والاجتماعي وبناء واقع جديد مغاير لما عليه عامة الناس ولهذا تعددت اساليبه التربوية الاصلاحية.

### المبحث الثالث

مواجهة تحديات العدالة الاجتماعية المعاصرة في ضوء الفكر الرضوي  
يعج عالمنا اليوم بالعديد من النظريات والأطروحات حول نظرية ومفهوم العدالة الاجتماعية إذ نر أن كل إيديولوجية أو مدرسة فكرية تقدم مفهومها ونظريتها للعدالة الاجتماعية. إلا أنه ليس كل ما يطرح من نظريات في العدالة الاجتماعية يستطیع تحقيق ذلك، فنحن رأينا كيف أن الماركسية التي جاءت حاملة لواء العدالة ومحاربة الظلم والانتصار للكادحين لم يعش الناس في ظلها إلا في شقاء وتعاسة وانتهاك لأبسط حقوق الإنسان. أما النظام الرأسمالي فيكفي أن تلقي بنظرة ثابتة على المجتمعات التي تطبق الرأسمالية لترى كيف أن الشركات العملاقة تسيطر على كل شيء ليتحول الإنسان في ظلها إلى آلة يخدم أهداف ومصالح أصحاب النفوذ الاقتصادي والسياسي على حساب مصالح الأفراد ومستقبلهم وتقدمهم<sup>(٣)</sup>.

### المعوقات العدالة الاجتماعية

إن الحاجة للمطالبة بتحقيق العدالة الاجتماعية في المجتمع هي نتيجة لغياب العديد من المبادئ عن الحياة العامة، ومن ثمّ سيكون أمام تحقيق كل مبدأ من مبادئ العدالة الاجتماعية تحدّ أو مشكلة. وان غياب العدالة الاجتماعية او تعثر تحقيقها كانت سببا وراء الكثير من المشاكل ويعترض تحقيق العدالة الاجتماعية مجموعة من المعوقات التي تقف حائلاً أمام نشر أسس ومفاهيم العدالة الاجتماعية من أهمّها:<sup>(٤)</sup>

- ١- التمييز العنصري وانتشار الظلم والكرهية وهدر كرامة الانسان.
- ٢- ارتفاع حاجز الفقر والجوع والعوز الكثير.
- ٣- غياب الحرية وانتشار الظلم والفساد والمحسوبية.
- ٤- عدم المساواة في توزيع الدخل بين الأفراد على المستوى المحلي أو الوطني، بحيث يختلف الدخل باختلاف العرق أو الجنس أو غير ذلك.
- ٥- عدم المساواة في توزيع الموارد والممتلكات كالأراضي والمباني بين الأفراد.

(١). بحار الأنوار، العلامة المجلسي ٤٩ / ٩٧.

(٢). ميزان الحكمة: الريشهري ٣١٣/٤.

(٣). العدالة الاجتماعية في القرآن الكريم: عبد الله أحمد اليوسف ص ٨-٩.

(٤). ما هي العدالة الاجتماعية، عادة الخلافة، موقع موضوع.

٦- عدم المساواة في توزيع فرص العمل بأجر.

٧- عدم المساواة في الحصول على فرص التعليم، وعلى الخدمات التعليميّة المختلفة.

٨- عدم المساواة في توزيع خدمات الضمان الاجتماعيّ والخدمات الصحيّة.

ولا شك أن انعدام العدالة الاجتماعية لا يؤدي إلى ثبات واستقرار النظام الاجتماعي، بل يؤدي إلى اختلال الموازين الأساسية في اشباع حاجات الأفراد، وتمتعهم بالثروات الاجتماعية، والنظرية الإسلامية فقد نادى بالعدالة الاجتماعية، لا من باب عدالة الأجر والمكافئة الاجتماعية التي أمضاها الشارع فحسب، بل من باب عدالة توزيع الثروة الاجتماعية. أما النظم الاجتماعية والوضعية الأخرى، فإن فرص تحقيق العدالة الاجتماعية، تلازمها النسبية في نتائجها وحقائقها، وذلك لأنها تظهر كأثر لفلسفات سياسية راجعة لأهواء الأفراد في المجتمع.

وإذا كانت الأنظمة والاتجاهات السياسية والاقتصادية المعاصرة تنظر إلى العدالة الاجتماعية من الناحية المالية فقط، وترى أن الدين هو علاقة العبد بربه وأن لا دخل للدين في العلاقات بين الناس ومشكلات الحياة وسياسة الحكم وسياسة المال فإن مفهوم العدالة من منظور الإسلام والمدرسة الرضوية شيء أكبر من سياسة المال، وأوسع بكثير من مجرد العدالة التوزيعية كالعدالة في الرتب(الرواتب والمحفزات) وقوانين تخصيص الموارد والقاعدة الاجتماعية للأفراد (الترقية في المنصب)، والحقبة أن الإسلام لم يكن يوماً بعيداً عن المجتمع والحياة العملية ولم تكن العبادات الشعائرية منفصلة عن المعاملات والسلوك وأخلاقيات التعامل كالصدق والعدل والأمانة والنصح والإنصاف والإحسان.

وفي التصور الإسلامي تتجدد معالم العدالة الاجتماعية، بالعدل والإحسان والشورى وحماية الضعيف، وإدانة الظلم والتوازن بين حقوق شعب وحقوق السلطة السياسية وجعل من أهم غايات النظام السياسي، أن يجعل محورة العدالة الاجتماعية على المستويات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية كافة<sup>(١)</sup>.

وقد سعى الأنبياء عليهم السلام، كسليمان بن داود، والرسول الأكرم، والأئمة من أهل بيته(عليهم السلام)، لإقامة الحكومة بغية بسط العدل والقسط والحيلولة دون الظلم والجور، وعليه: « فإن إقامة الحكومة يعدّ من أعظم الواجبات والسعي إليها من أفضل العبادات »<sup>(٢)</sup>.

وقد كان للنبوة والامامة الدور الأهم والأساس في بناء المجتمع الصالح والعدل والذي هو غاية الأنبياء والأولياء والصالحين، وهذا ما يمكن أن نلمسه من دور أئمة أهل البيت عليهم السلام في بناء الدولة الإسلامية، فقد وضعوا أسس بناء حضارة الإسلام، وكان لهم أثراً فاعلاً في الفكر الإسلامي، وفي الثقافة الإسلامية، والتي أساسها بناء مجتمع عادل صالح يستوعب الجميع.

لقد سار أئمة أهل البيت عليهم السلام على طريق الأنبياء، وحرّبوا كل أنواع الفساد بكل ما يملكون من وسائل والامام الرضا عليه السلام سار على خطا آبائه واجداده وقاد حركة الإصلاح وجمع لتحقيق هذا الهدف المخلصين ولاقي ما لاقى من الأذى في سبيل الله تعالى، وناهض التيارات الفكرية المنحرفة والمخالفة لأصول الدين والشريعة وتعاليم الدين الحنيف وقاوم الظلم والفساد في الفكر والأخلاق وجابه الخطابات والاعمال المشجعة للتمييز والظلم والكرهية ومخاطرها في المجتمع

(١). ومضات: السيد باقر الصدر ص ١٥١.

(٢). كتاب البيع، الإمام الخميني ٢/ ٤٦٣.

ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح من خلال فهم المنظومة الحقوقية والفكرية والحركة التصحيحية للإمام الرضا عليه السلام الذي قاد حركة واسعة على الصعيدين الفكري والاجتماعي، والتي كان لها الأثر البالغ في تعزيز وترسيخ القيم الاجتماعية السامية، وفي تصحيح المفاهيم المغلوطة التي أثرت بشكل مباشر على الواقع الاجتماعي في جميع مساراته، وقد وظف عليه السلام ولاية العهد بعد أن أرغم على قبولها بأن جعل منها فرصة للمساهمة في بناء حضارة المجتمع الصالح، ورأى أن يتخذها مدخلاً لإثراء الحوار الفكري، ولبناء مجتمع وحضارة عادلة من منظور الولاية والامامة، حضارة واعية مبنية على أساس الفكر القرآني المحمدي الذي يضمن استمرار واستقرار الحياة الإنسانية على أساس العدل والمحبة، وقد أثمرت جهوده عليه السلام في ترسيخ تلك المبادئ واضعاف مواقع التحديات التي تواجه هذا الفكر الأصيل وتعرقل مساره، وفي تحقيق أعلى مستوى من العدالة الاجتماعية، وهو بناء المجتمع العادل الذي يضمن العيش الكريم، والتسامح واحترام كرامة الانسان، وقد حققت المدرسة الرضوية انجازاً فريداً في هذا الاتجاه.

والعدالة الاجتماعية في تعاليم الامام الرضا عليه السلام ومنظومته الفكرية والعلمية، وفكره التوحدي والعادل ونهجه الحضاري التي تنطلق من مبدأ العدالة للجميع ولا ظلم من وعلى أحد، كان لها صدى وتأثير اجتماعي فاعل ونابع من التأكيد على الحقوق الاجتماعية ورعاية السلم والعدل الاجتماعي ومواجهة الظلم والاستبداد.

وقد كانت التعاليم التي انتجها الامام الرضا عليه السلام في مجال العدالة الاجتماعية تتميز بالتنوع من حيث انها صفة لكل أنواع القيم والمبادئ السامية، ومن عناصر هذا التنوع مما يمكن أن نشخصه في سيرته عليه السلام وفي منظومته القيمية الاجتماعية الإنصاف والمشاركة والحرية والقبول بالآخر المختلف والتسامح واحترام حقوق الانسان، وبرفض ومحاربة الظلم والتمييز والكرهية والاستبداد. منطلقاً في ذلك من قول الله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)<sup>(١)</sup> ولا يشك أحد في أن تلك الخصائص أهم أسس ومرتكزات الحضارة الإنسانية ومقومات بنائها<sup>(٢)</sup>.

لقد رفض الامام الرضا عليه السلام كل أنواع واشكال التمييز الظلم والكرهية، لذلك رفض عليه السلام سلطة بني العباس واعتبرها سلطة غاصبة وظالمة وفاسدة بنت دولتها باسم الإسلام، وقد ثبت في أذهان أصحابه وشيعته فكرة عدم جواز معاونة الظالمين، ورفض مساعدة السلطان الجائر المنحرف، وعدم الارتباط به وبرموزه، مهما كانت التحديات. يقول عليه السلام لسليمان الجعفري -وقد سأله عن أعمال السلطان-: (يا سليمان الدخول في أعماله، والعون له، والسعي في حوائجه عدل الكفر)<sup>(٣)</sup> ويقول عليه السلام لأحد أصحابه: (... يا زياد لئن أسقط من حلق فأتقطع قطعة قطعة أحب إليّ من أن أقدم لأحد منهم عملاً، أو أطأ بساط رجل منهم...)<sup>(٤)</sup>.

ويروي عليه السلام عن آياته، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من أرضى سلطاناً بما يسخط الله خرج من دين الله عزّ وجل)<sup>(٥)</sup>.

(١). سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٢). العدالة عند الامام الرضا عليه السلام، ادريس هاني (ط١، ١٤٤٠هـم ٢٠١٩م) ص٩١.

(٣). بحار الأنوار، العلامة المجلسي ١٥٨/٧٦.

(٤). الكافي، الكليني ١٦٣/٥.

(٥). عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق ٧٣٣/١.



وفي ولاية العادل والظالم روى الشيخ الطوسي رحمه الله: بسنده عن أبي الصلت عبد السلام بن صالح الهروي قال: (سمعت الرضا علي بن موسى عليه السلام يقول: إذا ولي الظالم الظالم فقد انتصف الحق، وإذا ولي العادل العادل فقد اعتدل الحق، وإذا ولي العادل الظالم فقد استراح الحق، وإذا ولي العبد الحرف فقد استرق الحق)<sup>(١)</sup> ويتأكد هذا الموقف المبدئي الصحيح أكثر فأكثر من خلال موقف ورأي الرضا عليه السلام من انتفاضات وثورات العلويين ضد الحكم السياسي الظالم. حيث لم ينظر عليه السلام نظرة سلبية إلى تلك التحركات الثورية من حيث طبيعة المبدأ الثوري ذاته، وما يختزنه في داخله من مناهضة للظلم ورفض العدوان والطغيان والجور والباطل، بل كان عليه السلام - كغيره من أئمة أهل البيت عليهم السلام - يبارك كل نائر على الظلم والظالمين إذا كانت ثورته - طبعاً - ضمن الحدود المشروعة، لصالح الأمة<sup>(٢)</sup>.

## الخاتمة

يمكن اجمال النتائج التي توصل اليها البحث بما يلي:

أولاً: نبه الامام الرضا عليه السلام الى أهمية العدالة الاجتماعية، وان في العدل والإحسان آثار وثمار منها أنها من موجبات دوام النعم وحسن العاقبة  
ثانياً: الدور الاجتماعي الفاعل الذي جسده الامام الرضا عليه السلام قولاً وفعلاً وتقريباً، كان له أعظم الأثر في تعزيز العدالة الاجتماعية.  
ثالثاً: ارتكازه عليه السلام على عوامل مؤثرة في تحقيق العدالة الاجتماعية كالمحبة، والتسامح، والحضور والتفاعل مع قضايا المجتمع وهمومه، والأنصاف، والحضور الاجتماعي، والحرية، ورفض الظلم والاستبداد، وقبول الآخر المختلف، والتسامح، والتأسيس لاحترام حقوق الإنسان.  
رابعاً: التعاليم التي انتجها الامام الرضا عليه السلام في مجال العدالة الاجتماعية أساسية وفاعلة وتتميز بالتنوع.  
خامساً: ضرورة وأهمية الاستعانة بتلك التعاليم كوسيلة لمواجهة التحديات المعاصرة بوصفها من أهم الخصائص والمقومات الأساسية في البناء الحضاري، والاجتماع.

## المصادر والمراجع

### القرآن الكريم

العدالة الاجتماعية والنماذج التنموية؛ ابراهيم العيسوي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (ط١)، بيروت ٢٠١٤.

العدالة الاجتماعية في القرآن الكريم: عبد الله أحمد اليوسف (ط١)، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).

اليوم العالمي للعدالة الاجتماعية ويكيبيديا: <https://ar.wikipedia.org/wiki>

العدالة الاجتماعية في رسالة الحقوق للإمام السجاد عليه السلام، نسيب محمد حطيط، موقع العتبة الحسينية المقدسة: <https://new.imamhussain.org/arabic/26895>

(١). الأمالي، الشيخ الطوسي ص ٤٥٢ حديث ١٠٠٩.

(٢). التجربة السياسية للإمام الرضا عليه السلام مطالعة تاريخية ومقارنة فكرية، مجلة العقيدة، العدد ١٤.

- عيون أخبار الرضا ع، الشيخ أبي جعفر الصدوق (ط ١، انتشارات الشريف الرضي، قم ١٣٧٨ هـ)  
الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩ هـ) (ط ٥، ١٣٦٣ ش).  
الأنوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية، الشيخ عباس القمي (مؤسسة النشر الإسلامي)  
علل الشرائع، الشيخ ابن بابويه القمي الصدوق (ط ٢، قم ١٣٨٤ هـ)  
الامام الرضا عليه السلام سيرة وتاريخ، عباس الذهبي  
ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، الشيخ الصدوق  
نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، الشيخ الحسين بن محمد الحلواني  
المناقب: لابن شهر آشوب  
كشف الغمة، أبي الحسن الأربلي  
بحار الأنوار: العلامة محمد باقر المجلسي (ط ٢، بيروت ١٤٠٣ هـ).  
الاتحاف بحب الاشراف / الشيخ عبد الله الشبراوي  
ومضات: السيد باقر الصدر (ط ١، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر (رض)).  
نهج البلاغة، الشريف الرضي  
ميزان الحكمة: الريشهري  
العدالة الاجتماعية في القرآن الكريم: عبد الله أحمد اليوسف  
ما هي العدالة الاجتماعية، عادة الحلايقة، موقع موضوع. <https://mawdoo3.com>  
كتاب البيع، الإمام الخميني (قدس سره) (ط ٤، مؤسسة اسماعيليان، قم ١٤١٠ هـ)  
العدالة عند الامام الرضا عليه السلام، ادريس هاني (ط ١، ١٤٤٠ هـم ٢٠١٩ م).  
الأمالي، الشيخ الطوسي (انتشارات دار الثقافة قم، ١٤١٤ هـ).

## مقومات الأسرة الناجحة في رؤى الإمام الرضا (عليه السلام): رؤية في تكاملية التنظيم العائلي

ا.د زهير يوسف عليوى حسين الحيدري<sup>١</sup>

### منهجية البحث

سلك البحث منهج تحليل النصوص الواردة في التراث الرضوي عن الأسرة ومكانتها في الإسلام، وقد جمعت النصوص التاريخية التي تتعلق بالتكامل الأسري ورتبت حسب موضوعات البحث فقد قسم البحث الى محورين أساسيين وموضوعات فرعية ضمن المحورين وهي:

### المحور الأول

النظام الأسري المتكامل في ظل الشريعة الإسلامية وهو يتناول عرض شامل لطبيعة النظام الأسري طبقاً لما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد أكدت الشريعة السمحاء بضرورة الزواج ذلك لأنه الركيزة الأساسية لنجاح الأسرة والمجتمع، كما ويلقي الضوء على الآيات القرآنية التي تناولت موضوع تأكيد الزواج

### أما المحور الثاني

يستعرض مقومات الأسرة المتكاملة في رؤى الإمام الرضا عليه السلام، وفيه عدة موضوعات تتناول أسس التكامل الأسري منها (حسن الاختيار): وفيه ذكرنا الشروط الواجب توفرها في اختيار الزوجة والزواج التي أكد الإمام عليه السلام ضرورة اعتمادها، (مكانة المرأة): وفيه تطرقنا الى المكانة التي عززها الإسلام للمرأة باعتبارها جزءاً النواة الأساسية في نجاح البناء الأسري. (حسن المعاشرة): وفيه تناولت أهم وصايا الإمام في ضوابط التعامل وحسن المعاشرة بين الطرفين داخل التنظيم الأسري (الحقوق الزوجية) وفيه تناولنا أهم النقاط الأساسية التي وردت في التراث الرضوي عن حقوق الزوج وزوجته طبقاً لما جاء تفصيلاً في الشريعة الاسمية، (الحفاظ على النسب واستمرارية النسل) وهذا الموضوع يأخذ جوانب تأكيد الإمام على ضرورة الإنجاب والاستمرارية وان يكون الهدف من الزواج هو استمرار النسل والحفاظ عليه

السؤال الرئيسي للبحث: تدور فكرة البحث حول السؤال التالي ما هي مقومات التكامل الأسري التي أكد عليها الإمام الرضا عليه السلام؟ وما هي أفضل السبل لتكوين نظام عائلي سليم يسهم في نجاح المجتمع

<sup>١</sup> استناد دانسگاه القادسيه، كلية التربية، قسم التاريخ، Zuhair.oleiwi@qu.edu.iq

والفرد، ومن تتبع الروايات التاريخية، نجد ان الدور الايجابي الذي لعبه الإمام عليّ عليه السلام كان يهدف الى قيام المجتمعات الإنسانية على التربية الصحيحة والفهم المتفتح لأمور الحياة ووضع الحلول المناسبة لمشاكل الحياة الزوجية ذلك بهدف تحقيق تكامل اسري ناجح

إشارة موجزة لنتائج البحث: خلص البحث بجملة نتائج أهمها ان الدور الذي لعبه الإمام كان ضروريا في مجتمع كان يعاني من ثقافة التناحر والتباعد، فقد كان أهدافه هي الحفاظ على الوجه المضي للبشرية وبمنهج الإسلام والإيمان، وتنظيم العلاقات الأسرية على أساس متين.

**كلمات مفتاحية:** الأسرة، رؤى، تكاملية، مقومات، العائلي

## المقدمة

تعد الأسرة اللبنة الأولى لتكوين المجتمع، وهي نقطة الانطلاق في إنشاء وتنشئة العنصر الإنساني، ونقطة البدء المؤثرة في جميع مرافق المجتمع ومراحل سيرة الايجابية والسلبية، وقد أبدى الإسلام عناية خاصة بها فوضع لها آداباً خاصة ونظاماً متكاملًا شاملاً لجميع جوانبها، على ان هذا كان مصدره الأول القرآن الكريم، ثم حديث الرسول (صلى الله عليه واله)، وقد أكمل أهل البيت عليهم السلام ذلك البناء، وطوروا منهم ما يمكن إصلاح المجتمع، والسير به نحو الرقي والتقدم.

كان للإمام الرضا (عليه السلام) اهتماما واضحا في وضع أسس التنظيم الأسري التي تجعل من الأسرة الإسلامية ركيزة مهمة في المجتمع الإسلامي، إذ ترك لنا تراثا ضخما يهدف الى التعامل بالسلوك الصحيح بين أفراد الأسرة الناجحة، وحسن المعاشرة والصدق والأمانة وتطبيق قواعد الشريعة الإسلامية داخل المكون الأسري، وهذا بدوره يعكس التعامل الصحيح مع بقية أفراد المجتمع الإسلامي.

هذا البحث محاولة لإلقاء الضوء على أهم المبادئ والقيم التي أوصى بها الإمام الرضا عليه السلام فيما يخص الأسرة وبنائها التكاملية في ظل المجتمع الإسلامي.

## المحور الاول / النظام الأسري المتكامل في ظل الشريعة الاسلامية

تعتبر الأسرة أهم المؤسسات الزوجية في حياة الإنسان، إذ تستمد مكانتها من أهمية الدوافع النفسية والطبيعية لتكوينها ومن خطورة الوظائف والغايات التي تناط بها وتتوقف عليها في الحياة الفردية والاجتماعية، فهي الحجر الأساس في الكيان الاجتماعي والخلية الأولى في عملية تخلفه وتكوينه، لذا فان سلامة كل مجتمع وقوة بُنيته وتكامله رهين سلامة الأسرة ومثانة تركيبها وبنائها بالشكل الذي يضمن لها البقاء والتماسك والسعادة والاستقرار.<sup>١</sup>

لقد حثت الشريعة الإسلامية على الزواج ويبدو جليا من خلال النصوص القرآنية الواردة بحقه امرأ به وترغيبا فيه وتنفيراً من الإعراض عنه، كما ان السنة النبوية في هذا المجال حافلة قولاً وفعلاً وتوجيها من قبل الرسول (ص)<sup>٢</sup>

١- البكاء، عدنان، الأسرة المسلمة، النجف الاشرف، مطبعة النعمان، ١٣٨٢هـ، ص ٥

٢- الصعدي، عبد الحكيم عبد اللطيف، الأسرة المسلمة، أسس ومبادئ، الدار المصرية اللبنانية، ط٢، ١٩٩٦، ص ٣٧

دعي الإسلام الى ضرورة الزواج لأنه مكملًا لأمر الدين والشريعة الإسلامية وقد إشارة العديد من الآيات القرآنية الى حث المسلمين على الزواج فقد جاء قوله تعالى (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَكِرُونَ)<sup>١</sup>.

وفي هذه الآية المباركة إشارة واضحة الى مصدرية السكينة والطمأنينة والاستقرار النفسي بالنسبة للرجل والمرأة، اذ ذكر الله تعالى في هذه الآية باب لسكينة الروح والقلب ومعنى ذلك ان الأزواج يسكن بعضهم بعض روحيا وجسديا، وهنا فان المرأة تكون سببا للسكينة لا للتشنج والاضطراب بدليل قوله تعالى (أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا) فالمقصود في الخطاب القرآني ان المرأة هي دار السكنى اي لتطمئنوا وتميلوا اليها وتألّفوا بها ويستأنس بعضهم ببعض<sup>٢</sup> وتشير الآية أيضا ان ليس الهدف من الزواج هو إشباع الغريزة الجنسية بل الوصول الى الاستقرار الجسمي والنفسي<sup>٣</sup>. كما ان من الواجبات التي توجب نجاح العلاقة الزوجية هو الاستقرار والمودة على ان عامل المودة يعد أفضل العوامل في نجاح مقومات العلاقة الزوجية.

لقد رسم القرآن الكريم طبيعة الحب والعلاقة الزوجية بأسلوب جميل معبر عن الحقيقة الإنسانية، فقد صور تلك العلاقة بالسكن والمودة والرحمة وقد جعل السكن هو الطمأنينة والاستقرار الذي يفتقر اليه الفرد (الرجل والمرأة)، فإذا كان الزوج بعيدا عن زوجته لذا فهو لا ينعم بسعادة الود والحب والحنان والشفقة إلا بالافتتان وبذلك فان الافتتان أمر ضروري في تكامل شخصية الفرد وبذلك إن العلاقة الزوجية في عرف القرآن ليست رقما رياضيا يتكون من ضم الرجل الى المرأة بل هي عملية حذف الفردية بمعناها النفسي والعضوي، ويهدفها النوعي والاجتماعي بالاتقاء والتكامل الفطري بين الزوجين تتمازج وتتفاعل وترتبط كل الوشائج والأحاسيس النفسية والبيولوجية ليتم التكامل النفسي والبيولوجي بينهما.<sup>٤</sup>

والحق ان دور الزوجية يكمن في بث السكينة، اما المحبة فهي هداية الهية لا يصل اليها الإنسان بالمال والجاه وغير ذلك، فمن الواضح ان علاقة الرجل بالمرأة لا بد من ان تقوم على أساس المودة والرحمة، فهي سبب لبقاء الحياة المشتركة بينهما ودوام استمراريتها.<sup>٥</sup>

طبقا لما ورد أعلاه فان الزواج يهدف الى بقاء النوع الإنساني وشد علائق المودة والألفة والتقريب بين الجماعات الإنسانية، وعن طريقة يتم التعارف بين الأسر المتباعدة والأسرة الغريبة<sup>٦</sup>، كما وفي الوقت نفسه يعمل على تقوية أواصر الروابط الاجتماعية بين طبقات المجتمع ويقضي على الفوارق الطبقيّة بين أفراد المجتمع الواحد، ومن الثابت ان نجاح البناء الأسرة كفيل بنجاح المجتمع بكامله لان الأسرة هي أساس المجتمع وركن مهم من اركانه.

علاوة على ما تقدم فان في ظل توجهات الإسلام السامية ومبادئه تقوم الأسرة على أسس متينة قوامها الاختيار السليم والنظرة الموضوعية الصادقة التي لا يجنح بها الخيال الحالم ولا تستبد بها الطموحات غي

١ - سورة الروم الآية ٢١

٢ - الكاشاني، المولى فتح الله بن شكر الله الشريف (٩٩٨هـ) رُبدة التفاسير، تحقيق ونشر مؤسسة المعارف الإسلامية، قم مؤسسة المعارف الإسلامية، ط١، ١٤٢٣هـ/ج٥، ص ٢٥٨

٣ - قراءتي، الشيخ محسن، تفسير النور، بيروت، دار المؤرخ العربي، ط١، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ج٩، ص ١٦٣-١٦٣

٤ - الأسرة المسلمة، تأليف لجنة من العلماء والمفكرين، إعداد الشيخ محمد جواد الفقيه، بيروت، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٣، ص ٤٩.

٥ - قراءتي، تفسير النور، ص ١٦٣

٦ - البكاء، الأسرة المسلمة، ص ٢١

المتناهية وإنما تعتمد على ارض الواقع الملموس حيث لا زيف ولا خدام وإنما صراحة وصدق واقتناع، فالمذهب الرباني لا يختلف مع الفطرة البشرية لكنة يأتلف معها ويُساقفها ويتدرج بها في مدارج السمو البشري والكمال الإنساني في شتى مجالات الحياة وميادينها ومسالكها ودروبها، ويقدر ما يتمسك الناس به من هذه القيم بقدر ما تكون سعادتهم في الدنيا والآخرة.<sup>١</sup>

لقد دعم الإسلام سعادة الأسرة فأحكم وثاقها بأمور أساسية اذ رتبت الشريعة الإسلامية حقوقاً محددة لكل علاقات القرابة تنفاوت درجاتها بحسب درجة القرابة، ولاشك ان حقوق الآخرين على الأقرب أعظم وأوفر من حقوق الأبعد منهم لكن من الملاحظ ان حقوق الزوجين استحوذت على قسم كبير من أحكام الأسرة في الشريعة الإسلامية وربما يعود ان العلاقة الزوجية هي المبدأ في تكوين الخلية الاجتماعية الأولى لذلك كانت بحاجة ان تحاط بالرعاية والاهتمام والمزيد من البيان الشرعي من خلال تنابع الأحكام والتوجيهات والإشارات المتعلقة بها.<sup>٢</sup>

### المحور الثاني: مقومات الأسرة المتكاملة في رؤى الإمام الرضا عليه السلام

لقد بين الإمام الرضا عليه السلام ضوابط ومقومات الأسرة المتكاملة ذلك بما ينسجم مع أصول الشريعة الإسلامية، ولا يخفى إن الأئمة عليهم الصلاة والسلام كانوا قد أعطوا مكانة هامة من خلال الوعظ الإرشادي لهم في توجيه عامة الناس الى إتباع الخطوات الصحيحة في وضع لبنات التكامل العائلي، وقد كان تراث أهل البيت زاخر بأدب التعامل الصحيح بين الزوجين واحترام الزوج لزوجته كما ومن توجيهاتهم التعريف بواجبات كل فرد من أفراد الأسرة الواحدة، هذه الواجبات القائمة على مبدأ الاحترام والتقدير وإعطاء كل فرد حقه طبقاً لشرائع الإسلام.

يهدف الإمام الرضا عليه السلام من خلال وصاياه الى تأكيد أواصر القرابة واستمرارية متانتها وجعل التنظيم العائلي متماسكاً، فهو يرى ان الأسرة هي أهم مقومات المجتمع، وان التربية الصالحة تكون في داخل العائلة التي هي بمنزلة الجذر ويتغذى منهم كل فرد من أفراد العائلة، وقد أسس الإمام الرضا عليه السلام أسس الاختيار الصحيح للمرأة والرجل على ان الاختيار الصحيح من وجهة نظره يمثل اللبنة الأولى في سلم النظام الأسري الصحيح. ونتيجة لذلك يمكن ان نوضح أهم معالم البناء الأسري الناجح في فكره عليه السلام من خلال ما ورد من أحاديثه وعلى النحو التالي:

### حسن الاختيار

يؤكد الإمام الرضا عليه السلام على ضرورة اختيار المرأة الصالحة العفيفة الطاهرة الشريفة، وقد جعل من ضروريات النجاح الأسري المتكامل هو وضع حجر الأساس ذلك باختيار المرأة الصالحة المطيعة وقد ورد ذلك في مرويته فقد نقل الكليني بإسناده عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى عن الإمام الرضا عليه السلام انه قال (ما أفادأ عبد فائدة خيراً من زوجة صالحة، إذا رآها سرتة، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها ومالها) وهنا تأكيد واضحاً من الإمام بضرورة اختيار الزوجة الصالحة لما لها من آثار ايجابية على مستقبل الحياة الأسرية

١- الصعيدي، الأسرة المسلمة، ص ١٠

٢- أبو غدة، حسن(الدكتور)، الأسرة السعيدة في رحاب الإسلام، الرياض، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٩.

٣- القزويني، السيد محمد الحسيني، موسوعة الإمام الرضا عليه السلام، بإشراف سماحة آية الله ابو القاسم الخزعلي وآخرون، مؤسسة ول العصر للدراسات الإسلامية، مطبعة ظهور، ط١، شعبان، ١٤٢٨هـ، ج٤، ص ٣٠٢

ذلك كونها مصدرا لسرور الرجل وهي في الوقت نفسه ستكون حافظة لجميع أسراره، وهذا جانب مهم من جوانب حفظ كيان الأسرة والتمسك بها.

وتعصيماً لما ورد اعلاه لقد ورد في كتب الحديث عن أهل البيت عليهم الصلاة والسلام من شروط اختيار المرأة الصالحة إن تكون كريمة الأصل محمودة الصفات كما ويستحب تزويج المرأة لدينها وصلاتها لله عز وجل، كما كره تزويجها لجمالها أو لجمالها أو للفخر أو للرياء.<sup>١</sup>

وفي حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قوله (تخيروا لنطفكم) وفيه دعوة لاختيار المرأة الصالحة والابتعاد في الانتساب إلى الشر والظلمة وأرباب الدنيا

كما وقد دعا الإمام عليه السلام إلى تجاوز الفوارق التي تحيد دون الزواج فيذكر من جملة الأمور التي دعا إليها هو لا بأس بتزويج الرجل الشريف الجليل القدر بامرأة دونه حسبا ونسبا فقد روي إن الإمام سئل عن زواج الرجل بامرأة أم ولد أبيها فقال لأبأس بذلك.<sup>٢</sup>

على إننا نستدل من ذلك ان في هذا الرأي للإمام الرضا عليه السلام دعوه لتجاوز الفوارق التي من شأنها إن تكون مصدرا للخلافات بين الزوجين، وقد أعطى الإمام هنا مكانة المرأة وضرورة الحفاظ على تلك المكانة وهي في الوقت نفسه حقها الشرعي الواجب على الرجل إتباعه.

وفي المقابل فللمرأة حق الرفض في وجود عيوب لا تنطبق مع شروط الزواج التي تنسجم مع الدين الإسلامي فهي لها حق اختيار الزوج الذي ترضى خلقه ودينه وأمانته، أما حق الرفض يكون للرجل شارب الخمر على ان الأخير مرفوض عند جميع الأئمة عليهم السلام وسائر المسلمين فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله (شارب الخمر لا يزوج إذا خطب) وفي حديثا آخر (من زوج كريمة من شارب الخمر فقد قطع رحمها).<sup>٣</sup> وقد حث الإمام الرضا عليه السلام على من لا ينبغي تزوجه بحدي آخر قوله (إياك ان تزوج شارب الخمر، فان زوجته فكأتما قدت إلى الزنا)<sup>٤</sup>

لقد أكد الإمام الرضا عليه السلام في هذا المجال ومن باب الحفاظ على حقوق المرأة في خسية وقوعها باختيار من لا يصح اختياره في الزواج، إذ اوجب الإمام كراهية تزويج سيئ الخلق والمخنث، يروى الحر العاملي إن احد أنصار الإمام عليه السلام سأله ان له قرابة قد خطب الي وفي خلقه سوء فقد فأجابه الإمام الرضا إليه قائلا: (لا تزوجه ان كان سيئ الخلق).<sup>٥</sup>

### مكانة المرأة

ان الإسلام لم يبلغ شخصية المرأة واستقلالها داخل الشراكة الزوجية ولا يسمح باستغلالها، وقد أعطها الحق في ان تمتلك وان تصرف بملكها كيف شاءت وليس من الحق الرجل ان يتدخل في أمر يخصها من هذه الجهة ولا ان يتجاوز الرجل على حقوقها، كما ومن حق المرأة على الرجل القيام بنفقاتها بالقدر الذي يكفيها،

١- ينظر: الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن (١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق الشيخ عبد الرحيم الرياني الشيرازي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج٧، ص ٢٨-٣٠

٢- القزويني، موسوعة الإمام الرضا عليه السلام، ج٤، ص ٢٠٣

٣- الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٧، ص ٥٣

٤- محسن عقيل، من أروع ما قاله الامام الرضا عليه السلام، دار المحجة البيضاء، ط١، ٢٠٠٣، ص ٢٢٧

٥- وسائل الشيعة، ج٧، ص ٥٤

ويتلاءم ومكانتها وما يتفق والحالة التي اعتادت ان تعيشها قبل دخولها مسكن الزوجية، على ان نفقات الزوجه وضمان حاجاتها أمرٌ أكد عليه الإسلام.<sup>١</sup>

وقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أحاديث تعطي أهمية الزوج ومكانته في حياة المرأة باعتباره جزءاً مكملاً لها ويذكر الإمام بإسناده عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قوله (ما يعدل الزوج عن المرأة شيء).<sup>٢</sup>

وفي أحاديث الإمام الرضا عليه السلام يدعوا الى تجاوز صفة الجمال عند المرأة والتمسك بعاداتها وطبائعها الطيبة دون مستويات الجمال فقد جاء ذكره لقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (لرجل تزوجها سواد ولودا ولا تزوجها حسناء عاقرا فاني مباهي بكم الأمم يوم القيامة).<sup>٣</sup>

وفي الأهمية نفسها فان وجود المرأة الى جانب الرجل ومشاركتها له في امور المعيشة وفي هموم الحياة يحد ذاته يمثل افضل صور العبادة عند الله يروي الامام الرضا قوله (ركعتين يصليهما رجل متزوج افضل من رجل يقوم ليله ويصوم نهاره).<sup>٤</sup>

وقد ورد في خصائص الامام الرضا عليه السلام قوله (الامام الانيس الرفيق والوالد الشفيق والاخ الشقيق والام البرة بالولد الصغير)، وفي قوله هنا يضرب الامام المثل بالام في بلوغ المحبة الى غايتها، فانها تلك من أعلى مراتبها وأشدّها، فاذا اريد بيان أقصى مراتب العلقه ضرب الام المثل وعلقته بولدها الصغير ولولا هذه العلقه القلبيه منها لما كبر ولا ترعرع فهي تسهر ليليتها وتصرف عمرها في مدة رضاعته الى ان يكبر بعد تحملها ايام حمله للمصاعب والمتاعب مسرورة بالحمل له مستبشرة به في اشهرها التسعة ويوم وضعته الى ان كبر.<sup>٥</sup>

ان تمثيل الامام بالأم وانها الولده البرة بولدها ناظر الامام الى الجهة المشتركة بينه وبينها وهي العلقه الشديده الكائنه بينهما التي اوجبت البر بالولد وان الامة المرحومة باجمعها بل الناس بأسرهم هم اولاد الامام المعصوم في كل زمان وهم عيال عليه مامور من قبل الله جل جلاله ان يرعاهم ويأخذ بأيديهم الى الجنة.<sup>٦</sup>

### حسن المعاشرة

لقد فرضت الشريعة الاسلامية الواجب على كلا الزوجين ان يعاشرا الآخر معاشره بالمعروف، فيخلص له في سرة وعلايته، ولا يتكلم عنه مع الآخرين بشيء يؤذيه ويغضبه، ويحاول جهد طاقته ان يدخل السرور على نفسه، وان يزيل عنه كل الم وتعب، قال الله تعالى (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ).<sup>٧</sup>

١- البكاء، الاسرة المسلمة، ص ٥٧

٢- العطاردي، الشيخ عزيز الله، مسند الامام الرضا عليه السلام، بيروت، دار الصقوة، ط٢، ١٩٩٣، ج٣، ص ٢٥٥

٣- العطاردي، مسند الامام، ج٣، ص

٤- العطاردي، مسند الامام، ج٣، ص ٢٥٤

٥- الغروي، محمد، امثال وحكم الامام الرضا او كلماته المختارة، بيروت، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٠، ج١، ص ١٣٦

٦- الغروي، امثال وحكم، ج١، ص ١٣٦

٧ سورة النساء، الآية ١٩



وقد ورد في تفسير هذه الآية القرآنية اي خالطوهم من العشرة وهي المصاحبة بما امر الله به من أداء حقوقهن التي النصفة في القسم والنفقة والإجمال في القول والفعل، وقيل ان المعروف المقصود هنا ان لا يضر بها ولا يسيء القول فيها ويكون مبسوط الوجه معها على ان المقصود أن يتصنع لها كما يتصنع له.<sup>١</sup>

لقد كان أهل البيت عليهم السلام يسدون النصيحة المخلصة لكل من استشارهم في هذا الشأن وكانت عامة الناس تأخذ بنصائح أهل البيت في مسألة اختيار الزوجة الصالحة وأمور الزواج، وهنا يذكر الإمام في إحدى احاديثه عن الإمام علي عليه السلام قائلاً (قال أمير المؤمنين خير نساءكم الخمس، قيل يا أمير المؤمنين وما الخمس؟ قال الهينة اللينة المواتية التي إذا غضب زوجها لم تكتحل بغمض حتى يرضا وإذا غاب عنها حفظته في غيبته فتلك عامل من عمال الله لا يخيب).<sup>٢</sup>

### الحقوق الزوجية

ان الزواج في الإسلام رباط قوي وميثاق غليظ يراد به الدوام وإشاعة جو المودة والرحمة بين الزوجين ولا يتيسر هذا الدوام ولا تنمو المودة والرحمة الا اذا ادى كل من الزوجين حقوق الآخر كاملة، وقد نظمت الشريعة الإسلامية العلاقة بين الزوجين حقوق كل منهما كاملة

يؤكد الإمام الرضا عليه السلام من خلال الأحاديث الواردة عنه تؤكد ضرورة حقوق الزوج على المرأة وأولها الطاعة فقد جاءت إشارات واضحة إن من أهم حقوق الزوجية هو جملة أمور منها حق الاستمتاع وقد جعل فيه شروطاً منها ان يبدأ الاستمتاع بذكر اسم الله وتلاوة القران وبعدها المداعبة إذ قال (إذا أتى أحدكم أهله فليكن قبل ذلك ملاطفة فانه ابر لقلبها، وأسل لسخيمها، فإذا أفضى الى حاجته قال (بسم الله ثلاثا، فان قدر أن يقرأ أي آية حضرته من القرآن فعل... فقال رجل في المجلس فان قرأ باسم الله الرحمن الرحيم).<sup>٣</sup>

وفي حقوق الزوجية كان الإمام عليه السلام يرى إن الزواج من المرأة المطيعة مكاسب الرزق الحميد للشخص، فان الله إذا أراد خيراً للعبد خصه بالزوجة الصالحة المطيعة،

يرى الإمام عليه الصلاة والسلام ان من واجبات حقوقه الزوجية هو تأكيد حق الرجل على أمرته وان يجب عليها طاعته إذا طلبها للفرش وان تأخيرها او عزل نفسها عنه يُعتبر من المحرمات، الى جانب ذلك من جملة الحقوق يؤكد الإمام على مسألة الإنفاق وقد حدد الإمام حد أنلنفقه على العيال اذ روي عن احد أصحابه إن قال أسأذنت الإمام الرضا عليه السلام في النفقة على العيال فقال عليه السلام بين المكروهين فقلت جعلت فداك لا والله ما أعرف المكروهين؟ ان الله عز وجل كره الإسراف وكره الآقتار وذكر له قوله تعالى (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا).<sup>٤</sup>

على ان المقصود في هذه الآية ان يكونوا ليسوا مبذرين في إنفاقهم اي الإسراف فوق الحاجة، ولا بخلاء بحق عيالهم فيقصرون في حقهم فلا يكفؤهم، بل تجب العدالة والإسراف وفق الأمور المطلوبة، ومعلوم ان

١- الطبرسي، أمين الإسلام ابي علي الفضل بن الحسن (من أعلام القرن السادس الهجري)، مجمع البيان في تفسير القران، تحقيق مجموعة علماء، بيروت مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ط١، ١٩٩٥، ج٣، ص٤٨

٢- العطاردي، مسند الإمام، ج٤، ص ٢٥٥

٣- القزويني، موسوعة الإمام الرضا، ج٤، ص ٢٠٢

٤- سورة الفرقان الآية ٦٧

هذه الآية فيها إشارات للنقائص الخاصة بالأسرة بنوعيتها الواجبة والمستحبة ولا يزيدوا عن الحد فيدخلوا ضمن التبذير، وبالتبعية فإن التبذير يؤدي إلى إهمال واجبات الزوجية، فالتبذير المنزلي للأسرة يحقق النجاح المطلوب والرقى الاقتصادي لها.

ومن حقوق الزوجية الأخرى التي يؤكد الإمام عليها هو التوارث بين الزوجين ذلك لأن الأولاد فضل من الله لاستمرار العلاقة الزوجية فقبول الإمام أن الله تعالى إذا أراد بعبد خيراً لم يمتعه حتى يرى به الخلف، كما ويؤكد الإمام ضرورة الإكثار من الأولاد وهو بذلك لا يحبذ السقم أي عدم الإنجاب فيروى أنه جاء إليه أحد يشكو السقم وأنه لا يولد له ولد فأمره أن يرفع صوته بالأذان في منزله وقد فعل الرجل ما أمر به الإمام فرفع السقم منه<sup>١</sup>

الحفاظ على النسب واستمرارية النسل: يعرف النسب بأنة القرابة الناشئة من صلة الدم بالتناسل، والنسب من أهم الأمور التي يحافظ عليها المرء ومن جملة مقدساته التي لا يريد أن يتعرض فيها لانتقاص أو اهانة من كل أحد، فالنسب عنوان شرف المرء وعزته ومرجعه إلى أصوله، وقد حرصت الشريعة الإسلامية كل الحرص على حفظه واثبات صحته، ومنعت من قطعه ونفيه من غير دليل شرعي قاطع قطعاً لدابر الفتن وحفاظاً على استقرار المجتمع والأسرة<sup>٢</sup>.

ويرى الإمام أن من الأمور المهمة للحفاظ على النسب هو الابتعاد عن الزنا لما فيه من الفساد من قتل الأنفس وذهاب الأنساب وترك التربية للأطفال وفساد الموارث وما أشبه ذلك من وجوه الفساد، مؤكداً أن الله حرم قذف المحصنات لما فيه من فساد للأنساب ونفي الولد وإبطال الموارث، وترك التربية وذهاب المعارف وما فيه من الكبائر والعلل التي تؤدي إلى فساد الخلق<sup>٣</sup>

روي عن الإمام الرضا فيما يخص استمرار النسل قوله (حرم الله عقوق الوالدين لما فيه من الخروج من التوفيق لطاعة الله عز وجل والتوفيق للوالدين وتجنب كفر النعمة وإيصال الشكر وما يدعوا من ذلك إلى قلة النسل وانقطاعهما في العقوق من قلة توفير الوالدين والعرفان بحقهما وقطع الأرحام والزهد من الوالدين في الولد وترك التربية بعلّة ترك الولد) وهو يعتبر هذه الأمور من انقطاع النسل وفساد التبذير وخراب الدنيا<sup>٤</sup>. كما وقد جاء قوله في خطبته المعروفة بخطبة النكاح التأكيد على ضرورة حفظ النسل بدليل قوله (ولو لم يكن في المناكحة المصاهرة آية محكمة ولا سنة متبعة ولا أثر مستفيض لكان فيما جعل الله من بر القريب وتقريب البعيد وتأليف القلوب وتشبيك الحقوق وتكثير العدد وتوفير الولد لنوائب الدهر وحوادث الأمور ما يرغب من دونه العاقل اللبيب)<sup>٥</sup>.

كما ولا يرغب الإمام عليه السلام ولا يحجب الزواج الذي يُشترط فيه عدم التوارث والتولد فقد روي عنه الشيخ الطوسي إن سُئل عن رجل تزوج امرأة بشرط أن لا يتوارثا وإن لا يطلب منها ولداً فأجاب الإمام عليه السلام لا أحب<sup>٦</sup>.

١- القزويني، موسوعة الإمام الرضا، ج٤، ص٢٥٣

٢- الساعدي، محمد، أحكام النسب في الفقه الإسلامي، دراسة تأصيلية تطبيقية مقارنة، طهران، المركز العالمي للدراسات النظرية، ط١، ٢٠١٢، ص ٧

٣- محسن عقيل، من أروع ما قاله الإمام، ص ٤٢٧-٤٢٨

٤- محسن عقيل، من أروع ما قاله الإمام، ص ٤٢٨

٥- القزويني، موسوعة الإمام الرضا، ج٤، ص ٢١٥

٦- القزويني، موسوعة الإمام الرضا، ج٤، ص ٢٢٧

والحق إن الإنجاب حق مشترك بين الزوجين ولا يجوز لأحدهما ان ينفرد بقرار منع الإنجاب إلا لضرورات تقتضيها الظروف، كما ان هذا الإجراء يدعو الى قطع النسل الذي لا يتناسب وأصول الشريعة الإسلامية. يؤكد الإمام ان تكثير العدد من الأولاد يساعد في مواجهة مصاعب الحياة، فقد روي قوله في خطبته التي القها والمعروفة بخطبة النكاح قوله: (وتكثير العدد وتوفير الولد لنؤائب الدهر ما يرغب في دونه العاقل اللبيب ويسارع إلىه الموفق المصيب ويحرص عليه الأديب الأريب)، هنا يحدد الإمام عليه السلام هدف الاستمرار في الإنجاب والحفاظ على ديمومة النسل على ان من الأمور الواجبة فيه هو الاعتماد على الأبناء في السراء والضراء.

### الخاتمة

بعد مسيرة البحث وفي ضوء ما توافر من معلومات يمكن ان نخلص بجملة من النتائج نوجزها بالتالي:  
ان الزواج سنة إسلامية واجبة على كل مسلم ومسلمة وهو من ضروريات استمرار الحياة والبشرية بشكل عام تعد الأسرة اللبنة الأساسية لنجاح ورفي المجتمعات الإنسانية فهي ان صلحت صلح المجتمع وان فسدت فسد المجتمع

كان تراث الإمام الرضا عليه السلام زاخرا بوصايا الاهتمام بالتكامل الاسري وتوجيه الأسرة نحو الحياة السعيدة طبقا للقران والشريعة الإسلامية، على ان من اهم مقومات الأسرة الكاملة هو من وجهة نظر الامام عليه السلام هو حسن الاختيار والمعاشرة بين الزوجيين.

من خلال تتبع الاحاديث المروية عن الامام عليه السلام نجد ان الامام قد بين ضوابط الزواج الإسلامي الصحيح بدءاً من مرحلة الخطوبة وحتى الاستقرار، وفي احاديثه وصفا مجملا لتوظيف طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة، وقد فصل حقوق كلا الزوجين وحقوق الأطفال وشروط رعايتهم وفق الشريعة الإسلامية، كما ان غالبيتها كانت أسئلة عرضت عليه من قبل أصحابه وأفراد المجتمع

تعد خطبة النكاح للإمام الرضا عليه السلام وثيقة تاريخية مهمة توضح سبيل الحياة الزوجية السعيدة وهي مرجعا مهما لمن أراد معرفة مقومات النظام الأسري الصحيح.

ان ما وقفنا عليه من التراث الرضوي المتعلق بالأسرة وتكاملية نظامها يدعونا ان نوجه الباحثين الى تحليل الخطاب الرضوي المتعلق بسلوكيات الأسرة الإسلامية وتطبيق ذلك التراث على النظام الأسري المعاصر لأنه يهدف الى حصانة أفراد الأسرة الواحدة ومنع وقوعهم من الزلل.

يمكن القول ان ما خُلد من التراث الرضوي فيما يخص الأسرة والتكامل الأسري يعد جزءاً أساسيا من مسؤولية الإمام عليه السلام في الحفاظ على الرسالة الإسلامية ونشر تعاليمها وتحسينها من الترددي في هاوية الانحراف والانسلاخ من مبادئها، فكانت دعوته إصلاحية تهدف الى مواجهة الانحراف والتفكك الأسري والحفاظ على روابط العلاقات الزوجية السعيدة.

## استراتيجية المنهج الرضوي في تحديد معالم العدالة

محمود شاكر عبود الخفاجي<sup>١</sup>

### المقدمة

بسم الله ارحمن الرحيم  
الحمد لله على آلائه وفواضل نعمائه، على ما اولانا من نعمه، وما وقانا من نقمه، والصلاة والسلام على سيد انبيائه ورسله، المبعوث رحمة للعالمين (محمد بن عبد الله) وعلى آله سبل النجاة الى الله الطيبين الطاهرين، وعلى المنتجبين من صحبه الأخيار الميامين.  
وبعد...

فإن مسيرة أئمة الهدى من آل النبي (عليهم السلام) حافلة بال نماذج الحياتية التطبيقية للمنهج الإسلامي العام لتنظيم الحياة في كل تفرعاتها، مع اختلاف الظروف الزمانية، والإقتصادية والسياسية للمجتمعات الإسلامية وعلى مدى (قرنين ونصف من الزمن). لتكون هدى لمن شاء ان يطبق المنهج الإسلامي العام على الحياة. ولتكون ميزانا يوزن فيه الإنتماء الأمثل لهذا المنهج. والإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) واحد من تلك النماذج، وتسمنه ولاية العهد في تلك الظروف العصيبة - مع موقفه وموقف آبائه الواضح من تلك السلطات - قد اعطى استراتيجية واضحة المعالم للمنهج الإسلامي العام في هكذا ظروف.  
ولهذا فقد تركز بحثنا هذا في الإستشفاف من سيرته العطرة تلك لتحديد معالم تلك الإستراتيجية في منهجه لتحديد معالم العدالة، لتقاس الإشباه بنظائرها على تقادم العصور واختلاف الأزمان. لعله يفتح لنا بابا - عنده (عليه السلام) - في إشارة من شفاعة ليوم اللقاء فتلك - والله أمنية لا بنالها إلا ذو حظ عظيم - ولعله يلقي ترحيبا في مؤتمركم هذا شاكرين لكم - ولجميع الأخوة القائمين عليه - فضلكم في دعوتنا اليه والجهود المبذولة في اعداده. داعين المولى القدير ان يرعى الجميع ويوفقه لمرضاته انه سميع مجيب

### تمهيد

لا يمكن قراءة سيرة الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وسير أئمة الهدى من اهل البيت (عليهم السلام) قراءة تاريخية عابرة، كما تقرأ سير القادة والأعلام الآخرين. ولا يمكن تحليل الأحداث التاريخية التي تحدثت في مسيرة تلك السير وفق المنهج التاريخي، الذي تتعاوره الكثير من الشكوك، وتتداخل فيه الكثير من التحويرات. إلا بعد التقصي والتروي والتدبر والتفكير بالروايات التاريخية وفق المنهج الفقهي الأكثر دقة من

المنهج التاريخي، لأن سيرهم تعد الثقل الأكبر للتشريع الإسلامي بكل مفاصله، العقائدية والعبادية والإخلاقية، وكونها تعطي منهجاً حياتياً، يرسم لنا استراتيجيات الحياة بكل تفرعاتها ونظمها، السياسية والإقتصادية والإجتماعية، وتماشى مع حثيات الزمان والمكان. لذلك تعددت أدوارهم ومواقفهم تبعاً لظروف الأحداث وملابساتها فالمهادنة مرة، والصلح أخرى، والثورة والسيف الثالثة، وهكذا. وكلها تنزوا إلى هدف واحد وأساليب متعددة. لرسم منهج حياتي، وميزان تشريعي إسلامي توزن فيه الأحداث والمواقف لتنتهي في النهاية إلى مواقف الفكر الإسلامي لما حدث وما يحدث وما سيحدث مستقبلاً

فما كان موافقاً لسيرهم وفعالهم، فهو من مقومات الهوية الإسلامية، وما خالفها فلا ينتمي إليها وليس له أية صلة بها. ومن التجوز والتجنني على الهوية الإسلامية أن تطلق بعض التصرفات والأفعال التي قام بها بعض القادة أو الولاة والسلطون الذين تسلطوا على رقاب المسلمين على مسرح تاريخهم، كونها تنتمي إلى النظرية الإسلامية في نظمها المتعددة - السياسية أو الإدارية أو الإقتصادية، بل وحتى الإخلاقية والتربوية - لإغلاق ابواب التحديات المعاصرة للهوية الإسلامية، أو الوقوف أمام الدعوات التي تحاول أن تطعن بالإسلام أو بالفكر الإسلامي انطلاقاً من تصرفات أولئك الأمراء والأشخاص، وإنما تلك كيانات سياسية قد ينتمي البعض منها إلى الإسلام بينما لا ينتمي الكثير منها إلى الإسلام وإنما تمثل أفعال أصحابها أو الكيانات السياسية التي مرت على مسرح تاريخ المسلمين في حقبة المتعددة.

فلا يطعن بالإسلام كدين أو فكر أو عقيدة استناداً إلى تلك التصرفات الصادرة من الذين يدينون أو يدعون الإنتماء إلى الإسلام. فالإسلام شيء والمسلمين شيء آخر غيره. «ومع وقوف تدوين التاريخ ضد مسيرة أهل البيت جملة وتفصيلاً، إلا أننا نلمس انسيابية بعض الأفكار الجريئة، وهي تزخر بشذرات نادرة من المخزون الثقافي والحضاري والفكري لاهل البيت، وتكشف عن نفائسه المذخرة، بقدر ما يسمح به التمرد على قانون التاريخ العام في ذليلته للسلطة والحاكمين، ومع هذا كله تسرب هذا الضوء المحدود في استبانة الملامح العامة لفكر أهل البيت (عليهم السلام)، وما غيب عنا كان هو الأكثر بطبيعة الحال، ولدى تعاملنا المعرفي مع هذا المتبقي الشامخ رأيناه شيئاً ذا بال لاستدراجه توثيق تلك اللقطات اللامعة التي لا تخبو، وهي تغالب حركة التدوين لآثار أهل البيت بعامة بكثير من الغموض والهدر التاريخي، وإن برز من بين هذين ما ملأ الخافقين، بحيث كان جديراً بالاهتمام الاستطلاعي بما أفاض به لفيق من قادة الفكر الغابر والمعاصر في إضمامة عطرة لموروث الإمام الرضا (عليه السلام) بحياة الوعي النابض بالعرفان والتقييم المنطقي، وهو لوحة رسمت مراغمة للتاريخ الرسمي، ولكنها تعبير التاريخ الواقعي الرصين»<sup>(١)</sup>

ومن هنا سنتطرق هذه الدراسة من خلال مواقف وسيرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) بوضع منهج رضوي جديد يختلف في بعض أحداثه عن مناهج آباءه من أئمة أهل البيت (عليهم السلام). وليرسم لنا طريقاً لا يتعد عن مناهج آباءه، ولكنه استراتيجية للظروف الزمانية، وتبعاً لملاسات أحداثها التاريخية آنذاك، ويرسم للمستقبل القريب أو منهجاً توزن به المواقف، واستراتيجية واضحة المعالم الإسلامية الإنتماء لكل عصر فيما إذا شغنا العمل في تطبيق المنهج الإسلامي على الحياة العامة.

## استراتيجية المنهج الرضوي

ان المقصود بالإستراتيجية هنا، معناها العام لا بخصوصها بالمواقف العسكرية فقط - كما يحلو للبعض يخصصها بذلك - وانما بمفهومها كونها خطة طويلة الأمد للوصول الى هدف ما، او غاية محددة، وبمهارة دقيقة تلزمننا تحقيق النجاح في تطبيق مقومات الهوية الإسلامية، وترسم لنا منهجا محدد الرؤى وواضح المعالم لإعداد مؤسسات علمية وفكرية وثقافية لدعم نقاط القوة، بل والعظمة في الثقافة الإسلامية. وبالمقابل اضعاف نقاط القوة في التحديات وخصوصا المعاصرة منها والتي تواجه الهوية الإسلامية. خصوصا والإسلام عموما، خاصة وان الفكر الإسلامي يعيش في هذا العصر اعنى هجمات الأعداء وتخربات المتزلفين لهم. من ثقافات دخيلة، او دعوات مغرزة، بعضها ربما ياتي من داخل المجتمعات الإسلامية في حين ان بعضها الآخر قادم من خارجها، او من مخططات الأعداء، ولربما من سلامة قصد او قصور في التدبر والتفكير، او ربما من مظاهر مادية زائفة، او دعوات حق مزيفة بجلباب الحقوق او الحرية او التحضر من دون تحديد لحقيقة تلك المفاهيم. تحت مسميات المدنية او العولمة والتي ساعدتها على الإنتشار وسائل التواصل الإجتماعي المتاحة للجميع تحت مسميات العلم والإنطلاق او الحرية، وما ترتب من ذلك من نتائج اجتماعية او هبوط وتدني حضاري. ونستشف من كل تلك الإستراتيجيات لتخلق لنا منهجا متكاملا باسس واركاب ومحتوى يعطينا نتائج دقيقة تنطلق من المنهج الإسلامي الإلهي العام ولكل مفاصل الحياة لتحقيق صور العدالة وفق مفهومها الإلهي الثابت لا وفق مفاهيمها الوضعية النسبية، فيما اذا شئنا النهوض بالحضارة العالمية، وتطبيق الحضارة الإسلامية بوجهها الناصع. باعتبار ان الحضارة مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني، ومظاهر الرقي العلمي والإخلاقي، بعد ان فشلت المناهج الوضعية لتحقيق الإستقرار البشري او السعادة او تحقيق اسس العدالة والمساواة على الأرض بالأمن الإجتماعي والسلام العالمي، وذلك باعتمادها على المظاهر المادية للحضارة باعتبارها هي الحضارة، دون المعالم الروحية، انطلاقا من ذات النفس الإنسانية واحتياجاتها. اودون معرفة اصول السعادة للإنسان، او تحقيق معالم العدالة الإجتماعية او المساواة الحققة، لأنها تعتمد القوانين الوضعية النسبية، مكانا او زمانا، او تبعا لحاجات الإنسان، والتي انتجت الشذوذ الأخلاقي لتصل بالحضارة المزعومة الى الإنحطاط دون الرقي. كل ذلك انطلاقا من مواقف وسيرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) ولهذا حددنا البحث بالمنهج الرضوي.

ومع الظروف التي عاشها في عصره وعاصر معاناة الأمة من سلاطين الجور عليها وولاتهم الذين سلطوهم على الناس ولذلك (( كان موقف الإمام دقيقا للغاية، وعليه مواجهة الأحداث في منظور متوازن لا افراط به ولا تفریط، ولم يكن له خيار إلا الدفاع قدر المستطاع دون الهجوم الصارخ الذي قد يؤدي الى نتائج سلبية، فهو يريد للأمة ان تنعم بحياة افضل، وان يتمتع الجيل الحالم بالخلاص بمستقبل مطمئن، ويريد للإسلام انتشارا وازدهارا واقعيين، دون زيغ السلطات وعبث الولاة، فجنّد طاقاته العملاقة لتحقيق هذين الهدفين الملحنيين، فأعد العدة البالغة في الهدى والتوجيه والتعليم، وجرّد من نفسه مثالا للسعي الحثيث، فحاضر وناظر وحاوّر، والتقى الناس صغارا وكبارا، وخاض غمار الأحداث في الصميم، حتى اعذر فيما بينه وبين الله تعالى، واعذر فيما بينه وبين نفسه))<sup>(١)</sup>

## المنهج الرضوي

لا يقتصر منهج الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) في حياته وسيرته على سبيل واحد من سبل الحياة العامة، بل رسم طريقاً واضحاً ومنهجاً سليماً لكل مفاصل الحياة، منذ باكورة حياته متبعاً لآبائه، مستمداً أسسه من فهمه لآيات القرآن الكريم الفهم الصحيح - وهو العالم بها - ولإطلاعه الدقيق لسيرة الرسول الأعظم وسنته الصحيحة من خلال روايات آبائه المتصلة بأصح طرقها وأصدقها، كونهم أهل بيته وألصق الناس به، ولما يحمله وما ورثه من إرث علمي تلقاه من آبائه كابر عن كابر، ولا ينتابه الشك ولا تتطرق إليه الظنون، فلو تخطينا سيرته الحياتية وما يحمله من ورع وتقوى وخلق رفيع، شهد له به القاضي والداني، والمخالف قبل المماليء، وفي اجواء عصفت بها مظاهر العبث واللهو، ولعبت به أهواء البذخ والترف والرفاهية والإسراف حداً منذ عصر (هارون الرشيد) لا ينتمي في أكثر مفاصله إلى الإسلام ولا إلى منهجه الإخلاقي العام.<sup>(١)</sup> الكثير منها، ولا تليق حتى بأدني وظيفة يتسمنها موظف في دولة يحترم وظيفته، فكيف بدولة تدعي أنها تنتمي إلى المنهج الإسلامي بمسيرتها؟

وقد حفلت كتب التاريخ ومدوناته بتلك التصرفات والإفعال المشينة للذوق العام، من ليالي حمراء مليئة بالفسق والمجون، حتى اشتهر ذلك وبيحت مجالس اللهو والطرب.

ومن هنا كان لمواقف الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) الدور الأكبر والأول والوحيد في الإشارة إلى مواطن الانحراف تلك، وبمسيرته المتزنة المتعقلة وبقواله وتقاريره، خاصة وأنه عاصر (١٠ سنوات) من حكومة (الرشيد) هذا - من عام ١٨٣ هـ حتى عام ١٩٣ هـ - مع وجود والده الإمام (موسى بن جعفر) (عليه السلام)، وقد شهد عن قرب وعرف الأسباب التي أدت بآبائه إلى طوامير السجون والمعتقلات عن كذب، من أجل قول كلمة الحق ووقوفه درعا حصينا للدفاع عن المنهج المحمدي الأصيل. ووعى أيضاً الإرهاب الهاروني وقادته وولاته على علماء الأمة عموماً وعلى العلويين واتباعهم بصورة خاصة، ولعل قتل قائد هرون الرشيد (حميد بن قحطبة الطائي) بأمر من هرون عندما كان بطوس لستين علويًا برميهم في البحر<sup>(٢)</sup> واحد من تلك الأمثلة الشاهدة على ذلك الإرهاب والتنكيل. وغيره الكثير من الأمثلة الشاخصة أمام مرأى ومسمع الإمام (عليه السلام)، أضف إلى ذلك ما حدثه به آبيه من أحداث جسام وقتل وترويع للأمة من آباء هارون الرشيد الذي عاصرهم أبوه أو أجداده نقلاً صحيحاً وبوعي وحضور منهم، وليس محض رواية ينتابها الشك أو تاريخ تلعب به الأهواء والإنتماءات - كما هو عند غيره -

كل هذا يدعو الإمام الرضا (عليه السلام) بتوخي الحيطة والحذر الشديدين ويوصي اعوانه وشيعته والمقربين إليه بذلك، ويقرأ الرقابة الشديدة التي يضعها أولئك الحكام عليه بعد رحيل والده. وتلك إشارة فعلية منه إلى الإنحراف العباسي العام في الخط السياسي المتبع آنذاك، وإعلاناً منه واضحاً بعدم إنتماء ذلك النظام إلى الخط الإسلامي الأصيل.

١ (ينظر: المسعودي: مروج الذهب: الجزء الثالث)

كذلك: الطبري: تاريخ الطبري: الجزء الثامن

كذلك: الأصفهاني كتاب الأغاني: الجزء الرابع

كذلك: السيوطي: تاريخ الخلفاء: ٣٣٧ وما بعدها وغيرها من كتب التاريخ

٢ (ينظر: الصدوق: عيون اخبار الرضا: ١/ ١٠٩)

وتلك قاعدة عامة تحاكي الأجيال اللاحقة الى عدم الركون الى الطغاة والمتنفذين في دوائر اولئك الطغاة والحذر الشديد منهم، وعدم الإنخراط في دائرة قيادتهم لمن القى السمع وهو شهيد.

أضف الى ذلك ان الفتن والإخطار الخارجية على البلاد الإسلامية ممن يحيطون بها، وكانوا يتحينون الفرص واستغلال مواطن الفتن والنزاعات الداخلية للإطاحة بالدولة وبالامة الإسلامية، وقد كانت الدولة والمسلمين محاطين باخطار جسيمة خارجية واعداء يتحينون الفرص بضعف السلطة او اشتداد الفتن الداخلية والإنفلات الأمني، كي ينفضوا على المسلمين بالقتل والدمار، وكمثال على ذلك ما اوقعه (الخزرجي) بالخزرجين بالمسلمين بوقعة شديدة الوطأة، راح ضحيتها اكثر من (مائة الف) من الرجال وسببت فيها آلاف النساء منهم، حتى قيل بانه جرى على الإسلام امر عظيم لم يسمع قبله بمثله ابدا.<sup>(١)</sup>

وكان الروم ينقضون العهود والمواثيق المعقودة بينهم وبين الدولة العباسية كلما سنحت لهم الفرصة، أو وجدوا ضعفا بالسلطة، وينقضون على الثغور بالإعتداء على الناس وممتلكاتهم.

كل تلك قد اشتدت في عصر الرشيد في بلاد فارس وبلاد الروم والمغرب الإسلامي.

هذا في جانب، واذا اضفنا في الجانب الآخر الاضطرابات والفتن في الجبهة الداخلية والحركات المسلحة في داخل الدولة والتي تناقلتها مدونات تاريخ تلك الفترة الزمنية. والتي كانت هي الأخرى تهدد امن الأمة وامنتهم الإجتماعي عموما، كحركة (ابو عمرو حمزة المشاري) عام ١٨٤هـ وقد استمرت الى عام ١٨٥هـ وقد قمعها (هارون الرشيد) بعد مقتل اكثر من (عشرة آلاف) من اعوانه غير الذين قتلوا من اعوان الرشيد وجنده. وفي عام ١٨٥هـ ايضا خرج (ابو الخصيب) للمرة الثانية ولم تقمع حركته في عام ١٨٦هـ إلا بعد مقتل الالاف من الأبرياء من طرفي النزاع.<sup>(٢)</sup>

وزادت الجبهة الداخلية ضعفا وفتنا (نكبة البرامكة) عام ١٨٧هـ والذين كانوا يمثلون من قبل أعمدة السلطة. كل هذا جعل السلطة العباسية تعيش بمعزل عن الأمة، وعن السلطة ايضا.

وفي وسط ذلك الزحام من الأحداث الجسام هلك (الرشيد) بعد ان قسم الدولة الى دولتين متناحرتين بين ولديه، فاشتدت وتفاقت الظروف السياسية وما ستلقيه تلك الأحداث على الأمة من فقدان الأمان، وتردي الأوضاع الاقتصادية، وانحطاط المجتمعات الإسلامية، وتدهور الحياة العامة للناس.

وقد تفاقت اكثر في زمن الصراع والنزاع على السلطة بين الأخوين (الأمين والمأمون) - من عام ١٩٣ هـ حتى عام ١٩٨ هـ - مما أحدثت شرخا كبيرا وخطرا جسيما على الأمة.

فلم يبق للأمة موقفا وملجأ إلا علماء الدين ورجال الإصلاح، ويتربع الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) على القمة منهم، فقد كان (عليه السلام) (( محط انظار الفقهاء، ومهوى افئدة طلاب العلم، ويشهد لذلك قوله (عليه السلام) : كنت اجلس في الروضة، والعلماء بالمدينة متوافرون، فاذا أعينى الواحد منهم عن مسألة أشاروا عليّ بأجمعهم، وبعثوا إليّ بالمسائل فاجيب عنها. وكان يأمر اتباعه بمداراة عقول الناس، وعدم تحميلها ما لا تطيق من افكار وعقائد، فقد قال لمحمد بن عبيد: قل للعباسي يكف عن الكلام في التوحيد وغيره، ويكلم الناس بما يعرفون ويكف عما ينكرون ))<sup>(٣)</sup>

١ (ينظر: الذهبي: تاريخ الإسلام: حوادث سنة ١٨١هـ و ١٩١هـ

٢ (ينظر: الطبري: تاريخ الطبري: ٨ / ٢٧٢، ٢٧٣، كذلك ٢٨٧

٣ (المجمع العالمي لأهل البيت: أعلام الهداية (الإمام علي بن موسى الرضا): ١٠ / ٨٩



فقد كان (عليه السلام) نديا في تواضعه، كريما في عطائه، زكيا في سناياه، رحيفا في سماحته، امينا في دينه، تقيا في عبادته، حليما في غضبه، سخيا في حلمه، رفيعا في خلقه، منيبا الى بارئه، عالما في دينه ودينياه، جامعا لسلمات العز والفخر، صلبا في مبادئه، مخلصا في دعوته. مدحه أعدائه والمخالفين معه قبل ان يمتدحه اصحابه ومريديه، وقد حفلت كتب الرجال، ومدونات الجرح والتعديل بالإشارة الى عدالته ونبله وتوثيقه، ولو انه اكبر مما قالوا، واثق ممن وثقه ومنها قول ابن طلحة الشافعي بانه: ((كانت مناقبه سنية، ومكارمه حاتمية، وشهنته أخزمية، واخلاقه عربية، زنفسه الشريفة هاشمية، وأرومته الكريمة نبوية، قمهما عد من مزاياه، كان (عليه السلام) أعظم منه، ومهما قيل في مناقبه كان اعلى رتبة منه))<sup>(١١)</sup>

ومن البديهي ان يكون مثل هكذا وصف موثق للناس وملجأ للعلماء ومقصد للحاجات، ومن البديهي ايضا ان تلقي تلك الأحداث الجسماء على الساحة الفكرية آراء ورؤى مختلفة وربما متناقضة في بعض موارد مما يزيد او يفرض على الإمام مهمة اكثر مما دعاه التوجه الفكري اكثر، ومن هنا فان هذا يستوجب اسسا رصينة ومنهجيا باستراتيجية متعددة الجوانب منها:

أولا: الأساس الفكري والعلمي: فالإصلاح العقائدي والوقوف امام حركات التزوير التي ستلقي بجرانها حتما على الساحة الفكرية في معترك تلك الظروف العصبية، يلقي على الإمام تبعات اكبر تثقل كاهله العلمي. فجابيه حركات الغلو والزندقة، ووقف امام دعوات التحوير والزيغ الفكرية، وفند شبهات المنحرفين ووضح بطلان دعواهم، ورد شبهاتهم بأدلة نقلية موثقة، وعقلية علمية واضحة، بحجج وبراهين وأدلة دامغة، ربما صرح بلعن أصحاب بعضها وامر بمقاطعة البعض الآخر منهم. وجابه كل تلك الحركات بالردود والفكر السليم والدليل المنطقي المتعقل والمقنع، ودعا الأمة الى التعلم واللجوء الى العلم والعلماء وأهل الخبرة. فتوسعت القواعد الشيعية حوله، ينتهلون من علومه ويسألون عن مرادهم

ومن البديهي ان يتطلب هذا التوجه ورعا وتقوى واضحين، وهذا هو الأساس الثاني لهذا الأمر.

ثانيا: الأساس الأخلاقي والتربوي: الذي تحتاحه الأمة ليوازن بين ما تلفظه تصرفات وأفعال القادة والولاية والمتسلطين والمترفين، خاصة اولئك البعيدين عن مركز الدولة في الأمصار والمستغلين لضعف السلطة السياسية فيها مما يزيدهم ايعالا في الانحراف والتنكيل بعيدا عن الرقابة، او ان يجدون لهم العذر باتهام الرافضين لسيرتهم بالزندقة او التهمة بالوقوف ضد السلطة. يوازن بين هذه التصرفات وبين المنهج الإسلامي الحق بالخلق الرفيع ومعونة الضعفاء واطعام الجياع والعودة الى الله، ليقتي للرفي الحضاري منهاجه الإلهي الأصح.

فقد كان الإمام الرضا (عليه السلام) الإنموذج الأفضل، والقودة المحتذة بها في ذلك المجتمع ليمثل التطبيق الأمثل للمنهج الإسلامي في هذا الجانب، والذي يشكل احدى اسس الاستراتيجية للمنهج الإسلامي في توخي العدالة في الورع والتقوى.

ولهذا فقد وصفه أحد معاصريه بقوله: (( ما رأيت ولا سمعت بأحد أفضل من ابي الحسن الرضا (عليه السلام)، ماجفا أحدا، ولا قطع على احد كلامه، ولا رد أحدا عن حاجته، وما مد رجله بين يدي جليس ولا إتكأ قبله، ولا شتم مواليه ومماليكه، ولا قهقهه في ضحكة، وكان يجلس على ما شدة مماليكه، قليل النوم بالليل، يحيي اكثر لياليه من اولها الى آخرها، كثير المعروف والصدقة، وأكثر من ذلك في الليالي المظلمة))<sup>(١٢)</sup>

١ (ابن طلحة الشافعي: مطالب السؤول: ٢ / ٦٦)

٢ (المفيد: عيون اخبار الرضا: ١ / ١٨٤)

فتوخى في استراتيجية منهجه سبلا متعددة بعضها قولية تناقلته الألسن ودونته التواريخ، وبعضها فعلي شاهده العيان، وبعضها الثالث تقريري، إحتكم اليه المختلفون. حتى كان مضرباً للأمثال في تواضعه وهو ولي للعهد، ومن الأمثلة على أفعاله تلك انه (عليه السلام) كان يخدم نفسه بنفسه ولم يأمر خدماً بخدمته - وهو ولي عهد للسلطة - حتى قيل (( انه احتاج الى الحمام فكره ان يأمر أحداً بتهيئته له، فمضى الى حمام في البلد لم يكن صاحبه يظن ان ولي العهد يأتي الى الحمام في السوق فيغتسل فيه، وإنما حمامات الملوك في قصورهم، ولما دخل الإمام الحمام كان فيه جندي فأزال الإمام عن موضعه، وأمره ان يصب الماء على رأسه، ففعل الإمام ذلك، ودخل الحمام رجل كان يعرف الإمام فصاح بالجندي هلكت، أستخدم ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ فذعر الجندي ووقع على الإمام يقبل اقدامه، ويقول له متضرعاً: يا بن رسول الله! هلا عصيتني إذ امرتك؟

فتبسم الإمام في وجهه وقال برفق ولطف: إنها لمثوبة، وما اردت أن اعصيك فيما أتاب عليه) (١١) ليضع بهذا ميزانا للسلطين او الولاة والملوك وأصحاب المناصب ليكون سنة لهم إن شاؤوا ان يطبقوا نظام الإدارة والقيادة في الإسلام وفق المنهج الإلهي الحق، ولينقل للأجيال الصورة المشرفة لمواقف الفكر الإسلامي الحق للمناصب. فكان (عليه السلام) (( حينما تقلد ولاية العهد لم يحفل بأي مظهر من مظاهر السلطة، ولم يقيم لها اي وزن، ولم يرغب في اي موكب رسمي، حتى لقد كره مظاهر العظمة التي كان يقيّمها الناس لمملوكهم) (١٢) كره التعظيم من المخلوق لأجل المنصب، لأنه أكبر من المناصب الزائلة، وأعلى من الولاية التي يمنحها مخلوق له، ليعطي للقيادة والمسؤولين في الحياة الدنيا الذين يتسمنون المناصب تلك السنة العطرة، والمسيرة الحقّة في النظام الإسلامي للإدارة والقيادة ليعطي للعدالة وفق المنهج الإسلامي معناها الحق في كون الرب واحد والنسب واحد والأصل واحد لكل بني الإنسان، فلا يعرف الإنسان إلا العمل الصالح فان (اكرمكم عند الله اتقاكم) وهذه سيرة آباءه وابنائهم من أئمة اهل البيت (عليهم السلام)

فشكلت سيرته ومواقفه اركاناً واسساً للمنهج الإنساني عموماً وللمنهج السياسي الإسلامي بصورة خاصة، واشتهر ذلك الأمر من تسنمه ولاية العهد وقبوله المنصب الثاني في تلك الدولة، ليكون ميزاناً دقيقاً للعامّة والخاصة، للحاضر آنذاك الذي تناوشه الأفكار وتعصف به الأهواء، وتحوره الغمة التي رانت على القلوب، وعميت الكثير من الأبصار، نتيجة الإعلام المضلل الذي اشاعه السلطين العباسيين كونهم (ظل الله على الأرض) او كونهم (الخلفاء الشرعيين للرسول) او كونهم (اهل بيت النبوة) لقربانهم من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خصوصاً وان السلطين العباسيين كانوا من (الفقهاء) ومن (الأدباء) وتحيط بهم هالة كبيرة من وعاظ السلطين و(المتفقيهن) والمتطفلين على العلم والدين، من اصحاب (العمائم واللحى) التي تزيد العامة من الناس حيرة، والبصائر تعميماً، والأبصار عمها.

وموقف الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) في تلك الظروف العصيبة قد اعطى للإمامة عمقاً أكبر عند العامة من كونها (رياسة دينية عامة في حفظ المصالح الدينية والدينية) او اقتصرها على انها (رياسة عامة في دار التكليف) او هي (خلافة للرسول في إقامة الدين) فاقترنت هذه التعريفات على إقامة العدل الإلهي على الأرض، او في دار التكليف - اي في الحياة الدنيا فقط - لتسيير عجلة الحياة وفق المفهوم الضيق للعدل. ولو

١ (النشيلنجي: نور الأبصار: ١٣٨)

٢ (المجمع العالمي لأهل البيت: اعلام الهداية: ١٠ / ٢٨)

ان هذا الأمر قوام الحياة ومنهجها الأوفق، ولكن في حقيقة الأمر العدل لا يكون عدلا ما لم يوصل اصحابه الى السعادة الدائمة في منازل المخبتين. لذلك بدأت مسيرة الإمام الرضا (عليه السلام) قبيل تسنمه منصب ولاية العهد بحديثه المتواتر والذي عرف بحديث (السلسلة الذهبية) التي لا ينتاب نسبها اي شك في اي طبقة من طبقات رواتها بقوله:

( لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي - ثم استدرك بعد ذلك بقوله - بشرطها وشروطها، وأنا من شروطها)

ولعل في استدراكه ذلك وإكماله للحديث بعد هنيئة من الوقت ليشد الأذهان الى ذلك الإستدراك أفقا اوسع من لقلقة لسان عابرة، فوضع وظيفته ومنهجه الذي سار عليه او الذي سيستمر عليه شرطا اساسيا من شروط ذلك الحصن، ليحقق العدل في الأولى، فيغلق ابواب المدعين للعدالة بعيدا عن منهجه ومنهج آيائه، فيشترط على طالب النجاة ان يوحدها الله وفق شروطه. ويغلق الباب المستقبلي على التخرصات او الشبهات التي ستلقى على قبوله لولاية العهد في تلك الظروف السياسية والإجتماعية العصبية. فلا يفهم منها تأييدا للمأمون، ولا يؤخذ منها رفضا للأمين، وإنما نموذجاً تطبيقياً للحاضر آنذاك وللقدام تتناقله الأجيال لمهمة السلطان ومقارنة أفعالهم بافعاله كمهمة الإمامة.

فينتزع من السلاطين دعواهم لإمامة الأمة بدون العدل وفق مفهومه الإلهي العام والشامل في الحياة وفي المصير كونها قوام الحضارة. لأن النتيجة النهائية للحضارة بمفهومها الأوسع وفق المفهوم الإلهي للحضارة هي - سعادة الدارين - ومن هنا: يستوجب إعادة النظر في المفاهيم القاصرة لتعريفات الحضارة، مادية كانت او اخلاقية، ثم ان العصر الذي عاش فيه الإمام الرضا (عليه السلام) كان اكثر العصور فتنا واطورها عتمة، وأشرها إيغالا في الشبهات، وقد تكالب الأعداء في استغلال تلك الظروف لإلقاء شبهاتهم في اوساط الأمة. فلا بد اذن في تلك الظروف من التصدي للفتن وبقوة، والكشف عن العتمة بصراحة، وردودا للشبهات بصرامة، عندها لا بد ان يكون المتصدي هذا مبسوط اليد في الحياة العامة، وواسع المعرفة، قوي الشكيمة، ومن هنا فليس هناك مكانة أعلى من الإمام الرضا (عليه السلام) وقتذاك، وليس من مهمة اعظم للإمامة من تلك المهمة، لذلك فان بروزه كأحد أقطاب الدولة، بل ومن اعلى مناصبها ليتسنى له - من خلال وظيفته - ان يعلن قولاً وفعلاً وتقريراً للملأ - المخالف له قبل المؤمن بامامته - الموقف الإسلامي الحق من كل تلك التخرصات، دون ان يشترك في تولية هذا، او عزل ذلك، والذي كان من احد اهم شروطه عند قبوله ولاية العهد تلك. فاعلن انه احد ربان سفينة النجاة عند امواج الفتن وعاديات الزمن وتكالب الشبهات.

فدون التاريخ عنه - رغم التعميم - موافقا اوضحت المراد وشارت الى واضح الطريق لمن شاء منهم ان يستقيم. في وقت ضاعت فيه الحريات وانتجذم فيه حبل الدين، وبانشغال السلاطين بالصراع على السلطة، وبانفلات امني وضياح للحقوق وسيطرة الأقوى بل وضاع العدل تماما.

مما استوجب من الإمام وهو العارف بالحق ان من اولويات مهمة الإمامة إقامة العدل والحفاظ على كيان المجتمع الإسلامي خصوصا وانه جاء بطلب من احد اقطاب الصراع ومن اعلى سلطة متنفذة فيه، وليس بطلب من الإمام الرضا (عليه السلام) نفسه ولا يسعي منه.

وفعلا استتب الأمن بقبوله ذلك في الأمصار التي مر عليها في مسيرته من الحجاز الى البصرة فالأهواز والى خراسان. ثم ان للإمامة ومنصبها سهم كبير من الوحيانية التي تؤمن بها العقلانية المعرفية او ما يطلق عليها بالعقلانية الفعلية احيانا، من الوقوع بالخطأ، وتلك هي العصمة التي تتصف بها هذه السلسلة النبوية الطاهرة من أئمة اهل البيت (عليهم السلام) فتعصم أقوالهم وأفعالهم وتقريراتهم من التحوير او الوقوع بالخطأ. وهذا أمر يستوجب على

الباحث في سير هذه الطبقة من اهل البيت (عليهم السلام) ان يؤمن به او - في الأقل - يؤخذ بنظر الاعتبار. بعيدا عن التحليلات المعرفية التي لا تؤمن بذلك.

أما الحياة الفكرية: في عصر الإمام الرضا (عليه السلام) فهي امتداد للحركة الفكرية الواسعة في حياة ابيه الإمام موسى بن جعفر وجده الإمام جعفر الصادق (عليهما السلام) وما قبلها، والتي توسعت الحركة أكثر فتعددت الآراء وتوسعت الرؤى حتى تحولت تلك الرؤى الى مذاهب فقهية وعقائدية في عصر الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) وقد (( تعددت المذاهب الإسلامية بتعدد اربابها، وانتشرت الأفكار العقلية الصرفة والفلسفية المثالية، وكثر الجدال في الجبر والتفويض والإرجاء والتجسيم والتشبيه، وتحولت المذاهب السياسية الى مذاهب عقائدية، فالزيدية والإسماعيلية كانتا من الحركات والمذاهب السياسية التي تتبنى الجهاد المسلح، فتحولت الى مذاهب عقائدية وفكرية، وانتشرت الإدعاءات الباطلة والمزيفة، كإدعاء النبوة، وإدعاء أحد الأفراد أنه ابراهيم الخليل، لولا تشجيع الحكام ومنح الحريات للتيارات والمذاهب المنحرفة لما انتشرت ولما استشرت هذه المذاهب في اوساط المسلمين))<sup>(١)</sup> وقد توسعت هذه المذاهب فيما بعد واستحدثت سبلا ومناهج جديدة في الفكر الإسلامي العام وبعضها تداخل مع الفكر الخاص لمدرسة اهل البيت، ومن البديهي ان افكار هذه المذاهب وآراء اصحابها تؤثر بشكل او آخر على الآراء العامة في الفكر الإسلامي عموما.

وقد وقف الإمام الرضا (عليه السلام) موقف الحصن المنيع لكل تلك الأفكار والتخرصات والانحرافات فاشار اليها، وساعده على ذلك اطلاق يده بقبوله لولاية العهد ومكانته في السلطة. ولأجل ان يقيم العدل الذي هو اساس الملك، او في الأقل يشير الى مواطنه ومنهجه وسبل تطبيقه، فاصلح وأشار الى بعض موارد القضاء، دون ان يولي قاضيا من عنده، وأعطى قواعد للإدارة وعدلتها دون ان يعزل واليا عن ولايته، فاوصل الأفكار الصحيحة الى الحاشية المتسلطة في الحكم من قادة وامراء، بحيث اصبح لا يولي واليا عنده آراء منحرفة في العقيدة، وان كان له يوله هو بنفسه، ولكن المأمون وقادته انقادوا الى آرائه وعقائده وتصحيحاته للشذوذ والانحراف وعلى رؤوس الملائ.

ثم برز مكانة اهل البيت (عليهم السلام) ومدرستهم العلمية في عصره ذلك - مع قصر المدة الزمنية التي تولى بها ولاية العهد - ولكن الحرية الفكرية لهذه المدرسة قد استمرت طيلة فترة ولاية المأمون العباسي (من عام ١٩٨ هـ) بعد أن كادت تنزوي على الخاصة من شيعته، بعد شدة التنكيل والقتل الذي وقع عليهم وخاصة في وقت (هارون الرشيد) وبعد الإنشقاقات والانحرافات التي وقعت فيها من (اسماعيلية وواقفة وأفطحية) ولربما غيرها - كما حدث لمدارس فكرية اخرى وقع عليها اقل من هذا التنكيل - مما يجعل الناس يتعدون عنها خوفا على انفسهم واهليهم، او للتغطية التي تعمي بصائر بعض العامة الذين تنظلي عليهم الحقيقة بين ركام هذه الدعوات المنحرفة او المحورة للحقائق، ولكن قبول الإمام الرضا (عليه السلام) لولاية العهد - وان كانت صورية - انعشت افكارهم وخففت الضغط السلطوي عنهم، فبدأت تتوسع في تغور الدولة كافة، حتى تلك الثغور البعيدة عن مركز السلطة، في حين انحسرت جميع الدعوات التي نشأت داخل الفكر الشيعي، والفرق التي تدعي التشيع. او - في الأقل - تحجمت واشير الى خطأ افكارها، كالزيدية والكيسانية والإسماعيلية والواقفة والأفطحية، فكان دوره بحق (( وكان دور الإمام الرضا (عليه السلام) في هذا الزخم المروع من السلبيات، دور القائد المحنك والمصلح الرائد والمنقذ المنتظر، فوهب من حياته الفكر الموجه، واحتاط لنفسه ودينه وامنه احتياط اليقظ الحذر، وسعى إلى الإنقاذ ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فكان

الفرد الأكمل في خضم الحياة السياسية. كان النموذج الأرقى للعطاء الديني المتطور، وكان الصخرة التي يتحطم بها قصف المؤامرات، والهواء الطلق الذي يلجا إليه من أتربة العواصف، وهو يخوض تلك الغمار العاتية باوئبثتها وشذوذها وانحرافها: طلق الجبين، الق الفكر، حيي الطرف، صادق اللسان، كريم المعشر، جزل الموهبة، عظيم الصبر، يدرا الفتنة، ويشق عباب المحنة، فابقى من التاريخ الناصع البهيج ما ارتفع بمستوى نضاله إلى درجة الشهداء والصدقيين، وصهر به اوليائه في قالب القادة الأمناء، وقذف به أعداءه في مزبلة التاريخ))<sup>(١)</sup>

ولطالما وقف الإمام الرضا (عليه السلام) موقف المعارض الراض لبعض تصرفات وافعال المأمون وحاشيته خلال فترة ولاية العهد تلك، ليعطي للعادلة منهجها الحق. فوعظه كثيرا، ونصحه وقدم له المشورة بما يحقق اسس العدالة في الرعية، وما هادنه على ظلم، ولا ايده بإسائة الى احد، وما اضاع حق من حقوق الله في الرعية. وقد نقل لنا التاريخ العديد من النصح والمشورة للمأمون وخصوصا على الحاشية التي تحيط به، كالحسن بن سهل، او اخيه الفضل بن سهل، اللذين كانا مقربين من المأمون، وكان الإمام الرضا (عليه السلام) يحذره منهما ومن افعالهما.<sup>(٢)</sup>

ولعل أصلب موقف وأصدق قول في ذلك قوله للمأمون في وصيته له: ((أتق الله في امة محمد، وما ولاك الله من هذا الأمر وخصك به، فإنك قد ضيعت امور المسلمين، وفوضت ذلك إلى غيرك، يحكم فيهم بغير حكم الله عز وجل، وقعدت في هذه البلاد، وتركت بيت الهجرة ومهبط الوحي، وإن المهاجرين والأنصار يُظلمون دونك، ولا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، يأتي على المظلوم دهر يتعب فيه نفسه، ويعجز نفقته، فلا يجد من يشكو إليه حاله، ولا يصل إليك، فأتق الله يا أمير المؤمنين في امور المسلمين، وارجع إلى بيت النبوة، ومعدن المهاجرين والأنصار، اما علمت.. ان والي المسلمين مثل العمود في وسط الفسطاط من اراده اخذه؟

قال المامون: يا سيدي فما ترى؟

قال الإمام الرضا (ع): ارى ان تخرج من هذه البلاد، وتتحول إلى موضع آباتك واجدادك، وتنظر في امور المسلمين ولا تكلمهم إلى غيرك، فإن الله عز وجل سائلك عما ولاك))<sup>(٣)</sup>

ولعل ابرز مواقفه الفعلية في نهج العدالة والحق وصلابته في العدل، ماكان من اخيه (زيد) والذي يلقب (زيد النار) والذي تجاوز نهج الحق في حركته الدموية، والذي قتل فيها الناس وقد احرق ما احرق، فلما ادخلوه - بعد القبض عليه - على الإمام الرضا (عليه السلام) قال له:.

(( يا زيد اغرك قول حمقى أهل الكوفة: إن فاطمة أحصنت فرجها، فحرم الله ذريتها على النار؟

فذلك للحسن والحسين (عليهما السلام) خاصة.

ان كنت ترى انك تعصي الله وتدخل الجنة، وموسى بن جعفر (عليه السلام) أطاع الله ودخل الجنة، فأنت إذن أكرم على الله من موسى بن جعفر(عليه السلام) والله ما ينال أحد عند الله عزوجل إلا بطاعته وزعمت أنك تناله بمعصيته!! فيبس ما زعمت

فقال له زيد: انا اخوك وابن أبيك

١ (الصغير: الإمام علي الرضا: ٦

٢ (ينظر: المفيد: الإرشاد: ٣٥٤ وما بعدها

كذلك: الأربلي: كشف الغمة: ٣ / ٧٥ وما بعدها

٣ (الصدوق: عيون اخبار الرضا: ٢ / ١٥٩

قال له أبو الحسن (عليه السلام): أنت أخي ما اطعت الله عز وجل، إن نوحا (عليه السلام) قال: (( وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ))

فقال الله عز وجل: (( قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ))<sup>(١)</sup>  
فأخرجه الله عز وجل من أن يكون من أهله بمعصيته)<sup>(٢)</sup>

ولم يكن تائب زيد فيما بينه وبين الإمام، ليمنع الإمام من تأنيبه علنا حتى أمام السلطان. فقد دخل زيد بن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) على المأمون فأكرمه، وعنده الرضا (عليه السلام) فسلم زيد عليه فلم يجبه فقال: أنا ابن أبيك، ولا ترد علي سلامي !!

قال له الإمام الرضا (عليه السلام):

أنت أخي ما اطعت الله، فإذا عصيت الله لا إزاء بيني وبينك.<sup>(٣)</sup>

ولعل الوثيقة التاريخية التي نقلت لنا ما كتبه الإمام الرضا (عليه السلام) بخطه على ظهر كتاب العهد الذي كان بينه وبين المأمون العباسي تحدثنا عن تلك الإستراتيجية في منهج الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) التي اختطها للأجيال إذ جاء فيها: ((...)) انه جعل الي عهدده والإمرة الكبرى إن بقيت بعده... وخوفا من شتات الدين واضطراب امر المسلمين، وحذر فرصة تنتهز وناعقة تبتدر، جعلت على نفسي عهدا إن استرعاني أمر المسلمين، وقلدني خلافة العمل فيهم... أن اعمل فيهم بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا اسفك دما حراما، ولا ابيح فرجا، ولا مالا، إلا ما سفكته حدود الله، وابعثه فرائضه، وان اتخير الكفاة جهدي وطاقتي... وإن احدثت وغيرت أو بدلت كنت للعزل مستحقا، وللنكال متعرضا... وما ادري ما يفعل بي وبكم، ان الحكم إلا لله، يقص الحق وهو خير الفاصلين...))<sup>(٤)</sup>

في هذه الإستراتيجية وضع الإمام الرضا (عليه السلام) المنهج السوي للسلطة والسلاطين وحواشيمهم والمتنفذين، ولم تات هذه الإستراتيجية ولم يتوضح ذلك المنهج إلا بتسنمه ولاية العهد تلك. ولما لم يرق ذلك المنهج ولم تقع تلك الإستراتيجية المأمون وحاشيته فقد ذهب الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) ضحية ذلك التطبيق، ومضى في سبيل تثبيت تلك الإستراتيجية لتحقيق العدالة ورسم سبلها على الحياة.

فسلام عليه يوم ولد ويوم مضى الى ربيه شهيدا ويوم يبعث حيا  
وأخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

١ (سورة هود: ٤٥، ٤٦)

٢ (الصدوق: عيون اخبار الرضا: ٢ / ٢٣٤)

٣ (ينظر: ابن شهر آشوب: المناقب: ٤ / ٣٦١)

٤ (الصدوق: عيون اخبار الرضا: ٢ / ١٥٩)

كذلك: ابن الصباغ المالكي: الفصول المهمة: ٢٥٨، ٢٥٩

## مظاهر التوحيد وخطاب العدالة عند الامام الرضا (ع): دراسة في بعض الشواهد القرآنية

أ.م.د. حيدر جبار دفترا<sup>١</sup>  
أ.م.د. أحمد لفته رهمة القصير<sup>٢</sup>

### ملخص البحث

أما بعد

يبدو أن موجبات المعنى لها فضاءات كثيرة ومداخل متعددة بعدد الذائقة اللغوية والمعرفية والدخول إليها هو أيضا متعدد حتى قيل على لسان اهل البيت (ع) (حدثوا الناس على قدر عقولهم). وقد أثبت الاستقصاء أن الإمام الرضا (ع) قد انبرى من أجل الدفاع عن العقيدة والمذهب ليثبت لأهل العلم ولعامة الناس ما يحمله الاستعمال القرآني من دلالات وموجبات قد غفل عنها ساسة العلم وسدنته. فقد روي عنه في تفسير القرآن الكريم وبيان حقائق معانيه وغوامض مطاويه وخصوصا الآيات المتعلقة والمرتبطة بمسائل علم الكلام والفلسفة مما يخفى المراد منها على كثير من أهل العلم فضلا عن غيرهم فيضنون فيها الظنون، ويخرصون في شرحها ما يتوهمون صوابه رجما بالغيب. أقول: إن الشواهد القرآنية التي سيقف عليها البحث متنوعة بين الجانب العقائدي والتربوي والأخلاقي، ولا شك في أن للإمام رؤية مختلفة في التطلع إلى آيات الكتاب العزيز مأخوذ بها مستوى المتلقي ومدى المقدار الذي يفيد منه، أما موجبات المعنى عند الإمام فهي الأصول التي يتكئ عليها الإمام من أجل بيان النص القرآني وهي أصول لغوية غير أنها ممتزجة برؤية عقائدية ومذهبية خالصة. واعتمد البحث على جملة من المصادر اللغوية والتفسيرية والأثرية والعقائدية في استجلاء غواص ما ورد من آراء وبيان للنصوص.. أما المنهج الذي اعتمدنا عليه في بحثنا فهو الوصفي والتحليلي، والفرضية أو السؤال الرئيس في بحثنا هو كيف استطاع الإمام الرضا (ع) ان يرد على أهل الزيف والبدع برؤية قرآنية وعلمية تدفع باتجاه الانتصار لما قام عليه النص الكريم وجاء البحث على مقدمة ومبشرين الأول الرؤية العقائدية عند الإمام في توجيه النص القرآني وتناول المبحث الثاني ظلال المعنى وغامض الدلالة في الآيات القرآنية... وخاتمة تناولت فيها ما توصل اليه البحث.

**كلمات المفتاحية:** الإمام، التوحيد، العدل، الشواهد، القرآنية

١ جامعة القادسية، كلية التربية، العراق، haedar.dafter@qu.edu.iq

٢ جامعة القادسية، كلية الفنون، العراق، laftaahmed98@gmail.com

## المقدمة

أما بعد

فما لا شك فيه أن المعنى هو الأصل الذي لا مندوحة من الوصول إليه عند جميع المتكلمين الذين ينتمون الى حقول معرفية مختلفة ولا شك أيضا أن لهذا المعنى موجبات كثيرة او قل مسببات تدفع باتجاه الوضوح والبيان، غير أن هذه الموجبات تارة تكون لغوية وأخرى معرفية أو ذوقية أخلاقية وأحيانا يهيمن عليها الجانب الشرعي او العقائدي ولا سيما اذا كانت النماذج قرآنية وتشكل وتمثل مشكلا يهدد حياة الفرد من الناحية الفكرية والتنظيمية...

وأحسب أن أئمة اهل البيت والإمام الهمام الرضا (ع) هو خير من جسد ذلك وكانت روضته في ذلك غناء ومصاديقه قرآنية وروائية عمل جاهداً على تأصيلها والوقوف مليا عندها من اجل استجلاء المعنى ولا شيء غير المعنى.

ويبدو أن موجبات المعنى لها فضاءات كثيرة ومداخل متعددة بعدد الذائقة اللغوية والمعرفية والدخول اليها هو أيضا متعدد حتى قيل على لسان اهل البيت (ع) (حدثوا الناس على قدر عقولهم).

وقد أثبت الاستقصاء أن الإمام الرضا (ع) قد انبرى من أجل الدفاع عن العقيدة والمذهب ليثبت لأهل العلم ولعامة الناس ما يحمله الاستعمال القرآني من دلالات وموجبات قد غفل عنها ساسة العلم وسدنته. فقد روي عنه في تفسير القرآن الكريم وبيان حقائق معانيه وغوامض مطاويه وخصوصا الآيات المتعلقة والمرتبطة بمسائل علم الكلام والفلسفة مما يخفى المراد منها على كثير من أهل العلم فضلا عن غيرهم فيضنون فيها الظنون، ويحرصون في شرحها ما يتوهمون صوابه رجما بالغيب.

أقول: إن الشواهد القرآنية التي سيقف عليها البحث متنوعة بين الجانب العقائدي والتربوي والأخلاقي، ولا شك في أن للإمام رؤية مختلفة في التطلع الى آيات الكتاب العزيز مأخوذ بها مستوى المتلقي ومدى المقدار الذي يفيد منه، أما موجبات المعنى عند الإمام فهي الأصول التي يتكئ عليها الإمام من أجل بيان النص القرآني وهي أصول لغوية غير أنها ممتزجة برؤية عقائدية ومذهبية خالصة. واعتمد البحث على جملة من المصادر اللغوية والتفسيرية والأثرية والعقائدية في استجلاء غواص ما ورد من آراء وبيان للنصوص..

وجاء البحث على تمهيد سنتحدث فيه عن موجبات المعنى بين المفسرين ورؤية الامام الرضا (ع) الى النص الكريم، اما المبحث الأول فهو الرؤية العقائدية عند الامام في توجيه النص القرآني وتناول المبحث الثاني ظلال المعنى وغامض الدلالة في الايات القرآنية... وخاتمة تناولت فيها ما توصل اليه البحث.

## الباحثان

### المبحث الأول

فالمتتبع لتراث الإمام الرضا (ع) يجد أثر القرآن الكريم واضحا في أقواله وأفعاله، لذا نجده يستشهد بجملته من الآيات لإثبات حقيقة واحدة أو الاستدلال على مسألة قرآنية مشكلة. مثال ذلك حينما سأل المأمون عن الرجعة\* فقال الرضا (ع): إنها لحق كانت في الأمم السالفة ونطق بها القرآن\* وقد قال رسول الله (ص) والهِ: "



يكون في هذه الأمة كل ما كان في الأمم السالفة حذو النعل بالنعل والقذة\* بالقذة<sup>١</sup>. وقال (ص) واله: " إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً"<sup>٢</sup>. فطوبى للغرباء، قيل: يارسول الله ثم يكون ماذا؟ قال (ص) واله: ثم يرجع الحق إلى أهله.

ويبدو أن الإمام الرضا (ع) قد أشار بقوله " إنها لحق كانت... ونطق بها القران" ولاسيما بـ" ونطق بها القران" إلى الآيات القرآنية التي استدل بها على موضوع الرجعة وهي كثيرة نأخذ منها على سبيل المثال ما قاله تعالى (ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون)<sup>٣</sup>. فقد استدل بها قوم على صحة الرجعة في الدنيا؛ لأنه تعالى قال: من كل أمة، و(من) هذه للتبعض فدل على أن هناك يوماً يحشر فيه قوم دون قوم؛ لأن يوم القيامة يحشر فيه الناس عامة<sup>٤</sup>. كما قال تعالى (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً)<sup>٥</sup>، وحمل بعضهم الآية على أن المراد باليوم يوم القيامة فتكون (من) زائدة، والتقدير: ويوم نحشر كل أمة فوجاً أي فوجاً فوجاً من الذين كذبوا بآيات الله ولقاء الآخرة. وكذلك قيل: إن المراد بهذا الحشر هو الحشر للعذاب بعد الحشر الكلي الشامل لجميع الخلق فهو حشر بعد حشر<sup>٦</sup>. وفيه أنه لو كان الحشر إلى العذاب للزم ذكر هذه الغاية دفعا للإبهام كما في قوله تعالى (ويوم نحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون حتى إذا ما جاؤها...) مع أنه لم يذكر فيما بعد هذه الآية إلا العتاب، والحكم الفصل دون العذاب، والآية كما ترى مطلقة لم يشير فيها إلى شيء يلوح إلى هذا الحشر الخاص المذکور ويزيدها إطلافاً قوله بعدها (حتى إذا جاؤها) فلم يقل: حتى إذا جاؤا العذاب أو النار أو غيرها<sup>٧</sup>، فالآية بحسب سياقها وما يحف بها من قرائن نصية وما تقدمها من نبأ دابة الأرض، وهي من أشرط الساعة، فلا معنى لتقديم ذكر واقعة من وقائع يوم القيامة على ذكر شروعه ووقوعه عامة، فإن الترتيب يقتضي ذكر حشر فوج من كل أمة لو كان من وقائع يوم القيامة بعد ذكر نفخ الصور، فظاهر الآية يدل على أن هذه الحشر المذکور يكون قبل يوم القيامة، وإن لم يكن هذا المعنى نصاً لا يقبل التأويل<sup>٨</sup>.

نخلص من ذلك إلى أن الإمام الرضا (ع) قد أشار إلى هذه الحقيقة وإن لم يصرح بذكر الآيات الدالة عليها، فالرجعة عند الإمام حق، وهذا المعنى منقول عن رسول الله (ص) واله وأهل البيت (ع)، وفيها -أي الرجعة- استرجاع وحضوة لما أخذ غضباً عن الأئمة من حق مسلوب...

وفي حادثة أخرى سأل علي بن محمد بن الجهم الإمام الرضا (ع) فقال له: يابن رسول الله أتقول بعصمة الأنبياء؟ فقال الرضا (ع): نعم قال ابن الجهم: فما تعمل في قول الله عز وجل (وعصى آدم ربه فغوى)<sup>٩</sup>. وفي

\* جاء في المعجم الوسيط: القُدَّة ريشة الطائر بعد تسويتها وإعدادها لتركب في السهم. وفي الحديث (لتركب سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة" يضرب مثلاً للشيثيين يستويان ولا يتفاوتان. ٧٢١/٢.

١ مسند أحمد بن حنبل: ٥/٣٤٠، وينظر: كنز العمال: المتقي الهندي: ١١/١٣٤. وكمال الدين وتمام النعمة: الصدوق: ٢/٥٧٦.

٢ - بحار الأنوار: ١٨/١٢.

٣ - النمل: ٨١.

٤ - ينظر: التبيان: الطوسي: ٨/٩٢. ومجمع البيان: ٧/٣٧١.

٥ - الكهف: ٤٨.

٦ - ينظر: تفسير الميزان: ١٥/٤٠٠.

٧ - السجدة: ٣٠.

٨ - ينظر: الميزان: ١٥/٤٠٠.

٩ - ينظر: نفسه/ ١٥/٤٠٠ بتصرف

١٠ - طه: ١٣١.

قوله تعالى (وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه)<sup>١</sup>، وفي قوله عز وجل في يوسف (ع) (ولقد همّت به وهمّ بها)<sup>٢</sup> فقال الرضا: "ويحك يا علي اتقي الله ولا تنسب إلى أنبياء الله الفواحش، ولا تتأول كتاب الله برأيك فإن الله عز وجل قد قال (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم)<sup>٣</sup>."

ويبدو أن الإمام الرضا (ع) في استشهاده بقوله تعالى (وما يعلم تأويله إلا...) يشير إلى حقيقة ثابتة عند أهل البيت (عليهم السلام) هي أن علم التأويل منحصر به تعالى ويمن رضي له من أنبيائه، أي أن حرف الواو - عنده- للعطف لا للاستئناف كما يذهب إلى ذلك كثير من المفسرين<sup>٤</sup>. فهم يرون أن علم التأويل منحصر به تعالى دون سائر خلقه، والحق أن علم التأويل كما يرى بعض المفسرين<sup>٥</sup>. وإن كان منحصر به تعالى بلحاظ هذه الآية الكريمة، بل ربما لاح من سياقها أي بقوله (يقولون آمنا به كل من عند ربنا) عدم علمهم وجهلهم بالتأويل، سوى أن هذا لا يعني أنهم لا يعلمون التأويل بلحاظ آيات أخرى. ومثال ذلك قوله تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول)<sup>٦</sup>. ففيها دلالة واضحة على أنه سبحانه وتعالى يُطلع على علمه وغيبه من ارتضى من رسول. وبطبيعة الحال فإن النبي محمد (ص) واله يعلم هذا التأويل ويعلمه لمن ارتضى من وصي أو ولي. فالإمام الرضا أشار إلى عصمة الأنبياء وعلمهم بالتأويل بلحاظ آية آل عمران المتحدثة عن الراسخين، وزاد بعض المفسرين أن هذا العلم يمكن أن يلحظ بآيات أخرى ربما تكون أكثر وضوحاً لمن في قلوبهم مرض.

وأما قوله تعالى (وعصى آدم ربه فغوى) فأجاب عنها الرضا أن الله خلق آدم حجة في أرضه وخليفة في بلاده لم يخلقه للجنة، وكانت المعصية من آدم في الجنة لا في الأرض، وعصمته تجب أن تكون في الأرض ليتم مقادير أمر الله، فلما أهبط إلى الأرض وجُعِل حجة وخليفة عُصِم بقوله عز وجل (إنَّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم...) <sup>٨</sup>.

واضح أن الإمام الرضا أشار إلى السائل أن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً، فالعصيان الذي صدر من آدم (ع) هو عصيان في الجنة لا في الأرض، أما العصمة فواجب أن تتحقق في الأرض، وقد تحقق ذلك وفق قوله تعالى (إن الله اصطفى آدم...)، فقد دفع الإمام الشبهة الأولى عن آدم ثم بين أن العصمة متحققة في ضوء آيات أخرى صريحة لا تقبل النقاش والجدال. فهذا الأسلوب - أي تفسير القرآن بالقران - أو جعل بعض القرآن شاهداً على بعض، والشاهد إذا كان كلام الله فهو خير شاهد ودونه كل الشواهد<sup>٩</sup>. وهذا يتطلب مهارة وفهماً، فلا بد لمن يتعرض لتفسير كتاب الله أن ينظر في القرآن أولاً فيجمع ما تكرر منه في موضع واحد، ويقابل الآيات بعضها ببعض، ليستعين بما جاء مسهباً على معرفة ما جاء موجزاً، وبما جاء مبيناً على فهم ما جاء مجملًا وهلم جرا. <sup>١٠</sup> ثم أجاب الرضا على ظاهر الإشكال في قوله تعالى (وذا النون إذ ذهب مغاضباً...)، قائلاً: "إنما ظن

١ - الأنبياء: ٨٧.

٢ - يوسف: ٢٤.

٣ - آل عمران: ٧.

٤ - ينظر: عيون أخبار الرضا: ٢: ١٧٠.

٥ - ينظر: معاني القرآن: الفراء: ١/ ١٩١، ومفاتيح الغيب: الرازي: ٧: ١٩٠، والبحر المحيط: الأندلسي: ٣/ ٣٨٤.

٦ - ينظر: الميزان: ٣/ ٥٢.

٧ - الجن: ٣٦-٣٧.

٨ - آل عمران: ٣٣.

٩ - ينظر: تفسير القرآن بالقران: د. كاصد الزبيدي / ٢٨٥.

١٠ - ينظر: التفسير والمفسرون: الذهبي / ٤٠٢.

بمعنى استيقن أن الله لن يضيّق عليه رزقه، ألا تسمع قول الله (وأما إذا ما ابتلاه ربه فقد رزقه) <sup>١</sup>، أي ضيق عليه رزقه، ولو ظن أن الله لا يقدر عليه لكان قد كفر <sup>٢</sup>

وكأن الإمام أراد أن يشير إلى أن الظن يأتي على معنيين: معنى: استيقن، ومعنى: توهم لأن هذا اللفظ من الأضداد التي لا يمكن الوقوف على معناها إلا من خلال سياقها. قال الراغب "الظن اسم لما يحصل عن أمانة ومتى قويت أدت إلى العلم، ومتى ضعفت جدا لم يتجاوز حد التوهم... وقوله (وذا النون إذ ذهب مغاضبا...) فقد قيل الأولى أن يكون من الظن الذي هو التوهم، أي ظن أن لن نضيّق عليه" <sup>٣</sup>، فظن عند الراغب أقرب إلى التوهم من التيقن، وهذا لا ينطبق مع سياق الآية الكريمة، فإن كانت (ظن) بمعنى توهم كان معنى الآية فتوهم أن لن نقدر عليه، وهذا بخلاف سياق الآية القائل (فنادى في الظلمات أن لا اله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) فهذا النداء في الظلمات يستوجب أنه استيقن لا توهم، فتيقنه أن لن نقدر أي نضيّق عليه رزقه هو الذي دعاه إلى النداء في الظلمات بأفضل شهادة هي (لا اله إلا أنت)، يزداد على ذلك أن هذا التيقن هو الذي ترتبت عليه النتيجة القائلة (فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين). فما ذهب إليه الإمام هو الأقرب إلى سياق الآية وفحواها.

أما قوله تعالى (لن نقدر عليه) (لن نقدر عليه) والتي ذهب الإمام (ع) إلى أن معنى (نقدر عليه) هو (ضيّق عليه) مستدلا على ذلك بسياق آية أخرى هي قوله (فقد رزقه)، فهذا المعنى الذي أشار إليه الإمام مأخوذ من قولهم: "قدرت عليه الشيء ضيقته كأنما جعلته بقدر بخلاف ما وُصف بغير حساب... قال (ومن قدر عليه رزقه) <sup>٤</sup>، أي ضيق عليه... وقال (فظن أن لن نقدر عليه) <sup>٥</sup>، أي لن نضيّق عليه" <sup>٦</sup>، فقوله: لن نقدر عليه بمعنى لن نضيّق عليه من قدر عليه رزقه أي ضاق كما قيل <sup>٧</sup> وهو عين المعنى الذي جاء في قوله تعالى (وأما إذا ما ابتلاه ربه فقد رزقه) أي إذا ما امتحنه واختبره فضيق عليه رزقه فيقول ربي أذلني واستخف بي <sup>٨</sup>.

أما قوله تعالى (ولقد همّت به وهم بها) <sup>٩</sup>. فيرى الإمام أن همها كان بالمعصية وهمه كان بقتلها إن أجبرته، فصرف الله عنه قتلها والفاحشة بقوله (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) <sup>١٠</sup>. يعني القتل والزنا.

والهم يعني الحزن الذي يذيب الإنسان، والهم ما هممت به في نفسك <sup>١١</sup> وقيل يأتي الهم على وجوه <sup>١٢</sup>. منها: العزم على الفعل كقوله تعالى (إذ همّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم) <sup>١٣</sup>. أي أرادوا ذلك وعزموا عليه. ومنها: خطور الشيء في البال، وإن لم يعزم عليه كقوله تعالى (إذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما) <sup>١٤</sup>. والمعنى أن

١ - الفجر: ١٦.

٢ - عيون أخبار الرضا: ٢/ ١٧٠.

٣ - مفردات ألفاظ القرآن: ٣٢٧.

٤ - الطلاق: ٧.

٥ - الأنبياء: ٨٧.

٦ - مفردات ألفاظ القرآن: ٤١٠-٤١١.

٧ - ينظر: الميزان: ١٤/ ٣١٦.

٨ - ينظر: نفسه: ٣٠/ ٣١٩.

٩ - يوسف: ٢٤.

١٠ - يوسف: ٢٤.

١١ - ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٥٤٣.

١٢ - ينظر: التبيان: الطوسي: ٦: ١٠٩-١١٠-١١١، والميزان: ١١/ ١٣١.

١٣ - المائدة: ٢٢.

١٤ - آل عمران: ١٢٢.

الغشيل خطر ببالهم، ولو كان الهم ههنا عزمًا لما كان الله وليهما. ومنها: المقاربة يقولون: هم بكذا أي كاد. ومنها: الشهوة وميل الطباع، يقول القائل: فيما يشتهي، ويميل طبعه ونفسه إليه، هذا من همي، وهذا أهم الأشياء إلي. وإذا احتتم الهم هذه الوجوه نفينا عنه (ع) العزم على القبيح وأجزنا باقي الوجوه؛ لأن كل واحد منها يليق بحال من الأحوال. كذلك يمكن أن يُحمل الهم في الآية على العزم على الفعل سوى أنه عزم على الفعل الحسن لا القبيح ويكون المعنى وهم بضربها ودفعها عن نفسه. وهذا الوجه هو عين ما ذهب إليه الإمام الرضا (ع).<sup>١</sup> وإنما حُمِلَ همها على الفاحشة وهمه على غير ذلك؛ لأنه لولا ما رآه من البرهان لكان الواقع هو الهم والاقتراب دون الارتكاب والافتراق، وقد أشار سبحانه إلى ذلك بقوله (لنصرف عنه السوء والفحشاء). ولم يقل: لنصرفه عن السوء والفحشاء فتدبر ذلك.<sup>٢</sup>

وعليه فالأنسب أن يكون المراد بالسوء هو الهم بها والميل إليها، كما أن المراد بالفحشاء اقتراف الفاحشة وهي الزنا فهو (ع) لم يفعل ولم يكذب، ولولا ما أراه الله من البرهان لهم وكاد أن يفعل.<sup>٣</sup>

### نتائج البحث

الدفاع عن النص الكريم يعد ظاهرة علمية ومعرفية سار عليها أهل البيت بشكل عام في مسار حياتهم، والإمام الرضا أحد مصاديقهم، وفي طليعة من تصدى لهذا الدفاع.

لا شك في أن الإمام الرضا قد عاصر جملة من الملبسين والمشككين من مختلف الأديان والمذاهب، وقد حاول جاهداً أن يرد عليهم بأدلة علمية وقرآنية.

اللغة بكافة وسائلها وموجهاتها كان تمثل عند الإمام وسيلة للدفاع عن القرآن الكريم.

دافع الإمام عن الجانب العقائدي والأخلاقي بكل ما أعطي من إمكانيات معرفية وتربوية.

وقف البحث على جملة من الآيات القرآنية التي يدعو ظاهرها إلى التشكيك، وقد أزال الإمام هذه الشبهات بكل روية.

### المصادر

المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وآخرون، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر. مسند أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت، لبنان.

كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي (٥٩٧٥هـ)، دائرة المعارف النظامية، حيدرآباد.

كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٥هـ.

بحار الأنوار، المجلسي، ط ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.

التبيان في تفسير القرآن، لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠هـ)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، ط ١، الأمانة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ٢٠١٠،

مجمع البيان، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (٥٤٨هـ)، ط ١، دار المجتبي، النجف الأشرف، ٢٠٠٩.

١ - ينظر: التبيان: الطوسي: ٦: ١١٠-١١١.

٢ - ينظر: الميزان: ١٣١/١١

٣ - ينظر: نفسه: الصفحة نفسه

الميزان في تفسير القرآن، العلامة محمد حسين الطباطبائي، ط ١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م.

عيون أخبار الرضا، الشيخ، الشيخ الصدوق (٥٣٨١هـ)، تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، مطابع مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ١٩٨٤م.

معاني القرآن، أبو زكريا الفراء (٥٢٠٧هـ)، قدم له ووضع: إبراهيم شمس الدين، ط ١، دار الكتب العلمية البحر المحيط، لمحمد بن الشهير بأبي حيان الأندلسي (٥٧٤٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود

والشيخ علي محمد معوض، وآخرون ط ٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م.

التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥م.

مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (٥٤٢٥هـ)، تحقيق: نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي.

## التسامح واحترام كرامة الانسان في المدرسة الرضوية

اد خليل حسن الزركاني<sup>١</sup>

### المستخلص

ان فهم المبادئ العالمية المشتركة للتسامح واحترام كرامة الإنسان فيما يتعلق بتعاليم الامام الرضا (عليه السلام)؛ تنطلق من تعاليم الاسلام العظيمة واحاديث الرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) فضلا عن الأحاديث الشريفة الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام). وفي بيان المسألة ارتبط التسامح في (القرآن الكريم) بقيم مثل الرفق الذي هو ضد الحمق والخرق والعنف، وكذلك الحلم، الذي يعني الوعي بحالات الضعف التي تنتاب الإنسان والصبر عليها، وأيضاً العفو وهو الاستعداد للتنازل عن الحق الشخصي، وتجسدت مدرسة الامام الرضا (ع) فقد اخذت تحت الناس بالاستمرار على العفو واللين وعدم ردّ الاساءة بمثلهما، والعطف على المساكين والتواضع لهم والحفاظ على كرامتهم، وقد جسّد الامام الرضا (ع) مفهوم الكرامة واحترامها لقد جاء هذا الشعور الإنساني من الإمام الرضا (ع) الذي يدعو إلى حفظ كرامة الإنسان وعدم تعريضها للإهانة من أي كان، واعتبر الدفاع عن الكرامة واجباً دينياً ودعا إلى حفظ كرامة الآخرين أيّاً كان جنسهم أو لونهم، اما المنهج البحث، فقد استخدم في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يتماشى مع الشواهد التاريخية التي قدمها الامام الرضا (ع) في تعامله مع التسامح واحترام الكرامة الانسانية. وكان السؤال الرئيسي للبحث هو، ماهو موقع التسامح واحترام كرامة الانسان في المدرسة الرضوية؟ وكانت بعض نتائج البحث، سعى الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) إلى قشع العتمة التي تُخيم على عقول بعض الناس وواجه السذاجة الفكرية وفضح التحريف والتواضع واکرام الناس والتعامل معهم بروح اخلاقية متسامحة وكذلك جسّد الامام الرضا (ع) مبدا التسامح والعفو والصفح الجميل من خلال تعامله مع الناس وعلى مختلف طبقاتهم والتعامل معهم بطريقة انسانية رفعت من كرامة الانسان وعززت ثقته بنفسه

**الكلمات الاساسية (المفتاحية):** التسامح، الاحترام، كرامة الانسان، المدرسة الرضوية

### المقدمة

ان فهم المبادئ العالمية المشتركة للتسامح واحترام كرامة الإنسان فيما يتعلق بتعاليم الامام الرضا (عليه السلام)؛ تنطلق من تعاليم الاسلام العظيمة واحاديث الرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) فضلا عن الأحاديث الشريفة الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام). وقد جسّد الامام الرضا (ع) قولاً وفعلاً هذه المبادئ

١ رئيس قسم الحضارة والانار الاسلامية، جامعة بغداد، zarkan56@gmail.com

### في التسامح والعفو واحترام الانسان وكرامته.

بيان المسألة، ارتبط التسامح في (القرآن الكريم) بقيم مثل الرفق الذي هو ضد الحمق والخرق والعنف، وكذلك الحلم، الذي يعني الوعي بحالات الضعف التي تنتاب الإنسان والصبر عليها، وأيضاً العفو وهو الاستعداد للتنازل عن الحق الشخصي، وقبل كل هذا بالرحمة، التي هي القيمة المركزية للإسلام، ما يدل عليه مخاطبة الله سبحانه وتعالى للرسول الكريم قائلاً له: «وإنك لعلی خلق عظیم».

اما كرامة الانسان فهو مفهوم مؤسس لمعنى الإنسان وجوهره، ومعبر عن ذاته ووجوده، خلق الله الإنسان وكرمه على كافة الخلائق التي أوجدها على هذا الكون وميزه بالعقل والفكر، ومن خلالهما سخر له جميع ما تحويه الأرض من خيرات ولا يمكن التفكيك بين ذات الإنسان ووجوده وبين كرامته، الفطرة النقية والعقل السليم لا يمكنهما تصور الإنسان بدون هما، ولذا يعتبر العقلاء كرامة الإنسان المظهر الأجلى للإنسانية، وبدونها لا يمكن تعريفه بالإنسان، ولهذا أيضاً يعتبر الإنسان مسألة الكرامة مسألة مساوية لوجوده، وهو لذلك مستعد للتضحية بوجوده الجسدي وممتلكاته المادية من أجل كرامته المعنوية والاعتبارية التي لا تتحقق إنسانيته بدونها. وتجسدت مدرسة الامام الرضا (ع) فقد اخذت تحتّ الناس بالاستمرار على العفو واللين وعدم ردّ الاساءة بمثلها، والعطف على المساكين والتواضع لهم والحفاظ على كرامتهم

أما المنهج: لقد استخدم في هذا الباحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يتماشى مع الشواهد التاريخية التي قدمها الامام الرضا (ع) في تعامله مع التسامح واحترام الكرامة الانسانية.

وياتي السؤال الرئيسي للبحث ماهو موقع التسامح واحترام كرامة الانسان في المدرسة الرضوية ؟

اما الدراسات السابقة: فهي دراسة، هاشم معروف الحسني في كتابه سيرة الأئمة الاثني عشر، منشورات الامام الرضا (ع) بيروت، ١٩٨٣، وكذلك ياسين حسين العاملي، اصول التعايش مع الآخر، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٨، بالإضافة الى دراسة، محمود قمر، التسامح والاخاء الانساني في الاسلام، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية (القاهرة، ٢٠١٣) هذه الدراسات سلطت الضوء على مفهوم التسامح من الناحية النظرية واغفلت الجوانب الواقعية عند ال البيت عليهم السلام بصورة عامة والامام الرضا (ع) بصورة خاصة وعليه سلط الباحث الضوء على التسامح من الناحية الواقعية واحترام كرامة الانسان عند الامام الرضا (ع)

يهدف البحث الى دراسة التسامح عند الامام الرضا (ع) من جهة ودوره في الحفاظ على كرامة الانسان من الشواهد التاريخية ويتضمن البحث محثين الاول التسامح في الدرسة الرضوية والمبحث الثاني كرامة الانسان عند الامام الرضا (ع) ثم النتائج والتوصيات والمصادر والمراجع

### المبحث الاول: التسامح في المدرسة الرضوية

يمثل تراث أئمة الشيعة أبرز الأسباب الحقيقية التي رسخت فكرة التسامح بين الشيعة وعمقتها. إن المقصود بتراث الأئمة هو تلك الثروة الهائلة والخزيرن الضخم من الأعمال والأقوال الذي خلفه أئمة الشيعة (ع) لأتباعهم، يتبدى تاريخ الشيعة بالإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) سواء في حياة النبي محمد(صلى الله عليه وآله) أو بعد ذلك. وقد اكمل الأئمة (ع) كانوا يؤكدون على اللأعتف عبر أحاديثهم الشريفة وسيرتهم الطاهرة، ومن ضمنهم الامام الرضا الذي سار على النهج الاسلامي الذي يدعو الى التسامح وقبول الآخر، وسوف نوضح المحاور التي طبقها الامام الرضا (ع) في مسيرته الحياتة وتطبيقه مبدا التسامح والعفو عن الاخرين وسياسة اللأعتف التي اتخدها.

قانون اللاعنف والعفو والتسامح، إنّ الإسلام الذي جاء به رسول الإنسانية (صلى الله عليه وآله) وقدمه ذلك التقدّم الملحوظ حمل بين طبيّاته عدّة قوانين مهمّة عملت على نشره في شتّى أرجاء العالم الأكبر، فمن أشهر هذه القوانين المهمّة التي كان لها دور طائل في تقدّم المسلمين ونجاحهم في مختلف الميادين هو قانون: اللين واللاعنف الذي أكّدت عليه الآيات المباركة فضلاً عن الأحاديث الشريفة الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) قال الإمام الرضا (عليه السلام): ما التقت فتتان قط إلا نصر أعظمهما عفواً<sup>(١)</sup> وخلاصة القول ان الامام الرضا عليه السلام قد كان رائداً للتسامح بين الناس وصاحبة مدرسة في هذا المجال مستوحاة من جده رسول الله (ص) وال البيت الاطياب

التسامح وقبول الاخر من خلال الزواج بغير العربيات، ففي الوقت الذي شاعت فيه بين العرب المسلمين ظاهرة الحط من الموالى، وفي الوقت الذي كان ينظر إليهم على أنهم أقل منزلة اجتماعياً وإنسانياً وإن مبدأ المساواة في التعامل مع القوميات المختلفة سيصبح مبدأً شيعياً متصلاً مع مرور السنين، ويجدد الإمام الرضا (عليه السلام) هذا التقليد الجديد ليتزوج من امرأة نوبية تدعى سبيكة، المرأة التي شاء لها الله أن تكون أم الإمام الجواد (عليه السلام)<sup>(٢)</sup> وخلاصة القول في هذا الاتجاه ان الامام الرضا (ع) لايفرق بين غني ولا فقير ولا اسود ولا ابيض فكل الناس عنده سواسية كاسنان المشط.

كما أشاد القرآن الحكيم بأهميّة اللاعنف ومدى تأثيره في نشر الإسلام العزيز، كذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله) والأئمّة الأطهار (عليهم السلام)، فهم أخذوا يحفّون الناس باستمرار على العفو واللين وعدم ردّ الاساءة بمثليها. فالرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) من خلال أحاديثهم الشريفة الداعية إلى نبذ العنف وترك ردّ الاساءة للغير ربّوا المسلمين على السماحة واللين، الأمر الذي أخذ بأيديهم نحو التقدّم والرفق بعد أن كانوا أذلة خاسئين يخافون أن يتخطّفهم الناس من حولهم. يقول الأبي: دخل رجل على المأمون أراد ضرب عنقه، والرضا حاضر.

فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟ فقال: أقول: إنّ الله لا يزيدك بحسن العفو إلا عزاً. فعفا عنه<sup>(٣)</sup>. وخلاصة القول ان الحلم والورع اذا انتشر في صفوف الناس شاع التسامح والايمان بالآخر بين التجمعات البشرية الصفح الجميل: قال الإمام الرضا: في قول الله تعالى: " فاصفح الصفح الجميل" قال: عفو بغير عتاب<sup>(٤)</sup>. التعامل الراقي مع من أساء إليك وهو أن تعفو عنه وتتجاوز اساءته فلا تعاقبه عليها. ولكن هناك تعاملاً أكثر رقياً وهو أن تصفح عنه أي أن تنس اساءته كلياً وتعفو عنه ولا تعاتبه إطلاقاً. معنى الصفح الجميل؟ قال الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام: في تفسير قوله تعالى: ﴿... فَأَصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾. قَالَ: "عَفْوٌ بِغَيْرِ عِتَابٍ"<sup>(٥)</sup>. وخلاصة القول ان الصفح الجميل هي من سمات المسلم الحقيقي الذي يكضم الغيظ ويعفو عن الناس

(١) الكليني، محمد بن يعقوب (ت، ٣٢٩هـ) الكافي، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، المطبعة: حيدري، الناشر: دار الكتب الإسلامية - (طهران، ١٣٦٧ ش) ٢ / ٢ - ١٠٨

(٢) علي عاشور، موسوعة أهل البيت، دار نظيرعبود للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت - لبنان، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م) ج ١٦، ص ١٤.

(٣) عطارد، عزيز الله، مسند الإمام الرضا أبي الحسن علي بن موسى عليهما السلام الجزء الأول المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، مؤسسة طبع ونشر أستان قدس الرضوي، ربيع الاخر ١٤٠٦ هـ، ج ١، الصفحة من حياة الإمام الرضا، ص ١١١

(٤) الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمي (ت، ٣٨١هـ) الأمالي تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - الطبعة: الأولى مؤسسة البعثة (قم، ١٤١٧هـ)، ص ١٣١

(٥) الري شهري، محمد، ميزان الحكمة، تحقيق، دار الحديث، (قم، ١٤١٦هـ)، ج ٣، ص ٣١٤



كان الامام الرضا (ع) عظيم الحلم والعفو، ويذكر من حلمه أن قائداً من أتباع بني العباس يسمى به (الجلودي) أمره هارون الرشيد بأن يذهب إلى المدينة ويسلب نساء آل أبي طالب، ولا يدع على كل واحدة منهمن إلا ثوباً واحداً، ففعل الرجل، مما أثار سخطاً عظيماً عند الإمام الرضا (ع)، ولكن بعد أن عهد إلى الإمام الرضا بولاية العهد عارض ذلك الجلودي ونقم من بيعة الإمام فغضب عليه المأمون، وأخرجه يوماً ليقتله من بعد أن قتل اثنين قبله فلما تمثل أمامه شفع له الإمام الرضا عند المأمون وقال: "يا أمير المؤمنين هب لي هذا الشيخ". فظن الجلودي أنه يعين عليه، فأقسم على المأمون ألا يقبل قوله. فقال المأمون والله لا أقبل قوله فيك، وأمر بضرب عنقه (١) وخلاصة القول، لقد اختبر المأمون البيت العباسي فلم يرى فيهم احلم ولا اصالح ولا افضل ولا اروع من الامام الرضا (ع)

وحَدَّد (ع) المفهوم الحقيقي للتواضع والعفو، والذي هو حركة سلوكية شاملة، تبتدأ بالنفس وتنتهي بالمجتمع، فقال: (التواضع درجات، منها: إن يعرف المرء قدر نفسه فينزلها منزلتها بقلب سليم، ولا يحب أن يأتي إلى أحد إلا مثل ما يؤتى إليه، إن رأى سيئة درأها بالحسنة، كاظم الغيظ، عاف عن الناس، والله يحب المحسنين) (٢). وخلاصة القول ان الامام الرضا قد جسده بسلوكه المفهوم الحقيقي للتواضع والعفو وكان يضرب الأمثال في خطوات الإصلاح ويقص قصص الصالحين لتبقى شاخصة في العقول والنفوس، ومما جاء في ذلك قوله (عليه السلام): (إن رجلاً كان في بني إسرائيل عبداً لله تبارك وتعالى أربعين سنة، فلم يقبل الله منه، فقال لنفسه: ما أتيت إلا منك، ولا الذنب إلا لك، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: ذمك نفسك أفضل من عبادة أربعين سنة) (٣). وخلاصة القول ان الله نبارك يحث العبد المسلم على معرفة الانسان ذنوبه والدعاء لله ان يغفرها جميعاً لأن الله غفار الذنوب

كتب الإمام بخطه على ظهر كتاب العهد كتاباً جاء فيه: (... أنه جعل إليَّ عهده والإمرة الكبرى إن بقيت بعده... وخوفاً من شتات الدين واضطراب أمر المسلمين، وحذر فرصة تنتهز وناعقة تبتدر؛ جعلت لله على نفسي عهداً إن استرعاني أمر المسلمين وقلدني خلافة العمل فيهم... أن أعمل فيهم بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله (صلى الله عليه وآله)، ولا أسفك دماً حراماً، ولا أبيع فرجاً، ولا مالاً إلا ما سفكته حدوده، وأباحته فرائضه، وأن أتخير الكفاة جهدي وطاقتي... وإن أحدثت أو غيرت أو بدلت كنت للعزل مستحقاً، وللنكال متعرضاً... وما أدري ما يفعل بي وبكم، إن الحكم إلا لله، يقص الحق وهو خير الفاصلين...) (٤). وخلاصة القول ان الامام الرضا (ع) كان قد وضع معايير وضوابط على نفسه اولا ومن خلالها يتعرف المسلمون على المدرسة الرضوية التي تتميز بالعفو والتسامح واحترام كرامة الانسان

حرية الإمام (عليه السلام) في مناظرة أهل الأديان والمذاهب، وإشاعة روح التسامح في قبول الآخر، حيث منح المأمون نوعاً من الحرية للإمام (عليه السلام) للتحدث بما يؤمن به من أفكار ومعتقدات وآراء سياسية،

(١) الامين، محسن، في رحاب أئمة أهل البيت، دار التعارف للمطبوعات، (بيروت، ١٩٩٢م، ص ١٠٨.

(٢) الكليني، الكافي: ٢ / ١٢٤.

(٣) الحميري، أبي العباس عبد الله بن جعفر، من اعلام القرن الثالث الهجري، قرب الإسناد، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة: الأولى (قم، ١٤١٣ هـ) ص ٣٩٢.

(٤) ابن الصباغ، علي بن محمد أحمد المالكي (المتوفي، ٨٥٥هـ) القصول المهمة في معرفة الأئمة، حققه ووثق أصوله وعلق عليه سامي الغريبي، دار الحديث، (قم، ١٣٧٩هـ) ص ٢٥٨ - ٢٥٩؛ وانظر صورة الكتابين في الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت، ٣٨١ هـ) عيون أخبار الرضا عليه السلام، تحقيق: تصحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت - لبنان، ١٤٠٤ - ١٩٨٤ م) ٢ / ١٥٤ - ١٥٩.

وأمر المأمون الفضل بن سهل أن يجمع للإمام (عليه السلام) أصحاب المقالات: ومنهم: الجاثليق وهو رئيس الأساقفة، (معزّب: كاثوليك) ورأس الجالوت عالم اليهود، ورؤساء الصابيين، وعظماء الهنود من أبناء المجوس، وأصحاب زردشت، وعلماء الروم، والمتكلمين، وقد احتج الإمام (عليه السلام) بالكتب المعتمدة عندهم، وقد اعترف الجميع بأعلمية الإمام (ع)، بعد أن فند حججهم، فأذعنوا لقلوه، واعترفوا بصحة أفكاره وآرائه. وبعد جدال ونقاش طويل قال الجاثليق: (القول قولك، ولا اله إلا الله) (١). وخلاصة القول ان الامام الرضا (ع) قد اشاع روح التسامح وقبول الاخر في مناظرته لاهل الاديان والمذاهب.

التسامح وقبول الاخر في فكر الامام الرضا (ع) وفي مجلس آخر جمع المأمون عدداً من علماء الأديان وأهل المقالات، فلم يتكلم أحد إلا وقد ألزمه الإمام (ع) حجته، وقام إليه علي بن محمد بن الجهم، وأثار الشبهات حول عصمة الأنبياء (عليهم السلام) اعتماداً على الآيات المتشابهة الواردة في القرآن الكريم، وأثار الشبهات حول عصمة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فأجاب الإمام (عليه السلام) وأزال الشبهات عن ذهنه، واثبت له بالعقل والنقل عصمة جميع الأنبياء (عليهم السلام)، فبكى علي بن محمد بن الجهم وقال: يا ابن رسول الله أنا تائب إلى الله عز وجل من أن انطق في أنبياء الله (عليهم السلام) بعد يومي هذا إلا بما ذكرته (٢). وخلاصة القول ان الامام الرضا قد جسّد التسامح وقبول الاخر في ظل عصر من العصور العباسية المتعدد المذاهب والديانات

نشر مفاهيم اهل البيت وفضائلهم وتسامحهم وعفوهم عن المسيء، سأل المأمون الإمام الرضا (عليه السلام) أن يكتب له محض الإسلام على سبيل الإيجاز والاختصار، فكتب إليه أصول العقائد ومنها الإمامة، ومما جاء في ذلك الكتاب: (وأن الدليل بعده والحجة على المؤمنين والقائم بأمر المسلمين والناطق عن القرآن، والعالم بإحكامه، أخوه وخليفته ووصيه ووليته، والذي كان منه بمنزلة هارون من موسى، علي بن أبي طالب (عليه السلام) أمير المؤمنين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين، وأفضل الوصيين، ووارث علم النبيين والمرسلين، وبعده الحسن والحسين سيّد شباب أهل الجنة) (٣). وخلاصة القول ان الامام الرضا (ع) قد اشاع افكار اهل البيت عليهم السلام في العفو والتسامح

وضّح الإمام (ع) مفاهيم الإمامة ومن ضمنها افكار التسامح ومسؤوليات الإمام فقال: (إن الإمامة أس الإسلام النامي وفرعه السامي، بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وتوفير الفيء والصدقات وإمضاء الحدود والأحكام ومنع الثغور والأطراف، الإمام يحلّل حلال الله ويحرم حرام الله، ويقم حدود الله ويذب عن دين الله ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة البالغة) (٤). وخلاصة القول لقد تمكن الامام الرضا (ع) من توضيح افكار التسامح ودور الامام في نشر العفو والاصلاح بين الناس

(١) ابن شهر اشوب، رشيد الدين ابي عبدالله محمد بن علي، (ت، ٥٨٨هـ) مناقب آل أبي طالب، تحقيق علي السيد جمال اشرف الحسيني، المكتبة الحيدرية، (قم المقدسة، ١٣٩٠هـ) ٤ / ٣٥٢.

(٢) الطبرسي أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب (المتوفى، ٥١٠هـ)، الاحتجاج، تحقيق: تعليق وملاحظات: السيد محمد باقر الخرسان، منشورات دار النعمان للطباعة والنشر حسن الشيخ إبراهيم الكتبي، مطابع النعمان (النجف الأشرف ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م) ٢ / ٤٢٣..

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: مؤسسة الوفاء، ط٢ (بيروت لبنان ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ٦٨ / ٢٦٣،

(٤) الطبرسي، الاحتجاج ٢ / ٤٤١ - ٤٤٢.

في مجال اصلاح القضاء باتجاه رؤية الامام (ع) في العفو والتسامح، كان المأمون يجلس في ديوان المظالم يوم الاثنين ويوم الخميس، ويجلس الإمام (عليه السلام) إلى جانبه الأيمن، فرفع إليه أن صوفياً من أهل الكوفة سرق، فأمر بإحضاره فأرى عليه سيماء الخير فقال: سوءاً لهذه الآثار الجميلة بهذا الفعل القبيح، فقال الرجل: فعلت ذلك اضطراراً لا اختياراً، وقد منعت من الخمس والغنائم، فمنعتني حقي وأنا مسكين وابن السبيل وأنا من حملة القرآن. فقال المأمون: لا أعطل حداً من حدود الله وحكماً من أحكامه في السارق من أجل أساطيرك هذه. قال: فابدأ أولاً بنفسك فظهرها ثم ظهّر غيرك، وأقم حدود الله عليها ثم على غيرك. فالتفت المأمون إلى الإمام (عليه السلام) فقال: ما تقول؟ فقال (عليه السلام): (إنه يقول سرتك فسرق). فغضب المأمون ثم قال: والله لأقطعنك. قال الرجل: أتقطعني وأنت عبد لي؟ أليس أمك اشتريت من مال الفيء، فأنت عبد لمن في المشرق والمغرب من المسلمين حتى يعتقوك وأنا منهم وما أعتقتك، والأخرى أن النجس لا يطهر نجساً وإنما يطهره طاهر، ومن في جنبه حداً لا يقيم الحدود على غيره حتى يبدأ بنفسه... فالتفت المأمون إلى الإمام (عليه السلام) فقال: ما تقول؟ قال (عليه السلام): (إن الله عزّ وجلّ قال لنبيه: (قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ) (١) وهي التي تبلغ الجاهل فيعلمها بجعله كما يعلمها العالم بعلمه، والدنيا والآخرة قائمتان بالحجة وقد احتج الرجل). فأمر المأمون بإطلاق الرجل الصوفي (٢) وخلاصة القول ان الامام الرضا (ع) قد استطاع توجيه القضاء الوجهة الصحيحة القائمة على التسامح والعفو

كان الإمام يتدخل في مثل هذه القضية دفاعاً عن المظلومين والمحرومين والعفو عنهم والتسامح، وتطبيق أحكام القضاء طبقاً للمنهج الإسلامي السليم، ففي أحد الأيام أدخل إلى المأمون رجلاً أراد ضرب عنقه والإمام (عليه السلام) حاضر، فقال له المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟ فقال: (أقول إن الله لا يزيدك بحسن العفو إلا عزاً)، فاتبع المأمون قول الإمام (عليه السلام) وعفى عنه (٣)

شواهد تاريخية عن العفو والتسامح عند الامام الرضا (ع)، أتت المأمون بنصراني قد فجر بها شمية، فلما رآه المأمون أسلم النصراني؛ فغاضه ذلك، وسأل الفقهاء فقالوا: أهدر الإسلام ما قبل ذلك، فسأل المأمون الرضا (عليه السلام) فقال: (اقتله؛ لأنه أسلم حين رأى البأس؛ قال الله عزّ وجلّ: (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسًا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ (٤) (٥) خلاصة القول ان الشواهد التاريخية هي التجارب الواقعية التي عاشها الامام الرضا (ع) في واقع المجتمع واستطاع بحكمته اشاعة العفو والتسامح

في إصلاح الأعمال الإدارية في اطار المنهج الاسلامي السليم: لم يتدخل الإمام (عليه السلام) في الشؤون الإدارية إلا في الحالات التي كان يجد فيها مصلحة إسلامية عامة تخص الإسلام والمسلمين، وتمنع الأعداء من اختراق الجهاز الإداري أو الحكومي، فكان يبدي نصائحه وتوجيهاته القيمة في هذا المجال. ومن هذه الشؤون، تعيين الولاة الذين أسلموا حديثاً، ففي ذات مرة دخل الفضل بن سهل على المأمون وقال له: قد وليت

(١) سورة الأنعام، الآية، ١٤٩

(٢) الصدوق، عيون أخبار الرضا: ٣٣٧/٢ - ٣٣٨؛ ابن شهر اشوب، مناقب آل أبي طالب، ٤/ ٣٩٨ - ٣٩٩؛ المجلسي، بحار الأنوار: ٢٨٨/٤٩

(٣) (الابي، أبي سعد منصور بن الحسين الابن، (المتوفي، ٤٢١هـ) — نثر الدر، تحقيق، منيرة محمد المدني، دار النشر، المكتبة الأزهرية التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب (مصر، د، ت) ١ / ٣٦٢.

(٤) سورة غافر، الآية، ٨٤

(٥) الابي، نثر الدر: ٣٦١/١ وعنه المجلسي، بحار الأنوار: ١٧٣/٤٩.

الشعر الفلاني فلاناً التركي، فسكت المأمون، فقال الإمام (عليه السلام) : (ما جعل الله تعالى لإمام المسلمين وخليفة رب العالمين القائم بأمر الدين، أن يولي شيئاً من ثغور المسلمين أحداً من سبي ذلك الثغر، لأن الأنفس تحنّ إلى أوطانها، وتشفق على أجناسها، وتحب مصالحها، وإن كانت مخالفة لأديانها)، فقال المأمون: اكتبوا هذا الكلام بماء الذهب<sup>(١)</sup> وخلصه القول ان الإمام أعطى قاعدة كليّة في شؤون تعيين الولاة وأمراء الثغور، وليس ذلك اعترافاً بإمامة المأمون، وإنّما هو وضع قاعدة كلية لمطلق إمام المسلمين والذي ينصرف إلى الإمام العادل.

قيام الامام الرضا (ع) بالرد على الانحرافات الفكرية بروح علمية ومنسجمة مع منهج ائمة اهل البيت (ع) في اللانحرف والعمو والتسامح.

ففي ردّه على المشبّهة قال (ع) : (إلهي بدت قدرتك ولم تبد واهية فجهلوك، وقدرتك والتقدير على غير ما به وصفوك وإنّي بريء يا إلهي من الذين بالتشبيه طلبوك ليس كمثلك شيء)<sup>(٢)</sup> وفي ردّه على المجبرة والمفوضة قال (عليه السلام) : (من زعم أن الله يفعل أفعالنا ثم يعذبنا عليها، فقد قال بالجبر، ومن زعم أن الله عزّ وجلّ فوض أمر الخلق والرزق إلى حججه (عليهم السلام)، فقد قال بالتفويض، والقائل بالجبر كافر، والقائل بالتفويض مشرك)<sup>(٣)</sup> وله ردود عديدة على الغلاة والمجسّمة وأصحاب التفسير بالرأي والقياس، كما أن له ردوداً على الفرق غير الإسلامية كالزنادقة واليهود والنصارى وغيرهم.

وفدّد الإمام (عليه السلام) جميع الروايات التي يعتمد عليها المنحرفون، ووضّح بطلان صدورها عن رسول الله (ص) وأرشد المسلمين إلى الروايات الصحيحة، ففي رده على الرواية المفتعلة والمنسوبة إلى رسول الله (ص) والتي جاء فيها: (أن الله تبارك وتعالى ينزل كل ليلة جمعة إلى السماء الدنيا)، قال (ع) : (لعمرك الله المحرّفين الكلم عن مواضعه، والله ما قال رسول الله كذلك، وإنما قال: إن الله تعالى ينزل ملكاً إلى السماء الدنيا كل ليلة في الثلث الأخير، وليلة الجمعة في أول الليل فيأمره فينادي هل من سائل فأعطيه، هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فاغفر له... حدثني بذلك أبي عن جدي عن آبائه عن رسول الله (ص)<sup>(٤)</sup>، وخلصه القول قام الإمام (عليه السلام) بالرد على جميع ألوان الانحراف الفكري من أجل كسر الألفة بين المنحرفين وبينها، وكان يستهدف الأفكار والأقوال تارة، كما يستهدف الواضعين لها والمتأثرين بها تارة أخرى.

نشر الأفكار السليمة القائمة على المنهج الاسلامي القويم مستلهما ذلك عن احاديث الرسول محمد (ص) وائمة اهل البيت (ع) القائمة على العفو والتسامح ونبذ العنف: أبتدأ الإمام (ع) بالرد على الأفكار المنحرفة ثم أمر بمقاطعة واضعها والقائلين بها والمتأثرين بها؛ لتطويقها في مهدها والحيولة دون استشرائها في الواقع، ثم عمل على نشر الأفكار السليمة لتتم المحاصرة من جميع الجوانب. فكان (ع) يقوم بتفسير الآيات القرآنية التي تتناول أصول وقواعد العقيدة والشريعة، ويهتّم بنشر الأحاديث الشريفة عن آبائه وعن رسول الله (ص) لكي تكون هي

(١) القمي، عباس، الأنوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية، تقديم وتعليق، محمد كاظم الخراساني، دار الاضواء، (بيروت)، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ٢١٩ - ٢٢٠؛ الشامي، جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي، من اعلام القرن السابع الهجري، الدرّ النظيم في مناقب الأئمة الهاميم (عليهم السلام) : مؤسسة النشر الاسلامي، التابعة لجماعة المدرسين (قم المشرفة، ١٤٢٠هـ ق) ٦٨٣،

(٢) الصدوق، عيون أخبار الرضا: ١/ ١١٧.

(٣) المصدر نفسه، ١/ ١٢٤.

(٤) الصدوق، عيون أخبار الرضا: ١/ ١٢٦، ١٢٧.

الحاكمة على أفكار وتصورات المسلمين. وكان يستثمر جميع الفرص المتاحة لتبيان الفكر السليم والمفاهيم الشرعية الصحيحة. ففي مجال التوحيد قال (عليه السلام): (حسبنا شهادة أن لا اله إلا الله أحداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، قيوماً سميعاً بصيراً قوياً قائماً باقياً نوراً، عالماً لا يجهل، قادراً لا يعجز، غنياً لا يحتاج، عدلاً لا يجوز، خلق كل شيء، ليس كمثلته شيء، لا شبه له، ولا ضد، ولا ند، ولا كفو) (١). وصنّف (عليه السلام) أصناف القائلين بالتوحيد فقال: (للناس في التوحيد ثلاثة مذاهب: نفي وتشبيه وإثبات بغير تشبيه، فمذهب النفي لا يجوز، ومذهب التشبيه لا يجوز لأن الله تبارك وتعالى لا يشبهه شيء، والسبيل في الطريقة الثالثة إثبات بلا تشبيه) (٢). وخلص القول ان الامام الرضا (ع) قد استطاع ممارسة دوره في نشر الافكار التي تتسق مع منهج الاسلام الحنيف

الإصلاح الأخلاقي، كان الإمام (ع) يستثمر جميع الفرص المتاحة للإصلاح والتغيير الأخلاقي والاجتماعي وفق روح التسامح والمحبة بين الناس وبناء واقع جديد مغاير لما عليه عامة الناس، ولهذا تعددت أساليبه التربوية الإصلاحية فكانت كما يلي: قام الإمام (ع) بتوجيه الأنظار والقلوب للاقتداء بأرقى النماذج البشرية وهو رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فهو قدوة للحكام باعتباره حاكماً ورئيس دولة، وقدوة للفقهاء، وقدوة لسائر المسلمين من أفراد وجماعات، وخلص القول ان الامام الرضا (ع) استطاع رغم الحالة السياسية السائدة في عصره ان يقدم لنا الوسيلة المثلى للإصلاح الاخلاقي بين افراد المجتمع.

وإذا كانت العباسيون يضيقون الخناق على الإمام (عليه السلام) في حالة التدخل في السياسة فإنها لا تستطيع أن تمنعه من الحديث المتعلق بأخلاق رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخصوصاً أخلاقه كحاكم، ولذا وجد (عليه السلام) الظروف مناسبة للدعوة إلى الاقتداء به (صلى الله عليه وآله)، فقد كان يذكر الأحاديث عن أجداده حول أخلاق رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومن تلك الأحاديث التي رواها: قال رسول الله (ص) (المستتر بالحسنة يعدل سبعين حسنة، والمذيع بالسيئة مخذول، والمستتر بها مغفور له) (٣). وخلص القول كان (عليه السلام) يدعو إلى التمسك بمكارم الأخلاق ومحاسنها، ويعمق هذه الدعوة من خلال نشر أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) التي ترسم للمسلمين المنهج السلوكي السليم

### المبحث الثاني: كرامة الانسان عند الامام الرضا (ع)

ويراد بالكرامة: امتلاك الإنسان بما هو إنسان للشرف والعزة والتوقير. فلا يجوز انتهاك حرمة وامتهان كرامته، فالإنسان مخلوق مكرم، قد فضله الله تعالى على كثير من خلقه.. {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} (٤)، وهي كرامة طبيعية متع الله تعالى كل أفراد الإنسان بها. وهناك كرامة إلهية تختص بمن اتقى الله تعالى حق تقاته: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ} (٥). وفي هذا المحور ندرج الجوانب الأخلاقية المتعلقة بدور الامام الرضا (ع) في تعزيز كرامة الانسان.

(١) الحرائي ابن شعبة (ت، القرن الرابع) تحف العقول، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري مؤسسة النشر الاسلامي (التابعة) لجماعة المدرسين، الطبعة الثانية (قم المشرفة، ١٣٦٣هـ) ٣١٠

(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ٣ / ٢٦٣

(٣) (الكليبي، الكافي: ٢ / ٤٢٨).

(٤) سورة الاسراء الآية ٧٠

(٥) سورة الحجرات: الآية، ١٣

سمو اخلاق الامام الرضا (ع) وتكريم الانسان لقد سعى الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) إلى قشع العتمة التي تُخيم على عقول بعض الناس وواجه السذاجة الفكرية وفضح التحريف الذي يحصل في المنابع المعرفية. (١) ومن سموّ أخلاقه أنه إذا جلس على مائدة أجلس عليها مماليكه حتى السائس والبواب وقد اعطى بذلك درساً لهم، لقاء التمايز بين الناس، وانهم جميعاً على صعيد واحد، ويقول إبراهيم بن العباس: سمعت علي بن موسى الرضا (عليه السلام) يقول: « حلفت بالعتق، ولا احلف بالعتق إلا أعتقت رقبة، وأعتقت بعدها جميع ما املك، ان كان يرى أنه خير من هذا، وأوماً إلى عبد أسود من غلمانة، إذا كان ذلك بقرابة من رسول الله (صلى الله عليه واله)، إلا أن يكون له عمل صالح فأكون أفضل به منه » (٢) وهذا إبراهيم بن العباس يقول عن مكارم أخلاقه: ما رأيت، ولا سمعت بأحد أفضل من أبي الحسن الرضا (عليه السلام)، ما جفا أحداً قط، ولا قطع على أحد كلامه، ولا ردّ أحداً عن حاجة، وما مدّ رجله بين جلوسه، ولا اتكأ قبله، ولا شتم مواليه ومماليكه، ولا فهقه في ضحكة، وكان يجلس على مائدته مماليكه ومواليه، قليل النوم بالليل، يحيي أكثر لياليه من أولها إلى آخرها، كثير المعروف والصدقة، وأكثر ذلك في الليالي المظلمة (٣) تكريمه للضيوف: كان (عليه السلام) يكرم الضيوف، ويغدق عليهم بنعمه واحسانه وكان يبادر بنفسه لخدمتهم، وقد استضافه شخص، وكان الإمام يحدثه في بعض الليل فتغير السراج فبادر الضيف لأصلاحه فوثب الإمام، وأصلحه بنفسه، وقال لضيفه: « إننا قوم لا نستخدم أضيافنا » (٤). و خلاصة القول ان الامام (ع) كان يتمتع بسمو الاخلاق والتواضع وخدمو الناس، وباسناده قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) (من يحسن النفقة فله حسنة) (٥)

عتقه للعبيد:، وتحريهم من العبودية، ويقول الرواة: انه اعتق ألف مملوك (٦). احسانه إلى العبيد: وكان الإمام (عليه السلام) كثير البر والاحسان إلى العبيد، وقد روى عبد الله بن الصلت عن رجل من أهل (بلخ)، قال: كنت مع الإمام الرضا (عليه السلام) في سفره إلى خراسان فدعا يوماً بمائدة فجمع عليها مواليه، من السودان وغيرهم، فقلت: جعلت فداك لو عزلت لهؤلاء مائدة، فأنكر عليه ذلك وقال له: « مه ان الرب تبارك وتعالى واحد، والام واحدة، والأب واحد والجزاء بالأعمال. » (٧). و خلاصة القول ومن أحب الأمور إلى الإمام الرضا (عليه السلام) عتقه للعبيد، ويقول الامام الرضا (ع) عجبت لمن يشتري العبيد بماله فيعتقهم، كيف لا يشتري الاحرار بحسن خلقه (٨)

ان سيرة الامام الرضا (عليه السلام) كانت تهدف إلى الغاء التمايز العرقي بين الناس، وانهم جميعاً في معبد واحد لا يفضل بعضهم على بعض إلا بالتقوى والعمل الصالح كان (ع) يزرع في نفوس الضعفاء والمستضعفين

(١) مركز الرسالة، الحقوق الاجتماعية في الاسلام، سلسلة المعارف الاسلامية، قم المقدسة، د ، ص ١٧-١٨

(٢) الصدوق، عيون أخبار الرضا: ٢ / ٩٦، عنه المجلسي، بحار الأنوار: ٤٩ / ٩٥ -

(٣) الصدوق، عيون أخبار الرضا: ١ / ١٨٤، عنه في المجلسي، بحار الأنوار: ٤٩ / ٩١، ٩٠، عنه في حياة الإمام محمد الجواد (عليه السلام) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الرضا (عليه السلام) الطبعة الأولى (قم المقدسة، ١٣٧٢ هـ) : ٣٥.

(٤) الكليني، الكافي: ٦ / ٢٨٣، عنه في المجلسي، بحار الأنوار: ٤٩ / ١٠٢.

(٥) صحيفة الامام الرضا (ع) تحقيق محمد مهدي نجف، الناشر المؤتمر العالمي للامام الرضا (ع)، مؤسسة السنانة الرضوية المقدسة، ١٤٦ هـ، ص: ٥

(٦) عبدالله بن محمد بن عامر الشيرازي، الاتحاف بحب الاشراف، دار الكتاب الاسلامي، الطبعة الاولى، (١٤٣٣هـ / ق/٢٠٠٢م) : ٥٨.

(٧) الكليني، الكافي: ٤ / ٢٣، عنه في المجلسي، بحار الأنوار: ٤٩ / ١٠١.

(٨) ( الفقه المنسوب الى الامام الرضا (عليه السلام) تحقيق مؤسسة ال البيت (عليهم السلام) لاحياء التراث، الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ/١٠٠١م، ص٣٥٤

الأمل بالحياة الحرة الكريمة البعيدة عن التمايز العنصري والتفاوت الطبقي فكان كثير الإحسان والبر إلى العبيد لكي (لا يتبيخ بالفقير فقره) كما يقول أمير المؤمنين (ع) (١). عن أحمد بن محمد، عن عبد الله بن الصلت، عن رجل من أهل بلخ قال: كنت مع الرضا (عليه السلام) في سفره إلى خراسان فدعا يوماً بمائدة له فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم فقلت: جعلت فداك لو عزلت لهؤلاء مائدة؟ فقال: مه إن الرب تبارك وتعالى واحد والام واحدة والأب واحد والجزاء بالأعمال (٢). وخلاصة القول ان هذا الحديث يعطي دلالة على شخصية الإمام (ع) ومقوماته الأخلاقية التي انسجمت تماماً مع رسالته فجسدها عملاً رسالياً تنسم به قمة الكمال الإنساني وأرتفع إلى مشارف العظمة الذاتية، فحينما يجلس الإمام (ع) إلى مائدته ومن حوله مماليكه وبوابه وسائس دوابه ليس إلا ليعطي الأمة درساً في الإنسانية الفاضلة التي تؤمن بكرامة الإنسان وليعرض نظرية الإسلام عملياً في طبيعة السلوك الذي يجب أن يعتمد عليه الإنسان مهما كان مركزه مع أخيه الإنسان. أما أخلاق الإمام الرضا (عليه السلام) فإنها نفحة من روح الله، وهي تضارع أخلاق جده الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) الذي بعث ليتمم مكارم الأخلاق، وقد حدث إبراهيم بن العباس عن سمو أخلاقه (ع) بقوله: ما رأيت ولا سمعت بأحد أفضل من أبي الحسن الرضا (عليه السلام) ما جفا أحداً قط، ولا قطع على أحد كلامه، ولا ردّ أحداً عن حاجة، وما مدّ رجليه بين جلسيه، ولا أتكى قبله، ولا شتم مواليه ومماليكه، ولا فقهه في ضحكه، وكان يُجلس على مائدته مماليكه ومواليه، قليل النوم للليل، يحبي أكثر لبياليه من أولها إلى آخرها، كثير المعروف والصدقة في السرِّ، وأكثر ذلك في الليالي المظلمة.. (٣).. وخلاصة القول ان الامام الرضا قد اخذ من جده رسول الله (ص) كل الخصال العظيمة التي وهبها الله لرسوله. حيث كان يصنع المعروف للمساكين والفقراء حيث روي عن الامام الرضا (ع) اصطنع المعروف الى اهله والى غير اهله فان لم يكن من اهله فكن انت من اهله (٤) لقد روى المؤرخون صوراً رائعة من مكارم أخلاقه فقد روي أنه لما كان في خراسان وتقلد ولاية العهد، التي هي أرقى منصب في الدولة الإسلامية بعد الخلافة فلم يأمر أحداً من مواليه وخدمه في الكثير من شؤونه وإنما كان يقوم بذاته في خدمة نفسه، وقد احتاج إلى الحمام فكره أن يأمر أحداً بتهيأته، ومضى إلى حمام في البلد لم يكن صاحبه يعرفه فلما دخل الحمام كان فيه جندي فأزال الإمام عن موضعه، وأمره أن يصب الماء على رأسه، ودخل الحمام رجل كان يعرف الإمام فصاح بالجندي هلكت، أتستخدم ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ فدعر الجندي ووقع على الإمام يقتل أقدامه، ويقول: هلا عصيتني إذ أمرتك.. فتبسّم الإمام في وجهه وقال له برفق ولطف: (إنها لمثوية، وما أردت أن أعصيك فيما أثناب عليه..) (٥).

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان، ج ٢ - ١٨٨؛ بقدرنا أنفسهم أي يقبسوا أنفسهم بالضعفاء ليكونوا قدوة للغني في الاقتصاد وصراف الأموال في وجوه الخير ومنافع العامة وتسليق للفقير على فقره حتى لا يتبيخ أي يهيج به ألم الفقر فيهلكه.

(٢) لكليني، الكافي، ج ٨، ٢٣٠.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٩، ص ٣٨ عزير الله عطاردي، مسند الإمام الرضا أبي الحسن علي بن موسى عليهما السلام الجزء الأول المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، مؤسسة طبع ونشر آستان قدس الرضوي، ربيع الآخر ١٤٠٦ هـ، ص ٥٥؛ محمد تقي المدرسي، الامام الرضا (ع) قدوة واسوة، الناشر مكتب العلامة المدرسي، الطبعة الأولى، ١٤١٠، مؤسسة الانسنة الرضوية المقدسة، ص ٣٣.

(٤) الفقه المنسوب الى الامام الرضا (عليه السلام) ص ٣٧٣-٣٧٤.

(٥) الشبلنجي مؤمن بن حسن مؤمن (ت ١٣٠٨ هـ) نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار صلى الله عليه وسلم، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى بالبابي الحلبي وأولاده(مصر، د، ت): ١٣٨.

لقد جاء هذا الشعور الإنساني من الإمام الرضا (ع) تجاه هذا السائل تعبيراً عن المنهج الإسلامي الذي يدعو إلى حفظ كرامة الإنسان وعدم تعريضها للإهانة من أي كان، واعتبر الدفاع عن الكرامة واجباً دينياً ودعا إلى حفظ كرامة الآخرين أيّاً كان جنسهم أو لونهم أو موقعهم الاجتماعي أو طائفتهم أو مذهبهم أو آراؤهم.. فلم يجوز للإنسان أن يهدر كرامة الآخرين بأن يسخر منهم أو أن يحتقرهم أو يهينهم أو أن ينعتهم باللقاب تسيء إليه أو أن يفضح عيوبه خلال غيابه، وحتى رفض الإساءة للآخرين بفكره بأن يظن السوء بهم. (١) وكان (ع) يشتري العبيد ثم يعتقهم بعد أن يعدّم إعداداً تربوياً في داره فقد أعتق ألف مملوك (٢). طول سني حياته، وهذا العدد الكبير له تأثير في سير الأخلاق، حيث يصبح هؤلاء بعد التربية والإعداد الخلقي تياراً من المخلصين الواعين يعمل في وسط الأمة، ويقوم بأداء دور الإصلاح مبتدئاً بنفسه وأسرته ثم المجتمع الكبير. خلاصة القول لقد حرص الامام الرضا (ع) على حفظ كرامة الانسان

### حقوق الانسان عند الامام الرضا (عليه السلام)

تناول الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في ديباجته مسألة الكرامة الفطرية كأساس للحرية الإنسانية، وحقوق الإنسان، "إن الاعتراف بأن الكرامة الفطرية، والحقوق المتساوية وغير القابلة للانتقاص منها لكل أعضاء الأسرة الإنسانية هي أساس الحرية، والعدالة والسلام في العالم" (٣).

لقد كانت اخلاق الامام الرضا (ع) ؛ فهي تمثل واحة خضراء هجير الظلم، لأن التقاء الإنسانية بالإنسانية لأي فرد في حركة المشاعر والأحاسيس، هي التي تهيء الجو النفسي المناسب والملائم للانفتاح على ما تريد طرحه عليه، بينما يكون على العكس وسيلة من وسائل الانغلاق كما كان احترامه ل للإنسان والانسانية ناشئاً. أخلاقه الإسلامية وتربيته الأسرية التي لها أثرها الواضح فيه، والتي كان هدفها حماية الناس من استغلال الآخرين للقيم الروحية والأخلاقية (٤) وكان يحارب الإسراف والتبذير، فعن ياسر الخادم قال: أكل الغلمان يوماً فاكهة، فلم يستقصوا أكلها وروما بها فقال لهم أبو الحسن (ع) : (سبحان الله ! إن كنتم استغنيتم فإنّ إنساناً لم يستغنوا، اطعموه من يحتاج إليه) (٥) وكان ينفق ما يصل إليه من أموال على الفقراء والمعوزين حتى إنه وزع جميع ما يملك في يوم عرفة (٦).

إن حقوق الإنسان هي أوسع مما أوردها الباحثون في أثناء معالجاتهم لموضوع حقوق الانسان فالحقوق عند الامام الرضا (عليه السلام) هي الركن الانساني في نظام العلاقات الاجتماعية كحق الايمان، وحق الحرية، وحقوق المرأة، وحق العلم، وحق الجار... الخ، فيجب علينا كمسلمين أن نؤدي هذه الحقوق للآخرين، كما

(١) عبد المهدي الكربلائي، المواعظ الحسنة، مواضيع اخلاقية من خطب الجمعة الدينية، الطبعة الاول، النجف، ١٤٤١/٢٠٢٠م، ج٣، الخطبة الثالثة والثلاثون ومابعدها؛عبدالله بن محمد بن عامر الشبروي الإتحاف بحب الأشراف: ١٥٥.

(٢) عبدالله بن محمد بن عامر الشبروي، الإتحاف بحب الأشراف: ١٥٥.

(٣) الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، مكتبة حقوق الانسان، جامعة منيسوتا، وتم نشر على الملأ بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ٢١٧ ألف (د-٣٥) المؤرخ في ١٠ كانون الأول/ديسمبر ١٩٤٨، الديباجة

(٤) عبد الكريم جعفر الكشفي، حقوق الانسان في منهج الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام)، في موسوعة سيرة الأئمة الاثني عشر لهاشم معروف الحسيني، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة، العدد ٦٨، ج٥، ص ٢٧٥

(٥) الكليني، الكافي: ٦ / ٣٩٧.

(٦) المجلسي، بحار الأنوار: ٤٩ / ١٠٠، عن ابن شهر اشوب، مناقب آل أبي طالب: ٤ / ٣٩٠.



إن هناك حقوقاً عليهم، ونتيجة لهذه الحقوق السامية والمتبادلة يقوم نظام حقوق الإنسان بين الأفراد، ويجب أن تكون حقوق الله الدائرة الواسعة التي تشمل حق المجتمع الإنساني، وأن حقوق الله هي غير منفصل عن حقوق الناس، بل هم وجهان لعملة واحدة عن أمير المؤمنين (عليه السلام): جعل الله سبحانه حقوق عباده مقدمة لحقوقه، فمن قام بحقوق عباد الله كان ذلك مؤدياً إلى القيام بحقوق الله. (١)

وكان الإمام الرضا (ع) لا يستخدم أحداً من خدامه حتى يفرغ من طعامه (٢) ووصفه إبراهيم بن العباس: ما رأيت ولا سمعت بأحد أفضل من أبي الحسن الرضا (عليه السلام)، ما جفا أحداً ولا قطع على أحد كلامه، ولا ردّ أحداً عن حاجة، وما مدّ رجله بين يدي جليس، ولا اتكئ قبله، ولا شتم مواليه ومماليكه، ولا قهقهه في ضحكة، وكان يجلس على مائدة مماليكه كثير المعروف والصدقة في السر (٣) وخلاصة القول لقد كانت حياة الإمام علي بن موسى الرضا، وأفكاره ومبادئه تشكل أو أواصر احترام إنسانية الإنسان، وحسن التخاطب مع الآخرين، واحترام آرائهم

وهناك مجموعة من الحقوق المتعلقة بالإنسان وردة في سيرة الإمام الرضا (عليه السلام) ومن أبرزها حق الجيرة والالتزام بالواجبات والحقوق لكل إنسان: لقد أكد الإمام الرضا على أهمية الحقوق والواجبات، وحماية الجار وعدم الإساءة وأن رجلاً سأل عن السياسة فقال: ((السياسة أن ترعى حقوق الله وحقوق الأحياء والأموات (٤) لقد أعطى الإمام (عليه السلام) للجار حقوقه وواجباته؛ ومراعاة مبدأ حق الجيرة أكدت عليه الرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) الجوار ثم الدار، الرفيق ثم السفر (٥). لأن الجار باعث إلى الوثاق النفسي والاجتماعي والتعاون فحينما يعيش أفراد المجتمع متجاورين كما طبيعة حياتهم، فإن هذا التجاور الاجتماعي، ينعكس عنه نوع من التقارب الروحي والنفسي، وكذلك التعاون الاجتماعي الإنساني وعلى الالتزام بحقوق الإنسان، والذي هو حب واحترام مصلحة الجميع، وقد أشار الإمام الرضا (عليه السلام) بقوله ليس منا من لم يأمن جاره بوائقه (٦). وخلاصة القول، فإن الاعتراف بحقوق الإنسان والإحسان والتقرب للجار هو من أبرز مظاهر الإيمان.

لقد أكد الإسلام المحمدي ونظام حقوق الإنسان الذي جاء به، أنه لا يجوز لأي فرد كائناً من كان حتى لو كان ملكاً، أو سلطاناً، أو قائداً، أو سياسياً، أو حكومة، أو مجلس شورى أو هيئة أن يضيّق من هذه الحقوق والشرائع التي وهبها الله تعالى للإنسان أو يعدل بها أو يلغيها، فالدين الإسلامي منظومة متكاملة من التعاليم التي لم تكن لتكتفي بجانب مما ذكرنا على حساب الجانب الآخر، إنما يؤمن بأن الحياة يجب تنظيمها ليس

(١) الامدي، ناصح الدين أبي الفتح عبد الواحد بن محمد التميمي (المتوفى: ١١٥٥/٥٥٠م) غير الحكم ودرر الكلم، ترتيب وتدقيق عبد الحسن دهيني المؤسسة الفكرية للمطبوعات، دار الهادي للمطبوعات، والنشر، الطبعة الاولى، (بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ١٨٩-١٩٤؛ محمد الري شهري، ميزان الحكمة: تحقيق، دار الحديث، (قم، ١٤١٦هـ)، ج ١، ٦٦٢.

(٢) الكليني، الكافي: ٦ / ٢٨٩

(٣) الطبرسي، أبي علي الفضل بن الحسن (ت، ٥٤٨ هـ) إعلام الوري بأعلام الهدى، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (قم المقدسة، ١٤١٧هـ) ٦٤/٢ وعنه في الأربلي أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت، ٦٩٣ هـ) كشف الغمة، دار الأضواء (بيروت، د، ت): ١٦/٣ وفي ابن شهر اشوب، مناقب آل أبي طالب: ٤ / ٣٨٩

(٤) الحسن بن هاشم معروف: سيرة الأئمة الاثني عشر: دار التعارف، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة، ١٤٤١هـ/ ١٩٩٠م ج ١، ص ٤٧٣

(٥) الطبرسي، ميرزا حسين النوري الطبرسي (المتوفى، ١١٣٢هـ)، مستدرک الوسائل: تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (بيروت، د ت): ٨ / ٤٢٩

(٦) الصدوق، عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ٢ / ٢٤

بالإيمان فحسب ولكن أيضا بالعلم والعمل والذي تتسع رؤيته للعالم إذ يستوعب، المسجد والمصنع جنباً إلى جنب، ونرى أن الشعوب لا يكفي إطعامها وتعليمها فقط، وإنما يجب أيضا تيسير حياتها، والمساعدة على سموها الروحي<sup>(١)</sup> وعليه يمكن القول إن حقوق الإنسان عن الامام الرضا (ع) تنبع من عقيدة الايمان بالله، وهذه هي من أهم مصادر الحقوق والشرائع والقوانين، وهي من أهم مصادر التشريع على وجه المعمورة، رسالة التوحيد: قال الامام علي بن موسى الرضا الله عن آبائه عن جبريل عن الله عز وجل ((كلمة لا إله إلا الله. حصني، و، ومن دخل حصني؛ فقد أمن عذابي؛ ولكن بشرطها وبشرطها وأنا من شروطها)) (أ)، وأن كل القيم والعلاقات وجميع الافكار والمشاعر وكافة التصرفات الفردية والاجتماعية والحكومية تظل متممة ومحكومة بهذا المبدأ؛ فالتوحيد هو أساس الأول الذي بني عليه الإسلام، وهو من أهم أجل واحسن العقائدية التي تصدرت المفاهيم والتعاليم السماوية على الإطلاق، كما ان التوحيد هو رسالة جميع الأنبياء، ورسالة أغلب المفكرين الكبار الذين كانوا دائما يدعون الناس لقبول التوحيد والإيمان بالله واليوم الآخر وان علماء المسلمين سمّوا المسلمين (أهل التوحيد) بسبب، مكانة التوحيد في الإسلام المحمدي، وقد عدوا التوحيد علامة كل الديانات الابراهيمية كما عد الاعتقاد بالتوحيد أساس معرفة الله تعالى<sup>(٢)</sup>، قال الامام الرضا (ع) التوحيد نصف الدين واستنزوا الرزق من قبل الله بالصدقة<sup>(٣)</sup> وخلاصة القول ان حرية المعتقد التي جاء بها الإسلام المحمدي، هي رابعة من صفحات حقوق الإنسان والتي جسدها الامام الرضا في تعامله مع كافة ابناء المجتمع

### حقوق التعليم والمعرفة

إن من اهم ابواب حقوق الإنسان هو التعلم وطلب العلم، وقال الامام الرضا: في أهمية تحصيل العلم، وأغراضه وشروطه من تعلم العلم ليماري به السفهاء أو يباهي به العلماء أو يصرف وجوه الناس إليه ليرئسوه ويعظموه؛ فليتوبوا مقعده من النار) (٤) فلذلك كان الرضا عليه السلام كواحد من أئمة المسلمين يُرَغَّب أحاد الأمة الإسلامية على الإهتمام بالقرآن وأن يعملوا الامور التالية كوظيفة اسلامية لا ينبغي التخلف عنها<sup>(٥)</sup>.  
وخلاصة القول إن حق العلم عند الامام علي بن موسى الرضا الله يشمل العلم بمعرفة الحقائق الكونية، وإقامة الحججة على هذه الحقائق، وحق التفكير والتأمل والتجربة والعلم بإرسال الرسل والعلم بالدين والشريعة، وكذلك العلم بالعلوم الطبيعية الانسانية، وأن العلم كآية نعم إلهية هو امانة والأمانة تفرض جملة واجبات هي ذكر الله وشكره والسؤال عند اسداء الخدمة للجاهل، والإيمان والتصديق بتحمل العلم والعمل به والاستقامة

(١) علي عزت بيكوفيتش، الإعلان الإسلامي، ترجمة محمد يوسف عدس، دار الشروق، ط١، (القاهرة، ١٩٩٩) ص ٦٦.

(٢) المجلسي: بحار الأنوار، ٤٩ / ١٣٣: عبد الكريم جعفر الكشفي، حقوق الانسان في منهج الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام) ٦٨٣

(٣) مطهري مرتضى، مدخل إلى العلوم الإسلامية، ترجمة حسن علي الهاشمي، مراجعة عبد الجبار الرفاعي، دار الكتاب الاسلامي، (قم المقدسة، ١٤٢٨هـ ق/٢٠٠٧م)، ٥٢

(٤) صحيفة الامام الرضا (ع) تحقيق محمد مهدي نجف، الناشر المؤتمر العالمي للامام الرضا (ع)، مؤسسة الانسانية الرضوية المقدسة، ١٤٦هـ، ٥٢ ص

(٥) الحسيني: سيرة الأئمة الاثني عشر، ص ٤٧٢.

(٦) الشيخ محمّد جواد المرّوّجّي الطّبيسي، السيرة القرآنية للإمام الرضا عليه السلام، الناشر: العتبة الرضوية المقدسة، تاريخ النشر: ١٤٣٠هـ ق، ص ٥

على الحق وتجنب الهوى ونشر العلم؛ لأن زكاة العلم نشره وتجنب كتمانها، وقال المازندراني في شرح أصول الكافي: (العلم والعمل كالروح والجسد يتصاحبان ويتكاملان معاً، وإن كان مرتبة من العلم تستدعي عملاً بحسبه، وكل عمل يهيئ لنوع آخر من العلم) (١)

### اهمية الحوار والشورى وحرية الرأي

يعد الحوار والمشاركة من المبادئ الأساسية في حقوق الإنسان وقال الامام الرضا الله (من استشاره أخوه المؤمن فلم يحضه النصيحة سلبه الله لبه. (٢))

إن الحوار والمشاركة مهمة لاستقرار الأمن وحفظ الدفاع عن حقوق الإنسان والتي هي اسمى الحقوق، وقد نصت قوانين حقوق الإنسان، إن لكل شخص حق التمتع بحرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء من دون مضايقة، وفي التماس الانبياء والأفكار وتلقيها ونقلها إلى الآخرين بأية وسيلة ودونما اعتبار (٣). وخلاصة القول قدم لنا الامام الرضا (ع) الصورة المشرفة للحقوق الانسان والحفاظ على كرامته، في زمن عاشه الامام الرضا (ع) عصر القوة والجبروت والطغيان.

### النتائج والتوصيات

ان سيرة الإمام علي بن موسى الرضا (ع) الذاتية والعلمية، كانت استمراراً على نهج المدرسة المحمدية، والتي نجح من خلال شخصيته الفذة أن ينشر مبادئ التسامح وقبول الآخر واحترام كرامة الانسان، ولقد. حفلت حياة الإمام الرضا (ع) بأنواع من المعاناة و الجهاد والصبر وتحمل جفاء أهل الجفاء، الذي حوله إلى تسامح وايمان بالآخر.

تعددت صور التسامح والعتفو عند الامام الرضا (ع) حيث جسدها الامام (ع) قولاً وفعلاً من خلال الشواهد التاريخية التي اشار اليها البحث فقد كان الامام (ع) عظيم الحلم والعتفو والتسامح واحترام كرامة الانسان، حيث كان الامام الرضا الله محترماً من أغلب معاصريه وله قاعدة شعبية كبيرة، فكان بحق امام التسامح واحترام كرامة الانسان وقبول الآخر، لقد سعى الإمام الرضا (عليه السلام) إلى قشع العتمة التي تُخيم على عقول بعض الناس وواجه السذاجة الفكرية وفضح التعريف الذي يحصل في منابع المعرفة في التواضع وكرام الناس والتعامل معهم بروح اخلاقية مستمدة من القرآن الكريم واحاديث الرسول (ص) وائمة ال البيت (ع)

اهتم الامام الرضا (ع) بمبدأ التكافل الاجتماعي والمساواة بين الرعاية دون أن يعلموا به. وان التكافل الاجتماعي صار مبدا يقدم للفقر والمساكين في المجتمع حيث كان للأمام الرضا (ع) دورا كبيرا في اشاعته، حيث كان ينفق ما يصل إليه من أموال على الفقراء والمعوذين حتى إنه وزع جميع ما يملك في يوم عرفة،

(١) المازندراني محمد صالح (المتوفى، ١٠٨١هـ) شرح أصول الكافي، تحقيق: مع تعليقات: الميرزا أبو الحسن الشعتراني / ضبط وتصحيح: السيد علي عاشور، دار احياء التراث العربي، الطبعة: الأولى (بيروت، لبنان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م) ج ١، ص ١١٥.

(٢) البرقي أحمد بن محمد بن خالد، (ت: ٢٧٤هـ) المحاسن، تحقيق: تصحيح وتعليق: السيد جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية، (قم، ١٣٧٠هـ)، ج ٢ ص ٣٥

(٣) ابن شعبة الحراني: تحف العقول عن آل الرسول، ص ١٤٢؛ محمد نامر، حقوق الانسان الاسرية والسياسية، المكتبة القانونية، (العراق، ٢٠١٣)؛ ١٠٤: الكشفي، حقوق الانسان في منهج الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام)، ص ٧٤

جسد الامام الرضا (ع) مبدا التسامح والعفو والصفح الجميل من خلال تعامله مع الناس وعلى مختلف طبقاتهم واديانهم ومعتقداتهم والتعامل معهم بطريقة انسانية رفعت من كرامة الانسان وعززت ثقته بنفسه وشخصيته في الدنيا.

أكد الإمام الرضا على أهمية الحقوق والواجبات، وحماية الجار وعدم الإساءة اليه واحترام حق الجيرة والالتزام بالواجبات والحقوق لكل انسان: التي عند الامام الرضا (عليه السلام) هي الركن الانساني في نظام العلاقات الاجتماعية كحق الايمان، وحق الحرية، وحقوق المرأة، وحق العلم، وحق الجار

ومن ابرز التوصيات في هذا البحث، ضرورة أن ندرس شخصية الامام الله من خلال كونه مدرسة في التسامح والإيمان بالآخر حققت دماء المسلمين في عصره، فهو بحق ما اشهر رجالات السلام، وكذلك ضرورة وضع مادة دراسية منهجية للطلاب الجامعات تدرس ثقافة التسامح والإيمان بالآخر لتعزيز القواسم المشتركة بينها، ونشر روح التسامح وقبول الآخر، وكذلك تفعيل دور وسائل الإعلام والاتصال الاجتماعي في إشاعة ثقافة التسامح وقبول بالآخر بغض النظر عن اختلاف مذاهبهم ومدارسهم الدينية الفكرية. مع ضرورة إيجاد الأجواء المناسبة في كل مجالات الحياة لتقبل الرأي الآخر، وإشاعة ثقافة التسامح بين أفراد المجتمع.

## المصادر والمراجع

### القران الكريم

- الابى، أبي سعد منصور بن الحسين الآبى، (المتوفى، ٥٤٢١هـ) نـشـر الدر، تحقيق، منيرة محمد المدنى، دار النشر، المكتبة الازهرية التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب(مصر، د، ت)
- الأربلي أبى الحسن علي بن عيسى بن أبى الفتح (ت، ٦٩٣هـ) كشف الغمة، دار الأضواء (بيروت، د، ت)
- الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، مكتبة حقوق الانسان، جامعة منيسوتا، وتمد ونشر على الملأ بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ٢١٧ ألف (د-٣) المؤرخ في ١٠ كانون الأول/ديسمبر ١٩٤٨.
- الامدي، ناصح الدين ابى الفتح عبد الواحد بن محمد التميمي (المتوفى: ١١٥٥/٥٥٠م) غرر الحكم ودرر الكلم، ترتيب وتدقيق عبد الحسن دهيني المؤسسة الفكرية للمطبوعات، دار الهادي للمطبوعات، والنشر، الطبعة الاولى، (بيروت، ٥١٤١٣/١٩٩٢م)
- الامين، محسن، في رحاب أئمة أهل البيت، دار التعارف للمطبوعات، (بيروت، ١٩٩٢م)
- البرقي أحمد بن محمد بن خالد، (ت، ٥٢٧٤هـ) المحاسن، تحقيق: تصحيح وتعليق: السيد جلال الدين الحسيني، دار الكتب الاسلامية، (قم، ١٣٧٠هـ)
- بيكوفيتش، علي عزت، الإعلان الإسلامي،، ترجمة محمد يوسف عدس، دار الشروق، ط١، (القاهرة، ١٩٩٩)
- الحراني ابن شعبة (ت، القرن الرابع) تحف العقول، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري مؤسسة النشر الاسلامي (التابعة) لجماعة المدرسين، الطبعة الثانية (قم المشرفة، ٥١٣٦٣)
- الحسني، هاشم معروف: سيرة الأئمة الاثني عشر: دار التعارف، (بيروت، لبنان، الطبعة السادسة، ٥١٤٤١/١٩٩٠م)
- الحميري، أبى العباس عبد الله بن جعفر، من اعلام القرن الثالث الهجري، قرب الإسناد، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة: الأولى (قم، ١٤١٣هـ)

الري شهري، محمد، ميزان الحكمة، تحقيق، دار الحديث، (قم، ١٤١٦هـ)،  
 الشامي، جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي، من اعلام القرن السابع الهجري، الدرّ النظيم في مناقب الأئمة  
 اللهميم (عليهم السلام): مؤسسة النشر الاسلامي، التابعة لجماعة المدرسين (قم المشرفة، ١٤٢٠هـ ق)  
 الشريف الرضي، نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان،  
 الشبلنجي مؤمن بن حسن مؤمن (ت ١٣٠٨ هـ) نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار صلى الله عليه  
 وسلم، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى بالبابي الحلبي وأولاده(مصر، د، ت)  
 ابن شهر اشوب، رشيد الدين ابي عبدالله محمد بن علي، (ت، ٥٨٨هـ) مناقب آل أبي طالب، تحقيق علي  
 السيد جمال اشرف الحسيني، المكتبة الحيدرية، (قم المقدسة، ١٣٧٠هـ)  
 ابن الصباغ، علي بن محمد أحمد المالكي(المتوفي، ٨٥٥هـ) الفصول المهمة في معرفة الأئمة، حققه ووثق  
 أصوله وعلق عليه سامي الغريزي. دار الحديث، (قم، ١٣٧٩هـ)  
 صحيفة الامام الرضا (ع) تحقيق محمد مهدي نجف، الناشر المؤتمر العالمي للإمام الرضا (ع)، مؤسسة الاساتنة  
 الرضوية المقدسة، ١٤٠٦ هـ

الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت، ٣٨١هـ) عيون أخبار الرضا عليه السلام، تحقيق: تصحيح  
 وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت - لبنان، ١٤٠٤ - ١٩٨٤ م)  
 الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمي (ت، ٣٨١هـ) الأمالي تحقيق: قسم  
 الدراسات الإسلامية - الطبعة: الأولى مؤسسة البعثة (قم، ١٤١٧هـ)  
 الطبرسي، أبي علي الفضل بن الحسن (ت، ٥٤٨هـ) إعلام الوری بأعلام الهدی، تحقيق مؤسسة آل البيت  
 عليهم السلام لإحياء التراث، (قم المقدسة، ١٤١٧هـ)  
 الطبرسي، ميرزا حسين النوري الطبرسي (المتوفي، ١٣٢٠هـ)، مستدرک الوسائل: تحقيق: مؤسسة آل البيت  
 عليهم السلام لإحياء التراث، (بيروت، د ت)  
 الطبرسي أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب (المتوفي، ٥٦٠هـ)، الاحتجاج، تحقيق: تعليق وملاحظات:  
 السيد محمد باقر الخراسان، منشورات دار النعمان للطباعة والنشر حسن الشيخ إبراهيم الكتبي، مطابع  
 النعمان (النجف الأشرف ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦ م)  
 الطبسي محمّد جواد المروّجي، السيرة القرآنية للإمام الرضا عليه السلام، الناشر: العتبة الرضوية المقدّسة، تاريخ  
 النشر: ١٤٣٠ هـ ق

عاشور، علي، موسوعة أهل البيت، دار نظير عبود للطباعة والنشر (بيروت - لبنان، ١٤٢٧/٥ - ٢٠٠٦ م)  
 عطارد، عزيز الله، مسند الإمام الرضا أبي الحسن علي بن موسى عليهما السلام الجزء الأول المؤتمر العالمي  
 للإمام الرضا عليه السلام، مؤسسة طبع ونشر آستان قدس الرضوي، ربيع الآخر ١٤٠٦ هـ  
 عبدالله بن محمد بن عامر الشبراوي، الاتحاف بحب الاشراف، دار الكتاب الاسلامي، الطبعة الاولى، (١٤٢٣هـ  
 ق/٢٠٠٢م)

القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الرضا (عليه السلام) الطبعة الأولى (قم المقدسة، ١٣٧٢ هـ)  
 الفقه المنسوب الى الامام الرضا (عليه السلام) تحقيق مؤسسة ال البيت (عليهم السلام) لاحياء التراث، الطبعة  
 الثانية، ١٤٣١/٥/٢٠١٠ م

- القمي، عباس، الأنوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية، تقديم وتعليق، محمد كاظم الخراساني، دار الاضواء، (بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)
- الكر بلائي عبد المهدي، المواعظ الحسنة، مواضيع اخلاقية من خطب الجمعة الدينية، الطبعة الاولى، النجف، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م، ج٢، الخطبة الثالثة والثلاثون وما بعدها
- الكشفي، عبد الكريم جعفر، حقوق الانسان في منهج الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام)، في موسوعة سيرة الأئمة الاثني عشر لهاشم معروف الحسن، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة، العدد ٦٨، ج١، الكليني، محمد بن يعقوب (ت، ٣٢٩هـ) الكافي، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، المطبعة: حيدري، الناشر: دار الكتب الإسلامية - (طهران، ١٣٦٧ ش)
- المازندراني محمد صالح (المتوفي، ١٠٨١هـ) شرح أصول الكافي، تحقيق: مع تعليقات: الميرزا أبو الحسن الشعرائي / ضبط وتصحيح: السيد علي عاشور، دار احياء التراث العربي، الطبعة: الأولى (بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)
- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: مؤسسة الوفاء، ط٢ (بيروت لبنان ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م)
- المدرسي، محمد تقي، الامام الرضا (ع) قدوة واسوة، الناشر مكتب العلامة المدرسي، الطبعة الأولى، ١٤١٠، مؤسسة الاستانة الرضوية المقدسة
- محمد ثامر، حقوق الانسان الاسرية والسياسية، المكتبة القانونية، (العراق، ٢٠١٣)
- مركز الرسالة، الحقوق الاجتماعية في الاسلام، سلسلة المعارف الاسلامية، قم المقدسة، د، ت مسند الإمام الرضا عليه السلام، تحقيق: الشيخ عزيز الله العطاردي الخبوشاني الناشر: المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام الأمور الفنية والطبع: مؤسسة طبع ونشر آستان قدس الرضوي، ربيع الاخر ١٤٠٦ هـ مطهري مرتضى، مدخل إلى العلوم الإسلامية، ترجمة حسن علي الهاشمي، مراجعة عبد الجبار الرفاعي، دار الكتاب الاسلامي، (قم المقدسة، ١٤٢٨هـ ق/٢٠٠٧م)

## الديموقراطية والشورى

### شيخ عبدالمنعم الزين<sup>١</sup>

منذ أن تكون المجتمع البشري والناس يتطلعون إلى النظام، بل إلى أفضل نظام يحقق لهم سعادتهم في الأمن ورغد العيش. وقد دأب الأنبياء والمرسلون على محاولة تهذيب النفس البشرية مما يشينها من أمراض تحط من قدرها وتنشر الرعب والفساد في الجسم الاجتماعي، ولإنشاء كيان اجتماعي سليم. إلا أن الناس على مر العصور دأبوا بالمقابل على رفض الإنصياع لتعاليم السماء، والإصغاء إلى نصائح الأنبياء. ومما يبعث على الدهشة أن الأنبياء كانوا باستمرار موضع التهمة من الناس تارة بالجنون، وطوراً بالسحر، وثالثة بكل ما ينفر منهم، ويجعلهم موضع الشك والريبة، وفي النهاية تذهب تعاليم السماء أدراج الرياح.

ومن الغريب أن الناس الذين أعرضوا عن رسالات الأنبياء، راحوا يفتشون عن نُظمٍ غيرها تحمي مجتمعاتهم، فكانت النظم القبلية بكل ما تحمله من عادات وتقاليد نمت وتأصلت في نفوسهم، حتى صورت لهم آلهة من حجر وخشب، سجدوا وقدموا لها القرابين، وجعلوها موضع تقديريهم وكعبة عباداتهم. حتى تفشَّى الظلم الفاحش الذي تبانث عليه القبائل في هدر كرامة الإنسان، مثل وأد الأطفال واسترقاق الناس، وشن الحروب والغزو لا لهدف سوى النهب والسلب، وتبادل الأخذ بالثأر، حتى استشرى بصورة تسمز منها النفوس، وغير ذلك من العادات والتقاليد الجائرة. كما قامت من حين لآخر أنظمة كانت مهدداً لحضارات اختلفت في مراتبها بين الكمال والتخلف، فكانت حضارات الهند والصين والإغريق والفراعنة والفرس والرومان وغيرها الكثير من الحضارات التي انتشرت في البلاد المسكونة آنذاك.

تحكمت بهذه الحضارات أنظمة هي أشبه بأعرافِ تبانث عليها الناس، كما يتبانث اليوم على نُظم يصوغها خبراء في القانون والسياسة والاقتصاد، بل كانت أشبه بِنُظم القبيلة المقيتة. ولما كانت تلك النُظم من نتاج مخيلة الإنسان العاجز عن الإلمام التام بمصالح الشعوب وتعاقب الدهور، على اختلاف أُمزجتها وأفكارها وتقاليدها، وعلى جهل مطبق بالمستقبل وما يصلح للغد، فقد بادت كل تلك النظم رغم تعلق الإنسان بها، وكفاحه من أجلها. وهذا هو ما نشهده اليوم في هذا العصر من تفكك أنظمة وقيام أخرى على أنقاضها، وبالأمس القريب شهدنا بأم أعيننا تفكك الإتحاد السوفياتي. وما جرى للشيوعية من الإنحسار والتخلف ليس ببعيد عن ذاكرتنا. وما نشهده الآن من انهيار للقوى العظمى التي تحكمت بشعوب الأرض ردحاً من الزمن، ثم هي الآن بدأت تتآكل بسرعة لتحل محلها قوى جديدة صاعدة، ستخلفها بلا شك في المستقبل القريب.

١ | زعيم شيعيان در سنغال، نوبسندة ومحقق، elzein.am@outlook.com

وليست التجارب وحدها كفيلاً بإعطاء أكمل النظم، فهي وإن كانت أفضل من نسج الخيال، لكنها تبقى محصورة ضمن المجتمع الذي نشأت فيه، ونجاحها محصور في البيئة التي كانت مرتعاً لها. فنتجارب أمم الشرق قد لا تنفع بلاد الغرب، والعكس كذلك. وعندها فسوف نبقى في دوامة التجارب إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

والأحلام التي دغدغت آمال المفكرين والفلاسفة من عهد أفلاطون إلى يومنا هذا لم تُجد شيئاً في إرساء قواعد مدينة فاضلة واحدة، لما اصطدمت به تلك الأحلام من تنافر مع أطماع الإنسان، ولما ملأ جوانحه من نزعه نحو الشر والعدوان مما لم تهذبها تعاليم السماء. لذا فقد بقيت أحلام الأفلاطونيين رهن الأوراق الصفراء، وفي مخيلة ثلة من البشر لا يصغي إليهم أحد، حتى طغت عليها اليوم أنظمة الحاسوب وضاع الفكر الإنساني في خضم الفوضى العارمة لشتى صنوف الفكر المعاصر، الذي ضح بالدعاية للفكر السقيم.

ولم يتسن لأكثر الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام إنشاء دولة لها نظمها وقواعدها في كل الإتجاهات. وذلك لأسباب كثيرة، منها أن الناس كأنهم تواصلوا بعدم الإذعان للأنبياء، ووقفوا منهم موقفاً عدائياً عنيداً رفضوا فيه كل التعاليم السماوية. نعم ساعدت الأقدار داود وسليمان عليهما السلام فأنشأ دولة لم تكتب لها الحياة طويلاً، وما لبثت أن تمزقت وانهارت بعد أن عاث اليهود بها فساداً.

أما رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد بنى دولة نموذجية تردد صداها في جنبات الدنيا، وكانت مرشحة للإستمرار في حكم العالم بعدل ونزاهة، وتوفير الأمان إلى يوم القيامة، لولا أن لعبت بها أيدي السوء والإنحراف. ومع ذلك فإن نظام تلك الدولة المباركة لا يزال يشع بنوره على العالم، ويتحدى كل النظم والقوانين بسلامته عما يفتك بها من أمراض النقص والنجور، وهو بعد ذلك قادر على ترسيخ العدل والسلام في كل أرجاء المعمورة إذا قرر الناس الإستجابة للدعوة الشريفة. ومن شاء أن يتعرف ذلك فعليه الإطلاع على المنظومة الإسلامية بعيداً عن رياح التعصب والهوى. وأقول دون تعصب ولا مجاملة: إن الدولة الإسلامية المباركة اليوم في إيران هي خير شاهد على إمكانية استيعاب الإسلام لثمار الفكر الحضاري الحديث، ولمسايرة ركب التطور العلمي الهائل بأدق تفاصيله، أقول هذا رغم علمي بما تعانیه الجمهورية الإسلامية من تحديات، ورغم ما تواجهه من مخاطر. وقد شهد القرن العشرون صراعاً مبريراً في الإقتصاد، ريثما تحول إلى فكر عقدي أو مشابه له كالإشتراكية والشيوعية والرأسمالية. ومن الواضح أن الفكر الشيوعي قد دخل مقبرة التاريخ، وأن الفكر الإشتراكي يعاني الأمرين من سكرات النزاع الأخير، أما الرأسمالية فقد دبت فيها أوبئة خبيثة تركتها تترنح تحت وطأتها، حتى باتت على مرمى سهم واحد من الإعلان لسابقتها في ميدان الصراع: {أنتم السابقون ونحن اللاحقون}.

### الخلط بين حق التشريع وتسيير شؤون الدولة

ولعل أهم خطأ فادح وقع فيه المنظرون لحضارة العصر، هو الخلط بين موضوع تسيير عجلة الحياة وشؤون الدولة والمجتمع، وبين موضوع التشريع. وقد أوقعهم هذا الخلط بين الأمرين في متاهات شاسعة، فقد منحوا لأنفسهم حق التشريع في كل الأمور ولكل الأجيال، ونرى أن جيل الإستقلال في دولة كانت مستعمرة يُنظرُ ويصوغ دستوراً وقوانين للأجيال من بعده، ثم يمنح هذا الدستور قدسية تمنع الأجيال القادمة من التصرف به، وإذا قررت تعديله فسوف تجد معارضة شديدة من قبل من لا يرغبون بالتعديل، وممن لهم مصلحة في بقاء الأمر على ما هو عليه، وهذا الوضع يحصل عادة مع أولئك المستفيدين من الدستور الذي كُتِب في ظروف



كانت مؤاتية لهم، فمحتهم امتيازات يرون التنازل عنها اليوم أمرًا في غاية الصعوبة، بل ربما رأوه سألًا منهم تلك الإمتيازات التي حصلوا عليها في ظروف قاهرة كانت لصالحهم. وهم على استعداد للضرب عرض الجدار بكل المخاطر التي تنجم عن مثل هذا التصرف الذي لا يتميز أبدًا عن الدكتاتورية في شيء، بل هو التسلط ومصادرة مصالح الأجيال ورؤيتهم للحياة، وقضاء مبرم على طموح تلك الأجيال القادمة. (١)

### الحديث عن الديمقراطية بين النظرية والواقع العملي

لما كان من الصعب على المرء أن يغض الطرف عما يدور حوله، فإذا قرر البحث حول موضوع ما، فلا بد له من أن يُشرك البحث النظري بأطراف من الواقع العملي، وبخاصة ما إذا كان الموضوع ذا صلة متينة بالواقع المعاش. وموضوع الديمقراطية شديد العلاقة بحياتنا وتحركاتنا، لما لها من أنصار وهواة، رغم اختلاف أهدافهم وتنوع مشاربهم. لذلك، فإن هذا البحث ليس على مستوى التنظير وفلسفة الأمور فحسب، وإنما هو مزيج من الرؤى والنظريات مع ما نعيشه من واقع الحياة. ولهذا فإني ألتمس العذر من القارئ العزيز إذا ما مزجتُ الحديث عن مفهوم الديمقراطية ورؤية أهلها مع ما نراه من تطبيقها العملي لديهم، ثم إمكانية تصديرها إلى شعوب العالم.

### معنى الديمقراطية ونشوءها

كلمة {الديموقراطية} عبارة لاتينية مؤلفة من كلمتين هما: Dêmos ومعناها {الشعب}، و Cratos ومعناها {حكم} ليكون معنى العبارة {حكم الشعب}. وقد وقع التخطيط في أذهان المتحدثين عن الديمقراطية في تعريفها وتحديد مفهومها وسماتها وشروطها. إلا أن الشائع في كلامهم أنها تعني حكم الأغلبية، حتى وإن كانت النسبة بزيادة صوت شخص واحد على الخمسين بالمائة من المقترعين، مقابل نقصان صوت شخص واحد عن الخمسين بالمائة منهم. مما يؤدي إلى أن نصف الشعب يتحكّم بالنصف الآخر ما دام صوت ذلك الشخص المجهول في صالح النصف الحاكم.

وموضوع الديمقراطية نظريًا دائرة واسعة تشمل انتخاب رؤساء الدول وأعضاء مجالس النواب وبعض زعماء المناصب، سواء منها الحكومية أو الشعبية والمنظمات والمؤسسات الأهلية، وسواء منها الرفيعة والمتواضعة. كما تتولى المجالس النيابية إصدار القوانين والشرائع وأساليب الحكم في العرف السائد لدى الدول الديمقراطية، ولهذا سُميت بالمجالس التشريعية. كما أن مجالس النواب هي التي تختار رؤساء الدول في بعض البلدان.

وقد نشأت هذه الفكرة {أن يحكم الشعب نفسه} لدى الأمم التي لا تُقرُّ بوجود خالق لها، أو أنها تعترف به، لكنها لا تجد بين يديها قانونًا مُنزلاً من الخالق ينظم لها حياتها. وإن كان لديها قانون كبعض بلاد العالم الإسلامي فإنها لا تريد الالتزام به. ولعل السبب في نشوء هذه الفكرة هو التعسف والظلم الذي مارسه ملوك العالم عبر القرون، حيث كان الحاكم يُعتبر ظلَّ الله في الأرض، وأن على الناس طاعته طاعة عمياء. بل إن بعض الحكام نصَّب نفسه إلهًا للناس يعبدونه ويقدمون له القرابين، على ما روت كتب السماء، وسجله التاريخ عن فرعون مصر. وإذا كان غير الفرعون من الأكاسرة والقيصرية وسائر ملوك الغرب والشرق لم يعلنوا كونهم آلهة، فإن سيرتهم لم تكن أفضل حالًا من الفرعون. بل إن فرعون كان يحترم مستشاريه ويعمل برأيهم. بينما كان غيره من الملوك لا يبالي برأي الشعب، وهم ينعمون بحياة الرغد والرفاهية وخضوع الشعوب لهم، في الوقت

الذي كانت فيه تلك الشعوب تزرع تحت نير الفقر والجوع والمرض والجهل، مما دفع بها إلى رفض هذا اللون من الحكم والإستبداد، وأشعلت ثورات عصفت رياحها بتلك العروش، كما جرى في فرنسا وتبعتها سائر دول أوروبا، حيث أزيح الملوك وفتحت أبواب السلطة على مصاريعها أمام الشعوب لتحكم نفسها بأسلوب تشم منه ريح الحرية وتنفس نسيمها المنعش.

بعد انهيار عروش العسف والجور بُنيت عروش بديلة، قال عنها أهلها إنها عروش العدل والسلام. ونشأت أحزاب سنّت لأنفسها قوانين من وحي الظروف والأوضاع، ثم راحت في عملية سباق مرير على السلطة، وتنافس شديد على الخدمات، مما أثمر رفاهية في كثير من الميادين الإجتماعية والصحية والثقافية، وفي المقابل جنحت تلك الأنظمة بالشعوب إلى الهاوية في ميادين الأخلاق والسلوك الفردي والجماعي، وصدّرت شرائع أسفّت بالإنسان إلى مستويات ذنيّة يربا الحيوان بنفسه عنها. (١)

كان من الثمار الخبيثة لهذا الوضع أن تمزقت الأسر وتقطعت وشائج القربى، وانسلخت من جوانح الإنسان مشاعر كانت تتّسم بالنّبيل في يوم من الأيام، وألغيت من قواميس الحياة الاجتماعية كلمات كانت تُعبّر عن أخلاق كريمة وأحاسيس شريفة تجاه الأسرة والمجتمع، وكانت تلك الأحاسيس والأخلاق تُحمّل صاحبها مسؤولية جسيمة تجاه أهله ومجتمعه وأمته. ورغم هذا الانزلاق الخطير في السلوك والأخلاق، ورغم ضياع كثير من القيم والمعايير، فقد ظلت أبواق الدعاية ترفع عقائرها بالثناء على الديمقراطية ومكاسبها، وكان الأمة باتت لا تفكر في غير أمنها من جهات محددة حصرت فيها العدوان للإنسان، كالمرض والفقر والجهل، وراحت تتهالك على ما يؤمّن لها الراحة في حياة صاخبة تضج بالطعام والشراب وممارسة الجنس بأبشع صوره، دون تمييز بين الفطريّ منها والشاذّ، ولا بين ممارسته كحاجة إنسانية، وبين ممارسته بأساليب رخيصة تسف بأهلها إلى ما دون مصاف الحيوان. أما الفضيلة بمعناها الفطري فقد باتت من مخلفات القرون البائدة المتخلفة في نظرهم، لا تصلح للنظر في شأنها ولا لتضييع الوقت في البحث عنها ونشر مبادئها بين المجتمع. كما أمست الأحزاب وسيلة سهلة للترّيع على سدة السلطة عبر الديمقراطية، بغض النظر عما فيها من عيوب وثغرات، بل ومن ظلم فاحش في كثير من الأحيان.

والباحث في شأن الديمقراطية ببصيرة نافذة، لا تتحكم فيها الميول والأهواء، ولا تحركها مشاعر التعصب القومي والثقافي، يرى بوضوح صوراً من الظلم الفادح، وألواناً من العنصرية الذميمة، والتسلط على رقاب الشعوب وإبذائها بشراسة دونها شراسة السباع، وعنف دونه عنف منتحلي شرائع الغاب. ولا أرغب الآن في الانسياق مع العواطف وإصدار الأحكام جزافاً على الديمقراطية وأهلها والمطبّلين لها، لكنني أشير إلى ما يجري الآن في عالمنا الذي انتحل التحضر زوراً وبهتاناً، وما تفعله إمبراطورية أميركا من عدوان وجور، تلك الإمبراطورية التي تحكّمها ذئاب تنوعت مشاربها، فمن عنصرية صهيونية لا ترى لسواها حقاً في الحياة، أنشأت منظمات سرية تحكّمت بمراكز القرار في دولة مثل أميركا، إلى بطون أميركية جائعة جرها الجشع إلى نهب ثروات الشعوب، وسلّحها أبسط حقوقها في الحياة الحرة الكريمة. وليس بعيداً عن أعيننا ومسامعنا ما جرى في أفغانستان والعراق وفي غياهب سجون غوانتانامو في كوبا وأبي غريب في بغداد، وما حل من دمار وخراب في الفلوجة وسامراء وسائر مدن العراق، ومن عدم احترام المقدسات في النجف الأشرف وكربلاء. وما يجري حالياً في لبنان وفلسطين والسودان وليبيا، وفي سائر البلاد المنكوبة بالتسلط الغربي الغاشم. كما أن القنوات الفضائية كانت ولا زالت تنشر كل ساعة صور التعذيب البشع على أيدي الإسرائيليين والأميركيين،

ومجندات جيشيهما، وغير ذلك الكثير من المآسي التي تنفطر لها القلوب، ويندى لها جبين الإنسانية حياةً وخجلاً. وإذا كان هذا هو معنى الديمقراطية فيفس ما يعرضوه علينا، بل بففس فكراً أنتج هذا الثمر الخبيث. أعود إلى الحديث عن نظام الديمقراطية وما فيه من عيوب وما تتخلله من ثغرات واسعة. ولناخذ أميركا مثلاً لها، لأنها الرمز الأبرز الذي يحمل لواءها اليوم، ولأنها التي تُجهد نفسها وشعبها في عرض نظامها على العالم، كما تُعرض الإمام في سوق النخاسين. وشتت حروباً ظالمة زرعت الدمار والموت في بلاد لا حول لها ولا طول أمام هذا الوحش الكاسر، كل ذلك بحجة تطبيق الديمقراطية! (١)

وعلى سبيل المثال، تشترط أميركا في المرشح لرئاستها أن يكون قد بلغ سن الأربعين من عمره. بينما لا تشترط فيه رتبة علمية ولا نزاهة أو خُلُقاً، ولا أية مواصفات كريمة تؤهله لحكم أمبراطورية مثل أميركا تريد أن تسن الشرائع والقوانين للعالم كله، وأن تصوغ لشعوب الدنيا منهجاً تعرفه هي، وإن جهلته أمم الأرض كلها ورفضته جملة وتفصيلاً. لذلك فقد تسنم عرشها في زماننا هذا رعاةً بقر تارة، وممثلو سينما طورا، وثالثةً منساقون مع ملذاتهم وشهواتهم حتى اعتدوا على شرف العذارى في مكاتب البيت الأبيض الذي سودته عورات حكامه بالعار والشار. ثم كان للمدمنين على المخدرات والسكر والجريمة نصيب وافر في هذا السلطان. (١)

تُرى، من الذي أوصل هذه النماذج إلى سدة الحكم؟ والجواب سهل للغاية، فإن ديمقراطية أميركا هي السبب. لقد انتمى هؤلاء إلى أحزاب لها نفوذ واسع في الولايات المتحدة، فكان انتخابهم بدعم الأحزاب التي رشحتهم، وكان ترشيحهم بعد توقيع على قوائم من المصالح المالية والسياسية لقيادات الأحزاب. مضافاً إلى جهات عديدة لها أطماعها، مثل ما يسمى بـ {اللوبي الصهيوني}، ومن تجار السلاح والحروب، ومن يضخون بأوطانهم وبأهلهم وبشعوب الأرض كلها ليكدسوا ثروات طائلة. أما سائر أفراد الأمة فهم على قسمين:

١ - النخبة الواعية المنصفة، وهم قلائل، ولا يستطيعون حراكاً بسبب القوانين التي صيغت بعنايةٍ لحبس الأنفاس وكم الأفواه.

٢ - العامة المسكينة الجاهلة والمهيضة الجناح، التي تساق كقطيع الماشية تحت تأثير الضجيج الإعلامي والدعاية الخبيثة. وهذه الشريحة هي الأوسع في المجتمع الأميركي، وهي لا حول لها ولا طول، ولا استقلال لها في الرؤية ولا في إبداء الرأي - وإن كانت هي الأغلبية من حيث العدد - لأنها لا ترى سوى ما يُقدّم لها من الأفكار الجاهزة عبر الإعلام دون بذل أي عناء في التفكير. فهم ينتخبون من لا يعرفونه، ولا علم لهم بسوابقه وسلوكه وأخلاقه. ولو أن أحداً حاول إظهار قبائح المرشح، فإن محاولته ستفشل وتذهب أدراج الرياح في زحمة الضجيج الإعلامي، وكان صرخته لا تزيد عن كونها صدى في وادٍ خال من الناس، ولا تسكنه سوى الطيور والحشرات.

ثم إن الديمقراطية تأخذ بيد صاحب الحظ الأوفر في الإنتخابات العامة إلى سدة الحكم، وبعدها تقبع في زاوية من زوايا الإهمال والنسيان، حتى يحتاج إليها المتاجرون بها في انتخابات أخرى. فالحاكم الجديد هو الذي يختار معاونيه من الوزراء، ويعين من يشاء لإدارات الدولة كلها، ولا يعترض على ذلك أحد، بل لا نرى أحداً يبالي بذلك، ويقول بعض العارفين: إن قرابة خمسة آلاف مسؤول موزعين على مفاصل الدولة في الولايات المتحدة الأميركية يُستبدلون ليلة نجاح الحاكم الجديد، ولا ذنب لهم سوى أنهم تم تعيينهم في

عهد الحاكم الراحل. ثم لا ندري بعد هذا كم هو عدد الذين يُستبدلون من قبل هؤلاء الآلاف الخمسة الجدد، ممن هم تحت أيديهم؟

إن رجال السلطة إذن لا يتم انتخابهم عبر الديمقراطية، وإنما يتم عبر أجهزة تعمل في الظلام بعيداً عن عيون الشعب. ونحن لا نعرف مواصفات هؤلاء، ولا الأسس التي تم اختيارهم عليها. نعم نحن نعلم في النهاية أن شخص الحاكم وحده هو الذي تقلد السلطة عبر الانتخاب - وإن كان قد جر وراءه علناً نائبه الذي لا يقدم ولا يؤخر - وأما سائر قيادات الدولة والناظرين فيها فقد جيء بهم بالأسلوب نفسه الذي يتم في أكثر بلاد العالم تخلفاً وجهلاً. ولا ندري كيف يتمكن صاحب التاج من مراقبة معاونيه؟ كما أننا ندرک مدى تسرع هؤلاء المعاونين إلى اغتنام الفرصة لتحقيق مكاسبهم في أسرع وقت، لأنهم يعرفون جيداً أنهم سيُستبدلون بغيرهم عندما يأتي حاكم جديد.

أشرت خلال كلامي آنفاً إلى أن فوز الأغلبية في الانتخابات (نصف الشعب + ١) على الأقلية (نصف الشعب إلا ١) يعني اختيار الرئيس وحده أو مع نائبه، أما سائر رجال الحكم - وبخاصة الوزراء - إذ يتم تعيينهم من قبل الرئيس أو حزبه في أفضل الحالات. وهذا يعني أن النصف الآخر من الشعب قد عُيِّب عن السلطة في مواقعها العليا. ونتيجة ذلك عدم القدرة على محاسبة الفائزين مهما اقترفوا من الآثام، ومهما ظلموا، بل حتى ولو شنوا الحروب. ويقول بعض المدافعين عن الديمقراطية: (إن الشعب يستطيع الوقوف في وجه الحاكم إذا أخطأ عن طريق المظاهرات، وأن من قواعد الديمقراطية حرية التعبير عن الرأي بالمظاهرات، ولا يستطيع الحاكم منع الناس من ذلك). وهذا الكلام فيه الكثير من الغباء والمغالطة، لأن الشعب الأميركي تظاهر فعلاً ضد الحرب على العراق بما لا مزيد عليه، بل إن شعوب الدنيا كلها تظاهرت، وبلغ عدد المتظاهرين في بعض البلاد ملايين البشر، وبدعم من رؤساء العالم وحكوماته، مثل فرنسا وألمانيا وروسيا، ثم لم ينفع كل ذلك أبداً، ثم كانت الحرب وآثارها البشعة، في القتل، والدمار، والتعذيب، وفضائح السجون، والإعتداء على المقدسات، ونشر الرعب في البلاد، وغير ذلك الكثير من الفظائع. ومُلئت الدنيا بصخب المظاهرات احتجاجاً على ما يجري في العراق من الإهانة للإنسان والإستهانة بحقوقه، ولم ينفع كل ذلك شيئاً قط. والأدهى من ذلك وأمرُّ أن السبب الذي من أجله شُنت الحرب كان مجرد أسطورة من إنتاج خيال أمراء الحرب، وكذباً ونفاقاً على شعوبهم وعلى العالم أجمع. وفي النهاية ذهبت كل المظاهرات والإحتجاجات والإعتراضات وتعب الناس أدراج رياح المتاجرين بالديموقراطية للتسلط على رقاب العباد.

أنا لا أقول إن الديمقراطية خالية من الحسنات، إلا أن سيئاتها أكثر من حسناتها، فهي كالخمر والميسر، فيهما منافع تجارية ومكاسب مالية، إلا أن إثمهما أكبر من نفعهما، إذ فيهما تدمير للأجسام وخراب للبيوت، وحرق للأموال، ونزول من رتبة الإحترام إلى دركات الإهانة. ومن شاء أن يتعرف على صحة ما أقول فليخرج من دائرة الأوهام والخيالات، ولينظر إلى واقع الحياة، وما يدور فيها من آمسي وتلاعب بمقدرات البشر، ولا ينخدع بما يراه من مظاهر كاذبة. وإذا كان لا بد من استخدام الديمقراطية لسبب أو لآخر، فإنما تؤخذ منها الجوانب الحسنة، والتي تتفق مع واقع الأمة وما في خزائنها من عقائد ومبادئ وقناعات وتقاليد. وما خلا ذلك من الجوانب السيئة فلا بد من طرحها، بل وطرح كل ما يتعارض مع خصوصيات الأمة، حيث لا يمكن تجريد الأمم من أخلاقها وأديانها وعقائدها ومبادئها وقناعاتها وتقاليدها بمجرد عرض الديمقراطية عليها مهما كانت ثمينة. ولا يصح أن يغيب عن الذهن أن كل أمة في العالم لها حضارتها الخاصة بها، وهي تعتز بما لديها

من خصوصيات فكرية وثقافية واجتماعية. أما المعتقدات الدينية فإن دون اختزالها من حياة المؤمنين بها خرط القتاد.

والمحاولات الفعلية لفرض الديمقراطية على العالم، بأسلوب واحد لا يراعي خصوصيات كل بلد، هي محاولاتٌ عقيمة، لن تثمر غير المشاحنات والحروب، والدخول في نفق مظلم من تبادل التهم لا نهاية له يملأ حياة البشر بالكراهية والأحقاد. وأميركا اليوم عندما تعرض الديمقراطية بثوبها الأميركي تتهم راضيتها بالتخلف، ولا تلتفت إلى الأسباب الكامنة وراء الرفض، بينما يشعر الراضون لها بالإهانة، حيث لم يُحترم تراثهم، ولا مقدساتهم الفكرية والدينية والاجتماعية، ولا سائر ما يملكونه من ركائز حياتهم التي يرونها كنوزاً يستحيل التفريط بها، أو المساس بأي جانب منها.

ويا حبذا لو أن دعاة الديمقراطية والمنافحين عنها كانوا أكثر تعقلاً ووعياً وإدراكاً وتقديراً لمآل الأمور، فأسقطوا منها سيئاتها وما هو متصل بخصوصيات بلدهم، ثم رسموا من جوانبها الحسنة صوراً شفافة ذات ألوان متعددة تتناسب مع البلد الذي تُصدّر إليه بئس، وتلتئم مع المجتمع الجديد. فتتناغم مع ثقافته وجميع خصوصياته، وعندها لن يشعر الناس أن القادم الجديد يبغى إلغاء كل ما عندهم من فكر وعقيدة وسلوك، وأنه يريد صياغة عقولهم وجميع جوانب حياتهم وعاداتهم وتقاليدهم وتراثهم وقناعاتهم صياغة لا تتصل بماضيهم ولا بما هم عليه. ولكن أيها القارئ العزيز ماذا نصنع بالحمق إذا خالطه الجبروت! وأميركا اليوم تحكمها إدارة حمقاء، وقد تخيل النافذون فيها أن الدنيا ستنصاع لجبروتهم وقوتهم. لكن الحقيقة أن القوة دولةٌ بين الأمم، وأن سنة التاريخ منذ الزمن المومغل في القدم تحكم بأن الله تعالى يهلك ملوكاً ويستخلف آخرين، وأن ضعفاء اليوم ربما كانوا أقوياء الغد، وإن غداً لناظره قريب. ولقد صدق المثل العربي القائل: { إن الحمق داء ما له دواء }.

أما الجولات الإنتخابية التي تثور قبيل الإنتخابات فلا تعدو أن تكون نوعاً من التهريج والفوضى يراد منها كسب الأصوات، وهي أبعد ما تكون عن عرض برامج العمل بجدية. لذا فهي تنسم بكثير من الفوضى والدعاية الكاذبة والمهاترات بين المرشحين، وأكثر ما يغلب عليها طابع الغش والخداع، والكذب على الناس ببرامج وهمية لن ترى النور. (١)

## الشورى في الإسلام

يقودنا الكلام عن الديمقراطية إلى لمحة سريعة حول موضوع الشورى في الإسلام، وهل هي الديمقراطية نفسها؟ أم أنها شيء آخر مشابه لها للوهلة الأولى؟ وأيها أفضل من الآخر، سواء على المستوى النظري أو التطبيقي؟ وهل الشورى لها وجود قانوني حقيقي في النظام الإسلامي؟ أم أنها بصورتها التي يفهمها الناس ما هي إلا من نسج خيالات بعض كتاب المسلمين؟ أم أنها موجودة، ولكن لها موارد خاصة لا تتعداها، وهي لا تشمل كل مفاصل الحياة بما فيها سدة السلطان؟ وأقول بوضوح: إنني لن أنحني لميولي الدينية بسبب كوني مسلماً، وسوف أحاول جهدي أن أتبع الإنصاف في البحث والحكم ما استطعت. وقد رُضت نفسي منذ عهد بعيد على أن تكون الحقيقة هي ضالتي الوحيدة، أتبعها أينما وجدتُها.

الشورى في الإسلام - كما تدل عليه هذه الكلمة في اللغة العربية - تعني الإصغاء إلى آراء المستشارين، وأن كل الناس لهم الحق في الإدلاء بآرائهم، كما هو ظاهر قوله تعالى: { وأمرهم شورى بينهم }، إلا إنه لا بد من

البحث عن موارد هذه الشورى وسعة دائرتها، وعن مدى تأثيرها في القرار، وهل يجب الأخذ برأي الأغلبية فيها؟ وهل هي عامة في كل الأمور الاجتماعية وأجهزة الدولة؟ أم أنها تختص بالشؤون الخاصة بالناس ولا علاقة لها بشؤون الحكم؟ وسوف أحاول جهدي أن أستبين الأمر مع القارئ الكريم بحرية وإنصاف بعيداً عن التعصب والأهواء. ثم نحاول معاً أن نتعرف على الفوارق بينها وبين ما يسمى بالديموقراطية.

#### موارد الشورى

يمكن أن نتصور الشورى في نوعين من الموارد:

أ - في التكوين الإجتماعي.

ب - في أجهزة الدولة.

أما في التكوين الإجتماعي فإن مواردها تكون في إنشاء المؤسسات والمنظمات - على اختلاف توجهاتها ونشاطاتها - وفي إدارتها كذلك، سواء كانت اجتماعية أو ثقافية أو فنية أو صحية أو سياسية، أو غير ذلك من وجوه النشاط. والشورى في هذه الموارد أمر مقبول لا يعارضه أحد. وإذا قرنا أن نسمة بالديموقراطية فلا يضيرنا ذلك شيئاً. إذ الهدف عندنا هو رعاية مصالح المجتمع والأمة على حد سواء. وإذا كانت الشورى أو ترجمتها - الديموقراطية - هي السبيل الأفضل لتحقيق تلك المصالح فلا يمنع أحد من سلوك هذا السبيل، وبخاصة وأنه يكفيننا كثيراً من ردادات الفعل السيئة عند فرض رأي أو شخص معين لتحمل أعباء المسؤولية. نعم لا بد من مراعاة مؤهلات خاصة في أي مرشح للمراكز الخطيرة، ووضع ضوابط سليمة تمنع من اختيار الشخص غير المناسب.

وأما في أجهزة الدولة فيمكن تصورها في الموارد التالية:

- في اختيار رأس الدولة (الحاكم).

- في اختيار المجلس التشريعي (مجلس النواب).

- في اختيار المجلس التنفيذي (مجلس الوزراء).

- في اختيار المسؤولين عن إدارات الدولة.

- في اختيار جهاز القضاء.

- في اختيار المؤسسة العسكرية وجهاز الأمن.

لا يمكن الحديث عن اختيار رأس الدولة الحاكم في العهد النبوي عن طريق الشورى والانتخاب. لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الحاكم باختيار الله تعالى له، وليس لأحد من البشر حق الإختيار. وهذا الوضع مما تبناني عليه الناس في القديم والحاضر. وزعماء الثورات والقواد العسكريون الذين يطيحون بحكومات سابقة ويأتون بنظام جديد ينصبهم الناس حكاماً، أو أنهم ينصبون أنفسهم تلقائياً. والنبي وإن كان ليس بهذا المستوى لكنه صاحب الشريعة، وهو الذي اختاره الله تعالى لرسالته.

وأما بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فإن فئة من المسلمين ترى أن النبي قد سلم الأمر بعده لاثني عشر إماماً بالتوالي بأمر من الله تعالى، وقد أعلن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك في مواطن كثيرة، جُلّها كان الإعلان فيها عن إمامة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. وأوضح ما نطق به وما فعله هو موقفه في غدير خم منصرفه من حجة الوداع. ومن شاء معرفة الحقيقة فليعد إلى تسجيل أحداث ذلك اليوم.

ورأت ففة أخرى أن الأمر شورى بين المسلمين من حين وفاة النبي. ولكل من الفئتين أدلتها. ولست الآن بصدد الحديث حول هذا الأمر فيمكن العودة إلى ما كُتب حول موضوع الخلافة والنص عليها والشورى. وسواء قلنا بإمامة الإثني عشر إماماً كما يقول المسلمون الشيعة، أم لم نقل بإمامتهم كما يقول أهل السنة، فإن توالي الأيام سوف يُفضي إلى انقضاء عهد النبوة والإمامة الظاهرة بلا شك، وسوف يقودنا حتماً إلى التفتيش عن حاكم للدولة الإسلامية، شأننا في ذلك شأن كل الأمم. وعندئذ فيما أن يُصار إلى تعيين حاكم عبر صناديق الاقتراع كما يفعل أهل الديموقراطية، أو كما يتصور القائلون بالشورى، وإما أن يتولى ذلك فقهاء الأمة بقيادة الأعلام فيهم، كما يرى علماء المسلمين الشيعة، وكما مال إليه بعض علماء المسلمين السنة.

وأما الخيار الثالث، وهو تنصيب خليفة على الطراز الذي سنه الأمويون والعباسيون والعثمانيون وغيرهم من خلفاء المسلمين، فهو خيار لا أساس له في الشرع الإسلامي، وقد فُرض على الأمة بالقوة والقهر، ولم يكن للمسلمين فيه رأي ولا مشورة. والبيعة التي كانت تتم تحت ظلال السيوف ليست إلا مهزلة لا يقرأها شرع ولا يرتضيها وجدان. (١)

ولا شك أن القول بالشورى قول جذاب يستهوي القلوب، فهو يدعو إلى إشتراك الأمة في تفكير واحد، ويعطي كل فرد حق الإدلاء برأيه في توفاه الأمور وعظائمها، كما يمنحه نشوة انتعاش واعتداد بالنفس، أليس هو حين يدلي بصوته كأنه نائب في برلمان لا يقتصر على حفنة من الناس؟ بل هو برلمان يضم الأمة بكاملها. نعم الأمر كذلك. ولكن هذه الحالة وحدها لا تبرر مشروعية الشورى، وبالأخص إذا لم تعتمد على نصوص إلهية ونبوية واضحة لا تقبل الجدل والتأويل، لأن أمراً خطيراً كالحكم لا يمكن أن يكون عرضة للتفسيرات والتأويلات الحارة والباردة، ولا يمكن أن يُشرع في قانون حضاري راقى كقانون الإسلام - خاتم القوانين والشرائع السماوية - بمجرد الإشارة إليه دون إعطاء أية تفاصيل. وهي ملاحظة جدية بالتأمل وإنعام النظر، والتفكير وقتاً طويلاً قبل إصدار فتوى أو مجرد الميل إلى مشروعيتها أو عدمها إنطلاقاً من سؤرة الحماس للفكرة واستهوائها. وبخاصة ونحن نرى أن الإسلام - من خلال القرآن المجيد والسنة النبوية الشريفة - لم يهمل أي أمر له شأن، بل نراه فصل أموراً كثيرة لا شأن لها بمنتهى الدقة. فالقانون الذي اعتنى بتقنين دخول المسجد بالقدم اليمنى أولاً، والخروج منه اليسرى، ودخول الحمام والخروج منه بعكس ذلك، لا يمكنه أن يهمل شأن الحكم الذي يُعبر عنه بأنه ملح الأرض. ونعم ما اعتذر به القائلون بصحة الوصاية بالخلافة من أبي بكر لعمر، وعدم ترك الأمر شورى بين المسلمين، بأنه إنما أوصى لأنه لم يشأ أن يترك المسلمين غنماً بلا راع! ويا ليتهم أعطوا هذا الحق قبل ذلك بسنتين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم طلب منهم الدواة والقرطاس ليكتب لهم كتاباً لا يضلون بعده!

### أدلة تشريع الشورى في الإسلام

لا بد من استعراض الآيات والأحاديث التي استُبدل بها على مشروعية الشورى لاختيار الحكام، سواء لاختيار رئيس الدولة أو مجلس النواب أو الوزراء وسبيل القضاء والمؤسسة العسكرية وجهاز الأمن وسائر مسؤولي إدارات الدولة وأجهزتها. أما المؤسسات الأهلية ومصالح القطاع الخاص فقد أشرت إلى أنه لا مانع من التعامل بالشورى فيها، بل هي طريقة ممتازة تنسجم مع ما تبني عليه العقلاء في مثل هذه الموارد.

١ - قوله تعالى: {والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون} \* والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأترهتُمْ شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون}\*. وغاية ما تنفيده هذه الآية الشريفة هو الحث على استخدام الشورى كوسيلة ناجحة في تيسير أمورهم الخاصة. وأما توسيع دائرة دلالة الآية الكريمة فإنه يحتاج إلى دليل، لأننا عند التحير في مساحة سعة الدائرة للشورى لا يجوز الأخذ بدائرتها الأوسع، بل لا بد من الوقوف عند القدر المتيقن، وهو الحد الأضيق المؤكد أنه أريد من الآية، والزيادة على ذلك تفتقر إلى الدليل، بمعنى أن شمولها لما هو خارج عن هذا النطاق لا يصح إلا بدليل لا يقبل التأويل، على ما هو معروف في قواعد الفقه الإسلامي.

بل إن القول بعدم شمول الآية لموضوع السلطة أقرب إلى الصواب. كما أشرت إليه من أن الله تعالى لم يستشر أحدًا عندما بعث نبيه، ولا عندما عين أئمة كما يراه أهل البيت النبوي عليهم السلام وأتباعهم. حيث يمكن القول بأن موضوع السلطة ليست من أمور الناس، وإنما هي أمر إلهي، والله تعالى هو الذي يُشرع كيفية اختيار الحاكم، وعلى الأخص في القرون الثلاثة الأولى من العهد الإسلامي، لأسباب لا مجال لذكرها الآن.

٢ - قوله تعالى: {فبما رحمة من ربك لنبت لهم ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين}. وهذه الآية أقل دلالة من سابقتها على مشروعية الشورى في اختيار الحكام، وذلك لأن غاية ما تنفيده هو الطلب من النبي أن يستشير المسلمين في أي أمر كان، ثم يقرر وحده، فإذا عزم على فعل الأمر أو تركه فإنه يتوكل على الله تعالى ويعمل ما يراه مناسبًا. ولم تتعرض الآية الكريمة إلى أن عزم النبي لا بد أن يكون بناءً على رأي أكثرية أو أقلية، بل هي صريحة في منحه الحق في اختيار ما يشاء.

لو سألنا سائل: ما فائدة الإستشارة إذا كان النبي سيعزم وحده؟ فالجواب هو أن هذه الإستشارة لها فائدتان: الأولى، رفع معنويات المسلمين وإشراكهم في عملية تأسيس دولة الإسلام، رغم أنهم كانوا حديثي عهد بتكوين دولة، لأننا نعلم الوضع البائس والمتخلف الذي كان يخيم على العرب قبل الإسلام.

والثانية، تأليف من كان في نفسه مرض، ولم يكن قد عرف بعد حلاوة الإيمان السليم، ولا إنقاد إلى النظام الجديد بكامل قناعته. ومن تمعن في الآية الكريمة عرف قرب هذا المعنى من جَوْها، فبرحمة الله كان النبي ليئلاً معهم، وقد أمره بالعفو عنهم والإستغفار لهم، ثم مشاورتهم في الأمر، وفي النهاية إذا عزم النبي على تصرف فليتوكل على الله، ولا يلتفت إلى أي شيء آخر. وهذا المعنى هو الذي صرَّح النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما تعرض لشرح الآية الكريمة حيث قال: {أما إن الله ورسوله لَغَيِّبَانِ عنها [أي المشورة] ولكن جعلها الله تعالى رحمة لأمتي، فمن استشار منهم لم يُعَدِّمْ رشداً، ومن تركها لم يُعَدِّمْ غيلاً.} وربما كانت هناك أمور وأهداف أخرى لم نطلع عليها، مثل تدريبهم على الإستشارة فيما بينهم حذرًا من الوقوع في الخطأ، وكذا عدم التفرد بالرأي في المستقبل عندما يضطرون إلى حكم أنفسهم دون أن يكون بينهم نبي أو إمام معصوم.

### ملاحظات على القول بالشورى في اختيار الحاكم

١ - بعدما آل أمر الخلافة إلى الإمام علي عليه السلام، كان يتحدث من وقت لآخر عما مرَّ من أحداث جسيمة وأليمة كانت قد عصفت بالمجتمع الإسلامي. وعندما تناول موضوع الخلافة قبله في خطبته الشهيرة المسماة بـ {الشقشقية} انتقد كثيرًا من التصرفات والأحداث، ثم تكلم عن الشورى التي



رتبها عمر بن الخطاب قبيل وفاته فقال: { فيا لله وللشورى متى اعترض الرئيث في مع الأول منهم، حتى صرت أقرن إلى مثل هذه النظائر؟ لكنني أسففت إذ أسفوا، وطرت إذ طاروا...}.  
 والواضح في هذا الكلام أن الإمام استنكر هذه الشورى، كأنه يقول: بأي كتاب نزلت؟ وبأي سنة فُرِضت؟ ولكنها رؤية ارتأها الخليفة، فطار الإمام معهم حيث طاروا، وأسف حيث أسفوا. ولست أدري ما المراد من إسفاه مع إسفافهم؟ وأظن أن هذا الإسفاف هو ما جرى من الأسلوب المبتدع لاختيار الحاكم، وأنه يومئذ لم يدُرْ بِخَلْدٍ أحد منهم، كما لم ينزل به الله سلطاناً.

٢- لو رام أحد الإصرأ على أن الشورى هي الطريق الأسلم، فإننا نقول في جوابه: ما هو الهدف من الشورى؟ أليس الوصول إلى الرأي الصواب للعمل به؟ وليس لدينا ما يؤكد أن رأي الأكثرية دائماً هو الرأي الصواب، وأن الأقلية دائماً على خطأ. فلربما كانت الأكثرية الساحقة مخطئة، بسبب جهل المستشارين، أو انجرافهم تحت تأثير دعاية مغرضة، أو لأي سبب آخر. نعم تكون الشورى مقبولة إذا كانت بمعنى الإستشارة بآراء عدد معلوم من الناس، من ذوي الخبرة في الشأن المراد، ويحصل هذا بعرض المسألة على الناس وإبداء كلٍّ منهم رأيه، ثم العمل بما يُرى هو الأصوب في نظر العقلاء وأهل الخبرة، وهذا قد يوافق رأي الأكثرية، كما قد يوافق رأي الأقلية، إذا كانت مدركة واعية للأمر الذي عُرض عليها.

وأما الشورى في الشؤون الخاصة للناس فإنها أمر محمود، ونجد في الروايات تشجيعاً عليه، حتى وإن كان المستشار أدنى من طالب المشورة، ففي رواية معمر بن خلاد أن الإمام الرضا عليه السلام استشاره ليدلّه على شخص من الموالي يكون له فضل وأمانة. فقال الرجل للإمام: أنا أشير عليك؟ فقال الإمام شبه المغضب: {إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يستشير أصحابه، ثم يعزم على ما يريد}.  
 وفي حديث آخر عن الفضيل بن يسار قال: {إستشارني أبو عبد الله عليه السلام (الإمام الصادق) مرة في أمر فقلت: أصلحك الله، مثلي يشير على مثلك؟ قال: نعم إذا استشرئك}.

### لا بد للناس من حاكم

الأمر الذي لا يمكن تجاهله هو أن المجتمعات لا بد لها من حاكم، سواء قلنا بالديموقراطية أو الشورى أو التعيين، أو قلنا بالملكية أو الديكتاتورية أو بأي أسلوب افترضناه. لأن الناس لا تصلح أمورهم من دون حاكم، يأخذ على يد الظالم ويحمي الضعاف، وينشر الأمان في الأرض. وعندما قالت الخوارج «لا حكم إلا لله». قال الإمام علي عليه السلام: {كلمة حق يُراد بها باطل! نعم إنه لا حكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرأ إلا لله. وإنه لا بد للناس من أمير، يرُّ أو فاجر، يعمل في إمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبُلِّغُ الله فيها الأجل، ويُجمَعُ به الفئء، ويُقاتَلُ به العدو، وتأمين به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوي، حتى يستريح برُّ، ويُستراح من فاجر.}

### شروط الحاكم في الشرع الإسلامي

وضعت الشريعة الإسلامية شروطاً للحاكم لا بد من تحليه بها، بغض النظر عن الطريق التي وصل بها إلى الحكم. منها:

١- العدالة. وهي مجموعة من الأخلاق العالية، والسجايا الكريمة، والسلوك القويم، تجتمع في شخص ما، نتيجة تربية سليمة دقيقة هادفة. وبعد مراسم طويل الأمد، مع مراقبة ذاتية لنفسه وللسلوك الذي يمتنع صاحبه عادة من الوقوع في الرذائل، أو القيام بما يخل بالمروءة، وقبل كل ذلك يحجزه عن الوقوع في الحرام، وعن مخالفة الله عز وجل وطاعة الشيطان. والعدالة هي الشرط الأساس في كثير من الموارد في الشرع الإسلامي، حيث اشترطت في الحاكم والراوي والمرجع والمفتي والقاضي والشاهد وإمام الصلاة وغيرهم ممن يُفترض فيه أن يحوز ثقة الناس، حتى يُطمأن إلى أمانته وأنه لا يخون ولا يخدع، وبالجملة أنه يتميز بخلق رادع له عن ارتكاب العيب والخطيئة عمدًا، كما يردعه عن فعل المنكرات وترك الفرائض. بل إن بعض العلماء قال كل ما يتنافى مع الأخلاق والمروءة يُخلُّ بالعدالة.

وقد عبّر علماء المسلمين عن العدالة بأنها ملكة في النفس تمنع صاحبها عن ارتكاب الفواحش والذنوب عادة. وتحصل هذه الملكة باتباع سلوك يكون فيه القانون الإلهي حاكمًا على شهوات الإنسان وميوله، كما يحارب كل الإيحاءات التي يوحى بها الشيطان إلى أوليائه. فإذا تقيّد المسلم بالحكم الشرعي، ورفض الإنسياب مع مغريات الشيطان، حتى تحول ذلك في نفسه إلى ملكة، وقناعة ثابتة، ومبادئ يصعب الخروج عليها، فقد حصل على صفة العدالة. ولو فرضنا وقوع عادل في خطيئة ما، لأي سبب كان، فلا بد من مبادرته إلى الإقلاع عن الخطيئة، وأن يتوب إلى ربه بالندم على ما فعله والعزم على عدم العودة إليه في المستقبل. وأما إذا لم يبادر إلى التوبة كما أشرت إليه، فقد سقط عن رتبة العدالة، وخسر الثقة التي كانت ممنوحة له. وأين هذه المبادئ من كل ما يتحدث الناس عنه من المبادئ المصطنعة؟ تلك المبادئ التي لا تصمد أمام أول فرصة تتوفر فيها دوافع الخطيئة والإعتداء على كل المثل والقيم.

وإذا شئنا الإعراف بالحقيقة وأن نزل من عالم الأوهام إلى عالم الواقع، وأن ندع التنظيرات والكلام الذي لا طائل تحته، فإننا نقول: إن العدالة هي الضمان الوحيد الذي تطمئن إليه النفس في حماية صاحبها من ارتكاب الحرام والخطيئة، بل وكلّ العيوب، وما يمس كرامة الإنسان ويجرح الثقة به. ولا أتخيل أن قانونًا على وجه الأرض كالعدالة، يمكن أن يقيّد المنتمي إليه بقيود صارمة تمنعه عن الرذائل والمنكرات، وتكون خير رقيب عليه في سره وعلانيته. وكم رأينا من شيوع الفواحش والمنكرات وكل ما هو معيب بين حكام ومسؤولين وقضاة وغيرهم من عليّة القوم، ومع ذلك فلم يحاسبهم أحد، ولا قيل عنهم إنهم قد خسروا الثقة بهم ويجب تبديلهم. ولا داعي لذكر الأمثلة على ذلك فإن معرفة القارئ العزيز بما يجري في العالم، وما يرتكبه الحكام والمسؤولون كل يوم من الجرائم، وما يمارسونه من الفواحش والرذائل يكفيه عن أي مثال.

وإني أعلم جيدًا أن الغرب كله إضافة إلى عدد كبير من المسلمين لا يولون صفة العدالة اهتمامًا، لعدم اطلاعهم على ما هي عليه من الأهمية. أما الغربيون فلأنهم لا يعيشون أجواء الإسلام ونظامه الأخلاقي السامي، بل هم يحكمون عليه من خلال ما يرونه من تصرفات بعض المسلمين البعيدين عن تعاليم الدين، أو ممن يدعي زورًا أنه يتقيد بنظام الإسلام، ثم هو يمارس الجريمة والآثام دون تأثم أو احتياط لنفسه أو لسمعة الإسلام. وأما المسلم الذي لا يدرك معنى العدالة فذاك الذي يستحق الرثاء، لأنه لا يستفيد مما بين يديه من قيم الإسلام، وما يحويه من جواهر الأخلاق. وإن خير ما يقال عن قيمة الأخلاق في الإسلام هو قول النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم: {إنما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق}.

## الفرق بين العدالة والمروءة

لا شك أن كثيراً من أهل الغرب يتحلون ببعض صفات المروءة، وهم يرون أنفسهم في رتبة عالية من الأخلاق بسبب انصافهم بها. ونحن نفهم معنى هذه الصفة الكريمة وكيف تدخل في بناء عدالة المسلم، كما نراها في كثير من أبنائنا، لأنها مما جُبل عليها الإنسان بحكم الفطرة الإلهية. إلا أن المروءة لها حدود لا تتعداها، ففي حالات الوقوف أمام المغريات القوية التي لا يستطيع الإنسان أن يقاومها منفرداً مع مروءته، سوف ينهزم أمام المغريات، ويدبُّ الشلل في المروءة حتى تتلاشى تماماً. ومهما شعر ذو المروءة من تائب الضمير فإنه سوف يحزم أمره ويسلك سبيل الدفاع عن منافعه. أما العدالة فهي صفة تتحكم بصاحبها بصورة أقوى، وتمنعه من سلوك الطرق الوعرة والمحرمة. وذلك لأن الحصول على ملكة العدالة يعتمد على أساس الإيمان بالله تعالى والخوف من عقابه والطمع في ثوابه، كما يحتاج إلى عملية تربية ذاتية صعبة المراس، حتى تنشأ في نفسه رقابة ذاتية، تُعتبر صمام الأمان، والضمانة المؤكدة التي تحمي الإنسان من الإنزلاق في مهاوي الرذيلة والفساد. فإذا حصل عليها فقد تسلح بقوة ردع صلبة، خاصة بعد امتزاج المشاعر الإنسانية النبيلة التي هي عمدة المروءة، بالخوف من العقاب الأخروي والطمع في الكرم الإلهي بالنعيم الدائم. ولهذا فقد بات من المستحيل عادة التنازل عنها، حيث إنها تصبح قطعة من كيانه، وحاكمة على كل موراثته وطباعه وشهواته، بل تصبح جزءاً من عدلته، تمنحه قدرة أقوى على عبور سبيل العدالة للوصول إلى رتبة الكمال. ولعل حواراً بناءً يقوم بين ذوي المروءة وأهل العدالة يستطيع وضع القواسم المشتركة بينهم ليفهم كلٌّ منهم الآخر، ويوفرون على أنفسهم اتهامات ومظالم وقعوا فيها بسبب الجهل المخيم على الناس، ولما كانت القاعدة تقول: «الناس أعداء ما جهلوا» فقد نمت العداوات بين البشر بسبب هذا الجهل المقيت.

٢- العلم. إضافة إلى مجموعة من الفضائل والقيم الشريفة يتحلى بها الحاكم المسلم، وتكون السلطان الذي يتحكم بنفسه وسلوكه، كالأمانة والمروءة والعفة، والعدل في التعامل مع الرعية، وعدم استخدام الحيف والظلم للناس عامة. وقد جمعها الإمام علي عليه السلام في بضع كلمات وردت عنه في نهج البلاغة: (وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل، فتكون في أموالهم نَهْمَةٌ، ولا الجاهل فيُضِلُّهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدُّوْل فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة).

٣ - القدرة على الحكم والخبرة والشجاعة. وهي مواصفات لا نتصور خلوّ الحاكم منها. قال الإمام علي عليه السلام: {أبها الناس، إن أحق الناس بهذا الأمر أقوامهم عليه، وأعلمهم بأمر الله فيه. فإن شغب شاغب استعْتِب، فإن أبي قوتل}.

إذا اجتمعت هذه الشروط، وغيرها مما ينبغي أن يتصف بها الحاكم، مما ذكره العلماء في شخص كان له الحق في ترشيح نفسه ليُنصَّب حاكماً. وبذلك نتخلص من عدد من النتائج الخطيرة فيما لو فتحنا الباب على مصراعيه لكل من هبَّ ودب لتولي شؤون الدولة، ونحفظ العباد من الأخطار الجسيمة.

## أهل الشورى

يرى المنظرون للديموقراطية أن كل فرد من أفراد الشعب له حق الاقتراع لتعيين الحاكم، وسوف نناقش هذا عما قريب إن شاء الله تعالى. والمنظرون للشورى قالوا إنها لعامة المسلمين. وهذا الكلام لم نسمع به ولم نر

له مصداقية في أي مرحلة من مراحل الحكم الإسلامي قديماً ولا حديثاً. أما البيعة الأولى فقد تمت يوم السقيفة بمبايعة اثنين من المهاجرين وعدد من الأنصار كانوا في زيارة لزعيمهم سعد بن عباد، علماً بأن سعداً صاحب الدار رفض البيعة، ولم يبايع حتى قتل. ولو قلنا بأن أهل المدينة بايعوا في الأيام التالية، فإن أهل مكة وغيرها من بلاد المسلمين يوم ذلك لم يؤخذ رأيهم، بل نلاحظ أنه لم يطالب بهذا الحق أحد. حيث إن الناس يوم ذلك كانوا قد قرءوا في نفوسهم أن هذا الأمر محصور بلمهاجرين والأنصار داخل المدينة المنورة وحدها، أما غيرهم فلا. نعم كان الخلفاء يوزعون الأخبار على الحواضر الإسلامية ويطلبون تأكيد البيعة منهم، ومن يرفض ذلك فليس له غير حد السيف. فلو كان لسائر الناس من غير أهل المدينة حق في حرية الاختيار، فلماذا يحاربون إذا رفضوا اختيار أهل المدينة؟ وهذا المفهوم هو الذي احتج به الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام على معاوية لما رفض مبايعته. ففي نهج البلاغة رسالة من أمير المؤمنين إلى معاوية، وفيها ما يلي: {إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه. فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أي يرُد. وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار....} وهو احتجاج من باب الإلزام بما أُلتم به القوم.

وربما يتضح من صريح هذا النص أن سكان المدينة من غير المهاجرين والأنصار ليس لهم حق في الشورى، وهؤلاء هم الذين دخلوا المدينة بعد فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة، حيث منع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسلم من إطلاق اسم المهاجرين على من دخل المدينة بعد الفتح في الحديث المشهور عنه: {لا هجرة بعد الفتح}. وقد دخل المدينة بعد الفتح خلقٌ كثير بعد أن أصبحت حاضرة الإسلام الأولى، وبعد أن أصبح للمسلمين هبة في نفوس العرب، كما أن وجود النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان دافعاً قوياً للذين حُسن إسلامهم أن يتشرفوا بصحبته. وممن دخل المدينة بعد الفتح أبو سفيان وولده معاوية. ولست أدري كيف صحّت الخلافة لمعاوية بعد ذلك وهو لا يحق له الدخول في الشورى فضلاً عن ترشيح نفسه للخلافة؟ هذا فضلاً عن كونه من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة! ولكن للمسلمين في أهوائهم شؤون وغرائب....

وإذا كانت التقنية والإبتكارات الحديثة قد بلغت ذروتها في هذا العصر وتوصل الإنسان إلى اختراع أحدث وسائل الإتصال والإعلام، فإنه يمكن جعل بلاد المسلمين كلها تشترك في عملية انتخاب واحدة. أما خلال القرون الغابرة فإنه لم يكن ممكناً حدوث ذلك، وربما كان هذا أحد الأسباب في عدم توسعة دائرة الشورى، حيث إنه قد ينقضي عمر المرشح للخلافة ويموت قبل أن تتم عملية انتخابية في كل البلاد. وقد عبّر الإمام علي عليه السلام عن هذا المعنى بقوله: {ولعمري لئن كانت الإمامة لا تتعقد حتى تحضرها عامة الناس فما ذلك إلى سبيل، ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها، ثم ليس للشاهد أن يرجع ولا للغائب أن يختار.} إذا لم نجد في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية دليلاً على صحة العمل بالشورى في شأن الحكم، ولم نجد المسلمين الذين قالوا بها واعتمدوا عليها في القول بشرعية الخلافة قد عمّموها على كل البلاد، بل وجدناهم حصروها في أهل المدينة وفي المهاجرين والأنصار خاصة، فماذا نضع اليوم؟ هل نخترع شورى جديدة بدلاً عن ديمقراطية الغرب؟ أم نعود إلى شورى أهل المدينة خاصة، ونُدع سائر المسلمين في كل العالم الإسلامي؟ أم نجعل لكل قطر من أقطار المسلمين شورى تخصهم، ثم نستند في مشروعية ذلك إلى المصلحة العامة حتى ولو لم نجد في الكتاب ولا في السنة دليلاً عليه؟ وهل يصح لنا تقسيم بلاد المسلمين إلى دول متفرقة، لكل دولة منها حكائنها وأساليبها في الشورى؟ وهل يصح لنا أن نهذب ديمقراطية العصر الحاضر ونُلْبَسَها ثوب الشورى بكل ما في هذه

الديمقراطية من أشواك وغيوب؟ أي خيار من هذه الطروحات لا بد له من دليل شرعي، يكون دوره تشريع هذا الأسلوب، أو أنه لا يمنع من استخدامه وسيلة مشروعة لتحقيق الغاية.

### هل تصلح المساواة بين المستشارين (أو المقترعين)؟

وعلى كل التقادير فهل من العدل والإنصاف أن نساوي في الشورى بين العالم والجاهل؟ أم هل نخصص العلم بعلم الفقه، أم نُعَمِّمُه إلى سائر العلوم السياسية والإقتصادية والصحية والاجتماعية والثقافية والعسكرية والأمنية والفنية، وسواها مما يحتاج إليها الحكم وحفظ النظام؟ وهل يكون التعميم في فرض عدم تمكن الفقهاء من الإلمام بكل هذه العلوم، أم يكون التعميم حتى وإن أتقن الفقهاء كل ذلك؟ وهل يكون التخصيص بالفقهاء في ظرف وجود الأجدار منهم في غير علم الفقه وعدمه؟

هذه وغيرها الكثير مما يعسر إحصاؤه من الأسئلة التي تحتاج إلى تأمل ودراسة موضوعية بعيدة عن التهريج، وعن الإصغاء إلى التعصب والميول واتجاهات القوميات واختلاف الأعراق، ومهما صدر من كتب أو كتابات متفرقة في هذه الشؤون فإنها لا تزال قاصرة عن جلاء الأمور، وإشباع نهم المعرفة عند أهل العصر. ومن الجدير بعلماء الفقه أن يتفضلوا بتوسيع دائرة معارفهم، وأن يوزعوا اختصاصاتهم في شتى هذه العلوم، لتكوين جهاز حاكم خبير بكل الشؤون وحاجات الدولة، ولتكون أية حكومة إسلامية نموذجاً كاملاً في التنظير وحسن الأداء يحتذيه الصديق ويتعشقه العدو ويتمناه. وفي اعتقادي أن المنظرين لحماية الأمم والأوطان يرفضون ترك الأمور على عواهنها، وأن يتربع على سدة الحكم من لا نميِّز فيه بين الأمين والخائن والأُمِّي والعالم، وبين الخبير الذكي والجاهل الغبي.

### دائرة التشريع في الإسلام

كل من اطلع على المنظومة الإسلامية يدرك جيداً أن القانون الإسلامي شامل لكل نواحي الحياة. ويمكن العودة لمعرفة تفصيل هذا الأمر إلى ما كتب حول الشريعة الإسلامية. كما تمكن المقارنة بين ما تعرض له الشرع الإسلامي من مواضيع وما حواه من أحكام، وبين ما تعرضت له سائر النُظُم السماوية والبشرية من مواضيع وما وضعته من قوانين.

إلا أنه بقيت بعض المساحات خالية من التفاصيل التشريعية، وإن كانت أحكامها العامة موجودة. فمثلاً، للوهلة الأولى لا نجد تفصيلاً لقانون السير. ومع ذلك فلا يمكننا الحكم بالتقصان في الشرع الإسلامي. وذلك لأن وسائل النقل الحديثة لم تكن موجودة قبل قرن واحد. وهذه هي من جملة المساحات التي لم تُملأ في العهد النبوي ولا خلال العهود اللاحقة. واملء هذا الفراغ لا بد من اجتهاد العلماء لاستنباط أحكام السير وحوادثه، بناءً على ما وُضع في الإسلام من قواعد وأحكام عامة وخطوط عريضة. وعلى سبيل المثال: نجد في الشريعة أحكاماً لحوادث السير عندما كانت الدواب مستعملةً وسائل للنقل، وفيها أحكام مفصلة للحوادث إذا وقعت عمداً أو خطأ. وليست هناك خصوصية للوسيلة فيمكن تعدية الحكم إلى الوضع الحاضر، واستنباط الأحكام للتفاصيل الجديدة.

وإنما تُركت هذه المساحات عمداً في التشريع الإسلامي ولم تُبيِّن تفاصيلها الدقيقة، لأن عقول الجيل الذي نزل فيه القرآن لم تكن بمستوى يرتضي سنَّ تلك القوانين، فلو أن القرآن تعرض لها، أو لو أن النبي صلى

الله عليه وآله وسلم حدّث عن حوادث السيارات والطائرات لقال الناس إنه يهذي ويهجر. فكانت المصلحة وضع قواعد عامة للتشريع ضمن حدود مضبوطة، ثم يجتهد ذوو الإختصاص في وضع القوانين اللازمة، فإذا تبين عدم صلاحيتها في قادم الأيام، لأن الواضع لها بشر يصيب ويخطئ، استبدلت بكل سهولة. ومثال آخر: واجه العالم مشكلة التدخين، وصرف الخبراء جهوداً مضيئة لمعرفة الأخطار الناجمة عنه. ولما لم يكن وضع قانون يخص التدخين في الماضي، فإن الإسلام وضع قانوناً عاماً يمنع الإضرار بالنفس أو بالآخرين. فمن ذلك القول النبوي المشهور: { لا ضرر ولا ضرار في الإسلام }. ومعنى نفي الضرر أن الإسلام لا يُشرع قانوناً فيه ضرر للناس. ومعنى نفي الضّرر أنه لا يُبيح إقدام المسلم على إلحاق الضرر بنفسه أو بالآخرين لأنه حرام. فإذا علمنا أن التدخين يُلحق الضرر بالنفس أو بالآخرين، وأن هذا الضرر كبير يخشاه العقلاء إذا أدركوا خطره الداهم فيجتنبونه، فإننا سنحكم بحرمة التدخين لا محالة. وأما الأضرار الأخرى الناجمة عن التدخين مثل إهدار المال بلا هدف، ومساعدة الدول المصنّعة للدخان، وتشجيعها على الضرر، فإن لذلك حديثاً يطول ما دام الناس لا يتنبهون إلى بشاعة تعاطيهم للتدخين.

وعلى هذا الأساس، فإن تغطية تلك الفراغات أمر ميسّر، ولا يضّرُ بشمولية النظام الإسلامي. كما يمكن تطبيق الأسلوب الذي ذكرناه في كل مجال مشابه سواء في أجهزة الدولة أو الشؤون العامة والخاصة. شرط أن يكون استنباط الحكم الشرعي ضمن الحدود والقيود التي وُضعت للاجتهاد، وأن يتولّى ذلك العلماء المجتهدون والخبراء في هذا الفن. كما أنه لا يصح أن يتنطح للفتوى كل من تعلم القراءة والكتابة، وأن يستعمل الأقيسة الفاسدة والآراء والأهواء ويُدخل في الدين ما ليس منه، فإن ذلك كله محرّم جملة وتفصيلاً. ولنعلم أن للخبرة دوراً لا يصح تجاوزه.

### موارد الديمقراطية

يعمل دعاة الديمقراطية على اختيار رأس الدولة، واختيار المجلس التشريعي. وأما سائر مرافق الدولة فإنه يتم تعيينهم بأساليب مختلفة، فالوزراء يعينهم رئيس الدولة. وفي بعض البلاد يتم عرض قائمة الوزراء على المجلس النيابي فيمنحها الثقة أو يعدل التعيينات. وغالباً ما يحصل تجاذب على المراكز ليتم توزيعها على مختلف الفئات. وفي هذه الحالة قلما تكون مصلحة الأمة هي رائدة التجاذب أو منطلق الإختيار.

على أن اختيار رأس الدولة إنما يتم بموافقة الأغلبية، وهي تعني في نظرهم - نصف المقترعين + ١، والطرف المهزوم هو النصف الآخر دون زيادة الواحد. والنتيجة أن النصف + ١ هو الذي يحكم النصف الآخر، ويُلغى أي دور له في السلطة باستثناء المجلس التشريعي، إضافة إلى مجلس الشيوخ في بعض البلاد. وفي هذا الأسلوب ما فيه من الإستبداد الواضح، والإستئثار بالسلطة، أما الحولات الإنتخابية فإنها لا تزيد عن كونها وسيلة دعائية للمرشح تعج بالمبالغات والأكاذيب على الشعب، وطرح برامج عمل ريشما تتبخر في الجو فور إعلان نتائج الإنتخابات، أما الرشوة وشراء الذمم عبر شراء الأصوات بمال أو وعود، فحدث عن قبح ذلك كله ولا حرج. وإذا وصل الأمر إلى شراء زعماء الأحزاب السياسية، فإنه يعني الحصول على أصوات التابعين للأحزاب مجاناً، وتحولهم إلى قطيع من الغنم عليه أن يدلي بصوته يوم الإنتخاب لصالح مرشح حزبه، أما من هو هذا المرشح؟ وما هي مواصفاته؟ وكيف هي أخلاقه وسلوكه؟ وما هو مقدار وفائه بالوعد؟ وهل هو فعلاً مؤهل

لقيادة الأمة، والحفاظ على مصلحة الوطن والمواطنين؟ فإن كل ذلك لا يفقه منه الناخبُ شيئاً، ولا يعمل أحد على تعليمه وتثقيفه!

وحيث إن الرئيس الفائز في الانتخابات هو الذي يعين وزراه فإنهم سيكونون أشبه بجمعية مؤتلفة، فإن أحسنّت أداء عملها وقامت بما هو في صالح الوطن والأمة، فهي أشبه بجمعية خيرية تتوخى الصالح العام، وأما إذا أساءت التصرف واستأثرت بالسلطة ونسيت كل الوعود التي قطعتها على نفسها ونثرتها يميناً وشمالاً أيام الحملات الانتخابية فإنها أقرب ما تكون إلى جمعية من اللصوص عدواً على الوطن جهازاً نهاراً فسللوا واغتصبوا، وما على الأمة إلا انتظار الفرج، حتى تستريح من هذه الطغمة الفاسدة. هذا إذا حالفها الحظ وأفلحت في الانتخابات القادمة فأزاحتها عن سدة الحكم.

### الديموقراطية والأجيال القادمة

من الواضح أن أهل الديموقراطية قلما يعبأون بالتفكير بالأجيال القادمة، فضلاً عن أن الكبار منهم فعلاً لا يباليون بالشعوب المغلوبة على أمرها، وهو ما نراه واضحاً في معاملتهم للشعوب. والنسبة الغالبة من شعوب العالمين الأول والثاني وجدت نفسها فجأة في سياق مع الزمن، وصراع مع الآخرين لتحقيق أكثر قدر ممكن من المكاسب، ونتج عن هذا السباق والصراع أن أتخمت بلاد الغرب بالصناعات التي لوثت البيئة، ومزقت طبقة الأوزون التي تحيط بالغلاف الغازي للأرض، مما رفع درجات الحرارة وغيّر مناخ العالم وأفسد الأجواء، وهو مع ذلك لا يزال في بداية الطريق، إذ من المتوقع أن يتعرض العالم لخطر فادح قد يودي بالحياة على وجه الأرض. وقد طالبت دولٌ وشعوب كثيرة وضع حدّاً للتلوث وحماية العالم من الفناء، لكن الصراع على المكاسب أدّى إلى رفض الاستجابة للدعوة، ولا نزال نعيش في هاجس من الرعب على مستقبل الحياة.

في سياق هذا الوضع الظالم، نجد أن أهل الديموقراطية قد أفرطوا في سباقهم على المكاسب فاستغلوا الثروات الطبيعية بصورة جنونية، وأضافوا إلى خطر التلوث خطراً آخر لا يقل عنه، وهو نفاذ الثروات الطبيعية من الأرض. ولا أدري كيف ستمتكن الأجيال القادمة من الحصول على حقها في العيش بأمان من الأخطار الداهمة والتنعم بثروات الأرض....! أنا لا أقول إن مبادئ الديموقراطية هي التي كانت وراء بروز هذه الأخطار، لكنني أشير إلى أن اندفاع أهل الديموقراطية للتطبيق والتزمير لها دون وعي هو الذي غشى على عيونهم ومنعهم من التفكير في مستقبل أبنائهم فضلاً عن أحفادهم.

### النظام الأفضل والحل الأمثل

لا شك أن نظام الديموقراطية هي الحل الأمثل لدى العلمانيين، بل هي الحل الذي لا بديل لديهم عنه، فهي قد حققت لهم قدراً كبيراً من الأمن، وقدراً أكبر من القوة والدفاع عن أنفسهم، إضافة إلى حماية ممتازة ورعاية نموذجية في مجالات الصحة والثقافة والشؤون الاجتماعية، ومساعدة العاطلين عن العمل، ورعاية العجزة والأيتام والمعاقين وذوي العاهات، والاعتناء بالأومة والطفولة، وغيرها الكثير في كل مجالات الخدمات الإنسانية والاجتماعية. ولهذا فهم يرون فيها المنقذ الوحيد الذي يرفعهم عن مستوى العالم المتخلف. نعم هم يعانون من مشكلة الفراغ العقدي المؤدي إلى اللجوء لتعاطي المخدرات واللهو الخليع، بل إلى ارتكاب الجريمة وزرع الرعب في المجتمع، فهم بالنتيجة نراهم قد وقعوا فيما هربوا منه، دون التفات لما يجري، ولا

أظنهم اليوم ولا غداً سيعلمون حرماً على ديموقراطيتهم حتى وإن عجت مجتمعاتهم بألوان من الرعب والسلوك القبيح، لأنهم لا يجدون أمامهم في الأفق حلاً آخر.

أما عند المسلمين، فإن الديموقراطية بمفهومها الغربي لا يمكن أن تكون بديلاً عما بأيديهم من النظام الإلهي. ولا أقصد بالمسلمين كل من اعتنق الإسلام أو وُلد من أبوين مسلمين، وإنما أقصد من يعرف الإسلام نظاماً وعقيدة، مهما كانت معرفته سطحية، لأنه يستوعب قيمة ما بين يديه من الكنز الثمين، والديموقراطية عنده ليست في موقع يمكّنها من الدفاع عن نفسها أمام أكمل نظام عرفته البشرية عبر مسارها الطويل. وأقول هذا لأن من كان بيده شبه نظام ممتاز مثل الديموقراطية سيجده شيئاً عظيماً، وأما المسلم الذي بيده النظام الأكمل فكيف يمكنه أن يستبدله بما هو أقل منه بمراتب عديدة. ونزوع فئة غير قليلة من الشباب المسلم في مختلف البلاد نحو الديموقراطية إنما هو بسبب نزوحه عن الساحة الإسلامية، وخلو ذهنه من معارف الإسلام، ولو أن ذهنه تشبّع برياح المنظومة الإسلامية لما وهى بسرعة أمام نسيمات الديموقراطية.

من أهم أسباب الفراغ عند بعض الشباب المسلم وارتمايقهم في أحضان الديموقراطية هو التعاون الوثيق بين عدد من الجيوش المعادية، عملت بقوة وشراسة لإبعاد ناشئة المسلمين عن دينهم، حتى يخلو الجو لدعاة الفكر المعادي ليغرسوا ما شاؤوا في أذهان هؤلاء الشباب.

١ - أول تلك الجيوش المعادية للإسلام هو تقصير علماء الدين في مهمتهم الإرشادية والتنقيفية، بل وقصور الكثير منهم عن مواكبة الثقافة المعاصرة، حتى بات كثير من الشباب ينظر إلى العالم الديني وكأنه جاهل بما يدور حوله من تقدم علمي هائل، وبخروج الإنسان من دائرة الأرض وغزوه للفضاء ونفوذه إلى الأعالي بسلطان العلم. ولهذا كنتُ في مواقف كثيرة، سواء في المؤتمرات العالمية، أو في كتاباتي أو أحاديثي وخطبي، أشدد وأؤكد على خروج علماء الدين من هذا السجن الذي حبسوا فيه أنفسهم بلا مبرر، ومحاولة اللحاق بقطار التقدم العلمي، وأن يتخرج من مدارسنا أناس أتقنوا لغات العالم سواء لغات القراءة والكتابة، أو لغات التفاهم بأساليب تجذب الآخرين إلى ساحة المعارف الإلهية.

٢ - نتيجة طبيعية لتقصير بعض علماء الدين وقصور البعض الآخر فقد تخلفت بيئة المسلمين عن اللحاق بركب الثقافة. وكم كنت أشعر بالخجل عندما أرى بعض أهل أوروبا يقرأون بنهم كتاباً خلال جلوسهم على مقاعد قطارات الأنفاق أو في الطائرات، أو في صالات الإنتظار في المطارات أو في محطات القطار، أو عندما أدخل بعض بيوتهم فأرى كيف تسبق المكتبة سائر أثاث البيت في استقبال الزائر. بينما أجد كثيراً من شباب المسلمين قد حطوا رحالهم في جلسات تغطيتها سحب الدخان، وإذا كانت السجاجة في الماضي في نظر المدمنين عليها وسيلة للترويح عن النفس كما يدعون، فإن النارجيلة (أو كما يسميها العوام - الأركيلة) قد بدأت تتسلم زمام سلطانها على الشباب المسلم!!! أنا لا أقول إن هذه الأمور لا توجد في بلاد الغرب، لكنني أقول إن دول الغرب جعلتها ضمن ضوابط وقيود صارمة، وتعاقب مخالفيها بصرامة وحزم، بينما ينعم أبنائنا بفوضى لا مثيل لها، والأغرب أنهم يسمونها حرية.

لست أدري أي حرية تلك التي تحرق بها صحتك ومالك، وتعندي على جيرانك في المجلس بتوريقهم عادة سيئة أو بنقل عدوى الأمراض الفتاكة إليهم عبر نفث الدخان من سيجارة أو نارجيلة؟! لست أدري أي



حرية تلك التي تسمح بها لنفسك أن تزعج وتؤذي الآخرين في سيارة؟ لست أدري أي معنى لحرية تنقل ثروات طائلة من جيوب بلاد وُصِفَتْ بعار التخلف إلى جيوب صانعي هذه الآثام ومروجي هذه الأوبئة!!! هذا إضافة ما فعله التلفزيون من تدمير العقول والعلاقات الإجتماعية، حيث بات الناس أسارى له دون تمييز بين برامج السياسة أو المجون واللهو أو الطهو أو غير ذلك.

هذا الوضع الرديء أدى إلى تراجع القراءة عند الشباب المسلم، مما ألحق الضرر بثقافتهم من خلال القراءة. بحيث إنهم لا يحسبون حساب مكتبة لهم مهما كانت متواضعة ضمن أثاث بيوتهم. وهي ملاحظة جديرة باهتمام أبنائنا الذين لا ينقصهم ذكاء ولا قدرة استيعاب، وغاية ما هم بحاجة إليه هو إعادة النظر في هذا السلوك السيء، بل في هذه النظرة الخاطئة لتعاطيه مع الوقت وكيفية قتله.

٣ - العدو الثالث هو نشوء الأحزاب العلمانية، وتكاثرها بين أبناء المسلمين. وقد نمت هذه الأحزاب بسرعة بسبب تخلف المسلمين في عدد من الميادين، وأهم الأسباب التي كمننت وراء التخلف هو رزوح بلاد المسلمين تحت نير الإستعمار، وعجز المسلمين عن النهوض بقوة لإزاحة هذا الكابوس، وكان علماء المسلمين في عداد شعوبهم، رغم أنهم قاموا بمحاولات عديدة للخروج من هذا النفق، إلا أن صرخاتهم لم تجد أذناً صاغية بسبب الضجيج الهادر من كل صوب، وكان للإستعمار نفسه يد طولى في تأجيج نار الفوضى وخلط الحابل بالنابل في معمعة الضجيج، مما لم يسمح بإصغاء الشباب إلى علمائهم، ثم لارتمائهم في أحضان أعدائهم الذين زرعو لهم البحر واحة غناء.

من نعم الله تعالى علينا في العقود الأخيرة، أن نهض الشعب المؤمن في إيران بقيادة رمز الثائرين الراحل الإمام الخميني طيب الله ثراه، حيث أسس الجمهورية الإسلامية المباركة، رغم الحروب الشرسة التي شنها الأعداء منذ فجر الإنتصار، لطمس نورها الباهر، وعزلها عن محيطها الإسلامي. ولا تزال قوى الشر والعدوان تعمل جاهدة لإيذاء جمهوريتنا الفتية، لكن الله تعالى وعد المؤمنين بالنصر المؤزر، ولا شك أن انتصار هذه الثورة المباركة حتمي، ويمهد لدولة العدل الكبرى، دولة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

٤ - أما الجيش الرابع فهو شراسة الغرب الذي نصب العداة للإسلام وأهله، ثم غطى هذا العداة بخدعة أعمت عيون الشباب وأصمّت أذانهم، وقد تمثلت هذه الخدعة بأقنعة شتى كنشر الثقافة الغربية عبر المدارس، وبث الأفكار الحزبية والعلمانية، ثم العمل على محو احترام الفكر الإسلامي وترك الشباب المسلم في متاهة يدلف منها إلى حصونهم المنيعه في الفكر والسلوك بكل ما يتضمنه من عادات وتقاليد، بحجة حرية مزعومة لم نجح منها غير الفوضى ومزيد من التخلف، وتُعبَد عن كل القيم والفضائل التي زخر بها مجتمعنا الأول وديننا الحنيف.

### رؤية لاختيار الحاكم ومسؤولي أجهزة الدولة

مرّبنا أنه يُستفاد من التشريعات الواردة في هذا الشأن أن الحاكم الأول في بدء الأمر هو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بلا منازع. وبعده للأئمة الإثني عشر من أهل البيت النبوي في عقيدة أهل البيت وأتباعهم. وفي عقيدة أهل السنة أن الأمر شورى بين المسلمين، وأن هذه الشورى أُلغيت في مطلع الدولة الأموية، وتحول الحكم من نظام شوروي إلى نظام ملكي يرث الأبناء فيه آباءهم. وظل الأمر كذلك حتى انهارت الخلافة العثمانية التركية نهاية الحرب العالمية الأولى مطلع القرن العشرين، وهي آخر خلافة للمسلمين.

في كل حال فلا بد لدى الجميع من إنشاء دولة إسلامية، طبقاً للشورى. إلا أن الشورى التي يتحدث عنها البعض لم يبق عليها الدليل كما مر معنا، كما أنها تتعرض لإشكالات جمة ومخاطر كثيرة، ولهذا فإنه يُفترض أن ننصّر شكلاً للشورى يخلو من الإشكالات والمخاطر، وطبقاً لما ورد من الشروط التي ينبغي توفُّرها في الحاكم، ومراعاةً للدور الأساس لعلماء الدين في حفظ الدين وإصدار التشريعات والقيومة الممنوحة لهم في كثير من الموارد، فإننا نضع نُصَب أعيننا للتصور الآتي:

- ١ - يكون الحاكم الأعلى للدولة الإسلامية فقيهاً بارزاً من فقهاء الأمة في التشريع. ويتم اختياره من قبل مجموع علماء المسلمين ممن لهم الأهلية في التمييز بين المجتهد وغيره. شرط أن تتوفر فيه سائر الشروط التي مر ذكرها.
  - ٢ - إنشاء مجلس تمثيلي لمختلف طبقات الأمة. وهو المعبر عنه بالبرلمان. ويتم اختياره عبر الإقتراع. والتشريع الممنوح له ينحصر في المساحات المتروكة.
  - ٣ - إنشاء مجلس تنفيذي (مجلس الوزراء). ويتم اختيار كل وزير من قبل ذوي الخبرة المختصين بالشأن الموكل إليه. فعلى سبيل المثال: يختار كافة العاملين في حقل الطب ووزير الصحة. كما يختار أهل السياسة ووزير الخارجية. ويختار القانونيون وزير العدل. ويختار العسكريون ورجال الأمن وزير الدفاع. ويختار علماء الدين ووزير الأوقاف والشؤون الدينية. وهكذا يتولَّى المختصون اختيار سائر الوزراء.
- هذا التصور يمكن أن يكبح جماح الوزراء عن التلاعب بثروات البلاد ومقدراتها، كما يخفف من صولاتهم الشرسة أحياناً على الناس. حتى يعرفوا أن مراكزهم إنما هي ملك الأمة، وليست محلاً تجارياً لهم وللمن يدور في فلكتهم من المنتفعين. وإنما لم نسمح للبرلمان بالتشريع المطلق لأنه خاص بالله تعالى كما ورد قوله عز وجل في القرآن الكريم ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَدِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾
- لهذا فإن دور البرلمان أن يكون سلطة تنفيذية أكثر منه سلطة تشريعية، وربما كان له دور تشريعي محدود ضمن الدائرة التي يمنحها له الحاكم الشرعي وصاحب ولاية الأمر على الدولة، ولا شك أنها ستكون من ضمن خبراته، ومن المساحات التي تُترك التشريع فيها للأجيال. كما أن له مهمات تختلف عن مهمات مجلس الوزراء، وأما سائر قطاعات الدولة وأجهزتها فيمكن أن يكون للبرلمان والوزراء دور هام، خاصة إذا قرُن ذلك كله بهيئة من الأمناء على كيان الدولة تضم علماء وخبراء في الشؤون المطلوبة، تقوم بدور الرقيب والمحافظ على القانون والأمة. بهذا الأسلوب نستطيع إنشاء حكم ذي ضوابط ومواصفات تمنع من تحول أهل السلطة إلى فئة تتحكم بالناس، ولا يتمكن الناس من محاسبتها أو تبديلها في الوقت المناسب قبل خراب البصرة، كما يقول المثل العربي.

### مشروعية النظام

يعتمد النظام الإسلامي في مشروعية منظومته على كونها صادرة عن خالق الكون، والعالم بكل احتياجات البشر وما يُصلحهم وما يضرُّهم، فالله تعالى لا يغيب عن علمه شيء، ولا ينقصه علم ما كان وما سيكون، كما يعتمد على أن المؤمنين بهذا النظام أذعنوا الله تعالى وسلموا قيادة حياتهم له، فهو الذي شرع لهم ما يُسعدهم في الدنيا والآخرة، ثم هم لا يشعرون بالغيرة منه تعالى ولا يتعدون على مختصاته، ولا شك أن مثل هذا الإيمان

لا يتيسر لأي نظام آخر، لذلك فقد أسلس المسلمون قيادهم لله، بينما ظل الآخرون في هرج ومرج يستنون القوانين، ثم يرون فيها الثغرات والعيوب فيعملون من جديد على إصلاحها أو تبديلها.

وأما الديمقراطية فلا تتمتع بمثل هذه المشروعية، وإنما تنبع مشروعيتها من كونها اتفاقاً بين الناس والحاكم الذي اختاروه عبر صناديق الاقتراع على السير بنظام معين، ثم تفويضه بتعيين رؤساء أجهزة الدولة، أو اشتراكهم معه في اختيار البعض كمجلس النواب أو مجلس الشيوخ، ويمكن ترجمة هذا الاتفاق بأنه عقد بين الشعب والحاكم على الحكم بنظام تم وضعه من قبل لجنة معينة، أو من قبل الأمة كلها بأية وسيلة كانت، كما يمكن القول بأن هذا العقد هو بمثابة البيعة عند المسلمين، إلا أن الفارق بين الأمرين هو أن شرط العقد بين الشعب والحاكم في الديمقراطية هو العمل بنظام صنعه الإنسان، بينما البيعة في الإسلام على العمل بالقانون الإلهي، أو ما يعبرون عنه بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله.}

على أننا نرى أن علماء المسلمين وفقهاءهم لديهم معرفة واسعة بالقانون الإسلامي، ومنهم من لديه خبرة قل نظيرها لدى خبراء القوانين، والعلماء بدورهم يشرحون لعامة المسلمين الكثير من هذا القانون، إما بغية العمل به وتطبيقه فيما يحتاجونه من أمور حياتهم أو عباداتهم، وإما طلباً للثقافة العامة ومعرفة أسرار الشريعة الإسلامية الغراء. أما بالنسبة للتعرف على الديمقراطية لدى أهلها فإنني أشك في أن أحداً يجتد نفسه للتخصص بها، ثم يقضي سحابة عمره في شرحها للناس، على غرار ما يجري بين علماء المسلمين وعامتهم. وهي ميزة تميز بها المجتمع الإسلامي عن غيره من أمم الأرض.

وعندئذ فإن الذين يتعاملون بالديمقراطية يتعاملون بها وهم يجهلون، وفي أفضل الحالات يجهلون تفاصيلها وسيئاتها، بل وكل ما له علاقة بفلسفتها من قريب أو بعيد. وعليه، فإنه يمكننا القول إن العارفين بفلسفة الديمقراطية والمطلعين على حيثياتها ثلة قليلة من الناس، وعلى مستوى الترف الفكري في غالب الأحيان، وسائر الناس جاهلون بكل شيء عنها ما عدا الذهاب إلى صناديق الاقتراع والإدلاء بأصواتهم لانتخاب من لا يعرفون شيئاً عن خلقه، ولا عن أمانته وصدقه، ولا عن رعايته لمصالح الوطن والأمة. ومن خلال رؤيتي ومتابعتي لما يجري في هذا العالم رأيت كثيراً من الحكام قد تربعوا على عرش السلطة وهم لا يعرفون عنها شيئاً غير الجلوس على الكرسي. ولو أن أحداً طلب منهم أن يشرحوا لهم شيئاً عن الديمقراطية أثناء الحملات الانتخابية لأوقعوهم في حرج شديد.

على أن هؤلاء الحكام الجهلة بأنظمتهم يتصورون أنهم باستطاعتهم فرض عبادة وثنهم هذا الذي يسمونه (الديمقراطية)، لذا فهم يشنون الحروب لفرضه على الآخرين. وقد فاتهم أن الأخذ بقانون أو دين سماوي أو وثني لا يتم عبر القوة والفرض على الشعوب، وهذا هو أحد الفوارق الهامة بين دين الإسلام ووشن الديمقراطية، فالإسلام دين سلام، ولا يفرض اعتناقه على أحد لقوله تعالى: { لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي }.

وأما الديمقراطيون فقد رأيناهم يشنون الحروب لفرض دينهم على الناس، ويقتلون من أجل ذلك الملايين ويمرون البلاد ويهلكون العباد. وبعد هذا نسأل: (هل هذه حقاً هي الديمقراطية؟) ويا ليتهم تأنوا في عرض دينهم علينا ريثما نقتنع بصواب هذا الدين ثم نبدأ العمل على تطبيقه بالتدرج. كما أنني مقتنع بأن نسبة العارفين بمعنى الديمقراطية وفلسفتها، وإدراك حسناتها وسيئاتها في بلاد العالم الثالث لا تبلغ واحداً بالمائة، وليست بلاد العالمين الأول والثاني أفضل حالاً من شعوب العالم المختلف.

نعم، هناك أمر لا ننكره، وهو أن شعوب العالم المتمدن وجدت أمنًا وراحة بعد حصولها على مكاسب جمّة في مجال الصحة والإقتصاد، كما أنها وجدت حماية لها تحت جناح دول تحولت إلى ترسانة عسكرية، وامتلكت السلاح النووي والهيدروجيني في غفلة من الزمن، وظنت أن كل هذه المكاسب إن هي إلا ثمرة طبيعية لعبادتهم وثن العصر الحديث (الديموقراطية) ولهذا فإن تلك الشعوب على غير استعداد للتنازل عما يطّلبون له ويزمرون، من نظام ينخره السوس وهم غافلون. ولست مبالغاً إذا قلت إنهم تُمالى من السكر من كؤوس الدلال والرفاهية التي أعدقتها عليهم دولهم، وأقنعتهم أن هذه النعم لا توجد إلا في دينهم الجديد. من جهة أخرى فإن الفراغ العقدي لدى تلك الشعوب وانحسار الإيمان بالله تعالى إلى ما يقارب نسبة الصفر بالمائة جعلها شعوباً لا تفكر بخالق لهم وللكون ولا يسواه، وليست الحياة عندهم سوى سنوات يعيشها الإنسان ثم يخرج من الدنيا إلى غير رجعة، ولعل هذا هو السبب الكامن وراء إنحلال الإيمان والفساد الخلقي، حتى رفع بابا الفاتيكان في الآونة الأخيرة عقيرته مطالباً شعوب أوروبا بالعودة إلى الدين، وأن أوروبا قد عاث بها الفساد في الأخلاق، وحول شعوبها إلى مجرد أحياء بلا عقيدة ولا أخلاق. وهذا اللون من الفسادة عند أهلها يستوجب أن تكون الحياة مريحة هانئة، ولا أود شتم أحد إذ اقلت إنها شعوب باتت أقرب إلى السوائم منها إلى الإنسان، هُثمها علفها. فإذا توفر لها العلف في البطن والفرج، وفُتح الباب على مصراعيه للعريضة وعدم التقيد بقوانين السلوك والقيم فإنها لن تفكر بشيء بعد هذا.

من نتاج هذا الوضع الشائن أن بعض الذين يستيقظ فيهم التفكير منهم ويرون ما هم فيه من الإنحطاط إلى مستوى هو أدنى من رتبة الحيوان يشعرون بسخف الحياة، لأنها عندهم قد صارت بلا غاية. فهم في نظرهم أشبه بركاب قطار يسير نحو لا هدف، وليست له محطة غير القبر، وطول الرحلة أحياناً يُشعر بالملل، فلا يجدون أمامهم حلاً للقضاء على الملل والفراغ غير الإنتحار، هذا الكابوس الذي بات يزعجهم، وبخاصة بعد أن ارتفعت نسبته بشكل ذريع في أوساط الغرب. وأما الذين لا جرأة لديهم للإقدام على الإنتحار فهم يلجأون إلى تعاطي المخدرات، وممارسة العريضة والمجون على أوسع نطاق.

### من أبرز سمات هذا الخلل في المجتمع الغربي أمران:

الأول: ارتفاع معدل الجريمة، سواء بقتل الآخرين أو بقتل أنفسهم عن طريق الإنتحار. الثاني: سرعة تقبل الغربي للإسلام إذا ما عُرض عليه بصورته الناصعة بعيداً عن التشويه والتشويش، وبعيداً عن الممارسات الخاطئة لدى كثير ممن يدعون الإسلام زوراً، ثم هم يسيغون إليه بتصرفات جانحة عن جادة الصواب والحكمة. وسرعة تقبل الغربي للإسلام تكشف عن مدى المعاناة المرّة التي يعيشها في ظل بيئة تائهة في صحراء قاحلة من الإلحاد والبعث عن التفكير في خالق هذا الكون البديع.

وأغتنم هذه الملاحظة لأشير إلى أن أمام المسلمين اليوم فرصة ذهبية، وعليهم أن يهيئوا جيشاً من العلماء النابهين ممن يجيد عرض الإسلام على المجتمعات الغربية، ويثونهم في كل زاوية أو زقاق، ليعرضوا نظام الإسلام على الغرب المتعطش وإن لم يعلن عطشه، وأن يشرح له مبادئ الإسلام صافية من الشوائب والبدع، ويبين ما فيه من صلاح للعالم وأنه دين يقود الناس نحو الفضيلة والأمان. وإني على ثقة لو أن المسلمين أحسنوا استثمار هذه الفرصة لتحول العالم كله إلى الإيمان بالله تعالى، ولاتخذت مجتمعات الغرب شرعه الحنيف منهاجها في الحياة، ولو فُرت على المجتمع الإنساني ما يعانیه من كل أشكال العنف والعذاب، وما

جره الجنّة من الدمار والخراب وإزهاق النفوس بسبب ما اقتدحوا من شر الحروب الضارية، وألهبوا نيرانها التي أتت على الأخضر اليابس.

واني أؤكد أن الغربي مهما كان على ثقافة واسعة، فإنه أمام الثقافة الإسلامية كالنعجة، يمكن سؤقه بسرعة ودون مقاومة. لأن داخله يئن من الفراغ، وهو يعبر عنه بصدق في لحظات يبث فيها أشجانه، ويعبر عن اليأس القاتل الذي تملكه ثمرة لهذا الفراغ. ولقد لمسْتُ هذا طيلة عقود عملي في السنغال وتجولتي على بلاد أوروبا وأميركا. وأقول مؤكِّداً إن كسب ألف شخص غربي إلى حظيرة الإسلام أسهل ألف مرة من إقناع شرقي واحد، وبالأخص إذا كانت أصوله إسلامية وقد انخلع منها.

ملاحظة: ذكرت في ثنايا هذا البحث طرق استخدام الديمقراطية لاختيار الرأس الحاكم في الدولة وما فيها من مساوئ وثرغرات. كما أشرت إلى أن الحاكم هو الذي يتولّى منفرداً - أو بمشورة أعضاء البرلمان أو مجلس الشيوخ - اختيار الوزراء وسائر المسؤولين عن أجهزة الدولة، وفي ذلك ما فيه من مخاطر الإختيار السيء، نظراً إلى أن العواطف والمصالح والأهواء تلعب دوراً خبيثاً في مثل هذه المواقف.

وتبقى مشكلة اختيار أجهزة القضاء والمؤسسة العسكرية وجهاز الأمن. وهي مشكلة خطيرة قد تؤدي بمستقبل البلاد وأمنها، كما تنشر الجريمة بين أبنائها، عندما يتم اختيار هذه الأجهزة اعتماداً على أسس فاسدة بعيداً عن النظر إلى الكفاءات والمؤهلات العالية، كالرشوة المنتشرة في العديد من دول العالم المتمدن والمتخلف، رغم اختلاف النسبة بينها، وكالمصالح التي تجمع بين الحاكم ومن وقع عليه الإختيار لشغل منصب القضاء أو قيادات الجيش أو جهاز الأمن. هذا إذا لم نتحدث عن تدخل شركات السلاح - صناعة وتجارة - وغيرها من الشركات التي تتحكم بمصير الأمة والوطن في صناعة القرار، مثل شركات النفط والقيمين على تجارة المخدرات، وكل ما يدر الأرباح الطائلة، مما يدفع أصحابها إلى عقد صفقات سرية هائلة بينهم وبين المرشحين لرئاسة الدولة، أو من يدور في فلکهم سراً أو علانية. وأما إذا أردنا الدخول في هذه الأمور فإننا سنورد أنفسنا في متاهة مترامية الأطراف، لا يكاد المرء يصل بعدها إلى نتيجة مرضية يقبلها منطلق أو عقل سويّ.

## كلمة أخيرة

لا شك بأن في الديمقراطية حسنات ومساوئ كما بنا، وإن من أبرز مساوئها ما يأتي:

١ - التحكم برقاب الأقلية وسحق إرادتها. بغض النظر عن المحاولات الجاهدة لتجميل الديمقراطية وإظهارها بصورة لأثقة.

٢ - التركيز على جمع المرشحين للمناصب العالية وأحزابهم لأكثر عدد من الأصوات. وهذا يجرح عادة إلى استخدام الدعايات الكاذبة، ونشر الشائعات، وتبادل أقدر الإتهامات بين المرشحين، تلك الإتهامات التي ستثقل كاهل الفائز بعد استلامه السلطة.

٣ - التنافس الشديد على الأصوات يؤدي في كثير من الأحيان إلى شراء الضمائر والذمم عبر وسائل متعددة، كالمال والمناصب والخدمات.

٤ - إذا كان الفائز قد التزم لبعض الجهات والزعامات بجعلهم وزراء أو في أي منصب خطير في الدولة، فهذا يعني جعل الوطن والأمة أمانة بيد ذوي الضمائر الرخيصة. وفي مثل هذا الوضع لا يمكن الوثوق

باحترام تلك الأمانة. ويمكن أن يكون بعض تلك الجهات المشترية شركات نפט أو مصانع سلاح أو منظمات للتجارة بالمخدرات، أو غير ذلك من الجهات الخطيرة، وحينئذ سوف تشتعل الحروب بلا سبب، أو ستزدهر تجارة ثروات الأوطان لدى حفنة من الأثرياء الذين يمتصون دماء الشعوب، كما تزدهر تجارة المخدرات والإعتداء على كرامة الإنسان وأمنه. وكلنا يعلم ما تؤدي إليه هذه التجارة من جرائم ضد الإنسانية

٥ - قلنا إن مشروعية الديمقراطية تعتمد على التزام الشعب والفائز في الإنتخابات بعقد يعبرون عنه بالإقتراع. وهذا العقد إنما يُلزم طرفي العقد فقط، أما الأجيال القادمة سواءً منهم الذين كانوا بالأمس من القاصرين وسيبلغون سن الرشد ابتداءً من اليوم التالي لإجراء الإنتخابات، أو الذين سيأتون من بعدُ فإنهم غير ملزمين بهذا العقد. والمشكلة إذا كان العقد مشتملاً على قوانين طويلة الأمد، بحيث إن الذين سيولدون سيكونون مضطرين لتنفيذ هذا العقد الذي لا ناقة لهم به ولا جمل. والدساتير التي تُعطى قداسة لدى الديمقراطيين هي التي تؤدي إلى ظلم الأجيال القادمة التي لا تتمكن من تبديلها أو تعديلها. وهذه الحالة هي الدكتاتورية بذاتها وإن ألبسوها ثوب الديمقراطية المزركش.

وقد تبرأ الإسلام من كل هذه العيوب، وحمى الناس من الأخطار والظلم الذي يلحق بأهل الديمقراطية. وإن من أهم الأسباب الكامنة وراء هذه الحماية هو ما ذكرناه من أن واضع التشريع في الإسلام هو الله تعالى، الذي لا يحيف على عباده، والعليم بالمصالح والمفاسد، كما يطلع على الماضي والحاضر والمستقبل على حد سواء، فيضع قانوناً يمكن تنفيذه بعد آلاف السنين دون أي عائق. والله تعالى لا يخذعه اقتراع نفوح منه روائح عفنة، من الغش والخداع، وشراء الذمم الرخيصة في سوق نخاسة الأخلاق. وقد ذكرتُ أن العدالة ضمان من الوقوع في المحاذير وارتكاب الخطايا. كما أن أسلوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أسلوب ناجع يكفل الإصلاح إذا ما بان أول جنوح نحو الفساد، بل إن العدالة المقرونة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي أفضل طريقة عرفها تاريخ الإنسانية لتقويم المجتمع وصيانتة، وبقاء الأمل مستمراً في نشر العدل ودفع الظلم ورفعته، كما أنه خير وسيلة لكبح جماح المعتدين وأهل الإنحراف.

والحمد لله أولاً وآخراً، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

## العدل الرضوي والنقيض الغربي المعاصر

د. أمين سعود الساحلي<sup>١</sup>

### مستخلص

لا شك أنّ أمهات العناوين فيما يسمى بالحضارة الغربية من اللاأدرية والعبثية والعدمية والنسبية ليست سوى نتائج وآثار للحدث الغربي الذي قام على الغزو والتوسع والقتل والنهب. كل تلك الأضواء قامت على أنقاض أمم وحضارات وشعوب ذات قيم روحية غنية بالمعاني، تم القضاء عليها لمجرد الاستيلاء على لحمها والتلذذ بمضغها بأسنان الإنسان المتوحش غير أنّه يلبس قيافة الذكاء الحضاري ويلف نفسه بوشاح التنكر القيمي والإنساني. إنّ أفضل الطرق التي تمكننا في هذا الزمن من كشف هذا التنكر ورؤية الغرب بوجهه الحقيقي ليس هو الاعتصام بصور الماضي المجيدة والتعامل مع الغرب بعقدة النفور من منطلق المعاصر، بل علينا وضع كل ما تحفل به المطبوعات الغربية فوق ميزانٍ أكده الأئمة وتبنوه إمام بعد آخر. إن مجرد استعراض المفردات والشعارات الغربية أمام منطق الإسلام وعينه المستلهمة مما تركه الثقلان سوف يؤدي إلى التبصر والرؤية الصحيحة والنجاة من الوقوع في فخ الخداع المعاصر. سوف يشتمل بحثنا على تناول أصل العدل الإسلامي مع ما أضفاه اللسان الرضوي من إضاءات متعددة ووضع كل ذلك وجهًا لوجه مع النموذج الغربي من خلال بعض من أبرز سماته.

**الكلمات المفتاحية:** العبثية، العدمية، النسبية، العدل، تراث الإمام الرضائي (ع)

### مقدمة

لا عجب ان يكون العدل أصلًا من أصول الدين الإسلامي، أصل في الحياه المدنيه والحياه السياسيه والحياه الاجتماعيه والحياه الأسريه، في العلاقات الدوليه والعلاقات الماليه والعلاقات بين الشعوب وكافة مناحي الحياه. وذلك ان ما ينتظر من الوحي هو توكيد الفطره السليمه لدى الانسان، ومن البديهي أن هذه الفطره تأمر بالعدل من دون أي انتظار لاي إضافه سماويه على حياه الانسان أو حضارته. الوحي والفطره توأمان يجب أن يتحركا معا ليرتفع الانسان بهما في مساره الحضاري الطويل. إن هذين الجناحين، الفطره والوحي، ضروريان في نهوض الانسان وحركته لبلوغ شأنه والوصول إلى هدفه، إن أي خلل في أحد هذين الجناحين سوف ينعكس ضعفاً وانحرافاً وتعثراً في مسار الانسان على وجه العموم، غير أن المشكله الاكبر تتأتى من ذهاب الجناحين كل في اتجاه ليجد الانسان نفسه ممرقاً بين وحي مدعى يدعوه إلى وجهه بينما تشد به الفطره الى الوجهه المعاكسه.

١ أستاذ الرياضيات في الجامعة اللبنانية ومدير المركز العلمي للتصنيع والإنتاج، لبنان، amin.elsahili@gmail.com

وكما أن أدعيه الوحي والمتكلمين باسمه عبر التاريخ كانوا كثيرًا، كذلك فإن أدعياء التحدث عن الانسان بالنيابة عنه وأصحاب الوكاله العامه للحديث عن فطرته كانوا أيضا كثيرًا عبر التاريخ. وإذا كان بعض وكلاء السماء يتحدثون عن ضروره أن يقدم الناس الذبائح من أجل هذا الملك أو ذاك وأن ينفقوا الغالي والنفيس مما لديهم من أجل إرضاء هذا الملك أو تلك الملكة التي يريدوها الوحي وتريدها السماء وان تكون قابعه أو قابعًا على العرش معتلين رقابا الناس مهما بلغ طغيانهم وظلمهم للناس وقتلهم الأبرياء والدوس على الكرامات، فإن الوحي يطاع فحسب لا يسال عن شيء، كذلك في المقلب الآخر كان هناك من يتحدث عن أن فطره الانسان هي التي تدعوه ان يكون كائنا وحشيا تتحكم به شريعة الغاب حيث البقاء للأقوى، أو تحدث عن قدسية ومركزية اللذة في حياه الانسان وإن كل هذا منقوش في فطرته ثابت في جبلته، وكان هذا الادعاء من هنا أو من هناك غالبًا ما يؤدي الى انتكاسة الانسان وينتج حياه مشوهة تزخر بمشاهد الظلم القبيحة وتخط على صفحات التاريخ ألوان التعاسة والبؤس والألم الذي يجعل من حياه الانسان لعنة بدلاً من أن تكون جنته الموعودة.

لقد دعا الاسلام الناس بدعاية الوحي المستقيم المستدل على صدقه بمختلف صنوف الأدلة وقواعد المنطق السليم، كذلك وفي نفس الوقت بدعاية لا تتعدى لسان الفطرة السليمة، وقد تجلى هذا واضحا في الآيات القرآنية المباركة التي ما ان تتحدث بلغة الوحي حتى تلاقيه بحديث الفطرة السليمة من الجهة الأخرى، ولذلك كان الايمان في الاسلام تصديقا للفطرة والوحي في ان معا. سنتبع في هذه المقالة المنهج الوصفي التحليلي المقارن، حيث نستعرض أصل العدل في الإسلام من خلال أحاديث الإمام الرضا(ع) ونقابلهما بنقيضها في ما آلت إليه المنظومة الغربية.

### أصل العدل في الإسلام

لقد كان العدل من أمهات العناوين التي التقى عندها خطاب الوحي مع خطاب الفطرة في القرآن، وجاء بعد ذلك المآثور من السنة عن النبي صلى الله عليه واله وسلم وعن ائمة اهل البيت عليهم السلام فتحدث كل بلسان ومن زاوية. ومن الطبيعي ان الامام الرضا عليه السلام كان له نصيب وافر في الحديث عن هذا الأصل الاسلامي الهام. وقد حفلت هذه النصوص باريز واهم المعاني التي توضح ايضا تاما معنى العدل كأصل إسلامي في حياة الانسان.

من جهة أولى، يرتبط هذا الأصل بالإيمان بالله ليكون تجليا من تجليات العبادة الصحيحة والسليمة لله وهو ما يعني ان العدل مفهوم مطلق قاطع نهائي بات غير نسبي او مصلحي او ظرفي، ولا هو ذرائعي نستخدمه بغية الوصول الى هدف فحسب. انه مطلق لارتباطه بارادة الله المطلقة، احد صفاته المطلقة ووجه من وجوه حقايقته. العدل فوق الاثنيات والقوميات والشعوب والتاريخ والروابط والعلاقات، عدل لا تتغير قواعده ما بين الاغنياء والفقراء ولا بين الاقوياء والضعفاء، ولا تتغير أركانه من بيئة الى بيئة ولا من لغة الى لغة ولا من تاريخ الى تاريخ ولا بين فلسفة وفلسفة.

والأهم من ذلك ان العدل في الأصول الاسلامية ليس عدلاً أخرويا فحسب لنجاء اليه كلما سلت سياط الظلم ظهورنا، او نتذكره كلما اردنا ان نخفف عنا ونحمل على ظهورنا احمال الطغيان والتعسف من كل نوع. العدل في الاسلام ليس تسلية ولا مخدر ولا ارجاء وتحويل وتاجيل لحياتنا برمتها الى اجل أخروي، انه



ليس ضمادة جراح، وليس اعتناق اصل العدل هو للحكم على الحياة انها ظلم متتابع، وهي بالتالي لا تستحق العناية والاهتمام، وكل ما علينا فعله هو الهجران والابتعاد والانسحاب والجلوس بعيدا من اجل انتظار ان ياتي يوم العدل الموعد. العكس من ذلك هو الصحيح، اذ ان الحديث عن العدل في هذه النصوص يرتبط مليًا وبشكل جاد وعضوي بحياة الانسان في صيغتها الاكثر اشتمالا على كل التفاصيل، اي ان العدل في الاسلام منظومة تريد ان تضع لكل شيء قاعدة حتى ارش الخدش. ففي نظام الحكم وادائه ومبرر وجوده وغاياته واسلوب عمله والقواعد التي ينطلق منها او يستند اليها في شدته ولينه وفي قضائه لحوائج الناس وعلاقته بهم وعلاقتهم به قواعد للعدل الاسلامي يجب ان تتجلى على شكل بنود ومقررات دستورية اساسية، وبدون هذه القواعد يصبح هذا النظام للحكم مجافيا لقواعد الاسلام وعدله ولا يعوضه بعد ذلك كل شعاراته، اي انه لن يصبح مطابقا للعدل الاسلامي لمجرد ان يرفع شعارات الاسلام او يزين جدرانها ومطبوعاته والدنيا من حوله بالآيات والاحاديث التي تتحدث عن العدل الاسلامي. كذلك هو الحال بالنسبة للقضاء بين الناس والقوانين التي ينبغي ان تحكم الحياة بكل فروعها وتفصيلها. روح هذه القوانين وفلسفتها ومقاصدها يجب ان تنبثق جميعها من القواعد التي صيغت في النصوص الاسلامية المقدسة. هذه القواعد ليست هي التفاصيل على كثرتها، فالناس قد يختلفون في تشخيص القانون الذي من شأنه ان يكون ترجمة أمينة لأصل العدل الإسلامي، لكن السعي المستقيم هو المطلوب بعينه وليس النتيجة، اذ يكفي في مجتمع العدل الاسلامي السعي والتجري للوصول الى مقاصد الاسلام وتحقيق اصل العدل فيه، ولا يهم بعد ذلك النتيجة التي تم التوصل اليها، وذلك ان هامش الاختلاف بين السعاة يمكن ان يتضاءل عند الاتفاق على الاهداف والمقاصد، ولكنه يستحيل ان ينعدم، وبموجب ذلك فان الاختلاف في ترجمة اصل العدل امر متوقع لا يجب الخوف منه فضلا عن التنكر له، فنحن هنا لا نبحث عن حقيقة علمية ملموسة، اما ان نجدها واما ان لا نجدها، اننا بدلا عن ذلك نضع تقديرا بشريا يبذل قصارى ما فيه من جهد وقوة للوصول الى الصيغة الاكثر تطابقا مع اصل العدل. اننا وضعنا سعيا بشريا في الحساب، وهذا يعني ان نستعد لاستقبال جملة من النتائج المختلفة واعداد الاطار السياسي الذي سيحول هذه النتائج الى منظومات معتمدة لا لبس فيها ولا حيرة. ان الربط في حديث الامام الرضا عليه السلام بين اصل العدل والايمان بالله لا يجعل الانسان الاسلامي كما شاءت بعض الكتب المادية مجرد حركة ميكانيكية تابعة تحركها من عل أصابع الوحي بعد أن تحكم على ما فيه من مقدرات إدراكية بالاهمال لاعتبارها غير ذات جدوى. (مرور، ١٩٧٨) فاذا كان الوحي بامكانه ان يضع لنا على طبق من فضة كل ما من شأنه أن تصلح الحياة به ماذا سوف تكون الحاجة اذا لتكسير الرؤوس في أعمال نظر لا ينتهي للوصول إلى ما أدلت به يد الوحي بصيغة اتم وافضل. الامر كما تقدم ليس على هذا النحو على الإطلاق حيث ان الوحي زائداً على الفطرة سوف يقدم اصولا وقواعد عامة تترك اليها جبلة الانسان بلا اي تكلف ليضيف اليها الوحي بعض الزيادات والالوان والارشادات والايضاحات ثم يكون على عاتق التجربة الانسانية التي تنهض من اسفل الى اعلى باثة اريجها الممتزج بالنصب والتعب والعثرات من كل نوع، على شكل مقررات قانونية واضحة بينه، ليلتقي الصاعد مع الهابط في صيغة المشروع والمبرور والسائغ، بدلا عن المنزل في كل موقف. الهابط من السماء قواعد عامة والصاعد من الارض تفكير وتجارب واعمال نظرتعاون لاجل الابتكار والابداع فيه كل ملكات الانسان، فلا الذين زعموا بان الوحي يطال كل تفصيلات الحياة ولا الذين اعتبروا ان الوحي مصادرة لادراكهم نظروا الى الموضوع بالطريقة المثلى. فالرأيان غلو كل في اتجاه.

إذا نظرنا على سبيل المثال الى موضوع الربا فاننا نجد القانون الاسلامي باتا في تحريمه. كيف يمكننا في هذا المثال تشخيص التوليفة التي تجمع ما بين الوحي والفطرة والعمل البشري التجريبي؟

اظنني لا اخطئ اذا قلت ان فطرة الناس جميعا تلتقي عند القاعدة التالية: "لا عمل بلا بدل" وأيضا على القاعدة "لا بدل بلا عمل". فاذا شاهد انسان من اي ثقافة كان ولاية جماعة انتمى انسانا يعمل ويتعب ويعطي النتيجة المرجوة منه بكل اتقان وجدية ثم ياتي ليطلب البدل والمكافاة والاجرة على عمله فلا يجاب سوى بالمنع والصدود وادارة الظهر، ان ردة فعل اي منا على مشهد كهذا سوف يكون عبارة عن الغيظ والحقن الشديد للظلم الواقع على هذا العامل وحرمانه من حقه الطبيعي في البدل على العمل الذي قام به بكل اخلاص واتقان وجدية. لنتامل هنا كيف قمنا بتطبيق قاعدة مفادها ان لا عمل بلا بدل بلا تردد وبلا اية حيرة باعتباره احد مصاديق العدل، فهل يعني هذا ان الوحي نزل على كل منا وابلغنا ذلك؟ ابدا فالفطرة السليمة هي بمثابة موثيق وعهود اودعها الله في داخلنا لتقوم بعد ذلك بملافة الوحي عند نزول الانبياء حجة الله الظاهرة. كذلك فالانسان بعقله المستقل وفطرته السليمة سوف يشعر بالغيظ ايضا وعدم الارتياح عند رؤيته لقاء غير عامل تحمل اليه الاموال من كل صوب من غير ان يحرك ساكنا او يبذل اي جهد. ان فطرتنا ايضا تؤمن بالقاعدة الاخرى التي لا تقل اهمية عن القاعدة الاولى بل وترتبط معها ارتباطا وثيقا وهي تنفيذ ان لا بدل بلا عمل. كلتا القاعدتين سوف تتحولان لاحقا الى جملة من القوانين التي تحكم حياة الناس في تعاملاتهم المهنية والتعاقدية الكسبية، وبما ان مثالنا هو هنا هو الربا فان الوحي فيما يتعلق بالقاعدة الثانية جاء ليثبتها ويؤكدها كما هو متوقع، اذ من المستحيل ان يتناقض معها او ان يذهب في غير وجهتها، لان الوحي اذا تناقض مع الفطرة فاما انه ليس بوحى او انها ليست بفطرة.

لقد اكد الوحي ما هو مؤكد في الفطرة وثبت ما هو مثبت فيها من ان الحصول على مال من غير جهد فيه ظلم كبير، ثم قام بعد هذا التثبيت والتوكيد للفطرة بخطوتين اضافيتين في الاولى اعتبر ان الربا المتمثل باخذ الاجرة على مجرد الاقراض هو مصادق من مصاديق هذه القاعده اي انه حسم نقاشا مشروعا تثار في اطاره مسالة جدلية مهمة، وهي ان الاقراض بحد ذاته هو خدمة اي هو فائدة وهو منفعة بما يوفره للناس من حلول لمشاكل انية لا تقبل الانتظار، وبناء عليه فان اخذ الاجرة على هذا العمل امر مشروع لا تعارضه القاعدة القائلة ان "لا بدل بلا عمل"، حيث ان الاقراض هنا هو عمل ومنفعة وبالتالي يستحق اجرة محللة. لان نجد في النصوص المعصومة مناقشة اقتصادية تخصصية تعالج هذه المسالة، بل لقد سارعت هذه النصوص الى اتخاذ موقفها النهائي من مسالة ان الربا ظالم ومذموم يمكن الاغنى والاقوى من استغلال الاضعف واستتباعه الى امد ممتد لا نهاية له، وقد ترك لنا عناية النظر والتحقق من هذا الادعاء وذلك من خلال استعراض المثل التاريخي، وهي ايضا عودة الينا لا عن طريق الفطرة هذه المرة بل عن طريق اعمال النظر والتقييم التاريخي الموضوعي من اجل المصادقة على هذا الامر واعتبار الربا مناقضا لاصل العدل. ثم قام الوحي بخطوته التالية والتي حرم فيها الربا تحريما باتا، اي انه لم يكتف بالتقييم والترك لانظارتنا حرية التعامل معه بحسب الظروف. السؤال هنا هل ابقى الوحي بخطوته من دور ليلعبه العقل والادراك والتجربة؟ والاجابة هي بالتأكيد لصالح هذا الدور حيث اقر الاسلام ما يقره العقل السليم من ان في التسليف منفعة وان كل ما علينا فعله هو استئصال الجانب الاستغلالي في هذه المنفعة حتى تصبح استثمارا مشروعا. ان دور العقل هنا هو في ابتكار منظومة التسليف الاقتصادية على هذه المنفعة بعد ان نخرج منها الجانب الاستغلالي الظالم، وهذا ما قد يتحقق في عدة من الاساليب ليس

هذا هو محل ذكرها، ولكنها بالتأكيد مجال ابداعي بشري بحث قد تتوافق فيه الانظار كما قد يختلف بعضها عن بعض او اكثر من ذلك قد يتهم بعضها بعضا، ولكننا في النهاية سوف لن يكون لنا نموذج ربوي ينطبق عليه الوصف الربوي الاسلامي بشكل واضح فاضح. اذا في مثل الربا هذا كانت القاعدة الفطرية مستقرة في الذهن فنزل عليها الوحي واتمها بتحرير مصداقها ونهيه البات عنه، ثم ترك للتجربة الانسانية ان تبديع في ايجاد منظومات اقتصادية تسليفية لا تقع في شرك التعسف الاستغلالي البغيض. (الصدر، ٢٠١١)

العدل في نصوص الرضا عليه السلام يدخل ايضا الى عالم الاخلاق فهو هنا ايضا له تجلياته ومصاديقه وهو هنا ايضا عبارة عن منطلقات وقواعد سرعان ما تنحل الى اداب واحكام تتعلق بذوق الانسان وحديثه وعمله وعلاقاته ومحبته وبغضه وسائر انفعالاته، فهو في كل هذه الامور مأمور بان يكون عادلا اي موافقا لاصل العدل لا ان يعتبرها امورا بعيدة عن الاعتقاد او الحقوق وبالتالي فليس هناك من قواعد يجب ان تحكم هذا المجال.

بكلمة فان العدل الرضوي هو العدل الاسلامي الذي يتصف بالاطلاق والشمول اي انه مطلق غير نسبي ولا تجريبي ولا متصل بظروف متحولة متغيرة وكذلك فهو شامل لكل مناحي الحياة ولا يقتصر على جانب دون اخر.

### النقيض الغربي للنموذج الرضوي

يمثل النموذج الغربي المعاصر نقدا ومصادره وانتهاكا للعدل الرضوي كما تقدمه النصوص، وليس المقصود هنا ان الفكرة الغربية هي مصادرة ارتجالية او قرار اتخذه الغرب في ساعة من الزمن، بل هو عبارة عن ممارسة طويلة الامد سارت على هذا النحو المغاير تماما لما تم الحديث عنه انفا في اطار الحديث عن اصل العدل كما تقدمه النصوص الرضوية، في هذه الممارسة لقد كان الاسفل هو الذي يوحى للاعلى الحدث هو الاول، وليس الفكر بكامل تسمياته سوى كاتب لهذا الوحي. الذهاب اولا الى الاراضي البعيدة لاحتلالها وقتل شعوبها وسرقة ثرواتها، ليكتب التنظير الاجتماعي والفلسفي وحي هذا العمل في قوالب جديدة كفلسفة البقاء للاقوى من اجل جعل القوة والتفوق العسكري مبررا لما لا يمكن تبريره. (جدعان، ٢٠٠٨) كما ان الحديث اخذ يتوسع ليتناول المعايير التي تجعل من الانسان مستحقا للحياة او محكوما عليه بانه عبء عليها يجب التخلص منه، وكذلك راحت الاقلام تخط الكتب التي لا تنتهي لترويج وتوكيد الغاية كاصل، وهي التي بإمكانها ان تبرر كل الوسائل المعتمدة لبلوغها.

في المراحل التي تلت اخذ هذا الحدث يزداد توحشا وقسوة وانتهاكا لكل القواعد والمبادئ الانسانية وسيقت شعوب عن بكره ابيها كالبلغال والحمير لتعمل مملوكة في رق اسبادهها ليلا ونهارا بدون توقف تحت طائلة القتل والتعذيب. (العكش، ٢٠٠٤) كلما كان الحدث يزداد توغلا في الجريمة والمنكر كلما كانت الاقلام تتحرك بإزائها وتحت تأثيرها كاتبة المزيد من وحيها الجديد الصاعد من رائحة الموت وسواد الظلم، حيث وضعت هذه الاقلام في مواجهة فطرة الانسان وقيمها المثبتة ولم تجد من وسيلة للتخلص منها الا بهدم الموروث القيمي من اعلى الى اسفل.

بدا التنظير للالحاد، ثم ان نبذ فكرة الله لم تعد بعد ذلك كافية لتفي بالغرض فكان لا بد من طرح الحقائق المطلقة والترويج للنسبية واللاأدرية والعبثية والعدمية، وهكذا وجد الغرب نفسه معتقدا ما اوحى به من الاسفل الى الاعلى حتى وصل الى العبثية والعدمية، ولا محرك ولا حافظ لهذه الاقلام سوى التخلص من الاحراج امام سطوة الفطرة السليمة.

لقد كان هذا الوعي من اسفل الي اعلى يشتمل على ففرتين اساسيتين قمنا نحن حتى الان بعرض واحدة منها وهي الافكار والفلسفات التي عكست ما قام به في البلدان الأخرى، اما في طيات هذا المجتمع الغربي فلقد كان لهذا الوعي كلام اخر مختلف تمام الاختلاف عما سبق في الفقرة المذكورة لقد وجد هذا المجتمع نفسه فجأة مصبا للثروات الهائلة التي تدفقت اليه من سائر القارات المنهوبة، كما انه وجد لديه فجأة شعوبا باسرها جاهزه للاستخدام والاستعمال في شتى المناحي. هكذا فجأة بين عشية وضحاها تضاعفت الثروة المتدفقة على اوربا أكثر من ٨٠٠ ضعفاً وغلا فجأة ثمن الانسان الأوروبي الذي باتت السلطات الاستعمارية بحاجة ماسة اليه لبلوغ اراضيها التي لا تغيب عنها الشمس، فكان لابد من رفع نير الذل عنه واعطائه دفعة من الحرية والقوة والثروة والصلاحيه ليصبح شريكاً تقسم معه الغنائم في اخر النهار. هنا ايضا املى الحدث على الأقطام الاجتماعية والسياسية والفلسفية وحيا ينظر لضرورة التساوي في كل شيء من تداول السلطة الي تكافؤ الفرص والعدالة في التوزيع من غير ان تكون العدالة هنا عدالة رضوية لانها عدالة المغارة الأوروبية التي تقسم فيها غنائم السرقة بين اللصوص بالتبادل والتساوي، وذلك لان اي احتقان بينهم سوف يضعف هذه اليد الطويلة التي يجب عليها ان تكون مستعدة في الغد للوصول الي مدى ابعده لجلب المزيد من الثروات الخرافية التي لا يمكن ان تقارن مع ما يمكن ان ينتفع به احدهم اذا زاول مع شريكه اي شكل من اشكال الخداع والغش.

أذاً، ليس في العدالة هنا لا سماء ولا ايمان ولا قيم ولا انسان، هناك حسابات مادية فقط. العقد الاجتماعي في المغارة الأوروبية هو ضمانه استمرار تدفق الثروات المهولة وليس فيه البتة قيم الحب والتاخي والاحترام المتبادل، وكل ما كتبه الثورة الفرنسية على اعلامها من شعارات الاخاء والحرية كانت تكذبها سفن تجار الرقيق الفرنسيين الذين كانوا يتصيدون البشر في افريقيا بالمعنى الحرفي للكلمة (غارودي، ١٩٩٨) من اجل سوقهم الي القارة الجديدة والاثنيان بشمنهم لتلعب دوراً في الثورة الفرنسية التي تريد هدم الطبقات واستبدالها بعقد اجتماعي يتساوى افراده في الواجبات والحقوق.

كذلك فان هذا الانسان الأوروبي قد وجد نفسه تحت تاثير التغيرات المتسارعة في الاستهلاك ذا انفصالات غير مسبوقه، انسان يرى في نفسه محوراً للكون وهو مصاب بداء التوحّد في هذا الوجود، ولذلك كل ما عداه فهو اما مخلوق من اجل اشباع غرائزه واما انه عبء يجب التخلص منه، وهو ما انعكس تقديسا لهذه اللذة وفكرا لا ينطق الا بلسانها ولا يشرع الا من اجل صونها. قوته من جهة ولذته من الجهة الأخرى ومجتمعها الذي يؤمن له دوام هذه القوة واللذة من جهة ثالثة هو ثالث الوعي الذي نشأ من تجربة هذا الغرب الموغلة في الانتهاك والفساد. نسعى هنا إلى أن نفصل مقابلة واضحة وموافقة بين العدل في النص الرضوي وبين ما آل اليه الفكر الغربي بعد تجربته الطويلة واضعين ذلك تحت جملة من العناوين التي بإمكانها ان تعطينا الصورة الوافية عما تمتاز به صورة العدل في المنطق والنص الرضوي وما يحمله الوجه الغربي من شراسة وقسوة وقبح بعد التخلص من خداع الزينة التي يزين بها نفسه في كل مطبوعاته.

### العدل الرضوي والنقيض البراغامي

جاء في عيون اخبار الرضا انه عندما سال المامون الرضا عليه السلام عما يمكن ان يلخص به الاسلام برمته فاجاب ابو الحسن بعدة من العناوين من بينها ان الاسلام لا يصح الا ان يؤمن الانسان ان الله عدل لا يجور، وفي نفس المصدر، عن سيرة النبي فيختصر ان "سيرته العدل" (الصدوق، ١٩٨٤).

ان ربط العدل بالله تعالى هو داب اسلامي صميم، وصفة ان الله عادل يامر بالعدل هو من اهم مرتكزات الايمان الإسلامي، وهذا العدل الذي امر به الناس ليس صفة اخلاقية مثالية عامة، بل هي تحولت الى قواعد واسس ومبادئ، وارتبط بها رضا الله والقرب منه والفوز عنده، من حفظ النفس المحترمة وحقن الدماء والأعظام للقتل وعدم التعدي على حقوق الناس ومجتمعاتهم ومدنهم وعائلاتهم تحت طائلة الغضب الشديد من الله سبحانه. ان ربط هذا العدل المفصل بطاعة الله والسير في سبيله والسعي للتقرب منه ونيل رضاه يفوت على الانسان ان يتخذ من العدل مفهوما متغيرا متحركا يرسمه حسبما تقتضي ظروفه واحواله، اي انه مقياس انجز مسبقا ووضع موضع التنفيذ قبل ان نشرع بالحركة في المضمار السلطوي او السياسي او المالي او التجاري او الاجتماعي.

في كل هذه الشؤون نحن مكلفون ان نخضع ما نقوم به لمقاييس هذا العدل المعد مسبقا، وهذا هو مختصر القول في العدل الاسلامي الرضوي الذي لا يثبت قيم العدل فحسب بل يربطها بالايمان بالله حتى لا تحدث احدا نفسه بتغيير هذه المقاييس حسب ميوله واهوائه وظروفه، وهذا هو ديدن النصوص القرآنية ونصوص اهل البيت المتحدثة عن مفهوم العدل في الإسلام.

انه اذ عدل بات ونهائي، ومسبق اي انه يتصف بصفات ثلاث: الثبات المسبق بمعنى ان قواعد هذا العدل ليست متروكة لما يراه كل جيل بحسب ظروفه ومناسباته، وحي ثبت مسبقا وايدته الفطرة وخط في نصوصنا المقدسة، تالبا صفة العموم وهي تتجلى في ان العدل الاسلامي لا يقبل الاستثناء فهو يجب ان يطبق على كل الناس لا فرق عنده بين عربي واعجمي وبين اثنية واثنية او لغة او لغة او فقير وغني او حاكم ومحكوم لكل هؤلاء قواعد لا تتغير يجب الالتزام بها. بالإضافة الى ما يتميز به هذا العدل من انه عدل معلن وتفاصيله مدونة ومقروءة ويمكن ان تتعلم وتعلم وان يعرف بها القاصي والداني وليس فيها اي محل مستور وليس فيها اسرار موضوعة بيد الاقوياء فحسب اي ان العدل الاسلامي غير مرتبط بحفنة من ممثلي الحق الذين يستخرجون بنود العدل من خبايا اسرارهم. تفاصيل هذا العدل كتبت مسبقا بيد الوحي ويتلوها الناس في شرق الدنيا وغربها صباحا ومساء.

اما في الغرب فان الحكاية سارت على نحو مختلف. ففي الحقبة التي كان الظلم فيها واقعا على عامة الناس في الممالك الأوروبية، كان الناس يتحدثون عن العدل بما يتطابق مع فطرتهم السليمة ومع ما وصل اليهم من نصوص المسيحية النقية، وكانوا يجدون في هذا العدل السلوى لهم للصر على اذية الحكام والاقطاعيين والملوك ورجال الكنيسة أحيانا. اما عندما فطنت القارة الأوروبية الى هياقتها وتهايات لها اسباب القوة، اصبح الملك الحاكم مصدرا من مصادر الثروة العظيمة التي يحملها من الاراضي البعيدة المنكوبة والمحتلة الى بلده. صحيح انه لم يكن يكثر حينها بان ينفع شعبه غير ان الثروة كالماء اذا كثرت في مكان نبت العشب من كل نوع ونال كل منها نصيبا ولو على قدرة. هكذا بدأت تميل نفوس الناس الفقراء المستضعفين الى حكامهم وملوكهم لا بل اصبحوا مستعدين للانخراط في ما يطلب منهم في سياق هذا السعي المحموم والتسابق غير المسبوق للحصول على ثروة الدنيا. انه اذا تخلص من نير الاستعباد والاستضعاف من خلال رفعه عن كواهلهم ووضع على كواهل اخرين، وليس من خلال ايقاف الاستضعاف والاستعباد كصداق للجزر والظلم واستبداله بمقاييس العدل واحكامه وقوانينه وقواعده. لم تكن روح العصر حينها روحا مؤيدة للعدل لقد كانت روحا تؤيد رفع الظلم عنهم فحسب وان الفصل بين رفض الظلم واعتناق العدل هو المفتاح السري الذي يمكن حصرا من قراءة الشخصية الغربية، بمعنى ان اصرارنا على تكافؤ رفض الظلم مع اعتناق العدل ادى بالكثير منا الى فهم مغلو للفكر الغربي. بسرعة وفي وقت مبكر بدأت تلوح في الافق الدراسات والفلسفات المولعة بالحفاظ على الحكم والحاكم باعتباره الاولوية الأولى، لما لهذا الحكم من دور لا يناقش في جلب الثروات.

في هذا السياق ظهر كتاب الامير ميكافيلي باكرا جدا في القرن الخامس عشر ليتحول بعد ذلك الى كتاب مقدس يضعه كل ساسة الغرب الى جوارهم ويستلهمون منه ما سيقولونه ويفعلونه على حد سواء، ومعلوم ان القاعدة الاهم في هذا الفكر الميكافيلي هي القاعدة التي تقول ان الغاية تبرر الوسيلة (سعد، ١٩٨٥). ولقد بقيت هذه القاعدة التي يعتمد عليها الغرب في سلوكه السياسي وفي السلطة والتوسع والاستعمار. لقد قالت روح العصر في زمن ميكافيلي لماذا يجب علينا ان نلوم الملك والسلطة اذا قتل ونكل وابداد في الامريكيتين او في استراليا او في افريقيا؟ نعم التي سوف تترتب على هذا العمل ستتدفق بكميات خرافية وهي نتيجة حميدة اذا نظر اليها بشكل معزول ومستقل عن اي شيء اخر، اما النظر التام الى المشهد برمته ورؤية المقتول والمنهوب والمسروق جنبا الى جنب مع النعم التي كان يؤتي بها سوف يكون نظرا زائدا عن حدة مؤديا الى المزيد من التعقيدات والسلبيات ولهذا نحصر النظر في النتائج بغض النظر عن الاساليب المتبعة. فاذا قيل بعد ذلك ان الدولة الأوروبية الفلانية تنفق فقط على نظام التامين الاجتماعي مبالغ هائلة او على نظامها الصحي من اجل ان يكون على ارقى حال في خدمة الناس يكون حديثنا حديثا ايجابيا عن نظام ارتقى الى دور الدول الراقية التي تهتم المواطن وترعى مصالحه فلماذا اذا نفسد عليه هذه الصفة من خلال طرح السؤال من اين لك هذا؟ انرى انه عاث في امكانه اخرى فسادا وقتل بلا رحمة ولا شفقة استعبد ونهب وسرق كل ما وصلت اليه يده ليتبين لنا انه لا علاقة له بالرفي ولا بالقيم الانسانية او الاجتماعية. وهذا لعمري ينطبق على كل الطغاة عبر التاريخ فلقد كان الاقتصار على النظر الى قصورهم والتعامل مع افراد اسرهم يجعلنا نخرج بنتائج ايجابية عنهم فهم يؤمنون لابنائهم وحاشيتهم اجمل المساكن والحدائق والطرق والزينة والانارة ويقدمون لهم اجود انواع الغذاء وفضل انواع التامينات من ملابس ودواء واطباء ويضعون في ايديهم اعلى انواع الفرص الاستثمارية والعملية. ان هذا الافتتان بهؤلاء الطغاة ونحن نحدق فحسب الى ما يحصل في اروقة قصورهم سوف يتبدد في نظرة واحدة الى خارج حدود هذا القصر حيث الاراضي المحروقة السوداء والناس المشردين المضطهدين الذين اعدوا ما تبقى من رمق في ظهورهم لتكون في خدمة اهل هذا القصر، لقد سلب منهم حريتهم وجهدهم لنراها في اروقة القصر على النحو الذي ذكرناه آنفا.

لا تزال الغاية هي التي تبرر الوسيلة في طول الغرب وعرضه لا بل توسعت هذه النظرية مع مرور الزمان واصبحت تشتمل على المزيد من الفروع والرؤى الشاذة التي هي من نفس السنخ، فالقوي في هذه المنظومة ما لبث ان تحول الى عرق مقدس متفوق وقد كتبت هذه الدنيا له بموجب هذا التفوق وذلك ان الانسان المتحدر من سلالة الحيوانات وفق داروين لن يكون استثناء في عيشه على هذا الكوكب فالجميع سوف تحكمه شريعة واحدة وهي شريعة الغاب. البقاء للاقوى، وبهذا المعنى تصبح القوة مبررا فكريا وفلسفيا توزع بموجبها الحقوق لا وسيلة يجب ان تخضع لقواعد مسبقة. وهنا نكون في ذروة التقابل والتعاكس بين العدل الرضوي الاسلامي وبين هذا النقيض البراجماتي الدارويني.

جاء عنه عليه السلام كما في بحار الانوار: من أحب عاصيا فهو عاص و من أحب مطيعا فهو مطيع و من أعان ظالما فهو ظالم و من خذل عادلا فهو خاذل إنه ليس بين الله و بين أحد قرابة و لا ينال أحد ولاية الله إلا بالطاعة و لقد قال رسول الله ص لبني عبد المطلب ائتوني بأعمالكم لا بأنسابكم و أحسابكم. (المجلسي، ١٩٨٣) والاشارة العظيمة الشأن في هذا الحديث ان السلطة لا تبرر والاحساب والانساب لا تبرر والاعراق والاثنيات لا تبرر وحدها الاعمال هي التي تبرر وذلك حينما تكون مطابقة لقواعد العدل المدونة مسبقا.

وقد جاء عنه ايضا في كتاب تحف العقول وهو يصف الامام صاحب السلطنة المطاع القوي: الأمين الرفيق و الولد الشفيق و الأخ الشقيق و كالألم البرة بالولد الصغير و مفزع العباد كذلك يصفه في نفس المصدر بالسحاب الماطر و الغيث الهائل و السماء الظليلة و الأرض البسيطة و العين الغزيرة و الغدير و الروضة. (الحراني، ١٩٨٣) وفي مكان اخر في نفس المصدر ايضا يصفه بالبدر المنير و السراج الزاهر و النور الطالع و النجم الهادي في غيابات الدجى و الدليل على الهدى والمنجى من الردى. (الحراني، ١٩٨٣)

ونحن يجب ان لا نستغرب هذه الاوصاف بالغة الشأن والرفعة والسمو عندما يتحدث الأئمة عليهم السلام عن الامامة والسلطة والقوة. شتان عندهم بين مفهوم الامامة كقوة توضع في خدمة الناس من اجل ان يحلقوا على بساط ريحها في عالم التمدن والارتقاء وبلوغ النعم والحبوحة من غير ظلم والامارة التي هي قوة مسلطة على رؤوس الناس توضع على جباههم اقدمها ولا تستعين على ذلك الا بمبرر واحد هو مبرر القوة، ولعمري هذا ما تطالعنا به سائر النصوص التي تحدثت عن هذا الشأن فلقد زخر عهد الامام علي الى مالك الاشرع بالعهود والمواثيق التي تؤكد له ان الأرض التي يتسلط عليها كحاكم هو في الواقع محكوم لمصلحتها ولمنفعتها لا مخدوما من قبلها تعامله كما تعامل الجلاوزة والطلاعة، وهذا جميعه مصداق للاية الكريمة "الذين اذا مكننا لهم في الأرض أقاموا الصلاة".

شتان بين تصور تكون فيه الامامة هي الرفق واللين والرحمة والاعانة والحلول واليسر والخدمة وبين اماره تكون قرصانا يبطش بقوته ويقنع من معه على سفينته بما يلقي اليهم من صرر النقود وصناديق الكونز. لم تكف تنظيرات القوة في الغرب بما قيل بل شرعت تتحدث وتصنف الناس بين مستحق للحياة لائق بها وبين من هو عالة عليها وعبئ على كاهل ثرواتها يجب التخلص منه او اخصاؤه او كل ما ابتكره من الاساليب الاجرامية التي ابدعها هذا السكر بالقوة والانتشاء بالمقدرة.

أصبح هذا النموذج هو نموذج الغاية التي تبرر الوسيلة والقوي الذي يحق له ان ياكل الضعيف اي ان الاستطاعة تثبت له حقا وان الضعيف لا محل له في هذا الكون ما لم يكن نافعا ومفيدا بالتاكيد في خدمة سيده الأبيض، وهو فعلا نقيض للمفهوم الرضوي الإسلامي الذي يرى العدل اساس الحكم وهو عدل ناجز محرر واضح بين يرتبط بالله سبحانه وتعالى وبمفهوم المطلق ثم انه عام وشامل لا ينتظر المناسبات حتى يسفر عن ما يريد، كذلك فهو معلم من على الماذن ولا يحكك في سراديب المؤامرات السرية. والامامة العادلة بهذا المعنى هي الغيث الذي يحمل معه كل صنوف الخير والثروة والهناء وهو ما اكده الامام كما جاء في عيون اخبار الرضا الجزء الثاني صفحة ٢٣ ان "استعمال العدل والاحسان مؤذن لدوام النعمة". وليست النعمة في الاستيلاء على ما في يد الاخرين من الثروات فانها وان دامت برهة من الزمن محكومة بالزوال.

وقد جاء عنه كما في بحار الانوار: أجل الخلائق وأكرمها اصطناع المعروف، وإغاثة الملهوف، وتحقيق أمل الأمل، وتصديق مخيلة الراجي. (المجلسي، ١٩٨٣)

وليس في ذلك من زيادة لمستزيد.

### العدل الاسلامي الرضوي والنقيض الغربي التفكيكي

من المعلوم ان اليقين هو اعلى ما في هرم الايمان الإسلامي: "واعبد ربك حتى ياتيك اليقين" وقد ذكر الامام ابو الحسن الرضا عليه السلام كما جاء في بحار الانوار: "الايمان فوق الاسلام بدرجة والتقوى فوق الايمان بدرجة واليقين فوق التقوى بدرجة". (المجلسي، ١٩٨٣) من الطبيعي ان يوضع اليقين في هذا الموضع على

راس منظومة تؤمن بقيم مطلقة تتصل بالايمان بالله المطلق واصل العدل يقوم على قيم مطلقة لا تقبل الاهتزاز او التحول لان في المساس بها تدميرا لكل ما فوقها، وقد وعى الغرب في وقت مبكر ان خصوصته هي مع اليقين المطلق بكافة اشكاله ومسمياته ولذلك راح يعمل على التفكيك لاستبدال المنظومة المتكئة على اسس المطلق بمنظومة اخرى تؤمن بالظرف والنسبية او اللاأدرية على ما سنبينه.

لقد سعى الغرب في وقت مبكر في رحلاته الاستعمارية لوضع الدين ورجاله الى جانبه وراح يعطي لحملاته طابعا تبشيريا. في واقع الحال كان كذلك الثعلب الذي خرج يوما يدعو الى الله وقد ارسل وراء الديك حتى يؤذن لصلاة الصبح ثم اتاه جواب هذا الديك قائلا عن ابائه الصالحين الذين دخلوا البطن اللعين انه مخطيء من ظن يوما ان للثعلب ديننا. وهكذا كان فيعد ان مكنتهم دعاية الدين من الوصول الى رقاب الناس نزعا صلبانهم جانبا وبرز الى العلن معبودهم الحقيقي الذي هو الذهب والفضة كما اشار الى ذلك بعض الهنود الحمر (العكش، ٢٠٠٤). غير ان الدين بصيغته المطية لم يعد قادرا على مواكبة هذا التوسع في الاحتلال والنهب للثروات وقتل الشعوب وابادة الحضارات، وذلك لان هذا الغرب بدا يضيق ذرعا بالقيمة الاخلاقية بحد ذاتها اي ان وجدانه المثقل بالأثام واسنانه واطافره التي تقطر دما من ضحاياه الارباء في كل مكان لم تعد قادرة على ان تعلم في مدارسها ومعاهدها اخلاقا مطلقة لا يجوز تجاوز حدودها وصار لابد من استبدال الصبح والخطا المطلق الاخلاقي بالمسموح والممنوع القانوني، والقوانين في هذه المنظومة فقدت كل اتصال باي قيمة مطلقة ووضعت في يد اقتراعية انتخابية اكثرية تميل بها حيث تشاء بدون اي وازع او اراع. ومن ثمار هذا الامر ان القتل يمكنه ان يكون بحسب القانون جريمة يعاقب عليها في مكان ما واما قوما في مكان اخر. وكذلك وجدت اللذة التي فتحت امامها القوة ابواب الجنون على مصرعيه وجدت في هذه الصيغة القانونية النسبية ما من شأنه ان يوفر لها ما تحلم به من التمتع والتلذذ غير المحصور ولا المحدود فلا يحكمها العيب او الحرام او الواجبات او حقوق الآخرين او عدم الاعتداء او اي من ذلك. يكفي ان تتعلق الرغبة والميل باي شيء حتى يصبح مباحا، وهكذا اصبح محظور الامس ومذمومة مثلا اليوم للعصرية والتقدم كما هو الحال في الشذوذ الجنسي. وقد فعلت هذه النسبية فعلها بعد ان ساهمت في انتاج الانسان الغربي الجديد الذي انطفات في سمائه كل مصابيح الايمان. الفلك من فوقه يحكم معرفته المتقدمة ومناظيره المبتكرة واجهزته الخارقة لا شيء سوى تعرجات والتواءات مملة لا تشتغل على شيء سوى المادة الصماء الحمقاء البلهاء التي لا معنى لها ولا قيمة ولا وقت لها ولا حاضر ولا ماضي ولا مستقبل وليس لها من فضائل او رذائل او قيم اخلاقية كل شيء فيها بارد ليس فيه اي معنى، والانسان ليس من شواذ من هذه القاعدة فهو ينتمي ايضا الى عالم اللاحق ولا اهداف ولا غايات ليكون قد وصل الفكر الغربي في نسبيته ولا ادريته الى المرحلة العبثية او قل العدمية التي تلفه من كل مكان وتبتلعه وترمي به في مهملات اللامعنى.

لقد صارع الغربي الظالم فطرته فصرعته واستدرجه من حيث لا يحتسب بعد ان افترس من هو اضعف منه وراح يخدع نفسه ويرسم لها التاويلات الدينية والعرقية والسلطوية والاستكبارية، ثم ضاق عليه الايمان بما رحب وصارت تهف نفسه الى ارض لا ايمان فيها لا يكون محكوما لمقرراتها المسبقة، ثم انه وجد نفسه يبحث عن نسبية تقيه نفوذ أي قيمة اخلاقية مطلقة فاخذ ينظر للنسبية التي ما فتئت ان استحوطت الى لاأدرية دفعت به الى العبثية والعدمية. اما في الروضة العلوية فان الحياة تقوم على البرهان والبرهان منطلقه اليقين ولسوف يتفرع عن هذا اليقين كون مبصر غائي تحكمه قيم الانسان الرشيد المشدود قلبه وعقله وكيانه بحبال التقى والايمان الى خالقه الحكيم القاصد الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى.



## خاتمة

لقد أعطينا في هذه المقالة أصل العدل وما يتصف به الأصل الإسلامي عمومًا من الثبات واليقين المسبق والميزان الشامل والمحرر والمعلن، ودرأنا الشبهة التي تريد أن تعتبر أن وجود أصل وحياني هو تعطيل لإدراك الإنسان وتحويله إلى مجرد أداة. ثم قمنا بوضع هذا الأصل مع ما اتصف به كما أوضحته الأخبار عن الإمام الرضا(ع) وجهًا لوجه مع النموذج الغربي المعاصر لتكون المقارنة والمقابلة كافية للاستدلال على ما وصلت إليه التجربة الغربية من التهافت والخسران.

كما أنه من جهة أخرى، فإن المقالة تشد عناية الباحثين إلى أهمية استخدام تراث الرضا عليه السلام كميزان للتجارب المعاصرة وخصوصًا أن الوجه الغربي يزخر بأنواع الموبقات التي لا حصر لها ولا تكفي عدة أوراق للإحاطة بها.

## المراجع

- أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين ابن شعبة الحراني. (١٩٨٣). تحف العقول. مؤسسة النشر الاسلامي  
 الشيخ الصدوق. (١٩٨٤). عيون أخبار الرضا (ع). مكتبة أهل البيت  
 العلامة محمد باقر المجلسي. (١٩٨٣). بحار الأنوار. دار الرضا  
 حسين مروة. (١٩٧٨). النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية.  
 روجيه غارودي. (١٩٩٨). الولايات المتحدة طليعة الانحطاط. دار الكتاب.  
 فاروق سعد. (١٩٨٥). تاريخ الفكر السياسي قبل الأمير وبعده. دار الآفاق الجديدة.  
 فهمي جدعان. (٢٠٠٨). أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث. دار الشروق.  
 محمد باقر الصدر. (٢٠١١). البنك اللاروي في الإسلام. دار التعارف للمطبوعات.  
 منير العكش. (٢٠٠٤). تلمود العم سام. رياض الريس.

## من أنساق الحقيقة إلى تجليات العدالة: قراءة استكشافية للحركة التوحيدية في الخطاب الرضوي

أ. د حازم طارش حاتم الساعدي<sup>1</sup>

### الملخص

الإشكالية التي يشتغل عليها هذا البحث، والمساحات المعرفية التي يسعى إلى استظهارها تكمن في استنطاق الخطابات الرضوية بكل أنحائها من أجل الوقوف على المرجعية الفكرية لتلك الخطابات، التي أضحت تفسر السلوك الظاهري للإمام "عليه السلام"، وهو يواجه الانحرافات الفكرية والعقائدية فضلاً عن الانحرافات الأخلاقية التي تمارسها السلطة...؛ لأننا نؤمن أن السلوك الظاهري للإنسان هو انعكاس لمبنياته الفكرية، الذي يمثل "الحقيقة" المدركة من قبل الإمام "عليه السلام"؛ وهذه الحقيقة وأنساقها ومظاهرها تدفع بنا إلى استكشاف "العدالة"، وانعكاسات تشكلها عند الأمة، فعقلنة الخطاب الرضوي على وفق أنساق الحقيقة التي تدفع بنا إلى برهنة الاستدلال بأن الخطاب الرضوي خطاب توحيد، وإن تغايرت مظاهره وأشكاله بحسب المواقف والأشخاص، وهذا هو عين "العدالة" الإلهية في إرسال الحجج على العباد، وهو عين "العدالة" بالزام الأمة بالامتثال والطاعة لأهل بيت النبوة. فالإيمان الراسخ والعقيدة الثابتة مظهر "الحقيقة"، التي لا يمكن للإمام الابتعاد عنها، وهي مظهر التجلي السلوكي في "القول، والفعل، والتقرير"، وهذا التجلي الجمالي، وهو تجلي "توحيدي"، تمظهرت فيه "العدالة". وفي ضوء هذه الفرضية، وهذا الاشتغال المعرفي في تأصيل سلوك "الإنسان الكامل"، بالكشف عن الحمولات الدلالية في الخطابات الرضوية، التي أصبحت تمثل الخلفيات الفكرية ذات الأبعاد الإنسانية، وعلى هذا الأساس اقتضت طبيعة البحث توزيعه إلى مطلبين تسبقهما "مقدمة"، وتسبقهما "خاتمة"، كان المطلب الأول بعنوان: (من أنسنة الخطاب الرضوي إلى التكامل الذاتي)، عالجت فيه الأبعاد الإنسانية التي تمظهرت بالخطاب الرضوي الدافعة إلى إيجاد السلوك الأمثل والأفضل، الذي يستند إلى خلفيات معرفية ذات أبعاد قرآنية... أما المطلب الثاني فقد كانت تحت عنوان (من عقلنة الخطاب الرضوي إلى برهنة الاستدلال التوحيدي) تناولنا فيه الحمولات الدلالية للخطاب الرضوي، وأبعادها الفكرية ومرجعياتها الثقافية التي تتمظهر بمظاهر "الحقيقة"، والكاشفة عن "التوحيد"، وتمثلاته السلوكية. أما المنهج الذي اعتمد عليه البحث فقد كان المنهج (التحليلي) الذي يعمد إلى تحليل النصوص الرضوية؛ لبيان أصولها المعرفية، وملاكاتنا الفلسفية.

**الكلمات الأساسية:** (النسق، الحقيقة، العدالة، التوحيد، الخطاب الرضوي)

<sup>1</sup> قسم علوم القرآن والحديث كلية الإمام الكاظم "عليه السلام" للعلوم الإسلامية الجامعة، hazem.tarash@alkadhum\_col.edu.iq

## من أنساق الحقيقة إلى تجليات العدالة

### قراءة استكشافية للحركة التوحيدية في الخطاب الرضوي

مكاشفة الخطاب، لاسيما الخطاب ذات البعد التوجيهي، والتعرف على الأنساق الحقيقية التي بروم كشفها، ومظاهر هذه الأنساق الحاملة لوجوه العدالة، التي تمثل الحركة التوحيدية في جوهر الملكوت، وتجليات هذه الحركة تتغاير بتغاير السلوك الذي يقتضيه السياق - الاجتماعي والثقافي والسياسي - التوجيهي الإرشادي؛ لذا كانت كل المظاهر الحياتية التي كان يعيشها الإمام الرضا "عليه السلام" تحكي العدالة الاجتماعية التي تطرقت بأبعادها التوحيدية، وتحليل هذا الأنساق في أبعادها الحقيقية يتجلى مفهوم في التأسسي والامتثال. فجوهر الحركة ميناه التوحيد، هذا ما جعل في السلوك الإمام "عليه السلام" عدم وجود التفاوت، والتغاير في المواقف، هذا ما جعل الحقيقة واحدة، لا تتبدل ولا تتغير موافقة للحقائق القرآنية، وهذا البيان يكشف العدالة ومساحاتها في التطبيق الإجرائي للسلوك الإنساني الذي يقتضي التوحيد، على هذا الأساس استظهرنا الجانب الإنساني في الخطاب الرضوية، وأبعاده التكاملية، فهذه المسارات المعرفية أضحت تشكل الإنسان الكامل في حركة الوجود، الذي تظهر بمظاهر الكمال، الذي أصبح محل الاقتداء والافتداء في تطبيق الأوامر والنواهي الإلهية، العاكسة بذلك جوهر التوحيد عند الإمام الرضا "عليه السلام" الكاشفة عن الحقيقة في سلوكه الخارجي، الذي هو عين العدالة، والكاشف عن هذه المضامين الدلالية الخطاب الرضوي؛ لهذا شكلت لغته بعداً معرفياً

### المطلب الأول: من أنسنة الخطاب الرضوي إلى التكامل الذاتي

استكشاف الملمح الإنساني في الخطاب الرضوي في ضوء قراءة معاصرة في انثروبولوجيا الثقافة، التي شكّلت فيها اللغة الرضوية الحيز الأكبر في المنظومة المعرفية للمجتمع الذي عاش فيه الإمام "عليه السلام"؛ لأن اللغة العين الكاشفة عن المجتمع، والمرآة العاكسة للسلوك الإنساني. واللغة تُعدّ عصب الحياة؛ فيها تُجسد الحضارة، وبها يزداد النشاط المعرفي، وعن طريقها يتفاعل الأفراد في المجتمع، فينشأ التواصل وتحقق الإغراض، ويقع التأثير والتأثير، فاللغة وجه المجتمع، وعن طريقها تكشف خصائص المجتمع، وندرتك كيف أثرت خصائص المجتمع في بناء اللغة وتشكيلاتها. ولغة الإمام الرضا (عليه السلام) لغة إصلاحية إنسانية، تهدف إلى حفظ كرامة الإنسان، وتسعى إلى حفظ هويته، فضلاً عن ذلك تكامله الذاتي؛ لذا أضحت لغة الإمام الرضا (عليه السلام) لغة مناهضة للغات الأخرى التي تسعى إلى امتهان كرامة الإنسان، ومسخ هويته الإنسانية، فضلاً عن ذلك إذلاله، فلغة الإمام الرضا "عليه السلام" تعكس تعدد الأصوات داخل المجتمع، فضلاً عن ذلك التجاذب الحاصل في فرض سلطة القول، العاكس لسلوك الأفراد، والكاشف عن القيم التي يؤمنون بها؛ لذلك أضحت الخطاب الرضا خطاباً انثروبولوجياً تقاطعت فيه لغتان:

### الأولى

لغة الإصلاح: التي استدعاها المتكلم من أجل كشف الحقائق وبيانها للمجتمع عسى أن يستجيبوا لنداء الإصلاح، فيتحقق الإقناع المرجو في أصل الخطاب، فضلاً عن ذلك إلزامهم الحجّة، وبيان زيف دعوهم، وإسقاط الحجّة التي بين أيديهم.

## الثانية

لغة مناهضة للإصلاح: التي تعكس واقع المجتمع الذي يحيط بالإمام، التي جسدت سلوكاً لا يُمدد للإنسانية بشيء، وهذه الأنساق التي اقتضتها لغة الإمام مثلت المناسبة بين اللغتين وانعكست انعكاساً متضاداً.

أولاً: جدل القيم الإنسانية في الخطاب الرضوي

الخطاب الرضوي رسم بمتوازٍ بين القيم والمبادئ الصاعدة التي تحفظ للإنسان كنه هويته التي تمثل التكامل، والقيم والمبادئ الهابطة، التي تنسخ هذه الهوية التي تمثل التخاذل، ونتائج ذلك السلوك الذي يؤمن به الإنسان في ذلك المجتمع.

ففي سياق الرد على شخص قال به: أنت والله خير الناس فرد الإمام الرضا عليه قائلاً: ((لا تحلف يا هذا؟ خير مني من كان أتقى لله تعالى، وأطوع له، والله ما نسخت هذه الآية: ((وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم (الصدوق م، ١٤٠٤ - ١٩٨٤، صفحة ٢: ٢٦٢)).

استظهر الإمام الرضا (عليه السلام) بفعل النهي "لا تحلف"، وهو طلب الكف عن الفعل، ثم أخبر بالحقيقة بفعل الموازنة والمقاربة "خير مني من كان أتقى لله تعالى، وأطوع له" ثم يعزز هذه الحقيقة بالحقيقة القرآنية "إن أكرمكم عند الله أتقاكم"، وهنا تنكشف الحركة التوحيدية للإمام "عليه السلام" العاكسة للفعل السلوكي الذي استنبط الحقائق، فهو لم يقبل هذا القول، بل أخبر بأن المعيار هو "التقوى" في بيان الأفضلية، وتقديم هذه الحقيقة بهذا النسق، هو عين العدالة، ويمكن بيان ذلك في ضوء النسق البنائي للفعل الاستدلالية لمضمرات القول:

إن أكرمكم عن الله أتقاكم (المقدمة الكبرى).

أنا أتقاكم (المقدمة الصغرى).

أنا أكرمكم وخيركم عند الله (النتيجة)

فالكفاءة الأدائية عند المتكلم تسعى إلى جعل المتلقي يعتقد ما يعتقد المتكلم، فالتكلم يرغب في اقتسام ما يعتقد به مع الآخرين (أعرب، ٢٠١٠م، صفحة ج/ ٣: ٤٥)، فالنهج المقتن الكلي للعملية الإقناعية كونها انتقالاً، تنطلق من "مبدأ" هو إرادة المتكلم قيام المتلقي بفعل أو ترك، وتكون العملية ناجحة ومنتهية إذا تحققت هذا الإرادة بالفعل، فهناك "مبدأ" و"منتهى" للعملية الإقناعية (النقاري، ٢٠١٠م)، القاضية كونوا أتقياء، أو ممكن جعلها ضمن الفعل التلازمي الشرطي:

بما أنني أكرمكم كوني تقياً إذن عليكم أن تكونوا أتقياء حتى يكرمكم الله

وقال الإمام الرضا "عليه السلام": ((يا سفيان؟ الخز للخلق، والمسح للحق)) (المازندراني، ١٣٧٦ - ١٩٥٦، صفحة ج: ٣: ٤٧٠)، عندما أنكر سفيان الثوري على الإمام "عليه السلام" لبسه للخز، فما كان على الإمام "عليه السلام" إلا الإجابة، وهذا مقتضى العدالة في بيان الحقيقة التي عليها الإمام "عليه السلام": "لأن مقتضى الإنكار من سفيان الثوري كأن الإمام "عليه السلام" خالف مقتضى العدالة، وهذا خلاف الحقيقة التي استظهرها له: (الخز للخلق)، كأن مقتضى العدالة الاجتماعية أن يكون الإنسان بالمظهر الجميل أمام الناس، وهذه الحقيقة ليست محل خلاف؛ لأن المشرع المقدس يحث على ذلك؛ لذا استقبلها سفيان الثوري من دون اعتراض، أما (المسح للحق) فهو عين الزهد والإعراض عن ما في الدنيا، وهو هنا يستظهر بأن تملك الشيء ولا يتملكك الشيء، وهذا الوجدان يستنبط البعد التوحيدي في الحركة السلوكية، وحتى يتحقق هذا الجانب

الإجرائي يستند المتكلم في عملياته الإقناعية إلى الوسائل اللغوية؛ لأن اللغة في بنيتها تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة إقناعية (العزاوي، (د - ت)، صفحة ١٤)، فالتقابل الذي قدمه الإمام "عليه السلام" يقدم حقيقتين متغايرتين ذات أبعاد إنسانية مختلفة.

وقال الإمام الرضا (عليه السلام): ((بل هو المغنم لا تعدن مغرمًا ما ابتغيت به أجرًا وكرمًا (المازندراني، ١٣٧٦ - ١٩٥٦، صفحة ٣/٤٧٠)، في معرض رده على الفضل بن سهل بعدما أنفق الإمام "عليه السلام" كل ما يملك في خراسان، نجد الإمام "عليه السلام" يقابل بين (المغنم) و (المغرم)، في حقيقة الإنفاق، ولاسيما إذا كان الإنفاق ابتغاء مرضاة الله به، وهو به يرجو الأجر والكرم، فهناك حقيقتان متغايرتان.

حقيقة ترى إن الإنفاق هو مغرم، الإمام "عليه السلام" يصحح هذه الحقيقة بأنها مغنم يبتغي بها أجر الله وكرمه، وهذا الحركة التوحيدية تأصل أن هؤلاء عيال الله، وهناك تكليف شرعي اتجاههم بالإنفاق، فالآليات التي استعملها الإمام "عليه السلام" شبه المنطقية وفعالية هذه الآليات أنها استدلالية خطابية، لها شكل منطقي ليس حتمياً، بل احتمالي. (العمرى، ١٩٨٦ م، الصفحات ٧٦ - ٧٧)

ليس كل الإنفاق مغنم (قضية كلية سالبة).

بعض الإنفاق مغنم (قضية جزئية مثبتة).

ليس كل الإنفاق مغرم (قضية كلية سالبة).

بعض الإنفاق مغرم (قضية جزئية مثبتة).

فالقائمة الإنسانية للإنفاق تمثل جوهر التوحيد؛ لأنه يريد بها وجه الله وكرمه، وهذه الحقيقة تمثل عين العدالة في حركة السلوك الإنساني.

وقال الإمام الرضا (عليه السلام): ((لا يسعني ذلك (المازندراني، ١٣٧٦ - ١٩٥٦، صفحة ٣/٤٧٠)) للفقيه الذي قال له (أعطني على قدر مروءتك)، السعة التي اتضحت في سؤال السائل تضرر السعة عند الإمام "عليه السلام)، وهذه السعة عند الإمام لا تسع السائل؛ لهذا كان جواب الإمام بالنفي؛ مما جعل السائل يلتفت إلى الخطأ الذي وقع فيه، مما استدعى تغير السؤال السائل، وهنا انكشف حقيقة الإمام والسعة التي يتمتع بها، العاكسة إلى البعد التوحيدي، وهذا بخلاف السائل، فطبيعة هذا النشاط الإجرائي متغاير في صيغته اللغوية، غايته الأولى والأخيرة هي التأثير في المتلقي والدفع به إلى تبني موقف ما أو اقتناء منتج أو التخلي عن سلوك (بنكراد، ٢٠٠٩ م، الصفحات ١٨٧ - ١٨٨)؛ لأن طبيعة الرد فاجت السائل؛ لأنه خلاف الواقع الذي يعرفه السائل عن الإمام "عليه السلام"؛ لأن مقتضى الإنسانية الإيجابية، ولاسيما من قبل الإمام "عليه السلام"، ولكن مقتضى العدالة أن تكون الإجابة على قدر سعة السائل، وليس على قدر الإمام "عليه السلام"

وقال الإمام الرضا "عليه السلام": ((مه أن الرب تبارك وتعالى واحد، والأم واحدة، والأم واحد والجزء بالأعمال.... (الكليني، ١٣٦٣، صفحة ٨/٢٣٠)، رداً على رجل من أهل (بلخ) كان مع الإمام "عليه السلام" في سفره إلى خراسان فدعا يوماً بمائدة له فجمع عليها مواليه.

يقر الإمام "عليه السلام" بحقيقة واحدة وهي أن الربوبية واحدة، بمعنى أنه الراعي لعبادة، وهذه الرعاية شاملة، ومقتضى الحقيقة يجب على الإنسان الكامل، ولاسيما الإمام الرضا "عليه السلام" أن براعي الناس، وأن لا يرى لنفسه شيء إزاءهم، ثم يشير الإمام "عليه السلام" إلى حقيقة أخرى وهي "الأصل الذي يرجع إليه الناس"، فمقتضى العدالة الإنسانية دعوتهم إلى المائدة، فالجانب الإجرائي في الخطاب الرضوي لا يكتسي بصيغة

الإكراه، ولا تيدرج على منهج القمع، بل تتبع في تحصيل غرضها سبلاً استدلالية متنوعة تجرّ الآخر جراً إلى الإقناع، وقد تراقق أساليب الإقناع أساليب الإمتاع فتكون أمكن على التأثير في اعتقاد المتلقي، وتوجيه سلوكه، وذلك لما يهب الإمتاع من قوة في تجسيد الأشياء في ذهن المتلقي، كأنه يراها رأي العين (الرحمن، ٢٠٠٧ م ، صفحة ٣٨)، وهذه اللطائف جعلت من الخطاب محل القبول والرضا من قبل المتلقين.

### المطلب الثاني: من عقلنة الخطاب الرضوي إلى برهنة الاستدلال التوحدي

المنطلقات التأسيسية التي يستند إليها الخطاب في عقلنة التصورات هي ذاتها، التي يعتمدها المتلقي لتحصيل الإقناع عن طريق الاستراتيجية النفسية المعبر عنها: ((مجموعة خطية من المفاهيم هي المعبر عنها بالحاجات النفسية والدوافع والمعتقدات والمصالح، وأسباب القلق والمخاوف والقيم والآراء والمواقف، وتعتبر هذه العناصر بواعث أساسية لسلوك الفرد، ومعيار فهم اختبارات السلوك لدى الفرد وتفضيلاته وأوليّاته أي: إنها البوابة الرئيسة لفهم أعمق لعملية الإقناع والتأثير (مصباح، ٢٠٠٠م، صفحة ٥١)

فالمسارات التي تخطها والحمولات الدلالية التي تنتهجها هذه الاستراتيجية تسعى إلى تقويم سلوك الفرد بإثارة العوامل العاطفية أو العوامل الإدراكية؛ لأن من المستحيل تعديل عامل بيولوجي كالطول أو القصر أو الجنس.... (مصطفى، ٢٠٠٣ م، الصفحات ٣٧-٣٨) وحتى يكون ذلك يتخذ المتكلم طريقة خاصة في تقديم رسالته تكون لها القدرة على تغيير سلوك الفرد عن طريق نافذة الوظائف النفسية، بمعنى أن مفتاح الإقناع يكمن في تعليم الفرد معلومات جديدة يقدمها له المتكلم، فتسهم هذه المعلومات في تغيير البناء النفسي مما يؤدي إلى تعديل السلوك، وهذا يُعدُّ جوهر الاستراتيجية النفسية. (ملفين، ٢٠٠٤ م، صفحة ٣٨٠)

والخطاب الرضوي اتخذ هذه الاستراتيجية سبباً؛ لإحداث تغيير في البناء الداخلي النفسي للمتلقي، وذلك بتقريب المشاهد وتجسيدها، فضلاً عن ذلك سوقها بشكل يتقبله منطق العقل، فعندما فاتحه عمّه محمّد بن الحنفية حول تأييده لثورة المختار فقال الأمام الرضا "عليه السلام" ((يا عم لو أنّ عبداً زنجياً تعصّب لنا أهل البيت لوجب على الناس مؤازرته، وقد وليتكم هذا الأمر، فاصنع ما شئت (المجلسي، ١٩٨٨م، صفحة ج/ ٤٥ : ٣٦٥)

ترسم حوارية الخطاب الرضوي صورة المشهد السياسي المتمثل بالظلم وسلب الحقوق، وهي الصورة الأوضح والأقرب إلى ذهن متلقي الخطاب، وهذا المشهد له دلالة إيجابية مؤثرة في النفس؛ لأنها محسوسة ومدركة، وهذا الاستعمال زوّد المتلقي بمعارف لها من الأثر في تغيير معارف الداخلية للمتلقي، التي تمثل الأساس لكل سلوك، وهو ما يستدعيه الخطاب الذي يتناسب ويتناسق مع الموقف الخارجي الذي يستدعي تقديمه للنصرة واسترجاع الحقوق، ومقتضى الخطاب خرج إلى النصح والإرشاد الذي يستلزم القبول "عليه السلام"، ويمكن بيان ذلك في ضوء المنطق الاستدلالي الطبيعي الذي خطه الخطاب الرضوي :

المقدمة الكبرى: كل من تعصّب لنا أهل البيت يجب على الناس مؤازرته .

المقدمة الصغرى: المختار تعصّب لنا.

النتيجة: يجب مؤازرة المختار .

فعملية الإنتاج قائمة على طرفي الخطاب، فالتكلم ينتج الكلام المصرح به والظاهر، والمتلقي من صنعه الضمني المستفاد من ظاهر النص؛ لأن المتكلم صنع كلامه في ضوء عالم خطاب المتلقين (صولة، ٢٠٠٧م،

صفحة ٥٦٣) حتى تكون هناك مساحة لإيقاع التأثير وتوليد الإقناع بعد ما أخذ الخطاب حيزه الطبيعي في نفوس متلقيه.

والخطاب الضوي أضحى يروج لثقافة غير سائدة في الحاضرة العربية يبت فيها القيم الإسلامية، والأخلاق النبيلة، بوجه الثقافة السائدة من الأخلاق السيئة والعادات والتقاليد البالية، والخطاب الرضوي حتى يستطيع نشر هذه الثقافة حتى تكون لها أثر في سلوك المجتمع استعمل استراتيجية الثقافة الاجتماعية حتى يولد قوة ضغط؛ لأن الثقافة التي يقدمها الخطاب الرضوي لها مساس مباشر بالإنسان، قال الإمام الرضا "عليه السلام" ((أَنْ أَتَاكُمْ آتٍ مِّنَّا فَانظُرُوا عَلَىٰ شَيْءٍ تَخْرُجُونَ؟ وَلَا تَقُولُوا: خَرَجَ زَيْدٌ، فَإِنَّ زَيْدًا كَانَ عَالِمًا وَكَانَ صَدُوقًا، وَلَمْ يَدْعُكُمْ إِلَىٰ نَفْسِهِ، وَإِنَّمَا دَعَاكُمْ إِلَىٰ الرَّضِيِّ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ "صَلَّى اللَّهُ عَلَىٰ وَآلِهِ وَسَلَّمَ"، وَلَوْ ظَهَرَ لَوْفِي بِمَا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ (الكليني، ١٣٦٣، صفحة ج / ٨ : ٢٦٤)

حوارية الخطاب الرضوي توظف الثقافة المجتمعية مضادة للثقافة التي تولدت من السلوك الاجتماعي السائد، وقد جاء الخطاب الرضوي؛ لتغيير هذا الثقافة، فضلاً عن ذلك استهجان هذه الثقافة، وهذا بدوره يشكل طاقة خارجية تأثيرية في المتلقي، مما يستدعي المتلقي تغيير سلوكه اتجاه هذه الثقافة، ومظاهر هذا التغيير "بالقول، والفعل". ويمكن بيان الاستدلال الإقناعي في الخطاب الرضوي :

المقدمة الكبرى: كل آتٍ منا فانظروا على أي شيء تخرجون؟.

المقدمة الصغرى: زيد آتٍ منا عالماً صدوقاً، لا يدعكم إلى نفسه.

النتيجة: زيد دعاكم إلى الرضى من آل محمد "صلى الله عليه وآله وسلم".

وهكذا ولّد الخطاب قوة إنجازية "يجب عليكم الخروج بالقول والفعل"، فضلاً عن ذلك إيجاد فعل تأثيري "لا يستوي من يدعوكم إلى نفسه، والذي يدعوكم إلى الرضى من آل محمد "صلى الله عليه وآله وسلم"، وإيجاد هذه الثقافة المجتمعية تكون عاملاً في تغيير السلوك، وتعيد بناء الفرد من جديد.

وقال الإمام الرضا "عليه السلام" للمعترضين على قبول ولاية العهد: ((قد علم الله كراهتي لذلك، فلما خيرت بين قبول ذلك وبين القتل اخترت القبول على القتل، ويحهم! ما علموا أنّ يوسف "عليه السلام" كان نبياً ورسولاً فلما دفعته الضرورة إلى تولي خزائن العزيرين، قال: (اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليهم) ودفعني الضرورة إلى قبول ذلك على إكراه وإجبار بعد الإشراف على الهلاك على أي ما دخلت في هذا الأمر إلا دخول خارج منه، فإلى الله المشتكى وهو المستعان (الصدوق م، ١٤٠٤ - ١٩٨٤، الصفحات ج / ٢ : ١٥٠-١٥١)

يقدم الإمام الرضا "عليه السلام" استراتيجية تتأسس هذه الاستراتيجية على مفاهيم "الأنثروبولوجيا" القاضية بأن المعاني ترتبط مباشرة باللغة، التي عن طريقها يكشف المتكلم عما يجول في خاطره، ويقف أمام العالم الخارجي بناءً على ما يحمله من معاني، وهذه البنية المعرفية الداخلية للمتكلم تزوده تعريفاتٍ للمواقف التي تواجهه، فالمتكلم يحكم على العالم الخارجي، ويتبنى سلوكيات خاصة في ضوء المعاني والمعارف الداخلية له (مصباح، ٢٠٠٠م، صفحة ٥٤) فاللغة القاعدة الأساسية في هذه الاستراتيجية؛ لأنّ تُبنى المعاني الداخلية للمتكلم، التي بها يتشكل سلوكه، ويواجه العالم الخارجي، فالمنظومة المعرفية الداخلية للمتلقي هي الأساس في أي تغيير، وما السلوك إلا مظهر من مظاهر هذه المعرفة.

ولغة الخطاب الرضوي تحمل في طياتها حمولات ومفاهيم جديدة، ولاسيما إنها تجسد صورة الأفعال الداخلية للأفراد، وتكشف حقيقة الأعمال المعنوية، وهي بذلك تولد معاني جديدة في بيئة وحاضرة لم تعهد

هذه المعاني، وهذا يمثل دعوة في تبني هذه المعاني حتى تنعكس بواضح على السلوك؛ لأن حركة الأفراد داخل المجتمعات قائمة على المعاني التي يؤمنون بها، وهنا ينكشف وجه الإقناع الذي تتبناه هذه الاستراتيجية في تغيير المعاني الداخلية وتعديلها للأفراد عن طريق اللغة الحاملة للمعاني الجديدة.

فدلالة السياق الإيحائية تنذر متلقي الخطاب باتباع الظاهر للأمر، الذي استلزم معارضة الإمام "عليه السلام" - يزيد -، لذا استلزم الخطاب تحذيره ثم بيان على عليه الواقع الواجب إتباعه، القائم على إدراك الضرورة والمصلحة المترتبة على القبول، معزراً ذلك بقصة نبي الله "يوسف" عليه السلام، "والإمام" عليه السلام "استعمل أسلوب الإخبار" قد علم الله كراهتي لذلك "من أجل بيان الحقيقة التي هو عليها، وهو هنا يولد طاقة إنجازية "بأن قبل ذلك مكرهاً ومجبراً بعد الإشراف على الهلاك، وإنشاء هذه المعاني الجديدة ينجز فعلاً تأثيراً يقصده المتكلم، ويمكن بيان ذلك في ضوء الاستدلال الطبيعي :

المقدمة الكبرى: كل قبول ولاية عهد مع الضرورة جائز.

المقدمة الصغرى: الإمام الرضا "عليه السلام" قبل ولاية العهد.

النتيجة: يجب إطاعة الإمام الرضا "عليه السلام"، وعدم الاعتراض عليه.

فالمشهد يصور لنا مقدار الضرر والحرَج الذي يعيشه الإمام "عليه السلام"؛ لأنه عمل بما تقتضيه المصلحة الإلهية من نشر العلوم والثقافة الإسلامية، وهو بحكم مركزه يؤمن له ذلك، وإتاحة له الفرصة في ولاية العهد الاتصال بالناس والقيام بوظيفته الشرعية، وهذه القيمة التأثيرية جاءت تناغم المنطلقات النفسية للمتلقى من أجل إنشاء معانٍ جديدة تكون لها الأثر في الجانب الداخلي للفرد، فينعكس على السلوك، فيتحقق الإقناع، ويمكن بناء استدلال يقابل الاستدلال السابق :

المقدمة الكبرى: كل حالكم غير عامل بالكتاب وغير عادل يجب عدم قبول ولاية عهده.

المقدمة الصغرى: المأمون "لعنه الله" غير عامل بالكتاب وغير عادل.

النتيجة: يجب مقاتلة المأمون "لعنه الله".

وهذا الوجوب الذي هو الذي شكل وجه الاعتراض على الإمام الرضا "عليه السلام" على قبول ولاية العهد من حاكم جائر؛ لأنه يتبع منظومة معرفية ذات صلة قرآنية، تسعى بالإنسان إلى التكامل، وترك هذا الواجب من الآخرين جعلهم يبتعدون من دائرة الإنسانية، وإلا كيف يفسر فعلهم وسلوكهم الخارجي إزاء قبول ولاية العهد.

## الخاتمة

إنَّ اللغة ظاهرة اجتماعية تمثل سلوك الفرد داخل المجتمع، وهذا السلوك يتغير بتغير الظروف المحيطة به، ويعكس هذا التغيرات في أنساق الكلام الخلفيات المعرفية، التي تمثل انبعاثاً حياً لحقيقة المجتمع، وهذا ما كشفت لغة الخطاب الرضوي "عليه السلام" عن الواقع المجتمعي الذي عاشه، ومن أهم النتائج:

كشفت البحث عن تعدد مصاديق الحقيقة ومظاهرها في سلوك الأمام الرضا "عليه السلام"، وهذا تمثل في الاشتغال في علم اللغة انثروبولوجيا الثقافة، وهذه التعددية وجدت لها مجالاً رجباً في الخطاب الرضوي، ولاسيما وهو يحاكي بيئة مترامية الأطراف.

أثبت البحث أن الخطاب الرضوي خطاباً إنسانياً قيماً إصلاحياً، له امتدادات قرآنية يسعى إلى إيجادها في السلوك العملي الإجرائي، وهو بذلك يعكس حال الجهل والظلم في الواقع.



بيّن البحث مشروع الإمام الرضا "عليه السلام" التنموي في ضوء توسيع خيارات الإنسان بتحريه من قيود الظلم والفقير...، حتى ينعم بالسعادة في الدارين، وهذا التغيير الإيجابي يكمن في العدالة .

أثبتت اللغة الهوية الذاتية للإمام الرضا "عليه السلام"، والصفات والخصال التي تمتع بها، وهو بذلك يقابل ذاتاً خارجية، تفسح المجال أمام متلقي الخطاب بالاختيار بين الذات المتصلة بالله عارفة بالتوحيد، عن الذات المتصلة بالشيطان، غير العارفة بالتوحيد.

أثبت البحث أن لغة الإمام الرضا "عليه السلام" لغة استدلالية تنشد الإقناع؛ لذا لغة تتبنى الحجج الواقعية، القائمة على (مبدأ التعاون) في إيجاد أرضية مناسبة للتفاعل، من أجل تحصيل قناعات المتلقي، لتحقيق التوجيه والإرشاد.

أثبت البحث الكفاية التواصلية العالية للخطاب الرضوي في أدائه الكلامي، وهو يؤشّر سماته الشخصية وخصال المجتمع الذي عاش به، وكيف كشف ذلك في خطابه؟.

أوضح البحث مبادئ الكمال التي يدعو إليها الإمام الرضا "عليه السلام"، وكيف تجسدت في سلوكه الخارجي إزاء المجتمع.

استظهر البحث الأبعاد التوحيدية في الأنساق السلوكية التي قام بها الإمام الرضا "عليه السلام"، والتي استظهر بها الحقيقة الكامنة وراء هذا السلوك، الذي شكل محل خلاف عند المقربين للإمام عليه السلام"

### ثبت المصادر والمراجع

- عرب. (٢٠١٠م). الحجاج والاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري (المجلد ١ ط). الأردن: عالم الكتب الحديث.
- بنكراد. (٢٠٠٩م). الصورة الإشهارية: آليات الإقناع والدلالة (المجلد ١ ط). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- دلفير ملفين. (٢٠٠٤م). نظريات وسائل الإعلام. المغرب: الدار البيضاء.
- الرحمن. (٢٠٠٧م). في أصول الحوار وتجديد علم الكلام (المجلدات ١-٣). المغرب: المركز الثقافي العربي.
- صولة. (٢٠٠٧م). الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية (المجلد ٢ ط). تونس: دار المعرفة للنشر.
- العزاوي. (د-ت). الحجاج في اللغة (المجلدات ١-٣ ط). المغرب: دار الأحمديّة للطباعة.
- العمرى. (١٩٨٦م). في بلاغة الخطاب الإقناعي (المجلد ١ ط). المغرب: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- الكليبي. (١٣٦٣). الكافي (المجلد ٥ ط). إيران - طهران: نشر دار الكتب الإسلامية.
- المازندراني. (١٣٧٦ - ١٩٥٦). مناقب آل أبي طالب (ع). العراق - النجف الأشرف: نشر المكتبة الحيدرية.
- المجلسي. (١٩٨٨م). بحار الأنوار (المجلد ١ ط). بيروت - لبنان: نشر دار إحياء التراث العربي.
- محمد بن علي الصدوق. (١٤٠٤ - ١٩٨٤). عيون أخبار الرضا (ع) (المجلد ١ ط). بيروت - لبنان: منشورات مؤسسة الأعلمي.
- مصباح. (٢٠٠٠م). الإقناع الاجتماعي وآلياته (المجلدات ١-٣ ط). الجزائر: ديوان المطبوعات الاجتماعي.

مصطفى. (٢٠٠٣ م). من أساليب الإقناع في القرآن الكريم (المجلدات د-ت). وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

النقاري. (٢٠١٠ م). حول التقنين الأرسطي لطرق الإقناع ومسالكه "الموضع". (إعداد د. حافظ إسماعيل علوي، المحرر) مطبوع ضمن الحجج مفهومة ومجالاته "دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ط ١،

## الطوائف ودور الامام علي بن موسى الرضا(عليه السلام) في تحقيق التعايش السلمي

سارة حمودي حسين عباس الشجيري<sup>1</sup>

### المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على ابي القاسم محمد وعلى ال بيته الطيبين الطاهرين. التعايش السلمي له اهمية ويمثل ضرورة من ضروريات الحياة الانسانية من اجل حاضر الإنسان ومستقبله، لان من دون السلام والامن ليس للإنسان لا حاضر ولا مستقبل لان الشرط الاساسي لوجودهما هو ان يكون الإنسان مستقراً وموجوداً وثابتاً من اجل العمل والاستمرار في الحياة، وفي الوقت ذاته ليس السلام سهلاً ومتيسراً لأنه يحتاج الى تضافر كل فئات المجتمع. والتعايش السلمي له اهمية كبيرة في العالم، ويعد مبدأ أساسياً من مبادئ التسامح، ومن خلاله يتحقق الازدهار والتقدم.

لذلك يدعو الاسلام الى التعايش السلمي بين البشر جميعاً بصرف النظر عن أجناسهم وألوانهم ومعتقداتهم، و التعايش الإنساني في داخل المجتمع وخارجه مطلوب موضوعياً واجتماعياً، مهما اختلفت الأفكار والمفاهيم والعادات والتقاليد والقيم والمبادئ والتفاهم وقبول الآخر في وجهات النظر أو العقائد والمفاهيم.

وسار الامام الرضا (عليه السلام) طريق الاسلام في تحقيق التعايش السلمي بين الطوائف والقوميات كافة بغض النظر عن اجناسهم ومعتقداتهم فالاسلام دين يساوي بين الجميع في التعامل ويدعو جميع الافراد في العالم الى التعاون والتكاتف والتعايش السلمي.

لذلك اختير والتعرف على ما قام به الامام الرضا (عليه السلام) من انجازات على هذا الصعيد، قسم البحث الى مبحثين حمل المبحث الأول عنوان التعايش السلمي واهميته في المجتمع"، الذي قسم الى ثلاث مطالب، "اذ تم التعرف الى معنى التعايش السلمي من الناحية اللغوية والاصطلاحية، فضلاً عن انواع التعايش السلمي، ثم تم التطرق الى اهمية التعايش السلمي في المجتمع.

اما المبحث الثاني فقد حمل عنوان "دور الامام الرضا في تحقيق التعايش السلمي" والذي قسم الى مطلبين تم تحدث فيه الى دور الامام (عليه السلام) في اقامه التعايش السلمي ولاسيما مع الطوائف الاخرى. واعتمد البحث على مصادر عدة: كان من أبرزها الرسائل الجامعية والمراجع والكتب التاريخية القديمة والحديثة، فضلاً عن الموسوعات اللغوية والاصطلاحية.

1 العتبة العلوية المقدسة / شعبة المكتبات والاصدارات

## المبحث الاول / التعايش السلمي و اهميته في المجتمع

### المطب الاول / تعريف التعايش السلمي وانواعه

#### اولاً: تعريف التعايش السلمي

هو تركيب وصفي مكون من كلمتين الاولى صفة التعايش والثانية السلمي، ولا بد من توضيح كل واحد منها: فالتعايش (لغة) كما عرفه ابن منظور في كتابه لسان العرب، يرجع الى فعل عيش: والعيش هو الحياة، عاشَ يَعِيشُ عَيْشًا وَعَيْشًا وَمَعِيشًا وَمَعِيشًا وَعَيْشُوشَةً<sup>(١)</sup>، ويقول الجوهري في كتابه الصحاح من قوله معاشاً وَمَعِيشًا وكل واحد يصلح ان يكون مصدرًا او يكون اسما مثل معاب ومعيب وممل ومميل واعاشه الله عيشةً راضيةً<sup>(٢)</sup> اما السلمي (لغة) يعود لفعل سلم، والسلم واللام والميم من ابواب الصحة والعافية ويكون فيه ما يشذ، والسلامة: ان يسلم الانسان من العاهة والأذى<sup>(٣)</sup> وعرفها ابن منظور السلم والسلام: البراءة والسلامة العافية والسلامة شجرة<sup>(٤)</sup>، وقد جاء في قوله تعالى: ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ<sup>(٥)</sup>).

ويعرف التعايش السلمي (اصطلاحاً): هو قيام التعاون بين دول العالم على اساس من التفاهم والتعاون والتبادل للمصالح المتنوعة والمتعددة منها السياسية والاقتصادية والدينية والثقافية<sup>(٦)</sup>. وايضاً يعرف التعايش السلمي: هو تعاون المسلم مع غير المسلم وفق الحكمة والحنكة واللين والمعروف، سواء في ذلك التعامل في الخطاب، او في مطلق التصرفات وفق الضوابط الشرعية<sup>(٧)</sup>.

ويطلق على التعايش السلمي بالمصطلح الحديث هو المواطنة والسلم الاهلي، وقد شاع مصطلح التعايش بشكل كبير في العصر الحديث نتيجة الصراع بين الكتلتين والمعسكرين الشرقية والغربية<sup>(٨)</sup>، اللذان سعيا وتنافساً للسيطرة على العالم على أساس عقائدي ومذهبي، ومما ساعد على ابراز الدعوة الى سياسة التعايش السلمي الفرع الذري بعد أن اصبحت الفنبلة النووية (وهي اداة الدمار الشامل) مشاعاً بين دول المعسكرين، وقيام الجهة الثالثة وهي مجموعة دول الحياد الايجابي وعدم الانحياز والتي تضم عدداً كبيراً من الدول النامية الحديثة الاستقلال والتي ترى انها لا تستطيع أن تجنى ثمرة

١ ابن منظور(٥٧١١)، لسان العرب، (دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت، ١٩٨٨ م)، الجزء ٩، ص ٤٩٧ - ٤٩٨.  
٢ الجوهري، اسماعيل بن حماد، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، (دار العلم للملايين، القاهرة، ط ٤، ١٩٨٧م)، الجزء ٣، ص ١٠١٣ - ١٠١٤.

٣ بن زكريا، ابن الحسين احمد بن فارس ب (ت: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (الدار الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ١٩٩٠ م)، الجزء ٣، ص ٩٠ - ٩١.

٤ ابن منظور، المصدر السابق، الجزء ٦، ص ٣٤٢.

٥ سورة ال عمران، آية ٦٤.

٦ الجيلولي، محمد عباس، التعايش السلم: دراسة في المأثور عن الامام علي (عليه السلام) في عهده لمالك الاشر(عليه السلام)، (دار الوارث للطباعة والنشر، كربلاء المقدسة، ٢٠١٧ م)، ص ١٧؛ الجزائري، عبد الكريم يوسف، موجبات التعايش السلمي في الاسلام، (العناية الحسينية المقدسة، كربلاء المقدسة، ٢٠١٧ م)، ص ٩.

٧ الطائي، عدنان جاسم كريم راضي، التعايش السلمي في مدرسة اهل البيت دراسة (عليهم السلام) مقارنة بين الشريعة والقانون، رسالة ماجستير، (كلية العلوم الاسلامية، جامعة كربلاء، ٢٠١٩ م)، ص ١٠.

٨ الجيلولي، محمد عباس، المصدر السابق، ص ١٧ - ١٨.

حصولها على الحرية الا اذا عاشت في سلام من الدول الكبرى واخذت هذه الدول تطالب بالتعايش السلمي، لذلك فإن قرارات وتوصيات مؤتمرات دول عدم الانحياز والدول الافريقية والاسيوية والامريكية اللاتينية تؤكد على التعايش السلمي اذ يعد السبيل والطريق الي تنسيق العلاقات الدولية في العالم، والى نبذ الحرب<sup>(١)</sup>.

يتضح لنا مما تقدم هو تعاون واتفق بين الجماعات من اجل المصالح المشتركة والعيش بسلام على الرغم من تعدد المذاهب، من خلال وضع مجموعة من الأسس والمبادئ.

## ثانياً / انواع التعايش السلمي

### يقسم الى انواع مختلفة كالآتي

- ١) التعايش القومي: هو أن يجمع أصحاب اللغات المختلفة ولا يقبل جعل التمايز اللغوي سبباً للصراع، ويعتمد على تحييم المشتركات الدينية والثقافية والوطنية بين المختلفين مع احتفاظ كل طرف بخصوصيته اللغوية والثقافية<sup>(٢)</sup>.
- ٢) التعايش الديني والحضاري: ويعني به ان تلتقي إرادة أهل الأديان السماوية والحضارات المختلفة في العمل من اجل أن يسود الأمن والسلام في العالم، ومن أجل ان تعيش الإنسانية في جو من الإخاء والتعاون على ما فيه الذي يعم البشر كافة<sup>(٣)</sup>.
- ٣) التعايش السياسي: يكون من خلال أقامه علاقات سليمة بين مكونات المجتمع السياسية على اساس الاحترام المتبادل والاعتراف بالتعدد السياسي والقبول به لتحقيق مصالح المجتمع العليا<sup>(٤)</sup>.
- ٤) التعايش الاقتصادي: يتم عن طريق ربط العلاقات مع الآخرين لغرض التعاون في رفع مستوى الفقراء وخلق فرص عمل للشعوب الفقيرة والتقدم بها في ميادين العمل والإنتاج، والإصلاح الاقتصادي ضرورة حتمية وعامل مهم لاستقرار التعايش بين الشعوب وتحقيق السلام العالمي<sup>(٥)</sup>.

## المطلب الثاني / اهمية التعايش السلمي في المجتمع

خلق الله جل وعلا الإنسان لحكمة وغاية، وله حقوق مهما تنوعت هويته ولغته وانتمائه لأنه انسان ولا بد من احترامه وتقديره<sup>(٦)</sup>.

١ عطية الله، احمد، القاموس السياسي، (دار النهضة العربية، القاهرة، ط ٣، د. ت)، ص ٣١٠.  
 ٢ خليل، علي صادق، تداولية خطاب التعايش السلمي في نهج البلاغة، رسالة ماجستير، (كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، ٢٠١٧ م)، ص ١٩.  
 ٣ الكعبي، علي عطية، التعايش السلمي بين الاديان السماوية في الاندلس من الفتح الاسلامي حتى نهاية دول الطوائف، (دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٤ م)، ص ٣٤.  
 ٤ خليل، علي صادق، المصدر السابق، ص ٢٠.  
 ٥ محمد، ديانا عبد الحسن عبد الله، العدالة الاجتماعية ودورها في تحقيق التعايش السلمي: دراسة اجتماعية ميدانية في مدينة الحلة، رسالة ماجستير، (كلية الآداب، جامعة بابل، ٢٠١٨ م)، ص ٩٥.  
 ٦ خليل، صادق علي، المصدر السابق، ص ٣٠.

والإنسان خلقَ عطوفاً على أخيه المسلم اجتماعياً، ولا يمكن الاستغناء عنه، ويجد الإنسان بفطرته انه بحاجة الى الآخرين في حياته، والعلاقات بكل انواعها والواصر التي تكون بين الافراد من أصغر نواة وهي الأسرة الى أكبر وحدة مجتمعية شاهداً لحاجة الإنسان الى غيره<sup>(١)</sup>.

والتعايش السلمي له دور في معالجة الانقسامات التي تحصل في المجتمع، لذلك فإن التعايش هو ركيزة أولى لبناء نسيج الأمة في المجتمعات المتعددة الثقافات والمذاهب، ويمكن الاستفادة من تجارب الأمم الأخرى السابقة الى محنة الاحتراب الديني - المذهبي حين عمد مفكروها إلى بناء فلسفة التسامح وهي فلسفة "القبول أو القبول"<sup>(٢)</sup> وان حصول التعايش بين أفراد الإنسان وتحققه واقعاً تبرز الكثير من الآثار الإيجابية التي تحرص الشرائع السماوية والأديان الوضعية على تحقيقها، ومنها:

- تحقيق الأمن والاستقرار الذي يضمن فيه الفرد والمجتمع حريته وحمايته والحفاظ على حقوقه وممتلكاته في مختلف أقطار العالم، لاسيما الإسلامية والعربية، التي شعلت فيها النيران وعم الأخضر على اليابس نتيجة لعدم التعايش والاضرابات السياسية القاسية التي حصلت بسبب الحقوق المضطهدة والتهميش لتلك المجتمعات، والتي يمكن معالجتها من خلال التعايش المبني على الحوار والاحترام المتبادل، وإيفاء الحقوق المشروعة، والتواصل وهذا التعايش الواقعي يجفف منابع العنف ويردع نيران الاحتراب الداخلي والخارجي عن أن تشتعل، والتعايش يعني الاستقرار الأمني<sup>(٣)</sup>.

ومن خلال التعايش السلمي يمكن تحقيق الرفاهية الاقتصادية في المجتمع لجميع افراده، فضلاً عن التطور العلمي والمعرفي الناتج من تلاقح الأفكار من قبل الفئات البشرية المتعايشة والتي تؤدي الى البناء الحضاري والعمراني وغيرها من الآثار التي تقتضيها أحوال المجتمعات الإنسانية<sup>(٤)</sup>. نستنتج مما تقدم أن التعايش السلمي ضرورة ملحة لكافة المجتمعات الإسلامية والغير إسلامية، وفي كل عصر وزمان.

## المبحث الثاني: دور الامام الرضا (عليه السلام) في تحقيق التعايش السلمي

### المطلب الاول التحديات و نظام الحكم في عهد الإمام الرضا، عليه السلام

#### عاش الإمام الرضا، عليه السلام، عهدين مختلفين

الاول: وكان عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد يُعد لدى البعض «العصر الذهبي»، بينما عند اهل البيت، عليهم السلام، من أشد العهود قسوة وظلماً عليهم وعلى شيعتهم ومواليهم. أما العهد الثاني، فقد مر في مرحلة الخلاف والاضطراب بين الأخوة، وادى ذلك الى اضطراب الأوضاع السياسية والاجتماعية في الدولة الاسلامية، حيث كانت تعد تلك الفترة من أشد الفترات التي مرت على الأمة،

١ الطائي، عدنان جاسم كريم راضي، المصدر السابق، ص ١١.

٢ بنوب، احمد شوقي، واخرون، الطائفية والتسامح والعدالة الانتقالية من الفتن إلى دولة القانون، (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٣م)، ص ٤٤.

٣ الاسدي، ناصر، حسين ثقافة التعايش حياة سعيدة + تقدم، تحقيق: عدي ال سعوي، مؤسسة الفكر الاسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٤م، ص ٤٨ - ٤٩.

٤ الطائي، عدنان جاسم كريم راضي، المصدر السابق، ص ١١.

بسبب النزاع على السلطة بين ابني هارون. فبعد استشهاد والده الإمام موسى الكاظم، عليه السلام، كان له الإمامة لأربعة سنوات من حكم هارون العباسي. وقد همّ اللعين هارون، في قتل الإمام الرضا، عليه السلام، ولكن إرادة الله عزّ وجل، حالت دون ذلك<sup>(١)</sup>.

يروى ابو الصلت الهروي: «كان الإمام الرضا، عليه السلام، ذات يوم جالساً في منزله اذ دخل عليه رسول من هارون وقال له: أجب امير المؤمنين...! فقام: وقال لي: يا أبا الصلت...فوالله لا يمكنه ان يعمل بي شيئاً اكرهه لكلمات وقعت الي من جدي رسول الله.

قال: فخرجت معه حتى دخلنا على هارون، فلما نظر اليه الرضا، عليه السلام، قرأ هذا الحرز - وذكره- فلما وقف بين يديه نظر اليه هارون الرشيد وقال: يا ابا الحسن قد أمرناك بمائة الف درهم...واكتب حوائج أهلك...فلما ولى عنه علي بن موسى الرضا، عليه السلام، وهارون الرشيد ينظر اليه في قفاه: قال: «أردت و أراد الله وما اراد الله خيراً»<sup>(٢)</sup>.

هذا وقد اشار يحيى البرمكي على هارون بقتل الإمام الرضا، عليه السلام، كما اشار غيره بذلك فاستعظم الأمر، وقال: ما ترى..؟! تريد ان اقتلهم كلهم..؟!<sup>(٣)</sup>

وبهذه الرواية يتبين لنا ان قضية العداوة والقتل بالنسبة لأعدائهم هي قضية حقد دفين ورثوه من آبائهم، كما هو الحال في دولة بني أمية والتي أوغلت في الأخرى في الجرائم ضد اهل البيت، عليهم السلام.

أما العهد الثاني، وهو عهد الخلافة بعد هلاك هارون العباسي وبداية نشوب الخلاف بين ورثته. وفي هذه الفترة توفرت لدى الإمام، عليه السلام، قدر من الحرية النسبية. وكان هارون قد أوصى لثلاثة من أبنائه بولاية العهد وهم: الأمين والمأمون والمؤمنم بالترتيب. فاهتم بالأمين لمعرفته بميول العباسيين الى الأمين نظراً الى كون والدته «زبيدة». و أما المأمون فكان يخشى عليه لأنه كان يرى فيه كفاءة أكثر لإدارة البلاد فمنحه بعض المناصب في الدولة. بيد أن هذا لم يمنع من ظهور خلافات داخل الأسرة، وكانت «القومية» اهم عامل فيها، فقد كان الفرس المتنفذون في الدولة العباسية رغم نكبة البرامكة، يميلون نحو المأمون، نظراً لأن أمه منهم (فارسية) ولأنه تربى في احضانهم. أما الأمين فأمه «زبيدة»، وتنحدر من أصول عربية - عباسية، فكانت الارضية مهياة لنشوب صراع دموي على السلطة بين الجانبين<sup>(٤)</sup>.

وحصل ما حصل...وشهدت بغداد معارك دامية بين الأخوين؛ الأمين والمأمون للسيطرة على الحكم، وحسنت المعركة لصالح المأمون وقتل الأمين وسقوط الآلاف من المسلمين قتلى بسبب نزاع بين أخوين على الحكم<sup>(٥)</sup>.

(١) القرشي، باقر شريف (١٤٣٣هـ)، حياة الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام): دراسة وتحليل، تحقيق: مهدي باقر القرشي، (مطبعة شريعت، قم، ٢٠٠٨م)، ج ٢، ص ٤٠٠ - ٤٠٤.

(٢) القمي، عباس، مفاتيح الجنان، (دار احياء التراث العربي، بيروت، د. ت)، ص ٧٤٩.

(٣) الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي (ت: ٣٨١هـ)، عيون اخبار الرضا (عليه السلام)، تحقيق: احمد الماحوزي، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، ايران، ٢٠١٦م، ج ١، ص ٢٤٧.

(٤) ابن شهر اشوب، رشيد الدين ابي عبد الله محمد بن علي ابن ابي نصر بن ابي نصر بن ابي الجيش السريزي المازندراني (ت: ٥٨٨هـ)، مناقب ال ابي طالب، تحقيق: يوسف السباعي، (دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٩٩١م)، ج ٤، ص ٨٠.

(٥) اليوسف، عبدالله احمد، سيرة الامام الرضا (ع) دراسة تحليلية للسيرة الاخلاقية و العلمية، افاق مركز افاق للدراسات و البحوث، ص ٢٢

وهذه صورة اخرى للواقع الذي عاشه الإمام الرضا، عليه السلام، وتعد هذه الحرب اول حرب بين العباسيين ومن أسوأ الحروب الداخلية بين المسلمين مما زعزع الثقة بالنظام السياسي عند الجماهير وشجع المعارضة على الثورة.

### إقامة صلاة العيد

أما استجابته، عليه السلام، لأداء صلاة عيد الفطر، فقد شكلت إحدى التحديات السلمية للنظام الحاكم. فلما حضر العيد، بعث المأمون الى الامام الرضا، عليه السلام، يسأله ان يركب ويحضر العيد ويخطب ويصلي بالناس، بهدف كسب الشرعية والتأييد الجماهيري، حيث يرى الناس أن الإمام الذي يتسّم منصب ولي العهد - ولو ظاهرياً- يستجيب لطلب المأمون، فبعث اليه الامام، عليه السلام، وقال: علمت ما كان بيني وبينك من الشروط في دخولي في هذا الامر.؟! فقال المأمون: «انما اريد بهذا ان ترسخ في قلوب العامة والجند هذا الامر، فتطمئن قلوبهم ويقرؤا بما فضلك الله تعالى به...»

فلم يزل يلخ عليه، فقال: يا امير المؤمنين!!! ان اعفيتني من ذلك فهو أحب إليّ. وان لم تعفني خرجت كما كان يخرج رسول الله، وكما كان يخرج امير المؤمنين، على بن ابي طالب، صلوات الله عليهم. قال المأمون: اخرج كما تحب...<sup>(١)</sup>

وجاء في الرواية: «... و أمر المأمون القواد والناس ان يبكروا الى باب ابي الحسن، عليه السلام، فقعده الناس للإمام، عليه السلام، في الطرقات والسطوح من الرجال والنساء والصبيان واجتمع القواد على باب الإمام الرضا، عليه السلام، فاغتسل وتعمم بعمامة بيضاء من قطن وألقى طرفاً منها على صدره وطرفاً بين كتفيه وتشمر، ثم قال لجميع مواليه: افعلوا مثل ما فعلت. ثم اخذ بيده عكازة وخرج، وهو حاف قد شمر سراويله... فلما قام رفع رأسه الى السماء، وكبر اربع تكبيرات فتخيل النبا إن الهواء والحيطان تجاوبه... والقواد والناس على الباب قد تزينوا ولبسوا السلاح وتهيأوا بأحسن هيئة. فلما طلع عليهم بهذه الصورة، وقف على الباب وقال: «الله اكبر... الله اكبر على ما هدانا... الله اكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام... والحمد لله على ما أبلانا...».

ورفع بذلك صوته ورفع الناس اصواتهم على أثره... فاهتزت مرو من البكاء والصياح. فقالها ثلاث مرات فسقط القواد عن دوابهم. و رموا بخفافهم لما نظروا الى ابي الحسن، عليه السلام، وصارت مرو ضجة واحدة ولم يتمالك الناس من البكاء والضجة. فكان ابو الحسن، عليه السلام، يمشي ويقف في كل عشر خطوات وقفة، يكبر الله، اربع مرات فيتخيل النبا إن السماء والأرض والحيطان تجاوبه وبلغ المأمون ذلك، فقال له الفضل بن سهل: يا امير المؤمنين إن بلغ الرضا، عليه السلام، المصلى على هذا النحو، افتتن به الناس فالرأي أن تسأله الرجوع... فبعث اليه المأمون فسأله الرجوع فدعا ابو الحسن، عليه السلام، يخفه فلبسه ورجع<sup>(٢)</sup>. وهذا يعطينا نموذجاً حياً للتحدي السلمي من الإمام عليه السلام، لدولة بني العباس وحكمهم.

(١) المجلسي، محمد باقر (ت: ١١١٠هـ)، بحار النوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، (دار احياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٩٨٣ م)، ج ٤٩، ص ١١٠ - ١١٣.

(٢) الصدوق، المصدر السابق، ج ٢، ١٢٢ - ١٢٣.



## المطلب الثاني: تحقيق التعايش السلمي مع الطوائف الاخرى و دور الامام الرضا عليه السلام

في الوقت الذي حاول المأمون دفع الإمام، عليه السلام، نحو عجلة السياسة والحكم، من خلال منحه منصب «ولاية العهد»، كان، عليه السلام، يراقب بشدة وجود بوادر تحدد عقائدي في الامة، فكان هو الحامل لراية الإصلاح والمحافظة على الشريعة والاحكام والقيم التي جاء بها جدّه رسول الله، صلى الله عليه وآله، لاسيما وان في تلك الفترة كان المسلمون قد خبروا بعض العلوم والمعارف القادمة من البلاد غير الاسلامية، بسبب التشجيع على الترجمة ودعم ومباركة من الحكام، وفي مقدمتهم المأمون العباسي... هذه الاوضاع الشائكة والمعقدة خلقت حالة من الفساد في الرؤى والعقائد لدى البعض. لذا كان، عليه السلام، يذكر الناس دائماً بالله عز وجل ويحذّره عذابه في الدنيا وعقابه في الآخرة، وهذا هو السبيل لإصلاح الانسان وردعه عن الفساد بكل الوانواع.

ينقل الشيخ المفيد - رضوان الله عليه- صورة من هذا الإصلاح فيقول:

«دخل الإمام الرضا، عليه السلام، يوماً عليه (المأمون) فرآه يتوضأ للصلاة، يُصب الماء على يديه: فقال لا تُشرك يا أمير المؤمنين بعبادة ربك احداً...». فصرف المأمون الغلام وتولى تمام وضوء نفسه وزاد ذلك في غيظه ووجده (١).

و ايضاً اليك قصة «الجائليق» الذي حاور الإمام الرضا، عليه السلام، في مسألة في النبوة. فلما دخل الإمام، عليه السلام، قام المأمون وقام محمد بن جعفر وجميع بني هاشم، فما زالوا وقوفاً والرضا، عليه السلام، جالساً مع المأمون حتى أمرهم بالجلوس فجلسوا فلم يزل المأمون مقبلاً عليه يحدثه ساعة فالتفت الى الجائليق (٢) فقال: يا جائليق...! هذا ابن عمي علي ابن موسى بن جعفر. هو من ولد فاطمة بنت نبينا وابن علي بن ابي طالب، عليه السلام... فأحب أن تكلمه وتحاججه وتنصفه...

فقال الجائليق: يا أمير المؤمنين كيف أحاجج رجلاً يحتج علي بكتاب أنا مُنكره ونبي لا أؤمن به؟ فقال الإمام الرضا، عليه السلام:

يا نصراني...! فإن احتججت عليك بإنجيلك أتقر به؟

قال الجائليق: وهل اقدر على دفع ما نطق به الإنجيل... نعم والله أقر به على رغم أنفي.

ثم قرأ الإمام الرضا، عليه السلام، عليه الإنجيل وأثبت عليه بأن نبينا محمداً، صلى الله عليه وآله، جده مذكور فيه، ثم اخبره بعدد حواري عيسى، عليه السلام، وأحوالهم واحتج بحجج كثيرة أقر بها، ثم قرأ عليه كتاب «شعيا» وغيره الى أن قال الجائليق: ليسألك غيري فلا وحق المسيح ما ظننت في علماء المسلمين مثلك. فالتفت الإمام الرضا، عليه السلام، الى رأس الجالوت واحتج عليه بالتوراة والزبور وكتاب شعيا وحيقوق حتى أفحم ولم يحرج جواباً. (٣)

وكان حوار (عليه السلام) عليه السلام مع اهل الاديان و العقائد المختلفة حواراً مفتوحاً، وذلك من خلال المناظرات التي عقدها معهم، وسعى من خلالها على اطلاق العقول من عقال الجهل والحيرة والضلالة (٤).

١ المجلسي، المصدر السابق، ج ٤٩، ص ١١٥

(٢) المفيد، محمّد بن محمد بن النعمان (٥٤١٣هـ)، الارشاد، (د. م. د. ت) ج٣، ص ٢٦٩

(٣) الذهبي، عباس، الامام الرضا: سيرة وتاريخ، (مطبعة ستارة، قم، ١٤٢٢هـ)، ص.

(٤) الاصفهاني، عبد الله بن نور الله البحراني، عوالم العلوم والمعارف والاحوال من الايات والاخبار والاقوال، (مطبعة امير، قم،

١٤١١هـ)، ج ٢٢ ص ٢٩٩.

ولعل اهم شاهد نسوقه في هذا المجال مجلس الامام الرضا عليه السلام مع اهل الاديان واصحاب المقالات مثل الجاثليق ورأس الجالوت وعمران الصائب والهريذ الاكبر، في التوحيد عند المأمون، ودار الحوار فيها حول مواضيع عقائدية حساسة، وقد استطاع الامام الرضا عليه السلام تحقيق نتائج التالية<sup>(١)</sup>:

إثبات نبوة نبينا صلى الله عليه واله وسلم من الكتب السماوية  
تتبدى لنا عظمة وعلمية الامام الرضا عليه السلام وكونه حجة لله على عباده من خلال معرفته الكاملة بالكتب السماوية و حفظه التام لمتونها واطلاعه الدقيق على ما تحتوية من نصوص تثبت نبوة النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم بحيث لايسعهم انكارها والتصل منها، يتضح لنا ذلك من المناظرة التي جرت بمحضر المأمون وبطلب منه بين الامام الرضا والجاثليق من الامام الرضا عليه السلام بعد كلام بينهما ان يقيم شاهدي عدل على ما يقوله في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه واله وسلم بقولة: فأقم شاهدين من غير اهل ملتك على نبوة محمد ممن لاتنكره النصرانية.

كما قال الامام الرضا عليه السلام (الآن جئت بالنصفة يا نصراني ألا تقبل مني العدل المقدم عند المسيح بن مريم؟)

قال الجاثليق: ومن هذا العدل؟ سمه لي. قال: "ما تقول في يوحنا الدليمي؟" قال: يخ ببخ، ذكرت احب الناس الى المسيح

قال: "فانقسمت عليك هل نطق الانجيل ان يوحنا قال: ان المسيح اخبرني بدين محمد العربي وبشرني به انه يكون من بعده فبشرت به الحواريين فآمنو به" قال سديداً  
قال الجاثليق: لا انكر ماقد بان لي في الانجيل واني لمقر به.  
قال الرضا عليه السلام "اشهدوا على اقراره".

ثم قال عليه السلام "ياجاثليق سل عما بدا لك"، قال الجاثليق: اخبرني عن حواربي عيسى بن مريم، كم عدتهم؟ وعن علماء الانجيل كم كانوا؟

قال الرضا عليه السلام "على الخبير سقطت، اما الحواريين فكانوا اثنا عشر رجلاً، وكان افضلهم واعلمهم ألقا، واما علماء النصرارى فكانوا ثلاث رجال: يوحنا الاكبر بأج، ويوحنا بقرقيسيا، و يوحنا الدليمي بزجان، وعنده كان ذكر النبي صلى الله عليه واله وسلم و ذكر اهل بيته و امته وهو الذي بشرامة عيسى وبني اسرائيل به"<sup>٢</sup>

## الخاتمة

### بعد اتمام البحث تم التوصل الى الاتي

الإسلام هو دينُ التسامح والمحبة والسلام والتعايش، وهو عقيدة تضمّ جميع الفضائل الاجتماعية والمحاسن الإنسانية. وقد اعطى الإسلام قيمة التسامح مكانة هامة، وظلّت هذه القيمة سمة من سمات حضارة الإسلام عبر العصور والتاريخ لذلك سار ائمة اهل البيت على نهجهم.

الدور الذي نهض به الإمام الرضا (عليه السلام)، في فترة حياته كانت حافلة بالخير والعطاء، وقد علّم المسلمين تحدي الانحراف والضلال، سواء على الصعيد الاجتماعي او السياسي في أعلى مستوياته، دون

(١) المدرسي، محمد تقي، الامام الرضا اسوة وقدوة، (د. م. د. ت)، ص ٣٤٥

٢ الصدوق، المصدر السابق، ص ٢٣٣.

خوف او تردد، متسلحاً بالحجة والدليل ومنهج السلم، لا العنف والدموية التي كانت الوسيلة الوحيدة لدى اعدائه، واعداء الدين، ولذا نرى قصر حكمهم ونهاية ذكهم، بل ومتابعة الاجيال لهم باللعن والتبرؤ والشعور بالخزي والهوان من ان يكون هذا الحاكم او ذاك يمثل الدولة الاسلامية.

يؤكد الامام الرضا (عليه السلام) على التعايش السلمي واكبر دليل عليه هو قبوله، ولاية العهد، كان للحفاظ على المصلحة العامة والتي تحفظ بيضة الاسلام وتحافظ على المسلمين من اختراق التيارات الفكرية الوافدة. تحدي الإمام الرضا، عليه السلام، للفساد الحاصل في الدولة سياسياً واقتصادياً وفكرياً وفي مجالات اخرى، كان ينظر اليها، عليه السلام، على انه من الواجب التصدي لها بالشكل السلمي.

خروجه لإداء صلاة العيد، كان بهدف التأكيد للحاكم العباسي أنه هو الذي يقود القاعدة الجماهيرية، وليس هو، رغم انه لا يملك سلطة تنفيذية مباشرة.

مواقفه الجلييلة مع كل الطوائف والملل وحواراته المقنعة معهم واسلام البعض منهم، يمثل مرحلة مهمة من مراحل التعايش السلمي اذ حاوهم بعقلانية وحجج برهانية .

## المصادر والمراجع

خير ما نبدأ به القرآن الكريم

الرسائل الجامعية

الطائي، عدنان جاسم كريم راضي، التعايش السلمي في مدرسة اهل البيت دراسة (عليهم السلام) مقارنة بين الشريعة والقانون، رسالة ماجستير، (كلية العلوم الاسلامية، جامعة كربلاء، ٢٠١٩ م).

خليل، علي صادق، تداولية خطاب التعايش السلمي في نهج البلاغة، رسالة ماجستير، (كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، ٢٠١٧ م)

محمد، ديانا عبد الحسن عبد الله، العدالة الاجتماعية ودورها في تحقيق التعايش السلمي: دراسة اجتماعية ميدانية في مدينة الحلة، رسالة ماجستير، (كلية الاداب، جامعة بابل، ٢٠١٨ م).

## الكتب

ابن شهر اشوب، رشيد الدين ابي عبد الله محمد بن علي ابن ابي نصر بن ابي نصر بن ابي الجيش السروري المازندراني (٥٨٨ هـ)، مناقب ال ابي طالب، تحقيق: يوسف السباعي، (دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٩٩١م)، ج ٤.

ابن منظور (٥٧١ هـ)، لسان العرب، (دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٨ م)، الجزء ٩ الاسدي، ناصر، حسين ثقافة التعايش حياة سعيدة + تقدم، تحقيق: عدي ال سعود، (مؤسسة الفكر الاسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٤ م).

الاصفهاني، عبد الله بن نور الله البحراني، عوالم العلوم والمعارف والاحوال من الايات والاحبار والاقوال، (مطبعة امير، قم، ٥١٤١١ هـ)، ج ٢٢.

بن زكريا، ابن الحسين احمد بن فارس (ت: ٣٩٥ هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (الدار الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ١٩٩٠ م)، الجزء ٣.

- الجزائري، عبد الكريم يوسف، موجبات التعايش السلمي في الاسلام، (العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء المقدسة، ٢٠١٧م).
- الجواهري، اسماعيل بن حماد، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، (دار العلم للملايين، القاهرة، ط ٤، ١٩٨٧م)، الجزء ٣.
- الجيلاوي، حمد عباس، التعايش السلم: دراسة في الماثور عن الامام علي (عليه السلام) في عهده لمالك الاشر (عليه السلام)، (دار الوارث للطباعة والنشر، كربلاء المقدسة، ٢٠١٧م)
- الذهبي، عباس، الامام الرضا: سيرة وتاريخ، (مطبعة ستارة، قم، ١٤٢٢هـ).
- الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي (ت: ٥٣٨١هـ)، عيون اخبار الرضا (عليه السلام)، تحقيق: احمد الماحوزي، (مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، ايران، ٢٠١٦م)، ج ١.
- عطية الله، احمد، القاموس السياسي، (دار النهضة العربية، القاهرة، ط ٣، د. ت).
- القرشي، باقر شريف (ت: ٥١٤٣٣هـ)، حياة الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام): دراسة وتحليل، تحقيق: مهدي باقر القرشي، (مطبعة شريعت، قم، ٢٠٠٨م)، ج ٢.
- القمي، عباس، مفاتيح الجنان، (دار احياء التراث العربي، بيروت، د. ت).
- الكعبي، علي عطية، التعايش السلمي بين الاديان السماوية في الاندلس من الفتح الاسلامي حتى نهاية دول الطوائف، (دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٤م).
- المجلسي، محمد باقر (ت: ٥١١١٠هـ)، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، (دار احياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٩٨٣م)، ج ٤٩.
- المدرسي، محمد تقي، الامام الرضا اسوة وقدوة، (د. م. د. ت).
- المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (ت: ٥٤١٣هـ)، الارشاد، (د. م. د. ت)، ج ٢.
- نيوب، احمد شوقي، واخرون، الطائفية والتسامح والعدالة الانتقالية من الفتنة إلى دولة القانون، (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٣م).
- اليوسف، عبدالله احمد، سيرة الامام الرضا (ع) دراسة تحليلية للسيرة الاخلاقية و العلمية، افاق مركز افاق للدراسات و البحوث.

## حقوق الإنسان: الحرية في فكر الإمام علي الرضا عليه السلام

### إيمان شمس الدين<sup>١</sup>

#### منهج البحث

يعتمد البحث على المقارنات العلمية لمفهوم الحرية وتطبيقاته بين الفلسفة الغربية والإسلامية، وهو منهج معرفي رصد المفهوم من خلال مصادر المعرفة عند كل مدرسة على حدة. الفضاء الغربي المعرفي يعتمد في مصادر معرفته على الحس والتجربة. الفضاء الإسلامي المعرفي يضيف إلى مصادر الغرب المعرفية، مصادر ذات أهمية قصوى في تشكيل مرجعية معرفية في رسم حدود المصطلحات وتطبيقاتها، وهي العقل والنص. النص المرجعي في الفضاء المعرفي الديني في الفلسفة الإسلامية لتظهير مفهوم الحرية كان القرآن، وروايات الإمام الرضا عليه السلام. السؤال الرئيسي للبحث: ما هي الحرية في الفضاء الغربي والإسلامي معرفياً، وأهم الفروقات بين المدرستين، على ضوء مدرسة الإمام الرضا عليه السلام المعرفية. كلمات مفتاحية: حقوق الإنسان، الحرية، الفردانية، الفردية، حرية الاعتقاد. إن الاهتمام بحقوق الإنسان يعود في جذوره إلى موضوع تحقيق العدالة، وأهمية قيمة العدالة في إعلاء كرامة الإنسان، وتحقيق الاستقرار والأمن الاجتماعي، والسعي إلى عمارة الأرض، إلا أن موضوع حقوق الإنسان يدفنا لطرح مجموعة تساؤلات مهمة من وجهة نظري وأهمها: ما هو منشأ هذه الحقوق والواجبات، ومرجعيتها المعيارية؟ ما هي علاقة حقوق الفرد بحقوق الجماعة وبالتالي أيضاً واجبات الفرد والجماعة؟ أن الرؤية الإلهية تجاه الإنسان - حيث إنني من المؤمنين بمرجعية معيارية عمادها ومصدرها ومحاوريتها الله جل شأنه - الرؤية الإلهية للإنسان قائمة على مبدأ الكرامة، وأن الكرامة منحها الله للإنسان كحق أصيل، وما يمنحه الله لا يجوز سلبه من أي قوة أو جهة دون الله، لأنه حق حقيقي وليس اعتباري، وهذه الكرامة لا تتعلق فقط في البعد الجسدي المادي، بل هي كرامة شاملة لكل أبعاده المعنوية والمادية، وأي ممارسة أو سلوك تحط من شأن كرامته في أي بعد من أبعاده فإنه يعتبر في الخطاب الديني جريمة وذنباً كبيراً<sup>٢</sup>.

١ أوبسندة ومحقق، از كشور كويت، eman72@icloud.com

٢ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَخَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا / الإسراء ٧٠.

وتتعدد ميزات الرؤية الإلهية لتصبح هذه الميزات هي الضامنة لحق الإنسان أكثر من التوجهات الأخرى. إلا أنه في العالم العربي والإسلامي، نجد تقدم القوانين على موضوع حقوق الإنسان، وتقنينها على أساس حق الحاكم المطلق في الحكم، وهو ما ترجمه صياغة قوانين تحد من الحريات العامة، وبالتالي تهدر الكرامات.

### فجن هنا أمام معضلتين

الأولى: معضلة خارجية متمثلة في السعي المظرد من قبل المؤسسات الدولية التي تحاول تصدير قيم وحقوق خاصة برؤيتها الكونية والإنسانية.

الثانية: معضلة داخلية مركبة من أنظمة سلطوية وشبه سلطوية غايتها التحكم بالجغرافيا التي تحكمها وثرواتها، بالتالي الإنسان (الفرد والمجتمع) ليس من صميم اهتماماتها، بل هو عدد ورقم بين الأعداد والأرقام. ثم تستعرض الورقة أهم الإشكاليات التي يعاني منها الإعلام العالمي لحقوق الإنسان وملاحظات بعد الأكاديميين والمفكرين عليه.

ثم تؤسس الورقة لمفهوم السعادة بين الغرب والإسلام.

هناك دعائم أساسية ومحورية تعتبر العامود الفقري لحقوق الإنسان، والعمل على ترسيخ هذه الدعائم وتثبيتها وتحقيقها، يؤدي تباعاً لازماً لقيامه باقي الحقوق، وما أعنيه تبعية لازمة، هو أن تحقق هذه الدعائم الأساسية التي تعتبر كالهيكلة العظمى الأساسي لموضوع الحقوق، هو المقدمة الضرورية التي ما إن تتحقق ستنداعى باقي الحقوق بشكل حتمي لارتباطها بها ارتباطاً عضوياً تابعا وهذه الدعائم هي:

الحرية؛

العدالة؛

الكرامة.

ثم تنطلق الورقة لمفهوم الحرية في تنوعاته بين الغرب والإسلام وتخلص إلى أن مفهوم الحرية في الإسلام يختلف في مطلقاته عنه في الغرب.

الحرية في الإسلام تعني أن يصبح الإنسان حراً بشكل حقيقي، بحيث يستطيع أن يتحكم في طريقه ويحتفظ لإنسانيته بالرأي في تحديد الطريق ورسم معالمه واتجاهاته، وهذا يتوقف على تحرير الإنسان قبل كل شيء من عبودية الشهوات، التي تعتلج في نفسه لتصبح الشهوة أداة تنبيه للإنسان إلى ما تشتت به، لا قوة دافعة تسخر الإرادة الإنسانية دون أن يملك بإزائها حولا أو طولا، لأنها إذا أصبحت كذلك خسر الإنسان حريته منذ بداية الطريق."

وهي على عكس ما يراه الغرب، من كونها محورية وأنها غاية بذاته، وأن الحرية هي معيار تحقق العدالة، فتجعل المنطلقات مادية، تركز على حرية الإنسان في إطلاق العنان لشهواته وغرائزه.

ثم توضح الورقة أصل الحرية، وأبعادها، وأوجهها.

ثم تطرح تساؤلاً: ما هي علاقة الحرية كمفهوم بالاعتقاد أو بالعقيدة، وهنا لا أعني حرية الاعتقاد، بل أعني دور العقيدة والاعتقاد في توجيه مفهوم الحرية ورسم دلالاته وتطبيقاته؟

## الاعتقاد والحرية

### تكم أهمية الاعتقاد في عدة أمور

#### دور الاعتقاد في تشكيل الأفكار والمنظومة الفكرية للإنسان؛<sup>١</sup>

تأثر الاعتقاد عند تشكيله في الذهن بسلسلة معقدة من العوامل، كالخبرات والاعتقادات المسبقة، والرغبات، والميول، والانفعالات.

خطورة عدم استيفاء الاعتقاد شروط الصحة، بالتالي تأثيره على سلوك الفرد وانعكاس هذا السلوك على المجتمع، أي الضرر الناتج عن الاعتقادات التي لا تستوفي شروط الصحة المنطقية، سواء على مستوى المجتمع أو الفرد، واليوم مع وسائل التواصل الاجتماعي يتعدى الضرر المجتمع الواحد إلى عدة مجتمعات.

### الاعتقاد ودوره في تشكيل مفهوم الحرية

المعرفة تتعلق بانطباق المفهوم الذهني على الواقع الخارجي انطباقاً صادقاً منطقياً مبرهنًا، وبالتالي تشكل هذه المعرفة اعتقاداً صادقاً مطابقاً للواقع الخارجي.

وإن لم تشكل تلك المفاهيم انطباقاً مع الواقع الخارجي بشكل حقيقي، بل كان انطباقاً واهياً وهمياً، فإن ذلك لا يمكن وصفه بالمعرفة. والمعرفة بذلك تسبق الاعتقاد وتلعب دوراً هاماً في تشكيله، وبناءً.

والمعارف البشرية لها مصادر تم تنظيمها فيما يسمى بـ "نظرية المعرفة"<sup>٢</sup>، وتختلف هذه النظرية حول مصادر معرفة البشرية، وهناك مدارس كبرى في هذا الصدد أثرت بشكل كبير على تشكيل المعارف والاعتقادات، بل أثرت على التشريعات والقوانين الحقوقية، التي نظمت العلاقات بين الإنسان والآخر، وبين الإنسان والسلطة، والإنسان والمحيط بما فيها الطبيعة. وتتناول المدارس المتنوعة في هذا الصدد.

### الحرية والمقدس

يطرح موضوع الاعتقاد في سياق مفهوم المقدس، وعلاقة هذا المقدس بالحرية، وهي جدلية نعيشها في رهننا وتتجلى دوماً في التعدي على المقدسات بحجة الحريات، وانقسام النخب إلى قسمين:

قسم يعتبر ذلك حرية تعبير لكل فرد حق في ذلك؛

قسم يعتبر هذا تعدياً على المقدسات يجب منعه ومواجهته.

### الحرية والفردانية في السياق الغربي

الحرية كحق لها مستويات عدة، فهي حرية طبيعية، وحرية مثالية، وحرية اجتماعية عملية، ولكل مستواه وقابليات تطبيقها من عدمها.

١ وقد فصلت في هذا الموضوع في كتابي الموسوم بـ: التغيير والإصلاح مطالعة في التأسيسات والإشكاليات والمعوقات، الصادر عن دار الانتشار العربي ٢٠١٩، فيراج.

٢ وهي دراسة لطبيعة المعرفة، الشرح والتبرير، وعقلانية الاعتقاد والإيمان، أي هي تدرس مصادر المعرفة البشرية وتشريحها، وتدرس مدى عقلانية الاعتقادات التي تشكل هويتها بما فيها الهوية الإيمانية والدينية بل الهوية بشكل عام.

الحرية كحق في السياق الغربي هي حرية فردية تقدم قراءة حداثوية لمفهوم الفرد عنوانها الفردانية، وهي موقف أخلاقي وفلسفة سياسية وأيديولوجية، أو تلك النظرة الاجتماعية التي تؤكد القيمة المعنوية للفرد.

تدعو الفردانية إلى ممارسة أهداف الفرد ورغباته لتكون قيمه مستقلة ومعتمدا على نفسه، أي نسبة القيم، ترى الفردانية أن الدفاع عن مصالح الفرد مسألة جذرية يجب أن تتحقق فوق اعتبارات الدولة والجماعات، في حين يعارضون أي تدخل خارجي في مصلحة الفرد من قبل المجتمع أو المؤسسات الحكومية. وغالبا ما تتناقض الفردية مع الديكتاتورية أو الجماعية<sup>١</sup>.

### مفهوم الحرية في سياقه العربي والإسلامي

الحرية في السياق العربي الراهن هي بوابة تحقق العدالة، أي هي القيمة الأداتية لتحقيق قيمة العدالة. وحينما نتحدث عن الحرية فنحن في صدد حريات مختلفة:

الحرية الفردية؛

الحرية الاجتماعية؛

الحرية السياسية؛

الحرية الاقتصادية؛

وتحت كل عنوان هناك أيضا عناوين فرعية كثيرة، ولعل الجدل في مفهوم الحرية لن ينتهي، وسبق يتطور الفكر والعقل البشري في النظر للمفهوم ودلالاته ومجالاته التطبيقية في كافة أشكاله. ثم ختمت الورقة هذه الجزئية بين الثوابت والمتغيرات التي تحدد مفهوم الحرية ودلالاته. ثم بعد هذا التأسيس الذي تناول موضوع راهن في زماننا شكل جدلية بين مدارس عدة، قمت بعرض مفهوم الحرية على فكر الإمام الرضا عليه السلام.

### الحرية في فكر الإمام الرضا عليه السلام

لا يمكننا الانطلاق من مفهوم الحرية الحديث، لاستقراء دلالات هذا المفهوم في النص المقدس، بل يجب أن ننطلق من النص المقدس وكيف طرح مفهوم الحرية وإن بالفاظ أخرى تؤدي نفس المعنى لكن باختلاف الدلالة والمقصد والمطلوب.

### القرآن الكريم ومفهوم الحرية

فلو انطلقنا من النص القرآني وهو الثقل الأكبر، والمرجعية المعرفية الضابطة للنصوص الروائية، سنجد أن المحور الذي انطلق منه القرآن كمفهوم تحرري للإنسان إرادته واختياره هو مفهوم العبودية.

"وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُجِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَ لَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ، إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَ رَأَوْا

١ المصدر السابق، جوهر الغرب، ص ٢٨١ بتصرف.



الْعَذَابِ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَشْبَابُ، وَ قَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأْنَا مِنْكَ اللَّهُ أَغْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَ مَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ"<sup>١</sup>  
 قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً وَ لَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ"<sup>٢</sup>

### في الآيّة الأولى عدة توجيهات أهمها

تظهير مفهوم الحب وجوهره الداعي إلى تحقيق كمال الإنسان.

تظهير مفهوم الاتباع وأنواعه، وآثار كل نوع على مستقبل الكمال الإنساني.

فنحن هنا أمام خارطة طريق مهمة في رسم استراتيجية مفهوم الحرية وفق التأسيس القرآني الكريم:

حب (جوهره العبودية).

اتباع.

صراط مستقيم شرط للاتباع القويم، لا للضالين ولا للمغضوب عليهم.

ثم تعرج الورقة على مفهوم المعرفة ودوره في صناعة الوعي والفكر الإنساني:

وتكمن أهمية المعرفة في أنها:

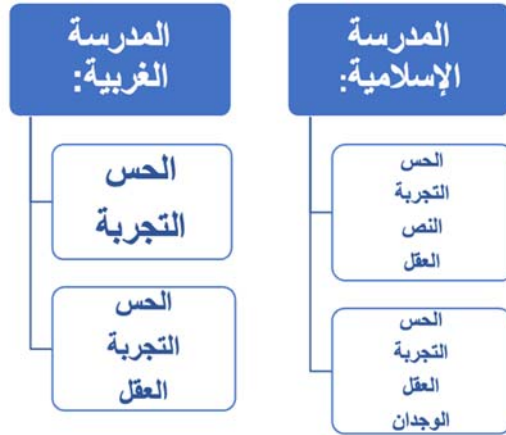
تُشكّل الأفكار.

تدير السلوك في بعده الفردي والاجتماعي.

لها تأثير مباشر على وعي الإنسان وإدراكه.

لها تأثير كبير في الاعتقاد، وتغييره سلبياً أو إيجابياً.

لكن ما هي مصادر المعرفة:



١ سورة البقرة، آية ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧

٢ سورة آل عمران، آية ٦٤.

### الحرية في النص الروائي: الحرية في فكر الإمام الرضا عليه السلام والانطلاق من الذات

"وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يُرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ، إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ، وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَن لَنَا كَوْزَةٌ فَنَسْتَرِبُّهَا مِنهُمْ كَمَا تَبَرَّأْنَا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ"<sup>١</sup>

ثم تنطرق إلى محطات من سيرة الإمام الرضا ع، تجسد مفاهيم الحب والاتباع والعبودية تستقرئ دلالاتها في حياته ع.

المحطة الأولى توضيح الموقف (العبودية الحققة ورفض الأنداد):

وبعد ذلك كان هناك عدة مخاطبات من المأمون للإمام الرضا ع:

أن يخلع المأمون نفسه من الخلافة ويقلدها للإمام الرضا ع، فأبى الإمام الرضا ع ورفض ذلك بشكل قاطع وأنكره تماما.

فعرض عليه ولاية العهد إن أبى تقلد زمام الخلافة، فأبى الإمام عليه السلام إباء شديدا أيضا ورفض ولاية العهد كذلك.

### المحطة الثانية تجلية المسار (الحب والاتباع)

وقد برزت هذه المحطة في رحلته الأخيرة إلى نيشابور والتي تحققت فيها شهادته ع، فقد استوقفه ثلة من العلماء المتفقهين في الدين في ذلك الزمن.... فصاحت معاشر الأئمة والعلماء والفقهاء: معاشر الناس اسمعوا وعوا وأنصتوا لسماع ما ينفعمكم لا تؤذونا بكثرة صراخكم وبكائكم وكان المستملي أبو زرعة ومحمد بن أسلم الطوسي فقال علي بن موسى الرضا عليهما السلام: حدثني أبي موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر ع، عن أبيه زين العابدين ع، عن أبيه الحسين ع شهيد كربلاء عن أبيه علي بن أبي طالب ع أنه قال: حدثني حبيبي وقرة عيني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: حدثني جبرئيل قال: سمعت رب العزة سبحانه تعالى يقول: كلمة لا إله إلا الله حصني، فمن قالها دخل حصني، ومن دخل حصني أمن عذابي، ثم أرخى الستار على القبة وسار. فعدوا أهل المحابر والدوي الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفا..."<sup>٢</sup>

### الحرية في فكر الإمام الرضا عليه السلام والآخر

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ"<sup>٣</sup>

كان للإمام الرضا عليه السلام بحكم موقعه السياسي والعلمي مساحة من الحرية في حوار الأديان الأخرى، وقد استطاع الإمام من خلال هذه الحرية المتاحة طرح منهجه الاعتقادي والفكري في هذه الحوارات. ثم تستعرض الورقة دلالات وتفسيرات الحرية التي سمح بها المأمون.

١ سورة البقرة، آية ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧

٢ المصدر السابق، ص ١١٨.

٣ سورة آل عمران، آية ٦٤.

## مناظرة الإمام لأهل الأديان والمذاهب

## منهج الإمام عليه السلام في التأسيس لحرية الاعتقاد

المحاورة وفق مبدأ قرآني هو: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَهِدِينَ"<sup>١</sup>

الاعتماد على لغة العقل والمنطق بالدليل والبرهان، بعيدا عن التعصب والتحيز المعرفي والعقدي. إلزام المحاور في حال كان من "أهل الكتاب" بما يؤمن به هو، من خلال اعتقاداته المودة في كتبه، ثم بناء الشيء وفق مقتضاه، وتفنيد تلك المعطيات التي يؤمن بها الطرف الآخر، بالعقل والمنطق.

## خلاصة البحث

يتشكل مفهوم الحرية في الغرب ضمن سياقاته المعرفية التي اعتمدت الحس والتجربة مصدرا لها في تحقيق المعارف، ولأن الغرب امتلك مراكز القوة العسكرية والمعرفية التكنولوجية، وضعفت قوة العالم العربي والإسلامي معرفيا، وعسكريا، بحيث بات تابعا مستهلكا، والغرب منتجا سيادا، لذلك تأثرت الهوية العربية والإسلامية بالمفاهيم الغربية وأهمها مفهوم الحرية، مما يدفع النخب في كل التوجهات لتشخيص مكانم الخلل ومواجهة هذه الهيمنة بالطرق المنهجية السليمة من خلال:

نبذ الخلافات الإثنية، مذهبية كانت أو عصبوية أو قومية، والالتفاف حول هدف ومشاركت مصيرية ووجودية يشترك فيها الجميع، وأهدافا غالبا يتفق عليها الجميع، وأعني بالجميع هنا، جميع النخب المهتمة لمواجهة الاستلاب.

التركيز على الأهداف العليا، وعدم خوض معارك جانبية لا تحقق الغاية الكبرى في "جهاد التبيين". القبول بالنقد والتقييم للموروث الثقافي والمعرفي، وفق أسس وقواعد منهجية من قبل المتخصصين، وتضافر الجهود لتبيين زوايا النظر في ذلك.

رسم حدود تدخّل الدين، وحدود تدخّل العقل، وعدم رفض أي مصدر معرفي من مصادر المعرفة، بحجج مستودرة من تجارب أخرى، بل فهم طبيعة ما يمكن للدين أن يقدمه من خير للبشر، وما يمكن للعقل أن يقدمه من خير للبشر، وهو ما يجعل معارفنا أشمل وأوسع وأكثر إحاطة بالواقع.

العمل على بلورة نظرية معرفية منتزعة من سياقنا العربي والإسلامي المعرفي والثقافي في المجال الديني والثقافي السياسي والاقتصادي، مع الاستفادة من تجارب الآخرين نقدا وتقييما.

## البحث

هناك فرق بين عالمية حقوق الإنسان وبين مدى شرعيتها، لكن أصل البحث في شرعية هذه الحقوق قد يعود منشؤه إلى التدايمات التاريخية السابقة على الإعلان والتي أدت إلى نشأتها من جهة، وإلى مدى مصداقية تطبيق هذه الحقوق على جميع البشر، وعدم توظيف هذا الإعلان لمصالح شعوب ودول على حساب شعوب ودول أخرى، وهو ما أثار تساؤلات كثيرة وجدليات حول هذا الإعلان من جهة، وحول أصل موضوع حقوق الإنسان وجذوره الشرعية واللاهوتية

إن الاهتمام بحقوق الإنسان يعود في جذوره إلى موضوع تحقيق العدالة، وأهمية قيمة العدالة في إعلاء كرامة الإنسان، وتحقيق الاستقرار والأمن الاجتماعي، والسعي إلى عمارة الأرض، إلا أن موضوع حقوق الإنسان يدفنا لطرح مجموعة تساؤلات مهمة من وجهة نظري وأهمها:

ما هو منشأ هذه الحقوق والواجبات، ومرجعيتها المعيارية؟

ما هي علاقة حقوق الفرد بحقوق الجماعة وبالتالي أيضا واجبات الفرد والجماعة؟

وقبل الإجابة على هذه التساؤلات نقف قليلا مع توضيح بعض المصطلحات المهمة.

### مفردة الحق

المستفاد من معنى كلمة الحق في دائرة الحقوق مفهوم اعتباري كحق الرجل وحق المرأة، والمقصود من اعتبارية المفهوم هو أنه ليس له عين خارجية، وي طرح فقط فيما يرتبط بالأفعال الإرادية لأفراد الإنسان، فعلى الإنسان الحر والمختار أن يقوم بمجموعة من الأعمال ويحتز من مجموعة أخرى، وفي إطار (ما ينبغي وما لا ينبغي) الحاكم على سلوك الإنسان تتولد مفاهيم نظير "الحق" و "التكليف". والحق هو أمر اعتباري يجعل لشخص (له) وآخر (عليه).<sup>١</sup>

ولكن يكمن الخلاف الجوهرى بين الباحثين الحقوقيين في كون هل الحقوق خطاب إرشادي إمضائي، بمعنى أن الحقوق أمرا كان متداولاً بين العقلاء بحسب سيرتهم وقامت الشريعة المقدسة بإمضائه، أم أنه خطاباً تأسيسياً مولوياً أحدثه الشارع المقدس (الشريعة الإسلامية) ولم يكن متداولاً بين العقلاء لولا أمر الشريعة به؟ (إن أفضل ما يعبر عن الإجابة على هذا التساؤل هو أن "الواجبات الشرعية أُلطاف في الواجبات العقلية"<sup>٢</sup>. بمعنى أن التكليف (ما ينبغي وما لا ينبغي) والتي تنظم الحياة الإنسانية، والتي وضعت من قبل الله تعالى في الشريعة الإسلامية أُلطاف بحق عباده لكي يتعرفوا على واجباتهم العقلية.<sup>٣</sup> ففي إطار الشريعة نفسها، فإن ماهية الحقوق والتكاليف كلها ليست ناشئة من الشريعة بشكل محض، إذ أن طائفة منها لها وجود في الواقع، وما وضع التنازع لها وجعلها نصاً شرعياً إلا من قبيل ضمان استقامتها. فبعض هذه الحقوق يمكن معرفته عن طريق الوجدان والعقل، وبعضها الآخر تنحصر طرق معرفته ببيان النص الموضح لوجود المصالح والمفاسد الواقعية، وهذا هو طريق لفهم حقوق الإنسان وتكاليفه الواقعية<sup>٤</sup>.

فالحقوق ليست مجرد اعتبار تشريعي، بل هناك سلسلة أسس ومعايير أعلى من القوانين الوضعية، وهي لا تأخذ مشروعيتها من القانون، وإنما هي ميزان حَقَاقِيَّة القانون وقبوله، يعني أن مشروعية عمل المُقَنَّ رهن بمدى انسجامه مع هذه الحقوق. فوجود العدالة والحقوق متقدم على وضع أي قانون في الدنيا، ولا يمكن تغيير ماهية العدالة وحقوق الإنسان بالقانون.<sup>٥</sup> وهذا يجيب على سؤال ما هو منشأ هذه الحقوق ومرجعيتها المعيارية كإجابة أولية عامة.

١ الشيخ محمد تقي المصباح البيدي - الحقوق والسياسة في القرآن.

٢ المصدر كفاية الأصول

٣ الشيخ محمد تقي المصباح البيدي - الحقوق والسياسة في القرآن.

٤ حقوق الإنسان دراسة النص وتحددات الواقع، مجموعة من المؤلفين، حسين توسلي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ص ١٠٢.

٥ نظام حقوق المرأة في الإسلام، مرتضى مطهري، ص ١٥٧.

ويعرّف الحق بأنه امتياز ونصيب بالقوة، يثبت لشخص معين يسمح له بإيجاد شيء، أو إزالة نتائجه، أو إعطيه أولوية في أمر معين مقابل الآخرين. وبموجب هذا الحق يجب على الآخرين أن يحترموا شؤونهم، ويقبلوا بنتائج تصرفاته<sup>١</sup>.

ويرى الدكتور مرتضى مطهري (١٩١٩م - ١٩٧٩م)<sup>٢</sup> أن للحق وفق هذا المعنى خصوصيات يمكن تعريفه بها تمييزاً له مما يقرب منه في المعنى، كالحكم والملك والتكليف مثل:

إن الحق أمر اعتباري، ومرتب بظرف عمل الإنسان، واعتباره كأي اعتبار آخر كالملكية مثلاً، يظهر في أن منشأ الاعتبار ليس له وجود حقيقي، ولا تترتب الآثار المقصودة منه ترتباً كونياً.

والحق يكون للشخص بخلاف التكليف (الواجب) يكون عليه، وتلاحظ في الحق الحاجات والرغبات البشرية، ما يجعله نوعاً من الرفق بالشخص وامتيازاً له.

يتعلق الحق بالفعل، بخلاف الملك الذي يتعلق بالعين. فالحق ليس مجرد إباحة شرعية، بل هو صلاحية قانونية ترتبط بأعمال تترتب عليها نتائج معينة أو تزال بها النتائج الأولية لعمل ما.

زام أمر الحق بيد صاحبه، فيقبل الأسقاط أو الاعراض، كما يقبل النقل والانتقال، ولا يحق لأحد سلبه. التمتع بالحق غير مربوط بالقدرة والتمكّن، بخلاف التكليف (الواجب) الذي هو مربوط بهما. وعليه، حق الأفراد العاجزين ولم يولد بعد يبقى محفوظاً.<sup>٣</sup>

ومن المهم أن نشير إلى نقطة مهمة في موضوع شمولية حقوق الإنسان وعالميتها في التنظير الإسلامي، وهي أن حقوق الإنسان بلحاظ طبيعتها الإنسانية، لا يمكن أن تتغير من زمن إلى زمن أو من منطقة إلى أخرى، فمستوى حقوق الإنسان من الناحية القانونية أرفع من مستوى القوانين التي تتحرك من زمن إلى زمن أو مكان إلى آخر، فحقوق الإنسان هي أساس التقنينات وليس العكس. أي أن المرجعية للتقنين هي الانطلاق من فهم منظومة حقوق الإنسان، وعلى ضوئها يتم تقنين القوانين التي تخدم وتحفظ هذه الحقوق.

إلا أنه في العالم العربي والإسلامي، نجد تقدم القوانين على موضوع حقوق الإنسان، وتقنينها على أساس حق الحاكم المطلق في الحكم، وهو ما ترجمه صياغة قوانين تحد من الحريات العامة، وبالتالي تهدر الكرامات، ويتم ذلك وفق هذه الأنظمة بشكل قانوني، فوجود القانون في منطقتنا يخدم حق الأنظمة غالباً، ويهدر حقوق الإنسان، وبوجود قوانين يصعب على أي منظمة حقوقية التدخل في التحقيق بهذه الانتهاكات، لأن القانون جزء من سيادة الدولة، والتدخل في تطبيق القوانين هو انتهاك لهذه السيادة، لذلك نجد سباق حميم على تقنين قوانين تحد من حرية الفرد والمجتمع، وتقيد خياراته، بالتالي أي انتهاك حقوقي للفرد أو المجتمع سيظهر لا بصورة انتهاك، بل بصورة تطبيق للقانون.

### فنحن هنا أمام معضلتين

الأولى: معضلة خارجية متمثلة في السعي المطرد من قبل المؤسسات الدولية التي تحاول تصدير قيم وحقوق خاصة برؤيتها الكونية والإنسانية، بفرض القوة مستغلة حالة الضعف التي تعيشها منطقتنا وحالة التخلف

١- حقوق الإنسان دراسة النص وتحديات الواقع، مجموعة من المؤلفين، حسين توسلي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ص ٩٣.

٢- عالم دين وفيلسوف ومفكر إسلامي.

٣- بحث عام في مبادئ الاقتصاد الإسلامي، مرتضى مطهري، ص ٢٢١، ٢٤٣، ١٦٨، ١٦٩.

الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، فالأنظمة المتعددة في أرجاء العالم حول التربية، والاقتصاد، والسياسة، والثقافة، وغيرها من الأسس الاجتماعية، تشكّل بأشكال وأنماط مختلفة، وتبعاً لها تتأطر حقوق الإنسان بأطر وأنماط مختلفة ومتفاوتة، وهو ما يجعل من الصعب نجاح المحاولات الرامية إلى فرضها على الآخر المختلف، والمضي قدماً في هذا الفرض أربك الساحة الدولية، وأدى لنشوء مقاومات مرتدة ضد هذه المحاولات، وتنامت الأصولية بالمعنى السلبي بحجة الحفاظ على الهوية، ومقاومة القيم التي تصطدم مع ثوابتنا، ونشبت بسببها صراعات قد تنذر بنشوب صدامات أشد وأشرس، بالتالي أدت لتنامي المعضلة الثانية.

الثانية: معضلة داخلية مركبة من أنظمة سلطوية وشبه سلطوية غايتها التحكم بالجغرافيا التي تحكمها وثرواتها، بالتالي الإنسان (الفرد والمجتمع) ليس من صميم اهتماماتها، بل هو عدد ورقم بين الأعداد والأرقام، وبعد العولمة والانفتاح وتوقيع المعاهدات والاتفاقيات الدولية، ورقابة المنظمات الحقوقية، ومحاولات فرض رؤية أحادية حقوقية وقيمية، واستخدام شعار الحقوق في الفضاء السياسي وتحقيق المصالح، لم يؤد ذلك إلي مزيد من الحريات، ومزيد من الحقوق، بل دفع ذلك هذه الأنظمة لمزيد من التشدد، وتقنين قوانين أكثر تقييداً، وزاد منسوب الانتهاك وإن بشكل غير مباشر، مما عقد محاولات مسار الإصلاح في طريق حقوق الإنسان وترسيختها بشكل أعمق في منظومة الدولة. بل لعبت بعض هذه الأنظمة بورقة الدين، لتخرج مارد التيارات الإسلامية المتشددة من مصباحها السحري، أو أن استخدامها لورقة الدين دفعت باتجاه ردود فعل متطرفة وانفعالية.

وهذا لا يعني انتفاء التطور مطلقاً في المسار الحقوقي في العالم العربي والإسلامي، بل ما أعنيه هو قدرة هذه الأنظمة المدعومة من الدول الكبرى في الالتفاف على المراقبة الحقوقية، بطرق مختلفة.

### فغاية التطور هو تحقيق العيش الكريم للإنسان، ولكن ما هو المقصود في العيش الكريم؟

الجواب قد يتغير بتغير الزمان، لكن مع وجود ثوابت محددة هو أن العيش الكريم يجب أن يكون في تحقيق التوازن بين البعدين المعنوي والمادي للإنسان، فقد يكون العيش الكريم في حقبة زمنية يختلف عن دلالته في حقبة أخرى، إذ يخضع في تشخيص دلالته ومصاديقه (تطبيقاته) للظروف الواقعية السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية في تلك الحقبة.

فمثلاً قد يكون العيش الكريم في حقبة محددة بصورة أساسية متعلق بالتحلل من الاستعمار والتبعية، وقد يكون في أخرى توفير سبل العمل وزيادة الدخل ونشر الصحة والتعليم، وفي فترات زمنية أخرى قد يتحقق العيش الكريم في تحقيق التطور الاقتصادي، وفي زمن آخر في ضمان حقوق الإنسان وتوفير الحريات.

فالعيش الكريم كمفهوم يختلف من مكان إلى مكان نتيجة اختلاف الديانات والأعراف والتراث، لكن مهما اختلفت في تحديده الآراء يبقى من وجهة نظري مستندا في جميع الأحوال والظروف إلى دعامتين أساسيتين تسمان حاجات الإنسان الأساسية والضرورية في أي مكان وزمان، وهما تحقيق التطور البشري في بعديه المادي والمعنوي، من خلال توفير سبل الحياة في بعديها المادي والمعنوي، وضمان حقوق الإنسان في شقيها المادي والمعنوي وفهم واجباته ومسؤولياته أيضاً في بعديها المادي والمعنوي.

وتكمن أهمية موضوع الحقوق الإنسانية والواجبات، وتوفير سبل العيش الكريمة في بعديها المادي والمعنوي، في أنهما المقدمة الضرورية لتحقيق الكرامة واحترام الذات، أيضاً في كلا البعدين المادي والمعنوي.

من وجهة نظري هناك دعومات أساسية ومحورية تعتبر العمود الفقري لحقوق الإنسان، والعمل على ترسية هذه الدعومات وتثبيتها وتحقيقها، يؤدي تبعاً لازماً لقيامه باقي الحقوق، وما أعنيه تبعية لازمة، هو أن تحقق هذه الدعومات الأساسية التي تعتبر كالهيكلة الأساسي لموضوع الحقوق، هو المقدمة الضرورية التي ما إن تتحقق ستتداعى باقي الحقوق بشكل حتمي لارتباطها بها ارتباطاً عضوياً تابعاً وهذه الدعومات هي:

الحرية؛

العدالة؛

الكرامة.

وسأركز في هذه الدراسة على مفهوم الحرية لأنه البوابة الرئيسية والأداة لتحقيق القيم الفوقية الغائية، وإصلاح المقدمات هو تمهيد لسلامة النتائج.

أما العدالة والكرامة فقد تناولت المفهومين - وخاصة الأول - بإسهاب في كتاب عقلنة الثورة وتأسيس النهضة، فليراجع.<sup>١</sup>

## الحرية

الحرية هي تجربة نفسية تبدأ من اللحظة التي تدرك فيها الذات الإنسانية وجودها، فهي تشكل جوهر التجربة الإنسانية. ولكن العقل الإنساني لا يكتفي بهذا الشعور وهذه الحقيقة. فمنذ اللحظة الأولى التي يشعر فيها الإنسان بأنه حر يتبادر إلى ذهنه عدد من التساؤلات والأفكار مثل: الصدفة والضرورة والقضاء والله والمصير وحتمية قوانين المادة، إلخ... مما يجعله يعيد التفكير متسائلاً "هل حقاً أنا حر؟"<sup>٢</sup>

فالحرية كتعريف لغوي كما ورد في معجم المعاني الجامع: هي الحالة التي يكون عليها الكائن الحي غير خاضع لغيره أو قيد أو غلبة، ويتصرف طبقاً لإرادته وطبيعته، بخلاف العبودية، فهو يمتلك القدرة على التصرف بملء إرادته واختياره. وفي معجم الرائد هي القدرة على التصرف بملء الإرادة والاختيار، والإنسان الحر غير المقيد بأي من القيود المادية وغير المملوك لأحد، وهو الكريم في نسبه الخالص في إنسانيته لا تعكس صفوها شائبة.

أما تعريف الحرية في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان فهي حق الفرد في أن يفعل ما لا يضر الآخرين. أما الحرية في الفقه الإسلامي: الممكنة العامة التي قررها الشارع للأفراد على السواء، تمكيناً لهم من التصرف على خيرة من أمرهم دون الإضرار بالغير، واستند هذه التعريف على قاعدة فقهية تقول: "الأصل في الأشياء الإباحة". وهناك تنوع وغموض يسود تعاريف الحرية والتي تصل كما يقول "آيزيا برلين" (١٩٠٩ م - ١٩٩٧ م) إلى ٢٠٠ تعريف، ويقول جان جاك روسو (١٧١٢ م - ١٧٧٨ م) في تعريفه للحرية "أنها سيادة على الذات"، ويعرف

١ تناولت عدة مفاهيم وقيم في كل من كتاب التغيير والاصلاح مطالعة في التأسيسات والإشكاليات والمعوقات، عن دار الانتشار العربي، ط ١، ٢٠١٩، وكتاب عقلنة الثورة وتأسيس النهضة محاولة لقرأة الواقعة من زوايا مطلبية معاصرة، عن دار الانتشار العربي، ط ١، ٢٠٢١.

٢ مشكلة الفلسفة، زكريا إبراهيم، ص ١٦

٣ منظر اجتماعي سياسي، وفيلسوف ومؤرخ أفكار روسي - بريطاني.

٤ كاتب وأديب وفيلسوف وعالم نبات جنيفي.

جون لوك (١٦٣٢م - ١٧٠٤م)<sup>١</sup> الحرية بطريقة قريبة للتعريف السابق حيث يعد "الحرية قدرة يتمتع بها الإنسان للقيام بعمل معين أو اجتناب عمل معين".

أما إيمانويل كانط (١٧٢٤م - ١٨٠٤م)<sup>٢</sup> فيعتبر أن "الحرية هي الاستقلال عن كل شيء سوى القانون الأخلاقي"، وأرسطو (٣٨٤ ق.م - ٣٢٢ ق.م)<sup>٣</sup> أكد على أن "الحرية تعني قبول قوانين الدول المختلفة التي تحكم بالتناوب".

وعرف منتيسكو (١٦٨٩م - ١٧٥٥م)<sup>٤</sup> الحرية بأنها القيام بأي عمل سمح به القانون. ونشرت مذكرة حقوق الإنسان الصادرة في فرنسا عام ١٧٨٩م في تعريفها مفهوم الحريات بأنها: القيام بأعمال لا تخل بالأمن العام ويعمل الآخريين.

"أما الإمام روح الله الخميني (١٩٠٢م - ١٩٨٩م)<sup>٥</sup> فقط توسع بالحرية إلى مجال من عدم التدخل وله حدان:

أولاً: عدم الاخلال بالأصول الدينية؛

ثانياً: عدم الاخلال في شؤون الدولة والمؤسسات المدنية"<sup>٦</sup>

"وكلمة الحرية على ما يراد بها من المعنى لا يتجاوز عمرها في دورانها على اللسان عدة قرون، ولعل السبب المبتدع لها هي النهضة الأوروبية المدنية قبل بضعة قرون، لكن معناها كان جائلا في الأذهان وأمنية من أماني القلوب منذ عصور قديمة.

والأصل الطبيعي التكويني الذي ينتشئ منه هذا المعنى هو ما تجهز به الإنسان في وجوده من الإرادة الباعثة إياه على العمل، فإنها حالة نفسية، في إبطالها إبطال الحس والشعور المنجر إلى إبطال الإنسانية. والقوانين المدنية الحاضرة لما وضعت بناء أحكامها على أساس التمتع المادي، أنتج ذلك حرية الأمة في أمر المعارف الأصلية الدينية من حيث الالتزام بها ويلوازمها (أي أن الأمة لها حرية الاختيار في الالتزام بالدين من عدمه) وفي أمر الأخلاق وفي ما وراء القوانين من كل ما يريده ويختاره الإنسان من الإيرادات والأعمال، فهذا المراد بالحرية عندهم، أما الحرية في الإسلام فقد وضع قانونه على أساس التوحيد ثم في المرتبة التالية على أساس الأخلاق الفاضلة، فلا شيء مما يتعلق بالإنسان أو يتعلق به الإنسان إلا وللشرع الإسلامي فيه قدم أو أثر قدم، فلا مجال ولا مظهر للحرية بالمعنى المتقدم<sup>٧</sup>.

ويقول السيد محمد باقر الصدر (١٩٣٥م - ١٩٨٠م)<sup>٨</sup> في كتابه بحوث إسلامية: الحرية الرحبية في الإسلام تبدأ من العبودية المخلصة لله تعالى، لتنتهي إلى التحرر من كل أشكال العبودية المهينة، حيث يجعل الإسلام علاقة الإنسان بربه الأساس المتين الثابت لتحرره مع علاقته مع سائر الناس ومع كل أشياء الكون والطبيعة.

١ فيلسوف تجريبي ومفكر سياسي إنجليزي.

٢ فيلسوف ألماني.

٣ فيلسوف يوناني وتلميذ أفلاطون.

٤ شارل دي سيكوندا، المعروف باسم مونتيسكيو، قاض، ورجل أدب وفيلسوف سياسي فرنسي.

٥ رجل دين إسلامي، وفيلسوف إيراني، ومؤسس للجمهورية الإسلامية الإيرانية.

٦ الإمام الخميني والحرية السياسية، صحيفة (همشهري) ١٩٩٩/١١/١١م

٧ السيد محمد حسين الطباطبائي، تفسير الميزان، المجلد الرابع، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ١، ١٩٩٧م، ص ١١٩.

٨ مرجع ديني ومفكر وفيلسوف إسلامي عراقي، قتله الديكتاتور صدام حسين.



ويذكر الشيخ جعفر السبحاني<sup>١</sup> أن جوهر الحياة الإنسانية يكمن في حفظ الكرامة والعزة، لهذا منع الإسلام من أي عمل يضر بهذه الموهبة وبعبارة أكثر وضوحاً إن أي نوع من التسلط على الآخرين، وكذا قبول السلطة من الآخرين ممنوع من وجهة نظر الإسلام منعاً باتاً، فلا بد أن يعيش المرء حراً كريماً بعيداً عن أي شكل من أشكال الصغار والذل<sup>٢</sup>

ويؤكد السيد محمد باقر الصدر في بحوث إسلامية "أن الحرية في الحضارة الغربية، هي حرية مادية اكتفت بمنح الإنسان الحرية الظاهرية في سلوكه العملي المتمثل بحرية آلة الجسد للقيام بكل ما تأمر به الفرائض الحاكمة عليه، والشهوات المسيطرة على إرادة إنسان هذا الجسد، ولقد قامت الحضارة الغربية بتوفير كل الإمكانيات والمغريات للاستجابة لهذه الشهوات الغرائزية، مما أدى أن تقضي هذه الحضارة تدريجياً على حرية الفرد الإنسانية، في قبال حرية شهواته الحيوانية الكائنة في أعماقه.

ولذلك أصبح هذا الفرد أداة تنفيذ لشهواته وأصبح مملوكاً لشهواته وغرائزه منقاداً لها ليس له إرادة في قبال هذه الشهوات. فسلبت منه العنصر الفعال في حريته الفطرية والتكوينية وهي الإرادة الباعثة للعمل المتوافق مع مركز وعيه المتمثل بالعقل، وعلى أثر ذلك تم تعطيل العقل الموجه للإرادة الحرة للإنسان واستعباد الشهوة الغرائزية لهذا العقل لتعطل الإرادة العاقلة المؤسسة لحرية وكرامته ليتم استعباده من مركز الشهوة ليصبح مملوكاً لذاته ورغباته وشهواته مسلوباً للإرادة بالكلية.

وفي رؤيته حول الحرية يقول عباس عميد زنجاني: يرى الغرب أن فلسفة الحرية في الاعتقاد، ترتبط بأصل الاستثمار، وإرضاء الغرائز وإشباع الرغبات واللذائذ المادية، وأن مبنى وضع القوانين وميزان حاكمية الدول يعتمد أيضاً على ميول الأكثرية وشهواتها. ويرى الشرق من خلال اعتقاده بالجبر التاريخي وحكومة القوانين الديالكتيكية المادية في العالم، بأن الحرية قد انحصرت في تشديد التضاد، وإيجاد ظروف، أو بالأحرى، نوع من الهداية المحكومة بالقوانين الديالكتيكية.... وفي هذه الأوساط، يعتقد الإسلام أن الهوية والعامل الإنساني هما سبب الحرية، وأن الإنسان يمتلك قابليات واستعدادات كثيرة وميولاً إنسانية عالية، وهذه الميول والقابليات هي منشأ الحرية لدى الإنسان.

ويرى الإسلام أن الحرية على هذا الأساس، أمر يستوجب نوعاً من التكامل الإنساني، فالحرية في هذا المنظار حق إنساني ومطلب ناتج عن القابليات والطاقات الإنسانية؛ وتحرر هذه القابليات والميول العالية عن أي مانع أو تراحم، نابع عن تكامله وسيره في هذا الطريق. ولقد بين الإسلام مسألة الحرية في قالب التوحيد، وأن تقيد الإنسان والتزامه وطاعته لأوامر الله بيان لأسلوب تكامل الإنسان ودعوته إلى نفي مطلق الطاعة لغير الله، بأي نحو، وبأي وسيلة كانت، فالموحد الحقيقي هو الإنسان الحر الذي لا يخضع لأي حكم وسلطة<sup>٣</sup>.

الحرية في الإسلام تعني أن يصبح الإنسان حراً بشكل حقيقي، بحيث يستطيع أن يتحكم في طريقه ويحتفظ لإنسانيته بالرائي في تحديد الطريق ورسم معالمه واتجاهاته، وهذا يتوقف على تحرير الإنسان قبل كل شيء من عبودية الشهوات، التي تعتلج في نفسه لتصبح الشهوة أداة تنبيه للإنسان إلى ما تشتت به، لا قوة

١ مرجع ديني إسلامي معاصر له بروز واضح في مجالات الكلام والتفسير والفلسفة.

٢ العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام

٣ الفكر السياسي في الإسلام، المبادئ والأطر العامة، عباس عميد زنجاني، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط١، ٢٠١٠م، ص ٤٧٥ - ٤٧٦.

دافعة تسخر الإرادة الإنسانية دون أن يملك بإزائها حولا أو طولا، لأنها إذا أصبحت كذلك خسر الإنسان حريته منذ بداية الطريق.

فحرية الإسلام على ضوء ذلك هي انقياد الشهوات بشكل تام للعقل، فتصبح الإرادة أداة للعقل ومنبعثة للعمل وفقه وليست أداة للشهوة، فما يجعل الحرية الإنسانية تختلف عن الحرية الحيوانية، هي أن الشهوة في الحيوان هي مركز القرار والتوجيه للإرادة، ولكن في الإنسان العقل هو سيد الموقف والموجه للإرادة وفق معايير منضبطة، بعيدة عن الغرائز المنحرفة عن خط الكرامة والعزة الإنسانية.

وعلى مر التاريخ وفي جميع الأديان السماوية كان دأب الأنبياء والمرسلين هو تحرير الإنسان من عبودية المخلوق إلى عبودية الخالق، ومن عهودهم للعباد إلى عهودهم لله، ومن طاعة العباد إلى طاعة الخالق، ومن ولاية عباده إلي ولايته عز وجل.

فالحرية في الإسلام لا تنفك البتة عن تعهد الإنسان أمام الله وحده، والتزامه بولاية الله والتسليم لما أرسله من قوانين وتشريعات وأحكام.

"لذلك تبني في الإسلام الحرية على نظرة كونية وتوحيدية عميقة وراسخة وذات معنى، ويكون عنصر العقلانية دخيلا في الحرية، أي أن الإنسان ليس حرًا في الأعمال والأفكار غير العقلانية، ولا يحترم الإسلام هذا النوع من الحريات".<sup>١</sup> فالغرب ركز على التحرير الظاهر الجسدي المادي، في قبال رق أبدي للروح والمحتوى الداخلي للإنسان للشهوات والغرائز دون أدنى إرادة أمامها فسلب حريتها.

أما في الإسلام فالحرية - كما يشير الشهيد محمد باقر الصدر- هي معركة التحرير للمحتوى الداخلي والروحي للإنسان من قيود عبودية الشهوة، لتصبح الإرادة موجهة للقوة العقلية الحاكمة وهي الأساس الرئيسي لتحرير الإنسان في نظر الإسلام، وبدونها تصبح كل حرية زيفا، وخداعا، وبالتالي أسرا، وقيدا. الحرية بلحاظها الحقوقي عبارة عن نوع من الاستقلال الذاتي في مراحل مختلفة من الحياة، وهي ضرورية من أجل ترقى شخصية الإنسان، ضمن إطار المقررات والضوابط سواء كانت ضوابط عقلية أو إلهية.<sup>٢</sup>

## والحرية ذات أصلين

### فطري موجود بالقوة في كل البشر؛

كسبي، بمعنى يكتسبه الفرد كل حسب وعيه لذاته، ووعيه لواقعه المحيط ولدوره ووظيفته، وسعيه الدؤوب نحو الحرية.

### وللحرية بعدان

البعد التكويني والذي يطلق عليه (الحرية التكوينية والتي تعني أن الإنسان بحسب خلقته موجود ذو إرادة له أن يختار لنفسه ما يشاء من الفعل ويترك ما يشاء باختياره فهو مطلق العنان إلى الفعل والترك بحسب الفطرة غير مقيد بشيء)<sup>٣</sup>. ولقد نظمت هذه الإرادة أو هذه الحرية التكوينية؛

١ عباس عميد الزنجاني، مصدر سابق، ٤٧٨.

٢ حقوق الإنسان وإشكاليات النظرية والتطبيق، جولة في حقوق الإنسان عند الإمام علي ع، د. السيد مصطفى محقق داماد، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، حقوق الإنسان دراسة النص وتحديات الواقع، مجموعة مؤلفين، ط١، ٢٠٠٨، ص ١٥٥.

٣ تفسير الميزان- المجلد العاشر- ص ٣٥٩، مصدر سابق

بالبعد الثاني وهو الحرية التشريعية<sup>١</sup> التي حررت السلوك العملي للفرد من عبودية الشهوات أو عبودية الأصنام، حيث ليس لأحد من بني نوعه أن يستعلي عليه فيستعبده ويتملك إرادته، والإسلام يسمح بحال التصرف للفرد كما يشاء على ألا يخرج عن حدود الله. فيضع الكون جميعاً بأسره تحت تصرف الإنسان وحرية، ولكنها حرية محدودة بالحدود التي تجعلها مع تحرره الداخلي من عبودية الشهوة والاتصاف بالأرض في عبادة الأصنام، والتخلي عن الرسالة الحقيقية الكبرى للإنسان في الحياة، فهذا مالا يأذن به الإسلام لأنه تحطيم لأعمق معاني الحرية في الإنسان<sup>٢</sup>.

وكذلك للحرية أوجه مهمة يتكامل بعضها مع بعض، ويضبط أحدها الآخر لعدم السقوط بين فكي الإفراط والتفريط: وجه مادي متعلق بحرية الجسد؛

وجه معنوي متعلق بحرية العقل والإرادة والاختيار.

والحرية بوجهها المادي يتم ضبطه بالوجه المعنوي، لذلك نستطيع القول إن جذر الحرية يكمن في تحرر العقل والروح من الاستعباد، لأي وجه من وجوه الاستعباد خاصة المادية والغرائزية منها. لذلك نجد أن الوجه المادي للحرية لا بد أن يخضع للوجه المعنوي، وهذا يتطلب التربية على الحرية وفي ذات الوقت على المسؤولية، فمفهوم الحرية يستدعي معه مفهوم المسؤولية، فحس المسؤولية أحد أهم الضوابط التي تضبط إيقاع الحرية بوجهها المادي.

والحرية كممارسة، ليست خطاباً يُلقَى، أو ادعاء يُدعى، وإنما هي إرادة إنسانية صلبة تتجه نحو التمسك بالحرية ومقتضياتها، وحيث تتوفر الإرادة الإنسانية المتجهة صوب الحرية، تتحقق بذات القدر حقائق الحرية. فحجر الزاوية في مشروع ممارسة الحرية، هو الإرادة الإنسانية. من هنا ينبغي الاهتمام بمفهوم "التربية على الحرية"، إذ أن المهمة العامة الملقاة على كاهل جميع النخب هي تربية شرائح المجتمع المختلفة على الحرية، والتربية على الحرية تحتاج إلى:

استعداد نفسي تام للقبول بكل مقتضيات الحرية؛

الاطلاع والتواصل الثقافي مع المنجز الثقافي الإنساني الذي يؤسس لخيار الحرية، يبلور مضامينها؛

الموازنة الواعية بين ثقافة الطاعة وثقافة المسؤولية.<sup>٣</sup>

## هذا يدفعنا لطرح التساؤل التالي

ما هي علاقة الحرية كمفهوم بالاعتقاد أو بالعقيدة، وهنا لا أعني حرية الاعتقاد، بل أعني دور العقيدة والاعتقاد في توجيه مفهوم الحرية ورسم دلالاته وتطبيقاته؟

## الاعتقاد والحرية

### تكمن أهمية الاعتقاد في عدة أمور

#### دور الاعتقاد في تشكيل الأفكار والمنظومة الفكرية للإنسان؛<sup>٤</sup>

تأثر الاعتقاد عند تشكيله في الذهن بسلسلة معقدة من العوامل، كالخبرات والاعتقادات المسبقة، والرغبات، والميول، والانفعالات.

١ الشهيد محمد باقر الصدر - بحوث إسلامية.

٢ التربية على الحرية، محمد محفوظ، منشورات صفاق، ط ١، ٢٠١٨، ص ٩، ١٠.

٣ وقد فصلت في هذا الموضوع في كتابي الموسوم ب: التغيير والإصلاح مطالعة في التأسيسات والإشكاليات والمعوقات، الصادر عن دار الانتشار العربي ٢٠١٩، فيراج.

خطورة عدم استيفاء الاعتقاد شروط الصحة، بالتالي تأثيره على سلوك الفرد وانعكاس هذا السلوك على المجتمع، أي الضرر الناتج عن الاعتقادات التي لا تستوفي شروط الصحة المنطقية، سواء على مستوى المجتمع أو الفرد، واليوم مع وسائل التواصل الاجتماعي يتعدى الضرر المجتمع الواحد إلى عدة مجتمعات.

### ويجب أن نميز بين أمرين مهمين

**الأمر الأول:** تارة نحن نتحدث عن الاعتقاد كأمر "داخلي قلبي" لا يترتب عليه أثرا عمليا في الخارج، وهذا الشكل من الاعتقادات ليس داخلا في موضوع الحقوق، ولا يترتب عليه الأثر القانوني.

**الأمر الثاني:** تارة نحن نتكلم عن الاعتقاد بما هو "سلوك اجتماعي"، يترتب عليه أثرا عمليا في الخارج، وهذا الشكل من الاعتقادات هو داخل في دائرة الحقوق، وخاضع لما يسمى "القوانين الحقوقية" التي توضع لتنظيم العلاقات الاجتماعية.

فالأمر التي لها صبغة فردية وشخصية محضة وتقع ضمن المجال الخاص للأفراد، ليس لها ارتباط بالحقوق، وإنما تقع ضمن مجال الأخلاق، ومن الممكن أن تتعلق بها الأوامر والنواهي الأخلاقية القيمية، لكن القانون الحقوقي لا يوضع في مجالها<sup>١</sup>.

إضافة إلى ذلك تارة نتحدث عن الاعتقاد بمنهج وصفي، وتارة بمنهج معياري، فالأول هو التعرف على الموضوع محل البحث "الاعتقاد"، ووضعه في إطاره الصحيح، وتفسير جميع الظروف المحيطة به، ثم الوصول إلى النتائج المتعلقة بموضوع البحث وهنا الموضوع هو الاعتقاد، إذا هنا نحاول فهم مبررات الاعتقاد، والمؤثرات التي سادت هذا الاعتقاد، والظروف المحيطة ودراستها لفهم الأسباب والطرق والوصول إلى نتائج، فهو يبدأ من الجزئيات لينتهي بالكليات. بينما المنهج المعياري يبدأ من الكلليات وينتهي إلى الجزئيات، فهو منهج قائم على وضع معايير وقواعد حول كيف يجب أن نعتقد، وما هي معايير الاعتقاد السليم، وما هي القواعد الكلية للاعتقاد السليم، فهو ينأى عن الوصف، ويهتم بوضع الأسس والقواعد والمعايير الكلية حول موضوع البحث.

وموضوع الاعتقاد وأثره في تشكيل مفهوم الحرية يتطلب الاستعانة بالمنهجين المعياري والوصفي، فوجود معايير وقواعد لتشكيل المعتقد بشكل سليم، ومقارنة تلك الكلليات المعيارية والقواعد مع ما هو موجود من خلال اتباع المنهج الوصفي في فهم كيفية تشكل الاعتقادات الراهنة في كل مجتمع، وما هي المؤثرات التي أثرت في تشكل تلك الاعتقادات، وما هي المرجعيات المعرفية التي أثرت في تشكيل الاعتقادات، تعتبر من المسائل المهمة في فهم آليات تشكل مفهوم الحرية ودلالاته في كل بيئة ومدرسة فكرية ومعرفية، وأثر ذلك على عولمة ذلك المفهوم، ومحاولة فرض هذه المدرسة لفهمها الخاص على باقي المدارس التي تختلف معها في مصادر المعرفة، وفي القواعد الكلية والمعيارية في تشكيل المعتقد، وبالتالي تشكيل مفهوم الحرية ودلالاته وتطبيقاته، وتقنين القوانين الناظمة بناء على ذلك.

ومفهوم الحرية: تارة نتحدث عن حرية الفرد في الاعتقاد الداخلي القلبي، وهذا ليس مورد بحثنا كونه لا يخضع هنا لموضوع الحقوق، فالإنسان تكوينيا حر في اعتقاداته الداخلية القلبية، وتارة نتحدث عن مفهوم الحرية على مستوى السلوك الاجتماعي، ودور الاعتقادات التي تشكل هذا المفهوم في الخارج من حيث ما

١ أخلاقيات الاعتقاد، ترجمة مقالة: وليم كليفور، شرح ونقد وتعليق د. مرتضى فرج، ص ٨.

يترتب عليه من تشريع قوانين، أو عن حرية تعبير تترتب عليها تداعيات اجتماعية سلبية أو إيجابية، وكل ما يتعلق بمفهوم الحرية على مستوى السلوك الاجتماعي، فهو محل بحث موضوع الحقوق والقوانين الحقوقية. فللاعتقاد دور مهم جدا في تشكيل المفاهيم ومنها مفهوم الحرية، فالاعتقادات كلها مهمة، لأنها بمثابة الشرارة التي قد تبدو في بادئ الأمر تافهة، لكنها تؤدي إلى حرائق عظيمة.

وقد ذكر وليم كليفورد في مقاله الموسومة "بأخلاقيات الاعتقاد" أن اعتقاد الإنسان الفرد ليس أمرا خاصا به يهمله وحده، بل إن حياته مسيرة من قبل ذلك التصور الكلي لسلسلة الأحداث التي تشكلت بواسطة المجتمع لأهداف اجتماعية. إن الألفاظ - كما يقول كليفورد - وقولنا وعمليتنا، وطريقة تفكيرنا هي ملكٌ عام، تم تطويره وضبطه من عصر إلى عصر، وكأنه ملكٌ متوارثٌ ترثه الأجيال المُتعاينة كوديعة ثمينة ووثيقة مقدسة يُسَلَّمُه كل جيل لمن يليه، ليس غير متغيّر، بل متوسّع ومُنقّى، مع بعض العلامات الواضحة للعمل اليدوي المتقن الذي أُجِرَى عليه<sup>١</sup>.

فاعتقاد الشخص ليس شأنًا شخصيا يتعلق بالفرد وحده، بل ينعكس تأثيرا على أفراد المجتمع كافة، ومن جيل إلى جيل، فاعتقادات السابقين تراكمت وتدرجت من جيل إلى جيل، وكل جيل كان له بصمته الخاصة، حتى وصلت إلينا تلك الاعتقادات وأثرت فينا، وبالتالي أثرت في القوانين والتشريعات والحقوق، وفي استقرار المجتمعات من عدمه، لذلك موضوع الاعتقاد موضوع بالغ الأهمية والخطورة.

فأي كلمة أو مفهوم ينطلق من قاعدة بيانات اعتقادية معينة هي ميزة عظيمة من جهة، ولكنها مسؤولة ضخمة من ناحية أخرى، فأي خطاب يوجهه الفرد لأقرانه فهو إما يبنى أو يهدم، وقد يزرع فيشمر الزرع، أو قد يدمر ويحرق ما زرع سابقا، فهو يخلق الأجواء التي ستعيش فيها الأجيال القادمة.

ولاهمية الاعتقاد بلحاظ الدور الذي يلعبه عند إصدار القرارات، أو على باقي الاعتقادات، لذا لا يمكن أن نتعامل بلا مبالاة تجاه أي اعتقاد، لأن مصير البشرية مرهون بترشيد اعتقادات البشر. فالاعتقاد ليس ملكنا، بل ملك البشرية فهو كيان مقدس له أهمية ذاتية من ناحية، وأهمية بلحاظ الدور الذي يلعبه من ناحية أخرى.

لذلك أي اعتقاد يشكل المفاهيم الكلية التي تؤثر على الواقع الخارجي والسلوك الاجتماعي والتقنين والتشريع وتلعب دور وظيفي محوري في رسم الخطوط العامة والعريضة التي تنظم سلوك البشر، فلا بد لهذا الاعتقاد أن يُبنى على أسس سليمة منطقية غير خاضعة للتحييزات والانفعالات والتبعيات من جهة، ومن جهة أخرى يأخذ في حسبانته قاعدة الاحتمال وليس قاعدة القطع واليقين، بمعنى أن يبقى باب الاحتمال بنسب وإن صغيرة مفتوح في كون اعتقاده يشوبه خلل وليس قطعيا، وكون اعتقادات الآخرين المختلفين أيضا قد تكون صحيحة وصادقة، فيحترمها ولا يفرض اعتقاداته حول المفاهيم على الآخرين كأنها مقدسا لا يمكن المساس به أو نقضه.

إن التسرع والانفعال في قبول الاعتقادات التي تشكل المفاهيم، لن يحقق النهضة في مسار الإنسان، بل قد يحقق تدميرا منهجيا تتحمله الأجيال اللاحقة، فقد أتبنى كفر أو كمجتمع أو كدولة اعتقادا يشكل لي مفهوم الحرية على سبيل المثال، وتقنن على ضوء هذا الاعتقاد قوانين. قد يعيش الجيل المعاصر لهذه القوانين الجانب الإيجابي الآتي الملحوظي لها، ولكن على المدى البعيد الطويل تبدأ إرهابات هذه القوانين النابعة من تلك الاعتقادات التي شكلت مفهوم الحرية، تبدأ بالظهور ليتحمل تبعاتها الأجيال اللاحقة التي لم يكن لها دوراً في تشكيل تلك المعتقدات.

فبعض الأحيان نحمل اعتقاداً لا لأننا امتلكننا الدليل والبرهان عليه، بل لأنه يسعدنا ويُضفي على حياتنا البهجة والراحة، أو الطمأنينة الوهمي، وبعدها عن همومنا الحقيقية التي علينا مواجهتها بشجاعة، لكننا نهرب منها باختلاق اعتقادات باطلة كوسيلة خداع للذات، لا يمكن أن تحقق أي تقدم أو تغيير في واقعنا الخارجي من جهة، ومن جهة أخرى يعطل سعينا الدؤوب نحو الاعتقادات الحقّة، ويدخلنا في دوامات الحياة الزائفة، التي لا تزيد من تعقيد المشهد الخارجي علينا، بل تزيد تعقيداته على الأجيال اللاحقة كذلك، لتتراكم تلك التعقيدات وهذا الوهم، ليعاني منه الأجيال اللاحقة كذلك، ما لم يتم فلترته وغربلته والسعي في تحقيقه وتنقيحه والبرهنة عليه.

فمسؤولية التحقق من الأمور قبل الاعتقاد ليست واجبة من الناحية الأخلاقية فقط على النخب والمثقفين والقيادات، بل هي واجبة على كل إنسان عاقل كل وفق قابليته وسعته وقدراته وما يتاح له من مُكُنّة عملية في هذا الصدد. فالقابليات متفاوتة والقدرات كذلك، فلا نستطيع تحميل كل فرد ذات المسؤولية الأخلاقية في وجوب التحقق أخلاقياً، بل يمكننا التشجيع على ذلك كل وفق قدرته وقابليته وسعة إدراكه ووعيه، وكل وفق وظيفته.

فالمثقف يختلف في وظيفته ومسؤوليته عن العامل العادي، وكذلك يختلف قائد الدولة عن المثقف، ويختلف كذلك القانوني والمشرع عن غيرهم في تحمل المسؤولية الأخلاقية في التحقق قبل الاعتقاد، فلنكل مجاله، ولكل وظيفته ولكل قدراته ووعيه وسعة إدراكاته، لكن الأساس هو ضرورة التحقق وأهمية الدفع باتجاه ذلك في صناعة وعي عام حول خطورة الاعتقاد في تشكيل المفاهيم، وتأثير ذلك على السلوك الاجتماعي واستقرار الفرد والمجتمع.

فالاعتقادات إن كانت مرتكزة على أسس واهية، تعطي المرء شعوراً بالقوة، لأنها توهمه بمعرفة الواقع على ما هو عليه. هذه القوة الواهمة تتحول في كثير من الأحيان إلى قوة تدميرية، قد يدفع الفرد والمجتمع وبيدل في سبيلها كل ما يملك حتي قد يبذل البعض حيواتهم في سبيل هذه الاعتقادات، وهذا ما لمسناه في راهنا في كثير من المواضيع سواء الدينية أو غير الدينية، فالدينية كان لدينا نموذج داعش، وغير الدينية كان لدينا نموذج الدفاع المستميت عن حقوق الشاذين جنسياً باسم المثليين، وتداعيات هذا الدفاع علي النواة التأسيسية للمجتمع وهي الأسرة، وعلى تركيبة المجتمع واختلاط الأنساب وغيرها من القضايا التي يعاني منها المجتمعات، وسيعاني منها الأجيال في حال لم يتم إعادة النظر فيها على أسس منطقية استراتيجية مكيّنة علمياً ومنهجياً ومنطقياً.

### المفاهيم والأفكار والمعتقدات ودورها الاستراتيجي

إن تداول المفاهيم والأفكار والمعتقدات قبل عرضها على طاولة البحث والتقصي، والنقض، وقبل تمحيص أدلتها ودلالاتها، عرض البشرية عبر التاريخ إلى كثير من الخسائر والتداعيات السلبية. فالتجربة التي يتعرض لها الإنسان نتيجة الصراعات السياسية والاجتماعية، تدفعه في كثير من الأحيان إلى محاولة معالجة واقعه بتقديم رؤى وأفكار نابعة من تجربته الشخصية أو الاجتماعية، بالتالي قد تخضع هذه المعالجات لتحيزات وقبليات معرفية، تُخرج المعالجات أو ما ينتج من معارف عن الموضوعية، وتُخضعها لاستمزاجات شخصية قد يبني عليها لاحقاً تفاسير ومعتقدات تفسد مسار البشرية اللاحق أخلاقياً واعتقادياً وحتى روحياً.

ولعل التجربة الغربية مثال واضح على ذلك، فمن ديكارت (١٥٩٦م - ١٦٥٠م)<sup>١</sup> إلى كانت (١٧٢٤م - ١٨٠٤م)<sup>٢</sup> مثلاً... إلى غيرهم كان المسار محاولة معرفية لمواجهة التعسف الناتج عن تحالف السلطة الدينية مع السلطة الدينية، وما نتج عن هذا التعسف من قهر للإنسان ومعاناة عاشتها أوروبا شطراً طويلاً من الزمن، ولكن هذه المحاولات التي قد توصف بأنها ردود أفعال، وأنها نتاج احتكاك الفيلسوف والمفكر مع واقعه المحيط، وعدم استطاعته الانفصال عنه، نتج عنها منظومة فكرية ومعارف أسست فيما بعد لاستبعاد الله عن الواقع البشري، مع عدم إنكار وجوده ابتداءً، لكن كمحصلة لهذه البداية نتج لدينا ظاهرة الالحاد من جهة، وظواهر أخرى كالفردانية المتطرفة، والأنانية المفرطة، التي توالد عنها مجموعة تشريعات وقوانين تم فرض تعميمها على البشرية، فكان أن تحملت البشرية جمعاء حصيلة هذه الأفكار التي قد تكون طرحت بحسن نية لمعالجة الواقع ابتداءً، لكن حسن النية وحده غير كافٍ لفهم تداعيات الأفكار والمعتقدات، وتداعيات دلالاتها على الأجيال.

وهو ما يدفنا للإقرار بعدم شمولية وإحاطة العقل وقصوره عن فهم كل ما هو في مصلحة الإنسان وفي ضرره، والدفع نحو التواضع المعرفي، بل القصور المعرفي للإنسان، وحاجته الحقيقية للتدخل الإلهي في وضع قواعد ميسارية عامة ثابتة، تشكل مرجعية معرفية تضبط مسار العقل في حال خروجه عن تلك القواعد، دون إلغاء لدور عقل الإنسان وإبداعاته، لكن وفق ضوابط ومعايير تمنع الضرر الذي قد يلحق بالبشرية في حال الخروج عن تلك الضوابط.

فأهمية أي اعتقاد والتعبير عنه تكمن في الدور الوظيفي الذي يمكن أن يلعبه هذا الاعتقاد عند اصدار القرارات، أو على باقي الاعتقادات. لذا لا يمكننا التعامل بلا مبالاة تجاه أي اعتقاد، كما لا يمكننا أن نكون غير مباليين اتجاه ما نعتبره من أفكار ومعتقدات، لأن مصير البشرية رهون بترشيد اعتقادات البشر. فمسؤولية التحقق من الاعتقاد والأفكار والمعارف مسألة واجبة أخلاقية على كل إنسان عاقل، ما استطاع إلى ذلك وفق، وسعه، وطاقته، وقابليته.

### الاعتقاد ودوره في تشكيل مفهوم الحرية

بعد هذه المقدمة الموجزة جداً، أود أن أميز بين مفهومين مهمين يؤثر أحدهما في الآخر ويسبق أحدهما الآخر سبقاً ترتبياً منطقياً، وهما مفهوم: **المعرفة والاعتقاد**.

فالمعرفة تتعلق بانطباق المفهوم الذهني على الواقع الخارجي انطباقاً صادقاً منطقياً مبرهنًا، وبالتالي تشكل هذه المعرفة اعتقاداً صادقاً مطابقاً للواقع الخارجي.

وإن لم تشكل تلك المفاهيم انطباقاً مع الواقع الخارجي بشكل حقيقي، بل كان انطباقاً واهياً وهمياً، فإن ذلك لا يمكن وصفه بالمعرفة. والمعرفة بذلك تسبق الاعتقاد وتلعب دوراً هاماً في تشكيله، وبناءه.

١ رينيه ديكارت، فيلسوف وعالم رياضي وفيزيائي فرنسي، يلقب "بأبو الفلسفة الحديثة"، وكثير من الأطروحات الفلسفية الغربية التي جاءت بعده، هي انعكاسات لأطروحاته، وهو الشخصية الرئيسية لمذهب العقلانية في القرن ال ١٧م، وهو صاحب الكوجيتو الشهير "أنا أفكر إذا أنا موجود".

٢ إيمانويل كانت، فيلسوف ألماني، وكان آخر الفلاسفة المؤثرين في الثقافة الأوروبية الحديثة وآخر فلاسفة عصر التنوير، وأحد أهم الفلاسفة الذين كتبوا في نظرية المعرفة الكلاسيكية، وامتد تأثيره في الفلسفة الغربية إلى الآن، ومن أشهر أعماله: نقد العقل المجرد، وابتدع كانت نظاماً مبتكراً في نظرية المعرفة هو مزيج بين المدرستين التجريبية والعقلية.

والمعارف البشرية لها مصادر تم تنظيمها فيما يسمى بـ "نظرية المعرفة"<sup>١</sup>، وتختلف هذه النظرية حول مصادر معرفة البشرية، وهناك مدارس كبرى في هذا الصدد أثرت بشكل كبير على تشكيل المعارف والاعتقادات، بل أثرت على التشريعات والقوانين الحقوقية، التي نظمت العلاقات بين الإنسان والآخر، وبين الإنسان والسلطة، والإنسان والمحيط بما فيها الطبيعة.

### وأهم هذه المدارس

المدرسة التي اعتبرت أن الحس والتجربة هما مصادر المعرفة الوحيدين للإنسان، ويمكن تسميتها بالمدرسة التجريبية أو الوضعية.

المدرسة التي اعتبرت أن العقل هو المصدر الوحيد لمعارف الإنسان، وهي المدرسة العقلانية التي تعتبر أن معيار الحقيقة فيها فكريا واستنباطيا وليس حسيا.

المدرسة الميتافيزيقية التي تعتمد في المعارف على علوم ما وراء طبيعية.

المدرسة الإسلامية التي تعتبر أن مصادر المعرفة هي حسية وتجريبية وعقلية ونقلية ووجدانية، أي أن كل ما سبق يدخل في تشكيل معارف الإنسان.

هذه أهم المدارس في مصادر المعرفة التي تدرسها نظرية المعرفة، وكل مدرسة تفرعت عنها مدارس تراوحت شدة وضعفا في تبني مصدر معرفي على حساب مصدر آخر داخل بناها الفكرية.

وكما نلاحظ حجم الاختلاف الكبير بين المدارس، والذي يؤدي إلى الاختلاف في تشكيل الاعتقادات وبالتالي اختلاف في التأثير في الواقع الخارجي، سواء على مستوى الفرد أو المجتمع، أو مستوى التقنين والتشريع الذي ينظم علاقات الأفراد، ويرسم لها مسارات هذه العلاقات تحت مظلة القانون والحقوق.

فكل مدرسة شكلت لها مفهوما للحرية له مرجعيته الاعتقادية التي شكلتها مصادر معرفته، وبالتالي يختلف هذا المفهوم في دلالاته وبالتالي في مصاديقه والقوانين التي تشرع لأجله، وهذا لا يعني عدم وجود مناطق اشتراك، لكن هذه المناطق تتسع وتضيق وفق تلاقي هذه المدارس في مصدر من مصادر المعرفة، وبالتالي توافقها في جزئية ما على بعض الأفكار العقدية التي تؤثر في بناء مفهوم الحرية، لكن هذا الاشتراك في بعض المناطق لا يعني البتة تطابقا في دلالات مفهوم الحرية بشكل كامل، وهذا ما يثبتته الواقع الراهن من حجم الاختلاف بين الغرب والشرق في تطبيقات مفهوم الحرية ودلالاته، رغم اتفاقهم على اللفظ لا المعنى.

وطالما أن محل البحث هو مفهوم الحرية، فإن أثر هذه الاعتقادات التي تنسجها المعارف ومصادرها، سيكون كبير جدا في رسم دلالات مفهوم المعرفة وتطبيقاته الخارجية.

### الحرية والمقدس

يطرح موضوع الاعتقاد في سياقه مفهوم المقدس، وعلاقة هذا المقدس بالحرية، وهي جدلية نعيشها في راهنا وتتجلى دوما في التعدي على المقدسات بحجة الحريات، وانقسام النخب إلى قسمين: قسم يعتبر ذلك حرية تعبير لكل فرد حق في ذلك؛

١ وهي دراسة لطبيعة المعرفة، الشرح والتبرير، وعقلانية الاعتقاد والإيمان، أي هي تدرس مصادر المعرفة البشرية وتشرحها، وتدرس مدى عقلانية الاعتقادات التي تشكل هويتها بما فيها الهوية الإيمانية والدينية بل الهوية بشكل عام.



قسم يعتبر هذا تعدّي على المقدّسات يجب منعه ومواجهته.

هذه الجدلية تعود إلى طبيعة العلاقة المتصورة بين المقدس والحرية، وانطلاقاً من كل تصور ومنشأه الفلسفي والمعرفي، تختلف زوايا النظر، فحينما ننتمي إلى مدرسة معرفية ترى أن الحرية هي القيمة الكبرى والهدف والغاية، بالتالي يجب الدفاع عنها ورفض أي شكل من أشكال تقييدها، وأن العدالة عليها أن تكون هنا في خدمة هذه الغاية الكبرى، وهذا ما يتبناه الغرب بأغلب مدارسه الفكرية والفلسفية كما أسلفنا سابقاً. في المقابل توجد أطراف تعتبر الحرية قيمة أداتية، وقيمة من مجموعة قيم ومثل عليا، بالتالي عملياً لا يمكن التعاطي مع قيمة الحرية بمعزل عن المنظومة القيمية الكاملة، وأن تكون الضابطة هي تحقيق هذه الحرية للعدالة والكرامة الإنسانية، هذه المنظومة القيمية الكاملة تحدد بعض الحدود والضوابط على مستوى الممارسة.

واختلاف المرجعيات المعرفية والمعيارية يؤدي إلى اختلاف النظر إلى مفهوم الحرية، خاصة عندما يكون هذا الاختلاف يدور بين جهة لا ترى النص الديني مصدراً معرفياً، ولا مرجعية معيارية ضابطة، وجهة أخرى تراه أحد أهم مصادر المعرفة، وأحد أهم المرجعيات المعيارية الضابطة في منظومتها الفلسفية والفكرية. "إن هذه الضوابط والحدود ليست تقييداً لقيمة الحرية، وإنما في هذا الموضوع أو القضية الأولوية لقيمة أخرى مختلفة عن قيمة الحرية..."

فمن يمارس حرّيته هو من يجترح قدرته ويمارس سلطته وفاعليته، بما ينتجه من الحقائق أو يخلقه من الوقائع في حقل عمله أو في بيئته وعالمه... فمن لا سلطة له لا حرية له، فالحرية عمل نقدي متواصل على الذات، يتغير به المرء عما هو عليه، بالكند والجهد، أو المراس والخبرة، أو السبق والتجاوز، أو الصرف والتحول، مما يجعل إرادة الحرية مشروعاً هو دوماً قيد التحقق بقدر ما يشكل صيرورة متواصلة من البناء وإعادة البناء". فأجلى مصاديق الحرية هي التحرر من كل عبودية لغير الله، وأجلى مصاديق إرادة الحرية، هي امتلاك القدرة على تحرير الذات من كل الشهوات والأهواء الفاسدة التي لا تصب في سبيل تحقيق العدالة، وعمارّة الأرض بالخير.

فالحرية كقيمة مركزية في منظومتنا الفكرية هي تلك التي تكون أداة لتحقيق العدالة، وليس من العدالة في شيء التعدي على مقدّسات الآخرين واستفزاز مشاعرهم وعواطفهم ودفعهم للتتمترس بعدائية، فمن الحرية أن تمارس قناعتك في أي موضوع، ولكن ليس من الحرية أن تسمي إلى الآخرين أو إلي مقدّساتهم. كما أنه لا يبرر الدفاع عن المقدس التطرف والتشدد، وتخريب الممتلكات العامة، فلا يمكن الدفاع عن مقدس بكليات وطرق ليست من أبجدياته، ولا من منظومته القيمية والأخلاقية، فلا يمكن الدفاع عن الحق والحقيقة بأدوات فاسدة.

"فالحرية هي بوابة الدفاع عن المقدس وثوابت الأمة، والمقدس ليس نقيضاً للحرية، بل هو أحد المدافعين عنها، والمانحين لها مضامين إنسانية وحضارية، تحترم الآخرين وتصون كراماتهم بصيانة مقدّساتهم التي يعتبرونها هم جزء من كرامتهم...فالتعصب لا يحمي المقدّسات، بل يشوهها، ويخيف الناس منها، كما أن العنف لا يوقف الإساءات التي قد تمارس تجاه مقدّسات الأمة وثوابتها....

فالإساءة المعنوية والمادية تباعد العلاقة على المستوي الإنساني بين الحرية والمقدس، كما أن التعصب والتطرف وانتهاك الكرامات والحرمان، يعمق الفجوة بين المقدس والحرية...  
والصورة المثلي التي تنشدها المجتمعات العربية والإسلامية، هي أن تعيش حريتها كاملة على قاعدة احترام مقدساتها...<sup>١</sup>

### الحرية والفردانية في السياق الغربي

وردت كلمة الحرية تاريخياً كأول مرة ضمن إصلاحات الملك أوروكاجينا الذي حكم مدينة لكش، إحدى المدن السومرية في بلاد ما بين النهرين، في الفترة الممتدة بين الأعوام ٢٣٥١ - ٢٣٤٢ ق.م، بعد أن أطاح بسلفه لوغا أندا، الذي يعده الكثير من المؤرخين حاكماً ظالماً تم تنصيبه من خلال كهنة المعبد، بينما يعتبرون أوروكاجينا مصلحاً قام بإصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية عديدة، ودونها في سجلات من طين باللغة السومرية. وقد وردت كلمة "مارجي" في إحدى هذه الوثائق، وهي تعني الحرية باللغة السومرية، وجاء فيها أن "الملك منح الحرية التامة لسكن سلالته، وكانت أول مرة تذكر فيها كلمة الحرية، إذ لم يشير التاريخ إلى أنها ذكرت قبل هذا الوقت.  
الحرية حقت لها مستويات عدة، فهي حرية طبيعية، وحرية مثالية، وحرية اجتماعية عملية، ولكل مستواه وقابليات تطبيقها من عدمها.

فالحرية الطبيعية أو التكوينية هي ما يتم منحه لكل المخلوقات دون استثناء، أي هي تأتي بتكوين المخلوقات، أي موجودة في كل مخلوق وكائن حي بالقوة، إلا أن هذه الحرية حينما تترجم في الواقع الخارجي تختلف في مساحاتها اختلافاً كبيراً، وتخضع لمعطيات كثيرة تقيد من إطلاقها. أما الحرية المثالية فهي التي تقول بأن يكون الإنسان حراً دون أي قيد يقيد، ودون أن يخضع لأي سلطة خارجية، إلا أن هذه الحرية قد تتحقق على المستوى النظري فقط، ولا مكان لها للتحقق على المستوى العملي، فالحيوان ذاته لا يمتلك هذه الحرية فهو متقيد أيضاً بقوانين تحد من هذا الإطلاق، فما بالك بالإنسان الذي يخضع لقوانين وحيثيات تفرض عليه احترام حرية الآخرين، ويتنازل عن جزء من حريته لأجل تطبيق القوانين وإدارة شؤون الدولة المجتمع بما يحقق له مصلحته المتبادلة في المجتمع من أمن واستقرار.

ورغم محورية الحرية كقيمة عليا، وكحق أصيل للإنسان، إلا أن هذه القيمة "الحرية" لا تعتبر غاية بذاتها، أي أن الإنسان لا يسعى لها كغاية بذاتها وهدف أسمى، إلا أنها قيمة أداتية أو آلية لا يتحقق من دونها أي قيمة غائية عليا، فهي بوابة مهمة وأساسية وقيمة الية أداتية لا تطلب لذاتها، وإنما تطلب للعبور من خلالها إلى قيم عليا غائية كالعدالة والكرامة التي تسمو بالإنسان ومعارفه وإبداعاته.

إلا أن الليبرالية تؤكد على تقدّم الحرية على المساواة والعدالة الاجتماعية، يعني أنّ الحرية هي الهدف الأصيل، والمساواة والعدالة وسيلة لتحقيق ذلك الهدف، وبعبارة أخرى: لا يمكن سحق الحريات الأصيلة أو تحديدها بحجة إيجاد المساواة والعدالة الاجتماعية. وهو عكس ما تراه مدارس أخرى كما أسلفنا سابقاً فيما يتعلق بأداتية الحرية لا غائيتها كقيمة.

١ محمد محفوظ، مصدر سابق، ص ١٥ بتصرف.

٢ جوهري الغرب، دراسة نقدية في المباني التأسيسية لحضارة الحدائق، مجموعة باحثين، ط١، العراق، النجف، العتبة العباسية، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ٢٠٢٢م، ص ٣٦.

وقد طرحت جدليات فكرية وفلسفية كثيرة حول الحرية والعدل، ومن هو أسبق، الحرية أم العدل، إلا أن من وجهة نظري لن يتحقق العدل دون البدء بالحرية، أي "بفعل الحرية". أي الحرية بما هي حق، بل بما هي مجموعة حقوق أساسية، كحرية الرأي والتعبير والعقيدة والحرية الدينية وغيرها، ولكن السؤال الذي يجب التفكير به هو أي حرية يمكننا النضال لأجلها كقيمة أداتية تناسب تشخيص الواقع واقتراح صيغ مجدية لها في واقعنا، وضامنة في ذات الوقت للتقدم ولتحقيق العدالة ذاتها؟

هل نحتاج أن ننسخ مفهوم الحرية الغربي كما هو ونطبقه على واقعنا حيث يعتبر الغرب الحرية قيمة غائية وهدف بذاته، والعدالة وسيلة لتحقيق الحرية؟ أم أننا نحتاج تشخيص واقعنا وإشكالياته ومن ثم الاستفادة على ضوء هذا التشخيص من التجربة الغربية، بل أي تجربة إنسانية سواء في الماضي أو الحاضر، يمكنها أن تساعدنا في تظهير مفهوم الحرية بما يتناسب وواقعنا ويعمل على حل إشكالياته المركبة وتحقيق خطوات للتقدم نحو قيمة العدالة؟

فحينما نتحدث عن الحرية، نحن هنا نتحدث عن متعلق وهو الإنسان الفرد، أي حرية الفرد الذي يتشابك بمنظومة علاقات تنطلق من علاقته بذاته وعلاقته بالآخر وعلاقته بالطبيعة وبالنسبة لنا علاقته الأهم بالله، وهو ما يضعنا أمام سؤالين مهمين: الحرية من أي شيء؟ أو من؟ والحرية من أجل ماذا ومن أجل من؟

إن حقيقة وجود الإنسان هو عين الربط والتعلق، فلذلك نجد البشر في العالم الواقعي في ساحة العبودية والتعلق والتبعية، أي هو بذاته فقير لا يملك أمره مستقلاً، بل يملك أمره بشكل عرضي لا ذاتي، لذلك لا يمكن أن يكون حرّاً بالمطلق، وبناء على ذلك وعلى حقيقة فقر هذه الذات الإنسانية، فإننا حينما نواجه مفهوم الحرية علينا بادئ ذي بدء أن نشخص ونعلم أن هذه الحرية تكون من أي شيء أو من؟ وما هي النتائج المطلوبة من هذه الحرية، وإن الفرد المتحرّر يفترض أن يكون تحت إمرة من؟ فالبحث هنا يريد أن يعرف من الذي يتحرر منه الفرد عندما يكون حرّاً وإلى من ينقاد بعدئذ؟

ولأن هناك اختلاف في مصادر المعرفة البشرية وفي عناصر المجتمع بين مجتمعاتنا الشرقية التي يسود فيها إما التدين الديني أو العادات والتقاليد والقيم الشرقية، بخلاف الغرب الذي تسود فيه الحرية كنزعة غائية محور تشخيصها الإنسان ومحور الفعل فيها الإنسان، كحق مطلق غير ناظر تماماً إلى ما يترتب على هذا الحق من واجبات، ومسؤوليات اتجاه محيطه، وهذا لا يعني شياع الفوضى، فهناك قوانين تحُد من حرية الفرد التي تتسبب في شياع الفوضى، وتهدد الأمن والاستقرار الاجتماعي، ولكن هذا التقنين أيضاً منطلقاً من قواعد فلسفية وبنية فكرية ناظرة إلى الحرية كغاية وليست كوسيلة.

والحرية كحق في السياق الغربي هي حرية فردية تقدم قراءة حداثوية لمفهوم الفرد عنوانها الفردانية، وهي موقف أخلاقي وفلسفة سياسية وأيديولوجية، أو تلك النظرة الاجتماعية التي تؤكد القيمة المعنوية للفرد.

تدعو الفردانية إلى ممارسة أهداف الفرد ورغباته لتكون قيمه مستقلة ومعتمداً على نفسه، أي نسبية القيم، ترى الفردانية أن الدفاع عن مصالح الفرد مسألة جذرية يجب أن تتحقق فوق اعتبارات الدولة والجماعات، في حين يعارضون أي تدخل خارجي في مصلحة الفرد من قبل المجتمع أو المؤسسات الحكومية. وغالبا ما تتناقض الفردية مع الديكتاتورية أو الجماعية<sup>٢</sup>.

١ المصدر السابق، جوهر الغرب، ص ٢٨٠ بتصرف.

٢ المصدر السابق، جوهر الغرب، ص ٢٨١ بتصرف.

الفردانية مذهب يفسر الظواهر الاجتماعية والتاريخية بالفاعلية الفردية، أو هو يرى أن غاية المجتمع هي رعاية مصلحة الفرد، والسماح له بتدبير شؤونه بنفسه، وهي تختلف عن الذاتية، فالذات تعبر عن نفس المعنى: فذات الشيء تعني نفسه وعينه، والذات أعم من الشخص، لأن الذات تطلق على الجسم وغيره، والشخص لا يطلق على الجسم، والذات ما يقوم بنفسه ويقابله العرض"<sup>١</sup>.

والفردانية هي الحالة التي يكون عليها الفرد كيانا مستقلا ومتفرداً عن الجماعات التي ينتمي إليها، وقادراً على اتخاذ قراراته استناداً إلى إمكانياته الخاصة وقدراته المستقلة عن أفراد الجماعات الآخرين الذي ينتمي إليها الفرد. كما أنها نوع أو سلوك يؤكد على الخصائص الذاتية للفرد وعلى سماته ومميزاته الخاصة، وذلك بما يتعارض مع ما هو جمعي وعام ومشترك، وهذا يعني أن الفردانية تؤكد ما هو خاص ومتفرد. وهذا يعني أن الفرد وفقاً لمفهوم الفردانية كائن إنساني يمتلك وحدته الداخلية ويؤدي وظيفته كسنتق ونظام متكامل ويمتلك استقلالية خاصة في دائرة الوسط الذي ينتمي إليه<sup>٢</sup>.

إن الفردانية عملت على تفكيك البنية العلائقية للفرد بمحيطه الأسري والاجتماعي، وهذا بدوره أدى إلى تفكيك الروابط الاجتماعية خاصة في بعدها المعنوي وأيضاً في بعدها الحقوقي، لصالح العلاقات التعاقدية والنفعية، رغم أن الإنسان لا يمكنه أن يعيش بمعزل عن محيطه، فهو يتفاعل وينفعل، ويتأثر ويؤثر، إلا أن الفردانية حصرت أفق تفاعله في نطاق ضيق جداً ومحصور بمنفعته الشخصية، وعطلت بعده التفاعلي في المجتمع خاصة ذلك المتعلق بمحيطه الأسري والاجتماعي، وبدا الفرد بحجة حريته الخاصة منعزلاً عن التأثير، إلا أنه دون إرادته واقعا تحت التأثير بتداعيات الفردانية السلوكية في المجتمع.

وقد كان للفردانية نصيباً من النقد ليس فقط في الأوساط النيوقراطية، بل أيضاً في الأوساط العقلانية، حيث استخدم مصطلح "الفردية" أيضاً في منتصف عشرينيات القرن التاسع عشر من قبل تلاميذ "سان سيمون"<sup>٣</sup> (١٧٦٠م - ١٨٢٥م) وبالنسبة لهؤلاء كانت "الفردانية" مصطلحاً ازدرائياً، يستهدف تهفيت النظرة التي عملت على تقويض الإنسان.

وقد ذهب سان سيمونيين إلى الدعوة: "لحماية الجوهر الروحي لأديان الماضي، ولكن بشكل علماني وإنساني يقلل من أنانية عالم الجمود السياسي الذي اختلط بالتنوير التجاري والصناعي. لهذا بدأوا في تطوير نماذج عضوية للمجتمع ووضعت الحدس فوق العقل كطريقة لمواجهة النزعة الفردية لعصر الأنوار."<sup>٤</sup>

وقد كانت شعارات الحرية الفردية وتكريس أصالة الفرد من التأسيسات التي بلورت مفهوم الفردانية، وعملت على نحتة كمفهوم وجد له سبباً في الفلسفة الغربية، وهو مفهوم وليد السياقات المعرفية لعصر الأنوار. ومن وجهة نظري كانت الفردانية الصيغة المعاكسة التي نشأت كرد فعل على مستوى إلغاء الفرد كذات مستقلة في قبال الجماعة والمجتمع والذي كان سائداً في القرون الوسطى.

ولأن الحرية كمفهوم وقيمة هي غاية بذاتها في الفلسفة الغربية، وأن العدالة والمساواة أدوات لتحقيق هذه الحرية، فالنتيجة ستكون تحيزاً معرفياً في رسم معالم العدالة والمساواة وفق السياقات الغربية المعرفية،

١ عبد المنعم الحفني، المعجم الفلسفي، القاهرة، الدار الشرقية، ١٩٩٠، ص ١٢٧.

٢ Louis Dument; Le Concept Moderne de L'individu Revue; fevrier; Paris; 1978

٣ الكونت كلود هنري دي سان سيمون دورفورا، فيلسوف فرنسي.

٤ روبرت بركين، أصول ما قبل دوركهم، ترجمة إيمان الزكيلي، ملف بحثي، مؤمنون بلا حدود، ٢٨ - ٥ - ٢٠١٥، ص ١١.

فيصح تقنين القوانين قائما على أساس تحقيق الغاية الكبرى وهي الحرية، وهو ما سيفرز سياقات معرفية مختلفة في جوهرها عن يعتبر الحرية قيمة أداتيه لتحقيق العدالة وليست هدفا بذاتها.

فعلى سبيل المثال تصبح حرية الفرد مقدسة مهما كانت تداعياتها، فحينما يقوم شخص بحرق أي كتاب مقدس، أو التعدي على رموز لها قداستها عند أصحاب الديانات السماوية أو الأرضية، فإن ذلك يعتبر من العدالة، لأن العدالة هنا هي أن يكون الفرد حرا في التعبير عن آرائه دون النظر إلى تداعيات هذا التعبير على الآخرين، ومدى الضرر أو المنفعة المترتبة عليه. لأن الفرد هنا يتسم بالفردانية التي فككت شبكة العلاقات الاجتماعية وما يترتب عليها من حقوق وواجبات، لصالح الفرد كفرد.

يتبنى الغرب أصالة الفرد، ويعتبر وفق ذلك مفهوم الحرية قائما على هذه الأصالة، ومن ثم يتحرك ضمن هذا التبنّي القاعدي، في دائرة المفاهيم والقيم لتناسب وهذا الأصل. فيكسر لأننا الفردية تكريسا ماديا يؤسس وفقه حركة المجتمع والدولة والقانون وحركة التاريخ. بينما الحقيقة تكمن في دمج كل من أصالة الفرد وأصالة المجتمع، فلا الفرد أصيل مستقلا، ولا المجتمع كذلك. بل المجتمع نواته الفرد، والفرد امتداده الحركي والعملية والفعلي هو المجتمع، فكلاهما ينهضان بالآخر، وكلاهما حاجة للآخر.

والتركيز على أصالة الفرد هو تفكيك لهذا التزاوج الضروري التلازمي، وبالتالي تفكيك للمجتمع ومكوناته الاجتماعية وأهمها الأسرة التي تعتبر نواة للمجتمع فوق الفرد، بمعنى أن الفرد نواة الأسرة وفي ذات الوقت نواة المجتمع، لكن الأسرة أيضا نواة في الطبقة الثانية للمجتمع في طولها تقع نواتية الفرد وهي في طول المجتمع. بينما المطلوب هو التوازن بين بناء الذات والاهتمام بها من حيث النوع والكم والمعنى والمادة، مع ضرورة إهمال الأنا الفرعونية<sup>١</sup>، بل محاربتها، وبين الاندماج بالمجتمع والتفاعل والانفعال معه في التغيير والتطوير وخدمة الإنسانية. فهو توازن بين ضرورة بناء الذات في كافة أبعادها، وبناء المجتمع في كافة احتياجاته.

لكن هل ذلك يتنافى مع الفرادة؟ وهل الفرادة تعني انقلاب على الذات وعلى الأصيل الثابت؟ وما الفرق بين الفرادة والفردانية؟

رفض الأنا كأصيل فرعوني، لا يعني رفض الفرادة، كون الفرادة تكمن في التمييز والإبداع الذي يفترض أن يطور من المجتمع ويدفع باتجاه حضارته. فالتمييز والإبداع لا يكون إلا من خلال التفاعل الاجتماعي ضمن المجتمع، فلا فرادة يمكن وصفها بذلك إلا من خلال مقارنة عمل مع آخر، وإبداع مع آخر. وهذا لا يكون إلا بإعطاء الفرد حقه في العلم وتنمية الذات، والتعبير عن مهاراته وخصوصيته وإبداعاته ومن ثم ترجمتها في واقعه المعاش، وهذا يشترط أن تكون منظومة المعايير والقيم قائمة على أساس أصالة الفرد والمجتمع، بحيث لا تتعدى حقوق الفرد على المجتمع ولا العكس.

والفرادة لا تعني الانقلاب على الأصل، بل تعني تطويره وتبنيه، أي مواكبة هذا الأصل للواقع الزمني والمكاني، الفرادة تعني امتلاك قدرة على التمييز في تطوير الواقع وتنضيجه، في سوق قابليات الناس لتقبل الحقيقة، في امتلاك المهارة لذلك والقدرة على إصلاح الواقع بفكر حضاري غير متضاد.

الفرادة ليس كما تطرحها الحداثة في تحقيق إنجازات كمية ونجاحات متراكمة لا تصب إلا في صالح الأنا، الفرادة تكمن في تحقيق نجاح نوعي ينعكس على الواقع الاجتماعي وينهض به، حتى لو لم يقدم للشخص أي قيمة مادية، وحتى لو لم يحقق هذا الشخص الشهرة، فالأصل في الفرادة هو النوع لا الكم، ولكن لو انضم النوع إلى الكم فهو نور على نور.

١ مفهوم قرآني منتزع من قول فرعون في القرآن: "فقال أنا ربكم الأعلى" / سورة النازعات، آية ٢٤

وتتحقق الفرادة وتشد قوة حينما تترجم في واقع اجتماعي وتحديث تغيير نوعي يدفع بالمجتمع للدول المتحضرة نوعياً وكمياً. وهذا لا يتم إلا بالنقد البناء، ورفض التنميط بكافة أشكاله، ومحاولة القراءة الابتكارية للواقع، وامتلاك قدرة للخروج من الصناديق كافة مذهبية أو اجتماعية أو عصبوية، والتفكير الحر الذي لا يخضع لحسابات البيدر والميدان، كالحزبية والقبلية، أو الارتباط بمصالح مالية، أو سياسية، أو سلطوية. هي تحرر في الفكرة خارج المألوف والإجماع.

هي حالة نقد مستديم إيجابي للواقع، ومحاولة النهوض به، حتى لو كان فهم في عكس التيارات كافة. الفرادة في خصومة مع التقليد النمطي، وفي اندماج مع النظر والتأمل والخيال، الفرادة لا تتحقق مع المسلمات الكثيرة النمطية القائمة على التقليد، ولا مع اليقينيّات المطلقة دون بحث وتنقيب ودليل. تتحقق الفرادة لا بعنوان التقليد ولا الإخضاع والإذلال، وإنما بفعل التفكير، والنظر، والإقناع، والتأثير. الفرادة لا تعني الأنا ولا فقط الذات، بل تعني النهوض بهذه الذات في سياق نهضة المجتمع والأمة. أن تحقق الفرادة هي أن تقدم شيئاً جديداً عجز أقرانك عن تقديمه، شيئاً يحدث التغيير خاصة في واقعك الاجتماعي، وخاصة على مستوى الإدراك، والقابليات، ومنظومة المعايير، والقيم. نعم لنهضم بذواتنا في تطويرها وتنميتها مادياً ومعنوياً، لكن لا ننسى أننا كأفراد لنا حقوق وعلينا واجبات، فالفراد له أبعاد ولكل بعد ارتباط بالحق والواجب.

فبعد حقيقي هو ذاته التي لها عليه حق في العلم والأخلاق والمعرفة، وبعد حقوقي مرتبط بمنظومته العلائقية. كعلاقته بالله والوالدين والأخوة والأسرة المتكونة من (الزوج/ الزوجة) والأبناء، والمجتمع، والأصدقاء، والخ. فعليها حقوق، وعليه اتجاهها واجبات، فلا يمكن أن ينفصل عنها ولا تنفصل عنه خاصة العلاقات الحقيقية التي لا تنفك. والالتفات لعملية التفكير البطني لمنظومتنا المعرفية بعد العولمة، يحتاج إلى وعي وإدراك لكل بنية الحضارة الغربية وبنية الإسلام، لمعرفة الفروقات الجوهرية في البنى الفلسفية لكلا الحضارتين ومن ثم التمييز بينهما تمييزاً مجزئاً دقيقاً، لنتمكن من الاستفادة من كل التجارب البشرية بطريقة تلافحية لا تبديل الأصل الثابت، لكن تطور سياقاتنا المعرفية وأدواتها، وتنهض بفهمنا وإدراكنا بما ينعكس بشكل إيجابي على سعينا نحو التطوير والنهضة في مساراتهما المعرفية السليمة، بعيداً عن التميع والتركيب المصطنع.

### مفهوم الحرية في سياقه العربي والإسلامي

الحرية في السياق العربي الراهن هي بوابة تحقق العدالة، أي هي القيمة الأداة كما أسلفنا لتحقيق قيمة العدالة، وكي نتقدم خطوة إلى الأمام، فنحن في عالمنا العربي المعاصر وكمجتمعات عربية وإسلامية لا يمكننا أن ننكر دور الشريعة في حياة المجتمعات، وبالتالي لا يمكننا البث في مفهوم الحرية دون الأخذ في الحسبان هذا العامل المهم، لأن أي خطوة إصلاح تحاكي مفهوم التحرر وترغب في تحقيق النهضة، لا بد لها أن تأخذ في الحسبان معطيات الواقع والفضاءات المعرفية التي يتحرك في إطارها الناس، وقد أسلفنا في الفصل الأول أن الغرب وبعض مفكره المعاصرين بدأوا بشكل فعلي إعادة النظر في دور الدين ووظيفته في الفضاء العام وفضاء الدولة، لذلك أي محاولة للنهوض بالحرية كحق لا بد أن تأخذ في الحسبان أحد مصادر المعرفة الرئيسية في ثقافتنا وهويتنا وهي الدين.

وهنا لست في صدد التقييد، بل في صدد تنويع مصادر الفهم وزوايا النظر للقيمة والحق، حتى لا نواجه إشكاليات تطبيقية معاكسة ومناهضة لمحاولات الإصلاح والتنوير.

وإن السعي لتعريف الحرية بإطلاق، وبصورة مجردة من كل قيد أو شرط، أمر متعذر، ولا يطلبها عاقل شرقاً وغرباً لأنها - ببساطة، وفي ذاتها - لا توجد مستقلة عن الكائنات والعلاقات، فحيثما وردت كلمة الحرية في أشكال التواصل المختلفة، يرد معها رديف يقيدها، ويضع لها حدود، وبالتالي يمنحها المعنى، فالحرية التي نبحثها عادة هي الحرية التاريخية أي الحرية في تحققها التاريخي، فيتحدث مثلا عن الحرية السياسية، والحرية الاقتصادية، وحرية التعبير، وحرية المعتقد...<sup>١</sup>

ويقول الفيلسوف المغربي محمد عزيز الحبابي حول جوهر الحرية: هي التقيّد، بحيث لا يفهم مدلولها إلا إذا تنازلت عن الاستقلال الكلي، والتزمت التحديد<sup>٢</sup>.

وحيثما نتحدث عن الحرية فنحن في صدد حريات مختلفة:

الحرية الفردية؛

الحرية الاجتماعية؛

الحرية السياسية؛

الحرية الاقتصادية؛

وتحت كل عنوان هناك أيضا عناوين فرعية كثيرة، ولعل الجدل في مفهوم الحرية لن ينتهي، وسيبقى يتطور الفكر والعقل البشري في النظر للمفهوم ودلالاته ومجالاته التطبيقية في كافة أشكاله.

فنواة الحريات هي الفرد، أي حرية الفرد ومنها تنطلق الأسئلة حول حدود حريته وفضاءاتها وعلاقتها بالمجتمع، وبالسياسة والاقتصاد، فالفرد نواة المجتمع منه تتشكل المجتمعات، ولكن هذا لا يعني أن له الأصلة على حساب المجتمع، وكذلك لا يعني أن للمجتمع أصالة على حساب الفرد. فإن حصر الحرية بين إثنيات كالفرد والمجتمع هو تقييد لها، ورسم لحدودها، وحصر لدلالاتها.

وما يجب القيام به هو توضيح الخطوط الفاصلة في مفهوم الحرية النظري والعملي بين الفرد والمجتمع، وتشخيص متى يتقدم الفرد ومتى يتأخر في حريته، وكذلك متى يتقدم المجتمع ومتى يتأخر في هذه الحرية، وما هي حدود الدولة في حرية الفرد والمجتمع، وفي حدود حريتها كدولة، وكل ذلك ليس ناظرا فقط للتجربة الغربية، بل بالأساس ناظر إلي هويتنا وبيئتنا الخاصة، بكل ملاساتها الثقافية والفكرية والفلسفية والدينية، والدينية كعنوان ومقاصد عليا.

هذا فضلا عن أن الحرية كقيمة أداتية لا يمكن تعميم دلالاتها على كل المجتمعات، لأن كل مجتمع لديه عقل وفكر وهوية ورؤية يتوافق عليها ويقبلها، وإن كانت في بعض جوانبها تقليدية أو قديمة، إلا أن التوافق الاجتماعي على الدلالات والتطبيقات يشكل نوع من العرف الذي يشكل أحد أبعاد هوية هذا المجتمع. وهذا لا يعني أيضا الجمود على هذه الدلالات وهذا الفهم وهذه الأعراف، ولكنه أيضا لا يعني

١ يقول علّال الفاسي: "حاول علماء الغربية الوطنية أن يحددوا هذه الحرية فقالوا إنها انعدام كلّ القيود المادية للقيام بأي عمل يريده الشخص. ومعنى هذا أنّ الإنسان حر في أن يفعل ما يشاء أو لا يفعله، والقول بهذا الإطلاق إنما هو على جهة الإمكان، لا على جهة الشرعية، لأنّ الخلق والدين والقوانين تمنع الإنسان من أن يؤدي أخاه أو يعتدي على مصلحة جاره. ولذلك فقد اقتنع الكثيرون بأنّ الحرية لا يمكن أن تحد منطقياً، لأنّ حدها تضييع لها. وهي حرية لا تقبل أن تضيع". (علّال الفاسي، الحرية، مطبعة الرسالة، الرباط، ط. ١٩٧٧، ص ٥٦).

٢ محمد عزيز الحبابي، من الحريات إلى التحرر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط. ١/ ٢٠١٤، ص ٢٣

إخضاعها لصدّات خارجية تؤدي إلى حدوث صدمة في الهوية غالباً ما يحدث بعدها فوضى تؤثر على التوافق الاجتماعي الذي يحقق السلم والاستقرار.

فمثلاً مفهوم الحرية في الغرب ودلالاته وتطبيقاته يختلف في كثير من جوانبه عن مفهومه في الشرق، لاختلاف الظروف الثقافية والاجتماعية الحاكمة، واختلاف التجارب الميدانية والاجتماعية التي مرت بها كل جهة، واختلاف التحولات الجذرية في النظم السياسية بين الغرب والشرق، هذا فضلاً عن مساحة وجود الدين في كل جهة، وهو ما يؤثر حتماً على مساحة الحرية ودلالاتها وقبورها.

والفرد الإنساني هو جزء من المجتمع الإنساني الذي يعيش فيه، وبالتالي لا يجب أن تتنافى حريته مع حرية المجتمع.

" فالإنسان الاجتماعي لا حرية له في قبيل المسائل الحيوية التي تدعو إليه مصالح المجتمع ومنافعه، والذي تحكمه الحكومة في ذلك من الأمر والنهي ليس من الاستبعاد والاستكبار في شيء، إذ إنها تتحكم فيما لا حرية للإنسان الاجتماعي فيه فلا مناص من أن يفدي المجتمعون بعض حريتهم قبيل القانون والسنة الجارية بالحرمان من الانطلاق والاسترسال ليسعدوا لذلك بنيل بعض مشتبهاتهم وإحياء البعض الباقي من حريتهم. ويجب على من يسن القوانين وينهى ويأمر أن يلتزم هو بنفسه بالقانون ويأتمر بما يأمر به وينتهي عما ينهى عنه من دون أن يخالف قوله فعله ونظره عمله".<sup>١</sup>

فيكون الباعث للأمر والنهي والالتزام بالقوانين الحافظة للبنين المجتمعي هو الله تعالى وليس انطلاقاً من الحفاظ على المصالح الذاتية، بمعنى أنني لا أؤذي جاري حتى لا يؤذي كردة فعل منه على فعلي له لأن هذا قد يسقط حينما تتوفر لي الظروف لإيذائه دون قدرته على إيذائي كأن أمتلك قوة تردّه أو أستطيع التملص من القوانين بحيث يمكنني إيذاؤه دون ردة فعل منه وغيرها من الأسباب. أما في حال كان الدفاع إلهياً فإن الباعث على احترام حرية الآخرين في المجتمع الإنساني هو الرقابة الإلهية لا غير، سواء توفرت الظروف للتعدي على هذه الحرية أو لم تتوفر.

ولذلك كان الفرد المجتمعي في نظر الإسلام ملتزماً بحدود أخلاقية اتجاه الحفاظ على كرامة الآخرين وعدم الإساءة لهم، ليحفظ بذلك القوة الأخلاقية لمجتمعه بعيداً عن الاستبعاد والتسلط المجتمعي.

" والحريات الفردية (الشخصية) في المجالات الاقتصادية والسياسية مقيدة في الإسلام، بأن لا تنافي مبدأ التكامل المعنوي للإنسان، كما هي مقيدة بأن لا تضر بالمصالح العامة، وفي الحقيقة إن حكمة التكليف بالوظائف والواجبات الدينية في الإسلام، تكمن في أن الإسلام يريد بهذه الوظائف التي يكلف بها الإنسان أن يحافظ على كرامته الذاتية، وفي الوقت نفسه يضمن سلامة استمرار المصالح الاجتماعية<sup>٢</sup>

وفي رده على سؤال حول الإسلام والحرية أجاب الشيخ يوسف القرضاوي<sup>٣</sup> قائلاً: لم يكن مبدأ الحرية قد جاء نتيجة تطور في المجتمع، أو ثورة طالبته به، أو نضوج وصل إليه الناس، وإنما كان مبدأ أعلى من المجتمع في ذلك الحين. جاء مبدأ من السماء، ليرتفع به أهل الأرض، جاء الإسلام ليرقى بالبشرية، بتقرير هذا المبدأ،

١ "تفسير الميزان - المجلد العاشر - ص٣٥٩، مصدر سابق

٢ الشيخ جعفر السبحاني، العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

٣ يوسف عبد الله القرضاوي(١٩٣٦م)، عالم مصري مسلم يحمل الجنسية القطرية، ورئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين سابقاً...معاصر.



مبدأ حرية الاعتقاد والتدين والتحرر من كل عبودية لغير الله سبحانه وتعالى، ولكن هذا المبدأ الذي أقره الإسلام مشروط ومقيد أيضا بالأصحاح الدين العبودية في أيدي الناس...  
فجاء الإسلام فقرر مبدأ الحرية، فقال عمر ابن الخطاب كلمته المشهورة في ذلك: متى استعبدتم الناس وقد أولدتهم أمهاتهم أحراراً، وقال علي بن أبي طالب في وصية له: لا تكن عبد غيرك وقد خلقتك الله حراً، فالأصل في الناس أنهم أحراراً بحكم خلق الله، وبطبيعة ولادتهم...هم أحراراً، لهم حق الحرية...وليستوا عبيداً...جاء الإسلام فأقر الحرية في زمن كان الناس فيه مستعبدين: فكرياً، وسياسياً، ودينياً، واقتصادياً، جاء فأقر الحرية، وحرية الاعتقاد، وحرية القول، والنقد، أهم الحريات التي يبحث عنها البشر<sup>١</sup>.

إن سؤال "الحرية والإسلام" في السياق الإصلاحي العربي والإسلامي الممتد غير المستقر، تجسّد في ثلاثة مطالب كبرى:

الحرية السياسية؛

الحرية الاجتماعية؛

الحرية القومية (الاستقلال).

تمخضت جميعها تقريبا عن الوعي المتأخر بالفارق الحضاري بين "نحن" و "هم"، حيث اعتُبر ضعف منسوب الحرية أحد العوامل المسؤولة عن الفارق واستمراره، الشيء الذي عكس تجاوبا مبكراً مع وصفة التقدم التي تقترحها الحداثة<sup>٢</sup>. ومن جهة ثانية أثارت هذه الحريات السؤال عن شرعيتها الدينية<sup>٣</sup>.

فالربط الذي أقامه العقل الإصلاحي العربي بين الحرية والنهضة، أخذ يعين الاعتبار رؤية الإسلام المعيارية، وهذا أمر مفهوم في بيئة تنضج بمعاني الالتزام الديني، وقد أدى هذا الربط إلى ازدهار التأويل التحرري للإسلام، وظهور عدد من الخطابات الفقهية المحفّية بالحرية السياسية، والاجتماعية، والقومية. لقد ظهرت منذ النصف الأول من القرن ال ١٩ وإلى النصف الأول من القرن ال ٢٠ العديد من النصوص والأعمال الفكرية، أخذت على عاتقها مسؤولية تأصيل الحريات المعاصرة، رفع التعارض بينها وبين الإسلام، منطلقاً من فرضية أولية تفصل الإسلام (الدين)، وبين الإسلام - المتمثّل التاريخي (التدين)، وذلك في أفق بناء تمثّل عصري للإسلام.

وإن مثل هذا العمل التجديدي كان يواجه عادة تحدّيين رئيسيين:

الأول: النزعة المحافظة أو التقليدية التي تسعى للمطابقة بين الإسلام والتاريخ والثقافة، وبالتالي تصادر كل قول في التجديد والاجتهاد؛

الثاني: النزعة اللادينية التي لا ترى ضرورة للتأصيل أو التأويل، ولا فائدة وراء البحث عن تمثّل عصري للإسلام، وتدعو بالمقابل إلى تحرير الشأن الإصلاحي من رأي الإسلام.

<sup>١</sup> <https://www.al-qaradawi.net/node/3637> بتصرف

<sup>٢</sup> اعتبر العروي من الأوائل الذين انتبهوا إلى تلازم مفهوم الحرية في العالم العربي وخصوصية الأوضاع التاريخية، فمعنى الحرية المطلوب تاريخياً هو بالأساس ما تتطلبه الأوضاع، وليس معنى مجرداً. (عبد الله العروي، مفهوم الحرية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط. ٢٠٠٨، ص ١٣٩)

<sup>٣</sup> محمد جبرون: سؤال الدين والحرية في الفكر الإصلاحي العربي، <https://www.mominoun.com/articles>، سؤال-الدين-والحرية-في-الفكر-الإصلاحي-العربي-٢٦٧٤

إلا أن الإصلاحيين المسلمين رغم كل هذه التحديات نجحوا في تسوية العلاقة بين الحرية والإسلام في المجالات السياسية والاجتماعية والإعلامية، لا أقل على مستوى الدين كنظرية، وإن كان على مستوى التطبيق يواجه عوائق وتحديات كبرى.<sup>١</sup>

فالتيار العام من المسلمين اليوم بات وبشكل واضح لا يرى في الحريات السياسية على سبيل المثال نقضا للإسلام أو خروجاً عنه، فقد أمسى الجميع كما يقول محمد جبرون يفصل وبوضوح بين أصل الحرية، التي يمنحها الإسلام لكل المكلفين، وبين التصرف فيها الذي يتأرجح صاحبه بين الصواب والخطأ المحدد بالقانون والعرف، أو الحلال والحرام المستند إلى الشرع.<sup>٢</sup>

### وهنا نحن أمام ثوابت تحدد مفهوم الحرية ودلالاته وأمام متغيرات، أما الثوابت فأمهمها

الحقيقة والحق؛ إن وضوح الحق واستظهار الحقيقة يقيّد الحرية ويحدد لها دلالاتها الواقعية والعملية، فمثلاً عندما تتجلى حقيقة فساد منتجات مصنع ما من مصانع الأغذية في مكان ما، فإن التصرف الطبيعي هو إغلاق المصنع وتقييد حرية مالكة ومساءلته، وقد تؤدي المساءلة إلى سجنه ومعاقبته، فإن ظهور الحقيقة هنا أدى إلى تبدل مفهوم الحرية الذي خضع بشكل جلي هنا لمفهوم العدل، فإن من العدالة هنا تقييد حرية مالك المصنع لعدم التزامه بالاشتراطات التي تضمن صلاحية الغذاء، وعدم التزامه هذا سيؤدي ليس لضرر فردي وشخصي، بل سيؤدي إلي ضرر اجتماعي سيكلف الدولة سواء على المستوى الاقتصادي أو على المستوى الصحي، فإن انتشار التسمم بين أفراد المجتمع كظاهرة سيؤدي إلى الضغط على المنظومة الصحية وسيكلف الدولة علاجات خاصة، وسيعطل بعض مؤسسات الدولة ومصالح الناس لغياب الموظفين المصابين، أي إن تصرف شخص دون مسؤولية وبحرية خارجة عن الضوابط، سيؤدي هنا إلى ضرر جماعي وتكلفة مادية باهظة. لذلك فإن ظهور الحقيقة والحق هنا ستدفع إلى تقييد حرية المالك ومساءلته وستكون هنا القيمة الحاكمة على مفهوم الحرية هي العدالة.

العدالة؛ وهي قيمة غائية تضبط قيمة الحرية بضوابط تمنع تحقق الظلم، سواء كان ظلماً بكبوت وتقييد الحريات، أو ظلماً بإطلاق الحريات بشكل يحقق المفسدة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

المرجعية المعرفية في فهم الحرية والتي تحدد المعايير التي في ضوئها يتشكل مفهوم الحرية. إن فهم الحرية ودلالاتها أي فهم أي مفهوم ومصطلح ولفظ هو خاضع لعدة اعتبارات على مستوى التطبيق والتأسيس. وأهم هذه الاعتبارات من وجهة نظري هي المرجعية المعرفية التي تحدد دلالات المفهوم وحدود تطبيقه. فمثلاً حينما يعتبر الغرب أن مصادر المعرفة لديه التجربة والحس، فإن ذلك يعني أن الوعاء المعرفي الذي سيسشكل مرجعية تحدد مفهوم الحرية ودلالاته وتطبيقاته هي التجربة والحس، ولن يؤخذ في الحسبان أي اعتبارات ومرجعيات معرفية أخرى، وهنا يفقد الغرب بذلك زوايا نظر أخرى، ويخرج من دوائره المعرفية مصادر للمعرفة معتبرة لدى مجتمعات أخرى تعطي مفهوم الحرية أبعاداً دلالية أخرى.

١ محمد جبرون، مصدر سابق، بتصرف

٢ المصدر السابق.

## أما المتغيرات فأهمها

مساحة تدخل الدين في حياة الفرد والمجتمع؛ فرغم أن الدين مازال مؤثرا وبشكل كبير في حياة الفرد والمجتمع، إلا أن مساحات تفاعله مع الفرد والمجتمع والسلطة تختلف من دولة إلى أخرى، وبالتالي يختلف باختلافه مساحات التضييق والتقييد. هذا فضلا عن اختلاف فهم النصوص الدينية ودلالات المتن في النص الديني، وهو ما يبرز في المدارس الإسلامية الكثيرة والمذاهب المختلفة، بالتالي سيؤدي ذلك إلى ظهور أفهام مختلفة لمفهوم الحرية ودلالاته، وتطبيقاته الميدانية.

العرف والعادات والتقاليد؛ وهو متغير مع الزمن ووفق تغيره يتغير مفهوم الحرية وتقييماته شدة وضعفا.

اللغة والدلالة؛ فاللغة تتطور ودلالاتها على ضوء تطورها أيضا إما تتطور أو تتغير.

التجربة والتطبيق؛ فالتجربة البشرية أحد مصادر المعرفة البشرية وهي ليست ثابتة غالبا، وبالتالي عدم ثبات أغلبها يؤدي لعدم ثبات تطبيقات مفهوم الحرية في الواقع الخارجي. حيث يتفاعل فهم الإنسان للحرية ودلالاتها مع الواقع ويطور أو يقيد كل منهما الآخر مع التقادم وفق التجربة في زمن ومكان محددين.

العلاقة بين الفرد والمجتمع وهي علاقة بين أصالتين، مجتمعات تحكمها أصالة المجتمع، وأخرى أصالة

الفرد، وفي كل أصالة ينشأ فهما مختلف المساحات والحدود لمفهوم الحرية.

ومحاولة بسط نفوذ دلالات محددة لمفهوم الحرية على كل المجتمعات، خاصة من قبل الدول القوية التي

تتحكم بالمؤسسات الدولية وشرعة الأمم، إن هذه المحاولة ستواجه بمقاومة كرد فعل عكسي رافض لفرض مرجعيات أحادية لمفهوم الحرية ودلالاته التطبيقية ومعاييره، هذه المقاومة سيكون الضحية فيها الحرية ذاتها، لأن أي محاولة لضرب هوية المجتمع وفهمه للحرية التي يتسالم عليها في فضائه الاجتماعي، فإن ذلك سيواجه بمزيد من التشدد ومزيد من قمع وتقييد الحريات.

حتى لو لم تتبن السلطة هذا التشدد، إلا أنها تحت ضغط المجتمع والمؤثرين فيه ستضطر إلى مواجهة

هذه المحاولات، وفرض مزيد من القوانين التي تقيد حرية الفرد والمجتمع، وقد لمسنا ذلك عمليا في موضوع

المرأة وحقوقها وحريتها، وهو الموضوع الأكثر تعقيدا وتشعبا، حيث واجهت النساء في بعض المجتمعات

المحافظة مزيدا من القيود كرد فعل على المطالبات غير المدروسة تحت شعار تحرير المرأة، الذي أراد رافعه

تطبيق مفهوم الغرب لمفهوم التحرير والحرية، وعدم الأخذ بالحسبان الاختلافات الجوهرية بين المجتمعات.

وهنا علينا أن نوضح مسألة ذات أهمية بالغة وهي أن التجربة الإنسانية أحيانا يكون لها فرائدها بحيث لا

يمكن تعميمها لاختلاف ظروف التجربة ومعطياتها، ولكن كثير من الأحيان التجارب البشرية يمكن

استخلاص قواعد وأسس منها وتعميمها للاستفادة واختصار الزمن، كما أن هناك قوانين كونية "سنن" ثابتة

وتنطبق على كل البشر، ولكن هناك كثير من التجارب البشرية أيضا لا نستطيع تعميمها بكليتها وتفصيلها،

ولكن نستطيع الاستفادة من المنهج والمعطيات الكلية، ومواءمة المنهج بما يعود بالنفع على مجتمعاتنا دون

المساس بثوابتهم وقيمهم ومسلماتهم بشكل فحّ.

فتجربة الغرب مع الحرية تجربة كبيرة ومتشعبة ومتشابهة، وهي حصيلة تراكمات على مدى قرون أدت

في نهاية المطاف إلى ما وصل إليه الغرب اليوم من فهم للحرية وتطبيقات وتقنين على ضوء هذا الفهم، ولكن

هل يمكننا بتر هذه التجربة من حاضنتها كبذرة وزرعها في تربة مغايرة ومحاولة تطبيقها بحذافيرها؟ أم أننا

نستفيد من مسارات هذه التجربة وعناوينها الكلية ومحاولة فهم أسسها ومبادئ التشابه والاختلاف؟

فما يفرضه حكومات الغرب بشكل متطرف من قيم بطريقة إقصائية لا تأخذ في حسابها هذه الاختلافات العقدية الجوهرية، سيواجه كما أسلفنا بتطرف مقابل، يخسر فيه الإصلاحيون والساعين للنهضة وجهودهم في مضمار الإصلاح والنهضة، هذا فضلا عن أن تجربة الغرب في النهضة والتنوير على كل المصلحين ورواد النهضة في العالم العربي والإسلامي أن يستفيدوا منها في عدة اتجاهات أهمها:

الاتجاه الأول: السياق التاريخي للنهضة، وتداعيات التطرف الديني والعلماني على النهضة، ففهم التحولات الفكرية وجذورها وأسبابها من أهم المعطيات التي يجب فهمها وإدراكها، لفهم سياقات النهضة الغربية، وفق فهم الغرب للنهضة وتعريفه لها، ووفق اعتبار الغرب للتنوير والإصلاح، أي إن ما يسمى النهضة والتنوير الغربي، ليس بالضرورة أن يكون بالنسبة لنا نهضة وتنوير، لأن التجربة الغربية في سياقها التاريخي أدت لهذه المآلات، وقد تختلف تجربتنا معهم في جوانب وتلتقي في جوانب؛

الاتجاه الثاني: مآلات وآثار الأفكار والاعتقادات التي نتجت كردود فعل على التطرف الديني، وإلى أين وصلت بالإنسان في الغرب اليوم؟ هل فعلا حققت له الحرية التي ينشدها، وهل حققت العدالة التي يريدها والتي ثار لأجلها في وجه استبداد السلطنتين الدينية والدنيوية؟ وهل الإصلاح والنهضة ممكنان وفق منهج ردود الفعل؟ أم أن الأجدى الثاني في دراسة الواقع ضمن سياقه التاريخي الماضي والحاضر لفهم أين يكمن الخلل، وكيفية معالجته بشكل متأنٍ يعود بالنفع الحقيقي والنهضة والإصلاح الواقعيين على الإنسان كفرد وكمجتمعات وشعوب، وهو ما يدفعنا أمام تجربة الغرب أن نقدم تجربة تتجنب الثغرات التي وقع بها أغلب فلاسفة ومفكري الغرب، وتحاول التأسيس لا الترقيع لنظرية النهضة الحقيقية التي تخرجنا من عنق الزجاجة التي تعيش فيها أغلب شعوب منطقتنا، وما تعانيه من تهميش واستبداد وسلب لكرامتها وثروتها، ومحاولات لتجهيلها واضطهادها واستعبادها، سواء من الداخل أو الخارج.

فإن أي دعوة للحرية لا تقوم على فكر ونظر وتمعن ودراية ستكون دعوة عجولة ولها تداعيات سيدفع صمنها أجيال إلى أن يتم تصحيح مسار تلك الدعوات، ونحن نملك من الأدوات والقدرات العقلية ما يجنبنا هذه التداعيات عن تلك الدعوات العجولة. فالحرية قيمة أداتية لتحقيق العدل، أي هي ليست مطلوبة لذاتها، وأي تحويل لهذه القيمة الأداتية لعكس مرادها كالظلم بحجة إقرار وتطبيق الحقوق في المجتمعات ستكون تداعياته خطيرة على الحرية ذاتها، خاصة في حال لم يؤخذ في الحسبان تنوع الهويات، وتنوع مصادر المعرفة واختلاف منظومة القيم والمعايير، لأن فشل التجربة وفقدان السيطرة على أي فوضى ستسببها هذه الدعوات، وفقدان الاستقرار النفسي والفكري للمجتمعات، من خلال مبدأ الصدمة فإن ذلك سيدفع هذه المجتمعات تحت ضغط الفوضى إلى التنازل عن الحرية والقبول بالتقييد والاستبداد، بل شرعنة الاستبداد بحجة منع الفوضى وتحقيق الاستقرار.

لذلك على النخب في مجتمعاتنا العربية والإسلامية أن تخطو خطوات مدروسة في مطالباتها بالحقوق التي من ضمنها الحريات، فإن العجلة في تطبيق مشاريع الآخرين في مجتمعاتنا سيفقدنا الاستمرارية والمبادرة في المستقبل، وسيجعل المجتمعات ممانعة وحصينة ضد أي دعوة مستقبلية، حتى لو كانت صحيحة ومدروسة ومحقة من أجل حقوق الناس وخاصة حرياتهم، وهذا لا يعني التخوف الزائد، ولكن يعني السير بحذر ودراسة وتأنٍ لفهم متى وأين وكيف.

إن الهدف من الحرية تحقيق العدالة، والعدالة الباب الرئيسي لتحقيق كرامة الإنسان، لذلك النظر إلى هذه القيم العليا دوماً سيضبط فهمنا ونظرتنا للحرية، وسيقيدها بهذه الأهداف العليا حتى لا تتحول لأداة للنقيض، أي أداة للظلم وليس العدل.

## الحرية في فكر الإمام الرضا عليه السلام

### ببيوغرافي

الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، هو الإمام الثامن من أئمة أهل البيت عليهم السلام، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

ولد الإمام عليه السلام في عصر المأمون العباسي في المدينة المنورة في ١١ ذي القعدة ١٤٨ هـ وبعد استشهاده جده الإمام الصادق عليه السلام، في أحضان أبيه الإمام الكاظم عليه السلام.

وبرز الإمام الرضا عليه السلام على مسرح الحياة السياسية والإسلامية كألمع سياسي عرفه التأريخ الإسلامي في ذلك العصر. أطروحة مذهب أهل البيت عليهم السلام.

تولى ولاية العهد في عصر المأمون العباسي، بعد تهدي ميطن له بالقتل، فاعتنم الفرصة ونشر معالم الإسلام الحق وتثبيت دعائم أطروحة مذهب أهل البيت عليهم السلام.

استشهد الإمام الرضا عليه السلام في خراسان بعد دس السم له على يد المأمون العباسي، حسب ما رواه الكليني في شهر صفر سنة ٢٠٣ هـ

### مقدمة

محاولة استقراء مفهوم الحرية من زاوية معاصرة، يدفعنا عملانيا للعودة إلى النصوص التاريخية، خاصة النصوص المقدسة المتعلقة إما بالقرآن الكريم، أو الروايات الشريفة الصحيحة. والعودة إلى تلك النصوص تحتاج أيضا عودة لغوية، بحيث أن اللغة هي وسيلة تواصلية بين الخطيب والمُخاطب، والتي من خلالها يوصل الخطيب مراده ورسالته للمخاطب. فالمفهوم القرآني كي نستسقي دلالاته التي تحدد مراد المتكلم، تتطلب العودة للغة التي نزل بها القرآن، ولغة القوم الذين خاطبهم القرآن، ودلالات المفاهيم لتلك اللغة في ذلك العصر، حتى نستطيع استشفاف أقرب دلالات للمفهوم، بل أقرب معني للكلمة وفق سياقاتها المطروحة، وزمانها ومكانها. لذلك قد لا يمكننا الانطلاق من مفهوم الحرية الحديث، لاستقراء دلالات هذا المفهوم في النص المقدس، بل يجب أن ننطلق من النص المقدس وكيف طرح مفهوم الحرية وإن بالفاظ أخرى تؤدي نفس المعني لكن باختلاف الدلالة والمقصد والمطلوب.

## القرآن الكريم ومفهوم الحرية

فلو انطلقنا من النص القرآني وهو الثقل الأكبر، والمرجعية المعرفية الضابطة للنصوص الروائية، سنجد أن المحور الذي انطلق منه القرآن كمفهوم تحرري للإنسان إرادته واختياره هو مفهوم العبودية.

"وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَ لَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يُرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ، إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ، وَ قَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأْنَا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَ مَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ"<sup>١</sup>

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ<sup>١</sup>

### في الآتية الأولى عدة توجيهات أهمها

تظهير مفهوم الحب وجوهره الداعي إلى تحقيق كمال الإنسان.

تظهير مفهوم الاتباع وأنواعه، وآثار كل نوع على مستقبل الكمال الإنساني.

ولو عدنا إلى علاقة الحب والاتباع إلى القرآن لوجدناها تتجلى في الآية التالية:

”قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ“<sup>٢</sup>

وهنا وضع بشكل جلي علاقة الحب بالاتباع، ووجهها بشكلها السليم، ثم رسم معالم أثر هذا النوع من

الحب المقرون بحقيقة الاتباع، على مستقبل الكمال الإنساني.

### ولمزيد من التوضيح

إن حقيقة الحرية في السياق القرآني هي في حقيقة العبودية، وحقيقة العبودية هي في حقيقة الحب، وحقيقة

الحب يكمن جوهرها وسيرها في السياق السليم لهذه السلسلة هي حقيقة الاتباع، والاتباع هنا مقرون بشرط

أن يكون على الصراط المستقيم، لا اتباع للضالين ولا للمغضوب عليهم كما ورد في سورة الفاتحة في مطلع

ومفتتح سور القرآن الكريم.

فنحن هنا أمام خارطة طريق مهمة في رسم استراتيجية مفهوم الحرية وفق التأسيس القرآني الكريم:

حب (جوهره العبودية).

اتباع.

صراط مستقيم شرط للاتباع القويم، لا للضالين ولا للمغضوب عليهم.

فتحرير إرادة الإنسان واختياره من كل أنواع العبودية المادية، التي تهيمن علي فكره وإرادته وفعله و

اختياره، وتخلصه ن كل مصاديق الطاغوتية والفرعونية، تتمثل في حقيقة العبودية لله وحده لا شريك له، وهي

الحقيقة التي تجلت بادئ ذي بدء في جوهر الدعوة النبوية عبر تاريخ الأنبياء والمرسلين، وهي الدعوة إلى

التوحيد ب "لا إله إلا الله"، وهذه ال "لا" الراضة لكل أنواع الشركاء مع الله، هي جوهر تحرير الإنسان وتحقق

حريته الواقعية في الخارج.

وهذه لا تتحقق إلا من خلال الحب، أي العبودية القائمة على الحب، وليس على علاقة العبيد أو علاقة

التجار، بل على علاقة الأحرار، الذين يتبعون ويعبدون الله وحده لأنه أهلا للعبادة وحبا له.

ولكن كيف يتجلى هذا الحب وهذه العبودية سلوكا وعملا، فعقل الإنسان محدود كي يدرك

المصالح والمفاسد الشاملة والمحيط بها، والتي تتناسب ووجوده في هذه الدنيا، لذلك كان لا بد من

رسم معالم طريق الحب، فربط حب الله الحقيقي باتباع نبيه ص، حتى يتحقق حب الطرف المحبوب

وهو الله تعالى.

١ سورة آل عمران، آية ٦٤.

٢ سورة آل عمران، آية ٣١.

هذا التحقق في واقع الحال الإنساني يتمظهر سلوكيا في الحياة من خلال وجود العديد من الأنداد والأضداد لمفهوم العبودية لله المنطلق من الحب، فحينما تتحقق العبودية من الحب، ويصبح وجود الإنسان سلوكيا وعملا من خلال اتباع النبي ص، فإن ذلك يلزمه كثير من اللوازم في الحياة الدنيا، وقد يضرر مصالحه وينغض عليه رفاهه وراحته واستقراره، لأن هذا الحب والاتباع كثيرا ما سيتعارض مع مصلحة الأنداد والأضداد، وهو ما يدفعهم لمحاربة هذا الخط الغارق في عبوديته لله وفق المنهج النبوي، فيبدأ هنا تجلي مشاهد الأنداد والأضداد، وقدرة كل طريق على جذب أمثاله وأشباهه إليه، وقدرة كل جهة على إقصاء الجهة الأخرى من مسرح الحياة لتتصدر هي المشهد.

وهذا المشهد الذي يتضاد فيه مسارات وطرق، لا تتجلى آثاره الواقعية إلا في الآخرة. حيث يظهر عيانا للجميع أثر عظيم جدا هو انعكاس تام للصورة في الحياة الدنيا، التي كان يتضاد و يتصارع فيها أتباع الله وأتباع الأنداد، وكان في تلك المشهدية يتبرأ كل طرف من رب الطرف الآخر في صراع تسقط فيه كثير من القيم والمبادئ والأرواح على طريق التحرر الحقيقي للإنسان، وتتجلى فيه قيم الصبر والثبات والبصيرة عند اتباع الحق، بينما يحاول أتباع راية الطاغوت وفرعون أن يسخرها كل طاقاتهم وكل قدرتهم في تمويه حقيقة مرادهم من خلال شعارات وهمية تتفق مع شعارات أهل الحق، لكنها تختلف في الجوهر والغاية والمقصد، والأدوات التطبيقية والمراد والآلات.

فمفهوم الحرية عند أتباع الله وأحباؤه، لا بد له أن ينبت من تربة الله تعالى ومفاهيمه وقاعدته المعرفية، التي تهدف لبسط سلطة الله وشريعته لتحقيق العدل للجميع، وتهدف لتحرير الإنسان وتحقيق كرامته التي بها ينهض في الأرض، ويقوم شرع الله وينفي كل الأنداد والسلطات القهرية التي تمنع نهضة الإنسان واندفاعه نحو مساره التكاملي في عمارة الأرض بالخير وعبادة الله بالحب.

وأتباع راية الباطل ليس بالضرورة هم من خارج جسد الأديان، فنحن أمام رايات أهم من يقودها هم: راية واضحة في عدايتها لله ولرسله وأنبيائه وأديانه، محورها تسلط الإنسان على الإنسان، وغرورهم ب "بأننا" الإنسان المطلق، وهذه راية المغضوب عليهم.

راية يتلبس الدين، وجل حراكها بثويه، وعباءته، ومظلمته، لكنها تدلس وتخلط الغث بالثمين، وتحرف الدين عن غاياته ومقاصده، وتضلل الناس، وهذه راية الضالين.

وحين يتلبس كثير منهم فهما للدين يتبع أهواءهم، ويتبع أربابهم من الطواغيت تحت شعارات دينية، هنا يصبح مازقا مازق عقلي، يتطلب العمل المتواصل على تأصيل أسس المعرفة، ومناهجها، ومنابعها، ومصادرها، وتزويد الإنسان بأداتها كي يستطيع الصيد من المياه النظيفة ويترك المياه الآسنة باسم الدين.

## والمعرفة هي

- (أ) الخبرات والمهارات المكتسبة من قبل شخص من خلال التجربة أو التعليم؛ الفهم النظري أو العملي لموضوع؛
  - (ب) مجموع ما هو معروف في مجال معين؛ الحقائق والمعلومات، الوعي أو الخبرة التي اكتسبتها من الواقع أو من القراءة أو المناقشة؛
  - (ج) المناقشات الفلسفية في بداية التاريخ مع أفلاطون صياغة المعرفة بأنها "الإيمان الحقيقي المبرر".
- بيد أنه لا يوجد تعريف متفق عليه واحد من المعارف في الوقت الحاضر، ولا أي احتمال واحد، وأنه لا تزال هناك العديد من النظريات المتنافسة.

(د) والمعرفة أيضاً هي ثمرة التقابل والاتصال بين الذات المدركة وموضوع مدرك، وتتميز من باقي معطيات الشعور، من حيث إنها تقوم في آن واحد على التقابل والاتحاد الوثيق بين هذين الطرفين. وكل معرفة تنعكس مباشرة على سلوك الإنسان ووعيه وفهمه لله والإنسان والكون هو من المعرفة.

### وتكمن أهمية المعرفة في أنها

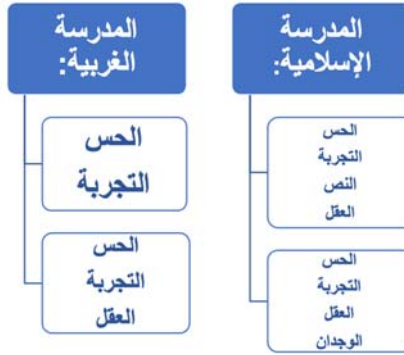
تُشكّل الأفكار.

تدير السلوك في بعده الفردي والاجتماعي.

لها تأثير مباشر على وعي الإنسان وإدراكه.

لها تأثير كبير في الاعتقاد، وتغييره سلباً أو إيجاباً.

لكن ما هي مصادر المعرفة:



وبعد هذا العرض السريع حول المعرفة نفق عند أهم مصادر المعرفة وهي النص الديني، والمتمثل بالقرآن الكريم، وبالنصوص الروائية المنقولة من تراث الأئمة صلوات الله عليهم، ونركز هنا على أحد مصادر هذا التراث العظيم وهو الإمام علي الرضا عليه السلام.

فكيف جلى الإمام الرضا عليه السلام الآية الأولى في ربط الحب بالاتباع، والتبيري من كل الأنداد الظاهرين

والخافين على الناس؟

الحرية في النص الروائي: الحرية في فكر الإمام الرضا عليه السلام والانطلاق من الذات:

"وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَ لَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يُرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ، إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَ رَأَوْا الْعَذَابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ، وَ قَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأْنَا مِنْكَ كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَ مَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ"<sup>١</sup>

سأذكر هنا أهم محطات في حياة الإمام الرضا عليه السلام يمكنها أن تشير وتجييب على هذا السؤال:

المحطة الأولى توضيح الموقف (العبودية الحققة ورفض الأنداد):



حينما ورد الإمام عليه السلام مرو، عرض عليه المأمون أن يتقلد الأمر والخلافة فأبى الرضا عليه السلام، وجرت مخاطبات كثيرة وبقوا على ذلك نحواً من شهرين، وكل ذلك يأبى عليه أبو الحسن علي بن موسى الرضا أن يقبل ما يعرض عليه...

وبعد ذلك كان هناك عدة مخاطبات من المأمون للإمام الرضا ع: أن يخلع المأمون نفسه من الخلافة ويقلدها للإمام الرضا ع، فأبى الإمام الرضا ع ورفض ذلك بشكل قاطع وأنكره تماماً.

فعرض عليه ولاية العهد إن أبى تقلد زمام الخلافة، فأبى الإمام عليه السلام إباء شديداً أيضاً ورفض ولاية العهد كذلك.

ثم استدعاه وخلا به مع الفضل بن سهل ذو الرياستين، ودار حوار مطول بينهما انتهى بعد أخذ ورد حول الخلافة وولاية العهد وإبائه الأمام رفضه لكليهما، انتهى بقول موجه من المأمون للإمام الرضا ع كالتهديد له على الامتناع عليه، مستشهداً بشورى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب التي جعلها في ستة، ومن خاف منهم فيضرب عنقه، ثم أتم استشهاده بطلب شديد اللهجة بأنه لا بد لك من قبول ما أريد منك، فإنني لا أجد محيصاً عنه، فقال الإمام ع أجيب إلى ما تريد من ولاية العهد على أنني "لا أمر ولا أنهي ولا أفتي ولا أقضي ولا أولي ولا أعزل ولا أغبر شيئاً مما هو قائم"، فأجابته المأمون إلى ذلك كله<sup>١</sup>.

### ويمكن تحليل موقف الإمام ع على ضوء الآيات الكريمة السابقة بالتالي

قبول الإمام للحكم هو قبول للمنهج العباسي في تأسيسه وترسية قواعده وقيمه وأصوله، ولكنه يعلم أن أسس قيادة الدولة العباسية التي رفعت شعارات دينية لغايات سياسية سلطوية، تبلورت بعد وصولهم إلى السلطة، هذا القبول يخالف منهج الآية الأولى "ومن يتخذ من دون الله أنداداً..." لأن الإمام سيقيد بسلطة الحكم الخفية، والتي أسس بنو العباس قواعدها ومد أذرعتها على وجه البسيطة، بالتالي محاولة التغيير هنا لا يمكن أن تكون فجأة وبشكل صدامي مع المجتمع، مع وجود تعقيدات اجتماعية وسياسية واقتصادية وجغرافية كثيرة، لا يمكنها أن تساعد في عملية التغيير التي يمكن أن أسميها عملية انتحارية بامتياز، وعدم قدرة الإمام لا تأتي بعدم فاعليته، بل من عدم قابلية المحيط لهذه الفاعلية، والتي تتطلب جهداً متراكماً وطويلاً وتأسيساً على مدى عقود لإعادة سليقة الناس إلى فطرتهم، وهدى النبي ص، لذلك وجوده في أعلى سلطة يعني إما شرعته للمنهج الخاطيء، بالتالي وأده لخط النبوة والإمامة، أو اغتياله معنوياً وجسدياً، وبالتالي انقطاع الجاذبية لخط النبوة والإمامة الذي يجسد منهج التوحيد وترسية الأسس الإلهية. وهذا نقض لغرض الإمامة كلياً.

قبول الإمام بولاية العهد مع رفض أي نوع من السلطة التشريعية أو التنفيذية، والاكتفاء بها شكلياً، واستغلالها فيما بعد كما سيتضح لاحقاً، في ترسية معالم الطريق مجدداً، وإعادة صواب كثير من العلماء كما سنرى لاحقاً، وصواب كثير من النخب وعمامة الناس، إلى منهج الاتباع والعبودية السليم، وتحرير إرادتهم من تبعية غير الله، وتوجيه قابلياتهم باتجاه الله الأوحده، ورفض كل ما دونه من أنداد. وهذا الرفض لأي سلطة تشريعية أو تنفيذية، هو استبعاد أي غطاء شرعي من قبله، ممكن أن يعطى للعباسيين ونهجهم، خاصة مع

١ في رحاب أئمة أهل البيت/ دراسات دقيقة مفصلة عن حياة أئمة أهل البيت وعلومهم ومناهجهم وتوجيهاتهم، السيد محسن الأمين الحسيني، المجلد الثاني، ٥٠-٣، دار التعارف للمطبوعات، ص ١١٩.

معرفة المأمون بكثرة أتباع الإمام ومحبيه، ورغبته في استغلال هذا الجمهور لصالح شرعنة سلطته، بالتالي تحقيق الاستقرار في عهده، ومنع الاضطرابات التي عانى منها الأمويين نتيجة ثورات العلويين الكثيرة بعد استشهاد الإمام الحسين ع، والثورات التي تسلك عليها العباسيين وخبروا قدرة العلويين في زحزحة أي سلطة، لذلك كان أحد أهداف المأمون هو شرعنة سلطته، وكسب الشارع العلوي بكل توجهاته إلى صالحه، بالتالي تحقيق الاستقرار، وضمان سريان السلطة في العباسيين بعد ذلك، من خلال القتل المعنوي والجسدي لخط الإمامة، ووأد أصل الفكرة في ذهن الناس بكل أطيافهم.

### المحطة الثانية تجلية المسار (الحب والاتباع)

وقد برزت هذه المحطة في رحلته الأخيرة إلى نيشابور والتي تحققت فيها شهادته ع، فقد استوقفه ثلة من العلماء المتفقهين في الدين في ذلك الزمن، حينما دخل إلى نيشابور عرض له من أهل الأحاديث والدراية وهما أبو زرعة الرازي، ومحمد بن أسلم الطوسي، ومعهما خلائق كثيرة من أهل الحديث وأهل الرواية والدراية فقالا: أيها السيد الجليل ابن السادة الأئمة بحق آبائك الأطهرين وأسلافك الأكرمين إلا ما أريتنا وجهك الميمون المبارك ورويت لنا حديثاً عن آبائك عن جدك محمد ص، نذكرك به، فاستوقف البغلة وأمر غلماناه بكشف المظلة عن القبة وأقر عيون تلك الخلائق برؤية طلعه المباركة... فصاحت معاشر الأئمة والعلماء والفقهاء: معاشر الناس اسمعوا وعوا وأنصتوا لسماع ما ينفعكم لا تؤذونا بكثرة صراخكم وبكائكم وكان المستملي أبو زرعة ومحمد بن أسلم الطوسي فقال علي بن موسى الرضا عليهما السلام: حدثني أبي موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر ع، عن أبيه زين العابدين ع، عن أبيه الحسين ع شهيد كربلاء عن أبيه علي بن أبي طالب ع أنه قال: حدثني حبيبي وقره عيني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: حدثني جبرئيل قال: سمعت رب العزة سبحانه تعالى يقول: كلمة لا إله إلا الله حصني، فمن قالها دخل حصني، ومن دخل حصني أمن عذابي، ثم أرخى الستر على القبة وسار. فعدوا أهل المحابر والدُوي الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفاً..."

### لابد من الإشارة هنا قبل تحليل إشارات الإمام الرضا ع في هذا الحديث إلى أمر غاية في الأهمية وهو

موقع أهل البيت ع كان موقعا حساسا، لأنه موقع يقتضي التفرد في المرجعية السياسية والعلمية المعنوية، وبذلك فإن هذا الموقع يهدد السلطة السياسية القائمة، كما يهدد العقيدة الغالبة في أساط المسلمين المبنية على مشروعية الخلافة ونفي تميّز أهل البيت عليهم السلام، واصطفائهم من هذه الأمة.

الأئمة من خلال تتبع سيرتهم وتراثهم وأصداء شخصياتهم لدى سائر المسلمين ليس هناك شك في أنهم بعد الإمام الحسين عيه السلام لم يكونوا بصدد القيام بالثورات المسلحة ضد السلطات القائمة، لأنهم كانوا يعلمون أن هناك خلافا في تفكير المجتمع واتجاهه، ولن تنجح ثورة عامة في البلاد الإسلامية تنشد العدل والشرع حقا على منهاج رسول الله صلى الله عليه وآله، دون منهج الخلفاء الأولين، وتنطلق من حق أهل البيت عليهم السلام، ومراتبهم التي ربّهم الله فيها، وذلك لغلبة الشبهة واستقرارها لدى الاتجاه الغالب للمسلمين،

حيث إن هذا الاتجاه لن يقْدَسَ أحدا بعد الإمام الحسين عليه السلام، والذي كان منصوباً على مقعده المميز من رسول الله صلى الله عليه وآله.

أن المهم في مرحلة الأئمة عليهم السلام هو تأسيس تراث جامع وفق أسس أهل البيت عليهم السلام في العقيدة الفقه والتفسير والأخلاق، ثم الاهتمام بتنمية هذه العلوم بين المؤمنين.

كانت سياستهم عليهم السلام تجاه جمهور المسلمين وسائر العلويين والهاشميين قائمة على حسن التعامل والمداورة مع علمائهم وعامتهم، وتجنب إثارة الفتنة والبغضاء بما يؤدي إلى تشويه دعوتهم عليهم السلام، وتفارقة المسلمين.<sup>١</sup>

### الحديث السابق يسمى حديث السلسلة الذهبية، حيث أوضح فيه الإمام عدة أمور، إما مباشرة أو غير مباشرة

إعادة برمجة الذاكرة الجمعية للعامة والعلماء حول أصل الأصول وهو "التوحيد"، وهذا ليس لأن ذلك غير حاضر في أذهانهم، بل الحضور هو حضور منفصل عن واقع المسلمين، وواقع علمائهم، بمعنى أن قول "لا إله إلا الله" لها شروطها وشروطها، ففي هذا الجمع الكبير، وهذا الحضور النوعي المتنوع من العلماء والعامة والنخب، حينما يصبر العلماء على شخصية الإمام ع لقول شيء يفيدهم في الدنيا والآخرة، فإن أي إعلان أو كلام من الإمام يفترض أن يكون ذا أهمية بالغة جداً، بل تعتبر من أوليات الأمة، بالتالي هو يريد إما أن يعالج خللاً، أو يؤكد ثابتاً، أو يحيي ذاكرة غابت عنها ما أقرت به قولاً، ثم انحرفت عنه عملاً وتطبيقاً.

إثارة التساؤلات ولفت النظر من خلال تأكيد المؤكد، فيمكن لسائل أن يسأل خاصة أمام هذا الحضور المكثف للعلماء والفقهاء، لماذا أكد الإمام على أمر هو من مسلمات المسلمين، وفي حشد وجمع من المسلمين يعتبرون مبدأ التوحيد مبدأ مسلماً به؟ ولماذا هذا التأكيد بهذه الطريقة، وما هي الرسالة التي يريد أن يقولها الإمام من خلال هذه الجملة؟ هذه الطريقة من قبل شخصية كشخصية الإمام هي طريقة دلالية غير مباشرة تخضع للتفسير لعقول الناس قابلياتهم، وهي طريقة الاعتماد على ما يسمى بالقواعد العامة الحاضرة بدلاً من التعيين أو التصريح المباشر، والإفهام بالأفعال بدلاً من الأقوال، أو بوجوه الإشارات بدلاً من التلويح، والكنائية بدلاً عن الإعلام والإعلان، وبالتسريب المقصود بدلاً عن المخاطبة وهكذا... فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: "حديث تدريبه خير من ألف حديث ترويه، ولا يكن الرجل منكم فقيهاً حتى يعرف معاريض كلامنا، وإن الحكمة في كلامنا لتنصرف على سبعين وجهاً، لنا من جميعها المخرج"<sup>٢</sup>. وعنه عليه السلام: "أنتم أفقه الناس إذا عرفتم معاني كلامنا، وإن الكلمة لتنصرف على وجوه، فل شاء إنسان لصرف كلامه كيف شاء ولا يكذب"<sup>٣</sup>.

حديث الإمام عليه السلام بهذا التسلسل، منه إلى الله تعالى، هو تأكيد للمرجعية الدينية والمعرفية وحتى السياسية، أنه لا يحدث عن الله، إلا نبي أو وصي، فإن يربط سلسلته بالنبي ص، ثم يوصلها بالله تعالى عبر جبرئيل ع، في هذا الجمع الغفير من العلماء والطلبة والنخب والعامة، وفي مسيره الأخير الذي استشهد بعده،

١ منهج التحري في شأن الإمام المهدي عليه السلام، محمد باقر السيستاني، الطبعة الثانية ٢٠٢٢م، ١٤٤٣هـ ص ٨١، ٨٢

٢ معاني الأخبار، ص: ٣، حديث ٣.

٣ معاني الأخبار، ص: ١، حديث ١.

وكانها وصية، والموصي لا يوصي إلا بما هو أولوية، وبما أن الموصي هو شخص الإمام ع، فتصبح الوصية بالنسبة له أولوية إلهية وليست عادية. بالتالي هو ثبت المرجعية ومعياريها، وأشار بطريقة ذكية إلى أحقية الإمام ع واتصال هذا الحق بالنبي ص مباشرة وبالله عبر جبرئيل الوحي الذي ختم وحيه بالنبي ص.

توضيح المسار الذي يتحقق فيه التوحيد الحق، والذي يحقق الاتباع القرآني، فإن كنتم تندعون حب الله، فعليكم اتباع ما أراه الله من خلال اتباع النبي ص، ومن نص عليه النبي ص من بعده، فكون القائل الإمام الرضا ع، وهو من سلسلة الذهب المتصلة بالله في التبليغ، وكون ما قاله متعلق بأصل الأصول وهو التوحيد، بالتالي هو يوضح مسار الصراط المستقيم القائم على الاتباع والحب، وهو مسار غير المغضوب عليهم ولا الضالين، صراط الذين أنعم الله به على خاسته ومن اختاره هو جل وعلا.

أما التركيز على مبدأ التوحيد، فهو من وجهة نظري أصل الأصول في تحرير إرادة الإنسان من العبودية لغير الله، الخروج على كل أنواع العبوديات السياسية، والدينية، والاجتماعية، والفردانية، وهو توضيح لأهل العلم، أن الفضل الحقيقي لا يكمن في الأذعاء، بل في حقيقة الاتباع الذي من خلاله يتحقق مبدأ التوحيد، وأن الاتباع يتطلب التخلّص من كل أنواع العبوديات وأهمها عبودية الأنا، والقبيلة والعشيرة والحاكم، والجاه والموقع، وغيرها من العوائق التي تزيغ بصر الإنسان وبصيرته عن التوحيد القائم على حقيقة الحب والاتباع.

فوفقاً للآية الأولى "وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ، إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ، وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُمْ لَتَضَرَّبْنَا بِأَصْفَادِهِمْ يَوْمَئِذٍ فَكَيْفَ يُبْرَأُ لَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا فِيهِ يَخِرَّجِينَ مِنَ النَّارِ"<sup>١</sup>

والتي من خلالها استقرأنا حراك الإمام عليه السلام في ظلها، حيث يتحرك الثقل الأصغر في ظل الثقل الأكبر فيها عدة نكات وأهمها:

أن الحرية تبدأ من تحرير إرادة الإنسان، وتحرير داخل الإنسان المتمثل بعقله وفكره، وهذا التحرير لا يتم إلا بعد أن يخضع لمبدأ التوحيد الحق.

أن الخضوع لمبدأ التوحيد الذي هو أصل الأصول، وانطلاقاً من الإنسان الأوّل نحو حقيقة الحرية والتحرير، لا يتم إلا من خلال منهج وشروط، وهذا المنهج خاضع لإرادة الله وتشخيصه، وله شروطه، ولا يمكن أن يكون إلا من خلال من أنعم الله عليهم بالصراف المستقيم، أما التوحيد الذي يحيد عن هذا الصراط، ويكون وفق منهج الضالين أو المغضوب عليهم، فهو لن ولم يحقق التحرير الحقيقي، ولا الحرية القائمة على الحب والاتباع.

إن الخلل في هذه المرحلة من التحرير والحرية، سيترتب عليه خللا في المنهج والسلوك، لأن المرجعية المعرفية النظرية التي تؤسس للبناء الأولي لمبدأ التوحيد، ولجوهره المعرفي، الذي ينطلق منه الإنسان نحو تطبيق أسسه في الحياة الخارجية، هذا الخلل سينعكس على التطبيق الخارجي للحياة الإنسانية، ومع التراكم الزمني من الانحراف، سيؤدي إلي تقييد الإنسان، واستعباده لا تحريره وتحرره، إضافة إلى عدم قدرته على

١ سورة البقرة، آية ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧

٢ استناداً لحديث الثقلين وهو حديث متواتر حيث قال رسول الله ص: "أني تارك فيكم أمرين إن أخذتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله، وعترتي، أيها الناس اسمعوا وقد بلغت إنكم ستردون علي الحوض، فأسالكم عما فعلتم في الثقلين، والثقلان هما كتب الله جلّ ذكره، وأهل بيتي فلا تسبقوهم فتلهكوا، ولا تتعلموهم فإنهم أعلم منكم". الكافي للكليني، ١٤٠٧ هـ، ج١، ص ٣٩٤.

تحقيق العدل والعدالة، بل سينحرف هذا المنهج بالإنسان عن المنهج الصحيح في تحقيق العدالة الحقة، وهو ما يؤدي إلى هدر كرامته التي وهبه إياها الله تعالى، وإعادة استعباده وسلب إرادته، وتقييد خياراته، وتوسع قابليات استعباده.

والخطير في هذا الموضوع، أن يحدث كل ما سبق دون أن يشعر، أو باعتقاد مفضل أن هذا هو طريق الحق وطريق التوحيد القويم، وهنا يكمن الخطر الحقيقي، حيث أن طريق الباطل واضح جدا، ولكن من يتلبس بثوب الحق، وجوهره منحرف أو ضال، فإن ذلك سيكون مدعاة للتيه، وابتعاد الناس عن الحق وجادته، إما لانحراف هذه الفئة عن المنطق الرباني، بالتالي انكماش الناس من حولها وانجذابهم لمناهج أخرى منحرفة بل مناهج باطلة لقوتها المادية أو لقدراتها الاقناعية ومواكبتها للأجيال، أو لابتعادها هي بالناس (من أتباعها) عن المنطق الرباني، وتأثيرها على الآخرين، حيث سيداد اللاحقين بركبها، وتتعد الأجيال مع التقدم أكثر عن جادة الحق، وهو ما يغرق البشرية في الظلم وللعبودية للسلطات السياسية أو الدينية أو الاقتصادية وبشعارات دينية منحرفة وإن كانت باسم الدين.

### الحرية في فكر الإمام الرضا عليه السلام والآخ

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ<sup>١</sup>

مماس سبق كان تأسيساً لأصل الأصول العقدية في الداخل الديني، وآليات تحرير النفس (كتحليل من وجهة نظري الفاصرة) وتأسيس لمبدأ الحرية.

ولكن كيف تعامل الإمام الرضا عليه السلام مع الآخر، وأسس من خلاله مبدأ للحرية في الاعتقاد؟ كان للإمام الرضا عليه السلام بحكم موقعه السياسي والعلمي مساحة من الحرية في حوار الأديان الأخرى، وقد استطاع الإمام من خلال هذه الحرية المتاحة طرح منهجه الاعتقادي والفكري في هذه الحوارات.

### هذه الحرية التي سمح بها المأمون لها عدة تفسيرات أهمها

بعض التفسيرات كانت ترى أن المأمون منح الإمام عليه السلام مساحة من حرية الحوار مع الأديان ظناً منه أن بهذه الطريقة الحوارية أمام الملأ مع كبار رجال الدين من الأديان الأخرى، قد تخرج الإمام ع وتظهر عجزه العلمي حينما لا يجيب على بعض الإشكاليات العميقة التي يطرحها هؤلاء، بالتالي إظهار هذا العجز يقط هيمنته المعرفية، ويسقط أحقيته في الإمامة، وبالتالي يحدث ثغرة كبيرة في العقل الشيعي، حول مفهوم الإمامة، والتي كانت تتميز بالقدرة والإحاطة العلمية والشرعية والمعرفية، بل تشكل مرجعية ناجزة عند كل المذاهب، فحينما تغلب الإمام على المذاهب الإسلامية بقدرته العلمية، كان لا بد من إظهار ضعفه على مستوى الأديان الأخرى، وفق فهم المأمون لذلك، وينقل في عيون الأخبار شيئاً من ذلك: وكان هدف المأمون - كما يرى الشيخ الصدوق - هو الحرص على انقطاع الرضا عليه السلام عن الحججة مع واحد منهم، وذلك حداً منه له ولمنزلته من العلم.<sup>٢</sup>

١ سورة آل عمران، آية ٦٤.

٢ عيون أخبار الرضا، ١ / ١٩١.

أن المأمون منح هذه الحرية للإمام عليه السلام ظناً منه واعتقاداً أنه الأجدر في مواجهة هذه الإشكاليات العقدية، والتي يطرحها كبار رجال الأديان الأخرى، حيث عرف المأمون بشغفه العلمي والمعرفي، وجمعه لكثير من العلماء في مجلسه عادة، فلم يجد أجدر من الإمام عليه السلام في الإجابة على هذه الإشكاليات المطروحة من قبلهم، وهو ما قد يؤثر على عقيدة الأجيال الشابة، ويضعف سلطة الدين التي يحكم بها المأمون عليهم وبالتالي تضعف سلطته السياسية، خاصة مع وجود الخطر المسيحي الكنسي، والذي كان يمكنه إضعاف الجبهة الداخلية للجسد الإسلامي، من خلال تفكيك منظومة الشباب العقائدية بالإشكالات، ومن ثم الانقضاء على الدولة، فكان الأجدر في هذا التأسيس المعرفي، وتفتيت وتقويض هذه الإشكاليات بالمنطق العلمي هو الإمام الرضا عليه السلام.

### مناظرة الإمام لأهل الأديان والمذاهب

كان لهذه المناظرات<sup>١</sup> دراهماً في التأسيس لمنهج الحرية العقدية، ووضع أسس رصينة لها، وسترى بعد عرض هذه الحوارات ونستخلص منها هذا المنهج وهذه الأسس من وجهة نظر تحليلية قد تكون قاصرة.

أمر المأمون الفضل بن سهل أن يجمع للإمام أصحاب المقالات: ومنهم: الجليلي وهو رئيس الاساقفة (مغرب: كاثوليك) ورأس الجالوت عالم اليهود، ورؤساء الصابئين، وعظماء الهنود من أبناء المجوس، وأصحاب زردشت، وعلماء الروم، والمتكلمين، وقد احتج الإمام بالكتب المعتمدة عندهم، وقد اعترف الجميع بأعلمية الإمام، بعد أن فُتد، حججهم، فأذعنوا لقوله، واعترفوا بصحة افكاره وآرائه.

وبعد جدال ونقاش طويل قال الجليلي: «القول قولك، ولا إله إلا الله»<sup>٢</sup> وبعد حوار طويل أسلم عمران الصابي وقال: «اشهد أن الله تعالى على ما وصفت ووحدت، وأشهد أن محمداً عبده المبعوث بالهدى ودين الحق ثم ختر ساجداً نحو القبلة».

ولما نظر المتكلمون إلى كلام عمران الصابي، وكان جدلاً لم يقطعه عن حجته أحد منهم قط، لم يدن من الإمام عليه السلام أحد منهم ولم يسألوه عن شيء<sup>٣</sup>. وفي مجلس آخر بعث المأمون على الإمام لينظر متكلم خراسان سليمان المروزي، فتناظرا في البداء، وصفات الله تعالى والفرق بين صفات ذات الله وصفات فعله، فأجاب الإمام عليه السلام على جميع اسئلته، وكان يقطعه في الحجج إلى أن سكت لا يستطيع أن يجيب على آراء الإمام، فقال المأمون عند ذلك: "يا سليمان هذا أعلم هاشمي"<sup>٤</sup>

وفي مجلس آخر جمع المأمون عدداً من علماء الأديان وأهل المقالات، فلم يتكلم أحد إلا وقد أُلزمه الإمام عليه السلام حجته، وقام إليه علي بن محمد بن الجهم، وأثار الشبهات حول عصمة الأنبياء ع اعتماداً على الآيات المتشابهة الواردة في القرآن الكريم، واثار الشبهات حول عصمة رسول الله، فأجاب الإمام وأزال الشبهات عن ذهنه، وأثبت له بالعقل والنقل عصمة جميع الأنبياء ع، فبكى علي بن محمد بن الجهم وقال: يا ابن رسول الله أنا تائب إلى الله عز وجل من أن أنطق في انبياء الله عليهم السلام بعد يومي هذا إلا بما ذكرت<sup>٥</sup>.

١ لمراجعة تفاصيل هذه المناظرات يمكن مراجعة أعلام الهداية، الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، ج١، ص ١٧٨ - ٢٣٥.

٢ مناقب آل أبي طالب: ٤/٣٥٢.

٣ الاحتجاج، الطبرسي: ٢/٤١٩.

٤ عيون أخبار الرضا: ١/ ١٧٩ - ١٩١.

٥ الاحتجاج، الطبرسي: ٢/ ٤٣٣.

وفي مجلس آخر تساءل المأمون عن عصمة الانبياء وأورد الآيات عليه السلام جواباً شافياً، وأول له تلك الآيات على خلاف ظاهرها، فقال المأمون: "لقد شفيت صدري يا ابن رسول الله وأوضحت لي ما كان ملتبساً علي".<sup>١</sup>

### منهج الإمام عليه السلام في التأسيس لحرية الاعتقاد

المحاورة وفق مبدأ قرآني هو: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ"<sup>٢</sup>

الاعتماد على لغة العقل والمنطق بالدليل والبرهان، بعيداً عن التعصب والتحيز المعرفي والعقدي. إلزام المحاور في حال كان من "أهل الكتاب" بما يؤمن به هو، من خلال اعتقاداته المودعة في كتبه، ثم بناء الشيء وفق مقتضاه، وتنفيذ تلك المعطيات التي يؤمن بها الطرف الآخر، بالعقل والمنطق. التركيز في محاورة أهل الكتاب على مبدأ التوحيد كأصل الأصول الاعتقادية، وبوابة الفتح المبين، لمنع تسلط ففة على أخرى، من خلال تكريس العبودية النفسية والأخلاقية والوجودية لله تعالى، فتمتنع بذلك السلطات المعرفية أو السياسية أو الدينية من موقع المتوقف والعلو الديني لأي جهة، وتلغي أي محاولة لتكريس السلطة الأخلاقية والقيمية لتصبح هي المرجعية المعيارية الفعلية المفروضة على الآخرين. لذلك فند الإمام عليه السلام الشبهات، وأزال الغشاوة عن العقول والقلوب، ومن ثم منح العقل دوره في تلقي المعارف وفق الدليل والبرهان العقلي، ثم بعد إقرارهم، ثبت المبدأ الأساس وهو "الكلمة السواء بيننا" إلا نعبد إلا الله، وعدم الشرك به، وعدم ربوبية جهة على جهة، ويقصد بها ربوبية سلطوية تلغي وتقضي الآخر، فإن لم يقرأوا بذلك، فأعلن هويتك الخاصة التي تميزك عنهم وعن منهجهم السلطوي، بأنك من المسلمين الذين سلموا لرب واحد، وأقروا بعبوديتهم له وحده لا شريك له، فتبرؤوا من عبودية هؤلاء وكل أنواع سلطنتهم خاصة المعرفية والعلمية، وبالتالي تميز بذلك الهوية الإسلامية بجوهرها العبودي لله وحده لا شريك له، فتحرر إرادة المسلم من كل أنواع الشرك والعبوديات.

إلزام المحاور من المسلمين من المذاهب الأخرى، بما يؤمن به من كتبه، ومن ثم تفنيده بالعقل والمنطق البرهاني والنقل، أي النص القرآني الحدِيثي. تأكيد أن الاعتقاد لا يقوم إلا على الدليل والبرهان، وليس على التقليد واتباع الماضين، وهو منهج الإمام في نقده عقلياً بناهم العقديّة، ثم الاستدلال وفق المنطق والبرهان على العقيدة الحق.

### وقد أنتج هذه الحوارات المهمة

تحدي أرباب الأديان والمذاهب، وإثبات التفوق العلمي لمدرسة أهل البيت عليهم السلام الرساليّة. فتح الباب لانتشار ثقافة أهل البيت في أوساط المجتمع الإسلامي. توجيه المسلمين الى خط أهل البيت الرسالي ودعوتهم للانشداد بهم دون غيرهم دعوة صامتة. دعم الدولة الإسلامية لأنها قدمدت للإنسانية الرصيد العلمي الذي تمتلكه الحضارة الإسلاميّة.

١ الاحتجاج، الطبرسي: ٢ / ٤٣٦.

٢ سورة النحل، آية ١٢٥

ولا نستبعد أن تكون هذه الفتوحات الكبيرة سبباً من أسباب الإسراع في القضاء على شخص الإمام الرضا عليه السلام، لأن تفوقه وشارقه يعود بنتائج سلبية على شخص الخليفة، فيكون وجوده مزاحماً لمثل المأمون الذي يحمل أكبر الآمال في إحكام السيطرة على العالم الإسلامي.<sup>١</sup>

### خلاصة وخاتمة

إن السياق المعرفي الذي تشكل عند الغرب، هو نتاج تراكم فلسفي من جهة أثرت فيه الفلسفة اليونانية بعمق، وتراكم تجريبي، مرت فيه الشعوب الغربية بتجربة دينية خاضت خلالها مخاضات عقديّة وعرفيّة مريرة، هذا إضافة إلى عوامل أخرى شكلت العقيدة المفاهيمية للغرب، وشبكة المعارف، والتي بدورها أسست للنظام الغربي القانوني والحقوقى، ومع امتلاك مقومات القوة والاستطاعة والاكتفاء الذاتي والتفوق العلمي والتكنولوجي والصناعي، والنزعة الاستعمارية والاستحوادية على الثروات، اندفع الغرب لعولمة قيمه ومعارفه ونظامه الحقوقي والقانوني من موقع المقتدر القوي، ومن موقع المتفوق الحضاري وفق فهمه للحضارة والتفوق، خاصة بعد أن تكبد خسائر جمة في الاستعمار العسكري، مما دفعه لابتكار طرق استعمارية أخرى، يهيمن فيها على الوعي، ويفتد مُحكماته بالمشابهات، ومن ثم يعيد بناءه وفق معطياته وقواعده المعرفية والعقدية، خاصة في بعدها القانوني والحقوقى.

ولأن في الوطن العربي والإسلامي، يوجد إسراف في هدر الكرامة، وتضييع حق الإنسان وقهره مادياً ومعنوياً، وضلوع حكومات مستبدة عديدة في الهيمنة، والإيغال في الاستبداد ونهب ثروات الشعوب، هذا فضلاً عن دور هذه الحكومات الوظيفي المتواطئ مع القوى الكبرى التي ما فتئت تستخدم ورقة حقوق الإنسان لأجل تحقيق مخططاتها كما تريد، ولكل ما سبق إضافة لعوامل كثيرة أخرى، منها قابلية الاستعباد المعدية عند الشعوب العربية، وأخلاقية الهزيمة، فإن التأثير برياح الغرب الثقافية يكون أسهل وأسرع وأقل كلفة.

هذا التأثير بات اليوم يهدد الهوية بشكل حقيقي ومُحكّم الحلقات، ويسعى بكل الوسائل - خاصة الإعلامية منها - لاستلاب هذه الهوية، وتغيير معالمها الأصيلة، وتمييع قيمها ومحكماتها، لا بما هو بديل صالح، بل بمجرد شعارات تجعل من الفرد العربي والمسلم نسخة طبق الأصل في بعده المادي، من لباس ومسكن ونظام حياة، نسخة طبق الأصل للطريقة الغربية في ذلك النظام، لكن من الممنوع أن يفكر هذه الفرد ويبدع بذات الطريقة التي يمكن للغربي أن يفكر ويبدع فيها، وينتج ويستقل ويكتفي ذاتياً، إلا في حالة واحدة، وهي في حالة هجرة هذه العقول إلى الغرب للاستفادة منها واستغلالها لصالح الأنظمة الغربية.

ولهذا نحن مجدداً أمام تيه جديد تعيشه الأمة والشعوب العربية والمسلمة، تيه يستهدف وجودها وامتدادها التاريخي، ويتطلب القيام بما يسمى "جهاد التبيين" وهو جهاد سلاحه المعرفة والثقافة، يستهدف الوعي ليستجلي له الحقائق، ويدحض الشبهات بالدليل، ويوضح له تهافت البديل وسطحيته، ويبين مئانة وأصالة هذه الهوية، آخذاً في الحسبان عوامل التجديد الحقيقية دون حرج منه في النقد والتقييم، وفي ذات الوقت دون استحياء في التبيين والدحض بالدليل والبرهان، لتلك الحرب الناعمة على الهوية ومنظومة القيم والمعايير. و جهاد التبيين ليس عملاً سطحياً يقوم به أي شخص، بل يجب أن يتم التأسيس لهذا المفهوم وبناء لبناته التحتية والفوقية، وعمل دراسة استراتيجية في كفاءته وأدواته على ضوء التحديات المعاصرة من جهة، وتحديات الجغرافيا الخاصة بكل منطقة من جهة أخرى، وتحديات كل مجتمع في منطقته الجغرافية من جهة

١. أعلام الهداية، الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، ج١، ١٧٩، ١٨٠.



ثالثة، واختيار النخب الفاعلة في هذا الصدد وعدم السماع للانفلات الثقافي والمعرفي دون منهج أو متكى منهجي صحيح يتم الانطلاق منه، والبعد عن الشعارات والنزعات السطحية التقليدية في مواجهة هذه التحديات الكبرى، وعدم تصدّي غير الكفاءات العلميّة في هذه المواجهة الكبرى. وهذه المواجهة تتطلب عمل مؤسسي وليس عمل فردي أو أفراد، وليتم هذا العمل فإننا بحاجة لعدة أمور كمقدمة:

نبد الخلافات الإثنية، مذهبية كانت أو عصبوية أو قومية، والالتفاف حول هدف ومشاركات مصيرية ووجودية يشترك فيها الجميع، وأهداف علميا يتفق عليها الجميع، وأعني بالجميع هنا، جميع النخب المهمة لمواجهة الاستلاب.

التركيز على الأهداف العليا، وعدم خوض معارك جانبية لا تحقق الغاية الكبرى في "جهاد التبيين"، هذا التركيز يتطلب ترك النزعة الخلافية ضمن إطار "إما" "أو"، والانتقال لمنهج الاحتمال خاصة المعرفي منه والثقافي، الذي يعمل على ترجيح احتمال على آخر وفق المعطيات الميدانية والأدلة الموجودة، مع إبقاء الباب مفتوحا على الاحتمالات الأخرى، التي قد تكشف التجربة رجاحتها مع التقادم، وهو ما يفتح الباب أمام كل النخب الصادقة والمهمة بمختلف انتماءاتها الفكرية، لتصب جهودها في هذا الصدد.

القبول بالنقد والتقييم للموروث الثقافي والمعرفي، وفق أسس وقواعد منهجية من قبل المتخصصين، وتضافر الجهود لتبني زوايا النظر في ذلك، وعدم اقتصر ذلك على متخصص دون آخر، هذا فضلا عن بناء مشروع تجديدي منصف، لا يعادي التراث بالمطلق، ولا يرفض النظر والاستفادة من التجربة الغربية والبشرية بشكل عام بالمطلق، بل تكون القاعدة "أين يميل الدليل نميل"، فالبرهان منطقي قرآني في إثبات الحقائق، وكبريات القضايا، والبناء وفق هذه الحقائق المنهج الذي يمكن أن يُقوّم مسار الأمة والشعوب. وهذا أيضا لا يتم بجهود فردي، بل بتضافر الجهود المخلصة وهو ما يتطلب الانتقال من ثقافة المصلحة الذاتية، إلى مبدأ المصلحة العام، الذي تذوب في سبيله كل المصالح الخاصة، وهل هناك مصلحة أهم من الدفاع عن كينونة هذه الأمة بين الأمم وهويتها وثوابتها وقيمها ومعاييرها المرجعية، التي تحفظ ماضيها وحاضرها ومستقبلها، بل تحفظ حاضريتها بين الحضارات والأمم الأخرى؟ فما هي أهمية المصلحة الذاتية وما هو حجمها أمام أهمية وحجم هذه المصلحة العليا؟

رسم حدود تدخل الدين، وحدود تدخل العقل، وعدم رفض أي مصدر معرفي من مصادر المعرفة، بحجج مستوردة من تجارب أخرى، بل فهم طبيعة ما يمكن للدين أن يقدمه من خير للبشر، وما يمكن للعقل أن يقدمه من خير للبشر، وهو ما يجعل معارفنا أشمل وأوسع وأكثر إحاطة بالواقع.

العمل على بلورة نظرية معرفية منتزعة من سياقنا العربي والإسلامي المعرفي والثقافي في المجال الديني والثقافي السياسي والاقتصادي، مع الاستفادة من تجارب الآخرين نقدا وتقييما، فكما خاض الغرب مخاضاته المعرفية والتجريبية الخاصة وبلور وفق هذه التجربة رؤيته حول الكون والطبيعة والإنسان، فمن حقا كذلك أن نبلو رؤيتنا الخاصة حول الكون والإنسان والطبيعة، ونعمل على تنظيم حياتنا وفقها، من منطلق التعدد لا الإقصاء، ومن منطلق الاحترام والندية، لا الفوقية والاستعلاء. ومن الثابت جدا اختلاف الرؤية الكونية بين العالم العربي الإسلامي وبين العالم الغربي، هذا الاختلاف الواضح والبيّن يجب أن يقر به الجميع، وهذا الإقرار ليس فقط على مستوى النظر، بل على مستوى التقنين والحقوق والسياسات العامة، أي على مستوى الفعل من خلال احترام حقا في بلورة نظرة حقوقية وقيمية تتناسب ورؤيتنا الكونية.

وقد تكون هناك نقاط أخرى غابت عني، ولكن هذا ما أراه كأهم محاور ونقاط اشتراك لوضع خطة عملانية، وفق السياق التاريخي الراهن، وإشكالياته المعيقة للنهضة والتقدم، وأدرك أن ما طرحته أمنيات حُطت على هذه الوريقات، قد تجد طريقها إلى التنفيذ في راهنا، أو في القادم من الأيام، أو حتى مع الأجيال اللاحقة، والله أعلم.

## ميزان العدالة السياسية عند الإمام الرضا عليه السلام

### أحلام محمد أحمد الشهاري<sup>١</sup>

لقد اقتضت حكمة الله تعالى أن تجري حياة الإنسان على أساس الفطرة، والتي من نتائجها التمسك بالعدالة ورفض الظلم والجور، فالعدل هو أصل من أصول الدين وهو الاعتقاد بأن الله سبحانه وتعالى عادل وهي من صفاته عز وجل، والتي من خلالها أيد بها أنبيائه ورسله.

فقد جعل الله تعالى الأئمة والأوصياء بعد خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ليحافظوا على التأويل وما أنزل عليه من عند الله.

فما هو ميزان العدالة السياسية عند الإمام الرضا عليه السلام؟

يقول الله تعالى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} صدق الله العلي العظيم<sup>٢</sup>

### المقدمة

الحمد لله الذي منّ علينا بالأئمة الهداة، وجعلهم في حلك الظلام سفينة النجاة، وجعل في السفينة مصباح الهدى، مناراً على طول المدى، الصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطاهرين المعصومين.

وبعد....

قال الله تعالى:

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بَآلِهَاتِهِمْ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ الْبَنَاءُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} صدق الله العلي العظيم (٢)

لما كان الظلم والعدوان منافيين للعدل والحق الذي أتصف به الله عز وجل، ومنافيين للميزان الذي قامت به الأرض والسموات، وحكم به قسط وعدلاً بين جميع المخلوقات، أرسل الله رسلاً وأنبيائه إلى عباده لهدايتهم إلى طريق النجاة، وختم رسالته بخاتم الأنبياء والرسل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وجعل الأئمة

١ الجمهورية اليمنية - صنعاء، Alshahary2017@gmail.com

٢ مفاتيح البحث: الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام(١)، الإمام علي بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام(١)، محمد بن أحمد السنائي(١)، يحيى بن زكريا(١).

والأوصياء المعصومين سفينة النجاة في البيت العلوي في إقامة العدل والتوحيد وتوطيد مدامك الحضارة الإسلامية الروحية بديلاً عن نزعت الأمويين والعباسيين الذين يسعون إلى حرف منهجية العدالة إلى فرق ونحل وملل.

فمن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين (عليهم السلام)، قال: نحن أئمة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين، وقادة العُر المحجلين، وموالي المؤمنين، ونحن أمان أهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، ونحن الذين بنا يمسك الله السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها، وبنا ينزل الغيث، وبنا ينشر الرحمة، ويخرج بركات الأرض، ولولا ما في الأرض منا لساخت بأهلها(٣).

ولقد شخص الإمام الرضا عليه السلام سياسة الحكام العباسيين إزاء العلويين بالقمع والبطش والنيل منهم، والتضييق عليهم بشتى الوسائل؛ كي لا يطالبون بحقوقهم خاصة السلطة. وكان الأمر يتضح شيئاً فشيئاً للناس، ويعلمون بأن الخلافة حثّ لأهل البيت عليهم السلام دون غيرهم، وكانت الثورات تتبع بعضها بعضاً من قبل الطالبين وغيرهم أما في عصر المأمون الذي اشتهر بالدهاء، فقد عمد إلى سياسة أخرى وهي سياسة امتصاص الغضب، وتكبييل العلويين من خلال استدعاء الإمام الرضا عليه السلام من المدينة إلى خراسان، وإقحامه في السلطة بشكل صوري ممّا يوقع العلويين في حرج.

كان للإمام الرضا خطة لمواجهة المأمون، وهي عندما دُعي الإمام من قبل المأمون، لينقل من المدينة إلى خراسان، نشر في المدينة جوّاً يدل على انزعاجه وتضايقه من هذه الخطوة، بحيث أن كل شخص كان حول الإمام عليه السلام يتيقن أنّ المأمون يُضمر سوءاً للإمام من خلال إبعاده عن موطنه. ولقد أعرب الإمام للجميع عن سوء ما يرمي إليه المأمون بكل الأساليب الممكنة، فقام بذلك عند توديع حرم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعند توديع عائلته وأثناء خروجه من المدينة وفي طوافه حول الكعبة من أجل الوداع، وبكلامه وسلوكه ودعائه وبكائه، كان واضحاً للجميع أن هذا السفر هو رحلته الأخيرة ونهاية حياته عليه السلام (٤).

فقد حدد المأمون مسيراً خاصاً لقاfile الإمام خشية من أن يمرّ الإمام على المناطق التي تقطنها الشيعة ويلتقي بهم فأمر أن لا يأتوا به عن طريق الكوفة، بل عن طريق البصرة وخوزستان وفارس ومنه إلى نيسابور. <sup>١</sup>عن علي بن إبراهيم، عن ياسر الخادم والريان بن الصلت جميعاً قال: لما انقضى أمر المخلوع واستوى الأمر للمأمون كتب إلى الرضا عليه السلام يستقدمه إلى خراسان، فاعتل عليه أبو الحسن عليه السلام بعلل، فلم يزل المأمون يكانته في ذلك حتى علم أنه لا محيص له وأنه لا يكف عنه، فخرج عليه السلام ولأبي جعفر عليه السلام سبع سنين، فكتب إليه المأمون: لا تأخذ على طريق الجبل وقم، وخذ على طريق البصرة والأهواز وفارس، حتى وافى مرو، فعرض عليه المأمون أن يتقلد الأمر والخلافة، فأبى أبو الحسن عليه السلام، قال: فولاية العهد؟ فقال: على شروط أسألكها، قال المأمون له: سل ما شئت، فكتب الرضا عليه السلام أنني داخل في ولاية العهد؟ على أن لا أمر ولا أنهي ولا أفتي ولا أقضي ولا أولي ولا أعزل ولا أغير شيئاً مما هو قائم وتعفيني من ذلك كله، فأجابته المأمون إلى ذلك كله (٥).

١ أريد بالمخلوع، أخو المأمون فإنه خلج عن الخلافة (في)

مفاتيح البحث: الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام(3)، الريان بن الصلت(٤)، علي بن إبراهيم(٢)، خراسان(١)  
ومن أهم وأوثق ما حدث في هذا الرحلة الطويلة حديث الإمام في مدينة نيسابور المشهور بحديث سلسلة الذهب.

حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل رضي الله عنه قال: حدثنا أبو الحسين محمد بن جعفر الأسدي قال: حدثنا محمد بن الحسين الصولي قال: حدثنا يوسف بن عقيل عن إسحاق بن راهويه قال: لما وافى أبو الحسن الرضا عليه السلام نيسابور وأراد أن يخرج منها إلى المأمون اجتمع عليه أصحاب الحديث فقالوا له: يا بن رسول الله ترحل عنا ولا تحدثنا بحديث فنستفيده منك؟ وكان قد قعد في العمارية فاطلع رأسه وقال سمعت أبي موسى بن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن محمد يقول: سمعت أبي محمد بن علي يقول: سمعت أبي علي بن الحسين يقول: سمعت أبي الحسين بن علي يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام يقول سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول سمعت الله عز وجل يقول: لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي قال فلما مرت الراحلة نادانا بشروطها وأنا من شروطها(٦).

مفاتيح البحث: الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام(١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام، محمد بن موسى بن المتوكل، إسحاق بن راهويه، محمد بن جعفر الأسدي (١)  
لم يكن المأمون طاغية فحسب بل كان طاغيةً مثقفاً، وكانت له هوية معرفية يُحسن فيها الإنصات. فقد عقد المأمون مجموعة من المناظرات العلمية التي حضرها مختلف علماء المذاهب والأديان، وطلب من الإمام مناظرتهم، فكانت مناظراته أشبه ما تكون بمحاورات لا تقف عند مُجرد الدفاع عن العقيدة بل تأسيساً للعقل التأملية وتعزيزاً للحجة العلمية، فقد احيا الإمام الرضا ثقافة الحوار والمناظرة مع الخصم على تكافؤ وضعية المتحاورين، والتي تستند إلى الدليل الأخلاقي فكانت له الغلبة والحجة القاطعة؛ وكانت هذه إحدى دوافع المأمون لقتل الإمام الرضا عليه السلام.

وذكر عن أبي الصلت الهروي أنه قال: دخلت على الرضا عليه السلام وقد خرج المأمون من عنده فقال لي: "يا أبا الصلت قد فعلوها" وجعل يوحد الله ويمجده<sup>١</sup> وروي عن محمد بن الجهم أنه قال: كان الرضا عليه السلام يعجبه العنب، فأخذ له منه شيء فجعل في موضع أقماعه<sup>٢</sup> الإبر أيا ما ثم نزعته منه، وجرى به إليه فأكل منه وهو في علته التي ذكرناها فقتله، وذكر أن ذلك من لطيف السموم<sup>٣</sup>.

ولما توفي الرضا عليه السلام كتم المأمون موته يوماً وليلة، ثم أنفذ إلى محمد بن جعفر الصادق وجماعة من آل أبي طالب الذين كانوا عنده، فلما حضروه نعاه إليهم وبكى وأظهر حزناً شديداً وتوجعاً، وأراهم إياه صحيح الجسد، وقال: يعز علي يا أخي أن أراك في هذه الحال، قد كنت أأمل أن أقدم قبلك، فأبى الله إلا ما أراد، ثم أمر بغسله وتكفينه وتحنيطه وخرج مع جنازته يحملها حتى انتهى إلى الموضع

١ مقاتل الطالبين: ٥٦٦، إعلام الوري: 325، ونقله العلامة المجلسي في البحار وذيل الحديث في مناقب آل أبي طالب 308. 374: 4 / 18، وذيل الحديث في مناقب 18 / 49308

٢ في هامش "ش": "كان قحطية قد وجهه الخليفة إلى بعض الأمور فأنجح فقال له: أنت قحطية فقال: يا أمير المؤمنين وما معنى ذلك؟ فقال: أردت هبط حق قلبك لثلا يوقف عليه

٣ مقاتل الطالبين: ٥٦٧، إعلام الوري: ٣٢٥، مناقب آل أبي طالب ٤: ٣٧٤، ونقله العلامة المجلسي في البحار ٤٩: ٣٠٨

الذي هو مدفون فيه الآن دفننه. والموضع دار حميد بن قحطبة، في قرية يقال لها: "سناباد" على دعوة من "نوقان" ٣" بأرض طوس، وفيها قبر هارون الرشيد، "٤" وقبر أبي الحسن عليه السلام بين يديه في قبلته. ومضى الرضا علي بن موسى عليه السلام ولم يترك ولدا نعلمه إلا ابنه الإمام بعده أبا جعفر محمد بن علي عليهما السلام وكانت سنة يوم وفاة أبيه سبع سنين وأشهرًا (٧).  
 "٣" نوقان: إحدى قصبي طوس، والأخرى طابران "معجم البلدان ٥: ٣١١  
 "٤" انظر: مقاتل الطالبين: ٥٦٧

مفاتيح البحث: الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، محمد بن علي بن حمزة (٢)، عبد الله بن بشير (١)، التمر (١)، هارون الرشيد (١)، محمد بن جعفر (١)، الغسل (١)، الصدق (١)، القبر (١)، الموت (١)، كتاب إعلام النوري بأعلام الهدى (١)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (٢)، كتاب مناقب آل أبي طالب عليه السلام (١)، كتاب معجم البلدان (١)، العلامة المجلسي (١)  
 من كراماته عليه السلام "ضامن آهو"....

هناك قصة مشهورة تقول: إن الإمام الرضا عليه السلام صادف صياداً وقد وقع في شراكه غزال صغير وكان ينوي قتله، فتكلم الغزال مع الإمام (ع) كلاماً لم يفهمه غيره ومفاده أن الغزال طلب من الإمام (ع) أن يأخذ له مهله من الصياد إلى أن يذهب إلى أمه يخبرها ثم يعود ليفعل به ما يشاء.

وأخبر الإمام الرجل الصياد بأمر ولم يكن الصياد يعرف الإمام عليه السلام فاستغرب وضحك الصياد إذ كيف يمكن للغزال أن يعود بعد أن يطلقه هذا مستحيل...!

خاطبه الإمام (ع) من جديد وقال له أنه سيضمن الغزال وأنه سيكون أسيره حتى عودة الغزال وبعد ذلك أقتنع الصياد وأخذ الإمام (ع) أسيراً بدل الغزال (٨).

وماهي إلا فترة من الوقت حتى عاد الغزال ومعه أمه، فصعق الرجل وألقت إلى الإمام قائلاً: من أنت ياسيدي؟!

وعندما عرّف الإمام (ع) بنفسه فاعتذر الصياد وأطلق الغزال إكراماً لوجه الإمام الرضا عليه أفضل الصلاة والسلام.

من حكم وأحاديث الإمام الرضا عليه السلام....

وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني

قال عليه السلام: لا يكون المؤمن مؤمناً حتى تكون فيه ثلاثة خصال: سنة من ربه وسنة من نبيه صلى الله عليه وآله وسنة من وليه عليه السلام، فأما السنة من ربه فكتمان السر. وأما السنة من نبيه صلى الله عليه وآله فمدارة الناس. وأما السنة من وليه عليه السلام فالصبر في البأساء والضراء.

وقال عليه السلام: صاحب النعمة يجب أن يوسع على عياله.

وقال عليه السلام: ليست العبادة كثرة الصيام والصلاة وإنما العبادة كثرة التفكير في أمر الله.

وقال عليه السلام: من أخلاق الأنبياء التنظف.

١ في هامش "ش": "كان قحطبة قد وجهه الخليفة إلى بعض الأمور فأنجح فقال له: أنت قحطبة. فقال: يا أمير المؤمنين وما معنى ذلك؟ فقال: أردت هبط حق فقلبت لثلا يوقف عليه  
 ٢ على دعوة: بعض مسافة بلوغ الصوت

وقال عليه السلام: إذا ذكرت الرجل وهو حاضر فكنته، وإذا كان غائباً فسمه.  
 وقال عليه السلام: لم يخنك الأمين ولكن ائتمنت الخائن.  
 وقال عليه السلام: الصمت باب من أبواب الحكمة، إن الصمت يكسب المحبة، أنه دليل على كل خير.  
 وقال عليه السلام: الأخ الأكبر بمنزلة الأب (٩).  
 مفاتيح البحث: الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، الصلاة (١)، الصمت (٢)  
 من مؤلفاته عليه السلام.....

القسم: سيرة الرسول وآله/ الإمام علي بن موسى الرضا/ التراث الرضوي الشريف  
 له (عليه السلام) مؤلفات كثيرة ذكرها العلماء إجمالاً وتفصيلاً ففي خلاصة تذهيب الكمال عن سنن ابن ماجه عنه: عبد السلام بن صالح وجماعه عدة نسخ وفي تهذيب التهذيب: عنه علي بن مهدي له عنه نسخه وداوود بن سليمان له عنه نسخه وعامر بن سليمان الطائي له عنه نسخة كبيرة (٥) أما مؤلفاته فهي هذه:

ما كتبه إلى محمد بن سنان في جواب مسائله عن علل الأحكام الشرعية.  
 العلل التي ذكر الفضل بن شاذان أنه سمعها من الرضا (عليه السلام) مرة بعد مره وشيئاً بعد شيء فجمعها وأطلق لعلي بن محمد بن قتيبة الناسابوري روايتها عنه عن الرضا فأنها في الحقيقة من تأليف الرضا فهو كالمؤلف الذي يُملئ على الكاتب.  
 ما كتبه إلى المأمون من محض الإسلام وشرائع الدين وهذه الثلاثة أوردتها الصدوق في كتاب عيون أخبار الرضا بأسناده المتصله.

ما كتبه إلى المأمون أيضاً في جوامع الشريعة روى الحسن بن علي بن شعبة في تحف العقول أن المأمون بعث الفضل بن سهل ذا الرياستين إلى الرضا (عليه السلام) فقال له إني أحب أن تجمع لي من الحلال والحرام والفرائض والسنن فإنك حجة الله على خلقه ومعدن العلم فدعي الرضا بدواة وقرطاس وقال للفضل أكتب بسم الله الرحمن الرحيم وذكر الرسالة وهي قريبه من الرسالة الثالثة.

الرسالة المذهبة أو الرسالة الذهبية في الطب الذي بعث بها إلى المأمون العباسي في حفظ صحة المزاج وتدبيره بالأغذية والأشربة والأدوية وسميت بذلك لأن المأمون أمر أن تكتب بماء الذهب.  
 كتاب فقه الرضا وهو كتاب في أبواب الفقه وهذا الكتاب لم يكن معروفاً قبل زمن المجلسي الأول وأشتهر في زمانه إلى اليوم.

صحيفة الرضا (عليه السلام) في مقدمات البحار: صحيفة الرضا مع إشتهارها في مرتبة المراسيل لا المسانيد وإن شاهدت في بعض النسخ لها إسناداً إلى أبي علي الطلرسي لكنه غير معلوم عندي وفي مستدركات الوسائل: صحيفة الرضا (عليه السلام) ويعبر عنه أيضاً بمسند الرضا كما في مجمع البيان وبالرضويات كما في كشف الغممه وهو من الكتب المعروفة المعتمدة التي لا يدانيتها في الإعتبار والاعتماد كتاب صُنّف قبله أو بعده (٥) (١٠).

مفاتيح البحث: فضائل أهل البيت عليهم السلام (١)، شعبة أهل البيت عليهم السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله (١)، كتاب سنن ابن ماجه (١).

## الخاتمة

عاش الإمام الرضا(عليه السلام) بفترات مرت من حياته في مواجهة المأمون العباسي الذي أستدعاه من مدينة جده صلى الله عليه وآله وسلم إلى خراسان ليسلمه ولاية العهد وتميزت تلك المرحلة بجوانب مختلفة من أهمها الجانب الثقافي والعلمي ورفضه للظلم والجور وإقامة العدل والحق حيث كان المأمون يمتلك دهاء سياسي فكانت الأنظار تتجه إلى الإمام الرضا(عليه السلام) .

وقام المأمون في تلك الظروف إلى إجراء مناظرات علمية كان يرمي من ورائها إلى تعزيز دعائم حكمه. ولكن الإمام الرضا (عليه السلام) أستطاع أن يحافظ على دفة سفينة المجتمع الإسلامي في مواجهة الأمواج المضطربة (الفرق والنحل والملل) حتى تستقيم منهجية العدالة ليوصلها إلى بر الأمان.

## المراجع

- (١) سورة المائدة، آية ٨
- (٢) سورة الحديد، آية ٢٥
- (٣) الأمالي -الشيخ الصدوق-الصفحة ٢٥٢
- (٤) إنسان بعمر ٢٥٠ سنة:الصفحة ٣٤٢
- (٥) الكافي-الشيخ الكليني-ج١-الصفحة ٤٨٨
- (٦) عيون أخبار الرضا (ع) -الشيخ الصدوق-ج١-الصفحة ١٤٤
- (٧) الإرشاد -الشيخ المفيد-ج٢-الصفحة ٢٧٠
- (٨) من موقع الكوثر الإلكتروني
- (٩) تحف العقول -إبن شعبه الحراني-صفحة ٤٤٢
- (١٠) أعيان الشيعة- السيد محسن الأمين-ج٢-الصفحة(٥٦٦-٥٦٨)



## جدلية التنازع الثقافي وفاعلية البعد الأخلاقي في خطاب الامام الرضا (عليه السلام) : دراسة في رؤى الاستشراق للحضارة الإسلامية

أ.م. د/ أحمد حسن صاحب<sup>1</sup>

### ملخص المقال

كثيرة هي الدراسات التي قام بها المستشرقون للحضارة الإسلامية والتي تنبع من نظرة أحادية فردية للأعم الأغلب من تلك الدراسات وهي اغماط حق أهل البيت عليهم السلام بالإسهام الفاعل في تلك الحضارة، والمتصفح لتلك الدراسات يجد أن هناك برزخاً بعيداً بين ما قام به أهل البيت عليهم السلام لاسيما الامام الرضا عليه السلام في دائرة التفاعل مع الناس، وبين ما نجاهه من الاجناس الأخرى التي كانت لهم اليد الجذاء في صنع تلك الحضارة، ومن هنا انطلقت فرضية البحث لتجعل من فاعلية الضمير الأخلاقي عند الامام الرضا عليه السلام حياً في خلد المتصفح للحضارة الإسلامية وليصل صدى الصوت الى هؤلاء المستشرقين الذين اعتمدوا الروايات التاريخية الضعيفة وانطلقوا منها ليؤسسوا لنظرياتهم القاصرة. في الوقت الذي شهدت الحضارة الإسلامية قفزةً نوعيةً هائلةً في شتى المعارف الإنسانية سواء أكانت على المستوى العلمي أم الاجتماعي حتى أضحت الشرق الإسلامي قبلةً لكل من أراد الاستزادة في طلب العلم والانتقال من المعارف، بل أضحت الشرق على حدّ تعبير المستشرق الفرنسي غوستاف لوبون (Gustave le bon 1841-1931) "مرجع دائم لرجال الفن والعلم والأدب" وكيف لا يكون كذلك وهو يصبح محطّ ثناء للباحثين الغربيين فهذه المستشرقة الألمانية زيفريد هونكه (Sigrid Hunker 1913-1999) تعرب عن ذلك المجتمع بأنه قد بلغ شغفه بالعلوم والمعارف وشراء الكتب ومطالعتها أكثر من اهتمام الناس اليوم وشغفهم بالآلات والوسائل الترفيهية الحديثة. يطيب للباحث القول: انه هل كانت الحضارة الإسلامية، إسلامية؟ أم هي عربية؟ وهل كان للحضارات الأخرى كالفارسية مثلاً يد في بنائها؟ أم اقتصر على المسلمين دون سواهم؟ وهل ثمة حضور فاعل لأهل البيت عليهم السلام في صنع هذه الحضارة؟ وهل دائرة حراك الامام الرضا عليه السلام فاعلة في صنع البعد الأخلاقي والضمير الإنساني فيها؟ كل هذه التساؤلات وغيرها ستكون اجابتها حاضرة في ثنايا المقال بعونه تعالى. معتمداً في الوقت ذاته على المنهج الوصفي التحليلي في كتابة المقال من خلال استعراض النصوص سواء أكانت الاستشراقية أم الإسلامية ثم وضعها في مساحة تفكيرك العبارة للوصول منها إلى نتيجة تكون أقرب للموضوعية في البحث.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآل محمد الطاهرين

**الكلمات الأساسية:** الحضارة الإسلامية، الامام الرضا عليه السلام، الاستشراق، الثقافة الإسلامية، مارشال هود جسون، الاخلاق، الاسلامية

<sup>1</sup> أستاذ مساعد دكتور / قسم الفكر الإسلامي / كلية الامام الكاظم عليه السلام / iq.ahmed@alkadhum-col.edu

## المقدمة

قد لا يخفى على المُطَّلِع بأن الثقافة الإسلامية تُشكل هوية المجتمع والفرد المسلم في آنٍ واحد فيها يفهم الإنسان ماضيه ويتعامل مع حاضره ويستشرف مستقبله، وبنفس الوقت يستطيع من خلاله تحصين نفسه من الغزو الثقافي أو الأفكار التي تهدد أبنائه وافراد جلدته، فليست الثقافة الإسلامية مُختلفة أو حديثة العهد إنَّما هي مجموع الخبرات والأفكار منذ بداية الدعوة الإسلامية وحتى يومنا هذا.

ومن أهم بناة تلك الثقافة ومؤسسيها هم أهل البيت (عليه السلام) بما قاموا به من دور رسالي فاعل لحفظ الرسالة السماوية وتشريعاتها السمحة، فكلما وقع انحراف فكري أو عقائدي تعجز الزعامات المزورة من حلها والتصدي لها انبرى أئمة الهدى إلى إعطاء يد العون للحؤول دون الوقوع في مهالك الانحرافات والشبهات التي من شأنها أن تُغير مسار المجتمع الإسلامي ومن ضمن الأدوار التي جسدها الأئمة عليهم السلام كان دور الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) في عصر يكاد يكون هو الأهم من بين تلك العصور وهو عصر المأمون العباسي الذي تلاقحت فيها الثقافات المختلفة مع الثقافة الإسلامية الأمر الذي أوجب على الامام عليه السلام ان يتصدى لتلك الأفكار والرؤى والشبهات التي تتعاكس والرؤية الإسلامية فارتسم لنفسه عدة مسارات كان من بينها المسار الأخلاقي الذي كان بعده مهماً وناجياً لإنقاذ المجتمع من التهديدات التي ألمت به من كل مكان.

ومما يؤسف له أن الفكر الغربي المتمثل بالاستشراق وهو يوثق للحضارة الإسلامية بمختلف ألوانها ومشاربها كان يغفل هذا الدور الريادي الذي قام به أهل البيت عليهم السلام إذ اقتصر كتاباتهم – إلا النادر منها – على الجانب السردى التاريخي من دون الولوج إلى مقاصد الشريعة ودور الأفراد في تحصينها وبنائها وتقويم ما أعوج منها، فكان ذكرهم للإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) هامشياً في الأغلب من دراستهم. وعلى هذا الأساس عمد الباحث إلى اظهار الدور الثقافي في الحضارة الإسلامية المتمثل بالبعد الأخلاقي عند الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) في دراسات المستشرقين، وهذا وإن كان فرضية البحث غير أنه بنفس الوقت يشكل أحد الصعوبات التي واجهها الباحث في كتابة تلك الأوراق لأجل إظهار المقال بالصورة الأفضل خدمة لهذا الامام الهمام ودوره الريادي في قيادة الأمة الإسلامية وعنصراً فاعلاً في تشكيل حضارتها السامية.

## المحور الأول: التنازع الثقافي ومدى حضور اهل البيت (عليه السلام) عند المستشرقين

شهدت الحضارة الإسلامية قفزةً نوعيةً هائلةً في شتى المعارف الإنسانية سواء أكانت على المستوى العلمي أم الاجتماعي حتى أضحى الشرق الإسلامي قبلةً لكل من أراد الاستزادة في طلب العلم والانتهاج من المعارف، بل أضحى الشرق على حدّ تعبير المستشرق الفرنسي غوستاف لوبون (Gustave le bon 1841-1931) "مرجعاً دائماً لرجال الفن والعلم والأدب" (لوبون، ١٩٦٤، ص ٢٨) وكيف لا يكون كذلك وهو يصبح محطّ ثناء للباحثين الغربيين فهذه المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه (Sigrid Hunker 1913-1999) تعرب عن ذلك المجتمع بأنه قد بلغ شغفه بالعلوم والمعارف وشراء الكتب ومطالعتها أكثر من اهتمام الناس اليوم وشغفهم بالآلات والوسائل الترفيهية الحديثة (هونكه، ١٩٨٠، ص ٣٨٥)، ويطيب للباحث في هذا المقام أن ينطلق ممّا المع إليه المستشرق قيد البحث عن مصطلح (الحاضرة) حتى يتسنى معرفة التنازع الثقافي لتلك الحضارة

الإسلامية وهل هي متوقفة على المسلمين دون غيرهم أم أنّ هناك أقواماً كان لهم دور بارز في اغنائها وزيادة معارفها؟

فالحاضرة الإسلامية "Islamdom" بحسب مفهوم مارشال هود جسون "هي المجتمع الذي يُعترف فيه للمسلمين ولدينهم بالسيادة ويحظون فيه بالهيمنة الاجتماعية بمعنى أو بآخر (وهو مجتمع شكّل فيه غير المسلمين عنصراً مكمّلاً دوماً، وإن كان تابعاً، مثلما كان عليه اليهود في العالم المسيحي) لأ يشير هذا المصطلح إلى منطقة بعينها، وإنما يُشير إلى مركب العلاقات الاجتماعية " (هودجسون، ٢٠٢١، ص١٥٦) بمعنى أنه يرى بأن الحضارة الإسلامية لم تكن معتمدة على الجنس العربي فقط إنّما كان للأجناس الأخرى من فارسية، و هندية، وسريانية، وبربرية، وقوط غربية، وغيرها أثر في هذه الحضارة؛ لأن الحضارة بنظره مركباً معقداً من العلاقات الاجتماعية أو الوسط الخاص لمجتمع كامل تجسّد في الحضارة الإسلامية التي هي ثمرة التفاعلات مع التقاليد الدينية المركزية للإسلام (سلفاتورى، ٢٠٢٢، ص٤٩) (توينبي، ١٩٥٥، ج١، ص٢٤-٢٥).

واللافت للنظر أن المستشرق الأمريكي مارشال هود جسون (Marshall Hodgson 1968-1922) يرى بأن العنصر الأبرز في الحضارة الإسلامية هو العنصر الفارسي الذي أخذ السهم الأوفر في كثير من المستويات سواء أكانت العلمية أم الاجتماعية أم الإدارية ناهيك عن السياسية منها، فهي "فارسية -عربية نسبة إلى اللغتين الرئيسيتين اللتين حملتا الحضارة، حتى بات يُطلق عليها الحضارة الإسلامية (هودجسون، ٢٠٢١، ص١٢١). ويؤيد هذا المذهب المستشرق الألماني فون كريمر (Von Kremer 1828-1889) الذي يرى أنّ العرب هم العنصر الأساس في خلق وتوجيه هذه الحضارة وتقديمها بما اعتقدوه من الدين الإسلامي الجديد الذي مكّنه من ذلك (كريمر، ١٩٤٧، ص٩٦).

وبعيداً عن المنظور القومي لأساس الحضارة فقد ذهب بعض المستشرقين ومنهم المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه (Sigrid Hunke 1913-1999) إلى المنظور الديني في ذلك بأن يطلقوا على الحضارة بالعربية بدلا عن الإسلامية "ذلك أنّ كثيراً من المسيحيين واليهود والمزديين والصابئة قد حملوا هم مشاعلها أيضاً (هونكه، ١٩٨٠، ص١٣). ويرى هود جسون أنّ العامل الجغرافي واحد من أهم العوامل التي ساعدت على ذلك فضلاً عن العامل الثقافي ويشاركة الرأي بذلك المستشرق هيل (Donald Hill ١٩٩٤-١٩٢٢) الذي يرى أنّ الإسلام أخذ أهم مراكز الحضارة الفارسية والبيزنطية حتى أدت إلى المشاركة الفاعلة في انتظام الحضارة الجديدة (هيل، ١٩٥٦، ص٢٠) وبحسب تفسير المستشرق الفرنسي لوبون (Gustave le bon 1841-1931) إن العرب لم يتقيدوا في دراسة تلك الحضارة التي واجهتهم فجأة لأنهم أخذوا يُنظّمون شؤونهم بعد انتهاء دور الفتح فحولوا جهودهم إلى ميدان الحضارة، وأبدعوا حضارة أبنعت فيها الآداب والعلوم والفنون وبلغت الذروة (لوبون، ١٩٦٤، ص١٥). ووفق العرض السابق يُعرب المستشرق النمساوي جرونباوم (Gustave Grunebaum 1909-1972) بشكل واضح وصريح أن الأجناس التي شاركت في صنع الحضارة بغض النظر عن قوميتها أو عقيدتها قد ارتدت ثوبا إسلامياً أصيلاً لا يكاد أحد تميز تلك الأجناس عن بعضها الآخر ولذا - إن أردنا أن نميظ اللثام أكثر فأكثر عن العناصر غير العربية - سنجد المساهمات المسيحية وشقيقتها اليهودية الهلنستية والفارسية التي تزداد في كل يوم بروزاً لتصمد بشكل جلي عن طريق اعتماد علماء المسلمين على علماء تلك الأجناس (جرونباوم، د. ت، ص٤٠٧).

## المحور الثاني: دور اهل البيت في صنع الحضارة الإسلامية

لم يكن دور اهل البيت (عليه السلام) هيناً أو ضعيفاً في المرتكزات الأساسية للحضارة الإسلامية، من خلال الإسهام الفاعل في العلوم والمعارف التي مازال صداها في الساحة الفكرية حتى الآن، ومنها على سبيل الأجمال:

### التأسيس العقدي وترصين المذهب الامامي

للمذهب الشيعي الامامي اصول عقائدية يتبناها ويدافع من اجلها وتعد ركيزة اساسية من الركائز التي يتأسس عليها المذهب لأنها تستمد قوتها من القران الكريم والسيرة النبوية المشرفة، حيث تنحصر تلك الاصول العقائدية ب(التوحيد والعدل والنبوة والامامة والمعاد) (آل كاشف الغطاء، ٦، ٢٠٠٦، ص١٣٣) بحيث "لم تكن الاديان السماوية لتبعد بالإنسان عن جادته المرتأة كونها ارادت منه السمة البارزة من تنزلها وهي التوحيد" (صاحب، وحسن، ٢٠٢٣، مج٧، ص٥٨) ومن المستشرقين من اهتم بعقائد الشيعة المستشرق الفرنسي (Yann Richard 1948) إذ تطرق الى عقيدة الامامة واهمل باقي العقائد لأنها لا تمثل اي نقطة اختلاف بين المسلمين، وقال ان الشيعة يرون الامام امتداداً لعدالة الله في الارض وهو المسؤول عن إدارة شؤون البشر، وإن هذا الامام لا يمكن أن يختار من قبل الناس لأنه سوف يكون خاضعاً لتقلبات التاريخ، ويؤكد هذا الحضور للأئمة عليهم السلام المستشرق الفرنسي فان فلوتن (Fan Flutin 1866-1903) في مجال الاعتقاد بصلاح حال المجتمع لا يتحقق الا على يد احد اتباع آل البيت عليهم السلام بعد ان ادرك الناس بان الامويين بابتعادهم عن جادة الشريعة لا يحققوا مصالح الشعب (فلوتن، ١٩٣٤، ص٧٥) وعاضده في ذات الرأي المستشرق الالماني رودلف شروتومان Rudolf Strothmann 1877-1960 بأن "الشيعة جعلوا لمسألة الامامة قيمة دينية، وكتبهم في العقائد تشمل على باب خاص يتمشى مع مضمون الحديث يرونه هو، من مات جاهلاً بالإمام الحق في عصره مات كافراً" (رودلف، ٢٠١٥، ص٦٤٠٦)

### ترسيخ عقيدة الامام المهدي عليه السلام

لا تزال عقيدة الانتظار للإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) من العقائد الحيوية في التشيع الإسلامي مقارنة بالمدارس الإسلامية الأخرى ولعل هذا نابع من كونه مولود ويمارس نشاطه الطبيعي بين الافراد (الطوسي، د.ت، ص٢١) (كريم، ٢٠١٠، ص٩)، ونظراً لما يعانيه العالم أجمع من مظاهر التجبر من الدول المتكبرية وما يحصل للشعوب من ويلات عمد بعض المستشرقين الى تسمية هذه العقيدة ب(عقيدة الخلاص) (ريشار، ١٩٩٦، ص٦٨) في الوقت الذي يؤكد فيه المستشرق الفرنسي ريشار ان الامام "حي ولكنّه مختف عن عيوننا" (ريشار، ١٩٩٦، ص٧٠) وهذا مطابق الى ما تعتقده الشيعة من إن اختفاء الإمام عمن أحاطت بهم الذنوب والمعاصي أما المؤمنتين المخلصين لتعاليم الشريعة المحمدية فانه لا يحتجب عنهم ويمدهم من فيض وجوده وضياء هديه.

١ أستاذ الدراسات الإيرانية بجامعة السوربون في فرنسا، قدم مساهمات هامة في مجال البحث والتدريس في الدراسات إيرانية، مما يعكس خبرته العميقة وتقانيه في هذا المجال، مازال معاصراً. ينظر: بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، ط١(بيروت، دار العلم للملايين ١٩٨٦م) ص١٧٧.

لافتين عناية القارئ الكريم أن بعضاً من المستشرقين قد أكد وجود الإمام وطرق تواصله مع مجتمعه وقتذاك عن طريق التواصل مع سفراء مخصوصين له وهذا ما أكده المستشرق الأمريكي (ارماندو سلفاتورو Armando Salvatore) الذي خالف ما جاءت به المدارس المخالفة للمدرسة الشيعية (سلفاتورو، ٢٠٢٢، ص ٤٢٩) وذهب الى ذلك أيضا المستشرق هاينس هالم (Heinz Halm) الذي بين في رأيه عن عقيدة الإمام المهدي كيفية الاتصال مع الشيعة في عصر غيبته الصغرى (هاينس، ٢٠١١، ص ٤٨).

### المحور الثالث: حضور الخطاب الأخلاقي للإمام الرضا في مغامرة الإسلام

المتصفح لكتاب مغامرة الإسلام يلاحظ عياناً أنه يتسم بالمواكبة للجدليات الثقافية التي تميزت بها الكتابات الحديثة، إذ نجد نصوصه عن الحضارة الإسلامية قد ابتعدت عن الجانب الوصفي الكلاسيكي كما هو معهود في المصنفات التي كتبت عن تلك الموضوع وأخذت تركز على الأهداف الغائبة التي جسدها الحضارة الإسلامية، حيث تبني منهجه فكره المعادي للصهيونية وأشكالها الاستعمارية المختلفة، وبطش الأبيستولوجيا الامبريالية<sup>١</sup> وما عُرف به موقفه المنصف - المنحاز بنظرهم - للحضارة الإسلامية الأمر الذي جعل منه خصماً يُصنّف ضمن الخصماء الذين انصفوا الحضارة الإسلامية على طول الخط<sup>٢</sup> وقد لا يخامرني الشك في أن هود جسون يعتقد بشيء من تمايز الحضارات على المستوى الثقافي - كما اجملنا له في المحور الثاني من البحث - بيد أنه يعتقد أيضاً باشتراك البشر في الضمير الإنساني كما يظهر جلياً في تصدر الضمير لعنوان كتابه مغامرة الإسلام الضمير والتاريخ في حضارة عالمية الذي يشكّل أحد المتبنيات المهمة لأفكاره التي سيكون الكلام عنها وفق الآتي:

### أولاً: المسؤولية الأخلاقية الفردية في خطاب الامام الرضا (عليه السلام)

يقدم هود جسون قراءات متعددة لفحوى الإسلام فمنها ما قدّمناه حول الحضارة الإسلامية، ومنها ما يتعلّق بالمثّل العليا التي حاول المسلمون تطبيقها في الواقع التاريخي، فمبدأ المسؤولية الأخلاقية التي يكون الفرد المسلم بموجبها مسؤولاً أمام الله بوصفه فرداً، فحتى لو تولى المسلم منصباً في الدولة فإنّ المسؤولية التي تُضاف اليه نابعة من مبدأ التعاقد، وهي مسؤولية لا تعفي مجتمع المسلمين من القيام بالمسؤولية لو قصر في أدائها (هودجسون، ٢٠٢١، مج ١، ص ٣٦) فقد ورد في الحديث قوله صلى الله عليه واله وسلم: (كلّكم راع وكلكم مسؤول فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته والرجل راع على اهل بيته وهو مسؤول....) (ابن حنبل، د، ت، ج ٢، ص ٥) فكل إنسان مأمور بالعدل في رعيته على جميع الأصعدة سواء أكانت بأمور الدولة السياسية أم الأسرة والمجتمع. (السرخسي، ١٩٨٦، ج ٥، ص ٢١٧) وهذا يتبيّن جلياً في عهد الامام علي (عليه الصلاة والسلام) لعامله على مصر مالك الأشتر حين ولاه<sup>٢</sup> وتضمن عهده هذا الشعور الفردي في التعاقد حيث

١ الأبيستولوجيا و الامبريالية الثقافية: هما مفهومان قد لا يتشابهان كلياً فالأبيستولوجيا هي دراسة الطريقة التي يتم بها الحصول على المعرفة والمعنى والقيم في الثقافات المختلفة اما الامبريالية الثقافية فهي عادة ما تعرف بالنفوذ الثقافي لدولة معينة على الاخرين.

٢ من جملتهم غوستاف لوبون، زيغريد هونكه، آن ماري شمبل، آدم منتز، وغيرهم

٣ تولى مالك الأشتر مصر في عهد الامام علي عليه السلام وبعث بيده عهداً يتضمن البنود الإسلامية الشرعية التي يحكم بها الخليفة العادل مع رعيته، لكنه قتل في الطريق قبل ان يتولى الحكم في سنة ثمان وثلاثين من الهجرة. (ابن الداوداري، ١٤٣٢م، ج ١٣، ص ٣٨٣)

يضمن كلامه مسؤولية الفرد - كحاكم - أمام الله أولاً ثم مع الشعب ثانياً حيث قال له من جملة العهد: "وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكوننّ عليهم سبُعاً ضارياً تُغتنم أكلهم) كما أنّه يُردف القول بإضافة نقطة أخرى على المسؤولية الأخلاقية الفردية في الحضارة الإسلامية وهو مبدأ المساواة الذي يربطه بالشأن السياسي الذي تؤسس الشريعة كونها ترسم البعد الإنساني للمجتمع وتريد من الحاكم ان يكون متساوياً مع افراد المجتمع لا متحكماً بهم (هودجسون، ٢٠٢١، مج ١٣٦) علماً إن هذا المبدأ رسمته جلياً سياسة الامام علي (عليه الصلاة والسلام) الذي تجسّد في العهد أيضاً بقول الإمام: "فانهم صنفان اما اخ لك في الدين او نظير لك في الخلق" (ابن ابي الحديد، د. ت، ج ١٧ ص ٣٢).

وفي مجال هذا التأسيس الأخلاقي الذي يؤسس له المستشرق هودجسون فانه يتطرق لمسألة غاية في الأهمية عن العلم الإلهي الذي يمتلكه الأئمة ومنهم الامام علي بن موسى الرضا(عليه السلام) \_ في مستعرض الحديث عن تسلسل الأئمة في الفكر الشيعي \_ محاولاً تخطي الكلام الكلاسيكي الذي عهدناه عند الباحثين أو الكتاب سواء أكانوا مستشرقين أم من دائرة الإسلام، حيث يصرح بأنّه كان على الناس ان "يقروا بوجود تدخل إلهي أكثر فاعليّة ونشاطاً على الأقل لحماية الإمام من أن يتلقى تعليماً خاطئاً في سنوات نشأته وربما بطرائق أكثر قطعية عبر كتاب سحري يحوي كل العلوم ويبقى في عهدة الإمام وحده أو ببساطة أكثر عبر الإلهام الإلهي؛ أو حتى عبر وجود جوهر ميتافيزيقي للإمام انغرس فيه النور الإلهي فبات يعرف الحق بطبيعته وحدها" (هودجسون، ٢٠٢١، مج ١ ص ٦١٩).

ولكون الامام لم يتلق تعليماً خاطئاً انما أخذ تلك الفيوضات عن طريق السلسلة الذهبية التي ينتمي اليها قادت به أن يكون رمزاً ونموذجاً يُحتذى في مجال الأخلاق فضلاً عن المجالات التكاملية الأخرى وبغض النظر عن الموضوعات الكبرى التي اسهم بها الإمام في مجال العقيدة والشريعة، وفقه القرآن، والحديث، فهناك مآثورات رضوية في مجمل شؤون الأخلاق والسلوك وردت في سيرته المباركة منها على سبيل التمثيل ما ورد في الحث على العمل ونبذ الكسل، وطلب الرزق، والدعوة الى بر الوالدين، وصلة الرحم، ورعاية الاخوان في الدين، وما يرتبط بحسن السيرة وطيب المعاشرة ولين الجانب مع الناس فالمروري عنه عليه السلام في هذا الجانب كثير جداً وكله مُنتج الى تربية النفس، وصفاء الروح، ونقاء الضمير، وتعميق الأخوة والإنسانية التي تشيع الخير، وتشد الوشائج، وترص الصفوف (ال ياسين، ٢٠١٢، ٤٨٤).

ففي مجال خطابه الأخلاقي الذي يسعى نحو توسيع دائرة التآخي بين الناس ومقابلة الأساءة بالإحسان التي كانت تجسيدا لحُلق القرآن الكريم متمثلاً بقوله تعالى: وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٍ سورة فصلت الآية ٣٤

فبعد أن فرض عليه المأمون ولاية العهد يظهر في الرواية، إنّه احتاج إلى الحمام ففكره أن يأمر أحداً بتهيئته له، ومضى إلى حمام في البلد لم يكن صاحبه يظن أن ولي العهد يأتي إلى الحمام في السوق فيشغل فيه، وإنما حمامات الملوك في قصورهم، وعند دخول الإمام كان فيه جندي، فإزاله عن موضعه وأمره أن يصبّ الماء على رأسه، ففعل الامام ذلك ودخل الحمام رجل كان يعرف الامام فصاح بالجندي هلكت، أستخدم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فذعر الجندي، ووقع على الإمام يقبل أقدامه ويتضرع اليه غير أن الامام لم يكن

١ ابن ابي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين أبو حامد (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)، شرح نهج البلاغة، تخ: محمد أبو الفضل إبراهيم، د. ط(القاهرة، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، د. ت) ج ١٧ ص ٣٢.

ليحسسه بذنبه بقدر ما كان يريد أن يُحيي شرع الله وسنة نبيه (القريشي، ١٣٧٢ ش، ص ١١)، حيث كان للرضا (عليه السلام) سياسته المشرقة، ومنهجه النير في عالم الحكم والسياسة فهو يرى ان الحكم يجب أن يكون وسيلة لإقامة العدل الخالص والحق المحض ونشر المحبة والالفة بين الناس ولا بد ان يكون أداة لانعاش الشعوب (القريشي، ١٣٧٢ ش، ص ١١)، فهو بهذا السلوك النبوي يرفع الشبهات والضلالات التي اثارها الجاهلون على الأئمة وعلى دين التوحيد الذي جاء به سيد الرسل ليعيده إلى جادته في عصر المأمون الذي تلاشت فيه تلك القيم السامية (الفراتي، ٢٠٠٤، ص ٣٥٨)

ان عملية بناء الخلق ليست بالعملية الهينة فهي بناء مجتمع بطريقة صعبة من خلال إعطاء ما تحب لغيرك وهذا قمة التفاني في بناء الذات والنهوض بالمجتمع حيث جاء في شواهد ما اسند اليه من توجيه نحو بناء الخلق الكريم بمعناه الواسع الشامل قوله وقد سُئل عن خيار العباد: "الذين إذا احسنوا استبشروا، وإذا أسأؤوا استغفروا، وإذا أعطوا شكروا، وإذا ابتلوا صبروا، وإذا غضبوا عفوا" (ابن شعبة الحراني، ١٩٦٣، ص ٣٣٢) فهذا صُنع واضح وحركة فاعلة باتجاه اصلاح المجتمع وفق المنظومة الأخلاقية وهي ترتبط ارتباطا مباشرا بما نادى إليه المستشرق مارشال هود جسون في كتابه مغامرة الإسلام بما عُرف عنه أنه تمسك برؤية أخلاقية للتاريخ من خلال اعتقاده بأن كل البشر موجودين في العالم معاً يجمعهم تاريخ مشترك أكثر أهمية من الفروقات والخلافات، وأن الفرد ليس مجرد موضوع متغير تابع في حركة التاريخ بل هو فاعل مكين في التغيير (هودجسون، ٢٠٢١، ص ١٣)، ونجد هذا التمكين جليلاً من خلال حركة الامام الرضا(عليه السلام) في المجتمع

### ثانيا: الاخلاق وتأسيس قانون الضبط الاجتماعي

نجد ان ضبط المجتمع بقوانين الشريعة السماوية أحد أهم الركائز التي أخذت مساحةً من إصلاحات النبي الكريم صلى الله عليه واله وسلم ومن دون شك أنّ المجتمع وقتذاك كان يجمع تناقضات عدة فعلت فعلها بالمجتمع وسلوكه حيث كان الغنى الفاحش إلى جانب الفقر المدقع الذي تجد فيه أناساً لا يستطيعون أكل الخبز لغلائه (علي، ١٩٧٠، ص ٧٩) وكانوا يستأدمون بالودك (علي، ١٩٧٠، ص ٨١) وكما كان الشرف والعزة والشهامة كانت قبالة ممارسات الفحش والبعاء والفجور و المخادنة والمضامدة (علي، ١٩٧٠، ص ١٤١) وإذا ما اردنا أن نقرب من هذا الواقع أكثر نجد أن المستشرق المجري جولد زهير (Goldziher 1850-1920) يُعتبر عن ذلك بعرضه لتلك الحياة من أنّ النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم قد ولد في مركز عبادة الأوثان والأصنام وسط المادية وكبراء الجاهلية، فأخذ يشكو من اضطهاد الفقراء وطمع الأغنياء، وسوء المعاملة، وعدم المبالاة بالصالح العام، وواجبات الحياة الإنسانية والأشياء الفاضلة، وعلى هذا الأساس فقد انساق ضد العقلية الدينية والأخلاقية لقومه الأقربين والأبعدين (جولد زهير، د. ت، ص ١٣) وقريب من هذا المعنى نجد أن المستشرق الألماني كارل بروكلمان (Carl Brockelmann 1868-1956) يؤكد على أنه يتعذر ان يعيّن العربي في تنظيم سياسي قائم على الاستقرار، حيث المجتمع الذي تشكل فيه الصلة الدموية - النسب - المعين الوحيد على مواجهة اضطراب الحياة (بروكلمان، ١٩٧٧، ص ١٧) وعلى هذا الأساس فإنّ المستشرق الفرنسي كلود كاهن (Claude Cahen 1909-1991) يُصرّح بأن النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم "كانت له صرامة أخلاقية، فكان من الطبيعي أن تحمله هذه الخلقية الرفيعة على مكافحة بعض

الظواهر الاجتماعية التي كان يراها عيوباً في مجتمعه" (كاهن، ٢٠١٠، ص٣٨) وعلى تراجع المجتمع في العصر العباسي خصوصاً فيما يتعلق بالمنظومة الأخلاقية التي رجع فيها التمايز الطبقي بين فئات المجتمع وأخذ شرح المفارقات يزداد هوةً من خلال التمييز بين العرق والنسب والشرف وسط ازدياد الموالي والخدم والجواري والتفريق بينهم وجعلهم الطبقات الدونية من المجتمع نجد ان الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام) راح يؤسس إلى إعادة اشغال هذه المنظومة عن طريق تجديد التشريع الذي جاء به النبي الخاتم (عليه السلام) ورفع شعار المجتمع الواحد ومخالطة اجناس المجتمع أياً كان من دون تمييز او تفريق وإلى هذا ورد عنه عليه السلام أنه كان إذا جلس على مائدة أجلس عليها مماليكه حتى السائس والبواب (الخبوشاتي، ١٣٩٢ش، ج١ص٤٨) وهذا يُعطي رسالة إلى متمردي عصره بان يستفيقوا ويلزموا جادة الشريعة السمحاء.

وهذا يدلنا بوضوح أن تعامل الإمام مع الناس بالتواضع وطيب الخُلُق يساعد على بناء مجتمع واع متسامح متربط بأحكام الشريعة التي جاء بها الرسول الاكرم عليه واله الصلاة والسلام حيث ينقل إبراهيم بن العباس قوله: "ما رأيت أبا الحسن الرضا جفاً أحداً بكلامه قط، وما رأيت قطعه على أحد كلامه حتى يفرغ منه، وما ردّ أحداً عن حاجة يقدر عليها، ولا مدّ رجله بين يدي جليس له قط، ولا اتكأ بين يدي جليس له قط، ولا رأيت شتم أحداً من مواليه ومماليكه قط، ولا رأيت تفل قط، ولا رأيت يقهقه في ضحكته قط، بل كان ضحكته التبسم". (الخبوشاتي، ١٣٩٢ش، ج١ص٤٥) ومن الانطلاقة التي فرضها المستشرق مارشال هودجسون في نظريته وهو يستعرض سيرة الرسول الاكرم ﷺ بأنه كفرد وعن طريق الخطاب الأخلاقي تمكن من صُنع أمة - وفق المعطيات، والشواهد التي يطلقها بنظره - وكشاهد حي على ذلك فإنّ محمداً صلى الله عليه واله وسلم استطاع أن يرسى نظاماً أخلاقياً جديداً وهو يبداً حياته الجديدة في المدينة استطاع عن طريقه ان يعزّز الروابط الاجتماعية ويحلل التعايش السلمي بين الأفراد وكذا الحال في باقي السيرة النبوية التي انطلقت من محمد الانسان الفردي إلى التعامل الجمعي مع الناس وهذا ما كان واضحاً في خطاب الإمام الرضا (عليه السلام) مع أهل عصره وتواضعه لهم في الحديث السابق الذكر (هودجسون، ٢٠٢١، ٣، ٤٨).

### ثالثاً: مناظرات الإمام الرضا(عليه السلام) مع أهل الأديان والمقاربات الأخلاقية

من جميل ما أثاره المستشرق أرفنج هو التشابه بين الديانتين الاسلامية والنصرانية في التعاليم الانسانية التي تشكل الاطار العام للحياة العامة التي ارادها الله تبارك وتعالى، حتى لنجد قسماً من المستشرقين يتوافق الرأي معه كما ذهب لذلك المستشرق الانكليزي جون باغوت غلوب (John Bagot 1897-1986 Glubb) الذي أراد تصحيح نظرة الغرب على العرب وهي اتهامهم بالتعصب الديني على المسيحيين وغير المسيحيين من ابناء الديانات الاخرى وحاول التأكيد على التسامح الذي جاء به الاسلام (جلوب، ١٩٦٦، ص١١).

في حين نجد ان اجمل مظاهر التسامح تثبت جليةً في الباب الثاني عشر من كتاب عيون اخبار الرضا (عليه السلام) المتعلق بذكر مجلسه مع أهل الأديان وأصحاب المقالات في التوحيد عند المأمون وما جرى فيها من نقاش علمي وحوار هادئ خال من التعصب أو الازدراء بقدر ما كان يريد إقامة البيّنة وأظهار الحجة (ابن بابويه القمي، ١٣٧٧ش، ج١ص٥٤)، فالاعتماد على النصوص المتسالم عليها - سواء أكان القرآن الكريم أم التوراة والإنجيل - لهي من الأمور التي تُفضي إلى التسالم والتواد بين الأطراف التي هدفها بيان الحجة وهذا ما فعله الأمام الرضا (عليه السلام) مع أقطاب الديانات الأخرى حيث بيّن لهم الهدف من إرسال الرسل وهداية الناس



وكيف كانت مكارم الأخلاق هي المحل الأسمى الذي من أجله شرّعت الشرائع وأقيمت الأحكام فمما رواه الشيخ المجلسي (قد) في بحار الأنوار في احتجاج الامام على جاثليق النصارى إنما كان في أحد موضوعاته هو اثبات ذكر اسم محمد (عليه السلام) في الانجيل ويعد ان تم اثباته بين لهم الهدف من رسالته هو أن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيبات ويُحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم يهدي إلى الطريق القويم، والمنهاج العادل، والصرّاط الواضح، وأن النبي الكريم عيسى (عليه السلام) لم يكن إلاها وإنما هو بشر مثل النبي الكريم محمد (عليه السلام) عُرف بإنسانيته ودعوته إلى طريق الهدى (ابن بابويه القمي، ١٣٧٧ ش، ج ١ ص ١٥٩) ، وما هذه إلا أحد مصاديق التعاليم الإنسانية والافعال الأخلاقية التي جاءت بها الأديان التي خرجت من مشكاة واحدة. (المجلسي، ٢٠١١، مج ٢٥ ج ٤٩ ص ٤٥) وكان من ضمن ثمار تلك المقاربات الأخلاقية بين أهل الأديان والأمم الرضا (عليه السلام) في كثير من الأحيان إلى أن يسلم هؤلاء نظراً لقوة الحجّة عند الإمام ولكونه يظهر الارتباط الوثيق والتلاقي الأخلاقي بين الإسلام والأديان الأخرى (المجلسي، ٢٠١١، مج ٢٥ ج ٤٩ ص ٩٩) .

ويُردف المستشرق بودي في كتابه (حياة محمد الرسول) إن عقيدة الاسلام تميزت بكونها دعوة الى السلام والى التسليم بإرادة الله والايمان بوحدانية وفي إن الإسلام انما انتشر بين العرب مقارناً بغيره من الأديان لعدة من الاسباب كان من اهمها ان محمدا لم يدع لنفسه صفةً الهيئيةً وأنه صرح كثيرا بانه بشرا يوحى اليه، وعدم دعوته لعبادة نفسه (الشحوذ. د. ت، ج ٥ ص ١٨٧).

### الخاتمة

تشكل الثقافة علامة فارقة في البعد الإنساني للحضارة الإسلامية حيث شملت جوانب كثيرة وأشربة متنوّعة شغلت الأخلاق جانباً هاماً وكبيراً منها لأنها تنطلق من الإنسان باعتباره المحرك الأساس لها، حيث تمثل الأخلاق البعد الروحي والجوهر الحقيقي الذي تقوم عليه الدول في نشأتها، وصورتها عبر الحقب التاريخية، وفي عين الوقت تكون سر بقائها، وخلودها عبر تاريخ الأجيال، وبطبيعة الحال إذا غار هذا الجانب أُنذرت جوانب الحضارة بالخطر أو الزوال، ولا نغالي اذا قلنا إن ما شهدته الحضارة الإسلامية من أخلاق وقيم قد فاقت نظيراتها من الحضارات الأخرى، وذلك بفضل الإسلام، والشريعة السمحاء، وما اوصت به من الأخذ بتلك القيم النبيلة، ولذا أضحت مثار اهتمام للغربيين ومنهم المستشرقين فراحوا يجسدونها بكتبهم، وتأليفهم، غير أنهم اغفلوا الجانب الخاص بأهل البيت عليهم السلام لاسيما منهم الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) ، نعم تناولوه في بعض الكتب والمصنفات إلا انها جاءت تهتم بالعرض التاريخي لا غير، فحاولنا جاهدين أن نفتش على أثر أهل البيت عليهم السلام في الحضارة الإسلامية وما كان الدور الفاعل لهم في تلك النهضة لا سيما فيما يتعلق بالجانب الثقافي.

ظهر من خلال الدراسة الالفظة الذكران الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) كان يؤسس إلى إعادة تأهيل المنظومة المجتمعية عن طريق تجديد التشريع الذي جاء به النبي الخاتم (عليه السلام) ورفع شعار المجتمع الواحد ومخالطة اجناس المجتمع أيا كان من دون تمييز او تفريق بعدما انحرفت تلك المنظومة عن جادتها المرتاة. كما تبين من خلال البحث أن سياسة الامام الرضا (عليه السلام) ، ومنهج في عالم الحكم أنه يجب ان يكون وسيلة لإقامة العدل ونشر المحبة بين الناس ويجب ان يكون وسيلة لنهضة الشعوب فراح يرفع

الشبهات التي اثارها المتطفلون على الأئمة وعلى الشريعة السمحاء في عصر تلاشت فيه القيم النبيلة والأخلاق الفاضلة.

ومن دون ريب فإن الإمام أعطى اجمل مظاهر التسامح عن طريق مجالسة أهل الأديان وأصحاب المقالات وبين من خلال النقاش العلمي والحوار الهادئ الذي يخلوا من التعصب أو الازدراء بذلك أن الأساس الأخلاقي أساسا متينا ترتبط به كل الأديان وتنتقل منه في بناء الانسان الأمر الذي اذعن إليه رموز الأديان الأخرى واعلن قسم منهم اسلامهم.

### قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم

آل كاشف الغطاء، محمد حسين. ٢٠٠٦. اصل الشيعة واصولها مقارنة مع المذاهب الأربعة. ط١. اعتماد الكاظمي. طهران.

ابن بابويه القمي، ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى (ت ٣٨١هـ) . ١٣٧٧هـ عيون اخبار الرضا عليه الاف التحية والثناء. جاي خانه دار العلم. قم.

بدوي، عبد الرحمن. ١٩٨٦م. موسوعة المستشرقين، ط١. دار العلم للملايين. بيروت.

بروكلمان، كارل. ١٩٧٧م. تاريخ الشعوب الإسلامية. ط٧. دار العلم للملايين. بيروت.

توينبي، أرنولد. ج. ١٩٥٥م. بحث في التاريخ. مطبعة التفيض الاهلية. بغداد.

جرونيباوم، جوستاف. حضارة الإسلام. مطبعة الفحالة. القاهرة.

جلوب، جون باجوت. ١٩٦٦م. امبراطورية العرب. ط١. دار الكتاب العربي. بيروت.

جولد زيهير، اجناس. العقيدة والشريعة في الإسلام تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الإسلام. ط٣. دار الكتاب العربي. مصر.

ابن ابي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين أبو حامد (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) . شرح نهج البلاغة. دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه. القاهرة.

ابن حنبل، أبو عبد الله احمد بن محمد الشيباني (٥٢٤١/٨٥٥م) . مسند احمد. دار صادر. بيروت.

الخبوشاتي، عزيز الله العطاردى. ١٣٩٢هـ ق. مسند الامام الرضا عليه الصلاة و السلام. بازار جنب مسجد سلطاني. طهران.

ابن الداوداري، أبو بكر بن عبد الله بن آبيك (توفى بعد سنة ٧٣٦هـ/٤٣٢م) . كنز الدرر وجامع الغرر. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. القاهرة.

رودلف، شتر وتمان. ٢٠١٥م. موسوعة دائرة المعارف الإسلامية. ط١. مركز الشارقة. بيروت.

ريشار، يان. الإسلام الشيعي عقائد وايدولوجيات. دار عطية للنشر والتوزيع. بيروت.

السرخسي، أبو بكر محمد بن ابي سهل (٥٤٩٠/١٠٩٠) . ١٩٨٦م. المبسوط. دار المعرفة. بيروت.

سلفا توري، ارماندو. ٢٠٢٢. تاريخ الإسلام. ط١. الشبكة العربية للأبحاث والنشر. بيروت.

ابن شعبة الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين (من اعلام القرن الرابع الهجري) . ١٩٦٣م. تحف العقول عن ال الرسول. المطبعة الحيدرية. النجف الاشرف.

- صاحب، احمد حسن و حسن. نضال سعيد. ٢٠٢٣. "عقائد الشيعة الامامية من منظور المستشرق يان ريشار". مجلة كلية الامام الكاظم عليه السلام: ٤: ٧: ٥٨.
- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ). كتاب الغيبة. ط ١. منشورات الفجر. بيروت.
- علي، جواد. ١٩٧٠م. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. ط ١. دار العلم للملايين. بيروت.
- الفراتي، الشيخ فاضل، ٢٠٠٤م. المنتخب من سيرة المعصومين عليهم الصلاة والسلام. ط ١. دار الأمين. بيروت.
- فلوتن، فان. ١٩٣٤. السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني امية. ط ١. السعادة. مصر.
- القرشي، باقر شريف. ١٣٧٢ش. حياة الامام الرضا عليه السلام. انتشارات سعيد بن جبير. قم المقدسة.
- كاهن، كلود. ٢٠١٠م. الإسلام منذ نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية. ط ١. مركز دراسات الوحدة العربية بيروت.
- كريم، فارس حسون. ٢٠١٠م. امل الثقليين على لسان العسكريين عليهما الصلاة والسلام. ط ١. مكتبة فذك. ايران.
- كريم، فون. ١٩٤٧. الحضارة الاسلامية ومدى تأثيرها بالمؤثرات الاجنبية. دار الفكر العربي.
- لوبون، غوستاف. ١٩٦٤م. حضارة العرب. ط ٤. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. القاهرة.
- المجلسي، محمد باقر. ٢٠١١م. بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار. ط ٢. الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت.
- هالم، هاينس. ٢٠١١. الشيعة. الوراق للنشر المحدودة. بيروت.
- هودجسون، مارشال. ٢٠٢١. مغامرة الإسلام الضمير والتاريخ في حضارة عالمية. ط ١. الشبكة العربية للأبحاث والنشر. بيروت.
- هونكه، زيغريد. ١٩٨٠م. شمس العرب تسطع على الغرب. ط ٤. دار الافاق الجديدة. بيروت.
- ال ياسين، محمد حسن. ٢٠١٢م. سيرة الأئمة الاثني عشر. ط ١. دار المؤرخ العربي. بيروت.
- ي، هل. ١٩٥٦. الحضارة العربية. مكتبة الانجلو المصرية. القاهرة.

## اهمية توحيد الخطاب الديني ودور الحوار في تعزيز التعايش السلمي: نظرة فكرية معاصرة الامام الرضا عليه السلام انموذجا

ا. د. عمار باسم صالح<sup>١</sup>

ا. م. د. محمد فرحان عبيد النائلي<sup>٢</sup>

### الملخص

أكد البحث ان للحوار اذن ضرورة حتمية لا بد منها، لاجل التعريف بالنفس، ورفع اللبس، والتعرف على الآخر المخالف دون بخس، ولتحقيق التعارف والتعامل والتفاهم الإيجابي والتعايش السلمي مع الآخرين لا بديل عن المحاوره التي تقرب العلاقات الودية بين المختلفين دينياً، أو فكرياً و سياسياً أو قومياً. وبعد فالحوار هو طرح الرأي وعرض المعتقد والاستدلال عليه، ثم الاستماع إلى عرض الآخر ومعتقده وأدلته، من أجل إيضاح الحق وإقامة الحجّة، في مناخ يغلب عليه الهدوء، بين ثنائية التأثير والتأثر مع بقاء الاختيار، فما التقت فتتان قط الانصر اعظمهما عفوا. عالج البحث الى إن مفهوم الحوار هو طرح الرأي وعرض المعتقد والاستدلال عليه، ثم الاستماع إلى عرض الآخر ومعتقده وأدلته، من أجل إيضاح الحق وإقامة الحجّة، في مناخ يغلب عليه الهدوء، بين ثنائية التأثير والتأثر مع بقاء الاختيار. خلص البحث ان العيش المشترك مع الآخرين، لا يكون الأ بوجود الألفة والمودة، ولا يعيش الإنسان مع غيره إلا إذا وجد بينهما تفاهم ورغبة بعيشة مشتركة لاحتها الألفة تسودها المودة والثقة.

**كلمات مفتاحية:** حوار، خطاب، تعايش، سلم، فكر

### المقدمة

لا شك أنّ جانب التعامل مع غير المسلمين، والتعايش معهم من الأمور المهمة التي تتعلق بعقيدة المسلم، لذا لم يترك الإسلام هذا الجانب المهم مبهماً أو قابلاً للاجتهاد البشري المعرض للخطأ والهوى، بل تعامل معه بصورة من التاصيل الشرعي المحكم في الكتاب والسنة، وهذه الأحكام مضبوطة بمجموعة من الأصول والكلبيات والقواعد، فقد استطاع الإسلام أن يوجد تعايشاً فريداً بين أجناس مختلفة، وقدم المسلمون أبرز الصور في التسامح بينهم وبين الملل الأخرى، لا كما يزعم المتربصون بهذا الدين من أصحاب النوايا السيئة والنفوس الحاقدة، الذين يريدون تشويه الموقف الناصع للإسلام تجاه الملل الأخرى.

١ كلية العلوم الإسلامية / جامعة بغداد، عراق، Amar.saleh@cois.uobaghdad.edu.iq

٢ كلية الفقه / جامعة الكوفة، عراق، mohammedf.alnaaly@uokufa.edu.iq

إن مراجعة الكلام بين أثنين أو طرفين والتخاطب بينهما وتجاوب الأول للثاني والثاني للأول، وقد يكون هذا الحوار من قبيل الاستماع والنصح وتصحيح الخطأ وإقامة الدليل عليه وجواب أسئلته ورد مرادته دون فرض رأي أو عقيدة من أحد الجانبين، فصديق كل امرء عقله، وعدوه جهله. فالحوار اذن ضرورة حتمية لا بد منها، لأجل التعريف بالنفس، ورفع اللبس، والتعرف على الآخر المخالف دون بخس، ولتحقيق التعارف والتعامل والتفاهم الإيجابي والتعايش السلمي مع الآخرين لا بديل عن المحاوراة التي تقرب العلاقات الودية بين المختلفين دينياً، أو فكرياً و سياسياً أو قومياً. وبعد فالحوار هو طرح الرأي وعرض المعتقد والاستدلال عليه، ثم الاستماع إلى عرض الآخر ومعتقده وأدلته، من أجل إيضاح الحق وإقامة الحججة، في مناخ يغلب عليه الهدوء، بين ثنائية التأثير والتأثر مع بقاء الاختيار، فما التقت فثنان قط الانصر اعظمهما عفوا.

ولذلك يجب على الخطاب الديني المعاصر الابتعاد عن النَّسَّ الطائفي والدعوة إلى الوحدة والتقريب بين جميع المذاهب الإسلامية، تحت مظلة حب الوطن والتعايش السلمي، والإسلام دعا إلى الحوار للالتفاف حول المبادئ التي تجمع الإسلام مع الآخر، والتي تجمع على المبادئ الربانية العادلة، والسنن الكونية الثابتة، والمحبة الإنسانية المنشودة.

عالج البحث الى إن مفهوم الحوار هو طرح الرأي وعرض المعتقد والاستدلال عليه، ثم الاستماع إلى عرض الآخر ومعتقده وأدلته، من أجل إيضاح الحق وإقامة الحججة، في مناخ يغلب عليه الهدوء، بين ثنائية التأثير والتأثر مع بقاء الاختيار.

بين البحث الى اهمية الحوار ضرورة حتمية لا بد منها، لأجل التعريف بالنفس، ورفع اللبس، والتعرف على الآخر المخالف دون بخس، ولتحقيق التعارف والتعامل والتفاهم الإيجابي والتعايش السلمي مع الآخرين لا بديل الا بالمحاوراة التي تقرب العلاقات الودية بين المختلفين دينياً، أو فكرياً و سياسياً أو قومياً.

ان العيش المشترك مع الآخرين، لا يكون الأ بوجود الألفة والمودة، ولا يعيش الإنسان مع غيره إلا إذا وجد بينهما تفاهم ورغبة بعيشة مشتركة لحمتها الألفة تسودها المودة والثقة.

وبناء على ما تقدم جاء هذا البحث ليبيّن أهمية ودور الامام الرضا في ارساء التعايش والتسامح، في ظل متغيرات الواقع بتجلياته الكثيرة المختلفة.

من هنا جاءت فكرة البحث وترسخت أهميته فكان لا بد من إبراز الموقف الإسلامي المتمثل بالإمام الرضا في هذه القضية الحساسة التي تمس البشر جميعا في كل بقاع المعمورة وفي كل زمان، وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يأتي في مقدمة ومبحثين وخاتمة، تناولنا في المقدمة أهمية الموضوع وسبب اختياره، بينما تناول المبحث الأول تبيان مفردات البحث من حيث الحقيقة والمفهوم، والأطر العامة للتعايش، اما المبحث الثاني تناول اقوال الامام الرضا من تقريب وجهات التعايش لبعض المسائل حول اهل الذمة والقصاص، ثم ختم هذا البحث بخاتمة أوجزت فيها أهم ما توصلتُ إليه من نتائج، وأخيراً اسأل الله أنْ اكون قد وفَّقتُ في رسم صورة واضحة المعالم لهذا البحث الذي قد يُنظر إليه من زوايا متعددة، وأملني بالله كبير ألا تكون من بينها نظرة سطحية تحكم عليه، وصلى الله على النبي الأكرم محمد وآله وسلم تسليما كثيرا.

## المبحث الاول: الاطار المفاهيمي

## المطلب الاول: مفهوم الخطاب

للخطاب لغة معاني عدة نذكر من أهمها: الكلام<sup>(١)</sup>، يقول الله تعالى في محكم كتابه العزيز: {إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً وَلِي نَعَجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخُطَابِ} (٢).

أما في الاصطلاح فقد عرّفه الكرخي<sup>(٣)</sup>: بأنه الكلام المبين الملخص الذي يتنبه من يخاطب به ولا يلتبس عليه<sup>(٤)</sup>، أما الآمدي وأبو البقاء الكفوي فقد عرّفاه بأنه: اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهميه لفهمه<sup>(٥)</sup>، أما الزركشي فقال عنه<sup>(٦)</sup>: القرآن هو الكلام المنزل للإعجاز بآية منه المتعبد بتلاوته<sup>(٧)</sup>، والكوراني يعرفه<sup>(٨)</sup>: - بأنه توجيه الكلام نحو الغير للإفهام أو للغير المتهميه للفهم<sup>(٩)</sup>.

## المطلب الثاني: مفهوم الحوار لغة واصطلاحاً

الحوار لغة: هي الرجوع عن الشيء إلى الشيء؛ فيقال حار إذا رجع، قال تعالى: (إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَخُورَ) (١٠)؛ قال القرطبي: "أي لن يرجع حياً مبعوثاً... فالحوار في كلام العرب الرجوع"<sup>(١١)</sup>.

فالحوار من (خَوَّرَ)، وهو الرَّجُوعُ عَنِ الشَّيْءِ إِلَى الشَّيْءِ، حاز إلى الشَّيْءِ وَعَنْهُ خَوَّرًا وَمَحَارًا وَمَحَارَةً وَخَوَّرًا: رَجَعَ عَنْهُ وَإِلَيْهِ. (١٢). وفي لسان العرب: تقول كلمته فما أحار إليّ جواباً وما رجعت إليّ خويراً ولا خويرة ولا محورة ولا جواراً، أي ما ردّ جواباً، واستنطه أي: استنطقه، وأحار عليه جوابه: رده، وأخزرت له جواباً وما أحار بكلمة، والاسم من المُحَاوَرَةِ الخَوِيْرُ تقول سمعت خويهما وجوارهما، والمُحَاوَرَةُ المجاوية، والتَّحَاوُرُ التجاوب، وفي حديث علي (ع) نَجَحْتَنِي يَرْجَعُ إِلَيْكُمَا ابْنَاكُمَا بِخَوْرٍ مَا بَعَثْتُمَا بِهِ إِلَيَّ رَسُولَ اللّٰهِ (١٣)، أي بجواب ذلك، وفي حديث سطيح: فلم يُجِزْ جواباً<sup>(١٤)</sup> أي لم يرجع (١٥).

أما اصطلاحاً فالحوار "هو أن يتناول الحديث طرفان أو أكثر، عن طريق السؤال والجواب، بشرط وحدة الموضوع أو الهدف، فيتبادلان النقاش حول أمر معين، وقد يصلان إلى نتيجة، وقد لا يقنع أحدهما الآخر، ولكن السامع يأخذ العبرة ويكون لنفسه موقفاً"<sup>(١٦)</sup>.

(١) - العين (٢٢٢/٤)؛ لسان العرب (٣٦١/١)؛ المصباح المنير (٧٣٣/١)؛ المعجم الوسيط (٢٤٣/١).

(٢) - سورة ص، آية (٢٣).

(٣) - عبد الله بن الحسين بن دلال بن دلهم أبو الحسن الكرخي، انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة بعد أبي خازم وأبي سعيد البرادعي، ت. ٣٤٤هـ. طبقات الحنفية ج/٣٣٧.

(٤) - قواعد الفقه ج/ص ٤١٣.

(٥) - الإحكام للأصدي ج/ص ١٣٦؛ كتاب الكليات ج/ص ٤١٩.

(٦) - الزركشي: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين: عالم بفقهاء الشافعية والأصول. تركي الأصل، مصري المولد والوفاة. له تصانيف كثيرة في عدة فنون، منها (البحر المحيط)، و (إعلام الساجد بأحكام المساجد). توفي سنة (٧٩٤هـ).

الأعلام للزركلي: ٦١-٦٠.

(٧) - البحر المحيط: ٤٤١.

(٨) - أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن أحمد بن رشيد بن إبراهيم شرف الدين الشهر زوري الكوراني ثم القاهري عالم بلاد الروم ولد في سنة ثلاث عشرة وثمانمائة بقرية من كوران مات في أواخر رجب سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة، الضوء اللامع ج/ص ٢٤١.

(٩) - التحرير شرح التحرير ج/٣٨٠.

(١٠) - سورة الإنشقاق: ٤.

(١١) - تفسير القرطبي، ١٩/٢٧٣.

(١٢) - لسان العرب، ابن منظور، مادة (حور) ٢١٧/٤.

(١٣) - أخرجه مسلم، كتاب الكسوف، باب ترك استعمال آل النبي على الصدقة، ٢/٧٥٤: (١٠٢).

(١٤) - حديث سطيح إنما المروري في كتب الحديث: أنّ رسول الله (ﷺ) خَرَجَ يَخُودُ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَصَّغَ بَدَهُ عَلَى جُنْهَيْهِ فَقَالَ: كَيْفَ تَحْمُكُ؟ فَلَمْ يُجِزْ إِلَيْهِ شَيْئًا، أخرجه البزار في مسنده، باب حديث سليمان ٤٨٠/٦ (٢٥١٢). والطبراني في المعجم الكبير، (٦١٨٥).

(١٥) - ينظر: لسان العرب، مادة "حور" ابن منظور ٢١٨/٤.

(١٦) - أصول التربية الإسلامية في البيت والمدرسة والمجتمع، عبدالرحمن النحلوي، ٢٦.

ومنهم عرفه: "بانه نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب"<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثالث: التعايش لغة واصطلاحاً

أولاً: التعايش لغة: العَيْشُ الحَيَاةُ، عاشَ يَعِيشُ عَيْشاً وَعَيْشَةً وَمَعِيشاً وَمَعِيشَةً. قال الجوهري: كلُّ واحد من قوله (مَعِيشاً وَمَعِيشَةً) يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مُصَدِّراً وَأَنْ يَكُونَ اسماً<sup>(٢)</sup>.

يقال عاش عيشاً وعيشة ومعاشاً صار ذا حياة فهو عايش، (أعاشه) جعله يعيش يقال: أعاشه الله عيشة راضية. العيش: الحياة<sup>(٣)</sup>.

والمَعاشُ والمَعِيشُ والمَعِيشَةُ: ما يُعاشُ به، المعيشَةُ: الذي يعيش بها الإنسان من مطعم ومشرب وماتكون به الحَيَاةُ، فهي اسم لما يُعاشُ به، وهو في عيشة ومعيشة سالحة<sup>(٤)</sup>، قال تعالى في أهل الجنة: (فَهُوَ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ)<sup>(٥)</sup>.

فقبول العيش مع الآخرين ومداراتهم في الحياة: "يقال له: عايشه أي عاش معه، و(عيشه) أي أعانه على العيش، وتعايشوا: أي عاشوا على الألفة والمودة، ومنه التعايش السلمي"<sup>(٦)</sup>، والمجتمع المتعايش: مجتمع متعدد الطوائف يعيش أهلها في تعايش ووثام وتساكن وتوافق داخل المجتمع على الرغم من اختلافهم الديني والمذهبي. التعايش السلمي: تعبير يراد به خلق جو من التفاهم بين الشعوب بعيداً عن الحرب والعنف<sup>(٧)</sup>، ولفظة السلم جاءت بمعنى: الصلح، والإسلام، ومقابل الحرب السلام، والبراءة من العيوب، والأمان والتحية، ودار السلام الجنة<sup>(٨)</sup>. قال تعالى: (لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)<sup>(٩)</sup>

التعايش هو "إرادة أهل الأديان السماوية والحضارات المختلفة في العمل من أجل أن يسود الأمن والسلام العالم، وحتى تعيش الإنسانية في جو من الإخاء والتعارف على مافيه الخير الذي يعم بني البشر جميعاً دون استثناء"<sup>(١٠)</sup>.

"إن التعايش كلمة تعني العيش المشترك مع الآخرين، ولا يكون الأُبُوجُود الألفة والمودة، ولا يعيش الإنسان مع غيره إلا إذا وجد بينهما تفاهم ورغبة بعيشة مشتركة لحماتها الألفة تسودها المودة والثقة"<sup>(١١)</sup>.

(١) في أصول الحوار، ص ١١.

(٢) ينظر: مادة (عيش) في مقاييس اللغة، ١٩٤/٤، ولسان العرب ٣٢١/٦.

(٣) المعجم الوسيط، ٦٣٩. القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ٥٩٩/١.

(٤) القاموس المحيط، الفيروزآبادي ٦٤٠.

(٥) سورة الحاقة: ٣١، وسورة القارعة: ٧.

(٦) القاموس المحيط، الفيروزآبادي ٦٣٩.

(٧) معجم الغني، عبد الغني أبو العزم، موقع صخر العربية. الرابط: <http://qamoos smkhr. com/openme. asp>.

(٨) لسان العرب، مادة سلم ١١٢٢/١، والمعجم الوسيط/٤٤٦.

(٩) سورة الأنعام: ١٢٧.

(١٠) ينظر: الحوار من أجل التعايش، د. عبدالعزيز بن عثمان التويجري، ص ٧٦.

(١١) الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب، هاني المبارك والدكتور شوقي أبو خليل، ص ١٢.

والتعايش: هو قبول الحياة المشتركة لنفسك ولأخيك الإنسان حياةً تتميز بالفرض المتساوية للطرفين، واخضاع جميع الإمكانات من مصادر العيش والكرامة والأرزاق، وعدم مضايقته في العيش والمعيشة، وقبول دينه ومعتقده، مثل قبول حياته ومعيشته.

بمعنى آخر: هو العيش والسلام بين الإنسان ونفسه، وبين الإنسان وأخيه الإنسان في دينه، وأخيه الإنسان المؤمن في دين آخر، بين الإنسان والإنسان مهما كان هويتها بإعتبارهما كائنان مكرمان من الله تعالى، بإعتبارهما إينا آدم (U) ، ولقد كرم الله بني آدم أجمعين، كما يقول تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) <sup>(١)</sup>.

## المبحث الثاني: أقوال الامام الرضا في التعايش لبعض المسائل حول اهل الذمة والقصاص

### المطلب الاول: التسامح

الإسلام دين الرحمة والمودة، والأمانة، فالوصية أمانة يجب إيصالها إلى صاحبه، حتى وإن كان ذمياً- فالراجح ما قاله اغلب فقهاء المسلمين من صحة الوصية للذمي حتى وإن كان أجنبياً.

فقد روى علي بن إبراهيم عن أبيه عن الريان بن شبيب قال: أوصت ماردة لقوم نصارى فراشين بوصية فقال: أصحابنا إقسم هذا في قراء المسلمين من أصحابك، فسألت الرضا (U) فقلت له إن أختي أوصت بوصية لقوم من نصارى وأردت أن أصرف ذلك إلى قوم من أصحابنا مسلمين فقال: أمض الوصية على ما أوصت به قال الله [فَمَنْ تَدَلُّهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ....] <sup>(٢)</sup>.

فالوصية للذمي نافذة حتى وإن كان أجنبياً، وأن الإمام الرضا (U) أفتى بموجب النص القرآني الصريح، وقال بإمضاء الوصية.

اما اقوال الفقهاء المتقدمين، اختلفت آراؤهم في هذه المسألة، وكانت على النحو الآتي:

قال: الشيخ المفيد بالإطلاق: أي الوصية تدفع إلى الموصى له وإن كان أجنبياً <sup>(٣)</sup>. وهذا ما ذهب إليه الشيخ الطوسي <sup>(٤)</sup>. وسلا <sup>(٥)</sup> وابن إدريس <sup>(٦)</sup> والمحقق الحلي <sup>(٧)</sup> والحسن بن يوسف (العلامة الحلي) {الحلي} <sup>(٨)</sup>، وقال الشيخ الطوسي في (المبسوط) <sup>(٩)</sup> تصح الوصية للذمي إذا كانوا أقرابه.

وهذا ما ذهب إليه القاضي ابن البراج <sup>(١٠)</sup>، وابن حمزة الطوسي <sup>(١١)</sup>، وابن سعيد الحلي <sup>(١٢)</sup>.

(١) سورة الإسراء: ٧٠.

(٢) الطوسي - تهذيب الأحكام: ٢٠٢/٩.

(٣) ظ: المقنعة: ص ٦٧١.

(٤) الخلافة: ١٥٣/٤.

(٥) ظ: المراسم العلوية: ص ٢٠٣.

(٦) ظ: السرائر: ١٨٦/٣.

(٧) ظ: شرائع الإسلام: ٤٧٩/٣.

(٨) ظ: مختلف الشيعة: ٣٤٥/٦.

(٩) ٦٣/٤.

(١٠) ظ: المهذب: ١٠٦/٣.

(١١) ظ: الوسيلة: ص ٣٧٥.

(١٢) ظ: الجامع للشرائع: ص ٤٩٤.



ما استدلت به الطائفة الأولى  
 أولاً: قوله تعالى: [لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ... ]<sup>(١)</sup> فاهل الذمة هو الموصوف بذلك،  
 فالتعامل معهم بلطف وإحسان<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: ما روي عن الإمام الرضا (U) من رواية في صدر المسألة.

ثالثاً: ما رواه محمد بن مسلم عن أحدهما (U) في رجل أوصى بماله في سبيل الله. وقال (U) أعط لمن  
 أوصى له وإن كان يهودياً أو نصرانياً<sup>(٣)</sup>. وان الوصية نوع عطية فلا فرق بين وقوعها حال الحياة وبعد الوفاة<sup>(٤)</sup>.  
 ما استدلت به الطائفة الثانية قوله تعالى: [لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ  
 وَرَسُولَهُ... ]<sup>(٥)</sup> بأن الظاهر المنع من المودة من حيث المحادة، وإن المؤمن من لا يود من خالف حدود الله<sup>(٦)</sup>  
 وهذا مخالف بالآية السابقة والرواية<sup>(٧)</sup>.

اماقوال الفقهاء المتأخرين والمعاصرين، فالمشهور في أقوالهم: صحة الوصية للذمي وإن كان أجنبياً<sup>(٨)</sup>،  
 واستدلوا بما استدلت به (الطائفة الأولى) من الفقهاء المتقدمين.  
 اماقوال فقهاء المذاهب الأخرى، فقد وافقوا الإمامية في هذه المسألة، واتفقوا على القول تصح الوصية  
 للذمي، لأن الصدقة عليه جائزة فجازت الوصية<sup>(٩)</sup>.

واستدلوا به: أولاً: قوله تعالى [لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ... ]<sup>(١٠)</sup>. فالباري عز وجل  
 أمر ببرهم والإحسان إليهم، والصدقات من البر فاقتضى الصدقات إليهم<sup>(١١)</sup>.  
 ثانياً: عن أسماء بنت أبي بكر قالت (أتنتني أمي وهي راغبة تعني عن الإسلام، فسألت رسول الله (ص) أتنتني  
 أمي وهي راغبة أفصلها قال (ص) : نعم<sup>(١٢)</sup>. وهذا الخبر يدل على صلة أهل الحرب وبرهم<sup>(١٣)</sup>.

(٤) الممتحنة: ٨.

(٥) ظ: الطباطبائي - تفسير الميزان: ٢٣٣٣/١٩، ناصر مكارم الشيرازي - الأصول في كتاب الله المنزل: ٢٥١/١٨.

(٦) الطوسي - نهذيب الأحكام: ٢٠/٩، الحر العاملي - وسائل الشيعة: ٤١١/١٣.

(٧) الحسن بن يوسف {العلامة الحلبي} الحلبي - مختلف الشيعة: ٣٤٥/٦.

(٨) المجادلة: ٢٢.

(٩) ظ: الطوسي - التبيان: ٥٥٥ / ٩.

(١٠) ظ: السبزواري - كفاية الأحكام: ٤٨ / ٢.

(١١) ظ: ابن الحسن بن يوسف {العلامة الحلبي} - إيضاح الفوائد: ٤٨٦ / ٢، محمد مكي العاملي - للمعة الدمشقية: ص ٥٦، ابن  
 فهد الحلبي - المهذب البار: ٩٩ / ٣، الكركي - جامع المقاصد: ١٠ / ١٥، زين الدين العاملي - الروضة البهية في شرح للمعة  
 الدمشقية: ٥ / ٥١، زين الدين العاملي - مسالك الإيفهام: ٢١٨ / ٦، السبزواري - كفاية الأحكام: ٤٨ / ٢، المحقق البحراني - الحدائق  
 الناضرة: ٥٢٢ / ٢٢، محمد حسن النجفي - جواهر الكلام: ٢٦٦ / ٢٨، الأنصاري - الوصايا والمواثيق: ١١٣، الخميني - تحرير الوسيلة:  
 ٩٦ / ٦، الخوئي - منهاج الصالحين: ٢ / ٢١٩، محمد صادق الروحاني - فقه الصادق: ٤١٦ / ٢٠ - لطف الله الصافي - هداية العباد: ٢ /  
 ٢١٨، محمد اسحاق الفياض - منهاج الصالحين: ٢ / ٤٢٥.

(١٢) ظ: الكاساني - بدائع الصنائع: ٣٤١/٧، عبد الله بن قدامة - المغني: ٥٣١/٦، النووي - المجموع: ٤١٦/٥، النووي - روضة  
 الطالبين: ١٠٢/٥، عبد الرحمن بن قدامة - الشرح الكبير: ٨، الشرييني - مغني المحتاج: ٢٣/٣.

(١٣) الممتحنة: ٨.

(٣) ظ: الجصاص - إحكام القرآن: ٥٥٩/١، الواحدي - تفسير الواحدي: ١٠٨٩/٢.

(٤) البخاري - صحيح البخاري: ٧/٧، البيهقي - السنن الكبرى: ١٩١/٤.

(٥) ظ: النووي - المجموع: ٤١٦/٥.

### المطلب الثاني: الامام الرضا (ع) والقصاص

إن الله سبحانه وتعالى خلق بني آدم من نفس واحدة دون تفضيل طائفة على الأخرى وجنس على جنس، فالمسلم إذا قتل الذمي ظلماً وجب القصاص عليه، وهذا مانراه في قول الامام الرضا عليه السلام.

ففي مسألة ان المسلم يقتل الذمي، روى علي بن إبراهيم عن محمد بن عيسى، عن يونس عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن الرضا(ع) قال: سألته عن المسلم، هل يقتل بأهل الذمة وأهل الكتاب إذا قتلهم؟ قال: لا، إلا أن يكون متعمداً لذلك لا يدع قتلهم فيقتل وهو صاغر<sup>(١)</sup>.

إن المسلم إذا قتل ذمياً أو كافراً لا يقتل، إلا إذا كان معتاداً أي دائماً ويقتلهم ظلماً فيقتل وعمل أكثر فقهائنا في مضمون هذه الرواية، إلا ابن إدريس<sup>(٢)</sup>.

و أكثر العلماء المتقدمين قالوا إذا قتل المسلم ذمياً عمداً وجبت عليه ديته، ولا يجب عليه القود، إلا أن يكون معتاداً لقتل أهل الذمة، فإن كان كذلك وطلب أولياء المقتول القود كان على الإمام إن يقيده به بعد أن يأخذ من أولياء الذمي ما يفضل من دية المسلم فيرده على ورثته، وانه يقتل قصاصاً<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن الجنيد، يُقتل حداً لا قصاصاً، لإفساده في الأرض حكاة عنه في المختلف<sup>(٤)</sup>. وهذا ما ذهب إليه الحلبي<sup>(٥)</sup>. ولم يشترط (الصدوق) ألاعتياد، بل أطلق القول فقال: وان قطع المسلم يد المَعاهد خيّر أولياء المَعاهد فان شاءوا اخذوا دية يده، وان شاءوا قطعوا يد المسلم واد إليه فضل ما بين الديقين<sup>(٦)</sup>. وذهب ابن إدريس الحلبي إلى القول: لا يجوز قتل المسلم به مطلقاً سواء كان معتاداً لقتل أهل الذمة أو لا<sup>(٧)</sup>.

وقد استدل به أكثر الفقهاء، بما رواه إسماعيل بن الفضيل عن الصادق (ع) قال: سألته عن المسلم هل يُقتل بأهل الذمة وأهل الكتاب إذا قتلهم؟ قال: لا إلا إن يكون معتاداً على ذلك لا يدع قتلهم فيقتل وهو صاغر<sup>(٨)</sup>.

واستدل به الصدوق بما رواه ابن مسكان، عن الإمام الصادق (ع) قال: إذا قتل المسلم يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً فأرادوا إن يقيدوا رداوا فضل دية السلم وأفادوا به<sup>(٩)</sup>. ورد العلامة الحلبي على هذا الاستدلال بأنه محمول على التفصيل<sup>(١٠)</sup>.

اما ابن إدريس فقد استدل بما رواه محمد بن قيس، عن الإمام الباقر (ع) قال: لا يقاد مسلم بذمي لا في القتل ولا في الجراحات، ولكن يؤخذ من المسلم جنابته للذمي على قدر دية الذمي. ثمانمائة درهم<sup>(١١)</sup>، وقال العلامة: انه مطلق فيحمل على الخبر المفصل جمعاً بين الأدلة<sup>(١٢)</sup>.

(١) الكليني - الكافي: ٢٠٩/٧.

(٢) ابن إدريس الحلبي - السرائر: ٣٥٢/٣.

(٣) ظ: المفيد - المقنعة: ص ٧٣٩، سلا - المراسم العلوية: ص ٢٣٦-٢٣٧، الطوسي - النهاية: ص ٧٤٩، ابن حمزة الطوسي - الوسيلة: ص ٤٣١، المحقق الحلبي - شرائع الإسلام: ٩٨٦/٤، الفاضل الأبي - كشف الرموز: ٦٠٨/٢، الحسن بن يوسف العلامة الحلبي - تحرير الأحكام: ٥٤٤/٥، الحسن بن يوسف العلامة الحلبي - إرشاد الأذهان: ٣٠٣/٣.

(٤) ظ: الحسن بن يوسف العلامة الحلبي - مختلف الشيعة: ٣٢٣/٩.

(٥) ظ: أبو الصلاح الحلبي - الكافي في الفقه: ص ٣٨٤.

(٦) المقنعة: ص ١٩١.

(٧) ابن إدريس الحلبي - السرائر: ٣٥٢/٣.

(٨) الطوسي - تهذيب الأحكام: ١٩٠/١، الاستبصار: ٧٧٢/٤.

(٩) الطوسي - تهذيب الأحكام: ١٨٩/١، الحر العاملي - وسائل الشيعة: ٧٩/١٩.

(١٠) الحسن بن يوسف العلامة الحلبي - مختلف الشيعة: ٣٢٤/٩.

(١١) الطوسي - تهذيب الأحكام: ١٨٨/١، الحر العاملي - وسائل الشيعة: ٨٠/١٩.

(١٢) ظ: الحسن بن يوسف العلامة الحلبي - مختلف الشيعة: ٣٢٤/٩.

والفقهَاء المتأخرين، المشهور في أقوالهم، لا يقتل المسلم بكافر ذمياً كان أو غيره ولكن يعزَّر ويغزَّم دية الذمي، ولو اعتاد ذلك جاز الاقتصاص مع رد فاضل دية السلم<sup>(١)</sup>، واستدلوا ب: أولاً: قوله تعالى: [..... وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا]<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: بما يروى عن الإمام الرضا (U) في رواية محمد بن الفضيل.  
أما الفقهاء المعاصرين قال أكثرهم: لا يُقتل المسلم بقتله كافراً ذمياً كان أو مستأماً أو حربياً قتله سائغاً أم لم يكن، ويمكن أن يعززه الحاكم إذا لم يكن القتل سائغاً حسب ما يراه من المصلحة<sup>(٣)</sup>.

### وأختلف فقهاء المذاهب الأخرى في هذه المسألة. وكانت آراؤهم على النحو الآتي

قال الشافعي، ومالك، وأحمد بن حنبل، لا يُقتل المسلم بالكافر- والذمي ويحكم له بالدية<sup>(٤)</sup>. وقد استدلوا به أولاً: قول الرسول الله (4) يوم الفتح في خطبة خطبها على درج البيت (ولا يقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده)<sup>(٥)</sup>.

ثانياً: عن معمر بن الزهري عن سالم عن أبيه إن مسلماً قتل رجلاً من أهل الذمة فُرِّع إلى عثمان بن عفان فلم يقتله وغلظ عليه الدية<sup>(٦)</sup>.

وذهب أبو حنيفة وأصحابه، والشعبي، والنخعي إلى انه يقتل المسلم بالذمي<sup>(٧)</sup>، واستدلوا به: أولاً: قوله تعالى: [وَكَيْتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ....]<sup>(٨)</sup>.

ثانياً: قوله تعالى: [..... وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا....]<sup>(٩)</sup>.

ثالثاً: قوله تعالى: [..... كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ....]<sup>(١٠)</sup>.

فهذه عموميات القصاص، من غير فصل بين قتل وقتيل، وبين نفس ونفس، ومظلوم ومظلوم.

وإبعث: قوله (U) : [لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهده]<sup>(١١)</sup> عطف قوله ولا ذو عهد في عهده على المسلم فالمراد بالكافر هو الحربي فقط.

(١) ط: ابن العلامة - إيضاح الفوائد: ٥٧٩/٤، ابن فهد الحلبي - المهذب البارع: ١٨٣/٥، محمد مكي العاملي - اللعة الدمشقية:

ص ٣٥١، كشف اللثام: ٨٧/١١، زين الدين العاملي - شرح اللعة الدمشقية: ٢٢/١، محمد حسن النجفي - جواهر الكلام: ١٤١/٤٣.

(٢) النساء: ٤١.

(٣) الخوئي مباني تكملة المنهاج: ٦٩/٢، + تكملة منهاج الصالحين: ٧٢، محمد إسحاق الفيض - منهاج الصالحين: ٣٤٢/٣،

محمد صادق الروحاني - فقه الصادق: ٤٧/٢٦، محمد صادق الروحاني - تكملة منهاج الصالحين: ص ٧٥.

(٤) الشافعي - الأم: ١١٣/٦، عبد الله بن قدامة - المغني: ٣٧/١، عبد الرحمن بن قدامة - الشرح الكبير: ٣٦٧/١، الشرييني -

مغني المحتاج: ١٦٧/٤، الشرواني والعبادي - حواشي الشرواني: ٤٠٠/٨، القطب الرواندي - فقه القرآن: ٤٠٣/٢.

(٦) المباركفوري - تحفة الاحوذى: ٥٥٨/٤.

(١) المباركفوري - تحفة الاحوذى: ٥٥٨/٤.

(٢) ط: الكاساني - بدائع الصنائع: ٢٣٧/٧، عبد الله بن قدامة - المغني: ٣٤١/٩، محمد بن حسين - تكملة البحر الرائق: ١٩/٣٠،

(٣) المائة: ٤٥.

(٤) الإسراء: ٣٣.

(٥) البقرة: ١٧٨.

(٦) العظيم آبادي - عون المعبود: ١٦٩/١٢، المباركفوري - تحفة الاحوذى: ٥٥٨/٤.

## الراجح في القصاص من المسلم إذا قتل ذمي غير محارب ظلماً

إن الله سبحانه وتعالى خلق بني آدم من نفس واحدة دون تفضيل طائفة على الأخرى وجنس على جنس، فالمسلم إذا قتل الذمي ظلماً وجب القصاص. وما استدلو به الحنفية من عموميات القرآن يؤكد ذلك. فالإسلام نهى عن التمييز العنصري.

### النتائج

بعد هذه الرحلة الماتعة في ثنايا الكتب والدراسات الفكرية والفلسفية لا بد أخيراً من وقفة تأمل واستدكار لما حققه البحث من مقاصد وما توصل إليه من نتائج؛ فنقول:

- ١- الإسلام دين الرحمة والمودة، والأمانة، فالوصية أمانة يجب إيصالها إلى صاحبه، حتى وإن كان ذمياً- فالراجح ما قاله أغلب فقهاء المسلمين من صحة الوصية للذمي حتى وإن كان أجنبياً.
- ٢- الإسلام دعا إلى الحوار للالتفاف حول المبادئ التي تجمع الإسلام مع الآخر، والتي تجمع على المبادئ الربانية العادلة، والسنن الكونية الثابتة، والمحبة الإنسانية المنشودة.
- ٣- أسهمت الرؤية الإسلامية للحوار في تحقيق التعايش على المستويين المحلي والدولي، وحث المجتمع إلى احترام عقائد الآخرين، ونبذ الإسلام الإكراه أو التهريب لأصحاب المعتقدات الدينية الأخرى، فعمد إلى الاعتراف بالديانات السماوية.
- ٤- إن الله سبحانه وتعالى خلق بني آدم من نفس واحدة دون تفضيل طائفة على الأخرى وجنس على جنس، فالمسلم إذا قتل الذمي ظلماً وجب القصاص...
- ٥- إن كلمة التعايش تعني العيش المشترك مع الآخرين، ولا يكون الأبووجود الألفة والمودة، ولا يعيش الإنسان مع غيره إلا إذا وجد بينهما تفاهم ورغبة بعيشة مشتركة لحمتها الألفة تسودها المودة والثقة.
- ٦- إن التعايش هو قبول الحياة المشتركة لنفسك ولأخيك الإنسان حياةً تتميز بالفرص المتساوية للطرفين، وإخضاع جميع الإمكانيات من مصادر العيش والكرامة والأرزاق، وعدم مضايقته في العيش والمعيشة، وقبول دينه ومعتقدده، مثل قبول حياته ومعيشته.
- ٧- لا يقتل المسلم بكافر ذمياً كان أو غيره ولكن يعزَّر ويعزَّم دية الذمي، ولو اعتاد ذلك جاز الأقتصاص مع رد فاضل دية السلم.
- ٨- إن الله سبحانه وتعالى خلق بني آدم من نفس واحدة دون تفضيل طائفة على الأخرى وجنس على جنس، فالمسلم إذا قتل الذمي ظلماً وجب القصاصعليه.

### المصادر

القران الكريم

أحكام القرآن، الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي، ط١، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٩٩٤ م.  
إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان، الحلي (العلامة): الحسن بن يوسف بن المطهر/ ط١، مؤسسة النشر الإسلامي  
بجامعة المدرسين/ قم، ١٤١٠هـ

- الاستبصار فيما اختلف فيه من أخبار الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، تح: السيد حسن الخراسان، ط٢، مطبعة النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ-١٩٥٦م.
- الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب، هاني المبارك والدكتور شوقي أبو خليل، دار الفكر/ بيروت، ١٩٩١م.
- أصول التربية الإسلامية في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن النحلاوي، ١٩٩٩.
- أصول الكافي {الفروع}، الكليني/ أبو جعفر محمد بن يعقوب بن أسحاق الرازي البغدادي، تح: علي أكبر الغفاري، ط٥، المطبعة حيدري، طهران، ١٣٨٣هـ
- الأم، محمد بن إدريس الشافعي: دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- الأمثل في كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي- دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٩٨٩م.
- إيضاح الفوائد في شرح إشكالات القواعد، محمد بن الحسن بن يوسف بن المطهر الحلبي (ابن العلامة)، ط١، المطبعة العلمية/ قم المشرفة، ١٣٨٧هـ
- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني/ علاء الدين، أبو بكر بن مسعود، ط٢، دار الكتب، بيروت، ١٩٨٦م.
- تحرير الأحكام التشريعية على مذهب الإمامية، الحسن بن يوسف {العلامة الحلبي}- تح: إبراهيم البهادري، ط١، المطبعة- أعماد، ٢٠٠٠.
- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي ن أبو العلا محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.
- تكملة البحر الرائق: محمد بن حسين - مطبعة أمير/ قم، ١٤١٤هـ
- تكملة المنهاج: الخوئي/ أبو القاسم الموسوي - مطبعة شهير/ قم، د. ت.
- تهذيب الأحكام في شرح المقنعه للشيخ المفيد، الطوسي / إبن حمزة أبو جعفر محمد بن علي، تصحيح محمد الآخوندي، ط٣، دار الكتب الإسلامية طهران، ١٣٩٠هـ
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي/ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، تح: أحمد عبد العليم البردوني، ط١، مطبعة دار الشعب/ القاهرة، ١٣٧٢هـ.
- الحوار من أجل التعايش، د. عبدالعزيز بن عثمان التويجري، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٩٨٦م.
- الخلاف: الطوسي/ أبو جعفر محمد بن الحسن، د. ط، مؤسسة انشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرسين/ قم، ١٤٠٧هـ
- روضة الطالبين، يحيى بن شرف الدين النووي، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، د. ط، دار الكتب العلمية/ بيروت، د. ت.
- السرائر، الحلبي، أبو جعفر. محمد بن منصور بن أحمد بن إدريس العجلي، ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي/ قم- إيران، ١٩٩٠.
- السنن الكبرى، البيهقي/ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، دار الكتب العلمية/ بيروت، د. ت.
- شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، الحلبي / (المحقق) أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الهذلي، ط٢، مطبعة أمير، ١٤٠٩هـ
- الشرح الكبير على متن المقنعه، ابن قدامة/ شمس الدين ابي الفرج عبد الرحمن، د. ط، دار الكتاب العربي للنشر و التوزيع/ بيروت - لبنان، د. ت.

- صحيح البخاري، البخاري/ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، دار الفكر للطباعة والنشر/ بيروت، ١٩٨١م.
- عون المعبود، العظيم آبادي، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٩٨٦م.
- فقه الصادق: محمد صادق الروحاني - مطبعة شهير/ قم، د. ت.
- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٩٨٦م.
- الكافي في الفقه: أبو الصلاح الحلبي، مؤسسة النشر الإسلامي/ قم، ١٤٠٧هـ...
- كتاب العين، الفراهيدي/ أبو عبد الرحمن الخليل أحمد، تح: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، ط ٢، مؤسسة دار الهجرة، ١٤٠٩هـ
- كشف اللثام عن قواعد الأحكام، الفاضل الهندي/ بهاء الدين محمد بن الحسن بن محمد الأصفهاني، منشورات مكتبة السيد المرعشي النجفي/ قم، ١٤٠٥هـ
- كفاية الأحكام: محمد باقر السبزواري - د. ط، مؤسسة آل البيت (ع) لأحياء التراث، د. ت.
- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، دار صادر، بيروت، ١٩٨٤هـ -
- اللمعة الدمشقية، محمد مكّي العاملي، مطبعة القدس/ قم، ١٤١١هـ
- مختلف الشيعة في أحكام الشريعة، الحسن بن يوسف {العلامة الحلبي}، تح: مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، ط ١/ قم، ١٤١٢هـ
- المراسم العلوية في الأحكام النبوية، الديلمي / سلال أبو يعلى حمزة بن عبد العزيز، تح: السيد محسن الحسيني الأميني، د. ط، مطبعة أمير/ قم، ١٤١٤هـ
- مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، النوري/ الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي، تح: مؤسسة آل البيت (ع) ط ١، المحققة/ بيروت، ١٩٨٧م.
- مستند تحرير الوسيلة، ابن حمزة الطوسي، تح: مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، ط ٣، مطبعة مؤسسة العروج، ١٤١٨هـ
- مغني المحتاج شرح المنهاج، الخطيب، محمد الشربيني، د. ط، دار الفكر، ١٣٩٨هـ
- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، إبن قدامة/ أبو محمد عبد الله بن أحمد المقدس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د. ت.
- المقنع: الصدوق/ أبو جعفر، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، تح: لجنة التحقيق التابعة لمؤسسة المهدي (U) د. ط، مطبعة اعتماد، ١٤١٥هـ
- المقنعة في الفقه، المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري، البغدادي، ط ٢، مؤسسة النشر الإسلامي/ قم، ١٤١٠هـ
- من لا يحضره الفقيه، الصدوق/ أبو جعفر، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، ط ٤، مطبعة التنجف الأشرف، ١٩٥٧م.
- منهاج الصالحين: محمد اسحاق الفيض - ط ١، مطبعة أمير/ قم، د. ت.
- المهذب البارع في شرح المختصر النافع، الحلبي / جمال الدين أبو العباس، أحمد بن محمد بن فهد، تح: مجتبی العراقي، د. ط، مؤسسة النشر الإسلامي/ قم، ١٤٠٧هـ

المهذب: النووي/ يحيى بن شرف الدين، د. ط، دار الفكر، د. ت.  
الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي/ محمد حسين، د. ط، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ بيروت، د. ت.  
النهاية: الطوسي/ ابن حمزة أبو جعفر محمد بن علي، تح: محمود الحسون، ط ١، مطبعة الخيام/ قم - إيران، د. ت.  
هداية العباد، لطف الله الصافي، مطبعة دار القرآن الكريم/ قم، ١٤١٤ هـ  
وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، العاملي/ محمد عبد الحسين {الحر العاملي}، تح: عبد الرحيم  
الرياني، ط ٥، دار إحياء التراث العربي/ بيروت، ١٩٨٣ م.

## أثر العدالة في ترسيخ الأمن في المجتمع من منظور القرآن الكريم

### عادل بورا

إن فطرة الحياة الإنسانية في الأساس تقوم على مبدأ العدالة فالعدالة كمبدأ التوحيد أصلها ثابت في نظام الكون و في فطرة الانسان، والعدالة لها تاريخ قديم قدم الحياة الإنسانية والوجود. ومنذ أول خطوة الانسان إلي عالم الوجود عرف الإنسان العدالة كمنزعة فطرية توجه إليها وجعلها أساس نظام الحياة الاجتماعية والغاية القصوي ليعيش في أمن و سلام علي الكرة الارضية. فلذا نري أنه ليس هناك ما هو أشد إبلاماً وبغضاً لوجدان البشرية من التعدي علي حقوق الضعفاء والمظلومين، و نري كذلك أنه لا شيء يثير الكراهية والعداوة في قلب الإنسان مثل الظلم والعدوان علي حقوق الآخرين. فبالطبع إذا كان ضمير الإنسان حيًا و لم يمت جراء إرتكاب الظلم والتعدي علي حقوق الآخرين وامتصاص دمائهم.

لقد كان بناء النظام علي الظلم و إنعدام العدالة الاجتماعية سبب العديد من الثورات في تاريخ البشرية فجراء ذلك بدأت حركات إصلاحية تحريرية تهدف إلي ترسيخ العدالة بانواعها في المجتمع وإزالة الظلم والافساد بدون نظر الي جنسية الناس و اختياراتهم المعشوية وانتمائهم القومي و عقيدتهم فكان أهم الأهداف الرئيسية لتلك الحركات الاجتماعية هو إقامة العدل وبسط القسط و القضاء علي الظلم. فأشترك الناس فيها لتحقيق الأمن الاجتماعي والمالي عن طريق إقامة العدالة، وضحوا في سبيلها بنفسيهم و رخصهم لأن العدالة بجميع أنواعها هي مقتضي فطرتهم.

وكل هذه المعاني التي عرضها الباحث في مضمون العدالة تتجلى في القرآن الكريم معني ومحتوى باعتبار ان القرآن الكريم هو المصدر الرئيس للدين الإسلامي الذي هو دين العدل والرحمة، والقرآن الكريم أيضاً هو مصدر التشريعات الاسلامية التي شملت قوانين العدل بين المسلمين وغيرهم. وبناء على ما تقدّم سيتناول الباحث تفصيلاً لهذا الموضوع عبر المحاور التالية: أولاً: العدالة وفطرة الإنسان ثانياً: الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب هي تحقيق العدالة، وثالثاً: العدالة مصدر الأمن والإزدهار، رابعاً: شمولية العدالة لجميع نواحي الحياة.

### ألعدالة وفطرة الانسان<sup>1</sup>

إن القيم التي يتضمنها القرآن الكريم تتوافق مع الفطرة البشرية. ففي الآية: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَدِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) سورة الروم آية ٣٠

١ ممثل الهيئة الدينية التركية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية



نرى أن الفطرة البشرية والدين جعلاً متطابقين كأنهما توأمان بحيث سميت الفطرة البشرية والإدراكات المعرفية بالوحي الداخلي والقرآن الوحي الخارجي. فالقيم التي تضمنها القرآن الكريم من التوحيد والعدل والعدل وعدم تسليم إرادته وعقله للآخرين والوفاء والإنصاف وحفظ الأمانة ومعارضة الظلم وتفصح الحقائق، والعيش بكرامة وحرية والجهاد ضد الاستكبار وأمثال ذلك من القيم والمطالب القرآنية متوافقة مع الفطرة الإنسانية بحيث يمكن للإنسان أن يحمي بها شخصيته وكرامته وحرية ووطنه ومجمعه من خلال الحفاظ على تلك القيم فكذلك يستطيع الإنسان أن ينشأ مجتمعاً ذا حضارة وحرية وكرامة بهذه القيم الأخلاقية الإنسانية القرآنية ولكن أن إحقاق الحقوق وإقامة العدالة بمعناها الواسع ورفع الظلم هي قيم أساسية للوحي ومقصد أصيل لإرسال الرسل والأنبياء

### الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب هي تحقيق العدالة: 2

فالأنبياء والرسل في تاريخ البشرية كانوا علي راس المصلحين والساعين لتقديم القرائة التوحيدية للكون وإنشاء مجتمع حضاري مبني علي التوحيد والعدالة والمساواة والأمن والحرية في السلوك والتفكير وإستأصال الظلم فكانت تبليغ هذه الروثيا الكونية والقيم الإنسانية ألهدف الرئيسي لارسال الرسل والأنبياء وإنزال الكتب علي مر التاريخ. فقد أشير الي أهداف الرسالة والنبوة في كثير من الآيات فمنها: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) سورة الحديد آية ٢٥

والذي يلفت النظر في هذه الآية هو احتواها علي نقاط مهمة تتعلق بمكونات مجتمعات ذات حضارة بحيث يمكن أن تكون أسوة للبشرية في إقامة العدالة والأمن والطمأنينة. فأسس الحضارة العادلة المبنية علي القيم الإنسانية المفهومة من الآية المذكورة هي كما يلي ألول هو الآيات البنات الواضحات التي هي أسس التفكير والتعقل والكتاب الذي هو مصدر القيم الاخلاقية و الإنسانية والفطرية. فالتفكير الصحيح يلزم أن ينبنى علي الأدلة العقلية وعلي الحرية الفكرية و علي القيم الفطرية والثاني هو الميزان الذي هو بمعني العدالة بجميع أنواعها والثالث هو إعداد القوة لردع المعتدين و تحقيق أهداف الرسالة من ترسيخ العدالة والأمن والامانة ودفع الظلم والمفسدين

فمصدر الدفاع والتضحية لتلك القيم السماوية والانسانية لم يتوقف بموت الرسل والأنبياء فبذل أتباعهم والسالكون علي نهجهم جهداً جباراً في نشر قيم الوحي الأخلاقية والإنسانية فأتباع موسى و عيسى و أتباع جميع الرسل ممن عرفنا منهم وممن لم نطلع عليهم ،وأهل بيت نبينا العترة الطاهرة وأصحابه أيضاً جاهدوا في سبيل تبليغ تلك القيم وأستشهد كثير منهم في الدفاع عنها فشهادة الإمام حسين في الدفاع عن الحق ليس ببعيد عنا.

### العدالة مصدر الأمن والازدهار 3

فعلى مرّ تاريخ البشرية كان تطبيق العدالة وحفظ الأمانة أساس السعادة والازدهار. فمهما أودت الأمانات إلى أصحابها بتحقق العدالة بمعناها الواسع كان هناك سلام وسعادة وازدهار، وإنما وُجِدَتْ الخيانة والظلم وُجِدَ القتال ونشأت الحروب ونتج عنها تدمير الثروات وإفساد الحرث والنسل، لأن العدل هو جوهر الإسلام

وروحه، وهو المحور الأساسي لأصول الدين وفروعه، وتطبيق العدالة يمكن ان تعيش البشرية بسلام وإطمئنان ويتحقق الأمن والرفاهية والرخاء، أما عندما ينتفي القسط والعدالة فإنه سيحل محلها الظلم والجور اللذان هما أساس كل شر وسبب كل شقاء ومنبع الرذائل والفواحش وسبب التخلف فقد أشير الي الآثار الوخيمة للظلم والإفساد في آيات متعددة فمنها آية: ﴿فَكَأَيُّ مِنْ قَوْمٍ أَهْلَكْنَا هَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرُ مُعْظَلَةٌ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾، فقد أشير في هذه الآية إلي نتائج مدمرة للظلم للحضارة الإنسانية، فمركزية العدالة هي مُنظَّم القيم القرآنية

نجد هناك البحث عن العدالة وعن الحقيقة وعن الصدق وعن المرحمة وعن الانصاف لعباد الله بدون النظر الي عقيدتهم ومذهبهم ومشربهم فلا نجد فيه مقابل هذه التفاصيل عن السياسة وكيفية نظام الحكم. ولهذا يمكن أن يقال إن دين الدولة هو العدالة ورفع الظلم والدفاع عن الحق واماطة الأذى عن طريق المجتمع. والسعي لنشر المعروف ورفع المنكر وأهمية إقامة العدالة بجميع أنواعها فقد قيل إن الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة.

#### شمولية العدالة 4

فقد جاءت في سورة النحل دعوة لافتة إلى العدل المطلق حيث يأمر الله تعالى بتحقيق العدل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] أفاد كثير من المفسرين أن القيم المذكورة في هذه الآية من العدل والأحسان وغيره، هي خلاصة أساس القيم القرآنية وفي نفس الوقت هي من أهم مقاصد القرآن الكريم.

فالعدالة قيمة تشمل جميع مجالات الحياة ليس فقط في الأمور التجارية بل في الاعتقاد والاقتصاد والسياسة أيضاً. لأن الذي أمر بالعدالة هو رب العالمين، والذي بلغها للناس هو النبي الذي أرسل رحمة للعالمين والقرآن الكريم الذي إحتواها هو ذكر للعالمين.

لذا فإن العدالة قيمة يجب تنفيذها على جميع مستويات الحياة. ففي الأسرة تكون العدالة بين أفرادها من الزوج والزوجة والأبناء والبنات، وتكون العدالة في التوحيد بأن لا نُشركَ مع الله أحدا، وفي الاقتصاد أن تؤخذ الفرص بعين الاعتبار ليس لعائلة معينة أو مجموعة معينة، بل لجميع أفراد المجتمع، ويجب أن يكون جهاز الدولة عادلاً تجاه جميع مكونات المجتمع بغض النظر عن انتمائهم القومي أو طائفهم أو ميلهم الفكري والاعتقادي. فلذا قيل أن أعلى العمل في الإسلام بعد الإيمان هو تطبيق العدالة وإذا دققنا النظر في القرآن نجد أنه يدور حول محور واحد هو العدل في التوحيد والمعاد والنبوة وفي الآمال الفردية والأهداف الاجتماعية.

#### الخلاصة

إن العدل في القرآن الكريم موافق لمطالب فطرة الإنسان وهو الغاية الأسمى من إرسال جميع الرسل وإنزال جميع الكتب وهو قرين التوحيد، وركن المعاد ومعيار كمال الفرد ومقياس سلامة الأمة...

## فلسفة الاخلاق، بين الفكر الرضوي والغربي واثريهما في العدالة الاجتماعية

ا. م. د. صباح كاظم بحر العامري<sup>1</sup>

### ملخص

لما كان من خصائص القيم - من حيث هي قيم - الثبات والرسوخ والاطراد، فكذلك هي منظومة القيم التي جاءت بها النهضة الاسلامية فلا تفقد خصائصها، ولا تتراجع قيمتها، ولا تُبلى مع الزمن؛ لأنها قيم جوهرية ثابتة، مستقرة بثبات الرسالة الإسلامية واستقرارها وخلودها، ولأنها من الثوابت وليست من المتحولات، وقد نزل بها الوحي الإلهي، وتجسدت في حياة الرسول صلى الله عليه وآله.

والبحث في مورد الاخلاق عند الامام الرضا عليه السلام لا بد ان يسير وفق المنهج التحليلي المقارن، الذي يضع الحقائق بالأدلة المتوافرة من اقوال الامام الرضا عليه السلام واقوال فلاسفة الغرب في فترة عصر الانوار التي تعد الأساس الفعلي للمنظومات الفكرية والسياسية في العصر الحديث، والتساؤل الذي يعد مشكلة هذا البحث هو: هل حققت رؤية الامام الرضا عليه السلام في الاخلاق قولاً وعملاً السلم المجتمعي ورسخت فكرة العدالة الاجتماعية وأثرت في تبني المجتمع اصلاح الذات أو لا كـمـعـيار حقيقي لإشاعة الاخلاق الحميدة اما التساؤل الآخر للبحث فهو: هل حققت الأفكار الغربية للأخلاق بشأن العدالة والحرية الأمن والسلم المجتمعي وهل تعد ضابطة رادعة للذات الإنسانية ام كانت إجراءات محضة يمكن أن تغيب بغياب القانون.

ومن هنا ينقسم البحث على مطلبين، الأول: علاقة العدالة بالأخلاق من وجهة نظر الامام الرضا عليه السلام ومقاربتها مع أفكار فلاسفة القرن السابع عشر (الفلاسفة الطبيعيين انموذجاً) ، اما المطلب الثاني فكانت في: فلسفة الحريات في فكر الامام الرضا عليه السلام ومقاربتها مع أفكار فلاسفة القرن السابع عشر (روسو وفولتير انموذجاً) ، وتمخض البحث عن نتائج عديدة من ابرزها أن الاخلاق في المنظور الإسلامي ممثلة بالفكر الرضوي عليه السلام إجراءات وعقيدة في ان واحد ولا تتأثر بوجود القوة الرادعة الممثلة بسلطة الدولة او الحاكم السياسي في حين أن الاخلاق في المجتمع الغربي إجراءات فقط وتكون فعالة في حالة وجود القوة الرادعة الممثلة بقوة السلطة والقانون الوضعي لان هدفها وغايتها إجرائية فقط ولا تشتت الايمان المتحد مع الإجراءات.

### توطئة

اذا كانت الاخلاق سلوكيات معينة فلا بد من ان تنضبط بعلم يظهر الأسس الفلسفية لهذه السلوكيات داخل المجتمع، والعلم الذي يختص بوضع النظريات الضابطة لمجموعة الخصال التي يتصف بها الفرد وتتمظهر

1 الجامعة المستنصرية - كلية الآداب - جمهورية العراق - الاميل: sabauhe@gmail.com - الاخلاق، فلسفة، الرضا ع، العدالة

بسلوكياته في المجتمع هو علم الاخلاق الذي يعرف بانه: "علمٌ يُبَحِّثُ فيه عن المَلَكاتِ و الصِّفَاتِ الحسنة والسيئة وآثارها وجذورها"<sup>١</sup>.

ومادة هذا العلم هو الاخلاق، التي تعرف بانها: "تلك الحالة النفسانية التي تدعو الإنسان، لأفعال لا تحتاج إلى تفكّرٍ و تدبّر"<sup>٢</sup>.

وهو نفس ما أشار إليه المرحوم الفيض الكاشاني في كتاب «الحقائق»، حيث يقول: «إعلم أنّ الخُلُق هو عبارة عن هيئة قائمة في النفس، تصدر منها الأفعال بسهولة من دون الحاجة إلى تدبّر وتفكّر»<sup>٣</sup>.

وعليه قسم الفلاسفة الاخلاق على قسمين: الملكات التي تنبع منها الأعمال و السلوكيات الحسنة وتسمى «الفضائل»، وأخرى تكون مصدراً للأعمال والسلوكيات السيئة و تسمى الرذائل.

ولعل من الأمور الواضحة لدى المشتغلين بالفكر في كل عصر أنّ الفكر من حيث هو تسخير لملكات العقل وللقدرة الذهنية، وتحريكها نحو الوصول بها إلى مقاصد وغايات يرصدها العقل، ويخضع للإرادة الإنسانية التي تحكم اتجاهاته وتضبط مساراته، إن هي نزعت إلى الخير والحق والفضيلة والمصلحة العامة، أيدها وزكاه، وإن هي مالت إلى الشر والباطل والرذيلة والمضرة والمفسدة، قومها وردّها إلى الحق والصواب.

ولعل الاخلاق من حيث كونها سلوكيات بضابطة آثارها الخارجية، تصدر أحياناً من الإنسان بفعل إعتباطي ولكن عندما يتكرّر ذلك العمل منه: (مثل البخل وعدم مساعدة الآخرين)، يكون دليلاً على أنّ ذلك الفعل يمدّ جذوره في أعماق روح ذلك الإنسان، تلك الجذور تسمى بالخُلُق والأخلاق.

فالغضب المتكرّر الذي يكون السمة البارزة مثلاً يدل على تلك الأصول المترسخة في شخصية الانسان التي تسمى الاخلاق.

والغالب ان الاخلاق بالمعنى الأخص عبارة عن قواعد أدبية له جزء التأنيب من النفس ومن المجتمع، وإن لم يكن فعله محرّماً، ولا عليه عقاب في الآخرة، فإنّ من لم يسلم على الناس مثلاً فقد ارتكب ما يخالف الاخلاق وكثيراً ما يؤنّب ضميره والمجتمع، لكن ليس له جزء العقوبة في الدنيا ولا في الآخرة.

والأخلاق ربما يكون ظاهراً وحسناً كالتواضع، أو ظاهراً وسيئاً ككثرة الأكل، وربما يكون باطناً وحسناً كحسن النية وحسن الظن بالآخرين، وربما يكون باطناً وسيئاً كسوء النية والحسد ما لم يظهر بيد أو لسان، علماً بأنّ النية السيئة كما في القرآن الحكيم لا عقاب عليها في الآخرة وإن كان يحاسب الإنسان بها، أما النية الحسنة فيثاب عليها في الآخرة، كما في النصوص. ومن هنا تنقسم الأخلاق إلى: أخلاق حسنة، وأخلاق سيئة، وكذلك الأفعال التي يمكن تقسيمها إلى: أفعال جيدة، وأخرى رديئة، انطلاقاً من الأسس النفسية لهذه الأفعال أو السلوكيات،<sup>٤</sup> وبذلك تكون الممارسات إفراناً طبيعياً للأخلاق، وكما يعبر عنها في علم الأخلاق بالفضائل والرذائل، وهذه المقدمة الثابتة في كل مجتمع انساني على الرغم من اختلاف عقيدته سواء اكان موحداً ام وثنيا مشركاً او كافراً ملحداً.

<sup>١</sup> الأخلاق في القرآن ١/٢

<sup>٢</sup> تهذيب الأخلاق ٥١

<sup>٣</sup> الحقائق، في محاسن الاخلاق ٥٤

<sup>٤</sup> الاخلاق، احمد امين ٥٨

### المطلب الأول: فكرة العدالة بين الأمام الرضا عليه السلام وفلاسفة الغرب

أتى الدين الإسلامي الحنيف ليؤكد على مضمون الخير في النفس الإنسانية لأنه مشروع استصلاح الفرد والمجتمع وتوجيهه الى حيث الكمال الإنساني، وامتداد هذه الأخلاق المحمدية واضح للغاية في اقوال وافعال الامام الرضا عليه السلام فهو القائل: "سر سنتين بر والديك، سر سنة صل رحمك، سر ميلا عد مريضاً، سر ميلين شيع جنازة، سر ثلاثة أميال أجب دعوة، سر أربعة أميال زر أخاك في الله، سر خمسة أميال انصر مظلوماً، سر ستة أميال أعث ملهوفاً، سر عشرة أميال في قضاء حاجة المؤمن، و عليك بالاستغفار".<sup>١</sup>

ولعل حركة اصلاح المجتمع بالخلق الحسن أولاً ثم إشاعة أفكار العدالة الاجتماعية والتحرر من قيود المجتمع كافة واستبدالها بالضوابط الشرعية المبنية على الضوابط والقواعد الأخلاقية هي التي جعلت من أفعال واقوال الامام الرضا تعد بحق امتدادات للثورة الحسينية المباركة في كربلاء، فمازال المرء يجد أمامه دوماً حسينياً ويزيداً في كل زمان ومكان، وتجسد ذلك في نبذ التطرف وذوبان العنصرية والقومية والتفاخر بالتفاضل في تطبيق مبادئ الأخلاق الرضوية بين المؤمنين وهو يختلف جذراً عن العدالة بالمفهوم الغربي، فاذا كانت فترة عصر الانوار كما يسميها الغربيون، قد امتازت بمبادئ الثورة الفرنسية وان مقدماتها أفكار روسو وفولتير ومونتسكيو مجتمعة فقد كانت أفكاراً ممتدة الى عصور الوثنية القديمة لدى الرومان<sup>٢</sup>، وهو امتداد للفلاسفة الطبيعيين في الازمان الغابرة، فكان تجسيد العدالة على وفق المنظور الغربي متصل بالحاكمية الاجتماعية لدى افراد المجتمع وما يتفقون عليه من الابعاد العملية للعدالة بصرف النظر عن حالة استصلاح النفس الإنسانية بلحاظ قيمة الخير والابتعاد عن قيم الشر في ذات النفس.

ولعل تأثير الاخلاق في تماسك المجتمع يكمن في تحقق العدل الاجتماعي بين افراد المجتمع، ومظن ذلك عائد الى الكيفية التي تبرز بها فكرة الاخلاق كمعيار قابل للتطبيق، وليس تلك الافكار الافتراضية التي تدعو الى المحاسن وتقبح الرذائل دونما تمثيلات حقيقية وواقعية في المجتمع، ومن هنا كانت الإشكالية الحقيقية في الاخلاق من جهة كونها أفكاراً نظرية تدعو الى التكامل الإنساني بين الفلسفة الإسلامية ممثلة بالنبي محمد صلى الله عليه واله وسلم أولاً ثم مسيرة الائمة من بعد وصولاً الى الامام الرضا عليه السلام، وبين النظريات الغربية التي تبنت منهجا مغايراً لا يشترط بالضرورة حصول حالة التكامل الإنساني بل يفترض حالة المساواة المطلقة بين افراد المجتمع بصرف النظر عن حركة الإصلاح الذاتي الذي يلقي بظلاله على صلاح المجتمع ككل وهو ما يمكن اثباته في رصد فلسفة الاخلاق الرضوية بالمقارنة مع توجهات المجتمع الغربي من خلال أفكار المتنورين في القرن السابع عشر الميلادي وعلى النحو الآتي :

لم يكن الامام الرضا عليه السلام متصالحا مع الدولة العباسية في وقته، فرموزها كانوا يتمثلون اخلاق الملوك والجبابة، وليس اصدق من وصف ملوك بني العباس في ذلك الوقت من مقولة المأمون العباسي الذي شرح حال بني العباس س ذلك الوقت بقوله: «...وليس منكم إلا لاعب بنفسه، مأفون في عقله، إما مغن، أو ضارب دف، أو زامر، والله لو أن بني أمية الذين قتلتموهم بالأمس نشروا فقبل لهم: لا تأنفوا من معائب تنالوهم بها لما زادوا على ما صيرتموه لكم شعارا، ودثارا، وصناعة وأخلاقا. ليس منكم إلا من إذا مسه الشر جزع، وإذا مسه الخير منع، ولا تأنفون، ولا ترجون إلا خشية، وكيف يأنف من يبيت مركوبا، ويصيح بإثمه معجبا، كأنه

<sup>١</sup> فقه الإمام الرضا عليه السلام ص ٣٥٣

<sup>٢</sup> تاريخ الحضارة الأوروبية ص ٨ .

قد اكتسب حمدا، غايته بطنه وفرجه، لا يبالي أن ينال شهوته بقتل الف نبي مرسل، أو ملك مقرب، أحب الناس من زين له معصية أو اعانته في فاحشة، تنظفه المخمورة، وتربده المظمورة، مشتت الأحوال، فان ارتدعتم مما أنتم فيه من السيئات والفواحش، وما تهذرون به من عذاب ألسنتكم وإلا فدونكم تعلقو بالحديد، ولا قوة إلا بالله، وعليه توكلني وهو حسبي....<sup>١</sup>

وقد وصف احد الباحثين هذه الرسالة بقوله: "فهذه القطعة تبين لنا بجلاء - كما يتبين من كثير أمثالها - كيف كان خلفاء العباسيين منغمرين في الملذات والشهوات... وتبين لنا نظرتهم للحياة وأهدافهم منها. ولولا أن المقام يطول لأوردنا سبلاً من الشواهد والدلائل على مدى استهتارهم، وانتهاكهم، للحرمت، وارتكابهم للموبقات، ليعلم أن أقوال المأمون هذه، وكذلك أقوال الخوارزمي، وغيرهما مما تقدم غير مبالغ فيها، وأن الحقيقة هي أعظم من ذلك بكثير وأن ذلك ليس إلا غضباً من فيض. وكتب التاريخ والأدب خير شاهد على ذلك، وإن حاولت بعض الأيدي الأثيمة تشويه الحقيقة، والتستر على واقعهم ذك المزري والمهين".<sup>٢</sup>

لعل من أوثق الأسباب التي دفعت المأمون إلى اغتيال الإمام هو أن الإمام كان لا يُحبابي المأمون، ولا يداريه، وكان دوماً يوصيه بتقوى الله وطاعته، ويحذره العقاب في الدار الآخرة، وقد أدلى بهذه الجهة أبو الصلت الهروي، قال: كان الرضا لا يُحبابي المأمون من حق، وكان يجيبه بما يكره في أكثر أحواله، فيغيظه ذلك ويحقدده عليه، ولا يظهره له فلما أعتبه الحيلة في أمره اغتاله وقتله<sup>٣</sup>، فالتصالح مع بني العباس على ما هم عليه كان ينافي منهج الامام الرضا عليه السلام الذي استقاه من سيرة اباائه واجداده عليهم السلام وصولاً الى النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم، فتمثلات الاخلاق النبوية الشريفة متجسدة مثلاً في قول الامام علي عليه السلام: وقد رسم أمير المؤمنين علي عليه السلام منهاج العدل الاجتماعي بإيجاز وبلاغته، فقال لابنه:

«يا بُنَيَّ: إجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فأحب لغيرك ما تحب لنفسك، وكره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحب أن تُظلم، وأحسن كما تحب أن يحسن اليك، واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك، ولا تقبل ما لا تعلم وإن قل ما تعلم، ولا تقبل ما لا تحب أن يقال لك».

وواضح من هذا القول انه عليه السلام قد أوصى ابنه الكريم أن يكون عادلاً فيما بينه وبين الناس كالميزان، ثم أوضح له صور العدل وطرائقه إيجاباً وسلباً.

ومن اهم صور العدل هو: عدل البشر الأحياء مع أسلافهم الأموات، الذين رحلوا عن الحياة، وخلصوا لهم المال والثراء، وحرمو من متعه ولذائده، ولم يكسبوا في رحلتهم الأبدية، الا أدرعاً من أثواب البلى، وأشبهاراً ضيقة من بطون الأرض.<sup>٤</sup>

وكذا الحال في سيرة الامام الحسن بن علي عليهما اسلام ويتمثل ذلك بقوله: "أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَجْ لِي كَانَ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ فِي عَيْنِي وَكَانَ رَأْسُ مَا عَظَّمَ بِهِ فِي عَيْنِي صِعْرَ الدُّنْيَا فِي عَيْنِي كَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ فَلَا يَسْتَهَيُّ مَا لَا يَجِدُ وَلَا يُكَيِّرُ إِذَا وَجَدَ كَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ فَرْجِهِ فَلَا يَسْتَخْفُ لَهُ عَقْلُهُ وَلَا

<sup>١</sup> بحار الانوار ٢٠٨/٤٩ وما بعدها

<sup>٢</sup> الحياة السياسية للإمام الرضا (عليه السلام)...دراسة وتحليل ص١١٨

<sup>٣</sup> عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ٢ ص ٢٣٩ .

<sup>٤</sup> ينظر: اخلاق اهل البيت ٢/٢٠

رَأَيْتُهُ كَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانِ الْجَهَالَةِ فَلَا يَمُدُّ يَدَهُ إِلَّا عَلَى ثِقَةٍ لِمَنْتَفَعَةٍ كَانَ لَا يَتَسَهَّى وَلَا يَتَسَخَّطُ وَلَا يَتَبَرَّمُ كَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ ضَمَاتًا فَإِذَا قَالَ بَدَّ الْقَائِلِينَ كَانَ لَا يَدْخُلُ فِي مِرَاءٍ وَلَا يُشَارِكُ فِي دَعْوَى وَلَا يُدْبِي بِحُجْبَةٍ حَتَّى يَرَى قَاضِيًا وَكَانَ لَا يَغْفُلُ عَنْ إِخْوَانِهِ وَلَا يَخْصُ نَفْسَهُ بَشَيْءٍ دُونَهُمْ كَانَ ضَعِيفًا مُسْتَضْعَفًا فَإِذَا جَاءَ الْجَدُّ كَانَ لَيْثًا عَادِيًا كَانَ لَا يَلُومُ أَحَدًا فِيمَا يَقَعُ الْعُدْرُ فِي مِثْلِهِ حَتَّى يَرَى اعْتِدَارًا كَانَ يَفْعَلُ مَا يَقُولُ وَيَفْعَلُ مَا لَا يَقُولُ كَانَ إِذَا ابْتَرَّتْهُ أَمْرَانِ لَا يَدْرِي أَيُّهُمَا أَفْضَلُ نَظَرَ إِلَى أَقْرَبِهِمَا إِلَى الْهَوَى فَخَالَفَهُ كَانَ لَا يَشْكُو وَجَعًا إِلَّا عِنْدَ مَنْ يَرْجُو عِنْدَهُ الْبُرَى وَلَا يَسْتَشِيرُ إِلَّا مَنْ يَرْجُو عِنْدَهُ النَّصِيحَةَ كَانَ لَا يَتَبَرَّمُ وَلَا يَتَسَخَّطُ وَلَا يَتَسَهَّى وَلَا يَتَشَكَّى وَلَا يَتَسَهَّى وَلَا يَنْتَقِمُ وَلَا يَغْفُلُ عَنِ الْعُدُوِّ فَعَلَيْكُمْ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ إِنْ أَطَقْتُمُوهَا فَإِنَّ لَمْ تُطِيقُوهَا كُلَّهَا فَأَخْذُ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْكَثِيرِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ

ان هذه القواعد الأخلاقية السامية التي تدعو الى اكرام الفرد لنفسه أولا ولاخيه ثانيا، وهي تصب في تأسيس الوازع الذاتي في فكرة تبني الاخلاق الإسلامية بعدها وسيلة هادفة لضبط المجتمع بغية تحقيق التماسك المطلوب الذي أراه الله تعالى، وسيرة الامام الرضا تمثلت ذلك بتمامه ولعل هذه السيرة العطرة هي ما تسببت أخيرا في استشهاده عليه السلام فالناظر في حادثة صلاة العيد التي أقامها الامام الرضا عليه السلام على غير عاداته عندما كان يريد لقاء الناس من لبس افضل الثياب كعادة الناس في المجتمع الفارسي كانت تهدف الى تمثل الاخلاق المحمدية التي امتازت بالبساطة والانقطاع عن مفاتن الدنيا، فقد ذكرت المصادر ان المأمون: "طلب من الإمام أن يصلي صلاة العيد فامتنع الإمام من إجابته وأصرَّ عليه المأمون فاجابه الإمام إلى ذلك إلا أنه شرط عليه أن يصلي بالناس كما كان جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) يصلي بهم ووافق المأمون على ذلك وأمر القوّاد وسائر الناس أن يبكروا إلى دار الإمام، وخرج الناس بجميع طبقاتهم في الصباح الباكر وجلسوا في الطرقات، وأشرفوا من السطوح وهم يتطلّعون إلى خروج الإمام، وقام الإمام في الصباح فاغتسل لصلاة العيد، وتعمّم بعمامة بيضاء ألقى طرفاً منها على صدره، وطرفاً منها بين كتفيه، وأمر مواليه أن يفعلوا مثل ذلك، وخرج (عليه السلام) حافياً وبیده عكّاز وكان لا يسير خطوة إلا رفع رأسه فكبّر، وقد تخيل إلى الناس أنّ الهواء وحيطان البيوت تجاوبه.

وكان القوّاد وسائر الناس قد تزوّنوا ولبسوا السلاح وتهيّأوا بأحسن هيئة كما كانوا يفعلون مع ملوكهم، وواصل الإمام مسيرته بتلك الهيئة التي تعنو لها الجباة، وقد رفع صوته قائلاً:

(الله أكبر، الله أكبر على ما هدانا، الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام، والحمد لله على ما أبلانا...) .  
ورفع الناس أصواتهم يدعون بدعائه، وهم يبكون، وقد تذكروا في الإمام ما كان يفعله رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وبان لهم ضلال أولئك الحكّام وأنهم على غير الحق، وصارت مرو ضجة واحدة، وسقط القوّاد من دوابهم ويقول بعض المؤرخين أن السعيد منهم من كان يعرف أحداً فيعطيه دابته ليوصلها إلى أهله، وكان الإمام إذا سار عشر خطوات وقف فكبّر الله أربعاً، وتابعه الناس في ذلك، وقد علا منهم البكاء فقد رأوا في الإمام امتداداً ذاتياً لشخصية جدّه الرسول (صلى الله عليه وآله) المحرّر الأكبر للإنسانية المعذّبة، وقد وصف البحري خروج الإمام إلى الصلاة بقوله: ذكروا بطلعتك النبي فهلّلوا لما طلعت من الصفوف وكبّروا حتى انتهت إلى المصلى لباساً نور الهدى يبدو عليك فيظهر ومشيت مشية خاشع متواضع لله لا يزهو ولا يتكبر

ولو أنّ مشتاقاً تكلف غير ما في وسعه لمشي إليك المنبر"<sup>١</sup>.

وتظهر هذه الحادثة مدى تاثر المجتمع بفكرة الإصلاح والرجوع الى المساواة والعدالة الاجتماعية التي كانت في أيام النبي محمد صلى الله عليه وآله، فالعلاقة بين الناس واحدة وهي مختصرة بان تكون اما اخ لك في الدين او نظير لك في الخلق، ولا فرق بين عبد اسود وحر ابيض كما لا فرق بين امام ومأموم، فالجميع متساوون في عبادة الله تعالى ومطلق المساواة تحت على تهذيب النفس بما يتوافق مع استدعاء قيم الخير بالأخلاق الفاضلة والسكينة والوقار والتعقل وقبول الاخر، وهو ابرز ما كان متبعاً في مجتمع مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله من قبل، وما فعل الامام الرضا الا ليستدعي تلك الصورة ويشبها في اذهان الناس الذين ترقبوا ما يفعل الامام عليه السلام في صلاة العيد وهي اهم صلاة لان في طقوسها خصوصية تهم الولاة والرؤساء والقادة.

ولعل استصلاح النفس من الموارد التي حظ عليها الائمة عليهم السلام بتأسيس نظرة جديدة في التعاطي مع الدين كونه ضابطاً أخلاقياً يسهم في حركة صلاح المجتمع، وهو ما يتمثل بالحديث الشريف، الذي ذكره الكافي بقوله: " عَنْهُمْ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ فَضَالٍ عَنِ عَلِيِّ بْنِ عُقْبَةَ وَتَعْلِبَةَ بْنِ مَيْمُونٍ وَعَالِبِ بْنِ عُثْمَانَ وَهَارُونَ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ بُرَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ ع فِي مُسْطَاطٍ لَهُ بِجَنَى فَنَظَرَ إِلَيَّ زِيَادُ الْأَسْوَدِ مُتَمَلِّعَ الرَّجُلِ فَرَأَى لَهُ فَقَالَ لَهُ مَا لِرَجُلَيْكَ هَكَذَا قَالَ جِئْتُ عَلَى بَكْرٍ لِي بَضْوٍ فَكُنْتُ أَمْشِي عَنْهُ عَامَّةَ الطَّرِيقِ فَرَأَى لَهُ وَقَالَ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ زِيَادٌ إِنِّي أَلُمُّ بِالذُّنُوبِ حَتَّى إِذَا ظَنَنْتُ أَنِّي قَدْ هَلَكْتُ ذَكَرْتُ حُبُّكُمْ فَرَجَوْتُ النَّجَاةَ وَتَجَلَّى عَنِّي فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ع وَهَلِ الدِّينُ إِلَّا الْحُبُّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى حَبَبَ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَقَالَ إِنَّ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَقَالَ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ إِنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ص فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحِبُّ الْمُضَلِّينَ وَلَا أَضَلِّي وَأُحِبُّ الصَّوَامِينَ وَلَا أَصُومُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكَ مَا أَكْتَسَبْتَ وَقَالَ مَا تَبِعُونَ وَمَا تَرِيدُونَ أَمَا إِنَّهَا لَوْ كَانَ فِرْعَانُ مِنَ السَّمَاءِ فَرَعَ كُلَّ قَوْمٍ إِلَى مَا نَبِهْتُمْ وَفَرَعْنَا إِلَى نَبِينَا وَفَرَعْتُمْ إِلَيْنَا"<sup>٢</sup>

ونظير هذا المورد وهو الامتداد الطبيعي للفكر السلامي في النظر الى الاخلاق كونها ضابطة اجتماعية تحقق مطالب عده اولها تماسك المجتمع والعدالة الاجتماعية بين افراده والتسامي نحو الأفضل، وامتداد ذلك واضح في حادثة اجاب بها الامام الرضا عليه السلام لاحد السائلين بقوله: " حدثنا علي بن أحمد بن موسى بن عبد الله بن محمد بن هارون الصوفي قال حدثنا أبو تراب عبيد الله بن الروياني عن عبد العظيم بن عبد الله الحسيني قال قلت لأبي جعفر محمد بن علي الرضا ع يا ابن رسول الله حدثني بحديث عن آباءك ع فقال حدثني أبي عن جدي عن آباءه قال: قال أمير المؤمنين لا يزال الناس بخير ما تفاوتوا فإذا استوتوا هلكوا قال قلت له زدني يا ابن رسول الله فقال حدثني أبي عن جدي عن آباءه ع قال: قال أمير المؤمنين ع لو تكاشفتم ما تدافنتم قال فقلت له زدني يا ابن رسول الله فقال حدثني أبي عن جدي عن آباءه ع قال قال أمير المؤمنين ع إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بطلاقة الوجه وحسن اللقاء فإني سمعت رسول الله ص يقول إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم قال فقلت له زدني يا ابن رسول الله فقال حدثني أبي عن جدي عن آباءه قال: قال أمير المؤمنين ع من عتب على الزمان طالت معتبهتة قال فقلت له زدني يا ابن رسول الله فقال

<sup>١</sup> مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٣٧٧. وينظر: عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ٢ ص ١٥٠ - ١٥١، و نور الأبيصار: ص ١٤٣.

<sup>٢</sup> الكافي ج: ٨ ص: ٨٠



حدثني أبي عن جدي عن آبائه قال قال أمير المؤمنين ع: مجالسة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار قال فقلت له زدني يا ابن رسول الله قال حدثني أبي عن جدي عن آبائه ع قال قال أمير المؤمنين ع بفس الزاد إلى المعاد العدوان<sup>١</sup>

وفي ظل هذه الأجواء التي تحظ على استدعاء قيم الخير ونبذ قيم الشر، تبنت الحضارة الإسلامية الأخلاق السامية وحثت الرأي العام عليها في حين ان مجتمع الغرب نظر الى الأخلاق نظرة أخرى، وهي نظرة فلسفية مادية مجردة لا تستهدف بالضرورة عملية استصلاح الذات الإنسانية بقدر ما تستهدف وضع الضوابط التي من شأنها وقف حرية الأفراد اذا صار المساس بالحرريات الاجتماعية، ومن هنا تجردت الأفكار الغربية من إجراءات صلاح الفرد الذي بالضرورة يؤدي الى صلاح المجتمع، فالأخلاق عند روسو ومونتيسكيو لا تكون من الكائن الأسمى وهو الذات العلية بل هي متواجدة في جوهر ذات الإنسان ومتطلباته الطبيعية في الحياة<sup>٢</sup>. ان الدين عند روسو لا يمثل الأخلاق بالمطلق، فهو عد الدين مخيباً للأمال لأنه يحتوي على قواعد واخلاق غريبة بعض الشيء عن طبيعة الإنسان وجوهره<sup>٣</sup>، وينطلق روسو من فرضية ان الدين قد كتب قديماً بلغات في وقته لم يعد العامة في الوقت الحاضر يفهمون ما دونت به الشرائع القديمة وعلى هذا الأساس لم يعترف بالدين ضابط أخلاقياً لأنه كما يزعم يسوده الاضطراب والكرهية للمخالف وعلى وفق هذا التصور لا يمكن التسليم بحالة الربط بين الدين والأخلاق كما يرى<sup>٤</sup>، وهنا نجد ان هذا المفكر يرمي بالأخلاق في ساحة الناس بغرائزهم الطبيعية، فما كان حسناً لدى جمهورهم فهو جيد ومن الأخلاق وما كان سيئاً عنده فهو ما تواضع اغلب المتعاقدون اجتماعياً على نبذه وعده من الأخلاق الذميمة، على أنهم يؤسسونها على العقل الفلسفي ويبرز - في هذا المنظور- التصور العلماني القائم على فرضيات فلسفية وعلمية مع البعد عن القول الحق الذي أتى به الدين، ورغم الجهد الكبير الذي قام به العوام في إثراء المكتبة العربية في مجال القيم إلا أنه ما زال منغمساً في تيارات الفكر الغربية دون انفصال عنها.<sup>٥</sup>

وعند مقارنة هذه الأفكار مع أفكار الامام الرضا في الحديثين المارين يظهر جليا الأسس المعرفية لمنظومة القيم والأخلاق الهادفة الى صلاح المجتمع عند الامام الرضا عليه السلام في حين ان الأخلاق انما تقوم على اجراء شكلي يعتمد على رأي الغالبية في الأخلاق بصرف النظر عن الهدف السامي من اتباعها على نحو الدقة اذ يعتقد روسو أن القوة العقلية التي هي مصدر الدافع الأخلاقي الحقيقي، وهذا الدافع هو الضمير الذي يدفعنا إلى حب العدالة والأخلاق، والرغبة في العمل على تعزيزهما، وهو بذلك يخالف ما جاء به الفيلسوف الإنجليزي جون لوك، الذي اعتبر الدافع الأخلاقي هو المتعة والألم، أي السعي وراء المتعة واللذة واجتناب الألم والمعاناة وما يجر إليها<sup>٦</sup>. وقد اشتهر فولتير الفيلسوف الفرنسي المبرز في عصر المتنورين الغربيين بعبارة (لا تفعل ما لا ترغب ان يفعل بك)<sup>٧</sup> كما اشتهر عنه وعن ديدرو وغيره من فلاسفة ذلك العصر بان الدين الخالي من الالتزامات الجسدية

<sup>١</sup> الأمالي، الشيخ الصدوق ص٤٤٦

<sup>٢</sup> ينظر: مبادئ اللازم الخلقى عند روسو ٣٨٣

<sup>٣</sup> ينظر: العقد الاجتماعي، كريسون اندريه روسو ص ٢٧

<sup>٤</sup> ينظر: العقد الاجتماعي ٢٩٧ وما بعدها.

<sup>٥</sup> النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها - دراسة نقدية ١٦٧/٢

<sup>٦</sup> نفسه

<sup>٧</sup> رسالة في التسامح، فولتير ص٤٧

هو المفضل عندهم لأنهم يعتقدون بان الدين الذي يحقق هذه الالتزامات هو مصدر تشدد وحقد وكرهية بين الشعوب، فالدين على هذا الوفق هو سالب للحريات والإرادة بل هو أداة عند المتدينين لقتل المخالفين لهم، ودعى الى دين أخلاقي عقلي ينظم المجتمع ولا يسهم في قتل الآخر المخالف<sup>١</sup> ويبدو ان المجتمعات الغربية المعاصرة قد تمثلت من فلاسفة المتنورين تلك الفلسفة التي تقوم على مبدأ اللذة والالم، فيرى المفكر الإغريقي "ارستيب" بأن اللذة هي صوت الطبيعة، وأن الغريزة هي المحرك الأول لأفعال الإنسان، فجعل اللذة معيارا للفعل الأخلاقي وتجسيدا للخير الأعظم، فالطبيعة البشرية التي تنجذب بصورة تلقائية وعفوية إزاء ما يحقق لها متعة الحياة، وتنفر في المقابل من كل ما يهدد أو يقلل من هذه المتعة<sup>٢</sup>.

ولعل من نتائج هذه الأفكار ان المجتمع الذي تحكمه الغريزة والانفلات يتواضع حتما على عد كل ما يتصل بإباحة الغرائز من الاخلاق التي ينبغي احترامها وتقديسها، ومن هنا كانت مظاهر الزواج المثلي فضلا عن الانحطاط الخلقي ميزة تسعى الى تحقيقها المجتمعات الغربية بتوفير الشرائع اللازمة لحمايتها والبحث على اتباعها بعدها من المنظومة الأخلاقية الطبيعية التي تتصل بالحريات الخاصة والعامة على حد سواء<sup>٣</sup>.

### المطلب الثاني: الحرية بين الفكر الرضوي والفكر الغربي

كانت أمة العرب في العصر الجاهلي في حالة انحطاط وانحلال من حيث الديانة والمدنية والفضائل والأخلاق، فلم تكن لها ديانة حنيفية ولا وحدة قومية ولا رابطة وطنية ولا أصل من الاصول التي تركز عليها الفضائل الانسانية، اذ يعبدون الاصنام ويسفكون الدماء ويأكلون الربا ويفعلون الفواحش ويقولون قول الزور ويأكل القوى الضعيف، فهي فوضى في العقائد، وفوضى في الأخلاق فوضى في المعاش<sup>٤</sup>. فلا تدين غير الوثنية وكانت لكل قبيلة منهم آلهة خاصة، فكانوا مغرمين بشرب الخمر وبلعب الميسر والتفاخر بالآباء وتزويج الرجل من النساء بقدر ما تسمح له وسائله المعيشية وتزويج نساء الاب. ودفن البنات حيا والمطالبة بالثأر عندهم لا تقف عند حد حتى ان لم يظفر الرجل بغريمه انتقم من أحد أقربائه وربما يقنع بالدية للقتيل بمال كثير على قدر شرف المقتول وغير ذلك من المآثر السخيفة والعادات القبيحة<sup>٥</sup>. وتأسيسا على ذلك لا ينتج الواقع الذي كان يعيشه العرب وغيرهم من الأمم: "أكثر من مسيس الحاجة، إلى مصلح للعام حسب العناية، ولولا ذلك لبطلت الحكمة، وانتقض الغرض الصحيح من الخليقة، فلا مناص ولا محيص عن بعثة رسول يقوم بإتمام الحجة، وايضاح المحجة، والإرشاد والدلالة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة"<sup>٦</sup>.

ان الحرية التي عدت معيارا أساسيا في تبني فكرة العدالة الاجتماعية القائمة على منظومة الاخلاق المتلبسة بالدين حتما في التشريع الإلهي هي المحور الهادف من وصايا الامام الرضا عليه السلام التي تعد الامتداد الطبيعي لدين الله تعالى، فنظرته للحرية المقيدة بقانون الهي ينظم أحوال الناس ويدعو الى مكارم الاخلاق كائنة في أقواله عليه السلام وافعاله وتقريراته، وهي امثلة حية لما فعل السابقون عليه من الائمة الاطهار

<sup>١</sup> ينظر: التنوير الفرنسي، الانسان العقلاني فولتير نموذجا (بحث)

<sup>٢</sup> ينظر: قصة الفلسفة، ول ديورانت، ص ٣٤٩-٣٥٣

<sup>٣</sup> نفسه

<sup>٤</sup> ينظر: الجاهلية في الشعر الجاهلي، اخلاق العرب بين الجاهلية والإسلام، محمد الناصر ص ١٠ وما بعدها

<sup>٥</sup> تحف العقول ٣/١٢

<sup>٦</sup> الفقه: القانون الشيرازي (قدس سره الشريف) ص ٨٣

عليهم السلام نقلا عن جدهم المصطفى صلى الله عليه وآله، ويحدد لنا الإمام الرضا (عليه السلام) نظرية الإسلام في علاقات الإنسان مع أخيه الإنسان عملياً ببعض اللفتات الإنسانية الواقعية في سلوكه التي يمكن أن نستلهم منها فكرة إلغاء الإسلام للفوارق الطبقيّة القائمة بين الأفراد والجماعات في مجال الحقوق العامة ورعاية كرامة الإنسان وأن الفارق الذي يجب ملاحظته في هذه المجالات هو إطاعة الله ونبذ ما سوى ذلك في العبادات او المعاملات، بل ان التركيز دوماً كان في المعاملات بين افراد المجتمع على نحو يحقق حرية الجميع شرط ان لا تتعدى تلك الحريات الحدود التي رسمها الله تعالى للمجتمع الإسلامي.

فقد روي عنه عليه السلام انه كان: في قمة التواضع وحسن المعاشرة مع الناس هكذا ينقل إبراهيم بن العباس يقول: ما رأيت أبا الحسن الرضا جفاً أحداً بكلامه قط، وما رأيت قطعه على أحد كلامه حتى يفرغ منه، وما ردّ أحداً عن حاجة يقدر عليها، ولا مدّ رجله بين يدي جليسه له قط، ولا اتكأ بين يدي جليسه له قط، ولا رأيت شتم أحداً من مواليه ومماليكه قط، ولا رأيت تفل قط، ولا رأيت يهقهه في ضحكه قط، بل كان ضحكه التيسم، وكان إذا خلا ونصبت مائدته أجلس معه على مائدته مماليكه حتى البواب والسائس، وكان (ع) قليل النوم بالليل، كثير السهر يحيي أكثر لياليه من أولها إلى الصبح، وكان كثير الصيام فلا يفوته صيام ثلاثة أيام في الشهر، ويقول: ذلك صوم الدهر، وكان (ع) كثير المعروف والصدقة في السر، وأكثر ذلك يكون منه في الليالي المظلمة، فمن زعم أنه رأى مثله في فضله فلا تصدقوه.<sup>١</sup>

والحديث على طوله يظهر فكرة الدين الإسلامي عملياً في التصرف مع الحريات الاجتماعية والشخصية، فالتأدب والالتزام بحدود اللياقة هو القانون الشرعي الذي يحكم التعامل بين افراد المجتمع كما يريد الله تعالى، وحسن المعاشرة وعدم التكبر وذوبان الفوارق الطبقيّة هي مبادئ أساسية حث عليها الدين الإسلامي الحنيف كما الديانات السماوية الأخرى، فالحرية في الملبس والمأكل والتعلم والتصرف في جميع نواحي الحياة بما قرره الله تعالى منها مثلت محور الخلق الحسن الذي اتسم به الامام الرضا عليه السلام قولاً وفعلاً<sup>٢</sup>، ومصداق ذلك أيضاً في ما نقل عنه عليه السلام بقول المحدث: "ما رأيت ولا سمعت بأحد أفضل من أبي الحسن الرضا (عليه السلام) ما جفاً أحداً قط، ولا قطع على أحد كلامه، ولا ردّ أحداً عن حاجة، وما مدّ رجله بين جلسه، ولا اتكى قبله، ولا شتم مواليه ومماليكه، ولا هقهه في ضحكه، وكان يُجلس على مائدته مماليكه ومواليه، قليل النوم بالليل، يحيي أكثر لياليه من أولها إلى آخرها، كثير المعروف والصدقة في السر، وأكثر ذلك في الليالي المظلمة..."<sup>٣</sup>.

يقول رجل للإمام: والله ما على وجه الأرض أشرف منك أباً.

فقال: التقوى شرفتهم وطاعة الله أحظتهم.

وقال له آخر: أنت والله خير الناس.

فقال له: لا تحلف يا هذا، خير مني من كان أطوع لله وأتقى له والله ما نسخت هذه الآية (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم).

وقال أبو الصلت سألته: يا بن رسول الله ما شيء يحكيه الناس عنكم؟

<sup>١</sup> الامام الرضا (عليه السلام) قدوة وأسوة صا

<sup>٢</sup> الإمامة كما وضحها الإمام الرضا (ع) (بحث)

<sup>٣</sup> الامام محمد الجواد (عليه السلام) ص ٤٥

قال: وما هو؟ قلت: يقولون إنكم تدعون أن الناس لكم عبيد!  
 قال: اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت شاهد بأنني لم أقل ذلك قط ولا سمعت أحداً  
 من آبائي قاله قط وأنت العالم بما لنا من المظالم عند هذه الأمة وأن هذه منها.  
 ثم أقبل عليّ فقال: يا عبد السلام، إذا كان الناس كلهم عبيدنا على ما حكوه فممن نبيعهم؟ قلت: يا بن  
 رسول الله صدقت.

ثم قال: يا عبد السلام أمتك لما أوجب الله عز وجل لنا من الولاية كما ينكره غيرك.  
 قلت معاذ الله، بل أنا مقرّ بولايتكم.<sup>١</sup>

والحديث يبرز فكرة علاقة الناس ببعضهم البعض فهي علاقة مبنية على المساواة العامة في الحقوق  
 والواجبات ذلك ان النسبة بين الناس انفسهم وبين الله تعالى هي نسبة المخلوقين الى الخالق، وبالتالي فان  
 إقرار هذا المبدأ يؤكد بشكل لا لبس فيه مبدأ الحريات المتساوية بين الجميع في القول والعمل والتصرف،  
 فادعاء الربوبية من دون الله تعالى لم يكن مطلقاً شأن أولياء الله تعالى وذلك على غير ما دأبت عليه مجمل  
 الحضارات القديمة التي مجدت اربابها ورفعتهم الى مستوى الالهية الباطلة قولاً وفعلاً وعملاً، ومن هنا يأتي  
 دور طريقة تقييد الحريات في تبني فلسفة أخلاقية معينة تقوم بالضرورة على فكرة العدالة والمساواة، فالأخلاق  
 تختلف من أمة لأخرى ومن دين لدين، وإزاء هذا المد الإلهي في النظر الى الحريات الفردية والعامة، يأتي المد  
 السلطوي قولاً وفعلاً في تبني سياسات تفرض واقعا جديداً كلياً عن فكرة الدين بشأن الحريات والأخلاق  
 بوصفها ركائز تقوم عليها المجتمعات قديماً وحديثاً، فالعلمية في العصر الحديث متلبسة بالعلمانية، وهي  
 ذات رؤية خطيرة تؤطر النشاط البشري، وكما يتضح في مبحث العلمانية تأتي مشكلتها من الدينوية التي  
 تهمل من خلالها الهدف من تبني فكرة الحريات الممنوحة من الله تعالى وتستبدلها بفكرة الحريات المطلقة  
 التي لا يمكن للتشريعات الوضعية تقييدها الا بحدود الاضرار بحريات الآخرين<sup>٢</sup>

ان هذا المبدأ الغربي الذي يرسخ هذه الأفكار ويفترض حرية مطلقة لجميع الأفراد سلفاً في التصرف  
 بجميع أمور حياتهم ولا يقرر تقييد الحريات الفردية الا باطر تنظيمية تسهم في طريقة التعايش بين الأفراد  
 دون المساس بحرياتهم او الحد منها الا بشكل يحقق مطلب التبادل السلمي للمنافع بين افراد المجتمع ولا  
 يشترط ان يهدف تقنين الحريات بهذا الشكل حالة استصلاح الفرد ذاته كما في التصور الإلهي<sup>٣</sup>، فيمثل  
 الفيلسوف دوركهايم الذي يعدّ أفضل ممثل للاتجاه الاجتماعي في الأخلاق. الإطار المؤسس لفكرة أن  
 الأخلاق نسبية وهي تتغير بتغير المجتمعات وتتنوع بتنوع الأنظمة الاجتماعية. فالأخلاق ترتبط بالحياة  
 الاجتماعية وتنبثق من صلب التفاعلات الاجتماعية حيث يقوم كل مجتمع بفرض قيم ومعايير أخلاقية  
 تنسجم مع طبيعته الاجتماعية وتتناغم مع فلسفته الأخلاقية<sup>٤</sup>.

ويؤكد روسو على حرية الانسان الطبيعية التي يتنازل عنها للآخرين من اجل الحفاظ على حريته نفسها،  
 حيث تصبح المدينة هي السيادة او السلطة لكل الأفراد، مع انها، وبنفس الوقت، تقيّد حرياتهم وتكبلها،

١: الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام عرض وتحليل ص١

٢٢ ينظر: النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها - دراسة نقدية ١٦٧/٢

٣ ينظر: فولتير، حياته اثاره فلسفته، اندريه كريسون ص ٨٨

٤ ينظر: في مفهوم الاخلاق / قراءة فلسفية معاصرة،

فافتراض بناء على ذلك العقد الاجتماعي الذي ينظم معاملة الأفراد داخل المجتمع بان يتنازلوا عن حرياتهم في القيادة لصالح فرد بعينه ليحقق بذلك التبادل النفعي بين أفراد المجتمع في متطلبات التعايش باقل مقدار ممكن من هدر الحريات الخاصة، وهذا المبدأ يفرض ان الانسان يولد حرا وان الحريات ملازمة له ومن بعد يحصل التقييد من قبل المجتمع - وهذه الفكرة تمثل خطورة كبيرة في تبني فكرة الحريات المطلقة التي تقيد فيما بعد بقيود تفرضها المجتمعات بحسب حاجاتها المدنية وليس الدينية، وهذه الإشكالية ولدت نمطا من الاخلاقيات العامة التي تقبل المخالف وتدعو الى المدنية في التعامل لكنها لا تمنع بالمطلق جميع أنواع الحريات الهادمة للذات الإنسانية والتي تسهم في انحطاط وتدني مستوى الاخلاق فالمعيار هو ان الاخلاق قائمة على منح الحريات المطلقة أولا بصرف النظر عن فكرة صلاح الفرد الذي يؤدي بدوره الى صلاح الأمة كما هو الحال في الفكر الإسلامي الحنيف بل شاعت فكرة الحريات المفرطة التي تقيد بقانون وضعي لا يشترط هذا الشرط بأصله ف "الحرية المطلقة لا تنبع إلا من العبودية الصحيحة لله وحده" كما قال الغزالي<sup>١</sup>، والحريات العامة في الدولة الإسلامية" كما يرى الغنوشي تنبع من جوهر الحق الممنوح من رب العزة، وهو مفاد قوله: "إن الحرية في الإسلام وثقافته وتجربته الحضارية، على ما شابها، قيمة أساسية أصيلة، باعتبارها أساس صحة الشهادة وشرطها" و"الحرية ليست مجرد إباحة ولا معطى وجودي، وإنما هي من ناحية واجب، وهي من ناحية أخرى كدح متواصل"<sup>٢</sup>

ومقارنة الاخلاق الرضوية مع ما ذكر من التوجهات الفلسفية عند الغرب يظهر جليا ان الفكر الرضوي الذي يعد الفكر الإسلامي الرصين ينظر الى الحريات المقيدة بالقانون الإلهي هو الاجراء الرصين الذي يؤدب الفرد على تبني الحريات المفيدة له وللمجتمع على حد سواء فالمنح هو الله تعالى والمقيد هو الله تعالى والمجتمع لا يسير دون العناية الإلهية على وفق هذا التصور ومن هنا يكون المجتمع مثاليا قدر ما كان ورعا في الالتزام بمقدار الحريات الممنوحة له، وهذا يوفر أرضية خصبة لتبني الحريات التي تهتم بمكارم الاخلاق وعدم تبني تلك الحريات التي تحظ على الانفلات الذاتي بدعوى ان الحرية الذاتية لن تؤثر في حريات المجتمع بالحدود الدنيا على اقل اعتبار فالأخلاق الفاسدة من تعاطي المنكرات وتجاوز الحدود متاحة طالما لا تؤثر في المجتمع بشكل عام في المجتمع الغربي في حين ان المجتمع الإسلامي لا يبسط هذه الحريات لأن مردودها السلبي على الذات الإنسانية فضلا عن المجتمع يشكل أخطاء جسيمة في صواب التنشئة الاجتماعية الصحيحة القائمة على المثل وإصلاح الذات الإنسانية بعده مطلبا روحيا أولا وعقائديا ممدوحا ثانيا.

## خاتمة

توصل الباحث الى نتائج عدة، من أهمها: ان الفكر الرضوي بمفاهيم الاخلاق تنظيرا وتطبيقا تجسدت بأفعال واقوال الامام الرضا عليه السلام وكانت امتدادا طبيعيا للفكر الإسلامي المستنير بنور القرآن الكريم وسيرة الأئمة عليهم السلام وسنة النبي محمد صلى الله عليه وآله، وقد مثلت في جوهرها إجراءات عملية في استصلاح الذات الإنسانية لان مفهوم الاخلاق مقيد بتقنين الحريات بما يسمح بردع الذات عن فعل الاخلاق الذميمة التي تكتسب من البيئة بشقها السيء، وارسث هذه الأفكار مفاهيم العدالة والتسامح بين افراد

<sup>١</sup> قذائف الحق، محمد الغزالي ص ٢٣٣

<sup>٢</sup> الحريات العامة في الدولة الإسلامية- ص ٣١٩

المجتمع ونظمت العلاقة بين الافراد انفسهم والمخالفين لهم تحت اطار المجتمع المدني الذي يلتزم بان يدعو الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة فكان عليه السلام الانموذج الواقعي المجسد لهذه الافكار، قولاً وعملاً، في حين نأت الفلسفة الغربية عن هذه الجادة في استصلاح الذات الإنسانية وحثها على الالتزام بالأخلاق بل نظمت حالة الحريات بين افراد المجتمع بصرف النظر عن الهدف الاسمى وهو التعايش في مجتمع مدني لأجل غاية يريدتها الله تعالى، فالأخلاق في المجتمع الغربي إجراءات ومنهج واقعي في حين ان الاخلاق الرضوية عقيدة وإجراءات، فغياب الرادع الوضعي كالقانون مثلا لا يؤثر في نظام المجتمع الإسلامي بهذا المنطلق في حين ان غياب القانون المنظم للحريات في المجتمع الغربي يؤثر في الالتزام بالأخلاق الحميدة بل يمكن ان يتحول المجتمع ان غابت هيبة الدولة الى مجتمع عشوائي لان الهدف والغاية في المجتمع الغربي ليس البدء بالذات الإنساني استصلاحاً على خلاف المجتمع الإسلامي ممثلاً بالفكر الرضوي الشريف.

### المصادر والمراجع

- اخلاق اهل البيت، السيد محمد مهدي الصدر، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي.
- الأخلاق في القرآن، عبد الأعلى السبزواري، دار الكاتب العربي ط/١ سنة ٢٠١١م.
- الألماني \_ الصدوق، الشيخ الصدوق، المكتبة الإسلامية، الطبعة: الرابعة المصححة ١٤٠٤ هـ
- الامام الرضا (عليه السلام) قدوة وأسوة، محمد تقي المدرسي، مكتب العلامة المدرسي، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ
- الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام عرض وتحليل، باقر شريف القرشي، مركز ال البيت للمعلومات <https://almohsinlibrary.com/book>
- بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، وزارة الارشاد لاسلامي، ط/١ لسنة ١٣٦٥ هـ ش
- تاريخ الحضارة الأوربية د. فتحي محمد فكري - جامعة الإسكندرية مؤسسة طبية للنشر والتوزيع القاهرة الطبعة الأولى ٢٠٢٠م.
- تحف العقول، الحسن بن علي ابن شعبة، المطبعة الحيدرية، النجف ١٩٦٣م.
- تهذيب الأخلاق، احمد بن محمد بن مسكويه مطبعة الدة عباس باشا الأول القاهرة.
- الجاهلية في الشعر الجاهلي، اخلاق العرب بين الجاهلية والإسلام، محمد الناصر، دار الرسالة، مكة المكرمة - السعودية الطبعة الأولى ١٩٩٢م.
- الحريات العامة في الدولة الإسلامية راشد الغنوشي -مركز دراسات الوحدة العربية-بيروت-الطبعة الأولى- أغسطس ١٩٩٣
- الحقائق، الحقائق، في محاسن الاخلاق، الفيض الكاشاني تحقيق الحاج محسن عقيل، دار الكتاب الإسلامي الطبعة الأولى ١٩٨٩م
- الحياة السياسية للإمام الرضا (عليه السلام)...دراسة وتحليل، السيد جعفر مرتضى الحسيني العاملي، مركز الأبحاث العقائدية
- رسالة في التسامح، فولتير ترجمة هنريبييت عبود، دمشق ط ٢٠٠٩م.

- العقد الاجتماعي، كريسون اندريه روسو ترجمة بولس غانم اللجنة الدولية لترجمة الروائع، المطبعة الكاثوليكية، ط، ١ بيروت ١٩٧٢م
- عيون أخبار الرضا (عليه السلام) محمد بن بابويه القمي نشر الميرزا محمد رضا المشهدي، جانج خانه-دار القلم قم المقدسة ١٣٧٧هـ
- الفقه: القانون، آية الله العظمى الإمام السيد محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي (قدس سره الشريف) مركز الرسول الأعظم للتحقيق والنشر - بيروت لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م
- الفقه المنسوب الى الإمام الرضا عليه السلام تحقيق ك مؤسسة ال البيت عليهم السلام لتحقيق التراث نشر: المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام مشهد المقدسة الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ
- فولتير، حياته اثاره فلسفته، اندريه كريسون، ترجمة صباح محي الدين عويدات بيروت ط/ سنة ١٩٨٤م. قذائف الحق، محمد الغزالي - دار القلم-دمشق- الطبعة الأولى-١٩٩١م.
- قصة الفلسفة، ول ديورانت، ط، ٥، مكتبة المعارف بيروت، ١٩٨٥
- الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، منشورات الفجر، بيروت - لبنان ط، ١، سنة ٢٠٠٧م.
- مناقب آل أبي طالب، ابي جعفر محم بن علي بن شهر اشوب المازندراني، دار الاضواء.
- نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار صلى الله عليه وسلم، الشيخ مؤمن بن حسن الشبلنجي، مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٩٤٨م.
- النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها - دراسة نقدية، حسن بن محمد حسن الأسمرى، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

## البحوث

- الاخلاق المفاهيم والسلوكيات، د. اصغر دادبه، ترجمة عباس كاظم الشمري مجلة النبأ، العدد ٦٤ الإمامة كما وضعها الإمام الرضا (ع) أ. م. د. عباس علي الفحام / مجلة العقيدة العدد العاشر لسنة ٢٠١٦م المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية.
- في مفهوم الاخلاق / قراءة فلسفية معاصرة، علي اسعد وطفة، مركز نقد وتطوير للأفكار الفلسفية <https://tanwair.com/archives/6609>
- مبادئ الأزمات الخلقية عند روسو د. منيرة محمد، مجلة جامعة دمشق مجلد ٢٨ العدد ٣-٤ لسنة ٢٠١٢ التنوير الفرنسي، الانسان العقلاني فولتير نموذجاً (بحث) احمد جعيب كاظم / حسين عبد الزهرة الشيخ كلية الادارب - جامعة بغداد، مجلة حوليات اداب عين شمس المجلد ٥٠ العدد سبتمبر ٢٠٢٢م

## روابط الانترنت

- <https://www.aljazeera.net>  
<https://annabaa.org/nba64/akhlaq.htm>  
<https://tanwair.com/archives/6609>

## مشاركة المرأة الإيرانية في المقاومة تحقيق العدالة والتخلص من الظلم

أ. د. دلّال عباس<sup>١</sup>

### الملخص

يهدف بحثي المعنون (مشاركة المرأة الإيرانية في المقاومة نظرياً وعملياً لتحقيق العدالة والتخلص من الظلم) اعتماداً على المنهج الوصفي الاستقرائي، وبالتركيز على تعاليم وتقاليد الإمام الرضا عليه السلام، إلى توضيح دور المرأة الإيرانية في المقاومة نظرياً وعملياً منذ أوائل القرن العشرين الميلادي، وحتى اليوم؛ وكانت الشبهات التي واجهتها في القرن العشرين الميلادي وظلم النظام الحاكم، وتقليد الغرب، وموجات التغرب والإلحاد، مشابهة إلى حد ما للشبهات التي تصدّى لها الإمام الرضا عليه السلام في عصر المأمون العباسي، عصر التقدّم العلمي والتأثر بالثقافات الدخيلة بعد أن توسّعت عملية الترجمة...

ويُقسم البحث إلى مقدمة عامة وثلاثة مباحث:

المقدمة تتضمّن تعريفاً بمفهوم المقاومة الدينية في الإسلام التي انبثقت من الدور الرسالي لأئمة أهل البيت عليهم السلام، وهو "صيانة الرسالة" في المرحلة التي تلت مرحلة النبوة، أي مرحلة التأسيس وصنع الأمة الرسالية، وتكوين المجتمع المؤمن...

المبحث الأول: عن مظلومية الإمام الرضا عليه السلام المتمثلة في اضطراره قبول ولاية العهد حين عرضها عليه المأمون، بعد رفضه قبول الإمرة والخلافة؛ وبحث الظروف التي استوجبت ذلك القبول، والشروط التي اشترطها على المأمون؛ والدور الذي أدّاه وهو ولي للعهد، ممّا أدّى إلى استشهاد...

المبحث الثاني عن انحراط المرأة الإيرانية في المقاومة الدينية: المقاومة الفردية: السيدة المجتهدة نصرت أمين الإصفهانية المولودة في إصفهان في أواخر القرن التاسع عشر الميلاديّ منذ قرن وربع القرن، مثلاً وقُدوة للنساء المسلمات بعد سيدات العصمة... انخرطت في الصراع الثقافي الدائر في إيران في عهد رضا شاه حول موضوع الحجاب، وأخذت على عاتقها مهمة الدفاع عن الإسلام في مواجهة المنكرين له أي التيار القومي العنصري المعادي، أو الذين أخطأوا في تطبيقه...

٢) المقاومة الشعبية: مشاركة المرأة في الثورة الإسلامية الإيرانية التي كنتُ شاهدةً على أحداثها ورأيت بأمّ عيني المسيرات والمظاهرات التي شاركت فيها النساء...

خاتمة تتضمّن أهم نتائج البحث

**الكلمات المفتاحية:** المقاومة الدينية، الإمام الرضا، السيدة الزهراء(ع)، المرأة الإيرانية، المجتهدة نصرت أمين الإصفهانية

١ الجامعة اللبنانية، استاذ ادبيات تطبيقى، dalal.abbas@gmail.com



## المقدمة

إن المقاومة الدينية في الإسلام انبثقت من الدور الرسالي لأئمة أهل البيت عليهم السلام، وهو "صيانة الرسالة" في المرحلة التي تلت مرحلة النبوة، أي مرحلة التأسيس وصنع الأمة الرسالية، وتكوين المجتمع المؤمن... لقد كان دورهم جميعاً صون الرسالة والشريعة وحفظها من التحريف، أي حفظ تعاليمها وأحكامها وعقائدها ومفاهيمها وأخلاقيها وقيمها كافة، كي لا يُصيَبها ما أصاب الرسالات السابقة من تحريف بعد وفاة المرسلين. إن صيانة الرسالة لا تقتصر على صيانة المفاهيم والتعاليم وإنما تتطلب تجسيداً على أرض الواقع كي لا تبقى حبيسة الكتب. إن تجسيد الرسالة على أرض الواقع يُجددُ إنزال الرسالة إلى واقع الحياة والمجتمع، لأن واقم الحياة والمجتمع معرضٌ للأخطار أكثر من الرسالة المجردة المحفوظة في دفتي الكتاب... وأول من قال الحق وقارعَ الظلم بسلاح المعرفة، السيدة الزهراء عليها السلام... ففي خطبتها الفدائية وفي خطبتها أمام نساء الأنصار عليها السلام أكدت على أن الذين أنكروا حق أهل البيت [علي وفاطمة وذريتهما]، قد فعلوا ذلك إما حسداً، وإما طمعاً بالمناصب، وإما لأن الإسلام لم يتمكن من قلوبهم وعقولهم، وظلت عاداتهم القبليّة أقوى من تعاليم دينهم، والذين سكتوا، قد سكتوا جبناً وخوفاً من مقارعة زعماء قريش... لقد قدمت السيدة الزهراء عليها السلام درساً للرجال والنساء، للرجال منتقدة جهلهم ونفاقهم وتخاذلهم عن نصرة الحق، محرّضة النساء على أن يكون لهنّ دورٌ في توضيح الصراع الدائر بين الحق والباطل...

إن صيانة الرسالة تعني تجسيد التعبير القرآني: "اليوم أكملت لكم دينكم"، وهي القاسم المشترك في مواقف الأئمة جميعاً وأعمالهم؛ أما الاختلاف الظاهري بين مواقف كل منهم، فهو ليس اختلافًا مبدئيًا، لأنّ كيميّة صيانة الرسالة تختلف من مرحلة إلى أخرى ومن ظرف إلى ظرف آخر.

إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أتمس الأمة الرسالية واستطاع أن يحول ذلك المجتمع البدوي إلى أمة رائدة للبشرية كلها، هذا المجتمع الجديد الحضاري كان بحاجة إلى صيانة وتخليص من أيدي المنحرفين والمحرّفين والظالمين والطواغيت، الذين يبتون كالفطر في المجتمع، ويحولون الأمة إلى أمة ذليلة يسودها الظلم والعدوان والفساد، وهذا هو دور الأئمة [الإصلاح لصيانة الأمة]...

إن الأمة التي ربّاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم تربيةً رساليّةً، وجدت نفسها بعد انتقاله إلى البراء الأعلى وجهًا لوجه أمام إغراءات الإمرة والسلطة، وهذه محنة وابتلاء عظيمان، فهذه النفوس التي كانت ضعيفة ولم تترتب تربيةً كاملة على تعاليم القرآن أو تفهيم مقاصده، لتفاوت الأوقات التي أعلن فيها الناس إسلامهم في حياة النبي، والأعداد الكبيرة التي أسلمت بعد فتح مكة، قبل أن تفهم شيئاً من تعاليم الدين، أخذت النزعات والأهواء تتفعل فيها، فبرزت مسألة السقيفة، وحُرّفت قيادة الأمة الرسالية بالشكل الذي نعرفه، والذي وصفته السيدة الزهراء في خطبتيها... وبلغ التحريف مداه في عهد الخليفة الثالث، وكانت نتيجته بعد استشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وصول معاوية إلى الحكم.

هذه المشكلة تركّزت زمن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، واستطاع الإمام عليه السلام إبان المدة القصيرة من حكمه أن يصون الرسالة منها ويقدم النموذج الرسالي للحكم على الرغم من قصر المدة التي حكم فيها، لكن سيرته الشخصية وطريقة حكمه والنظريّة التي وضعها للحكم الإسلامي الرسالي، التي نقرأها في كتب التكليف التي كان يُرسلها إلى ولاته في الأمصار، لاسيّما كتابه إلى مالك الأشتر حين ولّاه مصر. هذه النظريّة التي مارسها وطبقها هو بنفسه عملياً، تقدّم المثل الأعلى لشكل الحكم الإسلامي العادل، والعدالة السياسيّة والاجتماعيّة في الإسلام؛

أما الإمام الحسن عليه السلام فالبلاء الذي تعرض له كان سببه زيفُ معاوية، وشمعته التاريخية المزيّفة أيضاً، التي جعلت الجمهور (العوام، أو بحسب تعبير أمير المؤمنين الرّعا) يؤمن بأنه أحد الصّحابة مثله مثل الإمام علي (ع) وأنّ الصّراعَ بينهما إنما هو صراعٌ بين صحابيّين، أو عشرينين من قريش، وراج سوق المغالطات ووضع الأحاديث، التي كان معاوية وإعلامه المتمثّل بالفقهاء ورواة الحديث - الذين أغدق عليهم الأموال - يروّجونها بين الجماهير، فاختلط الأمرُ على الناس ولم يعد باستطاعتهم التمييزُ بين الحقّ والباطل... لم يفهم حتى أصحاب الحسن عليه السلام أسباب عقد معاهدة الصلح مع معاوية إلا بعد استلام هذا الطاغية للسلطة متجلبباً بجلباب الإسلام وفرية صُحبة النبي؛ وقوله ما قال بعد نقض معاهدة الصّح...:

في الحالة المرضيّة التي وصل إليها المجتمع في زمن الإمام الحسين، أي الفتور الذي جاء نتيجة تحريف مفهوم القيادة الإسلامية، بسبب إغراءات السلطة؛ وحدوث التشوّش في أصل مبادئ الإمامة والولاية، وفي نوع الحكم الإسلامي وصيغته ما كان يمكن الإصلاح بالكلام وحده، وبالمفاهيم والنظريات، فكأنها موجودة ومعروفة ولا التباس فيها، كان الناس يعرفون الحقّ، ولكنهم لا يعملون به؛ هذا المرض العظيم الذي ابتليت به الأمة ما كان يمكن معالجته بالأدوية بعد استفحاله. جسّد الإمام الحسين عليه السلام دوره الرسالي والاجتماعي-السياسي المقاوم بالاستشهاد الذي كان من نتيجته تحريك وزعزعة الجمود والاسترخاء والفتور الذي أصيب به المجتمع الإسلامي، وتالياً دور هذا الاستشهاد الذي تجسّد بهذه الصورة الفريدة من نوعها في تاريخ الإنسانيّة جمعاء في مقاومة الظلم والاستبداد طيلة التاريخ الذي أعقب فاجعة كربلاء وحتى اللحظة الراهنة وإلى قيام الساعة؛ كان العلاج هو ضرب المثل الأعلى من أمثلة الترفع عن الأهواء والشهوات، وتقديم مصلحة الرسالة ومصلحة الأمة على المصلحة الشخصية، التضحية بالنفس والتضحية بالأهل والأولاد والأصحاب من أجل الرسالة والمستضعفين في الأرض...

### المبحث الأوّل: المقاومة بالرأي، الإمام الرضا عليه السلام:

أما الإمام الرضا عليه السلام فمظلوميّة متمثّلة في اضطراره قبول ولاية العهد حين عرضها عليه المأمون، بعد رفضه قبول الإمرة والخلافة؛ وينطبق عليه قول جدّه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: "اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منّا منافسةً في سلطان، ولا التماس شيءٍ من فضول الحطام، ولكن لندّ المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك وتُقامُ المُعظلةُ من حدودك..."; وكاضطراره جدّه الإمام الحسن لعقد معاهدة الصلح مع معاوية؛ على الرّغم من اختلاف الظروف التي استوجبت ذلك القبول، والشروط التي اشترطها على المأمون؛ والدور الذي أدّاه وهو وليّ للعهد، ممّا أدّى إلى استشهاده... فضلاً عن أنّ الشبهات في عصره كانت شبيهةً بالشبهات في عصرنا نحن من نواحٍ عديدة.

اتفق المؤرّخون على اختلاف توجهاتهم المذهبيّة والسياسيّة على أنّ الإمام الرضا عليه السلام، كان أعلم أهل الأرض وأعبدتهم كما صرّح المأمون نفسه، وقد قال للعباسيّين لمّا جمعهم سنة ٥٢٠هـ، إنّهُ نظر في ولد العباس، وولد عليّ رضي الله عنهم، فلم يجد أحداً أفضل، ولا أروع، ولا أدين، ولا أصلح، ولا أحقّ بهذا الأمر من عليّ بن موسى الرضا (مروج الذهب، ج٣، ص٤٤١؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص١٨٣؛ الفخري، في الآداب السلطانيّة، ص٢١٧؛ الطبري، ط. ليدن، ج١١، ص١٠١٣، مختصر تاريخ الدول، ص١٣٤؛ تجارب الأمم، ج٦، ص٤٣٦).

والمأمون نفسه الذي قال عن الإمام ما قال كان أعلم بني العباس، بالفقه والكلام والعلم والحكمة. سياسياً كانت ثورات العلويين تقصّ مضاجع الخلفاء العباسيين، وكان واضحاً تأييد الناس لهم، واستحابتهم السريعة لدعوتهم، وذلك دليلاً على نفور الناس من استهتار العباسيين، وظلمهم، وسياستهم الرعناء، مع الناس عامةً ومع العلويين خاصةً... لذلك فإنّ المأمون "جعل الرضا عليه السلام وليّ عهده، لمحاولة تأليف قلوب الناس ضدّ قومه العباسيين، الذين حاربوه ونصروا أخاه الأمين... وقد كان الرضا من قوّة الشّخصيّة وسموّ المكانة، أن التفّ حوله المرجّعة وأهل الحديث، والزّيديّة، ثمّ عادوا إلى مذهبهم بعد موته..." (الشيباني، الصّلة بين الصّوّف والتّشيع، ص ٢١٤ و ٢٢٣، و ٢٢٤)

في زمن الرضا تحزّر الشّيعيّة، واتسع نفوذهم، كان الرضا يمثّل أمل الأمة ورجاءها في حاضرها ومستقبلها؛ وكان الناس قد اعتادوا من الحكّام التجاوز على الحقوق، والدّماء، والأموال، وعلى أحكام الذين والنواميس الإنسانيّة بشكل عام...

قَبِلَ الإمامُ (ع) ولاية العهد بعد أن عرف أنّ ثمن رفضه لها لن يكون غير نفسه التي بين جنبيه، هذا عدا عمّا سيتعرّض له العلويون وكل من يتشيع لهم إلى أخطارٍ هم في غنى عنها...

كان عليه أن يحتفظ بحياته وحياة شيعته، لأنّ الأمة في تلك المرحلة الحرجة كانت بأمرس الحاجة إلى وعيهم وإدراكهم... فقد كان قد غزاها في ذلك الوقت تيّار جارفت من الرزندقة والإلحاد، والشك بالمبادئ الإلهيّة الحقّة، فكان على الإمام (ع) أن يقف، ويقوم بواجبه في توعية الأمة، على الرّغم من قصر المدّة التي عاشها بعد البيعة نسبياً، ولهذا ورد في الزيارة الجواديّة:

"السلام على من كُسر له وسادة والده أمير المؤمنين؛ حتى خصم أهل الكُتُب، وثبّت قواعد الدّين" (المجلسي، البحار، ج ١٠٢، ص ٥٣).

فضلاً عن ذلك إنّ قبول الإمام بولاية العهد، معناه اعتراف من العباسيين عملياً، بأنّ العلويين لهم الحقّ في الخلافة، وأنّ الناس قد ظلّموا حقّهم هذا، وأنّ ظلم الناس لهم ليس معناه عدم ثبوت ذلك الحقّ لهم... يفسّر ذلك ردّ الرضا على الذي سأله: "يا ابن رسول الله، ما حملك على الدخول في ولاية العهد؟! فاجابه الإمام (ع) : "ما حمل جدّي على الدّخول في الشّورى..." (جعفر مرتضى، ص ٣٠٦، نقلاً عن عيون أخبار الرضا، ص ١٤٠؛ وغيره)

لقد سنحت للإمام الرضا (ع) فرصة لمدّة وجيزة، كان الحكّام منشغلين فيها بأموارٍ تهتمّهم، للقيام بواجبه في توعية الأمة، وتعريفها بتعاليم الإسلام، أي المدّة التي تلت وفاة الرشيد وحتى قتل الأمين؛ وامتدّت - ولو بشكل محدود - حتى استشهاد الإمام عليه السلام في سنة (٥٣٠٣). الأمر الذي كان من نتيجته ازدياد مريدي أهل البيت عليهم السلام... إنّ اعتراف المأمون [أيّاً تكن نواياه] بأحقّيّة أهل البيت، واحتجّاجه على الملا بتفضيل عليّ بن أبي طالب، وما كتبه إلى الآفاق بأنّ عليّ بن أبي طالب (ع) أفضل الخلق بعد رسول الله؛ فضلاً عن الشعر الذي قاله فيه؛ وبوصفه الإمام الرضا عليه السلام أنّه أفضل أهل الأرض (محسن الأمين، في رحاب أئمة أهل البيت، ج ٤، ص ١١٠ وما بعدها) أخرج شيعة أهل البيت من داخل شرنقة التّقّيّة، وأوصل دعوتهم إلى مختلف أقطار الإمبراطوريّة الإسلاميّة؛ فالناس على دين ملوكهم؛ ومن الأهميّة بمكان الأمر الذي وجّهه المأمون إلى أئمة الجمعة في جميع الأمصار، يأمرهم بالدعاء للإمام الرضا في كلّ جمعة وعند كلّ مناسبة (الصّدوق، عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ١٤٧)؛ ووجد الشعراء والخطباء الموالون لأهل البيت الفرصة سانحةً، لمدح الإمام وآبائه وأجداده، ونشر فضائلهم...

إنّ قبول الإمام الرضا عليه السلام لولاية العهد بالشروط التي وضعها، حوّل قضية القبول من تهمة إلى مكسبٍ معنويٍّ وإعلاميٍّ له ولشيعة أهل البيت...فهو في كثير من المواقف كان يقول للمأمون رأيته بصراحة، على مسمع من حاشيته، وهذه الآراء سرعان ما تنتشر بين النَّاس، والحاضر يخبر الغائب ...

منذ البداية أبلغ الألوفا المنتظرين في نيسابور المتعدّدي النزعات والأهواء الهدف الأساس وهو المحافظة على قضية التوحيد التي هي مدار الدعوة التي بلغها جدّه النبي إلى النَّاس: "كلمة لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي" (محسن الأمين، في رحاب أئمة أهل البيت، ج٤، ص ١١٨ نقلًا عن ابن الصبّاغ المالكي؛ جعفر مرتضى، ص ٣٢٠، نقلًا عن القندوزي الحنفي)، الملاحظ أنّه لم يُحدّثهم عن مسألة فرعية أو عن العبادات أو يتصل بذلك، وإنّما عن التّوحيد: أخطر مسألة ترتبط بوجودهم: ما هو الرابط بين مسألة الولاية ومسألة التّوحيد؟ لقد قالها لهم: "بشرطها وشروطها، وأنا من شروطها"؛ قال ما قال ثمّ مشى: ليتفكّر الشامعون في ما قال، وليدرّكوا ويفهموا الارتباط بين مسألة "التّوحيد" ومسألة "الإمامة"، أي ارتباط قضية "قيادة الأئمة"، بالله عزّ وجلّ، بالمبدأ الأعلى، وليس بالحكّم الأرضيين، وبقوله "أنا من شروطها"، يكون قد وضّح للجماهير المنتظرة، وفيهم أهل الحديث والمرجئة والمعتزلة وغيرهم، أنّ إمامته الهيّة وأنّه إمام المسلمين، المفترض الطاعة. علمًا أنه صرّح في أكثر من مناسبة عن أنّه أكره على قبول ولاية العهد، وأنّه كان يتوقّع أن ينكث المأمون بعهدده؛ يضاف إلى ذلك كلّه قوله لحاجب المأمون: "... وأما ذكرُك صاحبك (يعني المأمون، والمأمون جالس)، الذي أجلّني؛ فما أحلّني إلّا المحلّ الذي أحلّه ملك مصر ليوسف الصّدّيق(ع)، وكانت حالهما ما قد علمت..." (محسن الأمين، في رحاب أئمة أهل البيت، ج٤، ص ١١٨؛ جعفر مرتضى، ص ٣٢٨، نقلًا عن المصادر الأساسية)؛ وفي حوارٍ له مع المأمون جعله يعترف أنّ العلويين هم الأحقّ بالخلافة والرياسة؛ قال المأمون للرّضا عليه السّلام: "يا أبا الحسن، إنّي فكّرت في أمرنا وأمركم، ونسبنا ونسبكم، فوجدت الفضيلة فيه واحدة، ورأيت اختلاف شيعتنا في ذلك محمولاً على الهوى والعصبية... وكان جواب الإمام: لو أنّ الله تعالى بعث نبيّه محمّدًا(ص)، فخرج علينا من وراء أكمة من هذه الأكام، يخطب إليك ابنتك، كنت مزوّجه إياها...؟ فقال المأمون: يا سبحان الله وهل أحدٌ يرغب عن رسول الله(ص)؟! فقال له الرّضا(ع): أفتراه كان يحلّ له أن يخطب إليّ؟... فسكت المأمون هنيهةً ثمّ قال: "أنتم والله أمس برسول الله رجماً..." (جعفر مرتضى، ص ٣٢٩، نقلًا عن مسند الإمام الرضا(ع)، ج١، ص ١٠٠، ومراجع أخرى).

مع الإشارة إلى أهميّة رسالة الرّضا(ع) إلى المأمون تلبيةً لطلبه، والتي جمع له بها أصول الإسلام، وصرّح فيها بالنصّ على عليّ(ع)، كما ذكر الأئمة الإثني عشر، الذين نصّ عليهم كلّهم النبي(ص) بأسمائهم، حتى من لم يكن قد وُلد بعد منهم... وفيها يصف الإمام(ع) أئمة الهدى أدقّ وصف، وأروع وأوفاه...<sup>١</sup>

وإذا لاحظنا ما جاء في ما كتبه على العهد الذي كتبه المأمون بيده: نجد أنّها هي المعايير نفسها التي وضعها عليّ عليه السلام لنظام الحكم في الإسلام: طاعة الله(الحكم بحسب أوامر ونواهي الله عزّ وجلّ) كما وردت في النصّ القرآني، وطاعة رسوله أي ما ورد في سنّته الصّحيحة...<sup>٢</sup> وقد جعلتُ الله على نفسي، -إن استرعاني على المسلمين- وقلّدتني خلفته العمل فيهم عائمةً، وفي بني العباس بن عبد المظلب خاصّةً، بطاعة

١ يقول السيّد جعفر مرتضى، ص ٣٣٢، إنّ هذه الرسالة مشهورة، وقد أوردتها واستشهد بها غير واحد من المؤرّخين، وكان آخرهم الدكتور أحمد محمود صبحي في كتابه نظريّة الإمامة، ص ٢٨٨، وقال إنّها من المخطوطات الموجودة في دار الكتب المصريّة تحت رقم ١٢٥٨.

الله، وسنة رسوله (ص).... "؛ "فلا يسفك دمًا حرامًا، ولا يبيع فرجًا، ولا مالا، إلا ما سفكته حدوده، وأباحته فرائضه..." وفي هذا الكلام تعريضٌ بالعباسيين الذين قطعوا الأرحام، وأتلفوا النفوس كما فعل من قبلهم بنو أمية بل أكثر من ذلك...

هذا هو العدل بحسب مفهوم الإمامة... ".... وأن أتختر الكُفأة جهدي وطاقتي... هذا ما أمر به علي عليه السلام ولاته في كتب التكليف لا سيما كتابه إلى مالك الأشتر... "وإن أحدثت وبدلت، كنت للغير مستحقًا، وللنكال متعزبًا، وأعوذ بالله من سخطه..." هذا تعريضٌ أيضًا بنظام الحكم الذي يُعطي الخليفة - المليك سلطةً مطلقة...

ما معنى أن يشترط على المأمون لقبول ولاية العهد أن لا يتدخل في أي شأن من شؤون الحكم من حرب وصلاح وعزل ونصب وتديبير وإشراف على الأمور: "أن لا يوَلِّي أحدًا، ولا يعزل أحدًا، ولا ينقض رسمًا، ولا يُعَيِّر شيئًا ممَّا هو قائم، ويكون في الأمر مشيرًا من بعيد؟"

معناه على أقل تقدير أنه لا يريد أن يشارك الحاكم في تنفيذ قرارات يتوقَّع ويعرف أنها ربما كانت جائرة؛ بمعنى أن نظام الحكم القائم لا يمثل الحكم الإسلامي الصحيح... وكان المأمون يأتي كل مدة إلى الإمام، يطلب منه أن يوَلِّي فلانًا، أو أن يُصَلِّي بالناس... بل لقد طلب منه بعد مقتل الفضل أن يساعده في إدارة شؤون الخلافة (جعفر مرتضى، ص ٣٧٠، نقلًا عن الكافي، ج ٨، ص ١٥١، وعيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ١٦٤ و١٦٦ و١٦٧) بذريعة أنه يعجز وحده أن يقوم بأعباء الحكم. حتى عندما أصرَّ عليه المأمون أن يخرج للصلاة، اشترط عليه أن يخرج كما كان يخرج جداه رسول الله (ص) وعلي بن أبي طالب عليه السلام، لا كما يخرج الآخرون... ليعرف الناس أن نهجَهُ نبويّ علويّ لا يُشبه نهجَ الخلفاء - الأباطرة، قال له: "إن أعفيتني من ذلك فهو أحبُّ إليّ، وإن لم تُعفني خرجتُ كما خرج رسول الله صل الله عليه وآله وسلّم وأمير المؤمنين عليه السلام"..... إعطاء درس عملي للناس أن لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، وتصريحه في أكثر من موقف ردًّا على تساؤلات البعض عن سبب مؤاكلته لخدمه وغلماينه وبواب داره وسائسه: "إن الله عزَّ وجلَّ واحدٌ، والأُمُّ واحدة والأب واحد، والجزاء بالأعمال": وقال: "إن قرابته من رسول الله (ص)، لا تجعله خيرًا من عبد أسود، إلا أن يكون له عملٌ صالحٌ فيفضله عليه!" وردًّا على الذي قال له: ما على وجه الأرض أشرف منك أبا. قال: التقوى شرفتهم، وطاعةُ الله أحظتهم (مسند الإمام الرضا، ج ١، قسم ١، ص ٤٦).

نضيف إلى ما تقدّم أهميّة المناظرات التي جرت بين الإمام (ع) وبين العلماء المتنوعي الثقافات والمذاهب والأديان، حتى لقب ب "غظي الملحدين"، ومشهورة المناظرات بينه وبين الجائليق رئيس الأساقفة النصراني، ورأس الجالوت اليهودي، ورؤساء الصابئة وعظماء الهنود من أبناء المجوس، وأصحاب زرادشت، وعلماء الزوم، والمتكلمين، وغلب عليهم بالحجة البيّنة والبراهين التامة (محسن الأمين، م، ن، ص ١٣٠ وما بعدها؛ الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ١٦٣)؛ أما رسالة "جوامع الشريعة" التي كتبها الإمام عليه السلام للفضل بن سهل، فقد ذكر فيها أمهات القضايا العقائدية والفقهية للتشيع (ابن شعبة الحزاني، تحف العقول، ص ٤١٥).

إن قبول ولاية العهد كان الهدف منه صيانة الرسالة وتجسيد التعبير القرآني: "اليوم أكملت لكم دينكم"، وتطبيق حديث الثقلين، وأدى ذلك إلى نشر فضائل أهل البيت مجسدة بالإمام الرضا في جميع الأقطار ...

المبحث الثاني: انخراط المرأة الإيرانية في المقاومة الدينيّة:

(١) المقاومة الفردية؛ المقاومة بالرأي: السيدة المجتهدة نصرت أمين الإصفهانية أو "بانو أمين"، مثالاً وقدوة للنساء بعد سيدات العصمة (١٣١٢ هـ / ١٨٩٥ م - ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م) والتي يمكن عدّها "حجّة على

النساء والرجال في عصرها وفي كلِّ العصور". ولدت في أواخر القرن التاسع عشر الميلاديّ، وتوفيت في الربع الأخير من القرن العشرين، صرحت أكثر من مرّة أنّ جدّتها الزهراء هي الأنموذج الذي احتذت به في حياتها. أي "قول الحقّ ومقارعة الظلم بسلاح المعرفة، منطلقاً من الدرس الذي قدّمته السيّدة الزهراء عليها السلام للرجال والنساء في خطبتها الفدكيّة وخطبتها أمام نساء الأنصار: للرجال منتقدّة جهلهم ونفاقهم وتخاذلهم عن نصرة الحق، محرّضة النساء على أن يكون لهنّ دورٌ في توضيح الصراع الدائر بين الحقّ والباطل... وقال معاصروها من العلماء، إنّها شبيهةٌ جدّتها الزهراء عليها السلام. هذه السيّدة يمكن أن تكون مثلاً وقدوةً للنساء المسلمات في مشارق الأرض ومغاربها، في البلاد الإسلاميّة وغير الإسلاميّة، وحيث تُطبّق تعاليم الدين، وحيث لا تُطبّق أو تُحارب:

- لماذا اخترنا السيدة نصرت أميناً مثلاً وقدوةً للنساء المناضلات بالموقف وبالقلم بعد سيدات العصمة؟
- لأنّها وُلدت منذ قرنٍ ونيّف في إصفهان، في زمانٍ سيطر فيه الفقر والأيّمة والجهل والخرافات على الأكثرية الكاثرة من الناس، [في حين أنّ عصرنا تتوافر فيه وسائل التعلّم ولم يعد للمقصرين والمقصّرات ذرائع يُسوغون بها تقصيرهم تجاه الدين والردّ على المتطاولين عليه]، وكان الحكم الدكتاتوريّ والثقّفون الدائرون في فلكه يحاربون الإسلام، والثقلّة الغنيّة المتعلّمة في معظمها تقلّد الغرب تقليداً أعمى...
- انخرطت في الصراع الثقافي الدائر في إيران في عهد رضا شاه حول موضوع الحجاب، وأخذت على عاتقها مهمّة الدفاع عن الدين في مواجهة أعدائه، من المنكرين له أو الذين أخطأوا في تطبيقه... وأقنعت النساء أنّ الحجاب (وهي المثال) لا يمنع المرأة من العلم والتقدّم والعمل، وأنّه رمزُ الهويّة الإسلاميّة.
- تعلّمت على نفسها، وعلمت بنات جنسها في منزلها، واعترفت باجتهادها وفقاهتها كبار العلماء المعروفين، وأثنوا عليها وحاوروها واستفتوها...
- حثّت النساء على العلم محاضرةً، كما حثّت في كتبها الرجال والنساء معاً على العلم والعمل.
- كتبت الكتب بالعربيّة والفارسيّة ووصلت إلى مرتبة الاجتهاد، وأقرّ بفضلها وفقاهتها وعلمها كباقر العلماء، وكانوا يناقشونها ويستفتونها، ويأخذون برأيها.
- فسّرت القرآن الكريم، فكانت أوّل مفسّرة للقرآن بعد جدّتها الزهراء عليها السلام؛ كل هذا وهي زوجةٌ وأمٌّ متديّنةٌ تقيّةٌ محبّةٌ!

إذا استثنينا عصر صدر الإسلام، ودور الصحابيات الأوائل ونساء العترة الطاهرة في التطبيق العملي للدين، فإنّ التاريخ الإسلاميّ في الشرق برّمته كان ظالمًا للمرأة. وإن كان من غير المستغرب أن نقرأ في التاريخ الإسلاميّ أسماء نساءٍ كان لهنّ أدوارٌ حاسمةٌ في مجالات عديدة (دلال عباس، المرأة الأندلسيّة مرأةٌ حضارةٌ شعت لحظةً وتشظّت، شركة المطبوعات، بيروت ٢٠١٧)، فإنّ سماع اسم امرأةٍ عالميّةٍ فقيهةٍ مجتهدةٍ، أقرّ بعلمها واجتهادها وفقاهتها وتفوّقها العلماء الأعلام من معاصريها، أمرٌ مشيرٌ

١ لها بالعربيّة ثلاثة كتب: "الأربعون الهاشميّة"، و"التفحاح الترحمانيّة"، و"جامع السننات". وبالفارسيّة ثلاثة: طريق سعادة البشر الذي هو ترجمتها الفارسيّة لكتاب طهارة الأعراق لابن مسكويه... وكتاب السدير والتسلوك (سير وسلوك) بالفارسيّة؛ وكتاب المعاد أو آخر مسيرة البشر؛ وكتاب مخزن اللآلئ في فضيلة مولى الموالى [أمير المؤمنين] عليّ بن أبي طالب عليه السلام؛ ثمّ يأتي تفسير مخزن العرفان: [تفسير للنصّ القرآنيّ باللّغة الفارسيّة]. في خمسة عشر مجلّدًا بعد الكثير من التفكير والمطالعة، خطت السيّدة أولى خطواتها في هذا الوادي المقدّس، لتكون أوّل مفسّرة للقرآن في الكون، بعد جدّتها فاطمة الزهراء.

للدّهشة، وربما للاستغراب لدى البعض؛ لا سيّما وأنّها وُلدت منذ قرنين وربع القرن في إحدى اللحظات الحرجة والخظيرة من تاريخ إيران، وفي ظلّ الحكم الملكي المطلق للاستلالة القاجارية، في أواخر القرن التاسع عشر الميلاديّ، والأُمّيّة متفشّية في أوساط الغالبية العظمى من أبناء الشّعب الإيرانيّ رجالاً ونساءً [كحال الشّرق بمعظمه، وبمخيلف دوله وإثنيّاته، والعرب والإيرانيّون من ضمنهم]. إنّها السيّدة نصرت أمين، أو "بانو إيراني" ومعناه السيّدة الإيرانيّة، أو سيّدة إيرانيّة، وهو اللقب الذي استخدمته هي في مقالة صحافيّة لها تنتقد فيها ما يجري باسم التّحديث، فاشتهرت به -من بعد- في حياتها وبعد مماتها. أمّا المدينة التي وُلدت فيها فهي إصفهان، التي قيل عنها «إصفهان نصف العالم»، عندما جعلها الشّاه عباس الأوّل الصّفويّ عاصمةً مُلكه، فصارت عروس الشّرق وموئل العلماء الأعلام القادمين إليها من مختلف الأقطار، لا سيّما من جبل عامل (دلال عباس، بهاء الدين العاملي أديباً وفتياً وعالمياً، المقدّمة التاريخيّة) ...لم تعد إصفهان عاصمةً المملكة، لكنّها ظلّت مركزاً كبيراً من علماء الدّين، وموطن العوائل العلمائيّة الشهيرة، وليس بعيداً منها نمت حوزة قمّ العلميّة، المنبثقة عنها؛ جدّ أبيها كان أحد السّادة الأشراف، من علماء إصفهان الأعلام الزّهّاد، ومن أصحاب الكرامات، وأجداد أمّها من السّادة الأشراف أيضاً، اشتهر منهم علماء وشعراء وأدباء وخفّاطون في العصرين الصّفويّ والقاجاريّ. وُلدت الفتاة في مرحلة من مراحل تاريخ إيران، كانت الأجواء السياسيّة فيها ملبّدة بالاضطرابات، وبالمشاكل الدّاخلية والخارجيّة....

أمّا ثقافيّاً فكانت الأكريّة الشعبيّة أميّة أو أقرب إلى الأميّة، وقلة متعلّمة علوماً حديثة، أو علوماً دينيّة... واجتماعيّاً أكثرية كالحجل، تقلّد الغرب في المظهر من دون المخبر، في طريقة الحياة واللباس، وكلّ ما له علاقة بالمظاهر الخارجيّة الزّائفة، والبعد عن الدّين، والتّظاهر بالإلحاد (دليلاً على التّقدّم والرّقي)؛ أمّا الفقهاء، فكانوا فريقين: علماء يهون ويعظون، ويحدّرون من معتبة ما يحدث، وهم قلة حتّمًا، ومتعلّمون قشريّون، يزيّدون النّاس تخلفاً على تخلفهم؛ متفقهون بحسب تعبير الشيخ البهائيّ عن معاصريه (دلال عباس، بهاء الدين العاملي أديباً وفتياً وعالمياً، ص ٤٦٩). في هذه الحقبة أيضاً بدأت تتبلور ملامح تيار قديم - جديد، سيقوى في ما بعد، هو التّيار القوميّ الآريّ المتعصب، والذي سنعرف من بين دعائه من بعد أشخاصاً لم يكونوا - لسخرية القدر - من ذوي الأصول الفارسيّة، يدعون للتّخليّ عن الإسلام (لا تفرنجاً فقط)، وإنّما من منطلق قوميّ متعصب، والعودة إلى الحضارة الفارسيّة قبل أن يفتح العرب المسلمون إيران؛ وبعد انهيار الحكم القاجاريّ، ومن بعده الحكم الدّستوريّ، واستلام رضا خان الحكم، ملكاً مطلق الصّلاحيّات، حصل في إيران الكثير باسم التّحديث [شكلائيّاً]، وتنامى التّيار القوميّ المعادي للإسلام، وقد تبنّاه رضا خان برعونة، كما تبنّاه من بعده ابنه محمّد رضا شاه (دائرة معارف العالم الإسلامي، ج ٥، مقالة السلالة البهلويّة، ص ٣٤٦ - ٤١١، ترجمة دلال عباس؛ باقر عاقل، روز شمار تاريخ إيران، ص ٢٨٦-٢٨٧؛ دلال عباس، أيّامّ مغتات في إيران قبل الثّورة، دار الأمير، بيروت، ٢٠٢٣)؛ ومنذ ذلك الحين بدأ الصّراع الفكريّ بين المدافعين عن الدّين وما قدّمه لإيران، وبين المناهضين له، وانتهى الصّراع كما نعلم بانتصار الثّورة الإسلاميّة التي أعادت إلى إيران هويّتها الإسلاميّة، لكنّ التّيار القوميّ المعادي لما يهدأ [وقد شاهدنا نماذج عن تحرّكاته في الأعوام الأخيرة بالتعاون مع الغرب]....

لقد شاركت العالمة نصرت أمين في هذا الصّراع الفكريّ قولاً وفعلاً مدافعةً عن الإسلام....

## دور السيدة نصرت أمين العالمة العاملة في توعية معاصريها

أهميّة دور السيدة نصرت أمين تكمن في أنّها أدّت دور العالمة العاملة المناضلة المثقّفة المدافعة عن الإسلام ورموزه، في الوقت الذي كان فيه الجهل والأميّة قد تفسّنا بين الرجال والنساء في مشرق العالم الإسلاميّ ومغربه في عهود الانحطاط المتمادية، فسيطرت العادات والتقاليد والأعراف البعيدة من الدين الحقّ، وصدرت فتاوى تحرّم النساء من نعمة العلم ونعمة إعمال العقل، ومن أدنى الحقوق التي فرضها لها الدين عدا استثناءات قليلة... لذلك كان ذلك الانهيار بالأنموذج الغربيّ في بداية القرن العشرين، وبدأت الدعوات مباشرة وغير مباشرة إلى التخلّي عن الدين وخلع الحجاب (رمز التخلّف بنظر أولئك الدعاة) في العالم الإسلاميّ منذ أن بدأت المدارس التي فتحها المبشّرون الأميركيون والمبشّرون الفرنسيّون، فضلاً عن الجمعيات النسائية والصحف والمجالات الداعية إلى تحرير المرأة، والتي تردّ تخلف المجتمع إلى تخلف النساء المحجّبات. في العام ١٩٣٣ زار رضا خان تركيا، وهنالك صرّح أنّه سيُحارب الإسلام كما فعل أتاتورك رئيس تركيا؛ وبعد عودته ركّز اهتمامه على كيفة التخلّص من العباءة والجلباب، وكان يصرّح باستمرار بأنّ العباءة والجلباب هما عدوّا رقيّ الناس وتقدّمهم. [أمّا الحكم الديكتاتوريّ فهو نصير التقدّم! أليس هو القائل: "لكلّ بلد نظام خاص، ونظامنا نحن نظام الرجل الواحد؟"]

كلّ ذلك في الوقت الذي كان فيه الناس يموتون ويتركون على قارعة الطريق بعد أن تفتك بهم الأوبئة، والمجاعات المتنقّلة (دائرة معارف العالم الإسلامي، ج ٥، مقالة السلالة البهلويّة، ص ٣٤٦-٤١١، ترجمة دلال عباس؛ باقر عاقل، روز شمار تاريخ إيران، ص ٢٨٦-٢٨٧؛ دلال عباس، أيّامّ مغتات في إيران قبل الثورة، دار الأمير، بيروت، ٢٠٢٣) إنّ الخطوات العمليّة لخلع الحجاب بدأت في آخر العقد الثاني من القرن العشرين، وبالتحديد في العام ١٩٢٨؛ في ذلك العام أصدر رضا خان مرسوماً ملكيّاً يفرض على الرعايا الإيرانيين ارتداء زيٍّ موحد: للرجال السترة النصفية والقبعة التي سُمّيت القبعة البهلويّة التي عدّدت في حينه شعار إيران الوطني، وطلب إلى النساء خلع الحجاب والخروج سافرات. ثمّ استنسيب للناس قبعةً أخرى استعير لها اسمها الفرنسيّ (شاپو)، وكان قد صدر قبل ذلك مرسومٌ مُنعت فيه مجالس قراءة القرآن ومجالس العزاء الحسيني؛ لقد تخيلت الحكومة أنّها بذلك تضع مسافةً بين الشعب والدين [المقصود الإسلام وليس الأديان والديانات والمذاهب الأخرى]. لقد أعلن رضا شاه والموظفون الدائرون في فلكه، أو الذين يُسيرونه أنّ إيران يجب أن تعود إلى سابق مجدها قبل الإسلام، وأنّ تتخلّص من هذا الدين (الإسلام) الذي حرّمها منذ أربعة عشر قرناً استقلالها السياسي والوطني... لكن كان هنالك معارضة لقرارات الحكومة<sup>(١)</sup>. في كانون الثاني من العام ١٩٣٦ أُعلن إلغاء الحجاب رسمياً في إيران، وذلك في الاحتفالات التي أُقيمت في "قصر العلوم" بحضور رضا شاه وزوجته وبناته والوزراء وزوجاتهم وبناتهم، والنساء جميعاً اللواتي حضرن هذا الاجتماع كنّ سافرات. من الطبيعي بعد تلك الحادثة أن يتحوّل الأمر إلى نوع من التحدي بين الفريقين: الذين يريدون المحافظة على هويّة إيران الإسلاميّة، والذين كانوا يريدون محو أربعة عشر قرناً من تاريخها. أصدر رضا شاه مرسوماً ملكيّاً يمنع فيه المعلّمات والتلميذات

اجتمع الناس في مقام الإمام الرضا (عليه السلام) في مدينة مشهد، في صيف العام ١٩٣٥، وأُقيمت الخطب المتعدّدة بقرارات الحكومة المناهضة للدين، فصدرت الأوامر الملكيّة للواء المرابط في شرف خراسان بأن يقصّ تلك الاجتماعات بالقوة، فأطلق الرصاص الحيّ على الرّؤا المحيطين بالقبور الشريف، فسقط أكثر من ألفي شخص بين قنبل وجريح (باقر عاقل، روز شمار تاريخ إيران، ص ٢٨٦-٢٨٧)؛



في المدارس من ارتداء العباءة أو غطاء الرأس، وكذلك النساء في الاجتماعات العامة، وإذا امتنعت إحداهن عن تنفيذ هذه الأوامر فإن الشرطة ستستعمل الشدّة، وستمنع النساء من ركوب الحافلات؛ ولما اعترض علماء الدين على هذا الأمر، ووجهوا بالشتايم والإهانات، ونفذ رضا خان تهديداته عملياً، وكانت شرطته تتصدى للنساء المحجّبات في الطرقات والأزقة، تمرّق لهنّ العباءات وتضربهنّ بعنف، حتى أنّ كثيرات منهنّ فقدن أجنّتهن (الخميني، صحيفة النور، مج ٥، ص ١٧٦، ومج ١٠ ص ١٣٩) ... هذه الإجراءات ألزمت النساء المتديّبات وبنات العائلات المتديّنة أن يلبّسن بيوتهنّ طيلة خمس سنوات وحرّمن من الخروج إلى الحدائق أو الحمامات العامة، ومُنِع الناس من المتاجرة مع النساء المحجّبات بيعاً وشراءً، ومن ضمنهنّ الفلاحات القاديات من الأرياف لبيع منتوجاتهنّ. حتى الفتيات اللواتي كنّ يذهبن إلى مدارس الإرساليات المختلطة مرتديات غطاء الرأس "الإيشارب" على الرّغم من تعنيف المعلّمات لهنّ، فقد تولّت الشرطة بعد ذلك منعهنّ من دخول المدارس قبل أن يخلعن الإيشارب، وكثيرات منهنّ حرّمن من المدرسة بسبب ذلك؛ وفي الحمامات العامة وُضِعَتْ عميلات سرّيّات لسماع ما تقوله النساء عن إجراءات الحكومة، ولمراقبة ما ترتديه النساء بعد خروجهنّ من الحمام، وكان يقف موظّفون رسميّن على مداخل الأماكن العامة والمزارات لمنع المحجّبات من الدخول، حتى سائقو السيارات العموميّة والحافلات مُنعوا من نقل النساء المحجّبات (الخميني، صحيفة النور، مج ٥، ص ١٧٦، ومج ١٠ ص ١٣٩).

شغّل موضوعُ السفر وتطبيقه الإجماليّ إيران من أدناها إلى أقصاها مدّة خمسة أعوام متواصلة، ولازمت النساء منازلهنّ، أو أُجبرن على ذلك، خوفاً من أن تهنّهنّ الشرطة (زندگانی بانو ایرانی، ص ٥١).

...رافق استخدام العنف في زمان رضا شاه لفرض خلع الحجاب، إرسال الدعوات إلى الشخصيات النافذة ورؤساء النقابات وكبار التجار (وإجبارهم مباشرة وغير مباشرة) لحضور الاجتماعات الأسبوعيّة في القصر الملكيّ مع زوجاتهنّ، وكان زوج السيدة نصرت أمين من ضمن المدعوّين، فهو نقيب التجار؛ ولما كان حضور الزوجات مع أزواجهنّ إلزاميّاً، رفضت السيّدة نصرت أمين ذلك، وأظهرت للناس وللنساء اللواتي يقتدين بها، ويرينها مثلاً أعلى لهنّ موقفها عمليّاً: أوّلاً من خلال رفضها حضور الاجتماعات التي تقيمها الحكومة لكبار الشخصيات -وزوجها منهم- مع زوجاتهم، وإصرارها على الالتزام بارتداء العباءة، وانتقالها إلى قمّ مجاورّة ودارسة، فأظهرت للناس وللنساء اللواتي يقلدنها، ويرينها مثلاً أعلى لهنّ موقفها عمليّاً، وثانيًا توضيح القضية والكلام حولها أمام النّساء والشّابات اللواتي يجتمعن في منزلها -على الرّغم من صعوبة التنقّل في الطرقات-، والكتابة عن هذه القضية لتبيان أغراض السياسة وأهدافهم الشّيطانيّة [كما سمّتها] (علويّة همايوني، زندگانی بانو ایرانی، ص ٤٦ - ٤٨).

لقد تصدّت السيّدة لردّ على شبهات عصرها، وسعت إلى تنوير المجتمع النسائيّ من حولها، وكان لتصدّي السيّدة لقرارات الحكومة معنيّ بعيداً جداً: صحيح أنّ كل علماء الدّين الرّجال عارضوا الموضوع، لكنّ بالنسبة إلى المجتمع، لا سيّما النّساء، فإنّ العلماء في النّهاية رجال، ولا يريدون للمرأة أن تنال حرّيّتها! لكنّ أنّ تقف عالمة دين ومجتهدة، اعترف كبار العلماء باجتهادها، وتتصدّى لهذا الموضوع، ليس دفاعاً عن العباءة أو غطاء الرأس بحدّ ذاته، وإنّما دفاعاً عن الهويّة، وأنّه لا يمنع المرأة من التّقدّم علميّاً، وهي الدليل العمليّ على ذلك.... لقد انصبّت جهود السيّدة طيلة المدّة التي استغرقتها الإجراءات العنفيّة على تثقيف النساء اللواتي يجتمعن أسبوعيّاً في بيتها، وعلى تعليم تلميذاتها، وفي الوقت نفسه تكتب المقالات، ومن ثمّ تجمع

محاضراتها في كتاب سمّته طريق السعادة، أو سبيل السعادة [روش خوشبختى]، وهو الكتاب الوحيد من بين كتبها الموجّه إلى النساء، وقد مُنِع من النشر، ولم يُنشر ويصل إلى أيدي الناس إلا بعد أن هَمَد أوار القضية، وحذفت الرقابة منه المقاطع التي تتضمّن نقدًا سياسيًا؛ وقد ركّزت فيه على موضوع التربية الأولى للإنسان طفلًا، وعلى أهميّة اقتران العلم بالعمل، ودائمًا هي الأنموذج المحتذى.

إنّ النساء اللواتي تعلّمن في بيت السيدة نصرت أمين وفي المدرسة التي أسستها هنّ اللواتي ربّين المجاهدين في إصفهان الذين نصرورا الثورة الإسلامية في أوّل عهدها؛ ولما قامت الثورة الإسلامية، تغيّرت أوضاع المرأة تغيّرًا كليًا.

هذه السيّدة من المكانة بين أهل العلم حدًّا جعل العلماء والفضلاء من إيران والعراق يتسابقون للقاءها، ويناقشونها ويستمعون إليها؛ كما أنّ كثيرين من العلماء وأرباب الحكمة كانوا يأتون لزيارتها ولإجراء حوارات علمائيّة أو عرفانيّة؛ من بين هؤلاء الكبار العلامة الطباطبائي وآية الله المرعشي النجفي، وآية الله السيّد هاشم حدّاد، والأساذ محمد تقي الجعفري، والشهيد مرتضى مطهري، وآية الله الحائري الشيرازي وآخرون، وقد عبّر كلٌّ منهم على نحو خاص عن حصيلته لقاءه بها (علويّة همايوني، زندگانی بانو ایرانی، ص ٦٠ - ٧٥).

لقد شكّلت رؤية السيّدة نصرت أمين المعايير لخطاب السلطة العلماني التغريبي منذ العام ١٩٣٥، والتي ترتكز على الهويّة الإسلاميّة (بناء على نهج أهل البيت عليهم السلام)، وما طرحه من بعدها الفقهاء الثوريّون المعارضون للنظام الشاهنشاهي، القاعدة النظرية لمشاركة المرأة في الثورة الإسلاميّة في العام ١٩٧٩ م، وبعد ذلك في مختلف وجوه الحياة.

## ٢) المقاومة الشّعبيّة: مشاركة المرأة الإيرانيّة في الثورة الإسلاميّة

### المرأة في خطاب منظري الثورة

لقد طرح الفقهاء الثوريون والمعارضون للنظام الشاهنشاهي رؤية مغايرة للخطاب العلمانيّ التغريبيّ للسلطة منذ منتصف القرن العشرين. هذه الرؤية التي ترتكز على الهويّة الإسلاميّة [بناءً على المذهب الشيعي الإثني عشري]، شكّلت القاعدة النظرية لمشاركة المرأة في الثورة الإسلاميّة في العام ١٩٧٩ م، وبرز في هذا السياق فضلًا عن الإمام الخميني، آية الله الشهيد مرتضى مطهري، والدكتور علي شريعتي؛ ومن النساء اسم السيّدة نصرت أمين. وقد اشتركوا في تصوّر مفادها أنّ فساد وضع المرأة في المجتمع نابع من فساد المجتمع ككل، وأي محاولة لإصلاح الجزء لا تجدي إلا بإصلاح الكل....

### موقع المرأة في خطاب الإمام الخميني

إن قضية المرأة لدى الإمام الخميني (حقوقًا وواجبات ودورًا ومكانة...) لا تنفصل عن تصوّره العام للمجتمع الإسلاميّ عمومًا، فتمّة حضورًا مباشرًا لها في أعماله كافّة، والمرأة مفردة من مفردات مشروعه الفكريّ والاجتهاديّ تتكرّر في إنتاجه المختلف، سواء قصد المرأة تحديدًا أو استخدام المرأة أنموذجًا لضرب الأمثلة أو للوعظ والتوجيه.

وقد شهد الوجود المكثف للمرأة في خطاب الإمام الخميني تطورًا نوعيًا من مرحلة إلى أخرى، بدأ الخميني في الخمسينيّات مناقشة أزمة الوعي لدى المرأة المسلمة واستعدادتها لذاتها ولهويّتها (إبراهيم العبادي،

الاجتهاد والتجديد، دراسة في مناهج الاجتهاد عند الإمام الخميني والشهيد المطهري والصدر، بيروت: دار الهادي ٢٠٠٠م، ص ٤٢). وقد شخّص الإمام الخميني قضية المرأة تشخيصاً مركباً مزج فيه بين مسؤولية النخبة والمجتمع معاً عن وضع المرأة، ولهذا كان حديثه عن المرأة بندياً ثابتاً في كتبه ورسائله وخطبه المتعلقة بالأوضاع السياسية والاجتماعية، وكان ما قدمه الخميني في الواقع من محاولة تأصيله لحقوق المرأة قد بدأ مع اهتماماته الفقهية المرتبطة بالتجديد في الفقه الإسلامي والاجتهاد بصورة عامة....

كان الإمام الخميني يؤمن بأنّ الإسلام أولى المرأة اهتماماً كبيراً يكاد يفوق الاهتمام والعناية بالرجل: من هذا الإيمان بدور المرأة المنبثق من اعتقاد الإمام- كسائر علماء الشيعة- بالمقام الشامخ للسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، كونها (وهي امرأة) قدوة لجميع المسلمين رجالاً ونساءً، أعطى الإمام المرأة الإيرانية دوراً أساسياً في الثورة وفي العمل الاجتماعي والثقافي والسياسي، لم يُسبق إليه في العالم الإسلامي. لذلك يمكننا القول، أنه لو لم يكن الإمام الخميني هو قائد الثورة والمحضّر لها والملمهّم لصانعيها، ولو أنّ الذي قادها- على سبيل الافتراض- كان عالماً آخر كبيراً من علماء الحوزة، الذين كانت نظرهم إلى المرأة نظرةً دونية مستمدة من المفاهيم التقليدية والأعراف السائدة المنسوبة إلى الإسلام زوراً، ومن ردت الفعل على ما كان يجري في إيران، على يد رضا شاه أولاً، ثم على يد ابنه باسم التحديث للمجتمع الإيراني، لكان وضع المرأة في إيران اليوم كوضعها في أفغانستان على أقل تقدير.

"لقد أعطى الإسلام المرأة حقوقها منذ أربعة عشر قرناً ولم يميّز بين المرأة والرجل.... في حين أن النساء في الغرب لم يدخلن المعترك السياسي إلا في العام ١٩٢٠ وبالتدرّج" (صحيفة الجمهورية الإسلامية ٢٥ ك٢ يناير ١٩٨٧م). و"النساء أحرار في المشاركة في جميع الميادين، الحرية بمعناها الواقعي وليست الحرية التي كان يريدوها الشاه" (صحيفة النور، م. س، ج ٤ ص ٢٣٢).

يُشاع في الخارج من أنّ الإسلام يتعاطى مع المرأة بخشونة وعنف، فلا أساس له من الصّحة، وهو دعايات باطلة يروج لها المغرضون، إنّ كلاً من المرأة والرجل له صلاحياته وخياراته، وإذا وُجدت فروقاتٌ فهي موجودة لدى الفريقين بحسب طبيعة كل منهما" (صحيفة النور، م. س، ج ٤ ص ٢٣، وفي المصدر نفسه ج ٥ ص ٢٢١؛ وفي استفتاءات السيد الخامنئي، ص ١٢).

وردّاً على الذين كانوا يقولون أنه إذا طُبِّقَت الشريعة الإسلامية في إيران فإنّ النساء سيُظلمن قال: "إنّ القول: إنه إذا طُبِّقَ الإسلام فإنّ النساء يجب أن يلزمن بيوتهن ويُقفلن على أنفسهنّ الأبواب، قولٌ باطلٌ منسوبٌ إلى الإسلام زوراً، فالنساء في صدر الإسلام كنّ بين الجيوش وفي ساحات القتال" (صحيفة النور، ج ٤ ص ٥٩). "إنّ وضع المرأة في الدولة الإسلامية سيكون وضعاً إنسانياً سليماً، وشخصيتها ستكون حرة على عكس الأزمنة التي لم يكن فيها رجالنا ولا نساؤنا أحراراً" (م. ن، ج ٤، ص ٤٠؛ ج ٣ ص ١٤٣).

### دور المرأة في نجاح الثورة واستمراريتها<sup>(٥)</sup>

ما تجدر ملاحظته هنا، هو الحضور الفاعل والراسخ للنساء في ساحة النضال قبل انتصار الثورة الإسلامية، وذلك في مقاومتهم الصابرة لضغوط نظام الشاه وإيدائه لعوائلهنّ، وتحملهنّ المخاطر والمشاكل، وتشجيع أزواجهن

١ واقع الأمر أنني عايشت هذه المرحلة في طهران في العامين ١٩٧٧ و١٩٧٨م، وازدادت معرفتي بها، بعد ترجمتي لكتاب هاشمي رفسنجاني: مرحلة النضال.

وأبنائهم وترغيبهم بالنضال، وتقديم المساعدة لهم في هذا المجال، كل ذلك كان عاملاً مؤثراً في استمرار المسيرة نحو تكامل الثورة.... مع شروع المرحلة العامة للثورة التي بدأت مع شهادة السيد مصطفى الخميني، وكذلك نشر تلك المقالة المحببة والمهينة للإمام في صحيفة "اطلاعات"، صار حضور النساء لافتاً للنظر وأكثر شمولية. فقد شاركت النساء مع أزواجهن في تلك المسيرات العظيمة، وعرضن صدورهن لرصاص الجلادين، وهن يهتفن مطالبات بالحكم الإسلامي وسقوط الشاه، هذه المسيرات التي بدأت في مدينة "مشهد"، توسعت بسرعة في جميع المدن الإيرانية، وشاهد العالم حضور ملايين النساء المسلمات ومشاركتهن.

إن واقعة السابع عشر من شهر ربيع [٨ أيلول ١٩٧٨م]، التي استشهد فيها آلاف النساء مع أطفالهن، هزت المعمورة، وعلى الرغم من مساعي الشاه للتعتيم على أبعاد هذه الفاجعة في العالم، إلا أن الصور والأخبار عمت جميع أنحاء الدنيا، ولم يتمكن نظام الشاه من الوقوف في وجه انتشار هذه الجناية وإعلانها. وعلى الرغم من استشهاد عدد كبير من الرجال في هذه الحادثة، إلا أن استشهاد النساء المظلومات البريقات كان له تأثير كبير في المجتمع، وأدى بدلاً من إفشال الانتفاضة- كما كان يريد الحكم- إلى استمرار المسيرات والمظاهرات، وقد رُفعت صور الشهداء وأطفالهن، في أحياء المدينة التي يقطنها عموماً المتدينون ومتوسطو الحال. وفي ذكرى الأسبوع وذكى الأربعين خرجت مظاهرات حاشدة من الرجال والنساء، بثت الشجاعة في نفوس الرجال وزادتهم إرادة وتصميماً.

كان حضور النساء في مسيرات التاسوعاء والعاشوراء<sup>(١)</sup> من العام [١٩٧٨م] التي تحوّلت إلى مظاهرات ضد النظام الشاهنشاهي، أكثر شمولية وبهاءً، وتشير إلى الروحية العالية، والإرادة الصلبة، وعدم التواني لدى المرأة المسلمة التي كانت تطوي المسافات الطويلة، وهي تحتضن رضيعها، وتجرح رءاها واحداً أو اثنين آخرين، تسير، وفي مواجهتها الجنود المدججون بالأسلحة، ينظرون إليها بوجوههم العابسة والمكفهرة، وطائرات الهليكوبتر تحلق فوق الرؤوس تهديداً، من دون أن يتسرب الهلع إلى قلبها، حتى أنهم كُنَّ يتعاملن مع الجنود المدججين بالأسلحة في الشوارع التي يصلن إليها كأمهات وأخوات حقيقيات لهم، وكنَّ يدعونهن للانضمام إلى الأمة والتمرد على النظام العاشم، وما من شك في أن هذه المواقف العاطفية، كانت تذكر الجنود بعائلاتهم: بأمهاتهم وأخواتهم، فيدفعهم ذلك إلى إلقاء أسلحتهم جانباً، ويمتنعون عن مواجهة شعبهم؛ وهنالك أمثلة عديدة عن جنود وجهوا رصاصاً بناذقهم إلى ضباطهم بدلاً من توجيهها إلى شعبهم، لا سيما إلى النساء اللواتي يتقدمن المظاهرات، ثم انضموا إلى الجماهير الغاضبة، لأنهم رأوا وجوه أمهاتهم وأخواتهم في وجوه هؤلاء اللواتي (اطلاعات، العدد ١٩٥٤٧، ١٠ شباط ١٩٩٢م).

لقد شاركت النساء أيضاً في النشاطات العسكرية للثورة بفاعلية بتحضير المواد لصنع قنابل "المولوتوف"، كما ساعدن في تأمين الأسلحة<sup>(٢)</sup> (اطلاعات، العدد نفسه).

### ثانياً: دور النساء بعد نجاح الثورة

استمر حضور النساء في الساحة السياسية بعد انتصار الثورة، وكان اندفاعهن اليومي نحو مقر إقامة الإمام في طهران وفي قم بيعة محكمة من النساء المؤمنات للقائد الذي كان يعرف آلام شعبه ومعاناته، وكنَّ يحببتهن من أعماق وجودهن ويظعن أوامره.

١ راجع: هاشمي رفسنجاني، حياتي. ترجمة دلال عباس، منشورات دار الساق، بيروت.  
٢ تطلق لفظة التاسوعاء على اليوم التاسع من محرم الحرام والعاشوراء على العاشر منه. حيث تقوم مسيرات حاشدة في ذكرى استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام). وهذا ما رأيت بأقرب عيني هنالك، وسجلت تفاصيله في كتابي الأخير «أيام مئات في إيران قبل الثورة».

وحين جدّت احتياجاتٌ جديدةٌ في المجتمع في أثناء الحرب المفروضة بين إيران والعراق، امتلأت صفوفُ التدريّبِ على الإسعافاتِ الأوليّةِ، وعلى استخدامِ الأسلحةِ، بالنساء؛ هؤلاء النساءُ أنفُسهن كُنَّ منذ الشهور الأولى لبداية الحرب في مستشفيات الجبهات، ووراء الجبهة، يقدّمن الإسعافات للرجل والمصابين. وما أعظم أولئك الأمهات اللواتي يستشهد أبناؤهن، فيُعلنن أنّهن فخوراتٌ بشهادتهم وأنهنّ مستعدّات لتقديم أبنائهن الآخرين.... وأولئك العجائز اللواتي كُنَّ يتحمّلن حرارة التّنور صيفًا لتحضير الخبز للمحاربين، وأولئك اللواتي ينسجن الألبسة ويخظنّ الأغطية للمحاربين كي تحميهم من صقيع الجبال.... ولتدْفُفهم بمحبّة الأمهات (ويزانمة روزنامه جمهوری اسلامی [عدد خاص، صحيفة الجمهورية الإسلامية]، ١٩٨١/٤/٢٥ م. راجع مجلة "ندا"، نشرة "جمعية نساء إيران" لا سيّما في السنتين ٩١ و٩٢).

لقد شاركتِ النساءُ جنبًا إلى جنب الرجال في إعادة إعمار البلاد، وعمِلتِ الجمعياتُ النسائيةُ ولا سيّما "جمعية نساء إيران" على حثّ النساء على الانخراط في منظمات "جهاد البناء"، وركّزت الصحف طيلة مدّة الحرب وبعدها، على أهميّة الحدّ من الإسراف، [الذي كان طابع حياة النساء المترفات قبل الثورة]، كما كانت نساء المدن والتلميذات والطالبات الجامعيّات، يذهبن من مختلف أنحاء البلاد للمشاركة في مواسم الحصاد، كان عملهنّ على بساطته (وقلّة جدواه ماديًا)، يثير العزمَ والحماسَ لدى المزارعين ويمنّحهم الطاقة. حين يروُن الطالبات والسيدات الجليلات قادماتٍ من المدن متجشّمات عناء التعب لمساعدة اخوتهم، وتحسين ظروف بلادهنّ الاقتصادية، فيتضاعف عملهم وإنتاجهم (صحيفة النور، ج ٩، ص ٢٧٨).

لقد ثمن الإمام الخميني هذا الدور الذي أدّته النساء، وركّز عليه في أحاديثه وخطبه، وكذلك فعل قادة الثورة الآخرون، ما من خطاب أو بيان يُلقى أو يُكتب في إيران بمناسبة نجاح الثورة، أو في المناسبات السياسيّة والدينيّة المتعدّدة إلا ويذكر فيه الخطباءُ والكتّاب، من المسؤولين ومن غيرهم دور المرأة في نجاح الثورة، على الرّغم من الأصوات العديدة التي كانت ترتفعُ من بين عددٍ من علماء الدين تستنكرُ ما تفعله النساء؛ ويريدون أن يعيدوهنّ عملًا إلى المنازل، ويُقفلوا وراءهن الأبواب. يقول الإمام الخميني ردًا على هؤلاء:

"إنّ أخواتنا اللواتي شاركن في مرحلة النضال، قيمة أعمالهن أعلى من قيمة أعمال الرجال، لقد خرجن وراء ستار العفاف، ومع حجاب العفاف، كنّ مع الرجال صوتًا واحدًا، وتوصلوا معًا إلى الانتصار، وهنّ الآن يقدّمن إلى المحتاجين والفقراء بنوايا خالصة كلّ ما كنّ قد وقرنه طيلة عمرهن: إنّ لهذا قيمة عظيمة. إنّ الملايين التي يدفّعها الأغنياء لا تعادل قيمة ما تفعله هؤلاء النسوة" (صحيفة النور، م. س، ج ٦، ص ١٩٤).

وكان بعض العلماء من طهران وقمّ قد أرسلوا إلى الإمام في النجف رسالةً، يرحبونه فيها، أن يدعو النساء إلى عدم المشاركة في المسيرات والمظاهرات بأيّ وسيلة يراها مناسبة، كي لا يُسجنن وتُهتك حرماؤهن، ويتعرّضن للإهانة والتعذيب، كان موقفهم هذا استمرارًا لمواقفهم ومواقف غيرهم من العلماء تجاه النساء (أن يقرن في بيوتهن)، وقد جاء في الرسالة: "نرجو أن تأمر النساء أن لا يشاركن في المسيرات، فحين تصلهن وجهة نظرهم، فهنّ حتمًا سيّطعنك ويلزمن بيوتهن". حين وصلت الرسالة إلى الإمام غضب غضبًا شديدًا، لأنه كان يؤمن أنّ النضال السياسي الإسلامي ناقص حتمًا من دون مشاركة النساء، ولا ثمار له، وقال إنّ من لا يؤمن بهذا، فإنما يهونه فاسدٌ ومنحرفٌ ومعوجٌ، وأصدر بيانًا في أعقاب ذلك ومما جاء فيه: "يجب أن يتشارك النساء والرجال والعلماء جنبًا إلى جنب في جميع المراحل، وليس لأيّ أحدٍ الحقّ في أن يتفوّه بكلام يدعو إلى إبعاد النساء عن التحرّكات السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة" (بابه به آفتاب، م. س، ص ١٥٦).

وبعد عودة الإمام من فرنسا، حين كان يجلس في "المدرسة العلوية" للقاء الناس، وقد كان مقرراً أن يلتقي بالرجال قبل الظهر، وبالنساء بعده، كان النساء يتوافدن قبل الظهر بساعة ويتجمعن في الشوارع والأحياء، التي تمتلئ بالعباءات السوداء، وحين يُفتح البابُ إيداناً بدخول النساء، لشدة الازدحام والتراحم والتدافع، تقع بعض النساء على الأرض، أو يفقدن وعيهن ويُربكن الموجودين، فاقترح المقرَّبون من الإمام عليه "أن يأمر بالحد من ملاقات النساء"، خوفاً من أن تحجّل بعض المندسات في صفوفهنّ سلاحاً تحت عباءتها (وهذا ما لم يصرحوا به للإمام)، فكان جواب الإمام حازماً وقاطعاً، ويتضمّن الكثير من الغضب، إذ قال لهم: "أنظّتون أن بياناتي وخطبكم هي التي أخرجت الشاه؟ هؤلاء هنّ اللواتي طردنه، فعاملوهنّ باحترام" (باي به باي آفتاب، م. س، ص ١٦، ٢٧٦) (١).

كان الإمام يشبه نساء الثورة بالنساء في صدر الإسلام من حيث مشاركتهنّ في الجهاد، ومساهمتهنّ في تقرير مصير أمتهنّ وتقرير مصائرهنّ:

"إن وجود نساء يطلبن إليّ أن أدعو لهنّ بالشهادة، وأمّهات يفتخرن باستشهاد أبنائهنّ، ويشجعن أبناءهنّ الآخرين على الجهاد والاستشهاد، دليل على تحوّل في المجتمع شبيه بالتحوّل الذي حدث في صدر الإسلام حين كانت الشهادة تُعدّ فوزاً... في الماضي حين كان شابٌ يُستدعى إلى التجنيد، ولم يكن هنالك حرب، كانت أمّه تقضي السننتين [مدة التجنيد] باكية منتظرة عودته، أمّا اليوم فإنّ هذه الأمّ نفسها تشجّع ابنتها على الذهاب إلى الجبهة، إنّها عظيمة هذه الثورة التي غيرت المرأة الإيرانية على هذا النحو" (صحيفة النور ج ٩، ص ٢٤٢؛ ج ١١، ص ٥٣؛ صحيفة الجمهورية الإسلامية، تاريخ ١٣/٤/١٩٨٤).

ويقول في مكان آخر: "نحنُ نفخرُ بالسيدات والنساء والمستنات والشابات اللواتي يعملن في الساحات الثقافية والاقتصادية والعسكرية مع الرجال أو أفضل منهم في طريق الإسلام المتعالي، ومقاصد القرآن، وأولئك اللواتي يقمن بالتدريبات العسكرية، التي هي من الواجبات المهمة للدفاع عن الإسلام والدولة الإسلامية، وقد حرّرن أنفسهنّ من المحظورات التي حملها الأعداء المتواطون، والأصدقاء الجاهلون لأحكام القرآن، للإسلام والمسلمين، بشجاعة والتزام، كما حرّرن أنفسهن من قيود الخرافات التي وضعها الأعداء لمصلحتهم بأيدي الجهلة وبعض الفقهاء الذين لا يعرفون مصالح المسلمين" (صحيفة النور، ج ٢١ ص ١٧٢؛ ج ٤ ص ٢٠١) ... وقد تكرّرت مثل هذه الأقوال في خطب الإمام، ومن بعده في خطب جميع قادة الثورة في المناسبات المختلفة، كما يتّضح لنا من مطالعة الصحف والمجلّات في المرحلة التي أعقبت الثورة.

بعد عدّة سنوات من قيام الثورة قارن الإمام بين ما كانت عليه أوضاع النساء وما صيرن إليه: "الحمد لله أنّ الشبهات المتعلقة بعقائدنا قد حُلّت وأزيلت، فجميع طبقات المجتمع اليوم رجالاً ونساءً مشغولون بالتربية والتعليم، والسيدات مشغولات أيضاً، وهنّ اليوم جزء من طلبة العلوم الدينية في قمّ وفي أماكن أخرى، وهنّ في كلّ مكان مشغولات بالتربية والتعليم وهذا أمرٌ قد تحقّق بفضل هذه الثورة، لقد كنّ من قبل كالسجينات، ولم يكن يُسمح لهنّ أن يدخلن في مجتمع من عشرة أشخاص، وأن يطرحن قضية علمية أو قضية عقديّة، اليوم يمكنهن. مع المحافظة على جميع مظاهر الإسلام، أن يُقمن بالدعوة والتبليغ في جميع أنحاء البلاد وحتى خارج الوطن أيضاً" (صحيفة النور، ج ١٨، ص ٩٩) ...

## الخاتمة

إن السير على خطى أئمة أهل البيت في مقاومة الظلم والانحراف في عصرنا الحاضر يستدعي أولاً التّبحّر والبصيرة للوقوف على أدوار كل معصوم من المعصومين على حدة، ودراسة الظروف السياسيّة والفكريّة والثقافيّة والاجتماعيّة التي واجهها في حياته ومقارنة ذلك بالظروف المحيطة بنا لنستلهم من سيرهم؛ الخطوات التي يجب أن نخطوها للتصدّي للمستكبرين وللشبهات التي التي تجاوزت الحدّ الذي يمكن أن يستوعبه فكرنا القاصر في هذا العصر، بعد أن ظهر الفساد في البرّ والبحر، وبلغ الظلم مداً؛

إنّ استلهم سيرة الإمام الرضا عليه السلام في التصدّي لنظام الحكم القائم على الغلبة؛ منذ أنّ حوّل معاوية الإسلام إلى إيديولوجيا يتحكم بواسطتها يعقول المسلمون وأرواحهم، بعد أن اشترى فقهاء ومحدّثين، يسوّغون أفعاله، ويؤفنون عليها شرعيّةً كاذبة... واستمرّ الخلفاء الملوك على هذا النهج من سيّء إلى أسوأ، وصولاً إلى عصر المأمون، الذي بلغ فيه تقدم العلوم النظرية والعملية والفلسفة وعلم الكلام مدى بعيداً، وطيلة هذه القرون، كانت ثورات العلويين تقصّ مضاجع الخلفاء - الملوك الأمويين أولاً ثمّ العباسيين، وكان تأييد الناس لهم واضحاً حيناً وسرياً حيناً آخر، لنفورهم من استهتار العباسيين، وظلمهم، وتجاوزهم على الحقوق، والدّماء، والأموال، وعلى أحكام الدّين والنواميس الإنسانيّة وسياساتهم الرّعناء، مع الناس عامّة ومع العلويين خاصّة؛ ولما وصل الدور إلى المأمون، كان ما كان من استمالته للعلويين وتنصيبه الإمام الرضا (أعلم أهل الأرض) وليّاً للعهد، وعلى الرّغم من قبول الإمام لهذه المهمّة مرغمًا، إلّا أنّ هذا القبول كان لمصلحة شيعة أهل البيت، وللإسلام بشكل عام، لأنّ الرضا عليه السلام بقوة شخصيته وسموّ مكانته، استقطب أهل الفرق المختلفة؛ وفي زمنه تحرّر الشيعة، واتسع نفوذهم، وكانت الأئمة في تلك المرحلة الحرجة بأمنّ الحاجة إلى وعيهم وإدراكهم... فقد كان قد غراها في ذلك الوقت تيار جارفت من الزندقة والإلحاد، والشك بالمبادئ الإلهيّة الحقّة... لذلك لا بدّ من القول: "السلام على من كُسرت له وسادة والده أمير المؤمنين؛ حتى خصم أهل الكُتُب، وثبّت قواعد الدّين"; لقد سحتح للإمام الرضا(ع) فرصة لمدّة وجيزة، كان الحكّام منشغلين فيها بأمرٍ تهمّهم... للقيام بواجبه في توعية الأئمة، وتعريفها بتعاليم الإسلام...

إنّ النساء اللواتي دافعن عن الدين وعن نهج أهل البيت عليهم السلام باللسان والقلم، إنّما هنّ سائرات على خطى الأئمة، الذين صانوا الإسلام قولاً وفعلاً لا سيّما الإمام الرضا عليه السلام...

## المصادر والمراجع

فضلاً عن القرآن الكريم

المصادر والمراجع العربيّة

فضلاً عن القرآن الكريم

إبراهيم العبادي، الاجتهاد والتجديد لدى الإمام الخمينيّ والشهيدين المطهريّ والصدر، بيروت، دار الهادي ٢٠٠٠م.

ابن الطّقطي، محمد بن عليّ بن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانيّة، دار صادر، بيروت ٢٠٠٧م.

ابن مسكويه، أحمد بن يعقوب، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق سيّد كسروي حسن، دار الكتب العلميّة، بيروت ٢٠٠٣م.

أمين، نصرت، النفحات الرحمانية في الواردات القلبية (بالعربية)، لا تا. الأربيلي، عليّ بن عيسى بن أبي الفتح، كشف الغمّة، دار الكتب الإسلاميّة، بيروت، ١٩٨٦م. الإمام الخميني، تحرير الوسيلة، ترجمة محمد باقر الموسوي الهمداني، قم، دار العلم، ط ١، ١٣٧٠ش [١٩٩١م]. الإمام الخميني: - الحكومة الإسلاميّة، طهران، مؤسسة تنظيم آثار الإمام ونشرها ط ١، ١٩٩٦م. الإمام الخميني، صحيفة النور، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران بهممن ١٣٦١ش [١٩٨٢م].

الإمام الرضا، مسند الإمام الرضا، نشر مكتبة الصدوق، طهران ١٩٧٢م. الأمين، السيد محسن، أعيان الشيعة، تح. حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لا تا. الأمين، السيد محسن، في رحاب أئمة أهل البيت، دار التعارف، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م. ابن أبي طالب، الإمام علي (ع)، نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد، عز الدين، أبو حامد، عبد الحميد بن هبة الله المدائني، (ت: ٦٥٦ هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٨٥-١٩٦٥م.

ابن الأثير، أبو الحسن، عز الدين، علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، (ت: ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تح: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٧-١٩٨٧م. ابن الجوزي، أبو الفرج، عبد الرحمن الحنفي، (ت: ٢٩٢هـ)، تذكرة الخواص، أو تذكرة الأمة في خصائص الأئمة "ع"، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م. ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء، القاهرة، ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م. ابن عساكر، أبو القاسم، علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت: ٥٧١هـ)، تاريخ ابن عساكر، تح: محمد باقر المحمودي، مؤسسة المحمودي، بيروت.

ابن منظور الأفرقي المصري، أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لا تا. بررسي مطبوعات جهان قراءة في الصحف العالميّة، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميين، الأعداد من ٢٠١ إلى

٢١٠

الحسني، نبيل، دور الخطاب الديني في تغيير البنية الفكرية بين الإصلاح والفساد، ط ١، كربلاء، العتبة الحسينية المقدسة، ١٩٦٥م.

الحلي، العلامة جمال الدين، الحسن بن يوسف المطهر (ت: ٥٧٢٦هـ)، كشف اليقين في إمامة أمير المؤمنين (ع)، مكتبة الألفين، الكويت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

الصدوق، عيون أخبار الرضا، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط ١، ١٤٠٣هـ الطبرسي، الميرزا حسين النوري (ت: ١٣٢٠هـ)، مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، تح: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، ط ١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم، دلائل الإمامة، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ط ٣، ١٣٨٣هـ الطبري، محبّ الدين أحمد بن عبد الله، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، دار الوفاء، بيروت، ١٩٨١م.

المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي (ت: ١١١١هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.



- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، دار إحياء التراث، بيروت، ط ٥٣، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- مرتضى العاملي، جعفر، الحياة السياسية للإمام الرضا، دار الأضواء، بيروت ١٩٨٦م.
- المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، نشر دار الهجرة، قم ١٤٠٩هـ.
- المفيد، أبو عبد الله، محمد بن محمد بن النعمان العكبري (ت: ٤١٣هـ)، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تح: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، قم، ط ٢، ١٤١٦هـ وطبعة الأعلمي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨م.
- المفيد، محمد بن النعمان، الأمالي، ت. علي أكبر الغفاري، ط ٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- النجار، أحمد السيد، دور المرأة في انتخابات المجلس السابع في إيران، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية في الأهرام ٢٠٠٥م.
- اليقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت: ٢٨٤هـ)، تاريخ اليعقوبي، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
- رفسنجاني، هاشمي، حياتي، ترجمة دلال عباس، منشورات دار الساقبي، بيروت ٢٠٠٢م.
- شريعتي، علي، فاطمة هي فاطمة، دار الأمير، بيروت ١٩٩٢م.
- عبّاس، دلال، القرآن والشعر، دار المواسم، ط ٣، بيروت، ٢٠١٠م.
- مرتضى مطهري، الأجوبة عن كتاب مسألة الحجاب، ترجمة لجنة الهدى، بيروت، دار الهادي ١٩٩٢م.
- مرتضى مطهري، الإسلام وإيران، ترجمة محمد هادي اليوسفي، بيروت، دار البلاغة، ط ١.
- مرتضى مطهري، حقوق المرأة في النظام الإسلامي، مؤسسة الإعلام الإسلامي، ط ٢، بيروت ١٩٨٥م.
- مرتضى مطهري، مسألة الحجاب، بيروت، الدار الإسلامية، ط ١، ١٩٨٧م.
- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، تح. فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، لا تا.
- نصرت أمين، جامع الشتات (بالعربية)، جمعه ورثته وصححه: مرتضى المظاهري النجفي، منشورات مؤسسة العائلات الفاقدة المعيل، إصفهان، ١٤٢٢هـ/ ١٩٩٢م.

## المصادر والمراجع الفارسية

- . اميررضا ستوده، يا به پای آفتاب "كفته ها و ناكفته ها از زندگي امام خميني [ما قبل وما لم يُقل عن حياة الإمام الخميني]، منشورات بنجره بهار ١٣٧٣ [ربيع ١٩٩٤] ط ١...١
- أمين، نصرت، روش خوشبختي، منشورات گلپهار، ط ١٢، إصفهان، ١٣٩٢ هـ ش/ ٢٠١٣م.
- أمين، نصرت، سير وسلوك در روش اولياء وطريق سير سعدها، لا مكان، ١٩٤٦.
- أمين، نصرت، مخزن اللآي في فضيلة مولى الموالى علي بن أبي طالب (بالفارسية)، منشورات مؤسسة العائلات الفاقدة المعيل، ط ٣، إصفهان، ١٣٨٩ هـ، ١٩٧٠ م.
- . أمين، نصرت، معاد يا آخرين سير بشر، منشورات گلپهار إصفهان، ط ١١، ١٣٨٥ هـ ش/ ٢٠٠٦م.
- اميررضا ستوده، يا به پای آفتاب "كفته ها و ناكفته ها از زندگي امام خميني [ما قبل وما لم يُقل عن حياة الإمام الخميني]، منشورات بنجره بهار ١٣٧٣ [ربيع ١٩٩٤] ط ١...١
- همايوني، علوية، زندگانی بانو امين ايراني؛ ٢٠٠٥.

الصحف والدوريات العربية

الرؤى الحضارية لدستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية، كتاب الثقافة الإسلامية، عدد ٢٠، دمشق ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

صحيفة اطلاعات من العام ١٩٩٠م وحتى العام ١٩٩٧م.

مجلة العربي حزيران ١٩٩٢م.

مجلة الرصد، المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية، بيروت ١٩٩٧م.

كتاب زنان، الصادر عن المجلس الثقافي الاجتماعي للنساء، العدد ٧، ربيع ٢٠٠٠؛ العدد ٨، صيف ٢٠٠٠؛

العدد ٩، خريف ٢٠٠٠؛ العدد ١٠، شتاء ٢٠٠٠؛ العدد ١١، ربيع ٢٠٠١؛ العدد ١٢، صيف ٢٠٠١؛

العدد ١٣، خريف ٢٠٠١؛ العدد ١٤، شتاء ٢٠٠٢؛ العدد ١٥، ربيع ٢٠٠٢؛ العدد ١٦، صيف ٢٠٠٢؛

العدد ١٧، خريف ٢٠٠٢؛ العدد ١٨، شتاء ٢٠٠٢.

الصحف والدوريات الفارسية

صحيفة أبرار ١985 ← ١٩٩٠م.

صحيفة "جهان اسلام" الأعوام من ١٩٨٠م وحتى العام ١٩٩٨م.

صحيفة "جمهوری اسلامی" من العام ١٩٨٠م وحتى العام ١٩٩٢م.

مجلة الطاهرة 2000 ← ١٩٩٠م.

مجلة سالنامه زن ١٣٧١ش [١٩٩٢م].

صحيفة كيهان العام ١٩٩١م.

مجلة "زن روز" [المرأة المعاصرة] العام 2000 ← ١٩٩٨م.

مجلة "ندا" الفصيلة الصادرة عن جمعية نساء إيران في عامي ٩١ و٩٢.

مجلة "ياد" السنة الرابعة الأعداد ١٠ و١١ و١٢ و١٣ و١٤ و١٩٨٨ و١٩٩٨م.

موقع "إيران امروز"، العام ٢٠٠٤.

موقع "أمان"، العام ٢٠٠٤.

## العدل والحياة الحضارية الطيبة عند الإمام الرضا (عليه السلام)

### آيات عبد جوني<sup>1</sup>

#### الملخص

العدل هو الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، وهو الاعتدال والاستقامة والميل إلى الحق. لذلك يعد الظلم عاملاً من عوامل الانحراف عن الاستقامة في الحياة الطيبة، والتي يكون العدل جزءاً وقسماً مهماً من أقسامها وصورة من صور المجتمع العالمي في المستقبل والذي يتحقق فيها إلى جانب القسط والإنصاف والتوازن وسائر الأمور الروحية التي تحقق هذه الحياة مصداقاً لمقولة ((سيملاها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. العدالة من منظور الإسلام)) مشروع حضاري ذو أبعاد أخلاقية وإنسانية، ولا يتحقق أو يقوم المشروع الحضاري لأي أمة إلا من منطلق العدالة التي خلقت الإنسانية لتحقيقها بين جميع أفراد مكوناتها البشرية. فالنفس الإنسانية تحكمها في شجرة الأخلاق ثلاث قوى هي العقلية والغضبية والشهوانية، تلتقي صفة الحكمة العقلية مع الشجاعة الغضبية مع العفة الشهوانية لتنتج العدالة الناتجة عن القوة الغضبية بعد الشجاعة. قد ورد عن أحد المعصومين (عليهم السلام) ((جعل الله سبحانه العدل قواماً للأنام، وتنزيهاً من المظالم والآثام، وتسنية للإسلام إن موضوعه التخلق بأخلاق الله تعالى يعطي لهذا النموذج من الناس رونقاً خاصة لأنه يمثل خلفية الله في أرضه، إذ من أبرز تمثيل الخلافة الأرضية له سبحانه التخلق بأخلاقه، ومن أهم صفاته سبحانه أنه يتسم بالعدل، فقد أقام سبحانه عالم الإمكان برمته من السموات والأرضين باسم العدل، فكل شيء في عالم الوجود خاضع لعدله، وبعده خلقت المخلوقات بأصنافها وأشكالها وأنواعها وأحجامها.... الخ، ولولا عدله للزم منه الظلم سبحانه، والظلم محال عليه سبحانه.

لقد قاسى مولانا الرضا الظلم والابتلاء من الطاغية المأمون بغرض إيقافه عن اظهار أمر إمامته والابتعاد عما يلفت انتباه الناس اليه، فكان العدل وسيلة يريد بها الإمام أن يحق الحق والقضاء على الأعداء والظالمين حتى من خلال الدعاء إذ أراد عليه السلام تعليم الناس ثقافة العدالة على المستوى السياسي، فمسألة العدالة هي مسألة تكوينية أراد عليه السلام من خلالها أيضاً إيقاظ الضمائر وتحريكها وتوعيتها بمفاهيم العدالة ونبذ الظلم في الحياة الطيبة على الأرض فلا بد للإنسان ان يجعل العدل هدفاً الأساس والنهائي والمطلق في مقاومة الظلم والظالمين يقول ((اللهم فبادر الذي من اعنته به فاز، و من أيدته لم يخف لمز عاز، و خذ الظالم أخذاً عنيفاً، و لا تكن له راحماً و لا به رؤوفاً، و كلمات اهل البيت عليهم السلام كلمات نور وهداية ترسم بها معالم الحياة الطيبة للإنسان وهم اهل البيان والفصاحة والبلاغة والعلم والعدل والوجود ولما في احاديثهم من رسائل

1 الجامعة المستنصرية / كلية الآداب، iq.Edu.ayat78@uomustansiriyah

تربوية وعملية تنير درب الانسان اذا التزم بها وسار بهديها. والامام الرضا عليه السلام يعمل بما جاء به جده رسول الله صلوات الله عليه، لقد ورد عند الإمام صور كثيرة للعدل. ومنها عدالته الاخلاقية في التعامل مع العبيد و قد كان الامام (عليه السلام) كثير البر و الاحسان إلى العبيد، و قد روى عبد الله بن الصلت عن رجل من أهل (بلخ)، قال: كنت مع الامام الرضا (عليه السلام) في سفره إلى خراسان فدعا يوما بمائدة فجمع عليها مواليه، من السودان وغيرهم، فقلت: جعلت فداك لو عزلت لهؤلاء مائدة، فانكر عليه ذلك و قال له: «ان الرب تبارك و تعالی واحد، و الأم واحدة، و الجزاء بالاعمال....»

المنهج المتبع: اعتمدت الباحثة المنهج الاستقرائي في بحثها، من أجل الوصول الى نتائج علمية سليمة موافقة للمعايير المنهجية المقررة

السؤال الرئيسي للبحث:

-ما المقصود بالحياة الطيبة؟

-ما أهمية العدل وتأثيره على بناء حياة طيبة عند الامام الرضا (عليه السلام)

مشكلة البحث: لقد أراد الله سبحانه من الانسان المختر أن يلتزم بالعدل في سلوكياته لتنسجم مع القانون الكوني، ليحقق سعادته الحقيقية، إذ به ينحصر في ساحة الطاعة والالتزام ويتعد به عن الآثام، لكنه يخروجه من ساحة العدل الى الظلم فإنه يخالف قانونا إلهيا على المستوي التشريعي والتكويني، وهذا يؤدي الى عطبه وفساده.

ولما كانت الحياة دار ابتلاء واختبار وممر لامستقر كانت السعادة والهناء مطلب انساني واجتماعي مطلق فالكل يبحث عنها وينأى بنفسه عن البؤس والشقاء، محاولا الوصول الى تلك الحياة الطيبة.

وردت لفظة الحياة الطيبة في القرآن الكريم في سورة النحل ما عندكم ينفذ<sup>١</sup> وما عند الله باق<sup>٢</sup> ولتجزين<sup>٣</sup> الذين صبؤوا آخرهم بأحسن ما كانوا يعملون (96) من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجينه حنة طيبة<sup>٤</sup> ولتجزين<sup>٥</sup> آخرهم بأحسن ما كانوا يعملون (97)

والحياة الطيبة عند الامام الرضا وفي تعاليمه هي الحياة العادلة التي لاجور ولاظلم فيها لاحد، -فالظلم قد استمد من الظلمة وهي انعدام الحياة وانتهائها - المبنية على أسس وقواعد الشريعة السمحاء والتمسك بأوامرها والانتهاج عن نواهيها.

الكلمات المفتاحية: العدل، الحياة الطيبة، التواضع، الظلم، المداراة، الامام الرضا (عليه السلام)

## مقدمة

تعد العدالة (فضيلة قيمية وأخلاقية<sup>١</sup> وهناك من يرى أن البشر هم فقط (الكائنات الوحيدة التي تتبع شريعة الأخلاق)<sup>٢</sup> فنحن نعمل في تعاملاتنا مع الناس وقف شريعتنا الأخلاقية التي تنقيد بقبودها ونعمل بأوامرها ونواهيها ومناطق إبداء التعاطف والمداراة والإيثار والإنصاف والعدل والمساواة والعفو التواضع والاستقامة..... الخ.

١ نظريات العدالة دراسة ونقد، احمد واعظي، بيروت، ط١، ٢٠١٧، ص٣٦

٢ العدالة في عالم الحيوان ص١٢

والأخلاق هي نظام من العقائد الجارية في المجتمع والتي ترتبط بسجاياه وسلوكياته، لتحديد ما ينبغي أن يكون عليه أفراد المجتمع من سجايا وسلوكيات<sup>(١)</sup> وقد وصف الله تعالى نبيه الكريم بقوله ((وَأِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۗ))، فلا بد لآل البيت أن يكونوا ذرية بعضها من بعض تسير على النهج المحمدي الأخلاقي الأصيل.

بذلك تكون الأخلاق عبارة عن مجموعة من الملكات النفسية كالسخاء والتواضع والمداراة والعفو والعدل والإحسان والإنصاف والأتزان.... الخ. تجعل للحياة الطيبة معنى متسقاً وفق منظومة أخلاقية لها محدداتها وضوابطها. فلا بد للإنسان أن يتربى ويربى نفسه على ثقافة العدل والإحسان ونبذ ثقافة الظلم والقهر والتمييز والعنف والإرهاب وعدم احترام الآخر بكل ما يملك من وسائل وأدوات. وهي ثقافة مستمدة من تعاليم القرآن والعدالة الإلهية ومن النهج المحمدي والبيت الأطهار عندها يصبح العدل ثقافة حياة في الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية مما يضمن بناء حياة طيبة سعيدة قوامها التوفيق والتوازن والتسامح بين أفرادها. وهنا لا بد لنا من سؤال هل العدالة مظهر للحياة أم وسيلة لها أم هو غاية وهدف؟ والإجابة تقودنا إلى عدّه غاية وهدف فضلاً عن كونه وسيلة من وسائل الحياة والوجود. كما يقول الإمام الصادق عليه السلام هو كالماء يصيبه الضمآن. فالعدل طاقة وثقافة تحرك الحياة بكل مكوناتها كما أن الظلم طاقة وثقافة تعيق الحياة بكل مكوناتها.

فيما إن ملكة العدل والإنصاف والمساواة والتسامح خلق حسن كذلك ملكة الظلم والجور والتعسف والبغي والعدوان خلق سيئ ومناجٍ للفظرة الإنسانية السليمة، وهو كما جاء في معجم اللغة ميل عن جادة الصواب لذلك لا بد للإنسان أن يتحلى بالفضائل المستحسنة أو يتعد عن الرذائل المستقبحة ففائدة علم الأخلاق هي (تخليص النفس عن صفات الرذيلة، وتحليلتها بالملكات الحسنة وهو ما يُعبر عنه "بتهديب الأخلاق" وأما ثمرة الأخلاق، فهي الوصول إلى الخير والسعادة الأبدية، كما أنه ينبغي العلم بأن السعادة المطلقة لا تحصل إلا إذا كانت صحة النفس نظيفة في جميع الأوقات من جميع الأخلاق المذمومة، ومتحلية بجميع الأوصاف الحسنة، أما إصلاح بعض الصفات أو في بعض الأوقات، فرغم أنه لا يخلو من الفائدة لكنه لا يؤدي إلى السعادة الأبدية<sup>٣</sup>.

والعدالة الأخلاقية نمط حياتي ثقافي غير قابل للتغيير والتطور مما يضمن للمجتمع بقاءه ((والحفاظ على كيانه، رغم ما قد يوجد من تباين أو فروق بين جماعته بسبب اختلاف البيئات الجغرافية (حضر / ريف) أو التقاليد النوعية (ذكر / أنثى) أو المصالح الاقتصادية (زراع) / صناع / رجال أعمال). بيد أن المجتمع يحرص دائماً على إشاعة أكبر قدر من الوشائج في أسلوب الحياة وتوجهاتها الحاضرة والمستقبلية؛ من أجل توفير ثقافة مشتركة لتحقيق التواصل والتماسك الاجتماعي والعيش المشترك بين أفراد<sup>٤</sup>.

١ مدخل إلى فلسفة الأخلاق، آكينسون، مركز ترجمة و نشر كتاب طهران، ١٣٧٠ هـ ش ص ١٦ نقلًا عن الأخلاق الإسلامية في القرآن دراسة في الأسس والمفاهيم محمد حسين فهيم نيا تعريب الشيخ محمد نبيل جمعة العاملي، مؤسسة الخلق العظيم ط ١.

٢ سورة القلم ٤

٣ معراج السعادة الملا أحمد النراقي سازمان انتشارات هاويدان ص ٩ نقلًا عن الأخلاق في القرآن ص ٢٧

٤ الإصلاح المجتمعي اضاءات ثقافية واقتضاعات تربوية. د. حامد عمار، مكتبة الدار العربية للكتاب ص ٥٦

ومن هنا تكون العدالة وفق الرؤية الإسلامية ((مشروع حضاري ذو أبعاد أخلاقية وإنسانية، ولا يتحقق أو يقوم المشروع الحضاري لأي أمة إلا من منطلق العدالة التي خلقت الإنسانية لتحقيقها بين جميع أفراد مكوناتها البشرية، وهذا ما يصوره القرآن الكريم في أسلوب أممي حضاري: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]. تقصد الآية الكريمة قيام العدالة وأنها من أهم ركائز التحضر والحضارة لأي مجتمع أو أمة تريد أن يكون لها مشروع ينافس في ميادين الحياة والعطاء، فالعدالة نماء وعطاء زاهر.<sup>١</sup>

العدل والظلم ((هما المحرك الأساسي لإرادة الإنسان، فما من شيء يفعله أو يتركه بإرادته واختياره إلا يدافع من هذين، وهذه نتيجة طبيعية، لأن الإنسان بغريزته يريد العيش والتمتع بالحياة جهد طاقته وقد يعلم الإنسان عاقبة الفعل أو الترك، فيعمل بموجب علمه بلا كلام وفلسفات، وإذا جهل العاقبة فعليه أن يحفظ التوازن... والغرض الأول والأخير من هذا التوازن والتعادل هو وجود المحرك والباعث على الجد والعمل لجلب المنفعة ودفع المضرة...<sup>٢</sup>

### أسلوب أهل البيت في التربية

اسلوب أهل البيت (ع) في التربية والتعليم الأخلاقي، ومكافحة الضلال والفساد والظلم...((أنهم يخلقون الشعور بالمسؤولية في نفس الإنسان ليكون له رادع من الداخل لا من الخارج فقط، وكلنا يعلم أن المسؤولية هي التي تدفعنا إلى العلم والعمل، وبناء الحضارة والمدنية، والخضوع لصالح الجماعة، والتعاون على الخير ودفع الشر، وصيانة الحقوق واحترامها<sup>٣</sup> وكما يقول أمير المؤمنين: «من كان له نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ) أي من الفوضى ومجاوزة الحد واستشعار المسؤولية.

لقد كان عصر الامام الرضا عليه السلام عصر صراعات ونزاعات فكرية وعقائدية بين معتزلة يقولون

بالاختيار واشعرية بالجبر والتفويض

في كتابه العدل شهيد المحراب يشير أية الله السيد عبد الحسين دستغيب أن من العدل أن لا يتهم الإنسان ربه بالظلم، والإيمان المطلق والجازم بعدالة الله تعالى فهو القادر العالم الذي لا يظلم ولا يقع منه الظلم مصداقاً لقول أمير المؤمنين ع في معنى العدل الإلهي يقول: ((ورد في كلمات أمير المؤمنين (ع) في معنى العدل " أن العدل أن لا تتهمه" يجب على كل مسلم أن يعتقد اعتقاداً جازماً بأن الله عادل ويطمئن إلى عدله، فإن الله عز وجل لم يظلم أحداً وقد أعطى كل مخلوق ما يحتاجه، والمعنى الآخر للعدل هو أن لا يصدر منه قبيح مطلقاً، فكل ما صدر منه من المخلوقات صدر عن حكمة ومصلحة.

فأول الأخلاقيات التي يجب على الإنسان أن يتحلى بها هي عدم التجاوز على الذات الإلهية والإيمان والاعتقاد المطلق بوحداية الله تعالى.

والثالث أن جزء الأعمال يكون مطابقاً إلى نفس الأعمال، فلا يرتكب الظلم إلا من كان جاهلاً أو عاجزاً، وأما من يملك العلم والقدرة فالظلم عليه قبيح. العقل يحكم بان الله العالم والقادر المطلق لا يظلم لان منشأ

١ العدالة من منظور القران، يحيى بن عبد الله الجف، <https://www.aljazeera.net>

٢ في ظلال نهج البلاغة محاولة لفهم جديد، شرح محمد جواد مغنية، انتشارات كلمة الحق، ط١، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦، ص٤٢٨-٤٢٩

٣. م. ن ج ٣/ ص٣٠٩

الظلم أما الجهل أو العجز<sup>١</sup> ومنه قول الإمام الرضا (عليه السلام): ينبغي لمن عقل عن الله أن لا يتهم الله في قضائه ولا يستبطنه في رزقه<sup>٢</sup>

ان حسن التعامل والوصول الى العلائق الانسانية المتكاملة والمعتدلة والمتوازنة تتطلب عددا من المعايير الاخلاقية التي يجب على الانسان ان يتخلق بها وبخلافه يكون ظالما وغير متوازن، لذا كانت مظاهر العدالة في تعاليم الإمام الرضا (تتعلق بالجانب السيري، فهي ليست تعاليم نظرية فحسب بل هي قيم معاشة وممارسة، أي أن الأمر لا يتعلق بنموذج إرشادي في النظر بل تقوم على نموذج عملي يشخص الموقف العادل باعتبار أن الإمام جسّد فكرة العدل في سلوكه الاجتماعي اليومي. ففكرة العدالة هنا تركز أيضا على منحى تربوي<sup>٣</sup> وبذلك تكون العدالة عنده عليه السلام عدالة أخلاقية.

إن السيرة العملية والتربوية للإمام الرضا تقوم على الأخلاق القرآنية والنهج النبوي في تعاملاته اليومية. وفي أقواله إذ كان دور الإمام دور القدوة القائد وقد قام بتأديته أداءً ((مطابقاً لقيم الإسلام الثابتة وأبرز للمسلمين انموذجاً من أرقى نماذج الخلق الإسلامي الرفيع، وكان قمة في الصدق وأداء الأمانة و الوفاء بالعهد، والتواضع، واحترام الآخرين، والاهتمام بالمسلمين وقضاء حوائجهم قال الامام ع ((استعمال العدل والإحسان مؤذن بدوام النعم<sup>٤</sup>

فهذه القاعدة الأخلاقية والتربوية في قوله عليه السلام الإحسان يكون مؤذنا بدوام النعم لأن ((الإحسان مقيد بالعدل؛ لأنه هو ميزانه، فلولا العدل لما عرف الإحسان، وفي كل الأحوال أن العدل هو الأصل العام والإحسان هو فرعه الخاص، وما كانت ثمرته عامة فهو الأفضل، فلا يكون محسنا من ليس عادلا<sup>٥</sup> وهو في وجهه الآخر أن الإساءة والظلم مؤذنا بيزوال النعم وينطبق عليهما ما يقال عن العدل والإحسان فيكون الظلم ميزان الإساءة ويكون أصلا والإساءة فرع عنه فلا يكون مسيئا من لم يكن ظالما. لان الظلم لا يقع الا من ضعيف او عاجز.

### العدالة الأخلاقية العملية في السيرة الرضوية المقدسة

وقد أشار الإمام عليه السلام إلى مجموعة من القيم الأخلاقية والمبادئ السلوكية في شعره إذ شكّا إليه رجل أخاه فأنشأ (عليه السلام) إذ يقول<sup>٦</sup>:

أعدّزُ أخاكُ على ذنوبه	واستزُ وغطّ على عيوبه
واصبزُ على بهتِ السفى	و للزمانِ على خطوبه
ودعُ الجوابَ تفضلاً	وكُلُ الظلومَ إلى حسيبه

١ العدل شهيد المحراب السيد اية الله السيد عبد الحسين دستغيب، منشورات مكتبة الفقيه، الكويت، ١٩٨٧، ص ٢٤٧

٢ العقل والجهل-في-الكتاب-والسنة-محمد-الريشهري/ص ١٥١

٣ العدالة عند الامام الرضا تأملات في فكرة العدالة من راولز إلى الإمام الرضا حتى أفلاطون، إدريس هاني، مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة، ط١، ٢٠١٩

٤ اعلام الهداية، لجنة التأليف في المعاونة الثقافية للمجمع العالمي لال البيت ع ،لبنان، بيروت، ط١، ٢٠٠٩، ص ١٠١

٥ عيون اخبار الرضا /١/ ١٢٢

٦ العدالة عند الامام الرضا ص ١٢٠

٧ أممتنا، سيرة الأئمة الاثني عشرية عليهم السلام، علي محمد علي دخيل، دار المرتضى، ط١، ٢٠١١، ص ١٣٤

وعن الامام الرضا عليه السلام ((ان الله خصَّ رسله بمكارم الأخلاق، فامتحنوا أنفسكم فإن كانت فيكم فاحمدوا الله، وإلا فاسألوه وارغبوا إليه فيها، فقال: وذكرها عشرة اليقين، والقناعة، والبصيرة، والشكر، والحلم، وحسن الخلق، والسخاء، والغيرة، والشجاعة، والمروءة، وفي خبر آخر زاد فيها الحياء والصدق وأداء الأمانة<sup>١</sup> بما أنّ العدالة الاجتماعية أصبحت من أهم اسس المجتمع الإنساني فاختيار العدالة كأصل من أصول الدين يمثل رمزاً لإحياء العدل في المجتمعات البشرية ومكافحة كل أنواع الظلم.<sup>٢</sup> تعددت الأخلاقيات التي ذكرها الإمام في سيرته التربوية ومنها:

الإنصاف: وضح لنا الإمام منهجه التربوي الأخلاقي العادل في تعامله مع الآخر وهو يبرز لنا الوجهة الإسلامية التربوية الصحيحة قبالة التشويه والظلم الذي تعرض له من أعدائه فقد ورد ((أن الإمام الرضا عليه السلام: قال لأحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي أحد أصحابه الثقات المعتمدين في حديث طويل جاء في ضمنه: ((..... وَ إِيَّاكَ وَ مُكَاشَفَةَ النَّاسِ. فَإِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ: نَصَلُ مَنْ قَطَعَنَا وَ نُحْسِنُ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْنَا فَتَرَى وَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ الْعَاقِبَةَ الْحَسَنَةَ)<sup>٣</sup> من الحديث نجد ان الامام يبنه الإمام على أمرين مهمين:

((الأمر الأول: إلى عدم كشف عيوب الآخرين وإن كنت تختلف معهم في الفكر والرأي ويصبح لك خصماً. الأمر الثاني: إنصاف العدو. إن إنصاف الأعداء والإحسان إليهم في الحقيقة يعود بالنفع على فاعله وعلى الجهة التي ينتمي إليها والإمام يؤكد: إن من سمات المؤمنين هو إنصافهم لأعدائهم كما عن - الإمام علي عليه السلام: (المؤمن ينصف من لا ينصفه) .

وقال محمود الوراق في الإحسان والإنصاف للعدو حتى يصل إلى مرحلة التعطف عليه وأن يرحمه لظلمه. حقيقة الإنصاف أن تعطي الناس ما تحب أن تعطاه.

### التعايش الاسلامي وفق العدالة الاخلاقية

و يقول رجل آخر من أصحابه عليه السلام: كانت فرشه في الصيف حصيراً و في الشتاء لم تكن سوى البساط. كانت ثيابه في البيت خشنة لكنه عند ما كان يحضر في المجالس العامة كان يظهر بمظهر لائق ويلبس الثياب الجيدة المتعارفة... و ذات ليلة كان عند الإمام ضيف. وخلال كلامهما، أصاب السراج عطب فأراد الضيف أن يصلح السراج إلا أن الإمام لم يسمح بذلك و قام هو بإصلاحه و قال: إننا لا نستعمل ضيوفنا.»

إن العلم بالذات، في استنباط دقيق و عميق يكون بمعنى البصيرة في ماهية أعمال الإنسان سواءاً الخير إن عاقبة هذا النوع من العلم بالذات هو التمتع بحياة طيبة. إن المعنى الأعمق للحياة الطيبة لا تتلخص في الحياة الفردية والعلاقات الخاصة بل إنه في الحقيقة تكون الحياة الطيبة لمن كان للآخرين حياة مثمرة على ضوء حياته.

١ بحار الانوارج/٦٦/ص٣٦٤

٢ دروس في العقائد الاسلامي، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج:١/ ص: ٦٨-٦٩.

٣. الكافي ج/١/ ٤٧٧



## المدارة

تقوم المدارة في الحياة الطيبة ه على جملة من الامور الاخلاقية، والسلوكية في طريقة التعامل مع الناس على اختلاف فئاتهم، قوامها اللين والرفق بالأقوال والافعال والمسالمة والمعاملة بالجميل لتؤدي بالمداري الى ربح السلامة من غوائل الناس ومسامحتهم والاستمتاع بصحبتهم، وادراك بغيتهم فهي من خير الاعمال وأحمد خلال في كيفية المعاملة والتعايش السلمي في المجتمع لخلق بيئة تنموية مستدامة قوامها العدل والمساواة في كل جوانب الحياة الادارية والقانونية والسياسية والاجتماعية والنفسية.

والمدارة: ((قريب من الرفق معنى، لأنها ملائمة الناس، وحسن صحبتهم، واحتمال أذاهم، وربما فرق بينهما باعتبار تحمّل الأذى في المدارة دون الرفق،<sup>١</sup>

وقد ورد في ذكرها والتأكيد عليها وتحقيقها للتعايش السلمي والعدل الاجتماعي أحاديث كثيرة منها ما ورد عن رسول الله ﷺ:

((مدارة النَّاسِ نصف الإيمان، والرفق بهم نصف العيش...<sup>٢</sup> وعنه ﷺ: ثلاث من لم يكن فيه لم يتيم له عمل: ورع يحجزه عن معاصي الله، وحُلق يُداري به الناس، وحلمٌ يَرُدُّ به جهل الجاهل...<sup>٣</sup> وورد عن الإمام علي: ثَمَرَةُ الْعَقْلِ مَدَارَةُ النَّاسِ<sup>٤</sup>. وللمدارة ثَمَرَةٌ تكمن في سلامة الدين والدنيا كما ان لها عاقبة لمن لم تصلحها المدارة يصلحها سوء المكافأة<sup>٥</sup>.

فالمدارة اذا هي الملاينة والملاطفة والرفق بالناس في الأقوال والأفعال وقد كانت من الخصائص التي تميز بها مولانا الرضا عليه السلام في مواضع عدة منها: عندما سئل عليه السلام عن العقل قال التجرع للغصة ومداهنة الأعداء ومدارة الأصدقاء<sup>٦</sup>

فتكون واحدة من مكونات العقل والتعامل العادل مع الناس.

وفي موضع اخر وقال عليه السلام في تمام العقل الذي يكون جماعا لعدة خصال فيكون عادلا مع نفسه والآخرين: لا يتم عقل امرئ مسلم حتى تكون فيه عشر خصال: الخير منه مأمول، والشر منه مأمون، يستكثر قليل الخير من غيره، ويستقل كثير الخير من نفسه، لا يسأم من طلب الحوائج إليه، ولا يمل من طلب العلم طول دهره، الفقر في الله أحب إليه من الغنى، والذل في الله أحب إليه من العز في عدوه، والخمول أشهى إليه من الشهرة، ثم قال عليه السلام: العاشرة وما العاشرة، قيل له: ما هي؟ قال عليه السلام: لا يرى أحدا إلا قال: هو خير مني وأتقى. إنما الناس رجلان: رجل خير منه وأتقى، ورجل شر منه وأدنى، فإذا لقي الذي شر منه وأدنى قال: لعل خير هذا باطن وهو خير له، وخيري ظاهر وهو شر لي. وإذا رأى الذي هو خير منه وأتقى تواضع له ليلحق به، فإذا فعل ذلك فقد علا مجده، وطاب خيره، وحسن ذكره، وساد أهل زمانه.<sup>٧</sup>

١ جامع السعادات، محمد مهد النراقي، انتشارات اسماعيليان، ط٧، ١٤٢٨هـ، ج١، ص ٢٩٣

٢ منتخب ميزان الحكمة ص ٢٣٠

٣ م. ن ص ٢٣٠

٤ ينظر: م. ن ص ٢٣٠

٥ ينظر م. ن ٢٣٠

٦ ميزان الحكمة ص ٢٣٠

٧ بحار-الأنوار ج-٧٥/ص-٣٣٨

ويمكن تلخيص هذا النوع من العدالة الأخلاقية والنفسية التي قامت على عدد من التقابل المعنوي جعل الخطاب الرضوي خطاباً مؤثراً بالآتي:

الخير منه مأمول والشر منه مأمون،  
يستكثر قليل الخير من غيره، ويستقل كثير الخير من نفسه ، لا يسأم من طلب الحوائج إليه،  
ولا يمل من طلب العلم طول دهره،  
الفرق في الله أحب إليه من الغنى، والذل في الله أحب إليه من العز في عدوه،  
والخمول أشهى إليه من الشهرة،

فبعث الأمل ضرورة من ضرورات مداراة الناس وملايئتهم حيث ان من (ضروريات مداراة الناس هو بعث الأمل وايجاد الحوافز لدى الآخرين، وصيانتهم من أي نوع من الأذى الروحي والنفسي، ان اكثر الناس مايتقون ويعتمدون على من تكون فيهم هذه الخصائص<sup>١</sup>

ووفي موضع اخر تكون المداراة سنة للمؤمنين فقد روي عن سيدنا ومولانا علي بن موسى الرضا(ع) أنه قال: «لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون فيه ثلاث خصال: سنة من ربه، سنة من نبيه، سنة من وليه، فاما السنة من ربه فكتمان سره، قال الله جل جلاله: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا \* إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ (الجن: ٢٦ - ٢٧) ، وأما السنة من نبيه فمداراة الناس، فإن الله عز وجل أمر نبيه(ص) بمداراة الناس، فقال: ﴿خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩) ، وأما السنة من وليه فالصبر في البأساء والضراء، يقول الله عز وجل: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٧)

### التواضع

وهو من صفات الانبياء والاتقياء والمعصومين وقد ذكره الله سبحانه في قبالة التكبر والعجب وان مآل المتواضعين هو الجنان كما في قوله تعالى: ((وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ<sup>٢</sup>

ومن شروط التواضع خلوص النية لله وحده ((لا لأجل مصلحة دنيوية أو أن تتودد لسلطان ظالم أو صاحب جاه من أجل منفعة خاصة فحينها تكون ممن يمقتهم الحق تعالى<sup>٣</sup>

كما جاء في قول إمامنا الصادق (عليه السلام): (أَيُّمَا مُؤْمِنٍ خَضَعَ لِمَلِكٍ أَوْ لِمَنْ يَخْلُطُهُ عَلَى دِينِهِ طَلِبًا لِمَا فِي يَدَيْهِ مِنْ دُنْيَا أَوْ خَمَلَهُ اللَّهُ وَمَقْتَهُ عَلَيْهِ وَوَكَلَهُ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ هُوَ غَلَبَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ دُنْيَا وَصَارَ فِي يَدِهِ مِنْهُ شَيْءٌ نَزَعَ اللَّهُ الْبِرْكَهَ مِنْهُ وَلَمْ يَأْجِرْهُ عَلَى شَيْءٍ يَنْفَعُهُ فِي حَجِّ وَلَا عَمْرَةٍ وَلَا عَتَقَ).

١ مهارات الحياة في السيرة الرضوية د. محمد رضا شرفي، تعريب سيد حسين المحفوظي الموسوي، منشورات مؤسسة الشباب والابحاث الاجتماعية والخدمات الاستشارية ط١، ١٤٣٥هـ، ص٥٧

٢ الزمر - ٧٣

٣ التواضع موقع مدرسة اهل البيت ع <https://ahl.albait.com>

### والتواضع الم محمود يكون على نوعين

الاول ك تواضع من يرى لنفسه شائنا لكنه يتواضع لما بلغه من حسن التواضع، والاجر الذي يعطى ه، والحمد والثناء على صاحبه، فيتواضع.

والثاني: تواضع المعرفة بحقيقة العبودية، وأنه لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، تواضع الفقر والحاجة والاضطرار، فهو لا يرى لنفسه قيمة ولا شائناً، فيكون التواضع طبيعة له وعلى القاعدة، وليس استثناء يتكلفه، لأنه لا يملك شيئاً يتعالى به، أو، يتكبر، أو يطغى من أجله، فتكون هذه الصفات عنده سالبة بانتفاء الموضوع، ومثله لا يحتاج إلى دليل على حسن

التواضع ومدح صاحبه ليتواضع<sup>١</sup>

وحد التواضع عند الإمام الرضا (عليه السلام) - لما سئل عن حد التواضع :- أن تعطي الناس من نفسك ما

تحب أن يعطوك مثله.<sup>٢</sup>

وفي موضع اخر يحدد درجات التواضع (عليه السلام) - لما سأله ابن الجهم: ما حد التواضع الذي إذا فعله العبد كان متواضعا التواضع درجات: منها أن يعرف المرء قدر نفسه فينزلها منزلتها بقلب سليم، لا يحب أن يأتي إلى أحد إلا مثل ما يؤتى إليه، إن رأى سيئة درأها بالحسنة، كاظم الغيظ، عاف عن الناس، والله يحب المحسنين<sup>٣</sup> وبهذا المعنى تكون ((حقيقة التواضع ان يعطي الانسان للناس من التكريم والاحسان والبر مثل ما يحب ويتمنى ان يعطى لنفسه. ان التواضع دليل على شرف النفس وسموها ومن تواضع للناس أحبوه وأكرموه وأحبه الله ورفع.

فعلى الانسان ان يجعل نفسه ميزانا للعدالة والمساواة بهذا تتحقق حياة طيبة واعية خالية من المظالم. وعندما يكون الانسان واعيا عادلا يكون مؤثرا بالمجتمع.

تعامله مع الخدم بكل خلق رفيف وقد قال للخدم وقال لخدمه: «إن قمت على رؤوسكم وأنتم تأكلون، فلا تقوموا حتى تفرغوا»<sup>٤</sup> ...

وقال الراوي: ((كنت مع الرضا عليه السلام في سفره إلى خراسان، فدعا يوماً بمائدة، فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم، فقلت جعلت فداك لو عزلت لهؤلاء مائدة فقال: م هان الرب تبارك وتعالى واحد، والأم واحدة والأب واحد والجزء بالأعمال،

وقد ورد في عيون أخبار الرضا مجموعة من القيم الأخلاقية والمهارات الحياتية التي كان يمتاز بها الإمام في تعاملاته مع الناس وقد((وصفه إبراهيم بن العباس: ما رأيت ولا سمعت بأحد أفضل من أبي الحسن الرضا (ع) ، ما جفا أحداً، ولا قطع على أحد كلامه، ولا ردّ أحداً عن حاجة، وما مدّ رجله بين يدي جليس، ولا اتكى

١ مبدأ التعايش السلمي في المنظور الاسلامي وفكر المرجع اليعقوبي والرأي العالمي، الشيخ فيصل التميمي، دار الصادقين للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٨، ص٢٨٤

٢). ميزان-الحكمة-محمد-الريشهري-٤/ص٣٥٥٥ وقال الرضا عليه السلام. اصحب السلطان بالحدز، والصديق بالتواضع، والعدو بالتحز، والعامه بالبشر. حار-الأنوار-العلامة-المجلسي-ج١/٧١-ص١٦٩

٣). ميزان-الحكمة-محمد-الريشهري-ج-

٤ الكافي، للكليني، تصحيح وتعليق على اكبر غفاري، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران، ايران، ط٥، ج٨، ص٢٣٠، وقيل انه كان لا يستخدم أحداً من خدامه حتى يفرغ من طعامه، م. ن ج٦، ٢٨٩

قبله، ولا شتم مواليه ومماليكه، ولا فقهه في ضحكة، وكان يجلس على مائدة مماليكه... كثير المعروف والصدقة في السر...<sup>١</sup>

فهو يشير الى

١- مهارة التواصل في ما جفا احدا قط

٢- مهارة حسن الاصغاء والاستماع ولا قطع على أحد كلامه

٣- مهارة العطاء والسخاء ولا ردّ أحداً عن حاجة

٤- مهارة التواضع والاحترام وما مدّ رجله بين يدي جليس، ولا اتكى قبله، ولا شتم مواليه ومماليكه، ولا فقهه في ضحكة، وكان يجلس على مائدة مماليكه.

### التواضع

رسولُ الله: حَمْسٌ لَا أَدْعَهُنَّ حَتَّى الْمَمَاتِ: الأكل على الحضيض مع العبيد، وركوبي الحمار مُؤَكَّفًا، وحلبي العنز بيدي، ولبس الصُّوفِ، والتسليم على الصبيان؛ لِيَتَكُونَ سُنَّةً من بعدي. وهذا ما كان يفعله ع ص ٦١٣ منتخب ميزان الحكمة

وكان متواضعا للناس اذ يروى انه دخل الحمام فقال له بعض الناس: دلكتي يا رجل، فجعل يذلّكه فغرفوه، فجعل الرجل يعتذر منه، وهو يطيب قلبه وبذلّكه.

وكان (كثير العفو والصفح لا يقابل الإساءة بالإساءة، رحيماً لا يحمل حقداً ولا عداً لمن يؤذيه من عامة الناس أو من خواصهم، فقد عفى عن الجلودي الذي سلب حلي نساء أهل البيت (٢) عندما هجم على دار الإمام الرضا (ل) في عهد هارون، وطلب من المأمون أن لا يمسّه بسوء ومن التواضع قوله ان تعطي الناس ما تحب ان يعطوك ثالثاً: الدعوة الى مكارم الأخلاق كان يدعو إلى التمسك بمكارم الأخلاق ومحاسنها، ويعمق هذه السلوكي السليم، ومن تلك الأحاديث التي رواها: الدعوة من خلال نشر أحاديث رسول الله (ﷺ) التي ترسم للمسلمين المنهج قال رسول الله (ﷺ): «المستتر بالحسنة يعدل سبعين حسنة، والمذيع بالسيلة مخذول، والمستتر بها مغفور له» (٢).

### الظلم الاجتماعي الاخر واثاره: ويندرج تحته

عقوق الوالدين وقطع الرحم: يقول الامام (بر الوالدين واجب وان كانا مشركين ولا طاعة لهما في معصية) (صل رحمك ولو بشرية ماء وافضل ما توصل به الرحم كف الاذى عنها<sup>٢</sup> فكف الاذى من العدل الاجتماعي والاخلاقي.

منع العطاء: ((ان شر الناس من منع رفته واكل وحده وجلد عبده<sup>٣</sup>

عدم حفظ الجار (ليس منا من لم يأمن جاره بوائقه)<sup>٤</sup>، وفي موضع آخر (ليس منا من لم يكن جاره في أمان منه<sup>٥</sup>

١ عيون أخبار الرضا: ٢/١٩٧ - ١٩٨،

٢ مسند الامام الرضا /١ ص ٢٤٧

٣ مسند الامام الرضا ج ١/ص ٢٦٤

٤ م. ن ج ١/ ٢٣٤

٥ م. ن ج ١/ص ٢٣٢

ليس منا من لم يكن جاره في امان منه، ((وليس منا من لم يأمن جاره بوائقه. وهو مما يقع في الظلم الاجتماعي  
من الموازين الاخلاقية التي أكدها الاسلام حفظ الجار ورعايته والتي تعني التعدي على حق الجار من  
الاخلاق المذمومة والتي تؤدي الى الظلم الاجتماعي، فضلا أن له حرمة و((أن الجار كالنفس غير مضار ولا اثم  
،وحرمة الجار على الجار كحرمة امه وابيه ولا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله الا على عدل  
وسواء<sup>١</sup>

### العدالة في السلام مع الفقراء

ذكر الصدوق بإسناده إلى علي بن موسى الرضا (عليه السلام) انه قال: ((من لقي فقيرا مسلما فسلم عليه خلاف  
سلامه على الأغنياء لقي الله عز وجل يوم القيامة وهو عليه غضبان<sup>٢</sup>  
مثلت هذه الوصية الاخلاق العظيمة عند أهل البيت (عليهم السلام) عموما والامام الرضا خصوصا فهم  
((الذين خلقهم الله رحمة لعباده، فقد الرزوا شيعتهم بالمساواة بين ابناء المسلمين حتى بالسلام وكرهوا  
التمايز بينهم<sup>٣</sup>

اكل مال اليتيم: جاء في رسالة له يصف فيها اكل مال اليتيم من الكبائر: واجتناب الكبائر، وهي... اكل مال  
اليتامى...<sup>٤</sup> يتحدث الام في هذه الرسالة عن عدد من الكبائر التي يجب اجتنابها ومنها اكل مال اليتيم ظلما وهي  
من الظواهر السلبية التي نهى عنها الاسلام لمفهومه من مخافة للفظرة في العطف والاحسان لمن فقد ابويه او احدهما  
وهو ضعيف لا يقدر على الذود عن نفسه وحقه، وقد ورد النهي في النصالقراني فيعدة موارد منها:  
النهي عن الاقتراب من مال اليتيم قال تعالى ((وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ<sup>٥</sup>،

حفظ اموالهم الى ان يبلغوا سن الرشد قال تعالى:- ((وَأْتِئْتُوا مَالَ الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ  
رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ  
فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ<sup>٦</sup>  
ايعاد الذين ياكلون مال اليتيم: في قوله تعالى: ((لِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي  
بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا<sup>٧</sup>

لقد عد عقوق الوالدين واكل مال اليتيم من الكبائر لانه((غير قابلة للمسامحة ولا يقبل فيها الاعتذار  
بالاعتذار العرفية من خجل واستدعاء صديق ونحوه<sup>٨</sup> مما يؤدي الى القدح بالعدالة واخلال الموازين الاجتماعية  
في ميدان الحقوق الشرعية.

١ كتاب الكافي، ج٥، ص٣١ باب اعطاء الامان

٢ موسوعة احاديث أهل البيت (ع) - الشيخ هادي النجفي - ج ٥ - الصفحة ١٦٦ وبنظر وسائل الشيعة ٤٤٢ / ٨، (١).

٣ حياة الإمام الرضا (عليه السلام)، باقر شريف القرشي، ج٢، ص٧٧.

٤ تحف العقول عن ال الرسول، لابن شعبة الحراني، دار المرتضى، ٢٠٢١، ص٤٢٢

٥ سورة الانعام اية ١٥٢

٦ سورة النساء اية ٦

٧ سورة النساء اية ١٠

٨ العدالة في فقه اهل البيت، الشيخ محمد علي صالح المعلم، تحقيق الشيخ حسن العبودي، مؤسسة دارزين العابدين، ط١،

معونة الظالم: ((روى الصدوق بإسناده إلى الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: من أحب عاصياً فهو عاص (١) ، ومن أحب مطبوعاً فهو مطيع) ، ومن عان ظالمًا فهو ظالم، ومن خذل عادلاً فهو ظالم<sup>١</sup> لقد ورد في النص القرآني مسألة النهي عن الأثم والظلم بدليل قوله تعالى: ((وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۗ المائدة: ٢])

ذكر الامام عليه السلام اربعة اشياء مشروطة باربعة:

حب العاصي والمطيع \_\_\_\_\_ يكون المحب عاصيا ومطيعا

اعانة الظالم \_\_\_\_\_ يكون المعين ظالما مثله

خذلان العادل \_\_\_\_\_ يكون الخاذل ظالما

نظرية اخلاقية دقيقة الوصف سواء قصد او بدون قصد يوضح السيد الغروي ((ثم إعانة الظالم وهي: تهئية بعض المقدمات قاصداً بها وصول المعان إلى هدفه وقيل: الإعانة قد تتحقق بدون قصد المعين ايضاً قال الشيخ الأنصاري قال المحقق الأردبيلي طاب في آيات أحكامه في الكلام على الآية (١): إن المواد الإعانة على المعاصي مع القصد الي على الوجه الذي يصدق أنها إعانة مثل أن يطلب الظالم العصا من شخص لضرب مظلوم فيعطيه إياها، أو يطلب القلم لكتابة ظلم فيعطيه، ونحو ذلك مما يعد معونة عرفاً فلا تصدق على التاجر الذي يتجر غرضه معاون المظالم العاشر (١) في أخذ العشور، ولا على الحاج الذي يوجد منه المال ظلماً<sup>٢</sup> فغاية ال البيت هي احداث التغيير السلوكي للإنسان الذي يكون مناطا للتغيير الاجتماعي والروحي للمجتمع بأكمله

لقد كان الامام الرضا حريصا على اظهار العدالة بصورها المختلفة اجتماعيا واخلاقيا ليرسخ في نفوس الناس الدين الاسلامي الاصيل وليقوم بإعداد وتربية جيل يقف بوجه الطغاة والظلمة على مر العصور فكانت مدرسته الفكرية والعقائدية منارا حضاريا قوامه العدل والاحسان والرحمة والرافة ذات ثقافة رسالية متفردة لم يستطع الظالمون طمسها.

## الخاتمة والنتائج

### توصل البحث الى عدد من النتائج منها

- ١- مفهوم الحياة الطيبة من السعة بحيث يشمل كل ما ذكره و غيره، فالحياة الطيبة بجميع جهاتها، و خالية من التلوثات والظلم والخيانة والعداوة والذل و كل ألوان الآلام والهموم، وفيها ما يجعل حياة الإنسان صافية كماء زلال.
- ٢- كانت العدالة احد اوجه الحياة الطيبة التي اكرها الاما في سيرته العملية وتوجيهاته التربوية.
- ٣- التواضع والعفو هي قوام السيرة الرضوية
- ٤- الانصاف وعدم مكاشفة العدو من ضروريات الحياة العادلة والطيبة

- ٥- التعايش السلمي وتحقيق العدل الاجتماعي بالتواضع والمداراة والاحسان والانصاف وعدم اكل مال اليتيم، وحفظ الجار، وبر الوالدين.....الخ من عناصر الحياة الطيبة.
- ٦ - وقد أراد الله سبحانه من الانسان المختار أن يلتزم بالعدل في سلوكياته لتنسجم مع القانون الكوني، ليحقق سعادته الحقيقية، إذ به ينحصر في ساحة الطاعة والالتزام ويتعد به عن الآثام، لكنه بخروجه من ساحة العدل الى الظلم فإنه يخالف قانوننا إلهيا على المستوي التشريعي والتكويني، وهذا يؤدي الى عطيه وفساده.
- ٧- وخير من جسد ما أراده الله سبحانه من العدالة والخلافة ابن النبوة وامتداد الولاية الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) فأخلاقه أخلاق الله في أرضه وأدبه ادب رسوله وسمته سمة جده علي بن أبي طالب (عليه السلام)
- ٨- أن قيمة العدل لها أثر تكويني وشرعي واجتماعي وأخلاقي، فلا يمكن التغافل عن تأثيره في حياتنا، أو عدم إعطائه دوره في تغيير كل واقع يتسم بالظلم وتجاوز الحدود، وهذا ما أكده الامام الرضا عليه السلام من خلال مواقف السامية في العدل وأقواله العالية المضامين فيه.
- ٩- كما أن الحياة الإنسانية التي ينبغي أن تتسم بالسعادة والهناء لا يمكن أن تحقق هذه السعادة والاطمئنان إلا من طريق تفعيل قيمة العدل وترسيخ العدالة في النفوس والمجتمعات والدول والمؤسسات، لتنعم بحياة طيبة هانئة وإلا فإنها ستسير في ظلال وإضلال وفساد وإفساد، وهذا ما يفسر تبه البشرية وألمها وجور بعضها على بعض في وقتنا المعاصر، وأقرب مثال لذلك ما نشاهده الان في غزوة من ظلم وجور وقهر بحيث تجاوز كل حدود الشرائع السماوية بل الجنبه الإنسانية التي بطبيعتها ترفض التعسف والاستغلال بين بني البشر أنفسهم.
- ١٠- وتوصلنا إلى أن القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام رسما خارطة الطريق وبيننا سبيل الحق والعدالة وكان دور الامام الرضا عليه السلام من أبرز ما بينه في ذلك.

## المصادر والمراجع

الإصلاح المجتمعي اضاءات ثقافية واقتضاءات تربوية. د. حامد عمارة، مكتبة الدار العربية للكتاب اعلام الهداية، لجنة التأليف في المعاونة الثقافية للمجمع العالمي لال البيت ع ،لبنان، بيروت، ط٦، ٢٠٠٩  
أئمتنا، سيرة الأئمة الاثني عشرية عليهم السلام، علي محمد علي دخيل، دار المرتضى ،ط٢٠، بيروت، لبنان، ٢٠١١.

بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار - الشيخ محمد باقر المجلسي، دار احياء التراث، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٣

تحف العقول عن ال الرسول ،لابن شعبة الحراني ،دار المرتضى، ٢٠٢١  
جامع السعادات، محمد مهد النراقي، انتشارات اسماعيليان، ط٧، ١٤٢٨هـ ق  
حياة الإمام الرضا (عليه السلام) ، باقر شريف القرشي، ج٢،  
دروس في العقائد الاسلامي، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي د. ت

العدالة عند الامام الرضا تأملات في فكرة العدالة من راولز إلى الإمام الرضا حتى أفلاطون، إدريس هاني، مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة، ط١، ٢٠١٩

العدالة في عالم الحيوان الحياة الاخلاقية للحيوانات، مارك بيكوف وجيسيكا بيرس، ترجمة فاطمة غنيم، ابو ظبي، ط١، ٢٠١٠

العدالة في فقه اهل البيت، الشيخ محمد علي صالح المعلم، تحقيق الشيخ حسن العبودي، مؤسسة دارزين العابدين، ط١، ٢٠١٧،

العدل شهيد المحراب السيد اية الله السيد عبد الحسين دستغيب، منشورات مكتبة الفقيه، الكويت، ١٩٨٧، العقل-والجهل-في-الكتاب-والسنة-محمد-الريشهري د. ت

عن الأخلاق الإسلامية في القرآن دراسة في الأسس والمفاهيم محمد حسين فهم نيا تعريف الشيخ محمد نبيل جمعة العاملي، مؤسسة الخلق العظيم، ط١

عيون اخبار الرضا، الشيخ الصدوق، دار المرتضى، بيروت لبنان، ٢٠٢٢.

في ظلال نهج البلاغة محاولة لفهم جديد، شرح محمد جواد مغنية، انتشارات كلمة الحق، ط١، ١٤٢٧ هـ/ ج٢

الكافي، للكليني، تصحيح وتعليق على اكبر غفاري، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران، ايران، ط٥، ج٨، مبدأ التعايش السلمي في المنظور الاسلامي وفكر المرجع اليعقوبي والرأي العالمي، الشيخ فيصل التميمي، دار الصادقين للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٨

مدخل إلى فلسفة الأخلاق، آتكنسون، مركز ترجمة و نشر كتاب طهران، ١٣٧٠ هـ. ش.

معراج السعادة الملا أحمد التراقي سازمان انتشارات هاويدان د. ت

منتخب ميزان الحكمة، تلخيص السيد حميد الحسيني، دار الحديث للطباعة والنشر، ط٧، ١٤٣٠ هـ...ق.

مهارات الحياة في السيرة الرضوية د. محمد رضا شرفي، تعريف سيد حسين المحفوظي الموسوي، منشورات مؤسسة الشباب والابحاث الاجتماعية والخدمات الاستشارية ط١، ١٤٣٥ هـ.

موسوعة أحاديث أهل البيت (ع) - الشيخ هادي النجفي - ج ٥

ميزان الحكمة محد الري شهري دار الحديث للطباعة والنشر، ط٦، ١٤٣٣ هـ...ق.

نظريات العدالة دراسة ونقد، احمد واعظي، بيروت، ط١، ٢٠١٧،

من شبكة الانترنت

العدالة من منظور القران، يحيى بن عبد الله الجف، <https://www.aljazeera.net>

التواضع موقع مدرسة اهل البيت ع <https://ahl-albait.com>



## الحقيقة المشتركة بين الاديان التوحيدية: مناظرات الامام الرضا(عليه السلام) ودورها في الاثراء المعرفي والاجتماعي في ارساء التعايش السلمي مع الاخر الديني

د. حليم عباس عبيدا<sup>١</sup>  
أ. حسين جويد موسى<sup>٢</sup>

### المقدمة

كما هي حياة أهل البيت زاخرة في جوانبها العملية والأخلاقية فهم أصول الكرم وقادة الأمم وساسة العباد وقدوات على طريق الله، كذلك علينا أن نتلمس حياتهم العلمية والفكرية؛ فهي تشكل منعماً أصيلاً لمعرفة الإسلام والدعوة إليه، و-أيضاً- في فهم العقيدة الحقة وإزالة الشبهات الفكرية والعقدية التي تواجه عقائد الناس وأفكارهم، ومن هذه السيرة العلمية لهم، والتي كان لها الأثر البالغ في تثبيت العقيدة وتشبيد أركانها إضافة لدفع الشبهات والتشكيكات عنها، هو اعتمادهم أسلوب (المجادلة الحسنة) مع الآخر أيّاً كان الآخر من أيّ ديانة أو ملة أو مذهب، وسواء كان ملحداً أو معانداً أو طالباً للحقيقة... فالمجادلة والمناظرة والاحتجاج تمثل إحدى أهم الأدوات الرسالية في الدعوة إلى الله وكشف الحقائق بالأدلة والبراهين الشاطعة، و-أيضاً- في دحض الشبهات والافتراءات التي تتسلل عادة لبسطاء الناس، بل وحتى المعتقد منهم.

في هذا البحث نحاول أن نسلط الضوء على هذا الجانب الذي ربما ظلّ خافياً عن ساحتنا الفكرية والعلمية، وهو منهج المناظرات والمحاورات العلمية وعلى وجه الخصوص عند الإمام الرضا، هذا المنهج العلمي يقوم على أساس تجلية الحقيقة وإثبات الحقائق، ودحض الأباطيل والشبهات لدى الخصم والمقابل على مستوى الفكر والعقيدة، بأسلوب حواريّ جدليّ وعقلانيّ هادئ، وهذا البحث يسلط الضوء على هذا الجانب في حياة أحد أكثر أئمة أهل البيت استخداماً لهذا المنهج هو الامام الرضا الذي ربما ظلّ خافياً عن ساحتنا الفكرية والعلمية أمداً طويلاً، والذي يرى الباحث ان الفترة الزمنية التي عاصرت أمامته، إضافة الى الموقع السياسي والاجتماعي الذي شغله فضلاً عن الديني كان له الأثر الكبير في تفعيل هذا الاتجاه في سيرته العلمية والاجتماعية، وقد اتبع الباحث المنهج التاريخي والمنهج التحليلي الوصفي في هذا البحث الذي يمكن اعتباره محاولة لكشف الأثر الايجابي الذي تركته مناظرات الامام الرضا في الأوساط الاسلامية، فضلاً عن قوة أثرها في الآخر العقدي، وجزما ان هذا الامر كان موجودا بل ومقصودا في مناظرات الامام الرضا عليه السلام خاصة مع علماء الاديان الأخرى كالمسيحية واليهودية والصابئة وغيرهم، باعتبار ارادته ترسيخ العقائد

١ جامعة بغداد/ كلية العلوم الاسلامية، iq. uobaghdad. edu. cois. a@haleem

٢ باحث Hjwd\_xp@yahoo.com

الاسلامية في نفوس المسلمين أولاً ومن ثم الاعتماد على هذا التجذر في الدعوة الى الاسلام، وكان من نتائج هذا البحث: بيان أثر الفعل الكلامي في منازرات الامام الرضا وهو ما يعرف اليوم بتداولية الخطاب، وبيان أثر الاسلوب الحجاجي الذي أتبعه الامام الرضا في الدعوة الى الدين ومذهب أهل البيت

**الكلمات المفتاحية:** الامام الرضا، المنهج التداولي، الاديان التوحيدية، النبوة، الامامة، المأمون.

### المبحث الاول: الامام الرضا عليه السلام (١٤٨ - ٢٠٣هـ)

اسمه وكنيته، مولده ونشأته، محل أقامته، دلائل أمامته، علميته، رحلته الى خراسان، توليه ولاية عهد المأمون العباسي، مكانته عند عموم المسلمين، ظروف شهادته.

اسمه وكنيته: هو الامام علي بن موسى بن جعفر، المعروف بالرضا، ثامن أئمة أهل البيت عليه السلام عند الشيعة الإمامية، له عدة ألقاب أشهرها الرضا، وكنيته أبو الحسن الثاني<sup>١</sup>.

مولده ونشأته: وُلد الإمام الرضا عليه السلام في المدينة المنورة<sup>٢</sup>، وبسبب وجود تضارب في تاريخ ولادته وعمره<sup>٣</sup> فمن الصعب تحديد المدة الزمنية الدقيقة التي أقام في المدينة، ولكن المعروف بأنه قضى حوالي سبع عشرة سنة من إمامته في المدينة - وهي فترة ما بين سنة ١٨٣ هـ استشهد الإمام الكاظم عليه السلام<sup>٤</sup> حتى إشخاصه إلى خراسان سنة ٢٠١ هـ<sup>٥</sup>، وبعد انتقاله إلى طوس أقام بقية حياته في طوس، والتي هي سنتان حيث استشهد في سنة ٢٠٣ للهجرة<sup>٦</sup>، وفيما عدا المدينة المنورة وطوس، أقام الإمام لمدة قصيرة في كل من الكوفة، والبصرة<sup>٧</sup> أيضاً.

محل أقامته: بعد أن كان الإمام الرضا عليه السلام يُقيم في المدينة المنورة، انتقل إلى خراسان، بطلبٍ وأمرٍ من المأمون العباسي؛ ليُكرمه على قبول ولاية عهده، وعند مروره بنيشابور روى حديث سلسلة الذهب

الهوامش

<sup>١</sup> المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، بيروت - لبنان، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط ١، ١٤١٦ هـ/١٩٩٥م،

<sup>٢</sup> المفيد، الإرشاد، ٢: ٤٤٧.

<sup>٣</sup> القرشي، باقر شريف، موسوعة سيرة أهل البيت (٥)، تحقيق: مهدي باقر القرشي، النجف الأشرف - العراق، الناشر: دار المعروف - مؤسسة الإمام الحسن (٥)، ط ٢، ١٤٣٣ هـ/٢٠١٢ م، ٣١: ٥٠.

<sup>٤</sup> المفيد، الإرشاد، ٢: ٣١٥.

<sup>٥</sup> جعفریان، رسول، الحياة الفكرية والسياسية لأئمة الشيعة (فارسي)، قم - إيران، انصاريان، ١٣٨١ هـ ش.، ص ٢٥٦.

<sup>٦</sup> الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي، طهران - إيران، دار الكتب الاسلامية، ط ٣، ١٣٨٨ هـ، ١: ٤٨٦.

<sup>٧</sup> القرشي، باقر شريف، حياة الامام علي بن موسى الرضا (٥)، د. م، الناشر: مهر دلدار، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ١: ٩٧.

<sup>٨</sup> القرشي، باقر شريف، حياة الامام علي بن موسى الرضا (٥)، د. م، الناشر: مهر دلدار، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ١: ٩٢.

المشهور، كان الإمام الرضا عليه السلام يعيش في المدينة المنورة وكان يتمتع بمكانة مرموقة بين الناس، فورد في رواية أن الإمام عليه السلام يصف موقعه بالمدينة للمأمون العباسي قائلاً: ولقد كنت بالمدينة وكتابي ينفذ في المشرق والمغرب، ولقد كنت أركب حماري، وأمرّ في سكك المدينة وما بها أعزّ مني، وما كان بها أحد منهم يسألني حاجة يمكنني قضاؤها له إلا قضيتها له<sup>١</sup>، كما روي عنه عليه السلام في وصف مكانته العلمية في المدينة: كنت أجلس في الروضة والعلماء بالمدينة متوافرون، فإذا أعيى الواحد منهم عن مسألة أشاروا إليّ بأجمعهم وبعثوا إليّ بالمسائل فأجيب عنها<sup>٢</sup>.

دلائل إمامته: تولى الإمامة بعد استشهاد أبيه الكاظم عليه السلام واستمرت إمامته حوالي ٢٠ عاماً. ومن أبرز دلائل إمامته، نص الروايات التي رويت على جمهرة من أصحاب أبيه موسى بن جعفر عليه السلام منهم: داود بن كثير الرقي، محمد بن إسحاق بن عمار، علي بن يقطين، نعيم القابوسي، الحسين بن المختار، زياد بن مروان، داود بن سليمان، نصر بن قابوس، داود بن زربي، يزيد بن سليط ومحمد بن سنان<sup>٣</sup>، ومن هذه الروايات: عن داود الرقي قال: قلت لأبي إبراهيم - يعني موسى الكاظم - عليه السلام: فذاك أبي إني قد كبرت، وخفت أن يحدث بي حدث، ولا ألقاك، فأخبرني من الإمام من بعدك؟ فقال: ابني علي<sup>٤</sup>، وعن محمد بن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبي الحسن الأول - الكاظم - عليه السلام: ألا تدلني على من آخذ منه ديني؟ فقال: هذا ابني علي....<sup>٥</sup>، بالإضافة إلى الروايات العديدة، فإنّ مقبوليّة الإمام الرضا عليه السلام بين شيعته وأفضليته العلميّة والأخلاقيّة هي التي أثبتت إمامته على الرغم من أنّ قضية الإمامة كانت في زمنه في غاية الحساسية والتعقيد، ولكنّ أكثر أصحاب الإمام الكاظم سلّموا بخلافة الإمام الرضا عليه السلام من بعده<sup>٦</sup>.

علميته عليه السلام: عُرف عند أهل زمانه بالزهد والعبادة والإحسان للمستضعفين، غير أنّه اشتهر بسعة علمه ومعارفه؛ وذلك لتفوّقه على جميع من ناظره من مختلف المذاهب والأديان، وهذا ما كشفتته مناظراته، التي كان يقيمها المأمون العباسي بينه وبين كبار علماء المذاهب والأديان، لعلّه يتمكن من إثبات أنّ أئمة أهل البيت عليه السلام ليس لديهم علم لدنّي كما هو المتداول عند شيعتهم ومواليهم. وعندما كان الإمام الرضا عليه السلام في المدينة يجلس في الروضة النبوية، ويجيب على أسئلة العلماء حينما يعجزون عن الجواب<sup>٧</sup>، وبعد ما حضر في مرو أجاب على كثير من الشبهات والسؤالات من خلال المناظرات التي نظمت

١. الكليني، الكافي، ٨: ١٥١.

٢. الطبرسي، الفضل بن الحسن، إعلام الوري بأعلام الهدى، قم - إيران، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط ١، ١٤١٧ هـ، ٢: ٦٤.

٣. المفيد، الإرشاد، ٢: ٤٤٨.

٤. المفيد، الإرشاد، ٢: ٤٤٨.

٥. المفيد، الإرشاد، ٢: ٤٤٨.

٦. جعفریان، الحياة الفكرية والسياسية لأئمة الشيعة، ص ٤٢٧.

٧. الطبرسي، إعلام الوري، ٢: ٦٤.

أتذاك، وفضلا عنها فقد أقام الإمام عليه السلام مجلسا علميا في مسجد مرو، ولكن عندما سمع المأمون بذلك أمر بتفريق الناس عنه، وعطل درس الإمام، فدعا الإمام الرضا عليه السلام على المأمون لعلته هذه<sup>١</sup>.  
 عُرف الإمام الرضا عليه السلام بمتفردته عن أهل زمانه بسعة العلم والمعرفة، وشهد له بذلك مختلف أصحاب المذاهب والأديان، والروايات في ذلك كثيرة: منها ما قاله عَبْدُ السَّلَامِ بْنِ صَلَاحِ الهَرَوِيُّ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَعْلَمَ مِنْ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَا رَأَةَ عَلِيمًا إِلَّا شَهِدَ لَهُ بِمِثْلِ شَهَادَتِهِ، وَلَقَدْ جَمَعَ المَأْمُونُ فِي مَجَالِسَ لَهُ ذَوَاتِ عَدَدٍ عُلَمَاءَ الأَدْيَانِ، وَفُقَهَاءَ الشَّرِيعَةِ، وَالمُتَكَلِّمِينَ، فَعَلَّنَهُمْ عَنْ أَجْرِهِمْ حَتَّى مَا بَقِيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا أَقْرَأَهُ بِالْفَضْلِ، وَأَقْرَأَ عَلَيَّ نَفْسِهِ بِالقُصُورِ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى الرُّضَا يَقُولُ: كُنْتُ أَجْلِسُ فِي الرُّوَضَةِ وَالعُلَمَاءُ بِالمَدِينَةِ مُتَوَافِرُونَ، فِإِذَا أَعْيَا الوَاحِدُ مِنْهُمْ عَنْ مَسْأَلَةٍ أَشَارُوا إِلَيَّ بِأَجْمَعِهِمْ، وَبَعَثُوا إِلَيَّ بِالمَسَائِلِ فَأَجَبْتُ عَنْهَا<sup>٢</sup>.  
 ومنها ما روي عن أَبِي ذَكْوَانَ قَالَ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ العَبَّاسِ يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ فَظُرَّ إِلَّا عَلمَهُ، وَلَا رَأَيْتُ أَعْلَمَ مِنْهُ بِمَا كَانَ فِي الزَّمَانِ إِلَيَّ وَفِيهِ وَعَصْرِهِ، وَكَانَ المَأْمُونُ يَمْتَحِنُهُ فِي كُلِّ ثَلَاثَةِ بِالسُّؤَالِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَيَجِيبُ فِيهِ وَكَانَ كَلَامُهُ وَجَوَابُهُ وَتَمَثِيلُهُ بِآيَاتِ مِنَ القُرْآنِ وَكَانَ يَحْتَمُهُ فِي كُلِّ ثَلَاثِ، وَيَقُولُ: لَوْ أَرَدْتُ أَنْ أُحْتَمِيَ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثِ لَحْتَمْتُ، وَلَكِنْ مَا مَرَرْتُ بِآيَةٍ فَظُرَّ إِلَّا فَكَّرْتُ فِيهَا وَفِي أَيِّ شَيْءٍ نَزَلَتْ وَفِي أَيِّ وَقْتٍ فَلِذَلِكَ صِرْتُ أُحْتَمَى فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ<sup>٣</sup>.

يقول اسماعيل السندي: سمعت بالهند أن لله في العرب حجة، فخرجت في طلبه، فدلت على الرضا عليه السلام فقصده، وأنا لا أحسن العربية، فسلمت عليه بالسندية، فرد علي بلغتي، فجعلت أكلمه بالسندية، وهو برد علي بها، وقلت له: إني سمعت أن لله حجة في العرب، فخرجت في طلبه، فقال: أنا هو، ثم قال لي: سل عما أردت، فسألته عن مسائل فأجابني، عنها بلغتي<sup>٤</sup>. ويقول أبو الصلت الهروي: "كان الرضا عليه السلام يُكَلِّمُ النَّاسَ بِلِغَاتِهِمْ، فَقُلْتُ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: يَا أَبَا الصَّلْتِ، أَنَا حِجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَتَّخِذَ حِجَّةً عَلَى قَوْمٍ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ لُغَاتِهِمْ، أَوْ مَا بَلَغَكَ قَوْلُ امْرِئِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَوْتِينَا الخَطَابَ، وَهَلْ هُوَ إِلَّا مَعْرِفَتُهُ لِللُّغَاتِ<sup>٥</sup>.  
 رحلته إلى خراسان: وقد كانت هجرة الإمام الرضا عليه السلام من المدينة إلى مرو في سنة ٢٠٠ هـ، وهذا ما صرح به بعض الباحثين، حيث قالوا: أن الإمام الرضا استقر في المدينة حتى سنة ٢٠١ هـ ودخل مرو في شهر رمضان من السنة نفسها<sup>٦</sup>، كما ذكر الشيخ المفيد أن المأمون قد أنفذ إلى جماعة من آل أبي طالب،

١. الصدوق، محمد بن علي، عيون اخبار الرضا، قم - إيران، انتشارات الشريف الرضي، ط ١، ١٣٧٨ هـ - ش، ٢: ١٧٢.

٢. الطبرسي، إعلام الوري، ٢: ٣٢٨.

٣. الصدوق، محمد بن علي، الأمالي، بيروت - لبنان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، ص ٦٦٠.

٤. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، بيروت - لبنان، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤٠٣ هـ، ٤٩: ٥٠.

٥. الصدوق، عيون أخبار الرضا، ١: ٢٥١.

٦. عرفان منش، جليل، جغرافيا تاريخي هجرت امام رضا عليه السلام از مدينه تا مرو (جغرافيا تاريخ هجرة الإمام الرضا من المدينة إلى مرو)، مشهد - إيران، آستان قدس رضوي بنياد پژوهشهاي اسلامي، ١٣٧٤ هـ - ش، ص ١٨.

٧. جعفریان، الحياة الفكرية والسياسية لأئمة الشيعة، ص ٤٢٦.

فحملهم إليه من المدينة، وفيهم الرضا علي بن موسى، فأخذ بهم على طريق البصرة حتى جاءوه بهم، وكان المتولي لإشخاصهم هو المعروف بالجلودي، فقدم بهم على المأمون، فأنزلهم داراً، وأنزل الرضا علي بن موسى داراً، وأكرمهم، وعظّم أمره<sup>١</sup> ويختلف الشيخ المفيد في روايته هذه مع البيهقي في كون رسول المأمون لجلب الإمام هو الجلودي لا الرجاء بن الضحاك، فقد جاء في تاريخ البيهقي أنّ المأمون أمر الرجاء بن الضحاك - وهو من أقارب الفضل بن سهل بجلب الإمام الرضا عليه السلام من المدينة إلى خراسان عن طريق البصرة<sup>٢</sup>، وقد حدد المأمون مسيراً خاصاً لقافلة الإمام خشية من أن يمرّ الإمام على المناطق التي تقطنها الشيعة، ويلتقي بهم فأمر أن لا يأتوا به عن طريق الكوفة، بل عن طريق البصرة وخوزستان وفارس ومنه إلى نيشابور<sup>٣</sup>، فهكذا كانت حركة الإمام استناداً لكتاب أطلس الشيعة: المدينة، نقره، هوسجة، نباح، حفر أبي موسى، البصرة، الأهواز، بهبهان، إصطخر، أبرقوه، ده شير (فراشاه)، يزد، خرائق، رباط بشت بام، نيشابور، قدمكاه، ده سرخ، طوس، سرخس، مرو<sup>٤</sup>، ومن أهم وأوثق ما حدث في هذا الرحلة الطويلة حديث الإمام في مدينة نيشابور المشهور بحديث سلسلة الذهب<sup>٥</sup>.

تولية ولاية عهد المأمون: طلب المأمون العباسي من الإمام الرضا (ع)، أن يكون ولي عهده في الخلافة، فرفض الإمام ذلك، كما تشير جملة من الأخبار والروايات، غير أنّ المأمون التجأ إلى تهديد الإمام الرضا، بالتصريح تارة وبالتلويح أخرى، ممّا دفع بالإمام ولحفظ الدماء، لقبول ولاية العهد بشرط أن لا تكون له أي سلطة تشريعية أو تنفيذية في حكم المأمون من قبيل: التنصيب والعزل<sup>٦</sup>، فقبل المأمون ذلك، لأنّ دوافعه في تولية الإمام ولاية العهد، كانت كالتالي:

- ١ - تهدئة الأوضاع الداخليّة: بعد تسلّم المأمون الخلافة بسنة واحدة أي سنة ١٩٩ هـ اندلعت ثورات واسعة قادها العلويون، حيث خرج أبو السرايا السريّ بن منصور الشيبانيّ بالعراق، ومعه محمد بن إبراهيم بن إسماعيل الحسنيّ، فضرب الدارهم بالكوفة بغير سكّة العباسيين، وسير جيوشه إلى البصرة، ولأجل كل هذا كان الهدف الأوّل من دعوة الإمام الرضا عليه السلام إلى خراسان تحويل ساحة المواجهة العنيفة والملتهبة إلى ساحة مواجهة سياسية هادئة.
- ٢ - إضفاء المشروعيّة على الخلافة العباسيّة: فمبايعة الإمام الرضا للمأمون تعني حصول المأمون على اعتراف من العلويين، على أعلى مستوى، بشرعيّة الخلافة العباسيّة. وقد صرّح هو بذلك بقوله: فأردنا

١. المفيد، الإرشاد، ٢: ٤٥٥.

٢. البيهقي، أحمد بن إسحاق، تاريخ البيهقي، طهران - إيران، علمي وفرهنكي، ١٣٧٨ هـ ش، ٢: ٤٦٥.

٣. المطهري، مرتضى، مجموعة آثار مطهري، قم - إيران، الناشر، صدره، ١٣٨١ هـ ش، ص ١٢٤.

٤. المطهري، مجموعة آثار مطهري، ص ٩٥.

٥. فضل الله، محمد جواد، تحليل حياة الإمام الرضا (فارسي)، مشهد - إيران، آستان قدس رضوي بنياد پژوهشهاي اسلامي، ١٣٧٧ هـ ش، ص ١٣٣.

٦. المفيد، الإرشاد، ص ٤٥٥ - ٤٥٦.

أن نجعله وليّ عهدنا، ليكون دعاؤه لنا، وليعترف بالملك والخلافة لنا؛ لأنّ هذه البيعة تعني بالنسبة إلى المأمون: أنّ الإمام يكون قد أقرّ بأنّ الخلافة ليست له دون غيره، ولا في العلويّين دون غيرهم؛ ولذلك إنّ حصول المأمون على هذا الاعتراف - ومن الإمام خاصّة - يُعتبر أخطر على العلويّين من الأسلوب الذي انتهجه أسلافه من الأمويين والعباسيين ضدّهم، من قتلهم وتشريدهم، وسلب أموالهم. مكانته عند عموم المسلمين: حاز الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام مكانة كبيرة عند الشيعة الإمامية، حيث كان الإمام الثامن من أئمتهم الإثني عشر، وكذلك كانت له مكانة عند من لم يعتقده بإمامته، من أعلام المذاهب الإسلامية الأخرى، وتجلّى ذلك في كلماتهم التي دَوّنها في مصنّفاتهم عنه: قال ابن حجر: كان الرضا من أهل العلم والفضل مع شرف النسب<sup>١</sup>، وقال السمعاتي: والرضا كان من أهل العلم والفضل مع شرف النسب<sup>٢</sup>، وقال الذهبي: كبير الشأن، له علم وبيان، ووقع في النفوس، صيره المأمون وليّ عهده لجلالته<sup>٣</sup>، وقال الواقدي: كان ثقة يفتي بمسجد رسول الله وهو ابن نيف وعشرين سنة<sup>٤</sup>، قال البيهقي: توفّي الإمام الجليل المعظّم سلالة السادة الأكارم أبو الحسن علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أحد الأئمة الأثني عشر، أولى المناقب الذين انتسبت الإمامية إليهم....<sup>٥</sup>، قال ابن حبان<sup>٦</sup>: علي بن موسى الرضا.... من سادات أهل البيت وعقلائهم، وأجلّة الهاشميين ونبلائهم.... وقد زرته مراراً كثيرة وما حلّت بي شدة في وقت مقامي بطوس فزرت علي بن موسى الرضا صلوات الله على جده وعليه ودعوت الله إزالته عني إلا استجيب لي وزالت تلك الشدة، وهذا شيء جريته مراراً فوجدته كذلك، أماتنا الله على محبة المصطفى وأهل بيته صلى الله عليه وعليهم أجمعين.

ظروف شهادته: أجمع علماء ومؤرّخو الشيعة على أنّ الإمام الرضا عليه السلام استشهد بسبب السّم الذي دس له في العنب أو الرمان<sup>٧</sup>، بامرٍ من المأمون العباسي، فقد روى الشيخ المفيد أن عبد الله بن بشير قال: أمرني المأمون أن أطول أظفاري عن العادة، ولا أظهر لأحد ذلك، ففعلت، ثم استدعاني، فأخرج إلي شيئاً شبه التمر الهندي، وقال لي: اعجن هذا بيدك جميعاً، ففعلت، ثم قام، وتركتني، فدخل علي الرضا عليه السلام، فقال له:

<sup>١</sup> ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، تهذيب التهذيب، بيروت - لبنان، دار صادر، د. ت، ٢: ٢٨٥.

<sup>٢</sup> السمعاتي، عبد الكريم بن محمد، الأنساب، تحقيق: عبدالله عمر البارودي، بيروت - لبنان، دار الجنان، ط ١، ١٤: ١ - ١٩٨٨ م، ٣: ٧٤.

<sup>٣</sup> الذهبي، محمد بن أحمد، سير الأعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، د. م، مؤسسة الرسالة، د. ت، ١٣: ١٣١.

<sup>٤</sup> سبط ابن الجوزي، يوسف بن عبد الله، تذكرة الخواص المعروف بتذكرة خواص الأمة في خصائص الأئمة، قم - إيران، منشورات الشريف الرضي، د. ت، ص ٣١٥.

<sup>٥</sup> البيهقي، عبد الله بن اسعد، مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٧ هـ، ٢: ١٠.

<sup>٦</sup> ابن حبان، محمد بن حبان، الثقات، الهند، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد، ١٤٠٢ هـ، ٨: ٤٥٦.

<sup>٧</sup> الصدوق، عيون أخبار الرضا، ٢: ٢٤٠-٢٤٦.

ما خبرك؟ قال: أرجو أن أكون صالحاً. قال له: أنا اليوم بحمد الله أيضاً صالح، فهل جاءك أحد من المترفين في هذا اليوم؟ قال: لا، فغضب المأمون، وصاح على غلمانه، ثم قال: خذ ماء الرمان الساعة، فإنه مما لا يستغنى عنه، ثم دعاني، فقال: اتنا برمان، فأنتبه به، فقال لي أعصره بيدك، ففعلت، وسقاه المأمون الرضا بيده، فكان ذلك سبب وفاته<sup>١</sup>، وقد دفنه المأمون في بيت حميد بن قحطبة الطائي أي البقعة الهارونية الواقع في قرية سناباد<sup>٢</sup> حيث يقع الحرم الرضوي اليوم في إيران في محافظة خراسان الرضوي مشهد المقدسة.

### المبحث الثاني: أدب المناظرات في العصر العباسي (مناظرات الامام الرضا)

لم يكن أدب المناظرة وليد العصر العباسي، بل اتنا نجد مناظرات كبيرة ومهمة حدثت في التاريخ العربي في الفترة التي سبقت ظهور الاسلام في جزيرة العرب، ولعل المناظرات التي كانت بين الشعراء خاصة والتي تعقد في سوق عكاظ وغيره تدل على وجودها النوع من الأدب في وقت مبكر جداً، الا ان ما يميز المناظرات التي عادت لتطفو على سطح الحالة الأدبية في العصر العباسي، بعد طول انحسار في صدر الاسلام والعصر الأموي، اما في صدر الاسلام فقد كان سبب ضمور ادب المناظرة قوة حجة الدين للدرجة التي طغى فيها صوت الشريعة الحقة فأخرس كل صوت، فكان سمة ذلك العصر دون منازع، أما العصر الأموي الي تميز بالاستبداد فلم يعد في وسع المتكلمين ان يجادلوا او يناقشوا السياسة العامة للدولة او عقيدة الأمويين لذلك خبت وانحسرت الاجواء التي يمكن للمناظرات ان تزدهر وتنمو.

أما في العصر العباسي فقد عادت المناظرات الي حالتها الأولى نتيجة ازدهار الحركة العلمية وظهور عدد من المدارس النحوية والكلامية والعقائدية والفقهية، واحتدام الصراع الفكري وانتشار المجالس العلمية والحلقات الأدبية، وانتشار المنهج العقلي والمنطقي بتطور الفكر الفلسفي، عزز ذلك ظهور عدد من المناظرين بمجالات مختلفة وخاصة بمجال الفلسفة والدين، وقد كانت الحواضر العلمية في البصرة والكوفة ومن ثم بغداد من أكثر البقاع احتضاناً لهذا النوع من الأدب السياسي والديني والفكري، وقد ساهم هذا المنهج في ظهور اتجاهات فكرية عديدة، بل لقد سميت مذاهب كلامية وفلسفية بأسماء مناظرين اشتهرت عنهم مقالات خاصة بهم، كالهشامية نسبة الي هشام بن الحكم (ت ١٩٠ هـ)<sup>٣</sup>، وغيره، ومن الطبيعي ان يتم تسخيرها النوع من الأدب في الدعوة الي اتجاه معين، خاصة اذا كان تحت رعاية السلطة.

ومن جملة ملوك العباسيين الذين اتخذوا من المناظرة سبيلاً لاثبات مشروعية استبداد العباسيين بالسلطة، المأمون، الذي كان ميلاً لتقريب العلماء وانشاء المدارس العلمية، فقد شهد عصر المأمون نهضة حضارية كبيرة، فقد كان المأمون محباً للفنون والأدب وكان شاعراً وأديباً، يحب الشعر ويجالس الشعراء ويشجعهم، وكان يعجب بالبلغة والأدب، كما كان لفته نصيب كبير من اهتمامه، وكان يدعو العلماء والأدباء والفقهاء لحضور مجالسه، وقد أدى تشجيعه للشعراء في أيامه إلى إعطاء الشعر دفعة قوية، وكان ذلك مدعاة لزيادة

<sup>١</sup> المقيد، الإرشاد، ٢: ٤٦٤.

<sup>٢</sup> المقيد، الإرشاد، ٢: ٤٦٤.

<sup>٣</sup> الامين، محسن، اعيان الشيعة، تحقيق حسن الامين، دار التعارف، بيروت، ١٩٨٣، ٦: ٢٩.

الاهتمام بالعلوم والفنون والآداب والفلسفة والسعي لرقبها وتقديمها، وانبعثت حركة أدبية وعلمية زاهرة، ونهضة فكرية عظيمة امتدت أصدؤها من بغداد حاضرة العالم الإسلامي ومركز الخلافة العباسية إلى جميع أرجاء المعمورة، فشد العلماء بهذه البحوث صرحًا حضاريًا عظيمًا، وأعطى للعلم دفعة قوية ظلت آثارها واضحة لقرون عديدة.

### مناظرات الامام الرضا عليه السلام

كان قرار المأمون بتولية الامام الرضا عليه السلام وليا لعهدede بمثابة التفاف سياسي على الثورات التي كانت تنادي بعودة الخلافة الى ال البيت عليه السلام، الا انه اصطدم بمعارضة العباسيين لهذا القرار للدرجة التي نكثوا فيها العهد وبايعوا عمه ابراهيم بن المهدي، ومما يبدو انه ندم على هذا القرار الذي اضطره الى تجهيز جيش للقضاء على تمرد اعمامه، ولكنه قبل ذلك كان يعمل على عقد مجموعة من المناظرات العلمية التي حضرها مختلف علماء المذاهب والأديان، ويطلب من الإمام الرضا عليه السلام المناظرات، وهو يريد بذلك التوهين من مكانة الامام الرضا عليه السلام، والتقليل من شأنه، مخافة ان تنجذب اليه الامة بالكلية، وكانت تتمحور هذه المناظرات في غالبيتها حول المسائل العقائدية والفقهية، أدرج منها الشيخ الطبرسي قسماً في كتابه: (الاحتجاج) <sup>١</sup>، ويذهب عموم الشيعة الإمامية إلى أنّ غاية المأمون من عقد المناظرات، هي: إزالة الاعتقاد السائد لدى عامة الأمة حول أئمة أهل البيت عليه السلام من أنّهم ذوو علم لدنيّ، وهذا ما أشار له الشيخ الصدوق في مصنّفه عيون أخبار الرضا عليه السلام، حيث قال: كان المأمون يجلب على الرضا عليه السلام من مُتَكَلِّمي الفرق والأهواء المُضِلَّة كل من سمع به، جُرِّصاً على انقطاع الرضا عليه السلام عن الحجّة مع واحد منهم، وذلك حسداً منه له، ولمنزلة من العلم، فكان لا يُكلم أحداً إلا أقرّ له بالفضل، والتزم الحجّة له عليه <sup>٢</sup>، ولما أدرك المأمون في نهاية المطاف، أنّه لا يوجد نظيراً للإمام الرضا عليه السلام، وأنّ الأمر بدأ ينعكس عليه سلباً، أخذ بالحدّ من هذه المناظرات، وقد أشار إلى ذلك عبد السلام الهروي <sup>٣</sup>، وقد اخترنا مناظرتين وهما من أشهر مناظرات الامام الرضا عليه السلام، احدهما مع رأس الصابئة، والاخرى مع الجائليق (مع أهل الكتاب) ، وهما من أطول المناظرات وأكثرها أهمية:

اولا - مناظرة الإمام الرضا عليه السلام مع الصابئة: هي من المناظرات التي جرت بين الإمام الرضا عليه السلام والصابئة في مجلس المأمون، وفي هذا المناظرة أظهر الإمام عليه السلام حقائق إيمانية توحيدية، وبين الاعتقاد الصحيح في الله تعالى وعلمه بالأشياء وخلقه لها ووحدانيته وكلامه..... قال الشيخ الصدوق: حدثنا أبو محمد جعفر بن علي بن أحمد الفقيه القمي ثم الإيلاقي (رضي الله عنه) ، قال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن علي بن صدقه القمي، قال: حدثنا أبو عمرو محمد بن عمر بن

<sup>١</sup> الطبرسي، الاحتجاج، ٢: ٣٩٦ وما بعدها.

<sup>٢</sup> الصدوق، عيون أخبار الرضا، ١: ١٥٢.

<sup>٣</sup> جعفریان، الحياة الفكرية والسياسية لأئمة الشيعة، ص ٤٤٢ - ٤٤٣



عبد العزيز الأنصاري الكججي، قال: حدثني من سمع الحسن بن محمد النوفلي، ثم الهاشمي يقول: لما قدم علي بن موسى الرضا عليه السلام على المأمون، أمر الفضل بن سهل أن يجمع له أصحاب المقالات.... ليسمع كلامه وكلامهم. فجمعهم الفضل بن سهل، ثم أعلم المأمون باجتماعهم فقال: أدخلهم عليّ. ففعل، فرحب بهم المأمون، ثم قال لهم: إني إنمّا جمعتمكم لخير وأحببت أن تناظروا ابن عمي هذا المدني القادم عليّ فإذا كان بكرة فاغدوا ولا يتخلف منكم أحد فقالوا: السمع والطاعة.... فلما أصبحنا أتى الفضل بن سهل فقال له: جعلت فداك ان ابن عمك ينتظرك، وقد اجتمع القوم، فما رأيك في اتيانه؟ فقال له الرضا عليه السلام: تقدمني فإني صائر إلى ناحيتكم إن شاء الله. فلما دخل على المأمون وإذا المجلس غاصّ بأهله.... فقام المأمون مستقبلاً، فلم يزل مقبلاً عليه يحدثه ساعة.... فقال الرضا عليه السلام: يا قوم إن كان فيكم أحد يخالف الإسلام وأراد أن يسأل فليسأل غير محتشم، فقام إليه عمران الصابي وكان واحداً من المتكلمين فقال: يا عالم الناس، لولا أنك دعوت إلى مسألتك لم أقدم عليك بالمسائل، فلقد دخلت بالكوفة والبصرة والشام والجزيرة، ولقيت المتكلمين، فلم أقع على أحد يثبت لي واحداً ليس غيره قائماً بوحدايته أفتاذن لي أسئلك؟ قال الرضا عليه السلام: إن كان في الجماعة عمران الصابي فأنت هو؟ قال: أنا هو، قال عليه السلام: سل يا عمران وعليك بالنصفة وإباك والخطل والجور، فقال: والله يا سيدي ما أريد إلا أن تثبت لي شيئاً أتعلق به فلا أجوزه، قال عليه السلام: سل عما بدا لك فازدحم الناس وانضم بعضهم إلى بعض.

### نص المناظرة

قال عمران الصابي: أخبرني عن الكائن الأول ومما خلق.

فقال له عليه السلام: سألت فافهم أما الواحد فلم يزل واحداً كائناً لا شيء معه بلا حدود وأعراض ولا يزال كذلك ثم خلق خلقاً مبتدعاً مختلفاً بأعراض وحدود مختلفة لا في شيء أقامه ولا في شيء حده ولا على شيء حذاه ومثله له، فجعل الخلق من بعد ذلك صفوفه وغير صفوه واختلافاً واثلاثاً وألواناً وذوقاً وطعماً، لا لحاجة كانت منه إلى ذلك ولا لفضل منزلة لم يبلغها إلا به، ولا أرى لنفسه فيما خلق زيادة ولا نقصاناً، تعقل هذا يا عمران؟ قال: نعم والله يا سيدي، قال عليه السلام: واعلم يا عمران أنه لو كان خلق ما خلق لحاجه لم يخلق إلا من يستعين به على حاجته وكان ينبغي أن يخلق أضعاف ما خلق؛ لأنّ الأعوان كلما كثروا كان صاحبهم أقوى والحاجة - يا عمران - لا يسعها لأنه كان لم يحدث من الخلق شيئاً إلا حدثت به حاجه أخرى؛ ولذلك أقول: لم يخلق الخلق لحاجه ولكن نقل بالخلق الحوائج بعضهم إلى بعض وفضل بعضهم على بعض بلا حاجه منه إلى فضل ولا نقمه منه على من أذل، فلهذا خلق.

قال عمران: يا سيدي، هل كان الكائن معلوماً في نفسه عند نفسه؟

قال الرضا عليه السلام: إنمّا يكون المعلّم بالشيء لنفي خلافه، وليكون الشيء نفسه بما نفي عنه موجوداً، ولم يكن هناك شيء يُخالفه فتدعوه الحاجة إلى نفي ذلك الشيء عن نفسه بتحديد ما علم منها، أفهمت يا

١. الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا (٥)، بيروت، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م، ٢: ١٣٩، باب

عمران؟ قال: نعم - والله سيدي - فأخبرني بأي شيء علم ما علم أضمير أم بغير ذلك؟ قال الرضا عليه السلام: أرايت إذا علم بضمير هل يجد بدا من أن يجعل لذلك الضمير حدا تنتهي إليه المعرفة؟ قال عمران: لا بد من ذلك، قال الرضا عليه السلام فما ذلك الضمير؟! فانقطع ولم يجز جواباً، قال الرضا عليه السلام: لا بأس إن سألتك عن الضمير نفسه تعرفه بضمير آخر؟ فإن قلت: نعم أفسدت عليك قولك ودعواك يا عمران أليس ينبغي أن تعلم أن الواحد ليس بوصف بضمير وليس يقال له أكثر من فعل وعمل وصنع وليس يتوهم منه مذاهب وتجزيه كمذاهب المخلوقين وتجزيتهم فاعقل ذلك وابن عليه ما علمت صواباً.

قال عمران: يا سيدي، ألا تخبرني حدود خلقه كيف هي؟ وما معانيها؟ وعلى كم نوع يكون؟

قال عليه السلام: قد سألت فاعلم أنّ حدود خلقه على ستة أنواع: ملموس، وموزون، ومنظور إليه، وما لا ذوق له - وهو الروح - ومنها: منظور إليه وليس له وزن ولا لمس ولا حس ولا لون ولا ذوق، والتقدير، والأعراض، والصور، والطول، والعرض، ومنها: العمل، والحركات التي تصنع الأشياء وتعملها وتغيرها من حال إلى حال وتزيدها وتنقصها، فأما الأعمال والحركات فإنها تنطلق؛ لأنه لا وقت لها أكثر من قدر ما يحتاج إليه، فإذا فرغ من الشيء انطلق بالحركة وبقي الأثر، ويجري مجرى الكلام، يذهب ويبقى أثره.

قال عمران: يا سيدي ألا تخبرني عن الخالق إذا كان واحداً لا شيء غيره ولا شيء معه؟ أليس قد تغير بخلقه الخلق؟

قال له الرضا عليه السلام: قديم لم يتغير عز وجل بخلقه الخلق ولكن الخلق يتغير بتغيره، قال عمران: يا سيدي فبأي شيء عرفناه؟ قال: بغيره قال: فأي شيء غيره؟ قال الرضا عليه السلام: مشيئته واسمه وصفته وما أشبه ذلك وكل ذلك محدث مخلوق مدبر، قال عمران: يا سيدي فأي شيء هو؟ قال عليه السلام: هو نور بمعنى أنه هادٍ خلقه من أهل السماء وأهل الأرض وليس لك على أكثر من توحيد إياه، قال عمران: يا سيدي أليس قد كان ساكناً قبل الخلق لا ينطق ثم ينطق؟ قال الرضا عليه السلام: لا يكون السكوت إلا عن نطق قبله والمثل في ذلك أنه لا يقال للسراج: هو ساكت لا ينطق، ولا يقال: إن السراج ليضيء، فيما يريد أن يفعل بنا؛ لأنّ الضوء من السراج ليس بفعل منه، ولا كون، وإنما هو ليس شيء غيره، فلما استضاء لنا قلنا: قد أضاء لنا حتى استضاءنا به، فيهذا تستبصر أمرك، قال عمران: يا سيدي، فإن الذي كان عندي أن الكائن قد تغير في فعله عن حاله بخلقه الخلق، قال الرضا عليه السلام: أحلت - يا عمران - في قولك: إن الكائن يتغير في وجه من الوجوه حتى يصيب الذات منه ما يغيره - يا عمران - هل تجد النار تغيرها تغير نفسها؟ وهل تجد الحرارة تحرق نفسها؟ أو هل رأيت بصيراً قط رأى بصره؟ قال عمران: لم أر هذا إلا أن تخبرني يا سيدي أهو في الخلق؟ أم الخلق فيه؟ قال الرضا عليه السلام: أجل - يا عمران - عن ذلك ليس هو في الخلق ولا الخلق فيه تعالي عن ذلك، وساء علمك، ما تعرفه ولا قوة إلا بالله، أخبرني عن المرأة أنت فيها أم هي فيك؟ فإن كان ليس واحد منكما في صاحبه فبأي شيء استدلت بها على نفسك - يا عمران - قال: بضوء بيني وبينها، قال الرضا عليه السلام: هل ترى من ذلك الضوء في المرأة أكثر مما تراه في عينك؟ قال: نعم، قال الرضا عليه السلام: فأرنا، فلم يجر جواباً، قال عليه السلام: فلا أرى النور إلا وقد ذلك ودل المرأة على أنفسكما من غير أن يكون في واحد منكما، ولهذا أمثال كثيرة غير هذا لا يجد الجاهل فيها مقالاً، ﴿وَلَيْلَةُ الْمَمَلُ الْأَعْلَى﴾ البقرة، / ٢٥٥، ثم التفت إلى المأمون فقال: الصلاة قد حضرت، فقال عمران: يا سيدي، لا تقطع علي مسألتي فقد رق قلبي، قال الرضا عليه السلام: نُصلي ونعود، فنهض عليه السلام ونهض المأمون، فصلى الرضا عليه السلام داخلًا.... فعاد الرضا عليه السلام إلى مجلسه ودعا بعمران، فقال: سل يا عمران.

قال عمران: فكيف لنا بمعرفة ذلك؟

قال الرضا عليه السلام: أما المعرفة فوجه ذلك، وبيانه: إنك: تذكر الحروف إذا لم ترد بها غير نفسها ذكرتها فرداً فقلت: (أ ب ت ث ج ح خ... ) حتى تأتي على آخرها فلم تجد لها معنى غير أنفسها، وإذا ألفتها وجمعت منها أحرفاً وجعلتها اسماً وصفه لمعنى ما طلبت ووجه ما عنيت كانت دليله علي معانيها داعيه إلى الموصوف بها أفهمته؟ قال: نعم. قال الرضا عليه السلام: واعلم أنه لا يكون صفة لغير موصوف ولا اسم لغير معنى ولا حد لغير محدود والصفات والأسماء كلها تدل على الكمال والوجود ولا تدل على الإحاطة كما تدل الحدود التي هي التربيع والتثليث والتسديس لأن الله عز وجل تدرك معرفته بالصفات والأسماء ولا تدرك بالتحديد بالطول والعرض والقلة والكثرة واللون والوزن وما أشبه ذلك: وليس يحل بالله وتقدس شيء من ذلك حتى يعرفه خلقه بمعرفتهم أنفسهم بالضرورة التي ذكرنا ولكن يدل على الله (عز وجل) بصفاته ويدرك بأسمائه ويستدل عليه بخلقه حتى لا يحتاج في ذلك الطالب المرتاد إلى رؤية عين ولا استماع أذن ولا لمس كف ولا إحاطة بقلب ولو كانت صفاته جل ثناؤه لا تدل عليه أسماؤه لا تدعو إليه والمعلمة من الخلق، لا تدركه لمعناه كانت العبادة من الخلق لأسمائه وصفاته دون معناه فلو لا أن ذلك كذلك لكان المعبود الموحد غير الله لأن صفاته وأسمائه غيره، أفهمته؟ قال عمران: نعم يا سيدي، زدني، قال الرضا عليه السلام: إياك وقول الجهال من أهل العمى والضلال الذين يزعمون أن الله (جل وتقدس) موجود في الآخرة للحساب في الثواب والعقاب وليس بموجود في الدنيا للطاعة والرجاء ولو كان في الوجود لله عز وجل نقص واهتضام لم يوجد في الآخرة أبداً ولكن القوم تاهوا وعموا وضُموا عن الحق من حيث لا يعلمون وقوله (عز وجل): ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ الإسراء / ٧٢ يعني أعمى عن الحقائق الموجودة وقد علم ذوا الألباب أن الاستدلال على ما هناك لا يكون إلا بما هيئنا ومن أخذ علم ذلك برأيه وطلب وجوده وإدراكه عن نفسه دون غيرها لم يزد من علم ذلك إلا بعداً لأن الله (عز وجل) جعل علم ذلك خاصة عند قوم يعقلون ويعلمون ويفهمون.

قال عمران: يا سيدي ألا تخبرني عن الإبداع أخلق هو أم غير خلق؟

قال الرضا عليه السلام: بل خلق ساكن لا يدرك بالسكون وإنما صار خلقاً لأنه شيء محدث والله تعالى الذي أحدثه فصار خلقاً له وإنما هو الله عز وجل وخلق له لا ثالث بينهما ولا ثالث غيرهما فما خلق الله عز وجل لم يعد أن يكون خلقه ويكون الخلق ساكناً ومتحركاً ومختلفاً ومؤتلفاً ومعلوماً ومتشابهاً وكل ما وقع عليه حد فهو خلق الله (عز وجل) ، واعلم أن كل ما أوجدتلك الحواس فهو معنى مدرك للحواس وكل حساسه تدل على ما جعل الله عز وجل لها في ادراكها والفهم من القلب بجميع ذلك كله، واعلم أن الواحد الذي هو قائم بغير تقدير ولا تحديد خلق خلقاً مقدرًا بتحديد وتقدير وكان الذي خلق خلقين اثنين التقدير والمقدر وليس في كل واحد منهما لون ولا وزن ولا ذوق فجعل أحدهما يدرك بالآخر وجعلهما مدركين بنفسهما ولم يخلق شيئاً فرداً قائماً بنفسه دون غيره للذي أراد من الدلالة على نفسه وإثبات وجوده فالله (تبارك وتعالى) فرد واحد لا ثاني معه يقيمه ولا يعضده ولا يكنه والخلق يمسك بعضه بعضاً بإذن الله تعالى ومشيئته وإنما اختلف الناس في هذا الباب حتى تاهوا وتحيروا وطلبوا الخلاص من الظلمة بالظلمة في وصفهم الله تعالى بصفة أنفسهم فازدادوا من الحق بعداً ولو وصفوا الله عز وجل بصفاته ووصفوا المخولقين بصفاتهم لقالوا بالفهم واليقين ولما اختلفوا فلما طلبوا من ذلك ما تحيروا فيه ارتكبوا والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

قال عمران: يا سيدي أشهد أنه كما وصفت، ولكن بقيت لي مسألة، قال عليه السلام: سل عمّا أردت، قال: أسألك عن الحكيم في أي شيء هو؟ وهل يحيط به شيء؟ وهل يتحول من شيء إلى شيء؟ أو به حاجة إلى شيء؟ قال الرضا عليه السلام: أخبرك - يا عمران - فاعقل - ما سألت عنه فإنه من أغمض ما يرد على الخلق في مسائلهم وليس يفهم المتفاوت عقله العازب حلمه ولا يعجز عن فهمه أولوا العقل المنصفون، أما أول ذلك فلو كان خلق ما خلق لحاجه منه لجاز لقائل أن يقول: يتحول إلى ما خلق لحاجته إلى ذلك ولكنه لم يخلق شيئاً لحاجة ولم يزل ثابتاً لا في شيء ولا على شيء ان الخلق يمسك بعضه بعضاً ويدخل بعضه في بعض ويخرج منه والله جل وتقدس بقدرته يمسك ذلك كله وليس يدخل في شيء ولا يخرج منه ولا يؤده حفظه ولا يعجز عن إمساكه ولا يعرف أحد من الخلق كيف ذلك؟ إلا الله ومن أطلع عليه من رسله وأهل سرّه والمستحفظين لامره وخزانه القائمين بشريعته وإنما أمره كلمح البصر أو هو أقرب إذا شاء شيئاً فإنما يقول له ﴿كن فيكون﴾ بمشيئته وأرادته وشئ من خلقه أقرب إليه من شئ ولا شئ أبعد منه من شئ أفهمت يا عمران؟ قال: نعم يا سيدي، قد فهمت وأشهد أنّ الله تعالى على ما وصفت ووجدت، وأشهد أنّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عبده المبعوث بالهدى ودين الحق، ثم خرّ ساجداً نحو القبلة وأسلم.

قال الحسن بن محمد النوفلي: فلما نظر المتكلمون إلى كلام عمران الصابي - وكان جدلاً لم يقطعه عن حجته أحد منهم قط - لم يدن من الرضا عليه السلام أحد منهم ولم يسألوه عن شيء، وأمسينا، فنهض المأمون والرضا عليه السلام فدخلوا، وانصرف الناس<sup>١</sup>

ثانياً - مناظرة الإمام الرضا عليه السلام مع الجاثليق ورأس الجالوت: هي إحدى مناظراته عليه السلام المعروفة، حدثت مع الجاثليق النصراني عند المأمون وقد كان من ضمن الحاضرين في مجلس المناظرة النسباص الرومي ورأس الجالوت، وفي هذا المجلس رد الإمام عليه السلام مدعوهم، وقد مقالهم من خلال كتابهم المقدس (الإنجيل) وهذا ما جعل المسيحيين الحاضرين يتعجبون من إمام عليهم السلام عندهم وما في كتبهم، في هذه المناظرة أثبت الإمام عليه السلام نبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من خلال الإنجيل، بل أثبت لهم أنه كتاب محرّف، وأن عيسى بن مريم عليه السلام مبشر مخلوق..... قال الشيخ الصدوق: حدّثنا أبو محمد جعفر بن علي بن أحمد الفقيه القمي ثم الإيلافي، قال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن علي بن صدقه القمي، قال: حدّثنا أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الأنصاري الكجعي، قال: حدّثني من سمع الحسن بن محمد النوفلي ثم الهاشمي يقول: لمّا قدم علي بن موسى الرضا عليه السلام على المأمون، أمر الفضل بن سهل أن يجمع له أصحاب المقالات.... ليسمع كلامه وكلامهم، فجمعهم الفضل بن سهل، ثم أعلم المأمون باجتماعهم فقال: أدخلهم عليّ، ففعل، فرحب بهم المأمون ثم قال لهم: إنّي إنّما جمعتكم لخير وأحببت أن تناظروا ابن عمي هذا المدني القادم عليّ فإذا كان بكرة فاغدوا ولا يتخلف منكم أحد فقالوا: السمع والطاعة.... فلما أصبحنا أتى الفضل بن سهل فقال له: جعلت فداك إن ابن عمك ينتظرك، وقد اجتمع القوم، فما رأيك في إتيانه؟ فقال له الرضا عليه السلام: تقدمني فإنّي

١. الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج، تعليق: السيد محمد باقر الخراسان، النجف الأشرف، مطابع النعمان، ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦ م، ٢: ٢١٤ - ٢١٥.

٢. الصدوق، عيون أخبار الرضا، ٢: ١٣٩، باب ١٢، ح ١.

صائر إلى ناحيتكم إن شاء الله. فلما دخل على المأمون وإذا المجلس غاصُّ بأهله.... فقام المأمون مستقبلاً، فلم يزل مقبلاً عليه يحدثه ساعة.

ثم التفت إلى الجاثليق فقال: يا جاثليق، هذا ابن عمي علي بن موسى بن جعفر وهو من ولد فاطمة بنت نبينا وابن علي بن أبي طالب عليه السلام فأحب أن تكلمه أو تحاجه وتنصفه، فقال الجاثليق: يا أمير المؤمنين كيف أحاج رجلاً يحتج عليّ بكتاب أنا منكره ونبي لا أومن به؟ فقال له الرضا عليه السلام: يا نصراني فإن احتججت عليك بإنجيلك أتقرّ به؟ قال: الجاثليق: وهل أقدر على رفع ما نطق الإنجيل؟! نعم والله أقرّ به على رغم أنفي، فقال له الرضا عليه السلام: سل عما بدا لك، واسمع الجواب.

### نص المناظرة

قال الجاثليق: ما تقول في نبوة عيسى وكتابه هل تنكر منهما شيئاً؟

قال الرضا عليه السلام: أنا مقرّ بنبوة عيسى وكتابه وما بسّر به أمته وأقرت به الحواريون وكافر بنبوة كل عيسى لم يقرّ بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبكتابه ولم يبشّر به أمته، قال الجاثليق: أليس إنمّا نقطع الأحكام بشاهدي عدل؟ قال عليه السلام: بلى، قال الجاثليق: فأقم شاهدين من غير أهل ملتك عليّ بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ممن لا تنكره النصرانية وسلنا مثل ذلك من غير أهل ملتنا، قال الرضا عليه السلام: الآن جئت بالنصفة - يا نصراني - ألا تقبل مني العدل المقدم عند المسيح عيسى بن مريم عليه السلام؟ قال الجاثليق: ومن هذا العدل؟ سمّه لي، قال عليه السلام: ما تقول يوحنا الديلمي؟ قال: يخ بيخ، ذكرت أحبّ الناس إلى المسيح، قال عليه السلام: فأقسمت عليك هل نطق الإنجيل أنّ يوحنا قال: "إنما المسيح أخبرني بدين محمد العربي وبشروني به أنه يكون من بعده فبشرت به الحواريين فآمنوا به" قال الجاثليق: قد ذكر ذلك يوحنا عن المسيح وبشر بنبوة رجل وبأهل بيته ووصيه ولم يلخص مني يكون ذلك؟ ولم تُسمّ لنا القوم فنعرفهم، قال الرضا عليه السلام: فإن جئناك بمن يقرأ الإنجيل فتلا عليك ذكر محمد وأهل بيته وأمته أتؤمن به؟ قال: سديداً، قال الرضا عليه السلام: لنسطاس الرومي: كيف حفظك للسفر الثالث الإنجيل، قال: ما حفظني له، ثم التفت إلى رأس الجالوت فقال: ألسنت تقرأ الإنجيل؟ قال: بلى لعمرى، قال عليه السلام: فخذ على السفر فإن كان فيه ذكر محمد وأهل بيته وأمته فاشهدوا لي، وإن لم يكن فيه ذكره فلا تشهدوا لي. ثم قرأ عليه السلام السفر الثالث حتى بلغ ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقف ثم قال: يا نصراني، إني أسألك بحق المسيح وأمه: أتعلم أنني عالم بالإنجيل؟ قال: نعم. ثم تلا علينا ذكر محمد وأهل بيته وأمته، ثم قال: ما تقول يا نصراني، هذا قول عيسى مريم عليه السلام فإن كذبت بما ينطق به الإنجيل فقد كذبت موسى وعيسى مريم عليه السلام وممتى أنكرت هذا الذكر وجب عليك القتل لأنك تكون قد كفرت بربك ونبيك وبكتابك، قال الجاثليق: لا أنكر ما قد بان لي في الإنجيل إنّي لمقرّ به، قال الرضا عليه السلام فاشهدوا على إقراره، ثم قال عليه السلام: يا جاثليق سل عما بدا لك.

قال الجاثليق: أخبرني عن حوار عيسى بن مريم عليه السلامكم كان عدتهم؟ وعن علماء الإنجيل كم كانوا؟

قال الرضا عليه السلام: على الخبير سقطت أما الحواريون فكانوا اثني عشر رجلاً وكان أعلمهم وأفضلهم الوقت وأما علماء النصارى فكانوا ثلاثة رجال يوحنا الأكبر باج ويوحنا بقرقيسيا ويوحنا الديلمي برجاز وعنده كان ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر أهل بيته وأمته وهو الذي بشر أمة عيسى وبني إسرائيل به، ثم قال له عليه السلام: يا نصراني والله إنا لنؤمن بعيسى الذي آمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وما ننقم على عيساكم شيئاً ضعفه وقله صيامه وصلاته، قال الجاثليق: أفسدت — والله — علمك وضعفت أمرك، وما كنت ظننت إلا أنك أعلم أهل الإسلام، قال الرضا عليه السلام: وكيف ذلك؟ قال الجاثليق: من قولك: إن عيسى كان ضعيفاً قليل الصيام قليل الصلاة. وما أظفر عيسى يوماً قط ولا نام ليل قط وما زال صائم الدهر وقائم الليل، قال الرضا عليه السلام: فلمن كان يصوم ويصلي؟! قال فخرس الجاثليق وانقطع.

قال الرضا عليه السلام: يا نصراني أسئلك عن مسألة، قال: سل فإن كان عندي علمها أجبتك، قال الرضا عليه السلام: ما أنكرت أن عيسى عليه السلام كان يحيى الموتى بإذن الله (عز وجل)؟ قال الجاثليق: أنكرت ذلك من أجل أن من أحى الموتى وأبرء الأكمه والأبرص فهو رب مستحق لأن يعبد، قال الرضا عليه السلام: فإن ليسع قد صنع مثل صنع عيسى عليه السلام: مشى على الماء وأحى الموتى وأبرء الأكمه والأبرص، فلم تتخذ أمته رباً ولم يعبد أحد من دون الله (عز وجل)، ولقد صنع حزقيل النبيع عليه السلام مثل ما صنع عيسى بن مريم فأحيا خمسة وثلاثين ألف رجل من بعد موتهم بستين سنة، ثم التفت إلى رأس الجالوت فقال له: يا رأس الجالوت، أتجد هؤلاء في شباب بني إسرائيل في التوراة اختارهم بخت نصر من سبي بني إسرائيل حين غزا بيت المقدس ثم انصرف بهم إلى بابل فأرسله الله (عز وجل) إليهم فأحياهم. هذا في التوراة لا يدفعه إلا كافر منكم، قال رأس الجالوت: قد سمعنا به وعرفناه، قال: صدقت، ثم قال عليه السلام: يا يهودي خذ على هذا السفر من التوراة فتلا عليه السلام علينا من التوراة آيات فأقبل اليهودي يترجج لقرائته ويتعجب! ثم أقبل على النصراني فقال عليه السلام: يا نصراني هؤلاء كانوا قبل عيسى أم عيسى كان قبلهم؟ قال: بل كانوا قبله، فقال الرضا عليه السلام: لقد اجتمعت قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسألوه: أن يُحیی لهم موتاهم فوجه معهم علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له: "اذهب إلى الجبانة فنادي بأسماء هؤلاء الرهط الذين يسألون عنهم بأعلى صوتك: يا فلان ويا فلان ويا فلان يقول لكم محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "قوموا بإذن الله (عز وجل)"، فقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم، فأقبلت قريش تسألهم عن أمورهم، ثم أخبروهم أن محمداً بُعث نبياً فقالوا: وددنا أنا أدركناه فنؤمن به، ولقد أبرأ الأكمه والأبرص والمجانين وكلمه البهائم والطير والجن والشياطين، ولم تتخذ رباً من دون الله (عز وجل) ولم ننكر لأحد من هؤلاء فضلهم، فمتى اتخذتم عيسى رباً جاز لكم أن تتخذوا اليسع و حزقيل رباً؟! لأنهما قد صنعا مثل ما صنع عيسى بن مريم عليه السلام من إحياء الموتى وغيره، وأن قوماً من بني إسرائيل خرجوا من بلادهم من الطاعون وهم أُلوف حذر الموت، فأماتهم الله في ساعة واحدة، فعمد أهل تلك القرية فحظروا عليهم حظيرة، فلم يزلوا فيها حتى نخرت عظامهم وصاروا رميماً، فمر بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل فتعجب منهم ومن كثرة العظام البالية، فأوحى الله (عز وجل) إليه: "تحب أن أحبيهم لك فتذرهم؟" قال: نعم يا رب، فأوحى الله (عز وجل) إليه: أن نادهم، فقال: أيتها العظام البالية، قومي بإذن الله (عز وجل). فقاموا أحياء أجمعون ينفضون التراب عن رؤوسهم، ثم إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام حين أخذ الطير فقطعهن قطعاً ثم وضع على كل جبل منهن جزءاً ثم ناداهن

فأقبلن سعيًا إليه، ثم موسى بن عمران عليه السلام وأصحابه السبعون الذين اختارهم، صاروا معه إلى الجبل فقالوا له: إنك قد رأيت الله سبحانه: فأرناه كما رأيته، فقال: لهم: إني لم أراه، فقالوا: لن نؤمن حتى نرى الله جهره، فأخذتهم الصاعقة فاحترقوا عن آخرهم، وبقي موسى وحيداً فقال: يا رب، اخترت سبعين رجلاً من بني إسرائيل فنجت بهم وأرجع وحدي! فكيف يصدّقني قومي بما أخبرهم به؟! ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَائِي أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ الأعراف/ ١٥٥؛ فأحياهم الله (عز وجل) من بعد موتهم، وكل شيء ذكرته لك من هذا لا تقدر على دفعه؛ لأنّ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان قد نطقت به، فإن كان كل من أحيى الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص والمجانين يُتخذ رباً من دون الله (عز وجل) فاتخذ هؤلاء كلهم أرباباً ما تقول يا يهودي؟!، فقال الجاثليق: القول قولك، ولا إله إلا الله، ثم التفت إلى رأس الجالوت فقال عليه السلام: يا يهودي، أقبيل عليّ أسألك بالعشر آيات التي أنزلت على موسى بن عمران عليه السلام هل تجد في التوراة مكتوباً بنبا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأمه إذا جاءت الأمة الأخيرة أتباع راكب البعير يسبحون الرب جداً جداً تسبيحاً جديداً في الكنائس الجدد فليفزع بنو إسرائيل إليهم وإلى ملكهم: لتطمئن قلوبهم، فإن بأيديهم سيوفاً ينتقمون بها من الأمم الكافرة في أقطار الأرض. وهكذا هو في التوراة مكتوب؛ قال رأس الجالوت: نعم إننا لنجده كذلك، ثم قال للجاثليق: يا نصراني، كيف علمك بكتاب شعيا عليه السلام؟ قال: أعرفه حرفاً حرفاً، قال لهما: أتعرفان هذا من كلامه: "يا قوم، إنّي رأيت صورة راكب الحمار لابساً جلابيب النور، ورأيت راكب البعير ضوء مثل ضوء القمر" فقالوا: قد قال ذلك شعيا عليه السلام.

قال الرضا عليه السلام: يا نصراني، هل تعرف في الإنجيل قول عيسى (ع) : "إنّي ذاهب إلى ربكم وربّي والبار قليطاً جاء، هو الذي يشهد لي بالحق كما شهدت، وهو الذي يفسر لكم كل شيء، وهو الذي يبداً فضائح الأمم، وهو الذي يكسر عمود الكفر".

فقال الجاثليق: ما ذكرت شيئاً من الإنجيل إلا ونحن مقرّون به، فقال عليه السلام: أتجد هذا الإنجيل ثابتاً يا جاثليق؟ قال: نعم، قال: الرضا عليه السلام: يا جاثليق، ألا تخبرني عن الإنجيل الأول حين افتقدتموه عند من وجدتموه ومن وضع لكم هذا الإنجيل؟ فقال له: ما افتقدنا الإنجيل إلا يوماً واحداً حتى وجدناه غصناً طرباً فأخرجه إلينا يوحنا ومتى فقال له الرضا عليه السلام: ما أقل معرفتك بسنن الإنجيل وعلمائه؟! فإن كان هذا كما تزعم! فلم اختلفتم في الإنجيل وإنما وقع الاختلاف في هذا الإنجيل الذي في أياديكم اليوم فلو كان على العهد الأول لم تختلفوا فيه ولكنني مفيدك علم ذلك اعلم أنه لما افتقد الإنجيل الأول اجتمعت النصارى إلى علمائهم فقالوا لهم: "قتل عيسى بن مريم عليه السلام وافتقدنا الإنجيل وأنتم العلماء فما عندكم؟ فقال لهم الوقا ومر قابوس: إن الإنجيل في صدورنا ونحن نخرجه إليكم سفيراً سفيراً في كل أحد فلا تحزنوا عليه ولا تخلوا الكنائس فإننا سنتلوه عليكم في كل أحد سفيراً سفيراً حتى نجتمع كله، فقعد الوقا ومر قابوس ويوحنا ومتى فوضعوا لكم هذا الإنجيل بعد ما افتقدتم الإنجيل الأول وإنما كان هؤلاء الأربعة تلاميذ تلاميذ الأولين أعلمت ذلك؟ فقال الجاثليق: أما هذا فلم أعلمه وقد علمته الآن وبان لي من فضل علمك بالإنجيل وسمعت أشياء مما علمته، شهد قلبي أنها حق فاستزدت كثيراً من الفهم، فقال له الرضا عليه السلام: فكيف شهادة هؤلاء عندك؟ قال: جائزة هؤلاء علماء الإنجيل وكلما شهدوا به فهو حق، قال الرضا عليه السلام للمؤمن ومن حضره من أهل بيته ومن غيره: اشهدوا عليه، قالوا: قد شهدنا، ثم قال عليه السلام: للجاثليق: بحق الابن وأمه، هل تعلم أن متى قال: "إن المسيح هو ابن داود بن إبراهيم بن إسحاق بن يعقوب (يهودا) بن خضرون"، فقال مر

قابوس في نسبه عيسى مريم (ع): "إنه كلمه الله أحلها في جسد آدمي فصارت إنساناً"، وقال الوقا: إن عيسى بن مريم عليه السلام وأمه كانا إنسانين من لحم ودم فدخل فيها الروح القدس، ثم إنك تقول من شهادة عيسى على نفسه: "حقاً أقول لكم - يا معشر الحواريين - إنه لا يصعد إلى السماء إلا من نزل منها، إلا راكب البعير خاتم الأنبياء فإنه يصعد إلى السماء وينزل"، فما تقول في هذا القول، قال الجاثليق: هذا قول عيسى لا ننكره، قال الرضا عليه السلام: فما تقول في شهادة ألوفا ومرقابوس ومثي على عيسى وما نسبوه إليه؟ قال الجاثليق: كذبوا على عيسى، فقال: الرضا عليه السلام: يا قوم أليس قد زكاهم وشهد أنهم علماء الإنجيل وقولهم حق؟ فقال الجاثليق: يا عالم المسلمين، أحب أن تعفيني من أمر هؤلاء، قال الرضا عليه السلام: فإننا قد فعلنا، سل - يا نصراني - عما بدا لك، قال الجاثليق: ليسألك غيري، فلا - وحق المسيح - ما ظننت أن في علماء المسلمين مثلك<sup>١</sup>.

### المبحث الثالث: المفاهيم الأساسية والتصورات التداولية للحجاج

يرتبط مفهوم الحجاج بالفعل، وهو بحث من أجل ترجيح خيار من خيارات قائمة ممكنة، بهدف وضع فاعلين معينين في مقام خاص إلى القيام بأعمال إزاء الوضع الذي كان قائماً، فالسلوك التواصلية والفعل التواصلية، والسلوك اللغوي والفعل اللغوي والكلامي والأفعال الكلامية مفاهيم متعددة؛ يستخدم من خلالها الفعل والسلوك بشكل لغوي مشترك، عندما تشير إلى عمل إنساني بشكل إجمالي حين ترى المبادرة مع الذي يفعل شيئاً، بينما يفضل استعمال (السلوك) حين يطلب من آخرين أن يفعلوا شيئاً، ولا يمكن أن تستخدم هذه المصطلحات استخداماً مترادفاً في الخطاب العلمي، فللمفاهيم العملية مضامين مفهومية محددة، يرتبط بهذه المصطلحات مفاهيم جوهرية مثل: الحدث، القصد، المغزى، السلوك الإثاري والفعل القسدي.

وتوجد تحدييدات مفهومية متباينة للكفاءة التواصلية خاصة بين المجالين التربوي والتداولي، ولكنها تشترك جميعها في المقصود "وهو قدرة إنسانية بالغة الشمول، تهدف إلى إدراك شركاء اتصال الموقف التواصلية بعوامل مثل المكان والزمان والعلاقات الاجتماعية إلى استخدام وسائل التواصل لتحقيق الأهداف"، ويستخدم الفعل الكلامي غالباً لوصف التواصل بين الناس، وتستعمل في الأفعال المفردة والتواصلية الخاصة والممكنة بين اللغة مثل السؤال والطلب في الغالب مصطلح الأحداث اللغوية أو الأحداث الكلامية وتنطلق تحليلات الفعل الكلامي من فكرة أن شخصاً ما عند الكلام: يعبر لغوياً، أنه يقول شيئاً، أنه موجود في موقف كلام أنه -عادة- يتحدث إلى شخص ما، أنه من خلال هذا الكلام -فعل الكلام- الفعل الكلامي - يتأثر بالموقف التواصلية ويؤثر في شريك الاتصال، وسوف نقوم بتبسيط تلك المفاهيم من خلال بيان الفعل الكلامي لكل من المشاركين والحضور وطبيعة النص وغير ذلك في كلتا المناظرتين :

### مناظرة الامام الرضا عليه السلام مع الصابئة



أولاً - المشاركون والحضور: شارك في هذه المناظرات مجموعة من الفقهاء والمتكلمين والوزراء، وطائفة ممن حضر مجلس المأمون العباسي وهم: الإمام الرضا عليه السلام، المأمون العباسي، الفضل بن سهل، علماء الصابئة (اصحاب المقالات) ، عمران الصابي.

- التقى الجمع بهدف التناظر في قضايا عقدية تتعلق بالخالف الحكيم، وعلمه، ومعاني خلقه، ووحدانيته، وصفته، وقد جرت المناظرة في قصر المأمون العباسي وبمحضره بناء على رغبة من قبله ومن حضر مجلسه ورغبة الإمام الرضا عليه السلام في الحضور.

- سادت المناظرة علاقة غير حيادية، عززتها مواقف شخصية من قبل المأمون وبعض الحاضرين اتجاه الامام الرضا عليه السلام دعمت مجريات التفاعل وعرقلة حيادية المناظرة، وتبلورت على هيئة سلوكيات انفعالية كامتناع القوم عن سؤال الرضا عليه السلام لما قطع حجة عمران الصابي.

- كانت للإمام الرضا عليه السلام منافذ للتواصل الفكري بينه وبعض المتكلمين ممن حضر مجلس المناظرة، في الوقت الذي انعدمت مثل تلك المنافذ بينه وبين البعض الآخر ممن حضر المجلس ذاته.

- شق أسلوب عمران الصابي عن خبرة وتمرس بأساليب الاتصال التناظري.

- انفرد الامام الرضا عليه السلام بتحصيل الحد الأقصى من المزايا فهو صاحب تجارب فكرية وعلمية ذائعة الصيت، ومكانة اجتماعية معلومة بين اهل العلم ورجال الحكم.

٢- اسفرت رواية المناظرة عن حضور جمع عاينوا احداث المناظرة او جزءاً منها (علماء الصابئة والفضل بن سهل).

## ثانياً - النص

- مناظرة في اصول الدين والخالف الحكيم، تمثل حلقة من حلقات حوار الاديان والجدل الفكري الذي كان من سمات تلك المرحلة التاريخية، بات يعتمد الطرح خلالها على الاستدلال والنظر العقلي للنصوص والذي يستند الى مسلمات او مقدمات يقينية، يعتبر النص القرآني والسنة احد مركزاتها الرئيسية، واستتبع هذا المنهج ظهور المد الفلسفي والمنطقي واضحا داخل الحوار بازدياد معدلات دوران مصطلحات فلسفية أُدخلت الى الثقافة الاسلامية نتيجة تزايد معدلات الترجمة من الثقافات الاخرى، فضلا عن ثوابت البناء المنطقي من قبيل تشغيل الاقيسة، في المنظومات الفقهية والعقائدية، واستمر هذا التيار يتصاعد بوتيرة عالية حتى نهاية الفترة التي نحن بصدد بيانها، وكان هذا الاتجاه هو السمة الغالبة في حجج علماء الاديان الاخرى غير الاسلامية في تلك الفترة.

- النمط التناظري استهلك الخطاب بكامله في قائمة مستهدفة من الاشكالات، وغلب على هذا النمط السبيري التقسيمي المقتن، من خلال ايراد النصوص التي تعتبر كأصول للمتناظرين، والبدء باسقاطها واحدا تلو الاخر ليتعين احدها كحجة لاحد طرفي التناظر، والسبر والتقسيم: كلاهما واحد، وهو ايراد أوصاف الأصل، أي المقيس عليه، وإبطال بعضها؛ ليتعين الباقي للعلية .

- جمعت المناظرة بين آليتي التناظر المتصلة والمنفصلة فقد استلزم الحوار في مراحلها التمهيدية أسلوب التلاحق والتتابع مما يتفق وآليات التناظر، اما في معرض النظر في جملة القضايا والاصول، وسرد الشبه والاشكالات، استلزم الامر لجوء كلا طرفي المناظرة ان ياخذ فرصته كاملة في الحديث مما يتوأم والالية المنفصلة.

- سيطر على الطرح الاشكالي موضوع رئيسي هو: الكائن الاول ومما خلق، وعلمه بنفسه، وحدود خلقه، وواحديته، وحقيقتة، وصفته، وطرق معرفته، وغناه عن خلقه، وخلالة أثيرت - بصورة متداخلة - قضايا تمس صلب عقيدة المتناظرين هي :

آ- تناحر الفرق الاسلامية متبينة المذاهب والاعتقادات، فعقيدة الامام الرضا عليه السلام كانت تختلف عن عقيدة المأمون ووزيره.

ب - تفسير القرآن الكريم بما تتحمله الايات وتستوعبه.

ج - منهج المتكلمين في مناقشة الخالق وعلمه وحده.

د - قضية كيف السبيل الى معرفته.

- يعد التداخل في الاجوبة والاستفسارات، وتوليد سؤال في داخل سؤال والتكرار من سمات العرض الغالبة، مما يعكس واقع التناظر واستطردية، فقد اختفى الترتيب المعهود ونشأ بدلا عنه ترصد لنقاط الضعف وتذكير والحاح عليها.

- تم تفعيل النسق الاجرائي المعهود في المناظرات من تقديم يسبق المناظرة يتم من خلاله طرح الافكار التي ستكون موضوع المناظرة، ساعد على ذلك ارادة عمران الصابي في التعلم والاقبال على علم الامام الرضا عليه السلام و النزول عند راي الامام عليه السلام كان له دور في وجود هذا الاتجاه (فقام إليه عمران الصابي وكان واحداً من المتكلمين فقال: يا عالم الناس، لولا أنك دعوت إلى مسألتك لم أقدم عليك بالمسائل، فلقد دخلت بالكوفة والبصرة والشام والجزيرة، ولقيت المتكلمين، فلم أقع على أحد يثبت لي واحداً ليس غيره قائماً بوحدانيته أفتأذن لي أسئلك).

- اما فيما يخص الممارسات الاجتماعية فقد توفرت عليها مفردات المناظرة، نظير امتناع باقي العلماء من سؤال الامام عليه السلام، لما شاهدوا عمران وهو كبيرهم قد خر الى الارض وأسلم، وهذا التصرف يشير الى :  
١ - الخوف من اسلام باقي العلماء فيما لو تصدى واحدا منهم للمناظرة فيقطع الامام عليه السلام كما قطع كبيرهم وتلك فيها من المثالب ما فيها على دين الصابئة بل وجودهم في ساحة الحوار الفكري والنظري .  
٢ - جهل الباقيين من العلماء بما في عقائدهم من الضعف والفتور، فسكنوا مخافة انكشاف زيف عقائدهم ومن م عدول الناس الى الاسلام.

### ثالثا - الراوي والرواية

- شخصية الراوي محددة ومعروفة، ولها تضامن مشهور مع احد اطراف المناظرة وهو (الامام الرضا عليه السلام) فهو يتفق معه عقائديا ويقول بمقالته في الخالق ووحدانيته، الا ان ذلك لم يمنعه من تقديم رواية موضوعية، تترفع عن الاختلاق والتدليس، وقد ظهر تضامنه من خلال:

١ - تقديم الامام الرضا عليه السلام بعناية فائقة، في مقابل التقليل من شأن الصابي.

٢ - اظهار ارتياح الصابي وانبساطه من اجوبة وحجج الامام الرضا عليه السلام، مما مهد لإسلامه فيما بعد.

- البرنامج السردى

آ البناء السردى غير مؤطر وغير متدرج.

ب - الأسلوب السردى مباشر، كما تناوب على الرواية شخصان، الامام الرضا عليه السلام احدهما، وتم الانتقال بينهما بشكل متناوب يقترب من المفاجئ (قال الامام.....قال الصابي) دون ان يسفر ذلك الانتقال تعديل جوهرى في طبيعة الاسلوب، عدا تدخل المأمون لمرة واحدة في السال فيما تناوب الضميرين المتكلم والغائب.

ج - رواية النص سردية، لم تبد خلالها اي تقنية او تشكيل سردى يبرز الحوار بصورة اكثر عمقا. - انجز الراوي مهمته بصورة واضحة محددة، ركز اهتمامه خلالها بكل المعلومات الملقاة في المناظرة، دون وعي يذكر بسمات الخطاب الشفوي من تسجيل للبيانات الصوتية والمظاهر الايقاعية المميزة للارسال المنطقي او رصد للتركيبات الایمانية والتعبيرات الجسدية والانفعالات والمصاحبات الفسيولوجية لها، مما افقد الخطاب روح الممارسة اللفظية بصفة عامة.

## المحور عبر التخصصي

### أولاً - النشاط السلوكي

#### ١ - الدوافع والاسباب

- الامام الرضا عليه السلام: اظهر الحقائق الایمانية بمناقشات ومبارزات، تتخذ من الادلة اليقينية مدخلا لمحااجة فكرية.

- المأمون العباسي والفضل بن سهل: الايقاع بالخصم الفكري والعقائدي (الامام الرضا عليه السلام)، وبيان معتقده الداعي الى امامة غير بني العباس على الامة، والتهوين منه من خلال تشكيكات اتاحتها الفرصة لطرح الاسئلة الموقوفة والممنوعة (لما قدم علي بن موسى الرضا عليه السلام على المأمون، أمر الفضل بن سهل أن يجمع له أصحاب المقالات.... ليسمع كلامه وكلامهم. فجمعهم الفضل بن سهل، ثم أعلم المأمون باجتماعهم فقال: ادخلهم عليّ. ففعل، فرحب بهم المأمون، ثم قال لهم: إني إنّما جمعتكم لخير وأحببت أن تناظروا ابن عمي هذا المدني القادم عليّ فإذا كان بكرة فاغدوا ولا يتخلف منكم أحد فقالوا: السمع والطاعة.... فلما أصبحنا أتى الفضل بن سهل فقال له: جعلت فداك ان ابن عمك ينتظرك، وقد اجتمع القوم، فما رأيك في اتيانه).

- عمران الصابي وياقبة المتكلمين: الايقاع بالامام الرضا عليه السلام، من خلال الاصطدام بجوهر المعتقدات الاسلامية واقتناص الفرص لبث شكوك المذاهب الكلامية الاخرى ضدها، في حوار ظاهره فكري وباطنه سياسي.

- يلاحظ بقاء حالة التحفز ناشطة حتى اشبعت الدوافع (فقال الرضا عليه السلام: يا قوم إن كان فيكم أحد يخالف الإسلام وأراد أن يسأل فليسأل غير محتشم، فقام إليه عمران الصابي وكان واحداً من المتكلمين فقال: يا عالم الناس، لولا أنك دعوت إلى مسألتك لم أقدم عليك بالمسائل، فلقد دخلت بالكوفة والبصرة والشام والجزيرة، ولقيت المتكلمين، فلم أقع على أحد يثبت لي واحداً ليس غيره قائماً بوحدانيته أفتأذن لي أسئلك؟ قال الرضا عليه السلام: إن كان في الجماعة عمران الصابي فأنت هو؟ قال: أنا هو، قال عليه السلام: سل يا عمران وعليك بالنصفة وإياك والخطل والجور، فقال: والله يا سيدي ما أريد إلا أن تثبت لي شيئاً أتعلق به فلا أجوزه،

قال عليه السلام: سل عمًا بدا لك فازدحم الناس وانضم بعضهم إلى بعض) وبسبب ذلك تولدت حالة حفز حقيقية عند المتناظرين من دون النظر إلى أي نتائج قد تكون وخيمة على أي طرف من أطراف المناظرة.

## ٢ - الاتجاهات النفسية

انطوت البنية المعرفية الاعتقادية للمتناظرين على عدد من المبادئ والأصول تحمل صفة اليقين (فقال الرضا عليه السلام يا قوم إن كان فيكم أحد يخالف الإسلام وأراد أن يسأل فليسأل غير محتشم) ويحمل كلا طرفي المناظرة رغبة حقيقية في الدفاع عن جوهر اعتقاده والانتصار له من كل ما يشوبه من عوامل القصور وشبه النقص، وقد استلزم الأمر جهداً من الإمام الرضا عليه السلام حتى يتمكن من تفريغ بنية مخالفه المعرفية (عمران الصابي) وتنكيس جوهر اعتقادهم، وإعادة صياغتها ببنية معرفية جديدة مستقرة ومقبولة عند الطرف الآخر من المناظرة .

## ٣ - الفروق الفردية

- الإمام الرضا عليه السلام: أظهرت جواباته ثقته واعتداده بنفسه على طول خط التناظر مما يمثل حالة متقدمة من حالات الوعي بالذات (قال عليه السلام: سل يا عمران وعليك بالنصفة وإياك والخطل والجور) ولعل اللجوء إلى هذا الاتجاه كان القصد منه ضبط سلوك المتناظرين بعدما استشعر عليه السلام العدائية من قبلهم في إيراد الحجج.

- الفضل بن سهل: أبدى تقلصاً شديداً حول الذات، الأمر الذي ظهر عملياً في تقديره الشخصي لذاته حيث كان مكثفياً بمتابعة المناظرة.

- المأمون العباسي: مارس حالة عدوانية اطلق فيها مشاعره المكبوتة وهو امر مقبول في سياقه التاريخي باعتبار التنافر العقائدي مع العقيدة التي يمثلها الإمام الرضا عليه السلام، حيث اعتقاد (المأمون) بضرورة إنهاء أي مطالبة بالحق المغتصب الذي يدافع عنه الطرف الآخر.

- عمران الصابي: أظهر في البداية قدراً كبيراً من التحدي (فقام إليه عمران الصابي وكان واحداً من المتكلمين فقال: يا عالم الناس، لولا أنك دعوت إلى مسألتك لم أقدم عليك بالمسائل، فلقد دخلت بالكوفة والبصرة والشام والجزيرة، ولقيت المتكلمين، فلم أقع على أحد يثبت لي واحداً ليس غيره قائماً بوحدانيته)، ومما هو جدير بالذكر أن التحدي استجابية لحالة نفسية تنسم بصيغة انفعالية شديدة قد تنطوي على انخفاض في مستوى البصيرة والتفكير وهو امر متوقع داخل الاتصالات التفاعلية المكثفة لاسيما من واقع تلك النظرة السلوكية التي ترى التخاطب بين الأفراد بوصفه متصلًا يتراوح بين السلوك العدواني واللاعنواني.

## ٤ - السلوك الدفاعي

مارس عمران الصابي باعتباره الراغب في اجراء المناظرة والساعي إلى حصولها حالة اسقاط غير واعية. اسقط خلالها الشبه المترسبة في ذاكرته ووجدانه على الأخر خاصة منها تلك الشبهات التي ظلت تراود نظام الحكم وتطاردهم، ثم انه يحاول اضعاف صبغة مثالية على الذات، في بيان الاعتراضات وان الحق محصور فيما يعتقد

لاغير، والاسقاط الية دفاع فحواه تفسير العقل لاعمال الغير بحسب مايجري في نفس الفرد، ويخشى ان يكون الدافع الحقيقي لسلوكه فيلجأ حينئذ الى الصاقيه بالاخرين ووسمهم به، بوصفه دافعا حقيقيا لسلوكهم.

## ٥ - النشاط السلوكي العام

بدا النشاط السلوكي قويا وحادا داخل الخطاب، وذلك لاننا نلاحظ ان المناظرة ومن الاساس كانت لاتنتهي الى اللقاءات الفكرية المفتوحة التي يكون التعويل فيها على المنطق العقلي - وان التزم الامام الرضا عليه السلام بهذا المنهج - غير ان خصومه لم يكن الدافع لهم الا التهوين بعقيدة الطرف الاخر بكافة الاساليب حتى وان لم تكن الطريقة علمية، بينما انتهج الامام الرضا عليه السلام امكانية التوسع في استخدام الادلة الذهنية وتشغيل الاستدلالات داخل النص، وترك امر الانفعالات والوجدانيات للطرف الاخر الذي تعسف في استخدام التحدي لفظا ورمزا.

- سكت عمران الصابي عن الاشكالات التي طرحها الامام الرضا عليه السلام والتي كان ينبغي عليهما محاججته نظرا لحساسيتها عندهم، وعدم الحاح الامام الرضا عليه السلام في تعقب موارد الخلاف بعد سكوت المناظر عن الاجابة، وهو امر مقبول في علم النفس المعرفي في ظل عمل العقل بشكل انتقائي لمحاوِر الخطاب الحجاجي ومفاصله.

## ثانيا - السمات الاجتماعية

### ١ - البناء الاجتماعي

- يمثل الامام الرضا عليه السلام هوية مميزة داخل عصره لما كان يتمتع به من ثقل علمي واجتماعي ونفوذ سياسي، نشأ نتيجة مكانته العلمية وقربته من الرسول  $\text{p}$  وولايته للعهد، الامر الذي اكسبه صيتا ذائعا، ودعمًا اجتماعيا لشخصيته العلمية، مضافا الى سيرته الفكرية وتجربته المعرفية (لما قدم علي بن موسى الرضا عليه السلام على المأمون، أمر الفضل بن سهل أن يجمع له أصحاب المقالات.... ليسمع كلامه وكلامهم. فجمعهم الفضل بن سهل، ثم أعلم المأمون باجتماعهم فقال: أدخلهم عليّ. ففعل، فرحب بهم المأمون، ثم قال لهم: إنني إنما جمعتكم لخير وأحببت أن تناظروا ابن عمي هذا المدني القادم عليّ فإذا كان بكراً فاعدوا ولا يتخلف منكم أحد فقالوا: السمع والطاعة.... فلما أصبحنا أتى الفضل بن سهل فقال له: جعلت فداك ان ابن عمك ينتظرك، وقد اجتمع القوم، فما رأيك في اتيانه؟ فقال له الرضا عليه السلام: تقدمني فإنني صائر إلى ناحيتكم إن شاء الله. فلما دخل على المأمون وإذا المجلس غاصّ بأهله.... فقام المأمون مستقبلاً فلم يزل مقبلاً عليه يحدثه ساعة...) اما مناظريه فيمثلون طائفة من العلماء والمتكلمين والفقهاء ومن خواص السلاطين وجلاسهم.

- شكل الانتماء العقدي فارقا نوعيا واضحا في المناظرة ووصل الى درجة التحدي (فلقد دخلت بالكوفة والبصرة والشام والجزيرة، ولقيت المتكلمين، فلم أقع على أحد يثبت لي واحداً ليس غيره قائماً بوحدايته)، فكلا طرفي المناظرة يرى الاخر ضالاً، الا ان نهاية المناظرة تجلت فيها بوضوح منزلة وامتيازات ومكانة الامام الرضا عليه السلام عند الصابي (قال: نعم يا سيدي، قد همت وأشهد أنّ الله تعالى على ما وصفت ووحّدت، وأشهد أنّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عبده المبعوث بالهدى ودين الحق، ثم خزّ ساجداً نحو القبلة وأسلم).

- قدم الخطاب الحجاجي حزمة من افكار الاقليات الفكرية الحية في العصر العباسي الاول، كما قدم ايضا صورة واضحة للثغرات المقيتة في الفرص والحقوق، ففي الوقت الذي يحضى به عمران الصابي بالمنزلة والمكانة الرفيعة بحيث يكون من جلساء المأمون والفضل بن سهل، في هذا الوقت يتحين المأمون الفرص للايقاع بالامام والتقليل من شأنيته العلمية، والسعي لقتله بين الحين والآخر، وتضييق عليه الفرص المتاحة في ظل نظم صارمة فرضتها الانظمة السياسية الحاكمة والساندة لها.

## ٢ - الممارسة السياسية

شمل سلطان الخليفة العباسي في الفترة التي حصلت فيها المناظرة مناطق شاسعة من المعمورة، الا ان الخليفة - وان كان خالقا للقرار السياسي - يبقى متأثرا بجهات صناعة القرار ولوبيات الضغط الاجتماعية والسياسية والتي تمثلها طائفة الوزراء والعلماء.

كان الاداء السياسي للعباسيين حذرا وقلقلًا نوعا ما اتجاه الاقليات الدينية والسياسية، وهذا القلق انعكس على شكل اضطراب اجتماعي لدى تلك الاقليات انكفئت من جراءه على ذاتها وزهدت في اي مشاركة سياسية في صنع القرار بعدما تكاثفت عوامل القهر داخل اسوار الخلافة، لذا سجلت التقديرات الشعبية اعلى معدلاتها السلبية تجاه النظام العباسي الحاكم.

## ٣ - نمط الاداء الثقافي

- المناظرة برمتها تمثل ممارسة لواقع ثقافي وان كانت ذات بعد سياسي واضح، ولعل لحداثة الواقع السياسي الجديد اثره في مزاولته هذا المنهج (الثقافي - السياسي) وبات من نتائجها تقبل هذا النوع من المناقشات المفتوحة على العقائد والملل، عندما حاول العباسيون في سنوات التأسيس الاولى لدولتهم - التي استمرت زهاء خمسة قرون - استمالة اهل النظر والفكر وان كانوا مخالفين لاجماع علمائهم تحت غطاء حرية التعبير عن الراي هذه السياسة التي سرعان ماتم رفضها والتنكيل بالآخر الثقافي والفكري فضلا عن السياسي في عهد قريب جدا من عهد المأمون.

- ضَمِن النمط الاتصالي للعصر العباسي الاول معيرا اتصاليا فاعلاً من ابرز سماته: دقة توجيه الاسئلة وتحصيل الاجابات الواضحة عنها، كذلك ترتيب الردود وخبرة تغيير نقاط الطرح والانحراف عنها الى غيرها، او المناورة من خلال تضمين الاجابة بسؤال اخر..... (قال عمران: يا سيدي أشهد أنه كما وصفت، ولكن بقيت لي مسألة، قال عليه السلامس عمّا أردت، قال: أسألك عن الحكيم في أي شيء هو؟ وهل يحيط به شيء؟ وهل يتحول من شيء إلى شيء؟ أو به حاجة إلى شيء؟).....الخ.

- بسبب اختلاف المنظومة العقدية لطرفي التناظر في الاطار العام، ظهرت بعض القوالب الثقافية التي تستند الى القدر المشترك من الخبرة والمعرفة العامة بالبنية العقائدية لاطراف التناظر (قال عمران: يا سيدي فبأي شيء عرفناه؟ قال: بغيره قال: فأي شيء غيره؟ قال الرضا عليه السلام: مشيئته واسمه وصفته وما أشبه ذلك وكل ذلك محدث مخلوق مدبر، قال عمران: يا سيدي فأي شيء هو؟ قال عليه السلام: هو نور بمعنى أنه هاد خلقه من أهل السماء وأهل الأرض وليس لك على أكثر من توحيدى إياه.....ثم التفت إلى المأمون فقال: الصلاة قد حضرت، فقال عمران: يا سيدي، لا تقطع علي مسألتى فقد رق قلبي، قال الرضا عليه السلام: نُصلي ونعود) .

- انتهت التجارب المستمرة والخبرات التي اكتسبها اهل النظر والكلام نتيجة تداول المعرفة بعلم الكلام وكثرة مداولته على عمق معرفي لدى المتناظرين بدت مظهره في اطلاقية المفردات المستخدمة وتجاوز المترامك المعرفي الي معارف اخرى وتقديم الأدلة بأسلوب يبرز عمقا عقائديا واضحا (قال عمران الصابي: يا سيدي، ألا تخبرني عن الله هل يوحد بحقيقه أو يوحد بوصف؟

قال الرضا عليه السلامان الله المبدئ، الواحد، الكائن، الأول لم يزل واحدا لا شيء معه، فرداً لا ثاني معه، لا معلوماً ولا مجهولاً ولا، محكماً ولا متشابهاً، ولا مذكوراً ولا منسياً، ولا شيئاً يقع عليه اسم شيء من الأشياء غيره، ولا من وقت كان ولا إلى وقت يكون، ولا بشيء قام ولا إلى شيء يقوم، ولا إلى شيء استند، ولا في شيء استكن، وذلك كله قبل الخلق إذ لا شيء غيره، وما أوقعت عليه من الكل فهي صفات محدثة، وترجمة يفهم بها من فهم، واعلم أنّ الإبداع والمشية والإرادة معناها واحد وأسمائها ثلاثة، وكان أول ابداعه وارادته ومشيته الحروف التي جعلها أصلاً لكل شيء، ودليلاً على كل مُدرك، وفاصلاً لكل مُشكل، وبتلك الحروف تفریق كل شيء من اسم حق وباطل أو فعل أو مفعول أو معنى أو غير معنى، وعليها اجتمعت الأمور كلها، ولم يجعل للحروف في ابداعه لها معنى غير أنفسها تنهاى، ولا وجود لها؛ لأنها مبدعة بالإبداع، والنور في هذا الموضوع أول فعل الله الذي هو ﴿نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ النحل / ٦٠،. والحروف هي المفعول بذلك الفعل، وهي الحروف التي عليها مدار الكلام والعبادات كلها من الله علمها خلقه وهي ثلاثة وثلاثون حرفاً فمنها ثمانية وعشرون حرفاً تدل على لغات العربية ومن الثمانية والعشرين اثنان وعشرون حرفاً تدل على لغات السريانية والعبرانية ومنها خمسة أحرف متحرفة في سائر اللغات. من العجم والأقاليم واللغات كلها وهي خمسة أحرف تحرفت من الثمانية والعشرين حرفاً من اللغات فصارت الحروف ثلاثة وثلاثين حرفاً أما الخمسة المختلفة فيتجحج لا يجوز ذكرها أكثر مما ذكرناه ثم جعل الحروف بعد إحصائها وإحكام عدتها فعلا منه كقولہ (عز وجل): ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ البقرة / ٢١٧. وكن منه صنع وما يكون به المصنوع فالخلق الأول من الله عز وجل الإبداع لا وزن له ولا حركه ولا سمع ولا لون ولا حس والخلق الثاني الحروف لا وزن لها ولا لون وهي مسموعه موصوفه غير منظور إليها والخلق الثالث ما كان من الأنواع كلها محسوسا ملموسا ذا ذوق منظوراً إليه والله تبارك وتعالى سابق للإبداع لأنه ليس قبله (عز وجل) شيء ولا كان معه شيء والإبداع سابق للحروف والحروف لا تدل على غير نفسها، قال المأمون: وكيف لا تدل على غير أنفسها؟ قال الرضا عليه السلام لأن الله (تبارك وتعالى) لا يجمع منها شيئاً لغير معنى أبداً فإذا أُلّف منها أحرفاً أربعة أو خمسة أو ستة أو أكثر من ذلك أو أقل، لم يؤلفها بغير معنى، ولم يكن إلا لمعنى محدث لم يكن قبل ذلك شيء. )

#### ٤ - ادبيات الحوار وقواعد السلوك

- كان الجانب الرسمي واضحا في الاتصال المعرفي مما جعل الخطاب جامدا، الا ان لك لم يمنع بتبادل المشاعر والتعاطف، مع احتفاظه بالمستوى اللغوي المعهود في المناظرات.

- قل معدل النوبات الكلامية بين طرفي التناظر، وغابت المقاطعات، وكانت الانتقالات الموضوعية سريعة بسبب تشعب قضايا الطرح ونقاطه.

- احتفظت المناظرة بمعايير اللياقة الاخلاقية حين تلاشت معدلات الانتقاص والاهانة (قال عمران الصابي: ياسيدي ) في جميع مراحل المناظرة.

٥ - المعايير الاجتماعية وحدود الضبط والجزاءات: حين لجأ المأمون الى التقليل من شأن الامام الرضا عليه السلام، استجاب عليه السلام بأسلوب يبرز الصرامة الجمعية في مواجهة كل مايتعارض مع القوانين القيمية والاخلاقية، واكتفى عليه السلاممخالفتها بالتلويح بشكل من اشكال الجزاء (قال عليه السلام: سل يا عمران وعليك بالنصفة وإياك والخطل والجور) وهو بذلك استند على المعرفة التي يكتنفها.

### ثالثا - الوسائل التواصلية

- التفاعل في المناظرة كان فوري حر، كان فيه عمران الصابي مبتدأ في توجيه الأسئلة، عارضا اولى نقاط الاشكال الذي تم طرحه بصورة مباشرة وواضحة (قال عمران الصابي: أخبرني عن الكائن الأول ومما خلق.) .

- كان الامام الرضا عليه السلام الداعي الى طرح الأسئلة، محتفظا بأسلوب ضبط المناظرة من خلال بيان أحييته في المراجعة والسؤال وان الجواب الواقعي لا يصدر الا منه (فقال الرضا عليه السلاميا قوم إن كان فيكم أحد يخالف الإسلام وأراد أن يسأل فليسأل غير محتشم)

- ظلت الاستجابات في مجملها من كلا طرفي المناظرة واعية ومناسبة، وان بدت من الصابي استجابات مشوشة ومبتورة، وحيانا زائدة مثل موقفه من صفة الخالق تعالى شأنه (قال عمران: يا سيدي الا تخبرني عن الخالق إذا كان واحداً لا شيء غيره ولا شيء معه؟ أليس قد تغير بخلقه الخلق؟)

- ارتبط التكنيك المتصل للمناظرة او بعبارة اوضح الطريقة التي اتبعها المتناظرين ارتبطت او ساهمت في ارتفاع مستوى الانصات وتحقيق اعلى معدلاته خاصة مع اختفاء المقاطعات وتضائل فرص التشويش.

- انخفض معدل التفاعل التبادلي بين المتناظرين بسبب ارتفاع وتيرة التكنيك المتصل للمناظرة. - بقيت الفجوات الاتصالية حاضرة وبشدة لدى اطراف المناظرة لعدم وجود مسلمات مشتركة في اطار موضوع او الاشكال الذي تم طرحه كمادة للتناظر والقاء الخطاب الحجاجي.

- افتقدت المناظرة الى البيانات الصوتية بعامة، كذلك افتقدت سلاسل الایماءات المصاحبة للكلام.

رابعا - استراتيجيات الخطاب: خطاب المناظرة طرح عقائدي يروم اجهاض الاستدلالات التي يوردها الخصم ومن ثم الاسهام بتنكيس وهدم البنية المعرفية، ثم اعادة تدويرها ببنية معرفية جديدة، وذلك من خلال استثمار توجيهات ذهنية والعمل على تفعيل المقاربات الاستدلالية، بقصد تثبيت البنية الجديدة وحمائتها من امكانية ردها من قبل الخصم.

- الامام الرضا عليه السلام: أداء حجاجي إقناعي يهدف الى تحقيق نتائج حاسمة من خلال التفوق المعرفي على الخصم ورد حججه او الاجابة عن اشكالاته داخل مقام الاستدلال بوصفه المنطلق الاساسي للاثبات واحراز صلاحية الفروض وشرعيتها في مناظرة عقلانية لا مكان فيها لمدى مقبولية المناظر او قوة شخصيته او مكانته الاجتماعية او فاعلية سلطته فضلا عن مصداقيته، فاستهدف عليه السلامالحقائق الملموسة والشواهد -دون اي ثوابت او مسلمات -مركزا في الوقت ذاته على دور البرهنة الفكرية والنموذج الاستدلالي وذلك من خلال :

١ - العمل على القياس في دلالات الالفاظ باستخدام الشواهد والقرائن الحالية والمقالية (قال الرضا عليه السلامأخبرك - يا عمران - فاعقل ما سألت عنه فإنه من أغمض ما يرد على الخلق في مسائلهم وليس يفهم المتفاوت عقله العازب حلمه ولا يعجز عن فهمه أولوا العقل المنصفون)



٢ - تنفيذ افتراضات الخصم من خلال تفعيل السير والتقسيم (قال الرضا عليه السلام) أما المعرفة فوجه ذلك، وبيانه: إنك: تذكر الحروف إذا لم ترد بها غير نفسها ذكرتاً فرداً فقلت: (أ ب ت ح خ ... ) حتى تأتي على آخرها فلم تجد لها معنى غير أنفسها، وإذا ألفتها وجمعت منها أحرفاً وجعلتها اسماً وصفه لمعنى ما طلبت ووجه ما عنيت كانت دليلاً علي معانيها داعية إلى الموصوف بها أفهمته؟ قال: نعم).

٣ - الاستدلال بالكلي على الجزئي (قال له الرضا عليه السلام قديم لم يتغير عز وجل - كلي - بخلقه الخلق ولكن الخلق يتغير بتغيره، قال عمران: يا سيدي فبأي شيء عرفناه؟ قال: بغيره - جزئي -)

٤ - تكوين انساق معرفية هدفها التهوين من استدلال الخصم (قال الرضا عليه السلام) ترى من ذلك الضوء في المرأة أكثر مما تراه في عينك؟ قال: نعم، قال الرضا عليه السلام: فأرنا، فلم يحر جواباً)

٥- عقد مقابلات مركبة بين النسق المتين والنسق المضاد (قال عمران: لم أر هذا إلا أن تخبرني يا سيدي أهو في الخلق؟ أم الخلق فيه؟ قال الرضا عليه السلام: أجل - يا عمران - عن ذلك ليس هو في الخلق ولا الخلق فيه تعالى عن ذلك، وساء علمك، ما تعرفه ولا قوة إلا بالله)

٦ - الاعتماد على البديهيات المستقرة وتشغيل فروض العقل الجمعي (قال عليه السلام) سألت فاعلم أن حدود خلقه على ستة أنواع: ملموس، وموزون، ومنظور إليه، وما لا ذوق له - وهو الروح - ومنها: منظور إليه وليس له وزن ولا لمس ولا حس ولا لون ولا ذوق، والتقدير، والأعراض، والصور، والطول، والعرض، ومنها: العمل، والحركات التي تصنع الأشياء وتعملها وتغيرها من حال إلى حال وتزيدها وتنقصها، فأما الأعمال والحركات فإنها تنطلق؛ لأنه لا وقت لها أكثر من قدر ما يحتاج إليه، فإذا فرغ من الشيء انطلق بالحركة وبقي الأثر، ويجري مجرى الكلام، يذهب ويبقى أثره). [استخدم المفهوم المشترك لدى العقلاء في تعداد معنى الخلق وهي حالة إلى فروض العقلاء]

٧ - اتباع استراتيجية الترغيب من خلال وصف الأطوار العقائدي، راصداً مكانته في حياة الجماعة، ومدى ارتباطه بأمور تتعلق بتشغيل الوعي (قال عليه السلام تعقل هذا يا عمران؟ قال: نعم والله يا سيدي، قال عليه السلام) علم يا عمران أنه لو كان خلق ما خلق لحاجه لم يخلق إلا من يستعين به على حاجته ولكان ينبغي أن يخلق أضعاف ما خلق؛ لأن الأعوان كلما كثروا كان صاحبهم أقوى والحاجة - يا عمران - لا يسعها لأنه كان لم يحدث من الخلق شيئاً إلا حدثت به حاجة أخرى) وتكراره لاسم الصابغي في ثنايا الكلام ترغيباً له في قبول الحق وأنه محل قرب وقبول عنده عليه السلام

٨ - العمل على تشغيل القوالب الثقافية الجاهزة التي ارتبطت بتجارب معرفية وإنسانية بوصفها محورا للاستدلال ونقل الخبرة، فكل ذلك ارتبط بالتجربة المعرفية الإنسانية وجعل تلك المعرفة محورا للاستدلال (قال الرضا عليه السلام) إنما يكون المَعْلَمَة بالشيء لنفي خلافه، وليكون الشيء نفسه بما نُفي عنه موجداً، ولم يكن هناك شيء يُخالفه فتدعو الحاجة إلى نفي ذلك الشيء عن نفسه بتحديد ما علم منها، أفهمته يا عمران؟ قال: نعم - والله سيدي -).

انطلق برنامج المأمون المضاد في اتجاهين هدف من خلاله احداث خلل معرفي عند الامام الرضا عليه السلام بهدف سحب اتجاهه بوساطة :

١- نسج مآزق فكرية بغية ايقاع الامام عليه السلام بالخطا او العدول عن راي مشهور له او لمذهبه الكلامي (.... قال لهم: إني إنَّما جمعتمكم لخير وأحببت أن تناظروا ابن عمي هذا المدني القادم عليّ فإذا كان بكرة فاعدوا ولا يتخلف منكم أحد.....).

٢- تشويه اعتقادات الخصم وبث الشكوك فيها والتهوين من حجيتها بغية اخلال المنظومة اليقينية التي ينطلق منها المناظر الاخر في بيان راداته

### مغالطات حجاجية

انحراف الصابي عن الواقع الموضوعي، ولم يتصل حجاجه بشرائط البرهان ومقتضيات الاستدلال، بل صدر عن وعي مغلوط ومعالجة مشوهة حين:

١ - تخظى النسق الايدلوجي المضاد الى باقي الانساق الاخرى، مانحي تعصبهم مساحة علمية مقنعة وواسعة.

٢ - تصدير افكار واشكالات ناتجة من استيعاب غير دقيق لظاهر النصوص، او المسلمات الدينية. - الاستشهاد: لم يرد نص رئيس للاستشهاد بسبب عدم اتحاد طرفي التناظر على منظومة عقديّة واحدة تسمح برصد النصوص وتوجيهها، وان ظل ورود بعض النصوص الدينية من قبيل الاستقصاء او المناقشة او الاستفهام المتضمن عدم اليقين اما بدلالاتها او اسانيدها من غير نية تدعيم راي المناظر الاخر. - مستوى التأثير: اتاح اتساع نطاق ممارسة الانشطة الذهنية الخروج بنتائج منظمة، فقد اتضحت في الخطاب الذي صدر من هشام بن الحكم المقدرّة الاقناعية له، بتسجيل خصومه اقصى درجات الاستسلام والقبول برأي الامام الرضا عليه السلام، وما ذاك الا لقوة حجته ووضوح برهانه.

### الخاتمة

لما كانت الرسالة الإسلامية الغزاة التي أرسل بها خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا الأكرم محمد بن عبدالله خاتمة الرسالات العالمية، بمعنى أن الإقليمية والمحلية قد تضاءلت بهذه الرسالة العالمية الأبدية، مما يستدعي أن تتوفّر على الأطروحة المتكاملة التي تجعل لها قابلية ومقبولية الاستمرار والدوام بغضّ النظر عن الأطر الجغرافية الضيقة، ومن أهم مقومات نجاح هذه الأطروحة الإلهية ودوامها، توفّرها على عناصر القوة الفدّة لقادتها الرّبانيين، ومما لا شكّ إن لأهل البيت دوراً متميّزاً في توعية المسلمين وحفظ يقطعتهم في الحياة العامة للمسلمين، ويتجلّى هذا الدور في موارد كثيرة جدّاً ساهمت في تحقيق المعنى المذكور، وبيانها لا تستوعبه هذه الوريقات نظراً لكون هذه المقالة مختصرة فلذا سأقتصر على بيان ما هو الأهم منها في التأثير والتحقّق:

### المورد الأوّل

الحفاظ على الحجّة البالغة ورعايتها: إن حجّة الله البالغة على الخلق أجمعين، هي كلمات الله تعالى الشريفة التي تلاها الوحي المقدّس على رسول الله ونزلت على صدره الحبيب في مناسبات متعدّدة، فلذا انبرى أمير

المؤمنين عليّ بن أبي طالب بعد استشهاده رسول الله ورحلته عن الدنيا إلى المبادرة في جمع القرآن الكريم ضمن مصحف، لئلا يزداد فيه أو يُنقص منه أو يضع منه شيء، كما جاء في وصية رسول الله لعليّ، حسب ما روي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق: «إن رسول الله قال لعليّ: «يا عليّ القرآن خلف فراشي في المصحف والحريير والقراطيس فخذوه، واجمعوه، ولا تضيّعوه كما ضيّعت اليهود التوراة»، فانطلق عليّ فجمعه في ثوب أصفر<sup>١</sup>، بلحاظ أن العهد النبوي قد انقضى والقرآن منشور على العُشب واللّخاف<sup>٢</sup> والرّقاغ وقطع الأديم وعظام الأكتاف والأضلاع وبعض الحريير والقراطيس وفي صدور الرجال، نعم كانت السور القرآنية مكتملة على عهده مرتبة آياتها وأسماؤها، غير أن جمعها بين دفّتين لم يكن قد حصل بعد، نظراً لترقّب نزول القرآن على عهده، فما دام الوحي، لم ينقطع لم يصحّ تأليف السور مصحفاً إلا بعد الاكتمال وانقطاع الوحي، الأمر الذي لم يكن يتحقّق إلا بانقضاء عهد النبوة واكتمال الوحي<sup>٣</sup>، قال جلال الدين السيوطي: (كان القرآن كتب كلّه في عهد رسول الله لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتّب السور)<sup>٤</sup>.

### المورد الثاني

حفظ الشريعة الإسلامية من التحريف والضياع: لقد كان لأئمة أهل البيت الدور البارز والأساس في حفظ التراث الفكري والحديثي للنبيّ الأكرم الذي يمثّل روح الشريعة الإسلامية ولتّها وجوهرها. إذ أن مكانة السّنة الشريفة في التشريع الإسلامي تمثّل ذروة الصدارة، وأنها بعد القرآن الكريم تشريعاً، ونهجاً، وثقافة، فهي تمثّل المنهج المكمل للكتاب العزيز، بل في حقيقتها نابعة عن الوحي المقدّس، فسنة النبيّ تمثّل جانباً آخر من جوانب الوحي، أراد الله تعالى أن يجريه على لسان النبيّ لحكمة ومصالحه هو أدرى بها، وإثبات هذا لا يحتاج إلى مزيد بيان، فلذا ندب الشرع المقدّس إلى أتباع أوامر النبيّ وعدم جواز التخلف عنها، بل وعدم التقدم عليه، بل يجب التزام طاعته وأوامره واجتناب نواهيه، لأنّها على حدّ طاعة الله تعالى.

### المورد الثالث

رعاية الكيان السياسي للأمة الإسلامية: إن التجربة الإسلامية التي وضع لبناتها الأولى رسول الله، وراعها بنفسه، وسهر على إنجاحها، وتفاني من أجلها، آزره في ذلك أهل بيته الأطهار، وأصحابه الميامين. هذه التجربة تربيّت بها الأعداء من المشركين، واليهود، والمنافقين، فلذلك كانوا ينتظرون موت النبيّ لإجهاض هذه الرسالة، هذه الرسالة التي قد أبهرت الجميع بحضارتها الإنسانية الرائعة، وبأساليب والممارسات الأخلاقية الفريدة التي تجلّت في سلوك خاتم الأنبياء والمرسلين، فلا يمكن لها أن تتلاشى بمجرد ارتحال رسول الله عن الدنيا، فبعد

١. ابن شهر آشوب، المناقب، النجف الاشرف، المطبعة الحيدرية، ١٩٥٦ م، ٥١: ٥٢.

٢. العُشب: جمع عسب، جريدة النخل العريض إذا كسّط خوصها. واللّخف: حجارة بيض رفاق، أو صفائح الحجارة. والأديم: الجلد المدبوغ.

٣. محمد هادي معرفة، التمهيد، بيروت، دار احياء التراث العربي، ط٣، ١: ٢٨٠ - ٢٨١.

٤. السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١: ١٨١.

كلّ الجهود المضنية، والتضحيات الجسام، لا يبدّ لها من الدوام والاستمرار، فبما ترى من الذي رعى هذه التجربة؟ ومن الذي ساهم في حفظ كيانها السياسي؟.

### المورد الرابع

مسؤوليتهم الرسالية في بناء الأجيال الواعية: لقد تحمّل أهل البيت هذه المسؤولية بجدارة فائقة، وحسدوا مفرداتها بحذافيرها، غير عابئين إلى ضغط الطواغيت، وتصاعد رهج الاستبداد هنا وهناك، لأن ما يمههم هو بناء الأمة الصالحة التي تتحلّى بالوعي الرسالي، وتتحمّل مسؤولية الدعوة إلى الله تعالى عندئذٍ، وتأخذ على عاتقها نشر العلوم المعرفية للرسالة الإسلامية، فهم الذين قد زُفوا العلم زقاً لا يضاھيهم فيه أحد، وثبتت لهم الوسادة في تبوّء القمم العلمية السامية، فأضحت مرجعيتهم العلمية أبين من الشمس في رابعة النهار ومن هنا كان لها مدلولها العلمي الحيّ في كلّ وقت، فمادام المسلمون بحاجة إلى فهمٍ مُحدّد للإسلام، وتعرّف على أحكامه وحلاله وحرامه ومفاهيمه وقيمه، فهُم بحاجة إلى المرجعية الفكرية المحدّدة ربّانياً المتمثلة أولاً: في كتاب الله تعالى، وثانياً: في سنة رسول الله (ص) والعترة المعصومة من أهل البيت (ع) التي لا تفترق ولن تفترق عن الكتاب كما نصّ الرسول الأعظم (ص) <sup>١</sup>

ولو اطلعنا على أخبار الأئمة ومناظراتهم العلمية لعلمنا حقائق ووقائع تلك العصور في جوانبها الدينية والحياتية والفكرية، فقد تنوّعت الأفكار والمشارب العلمية وحصل الاختلاط الكبير مع باقي شعوب الأرض وانضمام طوائف من الديانات السابقة، وشعوب من حضارات أخرى إلى صفوف المسلمين فقد استهوت مناهج هؤلاء وطرقهم عقول بعض المسلمين فتوغّلوا في تقليدهم وتوسّعوا في مجاراتهم، فكان أن اختل ثبات الرأي وضوابطه المعروفة، وأفحموا أنفسهم في مبهمات عقدية ووجودية، ربّما كان وراء بعضها الحكام من أجل أن ينشغل الناس بها وينقسم المجتمع من حولها ويلهو الناس بها فيصفو لهم سلطانهم، فلذا برز الأئمة في خصم هذا المعترك الفكري والديني والفلسفي وأفحموا الخصوم، فكانوا الرّواد الأوائل في ميدانه، من دون منازع، لذا فزع الناس إليهم وحضروا مناظراتهم العلمية تلك ليتعلّموا ويتنهّلوا المعارف. فناظروا الملحدين والمشكّكين، والدهريين، والوجوديين، والمخالفين، والخوارج، والمنافقين، والمشرّكين وغيرهم ببيانات باهرة، مستندين في ذلك إلى كتاب الله العزيز، والسنة الشريفة، وبأدلة علمية رصينة، لا يمكن لمن يطلع على فحواها إلا ويقتنع بأجوبتها واستدلالاتها فأضحت مادة علمية فاخرة، تدعو الأجيال إلى الوعي والمعرفة، ليكونوا على معرفة تامة بأمور دينهم وعقائدهم <sup>٢</sup>، وهكذا أضحى أئمة الهدى معياراً واضحاً في توعية المسلمين ويقظتهم، وينبذهم للسبب الفكري والاستسلام للتخلف.

١. محمد باقر الصدر، نشأة التشيع والشيعية، تحقيق عبد الجبار شرارة، قم، مركز الغدير، ط٥، ١٩٩٧ م، ٨٥ - ٨٦.

٢. الطبرسي، كتاب الاحتجاج، ٢: ٨٥.

والحمد لله رب العالمين.

- ابن الجوزي، يوسف بن عبد الله، تذكرة الخواص المعروف بتذكرة خواص الأمة في خصائص الأئمة، قم - إيران، منشورات الشريف الرضي، د. ت
- ابن حبان، محمد بن حبان، الثقات، الهند، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد، ١٤٠٢ هـ.
- ابن شهر آشوب، المناقب، النجف الاشرف، المطبعة الحيدرية، ١٩٥٦ م.
- الامين، محسن، اعيان الشيعة، تحقيق حسن الامين، دار التعارف، بيروت، ١٩٨٣، ٦: ٢٩.
- جعفریان، رسول، الحياة الفكرية والسياسية لأئمة الشيعة (فارسي)، قم - إيران، انصاريان، ١٣٨١ هـ ش.
- الذهبي، محمد بن أحمد، سير الأعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، د. م، مؤسسة الرسالة، د. ت.
- السمعاني، عبد الكريم بن محمد، الأنساب، تحقيق: عبدالله عمر البارودي، بيروت - لبنان، دار الجنان، ط ١، ١٤٠١ هـ - ١٩٨٨ م.
- السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٢.
- الصدر محمد باقر، نشأة التشيخ والشيعة، تحقيق عبد الجبار شرارة، قم، مركز الغدير، ط ٢، ١٩٩٧ م.
- الصدوق، محمد بن علي، الأمالي، بيروت - لبنان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا □، بيروت، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.
- الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج، تعليق: السيد محمد باقر الخرسان، النجف الأشرف، مطابع النعمان، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م.
- الطبرسي، الفضل بن الحسن، إعلام الوري بأعلام الهدى، قم - إيران، مؤسسة آل البيت □ لإحياء التراث، ط ١، ١٤١٧ هـ.
- عرفان منش، جليل، جغرافياى تاريخى هجرت امام رضا عليه السلام از مدينه تا مرو (جغرافيا تاريخ هجرة الإمام الرضا □ من المدينة إلى مرو)، مشهد - إيران، آستان قدس رضوي بنياد پژوهشهاي اسلامي، ١٣٧٤ هـ.
- العسقلاني ابن حجر، أحمد بن علي، تهذيب التهذيب، بيروت - لبنان، دار صادر، د. ت.
- فضل الله، محمد جواد، تحليل حياة الإمام الرضا (فارسي)، مشهد - إيران، آستان قدس رضوي بنياد پژوهشهاي اسلامي، ١٣٧٧ هـ ش.
- القرشي، باقر شريف، حياة الامام علي بن موسي الرضا □، د. م، الناشر: مهر دلدار، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- القرشي، باقر شريف، موسوعة سيرة أهل البيت، تحقيق: مهدي باقر القرشي، النجف الأشرف - العراق، الناشر: دار المعروف - مؤسسة الإمام الحسن □، ط ٢، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م...
- الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي، طهران - إيران، دار الكتب الإسلامية، ط ٣، ١٣٨٨ هـ.
- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، بيروت - لبنان، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٤٠٣ هـ.
- المطهري، مرتضى، مجموعة آثار مطهري، قم - إيران، الناشر: صدرا، ١٣٨١ هـ.
- معرفة محمد هادي، التمهيد، بيروت، دار احياء التراث العربي، ط ٣.
- المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، بيروت - لبنان، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط ١، ١٤١٦ هـ.
- اليافعي، عبد الله بن اسعد، مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧ هـ...
- اليقوي، أحمد بن إسحاق، تاريخ البيهقي، طهران - إيران، علمي وفرهنگي، ١٣٧٨ هـ ش.

## الكلم الفصل والحكم العدل عند الإمام عليّ بن موسى الرضا(عليه السلام): حياة النفوس في كلام غريب طوس

وفاء محمد عيسى<sup>1</sup>

### الملخص

الإمامة عند الشيعة عبارة عن الرئاسة العامة في أمور الدين والدنيا نيابة عن النبي الأعظم(ص)، وهي من أصول الدين عندهم. أما أصول الدين الأخرى، كالتوحيد والمعاد والنبوة، فقد اتفق عليها المسلمون بكافة طوائفهم ونحلهم.

أما أصل الإمامة فقد كانت مثاراً للجدل والنقاش من قبل الفرق الإسلامية، ويعتبرها الشيعة الاثني عشرية منصباً إلهياً وظيفتها استمرار وظائف النبوة. كما اختلف المسلمون في أن العدل من أصول الدين من حيث مفهومه وحقيقته رغم اتفاقهم على وصفه سبحانه به.

ونستعرض فيما يلي الوظائف العامة للإمام بصورة عامة:

بيان الأحكام الإسلامية من كليات وجزئيات.

تفسير الكتاب العزيز وشرح مقاصده، وبيان أهدافه، وكشف رموزه وأسراره.

تربية المسلمين وتهذيبهم وتزكيّتهم وتخليص نفوسهم من شوائب الشرك والكفر والجاهلية.

الرد على الشبهات والتشكيكات التي كان يلقيها أعداء الإسلام ويوجهونها ضد الدعوة الإسلامية.

الحفاظ على الرسالة الإلهية من أي تحريف أو دس في التعاليم المقدسة.

ومن سمات الإمام عليه السلام: العصمة، المحبة في قلوب المؤمنين، استجابة الدعاء، ابتغاء مرضاة الله، الإيثار، خير البرية، وارث الكتاب، حرمة الصدقة عليه. له الولاية على المؤمنين ومفترض الطاعة ووجوب مودته ومحبته.

ونحن سوف نتناول في بحثنا هنا مسألة العدل في الخطاب التوحيدى للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام وعلاقته بالحياة اليومية للمسلمين، والتي تساعد على تحقيق وظيفة سامية علياً للأئمة عليهم السلام بشكل عام ولالإمام الرضا عليه السلام بشكل خاص، ألا وهي تربية المسلمين وتهذيبهم على أسس ومفاهيم وأسس تربوية إلهية تلامس قضايا الحياة الأساسية للناس وقابلة للتنفيذ في شتى المراحل والمستويات الدينية والنفسية والعقلية والمعيشية.

وقد كان للإمام الرضا(ع) مصنفات ورسائل جمعها العلماء الأفاضل احتوت على الكثير من النصائح والإرشادات والحكم في الطب والأغذية والفصول والأمزجة وغيرها من عناوين عقائدية وفقهية. وروي عن محمد

1 نائب رئيسة جمعية السيدة زينب الخيرية، كاتبة وباحثة في الإدارة الالكترونية والتنمية المستدامة، لبنان، saydazeinab@yahoo.com

بن عيسى البيهقي: أنه جمع من مسائله عليه السلام مما سئل عنه وأجاب عنه خمسة عشر ألف مسألة أو ثمانية عشر ألف مسألة. وقد أمر المأمون أن تُكتب رسالة الإمام الرضا في الطب بماء الذهب وسميت الرسالة الذهبية وهي أول رسالة في الطب يكتبها عربي مسلم في التاريخ الإسلامي، موضوعها واحد محدد هو حفظ الصحة.

**الكلمات المفتاحية:** العدل، التوحيد، الإمامة، الحياة اليومية، التواصل الرقمي.

### تمهيد

ورد في أجوبة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام للمأمون عندما سأله عن جوامع الشريعة، بإسناده عن الفضل بن شاذان قال: سأل المأمون علي بن موسى الرضا عليه السلام أن يكتب له محض الاسلام على سبيل الايجاز والاختصار. فكتب عليه السلام له:

إن محض الاسلام شهادة أن لا إله إلا الله، أحداً صمداً، لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، قيوماً سميعاً بصيراً، قوياً، قائماً، باقياً نوراً، عالماً لا يجهل، قادراً لا يعجز، غنياً لا يحتاج، عدلاً لا يجور، خلق كل شيء، ليس كمثله شيء، لا شبه له ولا ضد ولا ند ولا كفو، وأن محمداً عبده ورسوله وأمينه وشفوته من خلقه، سيد المرسلين وخاتم النبيين وأفضل العالمين، لا نبي بعده ولا تبديل لملكته ولا تغيير، وأن جميع ما جاء به محمد (ص) أنه هو الحق المبين، نصدق به وبجميع من مضى قبله من رسل الله وأنبيائه وحججه. ونصدق بكتابه الصادق الذي "لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد"، وأنه الكتاب المهيم على الكتب كلها، وأنه حق من فاتحته إلى خاتمته، نؤمن بمحكمه ومتشابهه، وخاصه وعامه، ووعده ووعيدته، وناسخه ومنسوخه وأخباره، لا يقدر واحد من المخلوقين أن يأتي بمثله، وإنَّ الدليل والحجة من بعده علي بن أبي طالب أمير المؤمنين والقائم بأمر المسلمين والناطق عن القرآن والعالم بأحكامه، أخوه وخليفته ووصيه والذي كان منه بمنزلة هارون من موسى، وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين، يعسوب المؤمنين وأفضل الوصيين بعد النبيين. وبعده الحسن والحسين عليهما السلام، واحداً بعد واحد إلى يومنا هذا، عترة الرسول وأعلمهم بالكتاب والسنة وأعدلهم بالقضية وأولاهم بالإمامة في كل عصر وزمان، وأنهم العروة الوثقى وأئمة الهدى والحجة على أهل الدنيا حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين. وأن كل من خالفهم ضال مضل، تارك للحق والهدى، وأنهم المعبرون عن القرآن، الناطقون عن الرسول بالبيان، من مات لا يعرفهم ولا يتولاهم بأسمائهم وأسماء آبائهم مات ميتة جاهلية، وأن من دينهم الورع والعفة والصدق والصلاح والاجتهاد وأداء الأمانة إلى البر والفاجر وطول السجود والقيام بالليل واجتناب المحارم وانتظار الفرج بالصبر وحسن الصحبة وحسن الجوار وبذل المعروف وكف الأذى وبسط الوجه والنصيحة والرحمة للمؤمنين<sup>(١)</sup>.

.... وأن أفعال العباد مخلوقة خلق تقدير، لا خلق تكوين، ولا تقل بالجبر ولا بالتفويض: ولا يأخذ الله عز وجل البريء بجرم السقيم، ولا يعدب الله الأبناء والأطفال بذنوب الآباء وإنه قال: {ولا تزر وازرة

(١) ابن شعبة الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين، تحف العقول عن آل الرسول، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ٥، ١٩٦٦، ص ٣٦/ الصدوق، أبو جعفر، عيون أخبار الرضا، انتشارات المكتبة الحيدرية، قم، ١٤٢٥هـ، ط ١، ص ١٢٩.

وزر أخرى} (الأنعام: ١٦٤) . {وأن ليس للإنسان إلا ما سعى} (النجم: ٣٩) . والله يغفر ولا يظلم. ولا يفرض الله على العباد طاعة من يعلم أنه يظلمهم ويغويهم. ولا يختار لرسالته ويصطفى من عباده من يعلم أنه يكفر ويعبد الشيطان من دونه. وإنَّ الاسلام غير الايمان، وكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باللسان واجب. والإيمان أداء الفرائض واجتناب المحارم. والإيمان هو معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان.

## المبحث الأول: سيرة الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام

### ولادة الإمام الرضا (ع)

هو الأمام الثامن من أئمة أهل البيت عليهم السلام. ولد الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في ١١ من ذي القعدة عام ١٤٨ هـ أو ١٥٣ هـ في المدينة، وأمه تكتم ولقبها الطاهرة وأبوه الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام. وكان أبوه يرشد أصحابه إلى إمامته عليه السلام. عاش الإمام الرضا عليه السلام بعد شهادة ابيه الكاظم عليه السلام حوالي عشرين عاماً في عهد هارون الرشيد وابنائيه الأمين والمأمون. والرضا اسم اختاره الله تعالى لأنه رضي به المخالفون من أعدائه كما رضي به الموافقون من أوليائه كما جاء عن الامام محمد بن علي الجواد عليه السلام.

استشهد الإمام الرضا في طوس بسم دسه له المأمون في العنب والرمان عام ٢٠٣ هـ وله مقام فيها تشد إليه الرحال من كل حذب وصوب وقد ورد عن رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله أنه قال: "ستدفن بضعة مني بأرض خراسان لا يزورها مؤمن إلا أوجب الله له الجنة وحرم جسده على النار".

### والدته تكتم الطاهرة

في الدرّ النظيم قال أبو الحسن موسى عليه السلام لما ابتاع هذه الجارية - لجماعة من أصحابه: والله ما اشتريت هذه الجارية إلا بأمر الله ووحيه، فسئل عن ذلك، فقال: بينا أنا نائم إذ أتاني جدي وأبي ومعهما شقة حرير فنشرها فإذا قميص وفيه صورة هذه الجارية، فقالا: يا موسى ليكونن لك من هذه الجارية خير أهل الأرض بعدك، ثم أمراني إذا ولدته أن اسميه علياً وقالوا: إن الله عزَّ وجلَّ سيظهر به العدل والرفقة والرحمة، طوبى لمن صدقه وويل لمن عاداه وجحده<sup>(١)</sup>.

### والده الإمام الكاظم عليه السلام

في صلاة وسجود الإمام الكاظم (ع) تعبير عن متانة الصلة بالله تعالى، ولعقيدة التوحيد والإخلاص في العبودية لله وحده التي تفترض هيمنة التوجه الربّاني، المتعالي على عالم الدنيا والمتعلق بالكمال المطلق الذي هو من أبرز صفات العارف الموحد. إنَّ السّر الكامن وراء عظمة الإمام الكاظم (ع) هو هذه المعرفة الربّانية، وانعكاس هذه المعرفة الربّانية سلوكاً ومواقف وعملاً إنسانياً خلال تجربته الوجودية المعاشة. قال خاتم الأنبياء عند ذكر اسم عليّ الرضا(ع): "قُلْ صلى الله عليه، قُلْ صلى الله عليه، قُلْ صلى الله عليه"<sup>(٢)</sup>.

(١) سيف بن حاتم الشامسي، جمال الدين، الدرّ النظيم في مناقب الائمة اللهاميم، ط ١، قم، ١٤٢٠هـ، ص ٦٧٧.

(٢) الخراساني، الوحيد، مقتطفات ولأئمة، ترجمة عباس بن نخعي، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢، ص ٨١.



## مناقب وفضائل الإمام الرضا عليه السلام: عين إحصائه

عن الزرندي الحنفي (٧٥٧هـ): "الإمام الثامن نور الهدى، ومعدن التقى، الفاضل الوفي، والكمال الصفي، ذو العلم المكتوم، الغريب المظلوم، الشهيد المسموم، القاتل المرحوم، عين المؤمنين، وعمدة المؤمنين، شمس الشموس، وأنيس النفوس، المدفون بأرض طوس، المجتبي، المرتضى، أبو الحسن علي بن موسى الرضا. كان (رضي الله عنه) من العلماء الزهاد، الأبرار الأولياء، الحكماء الأخيار".

عن ابن الصباغ المالكي (٨٥٥هـ) "مناقب علي بن موسى الرضا (عليه السلام) من أجل المناقب، وامداد فضائله، وفواضله متوالية كتوالي الكتاب، ومواليته محمودة البوادر والعواقب، وعجائب أوصافه من غرائب العجائب وسؤده ونبله قد حلّ من الشرف في الذروة والمغارب، فلمواليه السعد الطالع ولمناويه النحس الغارب. أما شرف آبائه فأشهر من المصباح المنير، وأضوأ من عارض الشمس المستدير وأما أخلاقه وسماته وصفاته، ودلائله وعلاماته فناهيك من فخر وحسبك من علو مقدار، جاز على طريقة ورثها عن الآباء، وورثها عنه البنون فهم جميعا في كرم الأرومة، وطيب الجرثومة، كأسنان المشط متعادلون، فشرقا لهذا البيت، العالي الرتبة، السامي المحلة، لقد طال السماء علاءً ونبلاً، وسما على الفراقد منزلة ومحلاً، واستوفى صفات الكمال فما يستثنى في شيء منه لغير، وإلا انتظم هؤلاء الأئمة انتظام الآتي، وتناسبوا في الشرف فاستوى المقدم والتالي، ونالوا رتبة مجد يحبط عنها المقصر والعالي. اجتهد عداتهم في خفض منازلهم والله يرفعه، وركبوا الصعب والذلّ في تشتيت شملهم والله يجمعهم، وكم ضيّعوا من حقوقهم ما لا يهمل الله ولا يضيعه".

وقال كمال الدين بن طلحة: "ومن أجمع نظره وفكره وجده في الحقيقة وارثهما (أمير المؤمنين عليّ وزين العابدين عليّ) فيحكم أنه ثالث العليين فمن إيمانه، وعلا شأنه، وارتفع مكانه، واتسع مكانه، وكثر اعوانه، وظهر برهانه، حتى أحله الخليفة المأمون محل مهجته، وشركه في مملكته، وفوض إليه أمر خلافته، وعقد له على رؤوس الأشهاد عقد نكاح ابنته، وكانت مناقبه عليّه، وصفاته الشريفة سنيّة، ومكارمه حاتميّة، وشنشته أزميّة، وأخلاقه عربيّة، ونفسه الشريفة هاشميّة، وأرومته الكريمة نبويّة، فمهما عدّ من مزايه كان عليه السلام أعظم منه، ومهما فصل من مناقبه كان أعلى رتبة عنه"<sup>(١)</sup>.

وذكر محمد بن جرير الطبري في تاريخه: "أن عيسى بن محمد بن أبي خالد بينما هو فيه من عرض أصحابه منصرفه من معسكره إلى بغداد ورد عليه كتاب من الحسن بن عليّ سهل يعلمه فيه: أن أمير المؤمنين المأمون قد جعل عليّ بن موسى بن جعفر ولي عهده من بعده، وذلك أنه نظر في بني العباس وبني عليّ فلم يجد أحداً هو أفضل ولا أروع ولا أعلم منه أنه سماه الرضي من آل محمد"<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن حجر: "عليّ الرضا وهو انهمم ذكراً وأجلهم قدراً ومن ثم أحلّه المأمون محل مهجته وانكحه ابنته واشركه مملكته وفوض إليه أمر خلافته"<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية أخرى عن إبراهيم بن هاشم عن إبراهيم بن العباس أنه قال: "ما رأيت ولا سمعت بأحد أفضل من أبي الحسن علي الرضا وشاهدت ما لم أشاهد من أحد. وما رأيت جفاً أحداً بكلامه، ولا رأيت قطعاً على

(١) ابن أبي الفتح الإربلي، أبو الحسن علي بن عيسى، كشف الغمة في معرفة الأئمة، مطبعة النجف، النجف الاشرف، ١٣٨٥هـ ج ٣، ص ٥٢/ ابن الصباغ المالكي، الفصول المهمة، مؤسسة الأعلمي للطبوعات، بيروت، ١٩٨٨، ص ٢٤٠.

(٢) الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير، تاريخ الطبري، تحقيق عبد علي مهنا، مؤسسة الأعلمي للطبوعات، بيروت، ط ١، ١٩٩٨، ص ٤٥٩.

(٣) العسقلاني، ابن حجر، الصواعق المحرقة، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة القاهرة، ص ٢٠٤.

أحد كلامه حتى يفرغ منه، وما ردُّ أحدًا عن حاجة يقدر عليها، ولا مدَّ رجله بين يدي جليس قط. ولا رأيته يشتم أحدًا من مواليه ومماليكه، وما رأيته تغل. ولا رأيته يقهقه في ضحكه بل كان ضحكه التبسم، وكان إذا خلا ونصبت مائدته أجلس على مائدته مواليه ومماليكه حتى البواب والسائس، وكان قليل النوم بالليل كثير السهر، يُحي أكثر لياليه من أولها إلى الصبح، وكان كثير الصوم، ولا يفوته صيام ثلاثة أيام في الشهر ويقول: ذلك صوم الدهر، وكان كثير المعروف والصدقة في السر، وأكثر ذلك يكون منه في الليالي المظلمة، فمن زعم أنه رأى مثله فلا تصدقوه<sup>(١)</sup>.

وروي عن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن محمد بن يحيى الفارسي قال: نظر أبو نواس إلى الرضا ذات يوم وقد خرج من عند المأمون على بغلة له، فدنا منه وسلَّم عليه وقال: يا ابن رسول الله قد قلت فيك أبياتاً وأنا أحب أن تسمعها مني فقال: هات. فأنشأ يقول:

مظهرون نقيات ثيابهم	تجري الصلاة عليهم أينما ذُكروا
من لم يكن علوياً حين تنسبه	فما له في قديم الدهر مفتخر
فالله لما برا خلقاً فأتقنه	صفاكم واصطفاكم أيها البشر
فأنتم المملأ الأعلى وعندكم	علم الكتاب وما جاءت به السور

فقال الرضا(ع): قد جئتنا بأبيات ما سبقك إليها أحد، يا غلام هل عندك من نفقتنا شيء؟ فقال: ثلاثمائة دينار. فقال: أعطها إياه، ثم قال: لعله استقلها يا غلام سق إليه البغلة<sup>(٢)</sup>.  
ولأبي نواس فيه أيضاً:

قيل لي أنت أوحده الناس طراً	في فنون من الكلام النبويه
لك من جوهر الكلام بديع	يشمر الدر في يدي مجتنيه
فعلى ما تركت مدح ابن موسى	والخصال التي تجتمعن فيه
قلت لا اهتدي لمدح إمام	كان جبريل خادماً لأبيه <sup>(٣)</sup>

وروى الشيخ الكليني عن رجل من أهل بلخ قال: كنت مع الرضا عليه السلام في سفره إلى خراسان فدعا يوماً بمائدة له فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم، فقلت: جعلت فداك لو عزلت لهؤلاء مائدة؟ فقال: مه إن الرب تبارك وتعالى واحد، والأم واحدة، والأب واحد، والجزاء بالأعمال<sup>(٤)</sup>.

وروى الشيخ الصدوق أن عبد الله بن مطرف بن همام دخل على المأمون يوماً وعنده علي بن موسى الرضا(ع)، فقال له المأمون: ما تقول في أهل البيت؟ فقال عبد الله ما قولني في طينة عجننت بماء الرسالة وغرست بماء الوحي هل ينفع منه إلا مسك الهدى وعنبر التقى. قال فدعا المأمون بحقة فيها لؤلؤ، فحشاها فاه<sup>(٥)</sup>.

(١) (م. ن)، ص ٣٢٦ / القمي، عباس، الأنوار البهية، (م. س)، ص ٢١٣.

(٢) (م. ن)، ص ٣٢٧ / الصدوق، أبو جعفر، عيون أخبار الرضا، انتشارات المكتبة الحيدرية، ط ١، قم، ١٤٢٥هـ، ج ٢، ص ١٥٥ / ابن الصباغ المالكي، الفصول المهمة، (م. س)، ص ٢٤٥.

(٣) (م. ن)، ص ٣٢٧ / ابن طولون، شمس الدين محمد، الائمة الاثنا عشر، منشورات الرضي، ص ٥٩، ذكر البيت الأخير فقط / ابن شهر آشوب، أبي جعفر محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب، تحقيق يوسف البقاعي، انتشارات ذوي القربى، ط ١، ١٤٢١هـ، ج ٤، ص ٣٧٢ / الطبرسي، الوري، (م. س)، ص ٣٢٧.

(٤) القمي، عباس، الأنوار البهية، (م. س)، ص ٢١٦.

(٥) الصدوق، عيون أخبار الرضا، (م. س)، ص ١٥٥، ج ٢.

وذكر الذهبي: "... وكان سيد بني هاشم في زمانه وأجلهم وأنبأهم وكان المأمون يعظمه ويخضع له، ويتعالى فيه حتى أنه جعله ولي عهده بعده"<sup>(١)</sup>.  
كرامات الإمام الرضا عليه السلام: عين رأفته

### عين كهلان

إن الرضا عليه السلام لما دخل نيسابور نزل في محلة يقال لها الفرويتي فيها حمام وهو الحمام المعروف (اليوم) بحمام الرضا عليه السلام وكانت هناك عين قد قل مأوها فأقام عليها من أخرج مأوها حتى توفر وكثر وأتخذ من خارج الدرب حوضاً ينزل إليه بالمراقي إلى هذه العين فدخله الرضا عليه السلام واغتسل فيه ثم خرج منه وصلى على ظهره والناس يتناوبون ذلك الحوض ويغتسلون فيه ويشربون منه التماساً للبركة ويصلون على ظهره ويدعون الله عز وجل في حوائجهم فتقضي لهم وهي العين المعروفة بعين كهلان يقصدها الناس إلى يومنا هذا.

### نبي الماء من بين يديه والقدور للطبخ

قال: حدثنا عبد السلام صالح الهروي قال: لما خرج علي بن موسى الرضا عليهما السلام إلى المأمون فبلغ (قرب) قرية الحمراء قيل له: يا بن رسول الله قد زالت الشمس أفلا تصلي؟ فنزل عليه السلام فقال: إئتوني بماء فقيل ما معنا ماء فيبحث عليه السلام بيده الأرض فنبت من الماء ماء توضع به هو ومن معه واثره باق إلى اليوم فلما دخل سناباد استند إلى الجبل الذي تنحت منه القدور، فقال: اللهم أنفع به وبارك فيما يجعل فيه وفيما ينحت منه ثم أمر عليه السلام ففتح له قدور من الجبل وقال: لا يطبخ ما أكله إلا فيها وكان عليه السلام خفيف الاكل قليل الطعام فاهتدى الناس إليه من ذلك اليوم فظهرت بركة دعائه فيه ثم دخل دار حميد بن قحطبة الطائي ودخل القبة التي فيها قبر هارون الرشيد ثم خط بيده إلى جانبه ثم قال: هذه تربتي وفيها أذفن وسيجعل الله هذا المكان مختلف شيعتي وأهل محبتي والله ما يزورني منهم زائر ولا يسلم علي منهم مسلم إلا وجب له غفران الله ورحمته بشفاعتنا أهل البيت ثم استقبل القبلة فصلى ركعات ودعا بدعوات فلما فرغ سجد سجدة طال مكثه فيها فأحصيت فيها خمسمائة تسبيحه ثم انصرف.

### فصل الخطاب معرفة اللغات

عن أبي الصلت الهروي قال: كان الرضا عليه السلام يكلم الناس بلغاتهم وكان والله أفصح الناس وأعلمهم بكل لسان ولغة فقلت له يوماً: يا بن رسول الله إني لأعجب من معرفتك بهذه اللغات على اختلافها! فقال: يا أبا الصلت أنا حجة الله على خلقه وما كان الله ليتخذ حجة على قوم وهو لا يعرف لغاتهم أو ما بلغك قول أمير المؤمنين عليه السلام: أوتينا فصل الخطاب؟! فهل فصل الخطاب إلا معرفة اللغات.

لا أضحكك الله سن الدهر إن ضحكك وآل أحمد مظلومون قد قهروا

مشردون فنوا عن عقر دارهم كأنهم قد جنوا ما ليس يغتفر (دعبل الخزاعي)

(١) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الاسلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ٣ ط، ١٩٩٨، ٢٧٠ (سنة ٢٠١ - ١٩١٠هـ).

### المبحث الثاني: معالم الفكر الإسلامي الأساسية: العدل والتوحيد، والنبوة والإمامة والمعاد

الحمد لله الذي قام بالقسط في خلقه، وعدل عليهم في حكمه، والصلاة والسلام على من كلامه الفصل وحكمه العدل، سيد المرسلين وأفضل النبيين محمد، وآله الطاهرين الذين انتظم بهم عقد الإمامة وتزينت بهم مسند الخلافة.

لقد قام الإسلام على دعائم متينة وأسس راسخة تمثلت في أصول الدين التي من أبرزها التوحيد والمعاد والنبوة. وهذا ما اتفق عليه المسلمون بكافة طوائفهم ونحلهم، فلا يدخل أحد في حظيرة الإسلام إلا إذا آمن بتوحيده سبحانه ذاتاً وفعلاً وعبادة، وآمن بمعاده وأنه سبحانه يبعث من في القبور، وآمن بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأنها الحلقة الأخيرة من نظام النبوة التي ترتبط بالسماء.

### العدل والتوحيد عند الإمام علي بن موسى الرضا

عندما بدأ الإمام الرضا (ع) رحلته إلى خراسان، توقف في مرو، فاجتمع إليه الرواة الذين كان كلُّ همهم أن يرووا عن رسول الله (ص) من خلال أئمة أهل البيت (ع)، فقالوا: حدثنا يا بن رسول الله.

وأطل عليهم -وكان في المحمل- وبدأ (ع) يسرد سلسلة سنده، المعروفة بالسلسلة الذهبية المباركة فقال: "حدثني أبي موسى بن جعفر قال: حدثني أبي جعفر بن محمد قال: حدثني أبي محمد بن علي قال: حدثني أبي علي بن الحسين قال: حدثني أبي الحسين بن علي قال: حدثني أبي علي بن أبي طالب قال: حدثني رسول الله (ص) قال: حدثني جبرائيل عن الله وهو يقول: "كَلِمَةُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حِصْنِي، وَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي"<sup>(١)</sup>. قال أبو نعيم: "هَذَا حَدِيثٌ ثَابِتٌ مشهورٌ....، وكان بعضُ سلفنا من المُحدِّثين إذا رَوَى هَذَا الإِسْنَادَ قال: لَوْ قُرِيَ هَذَا الإِسْنَادُ عَلَى مجنونٍ لَأَفَاقَ"<sup>(٢)</sup>.

في هذا الحديث النبوي المشهور أراد الرضا (ع) أن يؤكد على معالم التوحيد لله سبحانه في عقل ووعي المسلمين، الذين زحف الشرك والغلو إلى بعض عقولهم بطريقة وبأخرى من حيث لا يشعرون، وليؤكد لهم ما قاله الله تعالى في حديثه القدسي لرسوله: من أن الحصن الذي يأوي إليه الناس فيحصلون على رضوانه، ويأمنون من عذابي هو (التوحيد).

يقول محمد بن زيد: جئتُ إلى الرضا (ع) أسأله عن التوحيد... فَأَمَلِي عَلَيَّ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ الْأَشْيَاءِ إِنْشَاءً، وَمُتَبَدِّعِهَا إِتْبَاعاً؛ بِقُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ، لَا مِنْ شَيْءٍ فَيَبْطُلُ الْاِحْتِرَافُ، وَلَا لِعِلَّةٍ فَلَا يَصِحُّ الْاِبْتِدَاعُ، خَلَقَ مَا شَاءَ كَيْفَ شَاءَ، مُتَوَحِّداً بِذَلِكَ لِإِظْهَارِ حِكْمَتِهِ، وَحَقِيقَةِ رُبُوبِيَّتِهِ، لَا تُضْبِطُهُ الْعُقُولُ، وَلَا تَبْلُغُهُ الْأَوْهَامُ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، وَلَا يُحِيطُ بِهِ مِقْدَارٌ، عَجَزَتْ دُونَهُ الْعِبَارَةُ، وَكَلَّتْ دُونَهُ الْأَبْصَارُ، وَصَلَّ فِيهِ تَصَاريفُ الصِّفَاتِ، اِحْتَجَبَ بِغَيْرِ حِجَابٍ مَحْجُوبٍ، وَاشْتَتَرَ بِغَيْرِ سِتْرٍ مَسْتُورٍ، عُرِفَ بِغَيْرِ رُؤْيَةٍ، وَوُصِفَ بِغَيْرِ صُورَةٍ، وَنُعِتَ بِغَيْرِ جِسْمٍ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ"<sup>(٣)</sup>.

(١) أميني، محسن الحسيني، الأحاديث القدسية المشتركة بين السنة والشيعه، الدار الإسلامية، ٢٠٠٥، ص ١٩-٢١.

(٢) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، ج ٣، ١٩٨٨، ص ١٩١.

(٣) الكليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب، الكافي الأصول، منشورات المكتبة الإسلامية، طهران، تحقيق علي أكبر الغفاري، ١٣٨٦هـ، ج ١ ص ١٠٥.

وأراد الإمام (ع) أن يسجل ما يقوله لبيبي منهنجا للناس في التوحيد، كما يجب أن يتصوره الناس ويعتقدوه. وهو أن لا يكون هناك شرك في العقيدة، ولا في العبادة، ولا في الطاعة، ولا في أي إحساس وشعور، وكل من هو غير الله، حتى من رسله، فهم {عِبَادٌ مُكْرَمُونَ، لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ}، وعظمتهم (ع) في أنهم ارتفعوا إلى مستوى العبودية الخالصة حتى لم يروا إلا الله، وذابوا فيه تعالى.

وبإسناده قال حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم عن مختار بن محمد بن المختار الهمداني عن الفتح بن يزيد الجرجاني عن أبي الحسن (ع) قال سألته عن أدنى المعرفة قال الإقرار بأنه لا إله غيره ولا شبيه له ولا نظير له وأنه مثبت قديم موجود غير فقيد وأنه ليس كمثله شيء.

### التوحيد النظري والتوحيد العملي

النبي محمد وأهل بيته عليهم السلام وصلوا إلى مقام التوحيد العملي، وهو التوحيد الذي يُعبر عنه العلماء بـ(التوحيد في العبادة) وغايته إيصال الإنسان إلى الكمال. أي أن الإنسان يعتبر موحداً ما دام يمر في مرحلة التصور، غير أنه لا يعتبر موحداً حقيقياً إلا إذا كان موحداً في مرحلة الحياة ومرحلة الوجود. وهذا ما رمت إليه السيدة فاطمة الزهراء (ع) في خطبتها فقالت: "وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحَدُّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، كَلِمَةٌ جَعَلَ الْإِخْلَاصَ تَأْوِيلَهَا، وَضَمَّنَ الْقُلُوبَ مَوْضُوعَهَا، وَأَنَارَ فِي الْفِكْرِ مَعْقُولَهَا". وتبين الزهراء (ع) في شهادتها هذه، اعتقادها بالتوحيد النظري، ولكنها ومن أجل أن توضح بأن التوحيد النظري غير منفصل عن التوحيد العملي في الإسلام، تقول: "كَلِمَةٌ جَعَلَ الْإِخْلَاصَ تَأْوِيلَهَا". والتأويل يعني المآل بحسب التعبير القرآني. والشيء الذي تكون عودته ونهايته بل وحقيقته عائدة له يعتبر تأويلاً لتلك الحقيقة.

### التوسل بالائمة عليهم السلام

نعم، نتوسل إلى الله ببركتهم، مثلاً: "وَأَجْعَلْ تَوَسُّلِي بِهِ شَافِعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَافِعاً" [دعاء يوم الخميس للسجادة]، فالله جعل الشفاعة لمن ارتضى من عباده، لأنه لا تنفع الشفاعة إلا بإذنه، والله هو الرزاق وهو الخالق والمدبر، هو كل شيء ولا شيء معه، بل إن كل الذين يمثلون مواقع القرب إلى الله إنما قربوا إليه بطاعتهم وعملهم، وكما قال الإمام الباقر (ع): "مَنْ كَانَ لِلَّهِ مُطِيعاً فَهُوَ لَنَا وَلِيٌّ، وَمَنْ كَانَ لِلَّهِ عَاصِياً فَهُوَ لَنَا عَدُوٌّ، وَمَا تَنَاكَ وَلَا يَتَنَا إِلَّا بِالْعَمَلِ وَالْوَرَعِ"<sup>(١)</sup>. هذه النقطة ينبغي أن يُفكر فيها، لأنه روح العقيدة الإسلامية والتوحيد. وهذا درس نتعلمه، وهو أن نبقي مع توحيد الله في خط الرسالة وخط الإمامة، وأن نبقي مع رسول الله والائمة من أوصيائه (ع) حيث وضعهم الله في مواقعهم، فلا نغلو فيهم، ولا نرتفع بهم عما هم فيه؛ لأن الحب قد يجعل الإنسان يرتفع بحبه حتى يغلو فيمن يحب، والائمة (ع) لا يريدون لنا أن نغلو فيهم بل يريدون لنا أن نتفتح على الله، ونتحرك معهم من خلال الله.

وكان من دعاء الإمام الرضا (ع) في البراءة ممن ينسب إليهم ما لا يقولون: "اللَّهُمَّ إِنِّي بَرِيءٌ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ وَأُتْبِرُ إِلَيْكَ مِنَ الَّذِينَ ادَّعَوْا لَنَا مَا لَيْسَ لَنَا بِحَقٍّ، اللَّهُمَّ إِنِّي أُتْبِرُ إِلَيْكَ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا فِينَا مَا لَمْ نَقُلْهُ فِي أَنْفُسِنَا، اللَّهُمَّ لَكَ الْخَلْقُ وَمِنَّا الرُّزْقُ وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ خَالِقَنَا وَخَالِقَ آبَائِنَا الْأُولَى وَأَبَائِنَا الْآخِرِينَ، اللَّهُمَّ لَا تَلِيْقُ الرَّبُّوبِيَّةَ إِلَّا بِكَ وَلَا تَصْلُحُ الْإِلَهِيَّةَ إِلَّا لَكَ...."

(١) الكليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب، الكافي الأصول، (م. س)، ج ٢ ص ٧٥.

## العدل الإلهي

اتفق المسلمون برمتهم على وصف الله سبحانه بالعدل، ولكن اختلفوا في مفهوم العدل وحقيقته.

العدل الإلهي على أنماط ثلاثة:

العدل التكويني: وهو إعطاؤه تعالى كل موجود ما يستحقه ويليق به من الوجود فلا يهمل قابلية، ولا يعطل استعداداً في مجال الإفاضة والإيجاد.

العدل التشريعي: وهو أنه تعالى لا يهمل تكليفاً فيه كمال الإنسان وسعادته، وبه قوام حياته المادية والمعنوية، والأخروية، كما أنه لا يكلف نفساً فوق طاقتها.

العدل الجزائي: وهو أنه تعالى لا يساوي بين المصلح والمفسد، والمؤمن والمشرك، في مقام الجزاء والعقوبة، بل يجزي كل إنسان بما كسب، فيجزي المحسن بالإحسان والثواب، والمسيء بالإساءة والعقاب. كما أنه تعالى لا يعاقب عبداً على مخالفة التكليف إلا بعد البيان والإبلاغ.

## تعريف العدالة

تعرف العدالة بأنها ملكة راسخة في النفس تبعث على ملازمة التقوى بترك الكبائر وعدم الأصرار على الصغائر، وضم في البعض، المرءة أيضاً، وبعضهم إنما اعتبرها في قبول الشهادة شرطاً له لا شرطاً للعدالة، وبعض ما اعتبرها أصلاً كالمتمن والشرائع<sup>(١)</sup>.

ووردت العدالة بمعنى الاستقامة على شرائع الإسلام وطريقته المقدسة على النحو الذي لا يرتكب المكلف معه معصية وذلك بترك واجب (كالصلاة)، أو يقوم بفعل محرم (كالزنا)<sup>(٢)</sup>.

الله سبحانه وتعالى عادل، أي يعطي كل ذي حق حقه فهو لا يعطي الجميع بالتساوي لأنه يعطي بحسب العدل والاستحقاق (وهي من مستلزمات العدل الإلهي، الذي وجد مع وجود الخلق ونشأة المخلوقين (كل شيء خلقناه بقدر) خلقنا كل شيء مقدراً بمقدار على مقتضى الحكمة<sup>(٣)</sup>). كما أن الغاية من إرسال الأنبياء وتشريع القوانين الإلهية بشكل عام، هو القيام بالقياس والعدل<sup>(٤)</sup>، وأن بعث الأنبياء والحجج عليهم السلام إنما هو لأن يدعوا الخلق إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة، وليكونوا سبباً لانتظام أمر معاشهم ومعادهم، لمكان ما جاؤوا به من القانون العدل والشرع السواء، ولأجل ذلك مست الحاجة على أن يأتوا من عنده سبحانه بكتاب باق وعلم قائم<sup>(٥)</sup>. وأيضاً إن إرسال الرسل من قبل الله تعالى لطفاً ورحمة من الله تعالى، كما جاء في قوله تعالى { وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَّسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } (يونس، ٤٧) فجاء معنى الآية المباركة بأن الله تعالى جعل لكل أمة كامة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أو أمة عيسى أو أمه

(١) المحقق الأردبيلي (٩٩٣)، مجمع الفائدة، تج: اغا مجتبى العراقي، ط١، ١٤١٤، مؤسسة النشر الإسلامي التابعه لجماعة المدرسين بقم، ١٣/١١٣.

(٢) الشيخ عبد الله عيسى إبراهيم الغديري، الفاموس الجامع للمصطلحات الفقهية، ط١، ١٩٨٨، دار المحجة البيضاء، بيروت - لبنان، ٣٥١.

(٣) الملا فتح الله الكاشاني، زبدة التفاسير، ط١، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، إيران، ١٤٣٣، ٥٣٦/٦.

(٤) الشيخ المنتظري، من المبدأ إلى المعاد في حوار بين طالبين، ط١، انتشارات دار الفكر، القدس، ١٩١٤، ١٩١.

(٥) حبيب الله الهاشمي الخوئي، نهج البراعة في نهج البلاغة، تج: إبراهيم الميانجي، ط٤، مطبعة الإسلامية، طهران، ١٣٦٠، ١٧٩/٢.

إبراهيم إذ يبعث الله اليهم الرسل وحمل رسله الرسالة التي كانوا مأمورين بتبليغها<sup>(١)</sup>. من هنا تبين لنا أن مفهوم العدل يوجد مع وجود الإنسان على سطح الأرض؛ لأن العدل هو أساس النظام وأساس القانون الذي ينبغي أن يحكم وينظم سلوكيات الإنسان على مستوى النفس والعائلة والمجتمع. إذ جاء لهذه الأمة الرسول الذي يبلغ رسالته ولكي يقيم عليهم الحجة حتى يقضي الله بينهم بالقسط أي بالعدل لا يظلم أحداً منهم أبداً بل يجازيهم بما فعلوا<sup>(٢)</sup>. وأيضاً قوله تعالى { وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٌ لِلْعَالَمِينَ } (فصلت: ٤٦) وقوله تعالى { وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ } (غافر: ٣١) و { وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ } (آل عمران: ١٠٨) ، إذ دلت جميع هذه الآيات المباركة عن نفي الظلم عنه سبحانه وتعالى وإثبات عدله كما جاء في كتب التفسير إذ بان المراد من (بظلام) على وجه المبالغة وهو نفي الظلم عنه تعالى حيث لا يفعل مثقال ذرة من الظلم لأي أحد من العباد<sup>(٣)</sup> إذ أثبت عدله تعالى ونفى الظلم عنه حيث بين المراد من (وما يريد ظلماً للعباد) إذ جاء معناها بأن الله تعالى حاشاه أن يعاقب أي شخص بذنب شخص آخر ولا يترك الظالم بدون عذاب<sup>(٤)</sup> ، وكذلك في آية (وما الله يريد ظلماً للعالمين) فإن من مضامين الآية المباركة أن الوعيد والعقاب قائم على الحق والعدل والاستحقاق لكل شخص لما يستحقه، فالمجرم يستحق العقاب وذلك لارتكابه الذنب ولتركه ما أمره الله وفعل ما نهى عنه، فإن الله تعالى يريد للإنسان صلاحه وسعادته<sup>(٥)</sup>.

إن العدل صفة الله وإرادته وبه بعث الأنبياء والمرسلين، وهو أمنية الأكثرية في كل شعب، ومن كل طائفة ودين، فأي حاكم حكم بالعدل، وسأوى بين الناس في الحقوق والواجبات وأحاطهم بعنايته ورعايته - فإن الرعية أي الأكثرية تخلص له وتنقاد، وتعطيه الطاعة والولاء، وإن ورث السلطان عن الآباء، وأي حاكم يحابي ويجور، ويؤثر فريقاً على فريق فهو عدو الرعية تأبه وتمرد عليه، وإن انتخب بالإجماع، فإرادة الرعية منوطه بالعدل، فحينما يكون فتم إرادة الأكثرية، وحينما يوجد الظلم والجور فتم سحق العامة والأمة<sup>(٦)</sup>. العدل سنة الهمة لا غنى للوجود عنها ابتداءً واستمراراً وانتهاءً، لهذا فإن ظهوره يرجع إلى بداية وجود الخلق كما أن مبدأ الثواب والعقاب الذي لأجله خلق الإنسان والكون قائم على أساس العدل بين العباد.

### الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية

وثمة أصول أخرى وقعت مثاراً للجدل والنقاش من قبل الفرق الإسلامية، فمنهم من عدّها من جوهر الدين وصميمه، كما أن فيهم من عدّها من فروع الدين، وهذه كالإمامة والخلافة بعد الرسول فهي عند السنة من فروع الدين، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرع وجود إمام عادل ذي قوة وقدرة وصوله، فتكون الإمامة

(١) مير سيد علي، تفسير مقتنيات الدرر، ط١، مطبعة الحيدري، طهران، إيران، ١٣٣٧، ٣٢١/٥.

(٢) السيد محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، ط١، دار القارئ، بيروت، ٢٠٠٨، ٣٩٨/٣.

(٣) ابن إدريس الحلبي، المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب التبيان، ت: مهدي الرجائي، ط١، سيد الشهداء، قم، إيران، ١٤٠٩، ص ٢٤٧.

(٤) محمد بن محمد القمي، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، ت: حسين دركاهي، ط١، مؤسسة الطبع والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، إيران، ١٩٩١، ٣٢٨/١١.

(٥) محمد جواد البلاغي النجفي، آلاء الرحمن في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت، ٣٢٧/١.

(٦) محمد جواد مغنبة، في ظلال نهج البلاغة، ط١، انتشارات كلمة الحق، ١٤٢٧، ٧٢/٤.

كالمقدمة لهذه المسؤولية الخطيرة. ومنهم من يعدّها من أصول الدين لأنهم يرون الإمامة منصباً إلهياً وأن وظيفتها هي استمرار وظائف النبوة، وإن كانت النبوة منقطعة بارتحال الرسول لكن الوظيفة بعدّ باقية.

## تعريف الإمامة

### الإمامة لغة

الإمام هو المؤتمن أي المقتدى والمُتَّبِع، وهو الشخص الذي يتقدم على جماعة تتبعه، سواء أكان عادلاً يَنْهَج صراطاً سوياً أم ضالاً يهوى نحو الباطل. وقد أطلق القرآن الكريم كلمة الإمام على الموقعين معاً. ففي مكان قال: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾ (الأنبياء: ٧٣)، وقال في مكان آخر: ﴿أئمة يدعون إلى النار﴾ (القصص: ٤١)<sup>(١)</sup>. عُرِف الإمام بأنه كلٌّ من أئمتهم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أم كانوا ضالين كما في قوله عزّ وجل { يوم ندعو كل أناس بإمامهم، قالت طائفة: بكتابهم، وقال آخرون: بنبيّهم وشرعهم، وقيل بكتابته الذي احصى فيه عمله وسيدنا رسول الله(ص) إمام أمته، وعليهم جميعاً الائتنام بنسبته التي مضى عليه.

### الإمامة اصطلاحاً

الإمامة هي رياسة عامة في أمور الدين والدنيا، ويشير مرتضى المطهري بأن الطوسي "استخدم مصطلحاً كلامياً فقال: "الإمام لطف" والمقصود من التعبير أن الإمامة نظير النبوة، خارجة عن حد اختيار البشر واستطاعتهم، متصلة بطرف آخر يجب أن تصدر منه. فإذا كانت النبوة يجب أن تأتي من خلال الوحي وهي تعيين من السماء فما كانت الإمامة وهي مثلها إلا بتعيين من النبي عن الله، والفرق بينهما أن النبوة تصدر مباشرة عن الله. ويكون ارتباط النبي بالله مباشراً، أما الإمام فيعيّنه النبي (عن الله)<sup>(٢)</sup>. فالإمامة لطف من قبل الله، واللطف واجب. وما دام هذا اللطف غير ممكن من دون العصمة، فيجب أن يكون الإمام معصوماً إذاً. وللسبب ذاته يجب أن يكون منصوباً عليه، لأن العصمة كموضوع لا تشخص من قبل الناس"<sup>(٣)</sup>.

والإمامة في مفهوم الاثني عشرية هي كما يعرفها السيد محسن الأمين، رياسة في أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص نيابة عن النبي(ص)، والدليل على ثبوتها هو الدليل على ثبوت النبوة، إذ كان لا بد للناس من نبي يبين لهم الأحكام وحفظ بيضة الإسلام وإقامة الحدود وحفظ الشريعة من الزيادة والنقصان. ومن صفات الإمام أن يكون معصوماً من الذنوب والخطأ والنسيان كالنبي. وأن يكون متصفاً بجميع الكمالات منزهاً عن النقائص وأن يكون أفضل أهل زمانه وأن يكون منصوباً من قبل الله تعالى بواسطة النبي(ص).

## فيوضات الإمام الرضا عليه السلام العلمية

روى الصدوق بسنده قال: حدثنا أبو ذكوان قال: سمعت إبراهيم بن العباس يقول: ما رأيت الرضا(ع) يسأل عن شيء قط إلا علم ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان الأول إلى وقت عصره، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيب فيه، وكان كلامه وجوابه وتمثله انتزاعات من القرآن، وكان يختمه في كل ثلاثة

(١) لمطهري، مرتضى، الإمامة، ترجمة جواد علي كسار، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، ط ٢، بيروت ١٤٢٢هـ، ص ٣٨.

(٢) المطهري، مرتضى، الإمامة، (م.س)، ص ٩٤.

(٣) (م.ن)، ص ١٠٣.



ويقول: لو أردت أن أختمه في أقرب من ثلاثة لختمت، ولكنني ما مررت بآية قط إلا فكرت فيها وفي أي شيء نزلت وفي أي وقت؟ فلذلك صرت أختم في كل ثلاثة أيام<sup>(١)</sup>.

الإمام الرضا عليه السلام والقرآن الكريم:

إن فقه التدبّر في القرآن، هو ما دون فقه الاستنطاق منه، لأن المتدبّر إنما يستفيد منه ما ينبع وبرز من الغيب إلى الشهادة دون الزائد عليه. وأما المستنطق، فهو يقدر على الاستنباط وإخراج ما في مخزون غيبه إلى الشهادة بحيث يراه ولا يراه غيره، لأن القرآن إنما ينطق سرّاً ويناجي خفية مع من استطاع أن ينطقه ويسمع منطقه، لا مع غيره، فهو وإن كان بالقياس إلى ظاهره الأنيق ناطقاً لمن كان واجداً لشرائط التدبّر ومحفوظاً من موانعه، ولكنه صامت بالنسبة إلى باطنه العميق، ولا ينطق بمقال ولا يحدث بحدّث إلا عند استنطاقه. فمن قدر على ذلك، وصلاح لأن ينطقه فهو ينطق، حينئذٍ معه من باطنه المكنون ويحدث من ضميره المستور، فلهذا وصفه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: "...فالقرآن أمر زاجر وصامت ناطق، حجة الله على خلقه...".

### الإنسان الكامل ترجمان القرآن

ومن المعلوم أن مستنطق القرآن العلمي لا بد أن يكون بنفسه قرآناً عينياً حتى يتيسر له الانطاق ويمكن له سماع مناجاته، واستماع حديث نفسه، وهم العترة الطاهرة الذين عطفوا الهوى على الهدى، إذ عطف الناس الهدى على الهوى، ويعطفون الرأي على القرآن إذ عطف الناس القرآن على الرأي.

وحيث إن القرآن في عين كونه ناطقاً بظواهره للمتدبرين فيه، وتكون تلك الظواهر حجة عليهم، يكون صامتاً ببواطنه بالنسبة إليهم، فلا بد له من ترجمان يستنطقه ويخرج باطنه من الغيب إلى الشهادة، فلذا قال عليّ عليه السلام: "هذا القرآن إنما هو خط مستور بين الدفتين لا ينطق بلسان، ولا بد له من ترجمان، وإنما ينطق عنه الرجال".

إذ ليس مراده عليه السلام هو سلب حجية ظاهر القرآن وإلا سقط الاحتجاج به على الخصم، وكان نفس هذا القول مخالفاً للقرآن المنادي بإمكان التدبّر فيه والاستنباط منه. ومن المعلوم، إن الخير المخالف للقرآن مردود، كما يأتي عن مولانا الإمام الرضا عليه السلام - بل مراده عليه السلام أن بعض مطالب القرآن ظاهر يمكن نيّله بالتدبّر فيه وبعضه ليس بظاهر منه، بل باطن فيه لا يمكن نيّله إلا بإنطاقه، وليس ذلك الإنطاق إلا في وسع الترجمان الإلهي، وهو الإنسان الكامل المعصوم، حيث قال عليه السلام: "... ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن أخبركم عنه"<sup>(٢)</sup>.

### منزلة المعصومين أحسن منازل القرآن

وحيث إن منازل العترة الطاهرة هي أحسن منازل القرآن، فلذا يعلمون اسرارهم وضمائرهم، ويقدرّون على إنطاقه، وإخراج ما في غيبه إلى الشهادة. ومما تقدم من الميز بين فقه القرآن تدبّراً وفقهه استنطاقاً، يظهر معنى قول مولانا الرضا عليه السلام، لما سأل المأمون فقال: "أخبروني عن معنى هذه الآية ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ (فاطر: ٣٢)، فقالت العلماء: اراد الله الأمة كلها، فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟ فقال

(١) الصدوق، عيون أخبار الرضا، (م.س)، ج ٢، ص ١٩٣.

(٢) الأملّي، عبد الله الجواد (١٤٢٩هـ)، علي بن موسى الرضا والقرآن الحكيم، دار الإبراء للنشر، ط ٣، قم المقدسة، ص ٩٠.

الرضا عليه السلام: لا أقول كما قالوا، ولكن أقول: أراد الله تبارك وتعالى بذلك العترة الطاهرة، وقال المأمون: وكيف عنى العترة الطاهرة دون الأمة؟ فقال الرضا عليه السلام: لو أراد الأمة لكانت بأجمعها في الجنة، لقول الله عز وجل { فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير } (فاطر: ٣٣) . ثم جعلهم في الجنة، فقال عز وجل { جنات عدن يدخلونها } (فاطر: ٣٣) ، فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم، ثم قال الرضا عليه السلام: هم الذين وصفهم الله في كتابه العزيز، فقال: { إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً } (الأحزاب: ٣٣) ، وهم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إنني مخلف فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، أنظروا كيف تخلفوني فيها، يا أيها الناس لا تعلمونهم فإنهم أعلم منكم... إلى أن قال الرضا عليه السلام: إن الله العزيز الجبار فضل العترة على سائر الناس في محكم كتابه، قال المأمون: ابن ذلك من كتاب الله؟ فقال الرضا عليه السلام في قوله تعالى { إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض } (آل عمران: ٣٣-٣٤) <sup>(١)</sup>.

وفي علمه روى الحاكم أبو عبد الله الحافظ بإسناده، عن الفضل بن العباس، عن أبي الصلت عبد السلام بن صالح الهروي قال: ما رأيت أعلم من عليّ بن موسى الرضا(ع) ولا رآه عالم إلا شهد له بمثل شهادته، ولقد جمع المأمون في مجالس له ذوات عدد علماء الأديان وفقهاء الشريعة والمتكلمين فغلبهم عن آخرهم حتى ما بقي أحد منهم إلا أقرّ له بالفضل وأقرّ على نفسه بالقصور، ولقد سمعت عليّ بن موسى الرضا(ع) يقول: كنت أجلس في الروضة والعلماء بالمدينة متوافرون فإذا أعيب الواحد منهم عن مسألة أشاروا إليّ بأجمعهم وبعثوا اليّ بالمسائل فأجبت عنها <sup>(٢)</sup>.

وقال أبو الصلت: ولقد حدثني محمد بن اسحاق بن موسى بن جعفر، عن أبيه أن موسى بن جعفر(ع) كان يقول لبنية: هذا أخوك عليّ بن موسى الرضا عالم آل محمد فاسألوه عن أديانكم واحفظوا ما يقول لكم فإني سمعت أبي جعفر بن محمد غير مرة يقول لي: إن عالم آل محمد لفي صلبك وليتني أدركته فإنه سمي أمير المؤمنين عليّ(ع) <sup>(٣)</sup>.

وروي عن محمد بن عيسى اليقطيني: أنه جمع من مسائله عليه السلام مما سئل عنه وأجاب عنه خمسة عشر ألف مسألة، وفي رواية أخرى ثمانية عشر ألف مسألة <sup>(٤)</sup>.

### روايات سلسلة الذهب

رواية الحصن: "قال علي بن موسى الرضا (عليه السلام): "حدثني أبي موسى الكاظم، عن أبيه جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر، عن أبيه علي زين العابدين، عن أبيه الحسين شهيد كربلاء، عن أبيه علي بن أبي طالب، أنه قال: حدثني حبيبي وقرة عيني رسول الله (صلى الله عليه وآله)، عن جبرائيل أنه قال: سمعت رب العزة سبحانه يقول: (كلمة لا إله إلا الله حصني، ومن قالها دخل حصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي)".

(١) الأملي، عبد الله الجواد(١٤٢٩هـ)، علي بن موسى الرضا والقرآن الحكيم، (م. س)، ص ٩٢.

(٢) الطبرسي، أعلام الوري، (م. س)، ص ٣٢٧/الربلي، كشف الغمة، (م. س)، ج ٣، ص ١١١/القمي، عباس، الأنوار البهية، (م. س)، ص ١١٨.

(٣) (م. ن)، ص ٣٢٧/الربلي، كشف الغمة، ج ٣، ص ١١١/القمي، عباس، الأنوار البهية، (م. س)، ص ١١٨.

(٤) القمي، عباس، الأنوار البهية، (م. س)، ص ٢١٧.

روى هذا الحديث كبار علماء السنة، ومنهم الحاكم النيسابوري الشافعي (٤٠٥هـ) وأبو حامد محمد الغزالي (٥٠٥هـ) وسبط ابن الجوزي الحنفي (٦٥٤هـ) وابن منظور الأفرريقي (٧١١هـ) والنجويني الشافعي (٧٣٠هـ) ومحمد خواجه بارسا البخاري الحنفي (٨٢٢هـ) والسيوطي الشافعي (٩١١هـ) والقندوزي الحنفي (١٢٩٤هـ) والشبلنجي الشافعي (١٢٩٨هـ) والقاضي بهجت أفندي الشافعي (١٣٥٠هـ).

### تكلمة الرواية: "إلا بشروطها، وأنا من شروطها"

عن محمد الخواجة بارسا البخاري الحنفي (٨٢٢هـ): عن أبي الصلت عبد السلام بن صالح بن سليمان الهروي قال: كنت مع علي بن موسى الرضا عليه السلام حين خرج من نيسابور وهو راكب بغلة شهباء فإذا محمد بن رافع وأحمد بن الحرث ويحيى بن يحيى وإسحاق بن راهويه وعدة من أهل العلم قد تعلقوا بلجام بغلته المربعة فقالوا: يا ابن رسول الله، بحق آياتك الطاهرين حدثنا بحديث سمعته من أبيك عن آباءه رضي الله عنهم. فأخرج رأسه الشريف من مظلمته وقال: لقد حدثني أبي موسى، عن أبيه جعفر، عن أبيه محمد، عن أبيه علي، عن أبيه الحسين، عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنهم عن رسول الله (ص) أنه قال: سمعت جبرائيل عليه السلام يقول: قال الله جل شأنه يقول: إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني من جاء منكم بشهادة أن لا إله إلا الله بالاخلاص دخل في حصني ومن دخل في حصني أمن من عذابي. (وفي رواية) فلما مرت الراحلة نادانا: ألا بشروطها، وأنا من شروطها. قيل: من شروطها: لإقرار بأنه إمام مفترض الطاعة".

وقد ذكر أبو الصلت الهروي (٥٣٦هـ) في عظم شأن الحديث: "لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لأفاق" وكذا قاله أحمد بن حنبل (٢٤١هـ): "لو قرأت هذا الإسناد على مجنون لبريء من جنته".

### رواية الإيمان

نقل حديث سلسلة الذهب في رواية أخرى بهذا النحو: "لما دخل علي بن موسى الرضا نيسابور على بغلة شهباء فخرج علماء البلد في طلبه، منهم: يحيى بن يحيى، وإسحاق بن راهويه، وأحمد بن حرب، ومحمد بن رافع، فتعلقوا بلجام دابته، فقال له إسحق: بحق آياتك حدثنا، فقال: الإيمان: معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان".

أسانيد هذا الحديث متعددة بشهادة الدارقطني الشافعي وغيره من علماء السنة الكبار.

ومن جملة الأحاديث التي رواها الإمام الرضا (ع) بسند سلسلة الذهب عن آيائه وقد نقلت في كتب السنة الحديثية: عن النبي الأعظم (ص) أنه قال: "ما من قوم كانت لهم مشورة فحضر معهم من اسمه أحمد ومحمد فشاوره إلا خير لهم أيضاً".

ويأسناده عن النبي الأعظم (ص) أنه قال: "يقول الله تبارك وتعالى يا ابن آدم، ما أنصفتني أتحبب إليك بالنعمة وتتمقت إلي بالمعاصي، خيري إليك نازل وشرك إلي صاعد، ولا يزال يأتيني عنك كل يوم وليلة بعمل قبيح. يا ابن آدم، لو سمعت وصفك من غيرك وأنت لا تدري من الموصوف لسارعت إلى مقتي".

مصنفات الإمام الرضا عليه السلام:

للإمام علي الرضا عليه السلام مصنفات كثيرة بعضها مفقود وبعضها موجود، ومنها ما هو مطبوع ومنها ما هو مخطوط. وقد جاء في نواذر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا وفهرس مخطوطات الطب الإسلامي وذخائر التراث العربي الإسلامي ودليل ببلوغرافي للمخطوطات العربية تحت مادة الرضا المصنفات التالية:

- ١ - صحيفة الرضا: وهي أحاديث رواها الإمام علي الرضا عن أبيه موسى الكاظم عن جده جعفر الصادق عن محمد الباقر عن علي زين العابدين عن سيد شباب الجنة الحسين السبط عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد جمعها الفضل بن حسن الطبرسي.
  - ٢ - مسند الإمام علي الرضا وقد طبع مع مسند الامام زيد في القاهرة.
  - ٣ - فقه الرضا: مطبوع في طهران ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٤ تقديم محمد مهدي بحر العلوم.
  - ٤ - رسالة في التوحيد.
  - ٥ - طب الإمام الرضا المسمى الرسالة الذهبية (الرسالة المذهبية).
- وتوجد هذه الرسالة مخطوطة ومطبوعة في مكتبات مختلفة منها: في مكتبات تركيا وفي مكتبات العراق وخاصة في النجف ومكتبات طهران، ودار الكتب المصرية.
- ومطبوعة ضمن كتاب: رمز الصحة في طب النبي(ص) والأئمة عليهم السلام للسيد محمود الموسوي الأصفهاني، ١٩٨٣.

### سبب تأليف هذه الرسالة وتسميتها بالرسالة الذهبية

بسنده عن هارون بن موسى التلعكبري بسنده أن محمد بن جمهور القمي الذي كان ملازماً لأبي الحسن علي الرضا عليه السلام لخدمته وكان معه حين استقدمه المأمون من المدينة إلى خراسان وبقي معه حتى وفاته بطوس. وكان المأمون ذات يوم في مجلسه في نيسابور، وفي المجلس أبو الحسن علي الرضا وجماعة من المتطبيين والفلاسفة مثل يوحنا بن ماسويه وجبريل بن بختيشوع وصالح بن بهلة الهندي، وغيرهم من منتحلي العلوم وذوي البحث والنظر، فجرى ذكر الطب وما فيه صلاح الأجسام وقوامها.

قال - القمي - وأبو الحسن ساكت لا يتكلم في شئ من ذلك.

فقال له المأمون: (ما تقول يا أبا الحسن في هذا الأمر الذي نحن فيه اليوم، والذي لا بد منه، من معرفة هذه الأشياء، والأغذية النافع منها والضار، وتدبير الجسد)؟

فقال أبو الحسن عليه السلام: (عندي من ذلك ما جربته وعرفت صحته بالاختبار ومرور الأيام مع ما وفقتي عليه من مضى من السلف مما لا يسع الإنسان جهله ولا يعذر في تركه، فأتنا أجمع ذلك مع ما يقاربه مما يحتاج إلى معرفته. فكتب الرضا إليه تلك الرسالة المسماة بطب الرضا فلما وصلت إلى المأمون قرأها وسر بها كثيراً وأمر بكتابتها بالذهب وأن تحفظ في خزانة الحكمة وسماها الرسالة الذهبية أو الرسالة المذهبية.

وكتب بخط يده جواباً للإمام علي الرضا يقرض فيه تلك الرسالة ويشكره عليها.

قيمة الرسالة العلمية والتاريخية

تتضح قيمة هذه الرسالة في الطب في مجموعة من الحقائق نوجزها كالآتي:

- ١ - أنها ظهرت في عصر المأمون الذي يعتبر العصر الذهبي لما يسمى بعلوم الحكمة والفلسفة وحيث بلغت حركة الترجمة أوج نشاطها.
- ٢ - تتميز هذه الرسالة بأنها أول رسالة في الطب يكتبها عربي مسلم...ولم تكتب قبلها سوى رسائل مترجمة من اليونانية والسريانية وكلها قام بها نصارى من السريان مثل أسرة بختيشوع وعائلة ماسويه أو من نصارى العرب مثل حنين بن إسحاق وابنه إسحاق بن حنين العبادي.

٣ - تتميز هذه الرسالة بأنها كتبت في موضوع واحد محدد هو حفظ الصحة. وكيفية تدبير الغذاء والحمام في مختلف فصول السنة وما يناسب الانسان من الأطعمة ومقدارها والرياضة والنكاح وكيفية الاعتدال في ذلك كله...وذكر أهمية السواك وتحدث عن أهمية استخدام الأدوية حين الحاجة إليها وخاصة الحجامة والفضد وأوقاتها. وتحدث عن مراحل عمر الانسان وما يصلح لكل مرحلة. ومقدار النوم الذي يحتاجه في كل مرحلة من هذه المراحل...وفي أثناء ذلك كله بيث معلوماته بإيجاز شديد وبيان واضح جلي عن التشريح وعلم وظائف الأعضاء ويستدل بالأحاديث النبوية دون أن يذكر سندها.

وقد عقد الإمام علي الرضا فصلاً لموضوع الغذاء في رسالته وقال للمؤمنين: "واعلم يا أمير المؤمنين أن كل واحدة من هذه الطبائع (الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة) يحب ما يشاكلها فاغتذ ما يشاكل جسدك". "ومن أخذ من الطعام زيادة لم يفده، ومن أخذ بقدر لا زيادة عليه ولا نقص نفعه...واعلم يا أمير المؤمنين: كلُّ البارد في الصيف والحرار وفي الشتاء والمعتدل في الفصلين (أي الربيع والخريف لا اعتدالهما) على قدر قوتك وشهوتك. وابدأ بأول الطعام بأخف الأغذية التي يعتدي بها بدنك"

ثم ذكر بعد ذلك فصول السنة وأشهرها شهراً شهراً بالتقويم الشمسي وابتداءً بشهر آذار (مارس) لأنه أول الربيع وذكر فيه ما ينبغي أن يؤكل فيه وما يتجنب من الطعام والدواء. ثم نيسان (أبريل) وهكذا حتى انتهى إلى شباط (فبراير) ، وما يناسب كل شهر من غذاء وما لا يناسبه...وما يناسب كل شهر من أنواع النشاط الجسماني ودخول الحمام والجماع والرياضة وما لا يناسبه. وكذلك الحجامة والفضد وأنواع الأدوية<sup>(١)</sup>.

ورسالة الإمام علي الرضا تفتح لنا كثيراً من الآفاق، وقيمتها ليست فحسب في كونها أول رسالة في حفظ الصحة باللغة العربية، وإنما تكمن قيمتها أيضاً في منهج مؤلفها الذي جمع ما ورثه من طب النبوة عن آباءه وما تعلمه من طب اليونان ومزج ذلك كله مزجاً فذاً غريباً، وصاغه بلغة أدبية رائعة، واستطاع أن يوجز تلك المعلومات الكثيرة والمتباينة في ١٤ صفحة مطبوعة من الحجم الصغير.

إن هذه الرسالة الموجزة الصغيرة تحمل في طياتها علماً كثيراً، استطاع الإمام علي الرضا عليه السلام أن يوجزه في صفحات قليلة تميزت بالدقة وسلاسة العبارة ووضوح المعنى. وهو أمر عسير وشاق دون ريب، إذ أن الإيجاز الشديد يقتضي في كثير من الأحيان غموض المعنى وصعوبة العبارة. ولا كذلك رسالة الرضا.

اجتماع أهل المقالات في مجلس المأمون ومناظرتهم للإمام الرضا عليه السلام:

وقد جمع المأمون له أصحاب المقالات مثل الجائليق<sup>(٢)</sup> ورأس الجالوت<sup>(٣)</sup> ورؤساء الصابئين<sup>(٤)</sup> والهريزد<sup>(٥)</sup> الأكبر وأصحاب زردشت<sup>(٦)</sup> ونسطاس<sup>(٧)</sup> الرومي والمتكلمين، ليسمع كلامه وكلامهم.

(١) البار، محمد علي، الإمام علي الرضا ورسالته في الطب النبوي، دار المناهل، بيروت، ط٥، ٢٠١٠، ص١٧٢-١٧٣.

(٢) الجائليق والجئليق: رئيس الاساقفة دخیل معرب.

(٣) هو عالم من اليهود.

(٤) الصابئة: قوم دينهم التعبد للروحانيات أي الملائكة وصد الحنفاء الذين دعوتهم الفطرة،

= مؤدي مذهبهم: أن للعالم صانعا فاطرا حكيما مقدسا من سمات الحديثين والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلالة، وأما يتقرب إليه بالموتوسطات المقربين لديه وهم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهرًا وفعلاً وحالة.

(٥) الهرايزدة: خدم نار المَجوس وقيل: انهم عظماء الهنود وعلماءهم "فارسية".

(٦) وفي نسخة أخرى "زرادشت - زردشت" وفي أمره كان اختلافاً شديداً بين ارباب الملل والنحل وكلمات المؤرخين، ويظهر من بعض أن زرادشت كان تلميذ النبي، وبعض أهل الكتاب يقولون: أنه هو "منوجهر" وقال بعض: أنه مرسل من قبل بعض أنبياء بني اسرائيل وبعض المؤرخين جعل وجوده موهوماً محضاً.

(٧) النسطاس بالكسر: علم وبالرومية عالم بالطب.

وقد قال الإمام الرضا لأحد أصحابه: يا نوفلي أتحب أن تعلم متى يندم المأمون؟.

قلت: نعم.

قال: إذا سمع احتجاجي على أهل التوراة بتوراتهم، وعلى أهل الانجيل بانجيلهم، وعلى أهل الزبور بزبورهم، وعلى الصابئين بعبرانيتهم، وعلى أهل الهرايذة بفارسياتهم، وعلى أهل الروم بروميتهم، وعلى أصحاب المقالات بلغاتهم، فإذا قطعت كل صنف ودحضت حجته وترك مقالته ورجع إلى قولِي علم المأمون الموضع الذي هو سبيله ليس بمستحق له، فعند ذلك يكون الندامة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فيوضات الامام الرضا عليه السلام الكمالية:

الائمة المعصومون لم يكتفوا بالقول في مجال تربية اتباعهم وهدايتهم، وإنما كانوا يهتمون بهم في مجال أعمالهم ويراقبون أفعالهم بصورة خاصة، وينبهونهم على أخطائهم خلال مسيرة الحياة حتى يكفوا عن الانحراف ويعودوا إلى الرشد، وحتى يتعلم الآخرون والمستقبليون أيضاً.

## وقد تميز عهد الإمام الرضا عليه السلام بالشعبية الواسعة والتعاطف الجماهيري الذي يظهر من خلال

١- حديث السلسلة الذهبية حيث كتبه من الحاضرين من أهل المحابر والدوي ما ينوف على عشرين ألفاً.

٢- خروج الإمام الرضا عليه السلام لصلاة العيد بعد إصرار المأمون عليه أن يصلي صلاة العيد في الناس واشترط الامام الرضا (ع) أن يخرج إلى الصلاة كما كان يخرج رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

فقعد الناس لأبي الحسن في الطرقات والسطوح واجتمع النساء والصبيان ينتظرون خروجه ووقف الجند والقادة على بابه حتى طلعت الشمس وخرج الإمام عليه السلام وضجت المدينة بأصوات المكبرين وازدحم الناس في الشوارع بشكل لم تعهد له المدينة مثيلاً. ولما أخبر المأمون بحال الناس وخروجهم مع الإمام عليه السلام أرسل إليه: "لقد كلفناك شططاً واتعبناك يا بن رسول الله.... فارجع وليصل بالناس من كان يصل بهم عن رسمه".

وقد انجذب إلى كمالات الإمام الرضا، القريب والبعيد من الناس باعتبار أن القلب ينجذب بفضطرته إلى الكمال. وقد قال فيه المأمون: هذا خير أهل الأرض واعلمهم وأعبدهم. والفضل ما شهدت به الأعداء.

## الامام الرضا(ع) في عهد المأمون وولاية العهد

وكانت في أيام إمامته بقرية ملك الرشيد، وملك محمد الأمين بعده ثلاث سنين وخمسة وعشرين يوماً، ثم خلع الأمين وأجلس عمه إبراهيم بن المهدي المعروف بابن شكلة أربعة عشر يوماً، ثم أخرج محمد ثانية وبويع له، وبقي بعد ذلك سنة وسبعة أشهر، وقتله طاهر بن الحسين، ثم ملك المأمون: عبد الله بن هارون بعده عشرين سنة واستشهد عليه السلام في أيام ملكه.

قامت في عهد الإمام الرضا (ع) ثورات عربية عديدة قادتها شخصيات من أحفاد الإمام علي عليه السلام ومنها ثورة إبراهيم بن موسى بن جعفر في اليمن.

وفي رسالة المأمون للعباسيين: ".... فما بايع المأمون إلا مستبصراً في أمره عالماً بأنه لم يبق أحد على ظهرها أبيض ولا أظهر عفة ولا أروع ورعاً ولا أزهد زهداً في الدنيا ولا أخلق نفساً ولا أرضى في الخاصة والعامّة في ذات الله منه، وأن البيعة له لموافقة رضا الرب عزّ وجلّ"<sup>(١)</sup>.

وقال المأمون في وثيقة العهد: ".... فكان خيرته بعد استخارته.... في عليّ بن موسى.... لما رأى من فضله البارِع وعلمه النافع وورعه الظاهر وزهده الخالص وتخليه عن الدنيا وتسلمه من الناس. وقد استبان له ما لم تنزل الأخبار عليه متواطئة والألسن عليه متفقة والكلمة فيه جامعة ولما لم يزل يعرفه به من الفضل: يافعاً وناشئاً وحداثاً ومكتنلاً..."<sup>(٢)</sup>.

وبسبب حدوث اضطرابات في خراسان (شرق إيران) قاد هارون الرشيد جيوشه لإخماد التمرد لكنه توفي في الطريق عام ١٩٣ هـ ودفن في طوس. وكان قد عين ابنه محمد الأمين ولياً للعهد من بعده، واشترط عليه أن يسند للمأمون حكومة ولاية خراسان في زمان خلافة الأمين، لكنه لم يلتزم بالشرط وعزل اخاه المأمون وولى ابنه موسى ولياً للعهد.

وبعد صراعات دموية بين الأمين والمأمون، قتل المأمون الأمين في عام ١٩٨ هـ وتسلم بعده مقاليد الخلافة. ويعتبر المأمون بين خلفاء بني العباس اعلمهم وأكثرهم مكرماً وخداعاً، وكان مطلعاً على الفقه وبعض العلوم الأخرى وكان يعقد جلسات البحث والمناظرة مع العلماء والفقهاء.

وقد حاول جذب اتباع أهل البيت من خلال اظهار الاحترام والتقدير لشخص الامام الرضا عليه السلام وأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كان أولى بخلافة رسول الله (ص) وأعاد للعلويين ما غضب من حق فاطمة الزهراء (ع) في "فدك" وأظهر لهم العطف والمحبة.

كانت مكانة المأمون في بغداد مركز السلطة العباسية متزلزلة جداً بحيث أن اتباع العباسيين لا يرون حكومة المأمون في مرو منسجمة مع مصالحهم، وقد ثار العلويون في ١٩٩ هـ بقيادة محمد بن إبراهيم طباطبا بالإضافة إلى ثورات أخرى في العراق والحجاز نتيجة هذه الظروف الضاغطة اتخذ المأمون قراره في اسناد الخلافة أو ولاية العهد إلى الامام علي بن موسى الرضا (ع)، اعتقاداً منه أن ذلك يساعد في تثبيت حكمه والتصدي نهضة العلويين ضده. والشواهد التاريخية تكشف سوء نية المأمون وعدم صدقه في هذه الدعوة من قبل تعيين جواسيس على الامام عليه السلام لمراقبة جميع أموره ونقلها إليه، وعدم السماح لأوليائه ومحبيه في الدخول عليه، والتشديد والتضييق على حركاته وتنقلاته، وكان المأمون نفسه يعترف لبعض مقربه والمرتبطين به بأهدافه الواقعية مع موافقه مع الإمام ويكشف بصراحة نياته الخبيثة كما في جوابه لحמיד بن مهران حيث قال: "أن هذا الرجل كان مخفياً وبعيداً عنه، وكان يدعو لنفسه، ونحن أردنا أن نجعله ولي عهدنا حتى تصيح دعوته لنا، ويعترف بسلطاننا وخلافتنا، وحتى يدرك المعجبون أن ما يدعيه لنفسه ليس فيه، وأن هذا الأمر (وهو الخلافة) مختص بنا وليس له فيه نصيب. وكنا خائفين أننا إذا تركناه وحاله أن يحدث اضطراباً في البلاد بحيث لا نستطيع الوقوف في وجهه، فيوجد وضعاً نعجز عن مقابله".

لكن الإمام الرضا (ع) مع قبوله ولاية العهد بالضغط والإجبار والتهديد بالقتل، لكنه تصرف بأسلوبه الخاص بحيث حرم المأمون من تحقيق أهدافه من التقرب للإمام واكتساب الشرعية.

(١) مرتضى العاملي، جعفر، الحياة السياسية للإمام علي الرضا (ع)، (م. س)، ص ٤٦١.

(٢) (م. ن)، ص ٤٥١ - ٤٥٢/ القلقشندي، مآثر الإباقه، عالم الكتب، بيروت، ج ٢، ص ٢٣٠.

حتى إن الإمام الرضا(ع) صرح للمأمون وهو يتحدث عن ولاية العهد "... وما زادني هذا الأمر الذي دخلت فيه من النعمة عندي شيئاً ولقد كنت في المدينة وكتابي ينفذ المشرق والمغرب، ولقد كنت أركب حماري وأمر في سكك المدينة وما بها أعز مني"<sup>(١)</sup>.

وقد قال المأمون للإمام الرضا عليه السلام عند عرض ولاية العهد عليه: "لقد عين عمر بن الخطاب للخلافة من بعده شورى تضم ستة أعضاء وكان جدك علي بن أبي طالب واحداً منهم، وقد أمر عمر بأن يضرب عنق كل من يخالف منهم، فلا مفر من قبول ما اردته منك، لأنني لا أجد سبيلاً آخر ولا علاجاً آخر".

بهذه الطريقة لوح المأمون للإمام(ع) بالموت، فاضطر الإمام(ع) لقبول ولاية العهد بالإكراه والإجبار قائلاً: "إنني أقبل ولاية العهد بشرط أن لا أكون أمراً ولا ناهياً ولا فقيهاً ولا قاضياً وأن لا أعزل ولا أنصب أحداً وأن لا أغير شيئاً ولا أبدله". ووافق المأمون على كل هذه الشروط وأمر المأمون بسك الدراهم وضربها باسم "الرضا".

إن المأمون كان يكرم الإمام(ع) ويحبه لمعرفته بفضله وجعل له ولاية العهد من بعده ليرى الناس أنه راغب في الدنيا فيسقط محله من نفوسهم، فلما لم يظهر منه من ذلك للناس إلا ما ازداد به فضلاً عندهم ومحلاً في نفوسهم، وقد جلب عليه المتكلمين من البلدان طمعاً في أن يقطعه واحداً منهم فيسقط محله عند العلماء. وبسببهم يشتهر نقصه عند العامة، فكان لا يكلمه خصم من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والبراهمة والملحدون والدهرية ولا خصم من فرق المسلمين المخالفين إلا قطعه والزمه الحجّة وكان الناس يقولون: والله إنه لأولى بالخلافة من المأمون، وكان أصحاب الأخبار يرفعون ذلك إليه فيغتاظ من ذلك ويشتد حسده له، وكان الرضا(ع) لا يحابي المأمون في حق وكان يجيبه بما يكره في أكثر أحواله فيغيظه ذلك ويحقد عليه ولا يظهره له فلما أعيته الحيلة في أمره اغتاله فقتله بالسهم.

وتم دفن الإمام في طوس أمام قبر هارون في آخر يوم من أيام شهر صفر ٢٠٣هـ وقد كان عمره الشريف ٥٥ عاماً صلوات الله والأنبياء والملائكة والأولياء على روحه المقدسة.

### المبحث الثالث: الفيوضات العملية للإمام الرضا(ع) : التربية الإسلامية

إن الإمام الرضا عليه السلام بما يتصف به من سمات علوية، وبما يظهر منه من فيوضات علمية وعملية في وظائفه السياسية في رئاسة الدين والدنيا، والتي من أهمها تربية المسلمين وتهذيبهم وتزكيتهم وتخليص نفوسهم من شوائب الشرك والكفر والجاهلية، من خلال خطابه(ع) التوحيدي في إرساء مفاهيم وأسس تربوية إلهية تلامس قضايا الحياة الأساسية للناس وقابلة للتنفيذ في شتى مراحل الحياة ومستوياتها الخاصة والعامة. أي أن التربية الإسلامية هي معرفة الله بصفته الرب الأوحد للإنسان والعالم، واختياره بصفته رباً للإنسان، والتسليم والخضوع لهذه الربوبية، والميل عن ربوبية غيره، أي بناء الإنسان ليكون ربانياً.

وللتربية الإسلامية أهدافاً تنقسم بين الأهداف الغائية والأهداف المرحلية.

(١) الكليني، أصول الكافي، دار التعارف للمطبوعات، ط ٢، بيروت، ١٤٠١، ج ٨، ص ١٥١/ الصدوق، عيون أخبار الرضا (م. س)، ج ٢، ص ١٧٧ مع تغيير في الألفاظ/ المجلسي، تاريخ الرضا، (م. س)، مجلد ٤٩، ص ١٥٥.



أهداف ذات علاقة عرضية/ مرحلية	أهداف ذات علاقة طولية/ غائية
يمكن وضعها الى جنب بعضها البعض	لا يمكن وضعها الى جنب بعضها البعض
بصفتها بعدين من أبعاد الإنسان	ليست مستقلة عن بعضها
تتمتع بنوع من الاستقلالية	كل هدف في طول الأهداف الأخرى
تطال شؤوناً وحيشيات مختلفة	دائماً مترافقة مع بعضها البعض
يمكن تمييز الشأن الاجتماعي والشأن الفكري للإنسان	يمكن تمييز الشأن الاجتماعي والشأن الفكري للإنسان
مثال:التعاون والتفكير يشكلان هدفين	مثال:هدف القرب وهدف التعاون والتفكير

مرحليين

التعاون	القرب
التفكير	التعاون

من هذه الأهداف العرضية المرحلية	ومن هذه الأهداف الطولية الغائية
الشأن الجسمي: الصحة والقوة والنظافة	الهداية والرشد
الشأن الفكري: التفكير والتعقل	الطهارة والحياة الطيبة
الشأن الأخلاقي: التزكية والتهديب	التقوى
الشأن الاقتصادي: إقامة القسط	القرب
الشأن الاجتماعي: التعاون	الرضوان
الشأن السياسي: استقلال وعزة المجتمع الاسلامي	العبادة

(المصدر: خسرو باقري، ترجمة: محمد ترمس، ٢٠١٥، دار البلاغة، بيروت، لبنان)

### الحياة الدينية اليومية والتواصل الرقمي

الحياة الدينية، هي جزء بالغ الأهمية من الحياة الاجتماعية، ويمكن لنا أن نُعرِّفها بأنها الجزء المخصص من حياة "الفرد" للتفكير في مفاهيم الألوهية، والنبوة، وصحبهم، وأولياء الله الصالحين، وكبار المتصوفة وجماعتهم وتابعيهم، وكبار الفقهاء والمفسرين، وكتابي السير، وسردياتهم التاريخية في الإسلام ومذاهبه المختلفة (السنة والشيعية والأباضية) الأمر يمس كافة الأديان ومذاهبها في الجغرافيا الدينية في المنطقة العربية، والاسلامية. وهي أيضاً العمليات الذهنية والروحية للمؤمن حول العقائد، والطقوس، والتقاليد، والعادات والأعراف، والبحث عن المعنى في الحياة، والوجود، والموت، والعدم، عبر النظام الديني، وموروثاته، وتأويلاته السائدة في مرحلة تاريخية واجتماعية وسياسية ما.

الحياة الدينية تتشكل من سرود رجال الدين، وخطاباتهم الدعوية، والتبشيرية، وعلاقتهم بالسلطة أياً كانت، أو خلافات بعضهم معها، وتداخل ذلك مع انساق القيم السائدة في المدن والحواضر والبادي والصحراء... إلخ! وهي تأخذ حيزاً هاماً في حياة الأفراد اليومية إن على صعيد الممارسات الدينية أو على صعيد المعاملات التجارية الاقتصادية الاجتماعية المختلفة، التي تطبع الفرد بطابعها الخاص.

## الحياة اليومية

يعتبر علماء الاجتماع دراسة الأحداث اليومية موضوعات جديدة بالاستقصاء لأسباب منها:

- ١- تبيين أشكال التفاعل الاجتماعي الذي يعكس بدوره الجانب الأكبر من نشاطات الحياة اليومية. (لاحظ كيف ترتب أمورك يوماً بيوم أو أسبوعاً بأسبوع أو سنة بعد أخرى) .
- ٢- تبيين مظاهر إعادة تشكيل الواقع من خلال ما يبتدعه البشر ويفتكرونه من أفعال خلاقة تسهم في إعادة تشكيل واقعهم مما يفرض أنماط سلوك اجتماعي جديدة.

فالحياة اليومية هي المساحة الواقعة في متناول الشخص والتي تشمل تخصيص وقت لأداء الروتين اليومي، ويخضع سلوك بشري لتكوين العادات، حيث يقوم الإنسان بتكرار الفعل أكثر من مرة مما يؤدي إلى تكوين قوالب ونماذج من السلوك متكررة بنفس الدرجة، ويمكن أن يتم تكرار هذه النماذج بنفس الطريقة، وهذا ينطبق على السلوك الاجتماعي وغير الاجتماعي حتى لو كان الإنسان في بيئة منزلة سينشأ لديه أيضاً فكرة تكوين العادات بشكل تلقائي أو روتيني، وهذا السلوك المتكرر يتم تجسيده في شكل روتيني يومي للفرد ويصبح جزء من المعرفة المتراكمة لديه والمسلم بها والتي يعتمد عليها في تكوين مشاريع في المستقبل.

فكرة تكوين العادات عند الناس تحمل في طياتها بعض المكاسب النفسية وتحدها من تنوع الاختيارات وبناء على ذلك يتحرر الإنسان من ثقل تحمل مسؤولية اتخاذ القرارات، حيث ينشأ لدى الإنسان راحة نفسية. بشكل عام جميع السلوك التي يتم تكرارها مرة أو اثنتين من الإنسان يمكن أن ندخلها في إطار تكوين العادات بدرجات متفاوتة وبالتالي الإنسان يتوقع السلوك من الطرف الآخر وتنشأ فكرة المؤسسة من خلال علاقات الأفراد الاجتماعية ومراقبة كلاً منهما لسلوك الآخر حيث أنه يجب أن تكون هناك أرضية مشتركة ونفع للمجموعة من هذه المؤسسة.

## مفهوم الحياة اليومية

استعمل مفهوم الحياة اليومية قديماً في الإنجليزية في القرن السابع عشر ليدل على مختلف طرق الحياة العادية مثل العمل الروتيني والتفاعلات بين الأفراد وعناصر الثقافة المادية مثل اللباس والديكور، وكلمة يومي ظهرت في الإنجليزية في القرن الرابع عشر وجذورها الأولى تعود للفرنسية القديمة والاستعمال اللاتيني وفي علم الاجتماع يستعمل اللفظ ليميز علم اجتماع الحياة العادية والروتينية، ليدل على المادة اليومية وعالم الحياة Life World وتشير إلى النطاق الحياتي الذي يخبر فيه الأفراد ثقافة مجتمعهم.

وعالم الحياة هو عالم معطي، يسلم الأفراد بوجوده دون مناقشة ولا يعيش الفرد في عالم حياة واحد بل أننا نجد أن عوالم الحياة تندرج عبر الزمان والمكان، فتبدأ بالعالم الذي يحيط بالفرد أي ما يقع تحت سمعه وبصره ويستطيع أن يتحكم فيه وتتوزع العوالم عبر المكان وفقاً لحركة الفاعل اليومية حيث تبدأ بعالمه الخاص، الذي يعرف عنه كل شيء، وتمتد من هذا العالم الخاص عبر كل الأمكنة التي يتحرك فيها الفرد، كما تتوزع العوالم زمنياً، حيث تبدأ من العالم الفعلي الحالي الذي يعيش فيه الفاعل وتمتد إلى عالم الأسلاف والأجداد الذي يعيش معنا ويحكمنا دون أن نتحكم فيه، وإلى عالم المستقبل الذي يمكن أن نؤثر عليه ولكنه لا يؤثر علينا.

لقد أشار "هوسلر" إلى أن عالم الحياة والعالم الذي يأخذ منه الأفراد ثقافتهم وهو عالم معطى لا دخل للأفراد في تشكيله، ثم يرى أن لعالم الحياة بعدين: زمني: الحاضر والماضي والمستقبل، ومكاني: "الامتداد الجغرافي". وهذا وفقاً لحركة الفاعل اليومية وبهذا حدد الشكل العام لعالم الحياة.

أما العالم الفينومولوجي "شوتز A. Shutz" يرى أن عالم الحياة يشير إلى الصفات الآتية: يتسم هذا العالم بتوتر إدراكي يجعل هذا الفاعل يقظاً وحذراً من الفواعل والأحداث التي يواجهها ويتفاعل معها. ويضيف "شوتز" إلى ما تقدم فيقول إن لكل فاعل عالماً خاص به منتظماً من قبل منظمات وضعت من قبل أسلافه لهم وله وللأجيال القادمة، لكي ينسقوا حياته وعالمه، أي أن عالمه موجود قبل ميلاده وتختلف عوالم الآخرين ولكن مع ذلك توجد قواسم مشتركة بين عوالم الفواعل المختلفة التي يلتقون فيها.

ويعترف عبد السلام محمد "الحياة اليومية هي الوجود المتعين للإنسان حيث يتضمن هذا الوجود وسطاً معيشياً مادياً يعيش الفرد فيه ووسطاً ثقافياً وتفاعلات بين الوسط المادي والثقافي، وأشكالاً للتداخل تسهم في إعادة إنتاج الحياة اليومية، أو إذا فشلت مظاهر التبادل المادي والثقافي في ذلك، أو إذا ما خلقت مظاهر التبادل المادي والثقافي توتراتها وصراعاتها الخاصة وتكشف عنها مواقف تفاعل حياتية موزعة على فترات اليوم المختلفة وعلى الأماكن المختلفة.

مفاهيم عقائدية وإيمانية ذات أثر على الأهداف التربوية في الحياة اليومية:

سمات الحياة الدينية مع الثورة الرقمية

إنّ تبين أثر وجود الإمام الرضا عليه السلام بين أتباعه ومريديه وشمول هذا الأثر لعامة الناس في نقل حديثه والإضاءة على سيرته العظيمة وأخلاقه السمحة ولينه وعطفه ورأفته وإحسانه وزهده حتى ظهر فضل وشأن الإمام عليه السلام بين عامة الناس وخاصته يستدعي منا في عصرنا الحالي المتصف بالحضارة والتقدم المادي الاستفادة والانتفاع من فيوضات الإمام عليه السلام العلمية والعملية عبر نشر علومه وعلوم أهل البيت بالطرق المختلفة ومنها وسائل التواصل الرقمية لما لها من فوائد في سرعة النقل واتساع الجمهور المتلقي، مصداقاً للحديث المروي عنه عليه السلام.

وقد اتصفت الحياة الرقمية بصفات منها التدين الجماعي الفعلية والرقمية الغفيرة، وبالطابع التعبوي الجمعي للتدين السائد، وكذلك التدين خارج سيطرة المؤسسة الدينية الرسمية حيث تلعب فواعل دينية أخرى دوراً مؤثراً، والتداخل بين التدين الفعلي والرقمي والسيولة فيما بينها من تفاعلات؛ وإننا نجد العديد من المواقع الرقمية التي تتناول الخطابات والأطروحات الدينية، تطرح الحلول للمشكلات والظواهر الدينية الجديدة.

الرؤية الإسلامية باعتبار أنها رؤية إلهية هادفة وتنموية تؤمن التوافق والانسجام بين محورية المعلم ومحورية المتعلم تحت مسمى الربوبية، والتي نستخلص منها التربية. فليست الربوبية مجرد اسم من الأسماء الإلهية، إنما اسم له مستلزمات. وهذه اللوازم عبارة عن:

حياة مادية نظيفة ونقية نتيجة عمل وكسب الفرد بعيداً عن الاحتيال وأكل الحرام والانتهاك والتعدي على حقوق الآخرين.

حياة حرة متحررة من الإرادة الخبيثة وتريد الخير للآخرين.

حياة اجتماعية طاهرة قائمة على العدل والاحسان وبعيدة عن الظلم والعنف.

حياة جميلة وظريفة مطلوبة لذوي النفوس العفيفة والطاهرة بعيدة عن الشهوات.  
وبناء عليه نستعرض بعض المفاهيم العقائدية الإيمانية والحكم الواردة عن الإمام الرضا عليه السلام والتي تندرج تحت عناوين الأهداف التربوية الإسلامية المذكورة آنفاً والمؤثرة في الوجود المعيشي المادي والثقافي بما يعيد انتاج حياة يومية طاهرة ومتحررة ومنها:

## أهداف تربوية مرحلية

### في الشأن الاجتماعي والاقتصادي:

#### صفات الموالين

ونقرأ في بعض وصاياه (ع) للسيد الجليل عبد العظيم الحسني -وقبره في الري جنوب طهران وهو من العلماء الأعاظم وكان الأئمة (ع) يقدرونه- وقد أرسل معه رسالة إلى أوليائه يخاطب فيها شيعته في كل زمان ومكان، قال له: "يَا عَبْدَ الْعَظِيمِ، أبلغ عني أَوْلِيَائِي السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُمْ لَا يَجْعَلُوا لِلشَّيْطَانِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ سَبِيلاً، وَمُرَّهُمْ بِالصَّدْقِ فِي الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَمُرَّهُمْ بِالسُّكُوتِ، وَتَرْكِ الْجِدَالِ فِيمَا لَا يَعْنيهِمْ، وَإِقْبَالِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، وَالْمُزَاوَرَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ قُرْبَةٌ إِلَيَّ، وَلَا يَشْغَلُوا أَنْفُسَهُمْ بِتَمْزِيْقِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً، فَإِنِّي آلَيْتُ عَلَى نَفْسِي، أَنَّهُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، وَأَشْحَظَ وَلِيّاً مِنْ أَوْلِيَائِي، دَعَوْتُ اللَّهَ لِيُعَذِّبَهُ فِي الدُّنْيَا أَشَدَّ الْعَذَابِ، وَكَانَ فِي الْأَخْرَةِ مِنَ الْخَابِرِينَ، وَعَرَفْتُهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لِمُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ، إِلَّا مَنْ أَشْرَكَ بِهِ، أَوْ آذَى وَلِيّاً مِنْ أَوْلِيَائِي، أَوْ أَضْمَرَ لَهُ سُوءاً، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لَهُ حَتَّى يَرْجِعَ عَنْهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْهُ وَإِلَّا نَزَعَ رُوحَ الْإِيمَانِ عَنْ قَلْبِهِ، وَخَرَجَ عَنْ وَلايَتِي، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ فِي وَلايَتِنَا، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ".

وفي هذه الوصية جملة من التعاليم المهمة للشريعة:

لا تعبدوا الشيطان ولا تطيعوه في معصية الله تعالى، ولا تنجدبوا إليه عندما يثير غرائزكم ويحوّلها إلى الحرام، لا تجعلوا له سلطة عليكم، وأغلقوا كل طريق له إلى عقولكم وقلوبكم.  
كونوا مع الصادقين، فإنّ أهل البيت (ع) ساروا على خط جدهم الصادق الأمين  
أن لا تتجادلوا في ما لا يتصل بعقائدكم وحياتكم، كالكثير من القضايا التي يتجادل فيها الناس في ما لا طائل منه ولا فائدة فيه، بل أن يسأل الإنسان عن أصول دينه وتكاليفه الشرعية، وعن الواقع الذي يتحدى عزته وكرامته.

أن لا تتدابروا وتتقاطعوا، بل أن يقبل بعضكم على بعض.  
إذا أرادوا أن يكونوا قريبين مني فليزوروا بعضهم بعضاً، فلا يكفي أن نذهب لزيارة قبورهم (ع) ونحن نتقاتل ونتحاقد.

الذين يتحركون بالغبية والنميمة والفتنة بين المؤمنين، والذين يتحركون بالعصبية العائلية والقروية والحزبية والسياسية والشخصانية هم من الخاسرين في الآخرة.

المرض والظهور من الذنوب:

وبهذا الإسناد عن علي بن الحسين عليه السلام أنه إذا رأى المريض قد برى من العلة، قال

يهنيك الطهور من الذنوب.

### التختم بالعقيق

وبإسناده عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: تختموا بالعقيق، فإنه أول جبل أقر لله تعالى بالوحدانية ولي بالنبوة ولك يا علي بالوصية ولشيعتك بالجنة. وبهذا الإسناد قال، قال رسول الله (ص) : تختموا بالعقيق، فإنه لا يصيب أحدكم غم ما دام ذلك عليه. معاملة الناس والتودد إليهم:

عن النبي الأكرم (ص) أنه قال: " من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، فهو ممن كملت مروءته، وظهرت عدالته، ووجبت أخوته، وحرمت غيبته".

أن النبي (ص) قال: " راس العقل بعد الدين: التودد الى الناس، واصطناع الخير الى كل بر وفاجر".  
عن أمير المؤمنين أنه قال: " أشد الأعمال ثلاثة: إعطاء الحق من نفسك، وذكر الله على كل حال، ومواساة الأخ في المال".

عن رسول الله (ص) أنه قال: " تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم منسأة في الأجل، مشرة للمال، مرضاة للرب تعالى".

عن النبي الأكرم (ص) أنه قال: " لا يكون الى يوم القيامة مؤمن إلا وله جازٌ يؤذيه".

وقد سئل الإمام الرضا (ع) : من أحسن الناس معاشاً؟

فقال (ع) : " من حَسُنَ معاش غيره في معاشه"...أي الذي إذا عاش يعيش غيره معه، من خلال ما يبذل من طاقات وما يتقدم من خدمات وما يهيب من فرص العمل والعيش الكريم.

وسئل (ع) : ومن أسوأ الناس معاشاً؟ فقال (ع) : " من لم يعيش غيره في معاشه".

وقد نبه عليه السلام بعض أصحابه بوجوب تعيين أجر العامل لديه قبل بدء العمل فإن من ينجز عملاً بدون اتفاق سابق وأجر معين فحتى لو اعطيته ثلاثة أضعاف أجره فهو يتخيل أنك اعطيته أقل من أجرته، لكنك إذا اتفقت معه على شيء فإن اعطيته ذلك المقدار المعين فسوف يكون راضياً منك لأنك قد نفذت الاتفاقية وأن زدت في العطاء على المقدار المعين ولو بشيء بسيط فسوف يعرف أنك زدته فيغدو شاكراً.

### مقومات الصداقة الناجحة

وقد أشار الإمام الرضا عليه السلام في أقواله وكلماته وحكمه القصيرة إلى مقومات الصداقة الناجحة، نوجزها في النقاط الآتية:

الحب في الله.

التواضع.

الاحترام المتبادل.

تبادل المشاعر الإيجابية.

العطاء والمساعدة.

الأمور التي تفسد الصداقة وتهدمها:

الجهل.

التدخل في الخصوصيات.

الاسترسال في الأنس.

أهداف تربوية غائية: في العبادات

### القضاء والقدر

حدثنا الحسين بن إبراهيم بن أحمد المؤدب رضي الله عنه قال حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن علي بن معبد عن الحسين بن خالد عن علي بن موسى الرضا عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب (ع) قال سمعت رسول الله (ص) يقول قال الله جل جلاله من لم يرض بقضائي و من لم يؤمن بقدري فليلتمس إليها غيري و قال رسول الله (ص) في كل قضاء الله عز و جل خيرة للمؤمن.

### العدل

حدثنا الحاكم أبو علي الحسين بن أحمد البيهقي قال حدثني محمد بن يحيى الصولي: قال حدثنا أبو ذكوان قال سمعت إبراهيم بن العباس يقول سمعت الرضا(ع) و قد سأله رجل أيكلف الله العباد ما لا يطيقون فقال هو أعدل من ذلك قال أفيقرون على كل ما أرادوه قال هم أعجز من ذلك.

### العدل والإحسان

حدثنا عبد الواحد بن محمد بن عبدوس العطار رضي الله عنه، قال حدثنا علي بن محمد بن قتيبة النيسابوري عن الفضل بن شاذان، قال: "سمعت الرضا عليه السلام يقول: استعمال العدل والإحسان مؤذن بدوام النعمة ولا حول ولا قوة إلا بالله".

أحوال الأعمال:

حدثنا أبو الحسن محمد بن عمرو بن علي البصري قال حدثنا أبو الحسن علي بن الحسن بن الميثمي قال حدثنا أبو الحسن علي بن ميمون القزويني قال حدثنا أبو أحمد الغازي قال حدثنا أبو الحسن علي بن موسى الرضا قال حدثنا أبي موسى بن جعفر قال حدثنا أبي جعفر بن محمد قال حدثنا أبي محمد بن علي قال حدثنا أبي علي بن الحسين قال حدثنا أبي الحسين بن علي (ع) قال سمعت أبي علي بن أبي طالب (ع) يقول الأعمال على ثلاثة أحوال فرائض وفضائل و معاصي فأما الفرائض فبأمر الله و برضاء الله و بقضاء الله و تقديره و مشيئته و علمه و أما الفضائل فليست بأمر الله و لكن برضاء الله و بقضاء الله و تقديره و مشيئته و يعلمه و أما المعاصي فليست بأمر الله و لكن بقدر الله و بعلمه ثم يعاقب عليها.

### الحسنات والسيئات

حدثنا جعفر بن محمد بن مسرور رضي الله عنه قال حدثنا الحسين بن محمد بن عامر عن معلى بن محمد البصري عن الحسن بن علي الوشاء عن أبي الحسن الرضا (ع) قال سألته فقلت الله فوض الأمر إلى العباد فقال هو أعز من ذلك فقلت أجبرهم على المعاصي قال الله أعدل وأحكم من ذلك ثم قال قال الله عز و جل يا ابن آدم أنا أولى بحسناتك منك وأنت أولى بسيئاتك مني عملت المعاصي بقوتي التي جعلتها فيك.

### العقل والجهل

حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رضي الله عنه، قال: حدثني محمد بن أبي عبد الله الكوفي، عن أحمد بن محمد بن صالح الرازي، عن حماد بن الديواني، قال: قال الرضا عليه السلام "صديق كل امرء عقله، وعدوه جهله".  
أحيوا أمرنا:

حدثنا عبد الواحد بن محمد بن عبدوس النيسابوري العطار رضي الله عنه قال: حدثنا علي بن محمد بن قتيبة النيسابوري عن حمدان بن سليمان عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: سمعت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول: رحم الله عبدا أحيأ أمرنا فقلت له: وكيف يحيى أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلمها الناس فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا قال: قلت: يا بن رسول الله فقد روى لنا عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: من تعلم علما ليما ي به السفهاء أو يباهي العلماء أو ليقبل بوجه الناس إليه فهو في النار فقال عليه السلام: صدق جدي عليه السلام أفتدري من السفهاء؟ فقلت: لا يا بن رسول الله قال عليه السلام: هم قصاص مخالفينا أو تدرى من العلماء؟ فقلت: لا يا بن رسول الله (ص) فقال: هم علماء آل محمد عليهم السلام الذين فرض الله طاعتهم وأوجب مودتهم ثم قال: أو تدرى ما معنى قوله: أو ليقبل بوجه الناس إليه؟ فقلت: لا فقال عليه السلام يعنى وبذلك ادعاء الإمامة بغير حقها ومن فعل ذلك فهو النار.

### حديث الثقلين

وبإسناده عن علي عليه السلام، قال: قال النبي (ص) "إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض".

### الحج

وعلة فرض الحج مرة واحدة، لأن الله عز وجل وضع الفرائض على أدنى القوم قوة، فمن تلك الفرائض الحج المفروض واحد ثم رغب أهل القوة على قدر طاقتهم.

لا إله إلا الله حصني:

من شروطها الاقرار للرضا عليه السلام بأنه إمام من قبل الله عز وجل على العباد مفترض الطاعة عليهم.

ولاية علي بن أبي طالب (ع):

خير نادر عن الرضا عليه السلام حدثنا أحمد بن الحسن القطان قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد الحسيني قال: حدثني محمد بن إبراهيم بن الفزاري قال: حدثنا عبد الرحمن بن بحر الاهوازي قال حدثني أبو الحسن علي بن عمرو قال حدثنا الحسن بن محمد بن جمهور قال، حدثنا علي بن بلال عن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن أبيه عن آباءه عن علي بن أبي طالب عليهم السلام عن النبي (ص) عن جبرئيل عن ميكائيل عن إسرافيل عن اللوح عن القلم قال: يقول الله عز وجل ولاية علي بن أبي طالب حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي.

وقد شدّد الإمام الرضا عليه السلام على الأخذ بكل ما ورد عن رسول الله صلوات الله عليه وآله، بلطائف إسناده رواية الأبناء عن الآباء من جميعه عُرفت بأحاديث السلسلة الذهبية، وكان أشهرها رواية سلسلة الذهب "كلمة لا إله إلا الله حصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي" بشرطها وشروطها وأنا من شروطها. وقد كتب هذا الحديث ما ينوف عن عشرين ألف كاتب ومحدث وراوٍ وعالم في نيسابور. وقد قيل من شروطها: الإقرار بأنه إمام مفترض الطاعة.

من هنا تظهر أهمية وجود الإمام عليه السلام بما يصدر عنه من فيوضات علمية وتقريرات وأقوال وأفعال تبيّن مدى علمه ومعرفته بالكتاب والسنة خاصة. إن كلام الإمام الرضا(ع) وأجوبته كانت انتزاعات من القرآن الكريم وقد كان هو بحق عالم آل محمد(ص) كما كنّاه والده موسى بن جعفر عليه السلام. وقد ورد عنه: "وإنما يراد من الإمام قسط وعدل، إذا قال صدق وإذا حكم عدل وإذا وعد أنجز. إن الله لم يحرم ملبوساً ولا مطعماً. وتلا قوله تعالى {قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق}(الأعراف: ٣٢). وقد كان جلوس الرضا على حصير في الصيف وعلى مسح في الشتاء ولبسه الغليظ حتى إذا برز للناس تزيًا بثوب خز.

وقد ظهرت محبته ومودته لدى عامة الناس وخاصتهم في عصره في عدة مناسبات منها إقامة صلاة العيد بأمر من المأمون ورجوعه عن طلبه، وصلاة الاستسقاء واستجابة دعائه عليه السلام في كل ذلك ما أدى الى كشف ضغيته وحسد المأمون الذي وضع السم للإمام في العنب فاستشهد عليه السلام آخر صفر من عام ٢٠٣ هـ ومقامه في طوس المعروف بمشهد الإمام الرضا عليه السلام مقصد لملابيين الزائرين من جميع أقطار المعمورة طلباً للبركة واستجابة الدعاء والشفاعة في مغفرة الذنوب والفوز بالجنة.

ومن حكم الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في ما يتعلق بشؤون الحياة اليومية الأخرى:

- صاحب النعمة يجب أن يوسع على عياله.

- من أخلاق الأنبياء التنظف.

- ثلاث من سنن المرسلين: العطر وإحفاء الشعر وكثرة الطروقة.

- الأخ الأكبر بمنزلة الأب.

- وسئل عليه السلام عن السفلة فقال: من كان له شيء يلهيه عن الله.

- التودد إلى الناس نصف العقل.

- إن الله يبعث القبيل والقال وإضاعة المال وكثرة السؤال.

- لا يتم عقل امرئ مسلم حتى تكون فيه عشر خصال: الخير منه مأمول. والشر منه مأمون، يستكثر قليل الخير من غيره. ويستقل كثير الخير من نفسه لا يسأم من طلب الحوائج إليه. ولا يمل من طلب العلم طول دهره. الفقر في الله أحب إليه من الغنى. والذل في الله أحب إليه من العز في عدوه. والخمول أشهى إليه من الشهرة، ثم قال عليه السلام: العاشرة وما العاشرة. قيل له: ما هي، قال عليه السلام: لا يرى أحداً إلا قال: هو خير مني وأتقى. وإنما الناس رجلان: رجل خير منه وأتقى ورجل شر منه وأدنى، فإذا لقي الذي شر منه وأدنى قال: لعل خير هذا باطن وهو خير له وخيري ظاهر وهو شر لي. وإذا رأى الذي هو خير منه وأتقى تواضع له ليلحق به. فإذا فعل ذلك فقد علا مجده وطاب خيره وحسن ذكره وساد أهل زمانه.



- وقال عليه السلام: ليس لبخيل راحة، ولا لحسود لذة، ولا لمسلول وفاءً ولا لكذوب مروءة<sup>(١)</sup>.
- سئل عليه السلام عن حد التوكل، فقال عليه السلام: أن لا تخاف أحداً إلا الله.
- من السنة إطعام الطعام عند التزويج.
- الإيمان أربعة أركان: التوكل على الله، والرضا بقضاء الله. والتسليم لأمر الله. والتفويض إلى الله، قال العبد الصالح: "وأفوض أمري إلى الله فوَّاه الله سيئات ما مكروا".
- صل رحمك ولو بشرية من ماء. وأفضل ما توصل به الرحم كف الأذى عنها وقال: في كتاب الله: ﴿لَا تَبْطُلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ (البقرة: ٢٦٤).
- إن من علامات الفقه: الحلم والعلم، والصمت باب من أبواب الحكمة. إن الصمت يكسب المحبة، إنه دليل على كل خير.
- إن الذي يطلب من فضل يكفي به عياله أعظم أجرا من المجاهد في سبيل الله.
- قيل له عليه السلام كيف أصبحت؟ فقال عليه السلام: أصبحت بأجل منقوص، وعمل محفوظ، والموت في رقابنا، والنار من ورائنا، ولا ندري ما يفعل بنا.
- وقال عليه السلام: خمس من لم تكن فيه فلا ترجوه لشيء من الدنيا والآخرة: من لم تعرف الوثاقة في أرومته، والكرم في طباعه، والرصانة في خلقه، والنبل في نفسه والمخافة لربه.
- ما التقت فئتان قط إلا نُصِرَ أعظمهما عفوًا.
- السخي يأكل من طعام الناس لياًكلوا من طعامه، والبخيل لا يأكل من طعام الناس لئلا يأكلوا من طعامه.
- إنا أهل بيت نرى وعدنا علينا دينا كما صنع رسول الله (ص).
- يأتي على الناس زمان يكون العافية فيه عشرة أجزاء: تسعة منها في اعتزال الناس وواحد في الصمت.
- وقال معمر بن خلاد له عليه السلام عجل الله فرجك. فقال عليه السلام: يا معمر ذلك فرجكم أنتم، فأما أنا فولله ما هو إلا مزود فيه كف سويق مختوم بخاتم.
- عونك للضعيف أفضل من الصدقة.
- لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى تكون فيه خصال ثلاث: التفقه في الدين. وحسن التقدير في المعيشة، والصبر على الرزايا.
- قال عليه السلام لأبي هاشم داود بن القاسم الجعفري: يا داود إن لنا عليكم حقاً برسول الله (ص)، وإن لكم علينا حقاً. فمن عرف حقنا وجب حقه، ومن لم يعرف حقنا فلا حق له.
- فضل وثواب زيارة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام:
- عن عبد السلام بن صالح الهروي قال سمعت الرضا عليه السلام يقول إني سأقتل بالسم مظلوماً وأقبر إلى جنب هارون ويجعل الله تربتي مختلف شيعتي وأهل محبتي فمن زارني في غربتي وجبت له زيارتي يوم القيامة والذي أكرم محمداً صلى الله عليه وسلم بالنبوة واضطفاه على جميع الخليقة لا يصلي أحد منكم عند قبري ركعتين إلا استحق المغفرة من الله عز وجل يوم يلقاه والذي أكرمنا بعد محمد صلى الله عليه وسلم بالإمامة وخصنا بالوصية إن زوار قبري لأكرم الوفود على الله يوم القيامة وما من مؤمن يزورني فيصيب وجهه قطرة من الماء إلا حرم الله تعالى جسده على النار.

(١) ابن سقبة، البحار، تحف العقول، (م، س)، ص ٣٢٥.

روى الصدوق بإسناد الي أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رضي الله عنه، قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن ياسر الخادم، قال: قال علي بن موسى الرضا عليه السلام: لا تشد الرحال إلى شيء من القبور إلا إلى قبورنا، إلا وأني مقتول بالسم ظلما ومدفون في موضع غربة، فمن شد رحله إلى زيارتي استجيب دعاؤه وُعِفِرَتْ له ذنوبه.

عن حمدان الديواني، قال: قال الرضا عليه السلام: من زارني على بعد داري اتيته يوم القيامة في ثلاث مواطن حتى أخلصه من أهوالها، إذا تطايرت الكتب يميناً وشمالاً وعند الصراط وعند الميزان. وبإسناده قال: حدثنا جعفر بن محمد بن عمارة، عن أبيه، عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه، عن آبائه عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، قال: قال رسول الله "ص": "سيدفن بضعة مني بأرض خراسان لا يزورها مؤمن إلا أوجب الله عز وجل له الجنة وحرّم جسده على النار.

وبإسناده قال: اخبرنا علي بن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام، أنه قال: إن بخراسان بقعة يأتي عليها زمان تصير مختلف الملائكة ولا يزال فوج ينزل من السماء وفوج يصعد إلى أن ينفخ في الصور فقيل له يا ابن رسول الله: وأي بقعة هذه؟ قال: هي بأرض طوس وهي والله روضة من رياض الجنة، من زارني في تلك البقعة كان كمن زار رسول الله (ص) وكتب الله تعالى له ثواب ألف حجة مبرورة وألف عمرة مقبولة، وكنت أنا وآبائي شفعاءً يوم القيامة.

وروي عن محمد بن موسى بن المتوكل رضي الله عنه، قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن أبي الصلت عبد السلام بن صالح الهروي، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: والله ما منا إلا مقتول شهيد، فقيل له: ومن يقتلك يا ابن رسول الله؟ قال: شر خلق الله في زمان يقتلني بالسم، ثم يدفني في دار مضيق وبلاد غربة، ألا فمن زارني في غربتي كتب الله تعالى له أجر مائة ألف شهيد ومائة ألف صديق ومائة ألف حاج ومعتمر ومائة ألف مجاهد، وحشر في زمرةنا وجعل في الدرجات العُلا في الجنة رفيقنا.

وروي عن أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رضي الله عنه، قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، قال: حدثنا محمد بن عيسى بن عبيد، قال: حدثنا قبيصة بن جابر بن يزيد الجعفي، قال: سمعت وصي الأوصياء ووارث علم الأنبياء أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، يقول: حدثني سيد العابدين علي بن الحسين، عن سيد الشهداء الحسين بن علي، عن سيد الأوصياء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول الله "ص": "ستدفن بضعة مني بأرض خراسان ما زارها مكروب إلا نفس الله كربته ولا مذنب إلا غفر الله ذنوبه.

بالإضافة لما ذكر فإن من ثواب زيارته أيضاً:

أعطاه الله عزّ وجل أجر من أنفق من قبل الفتح وقاتل.

كان آمناً يوم القيامة.

ضمّان الجنة له على الله تعالى.

تعديل زيارته عند الله ألف حجة، أو ألف ألف حجة لمن زاره عارفاً بحقه.

يكون الإمام وأبائه شفعاؤه يوم القيامة، (ومن كنا شفعاؤه نجا ولو كان عليه مثل وزر الثقلين من الجن والإنس).

الجنة والله، الجنة والله.

زيارة الرضا أفضل من الحج وخاصة في شهر رجب.  
 غفر الله ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر ولو كانت مثل عدد النجوم وقطر المطر وورق الشجر.  
 غفر الله به ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فإذا كان يوم القيامة نصب له منبر بحذاء منبر رسول الله (ص) حتى  
 يفرغ الله تعالى من حساب العباد.  
 كان له عند الله سبعون حجة مبرورة، بل سبعون ألف حجة، ثم قال كمن زار الله تعالى في عرشه.  
 من سره أن يرى قبراً برؤيته يفرج الله عن زاره كُربةً  
 فليأت ذا القبر إن الله أسكنه سلاله من رسول الله مُنتجبهً

### الخاتمة

ما زالت فيوضات الإمام الرؤوف عليّ بن موسى الرضا عليه السلام تشملنا في كل منحي من مناحي حياتنا، ونحن كلما تدبرنا في أقواله وأفعاله نجد فيها الأثر الطيب والمنفعة الجليلة على جميع المستويات النفسية والاجتماعية والاقتصادية، وخاصة فيما ورد عنه فيما يتعلق بشؤون الحياة من مآكل ومشرب وصحة، وفي تأكيده على العلاقات الإنسانية السوية التي يتساوى فيها الناس أمام الله ولا يميزهم سوى التقوى والورع. هذه الفيوضات العلمية والعملية الدالة على صفات الإمام الرضا عليه السلام، وثقتها الكثير من المؤلفات والمنشورات على مدى العصور، ومنها اليوم وسائل التواصل الرقمية بحيث تجد مواقع كثيرة تتناول حياة الإمام الرضا عليه السلام وأقواله وأفعاله، بالتحليل والشرح لمقاصده الشريفة عليه السلام مما يساهم في نشر علوم أهل البيت عليهم السلام ومحاسن كلامهم في مواضيع ومفاهيم عقائدية مثال العدل والإمامة والخلافة والتي كانت مثار جدل ونقاش من قبل الفرق الإسلامية. لقد أصبح الانترنت فضاءً مفتوحاً متاحاً وبأقل تكلفة مادية لسائر الناس مما يستدعي بجدية اتخاذ التدابير الفعالة القادرة على حماية الأمن الثقافي والهوية الثقافية الإسلامية. إننا بحاجة ماسة ومُلحة إلى الإمساك بزمام الأعلام وتوجيهه نحو الرؤى والثقافة الإسلامية في كافة أبعادها ومستوياتها. إنَّ تشكيل آليات دفاعية في مواجهة الإعلام الفضائي يعمل على تفعيل مناعة الهوية الإسلامية من جهة، ومناعة الصحة النفسية من جهة ثانية. إنَّ تمكين الوعي يساعد في صيانة الطاقات البشرية والحفاظ على توازنها وتماسكها وفعاليتها في زمن القمقمة والتدجين المتسارعين، عوضاً عن الإجتراح القهري لكل ألوان التحكم الناعم والإستسلام اللاإرادي والخضوع لآلياته الغير مرئية. لقد أصبحت الحاجة متزايدة للقيام بمزيد من التوعية والتثقيف لإعلاء القيم التي تنادي بها الشريعة الإسلامية السمحاء. وهنا لا بد من التنبيه على أننا ما زلنا معتادين النظر الى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات على أنها أدوات للتواصل والتفاعل مع العالم ومع بعضنا البعض. والواقع أنها صارت قوى بيئية وانبولوجية واجتماعية وتفسيرية، تخلق وتشكل واقعا الفكري والمادي، وتغير فهمنا لذواتنا، وتحور الكيفية التي تربطنا بعضنا البعض، كما تربطنا بذواتنا، وتحسن في كيفية تفسيرنا للعالم من حولنا وعمل هذا يجري بصورة واسعة الانتشار وبعمرق وبلا هوادة. إن الارتياح هنا يكمن في مدى قدرتنا على تحقيق أقصى استفادة مما لدينا من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات متلازمة مع مسؤولية فكرية ضخمة من أجل فهمها والاستفادة منها بالطريقة الملائمة. إننا في حاجة الى أن ننظر بإمعان في جذور ثقافتنا والى أن نرعاها تحديداً لأننا بحق معنيون بأوراقها وأزهارها<sup>(١)</sup>.

(١) فلوردي، لوتشيانون، النورة الرابعة، ترجمة لؤي عبد المجيد السيد، عالم المعرفة، الكويت، ٢٠١٧، ص ١٠-١١.

## وداع

ورد في وداع الإمام الرضا عليه السلام بعد الانتهاء من زيارة مشهده المعظم في أرض طوس: "السلام عليك يا مولاي وابن مولاي ورحمة الله وبركاته أنت لنا جنة من العذاب وهذا اوان انصرافي عنك إن كنت أذنت لي غير راغب ولا مستبدل ولا مؤثر عليك ولا زاهد في قربك وقد جرت بنفسي للحدثان وتركت الأهل والأولاد والاطوان، فكن لي شافعاً يوم حاجتي وفقري وفاقتي يوم لا يغني عني حميمي ولا قريبي يوم لا يغني عني والدي ولا ولدي، اسأل الله الذي قدر علي رحيلي إليك أن تنفس بك كرتبي واسأل الله الذي قدر علي فراق مكانك أن لا يجعله آخر العهد من زيارتي لك ورجوعي إليك واسأل الله الذي ابكى عليك عيني أن يجعله سبباً لي وذخراً واسأل الله الذي اراني مكانك وهداني للتسليم عليك وزيارتي اياك أن يوردني حوضكم ويرزقني من مرافقتكم في الجنان، السلام عليك يا صفوة الله السلام على علي أمير المؤمنين ووصي رسول رب العالمين وقائد الغر المحجلين، السلام على الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة السلام على الأئمة" وتسميهم واحداً واحداً عليهم السلام: "ورحمة الله وبركاته، السلام على ملائكة الله الحافين السلام على ملائكة الله المقيمين المسبحين الذين هم بأمره يعملون، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، اللهم لا تجعله آخر العهد من زيارتي إياه، فإن جعلته فاحشترني معه ومع آبائي الماضين وأن ابقيتني يا رب فارزقني زيارته أبداً ما ابقيتني إنك على كل شيء قدير" وتقول: "استودعك الله واسترعيك واقراً عليك السلام أمتنا بالله وبما دعوته إليه، اللهم فاكبتنا مع الشهداءين، اللهم فارزقني حبههم ومودتهم أبداً ما ابقيتني السلام على ملائكة الله وزوار قبرك يا ابن نبي الله السلام عليك مني ابداً ما بقيت ودائماً إذا فنيت السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين".

## المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

ابن أحمد المالكي، علي بن محمد، (ابن الصباغ المالكي)، الفصول المهمة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٨.

ابن شعبة الحراني، أبو محمد بن علي بن الحسين، تحف العقول عن آل الرسول، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ٥، بيروت.

ابن شهر آشوب، أبي جعفر محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب، تحقيق يوسف البقاعي، انتشارات ذوي القربى، ط ١، ١٤٢١هـ.

ابن طولون، شمس الدين محمد، الأئمة الاثنا عشر، منشورات الرضي.

الاديب، عادل، الأئمة الاثنا عشر، الدار الاسلامية، ط ٣، ١٩٨٥.

الإربلي، أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح، كشف الغمة في معرفة الأئمة، مطبعة النجف، النجف الاشرف، ١٣٨٥هـ.

الاسترابادي، مختصر تأويل الآيات الطاهرة.

الإمام علي بن موسى الرضا، لجنة التأليف، المجمع العالمي لأهل البيت (ع)، طهران، ط ٣، ١٤٢٧هـ.

الإمامة والولاية في القرآن الكريم، نخبة من العلماء، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت (ع)، ط

١، طهران، ١٤٢٧هـ

الأملي، عبد الله الجواد، علي بن موسى الرضا والقرآن الحكيم، دار الإسماء للنشر، ط ٣، ١٤٢٩هـ

البار، ميمحمد علي، الإمام علي الرضا ورسالته في الطب النبوي، دار المناهل، بيروت، ط ٥، ٢٠١٠.

باقر، خسرو، نظرة متجددة في التربية الإسلامية، ترجمة محمد ترمس، دار البلاغة، بيروت، ٢٠١٥.

البحراني، عوالم العلوم والمعارف والأحوال، موسى بن جعفر، نشر مدرسة الإمام المهدي، ط ١، ١٤٠٩هـ

البدر، عادل عبد الرحمن، الإمام الرضا (ع)، ط ١، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للاستانة الرضوية المقدسة،

مشهد ١٤٣١هـ

تاريخ أهل البيت، تحقيق محمد رضا الحسيني، مؤسسة آل البيت، لأحياء التراث، ط ١، قم، ١٤١٠هـ

الحسيني، هاشم معروف، سيرة الأئمة الاثني عشر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٠.

الحلي، جمال الدين بن يوسف الحلبي، المستجد من كتاب الإرشاد، مؤسسة المعارف الإسلامية، تحقيق

محمود البدر، ط ١، قم، ١٤١٧هـ

الحيدري، كمال، بحث حول الإمامة، دار الصادقين، قم، ١٩٩٩.

الخامنئي، علي، الدروس العظيمة من سيرة أهل البيت، مركز بقية الله الأعظم للدراسات والنشر، ط ١، بيروت.

الخامنئي، علي، خطوط عامة من سيرة الأئمة (ع)، مركز الإمام الخميني الثقافي، ط ١، بيروت، ٢٠٠٤.

الخرساني، وحيد، مقتطفات ولأئمة، ترجمة عباس بن نخي، دار المحجة البيضاء، ط ١، بيروت، ٢٠٠٢.

الربيعي، عبد العظيم، وفاة الرضا، تحقيق هادي الهلالي، المكتبة الحيدرية، ط ١، ١٤٢٣هـ إيران.

رجال الطوسي، منشورات الرضي، قم، ط ١، ١٩٦١.

رفاعي، أحمد فريد، عصر المأمون، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٨.

سعاده، يوسف جعفر، آثار أهل البيت في تطور المجتمع الانساني، مؤسسة أم القرى لتحقيق والنشر، ط ١،

١٤٢٢.

المدرسي، محمد تقي، من هدى القرآن، ط ٢، دار القارىء، بيروت، ٢٠٠٨.

سيف بن حاتم، جمال الدين، الدر النظيم في مناقب الأئمة اللهمم، ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي، قم،

١٤٢٠هـ

الشاكري، حسين، الرضا علي، نشر الهادي، قم، ط ١، ١٤١٨هـ (موسوعة المصطفى والعترة).

الشبراوي، عبد الله بن محمد بن عامر، الاتحاف بحب الاشراف، منشورات الرضي، قم، ط ٢.

الشبلنجي، مؤمن بن حسن مؤمن، نور الأبخار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨.

شرف الدين، عبد الحسين، المراجعات، دار الشرق العربي الكبير.

الشرواني، حيدر علي بن محمد، ما ورثه العامة في مناقب أهل البيت، تحقيق محمد الجنون، مطبعة

المنشورات الإسلامية، ١٤١٤هـ

الشهرستاني، الحلل والنحل، تحقيق محمد عبد القادر، ٢٠٠٦، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦.

الصدر، محمد باقر، أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف، دار المعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٠.

الصدر، محمد باقر، دور أئمة أهل البيت في تحصين الرسالة الإسلامية، المعارف للمطبوعات، لبنان، ٢٠١٢.

- الصدوق، أبو جعفر، عيون أخبار الرضا، انتشارات المكتبة الحيدرية، ط ١، قم، ١٤٢٥هـ.  
الطباطباتي، تفسير الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير، تاريخ الطبري، تحقيق عبد علي مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ١، ١٩٩٨.
- الطبري، تاريخ الطبري، تحقيق عبد علي مهنا، (م. س)، ص ٤٥٩.
- الطبري، محمد بن جرير بن رستم، دلائل الامامة، منشورات المطبعة الحيدرية، ط ٢، ١٩٦٣، النجف.
- الطبيسي، محمد محسن، الإمام الرضا عند أهل السنة، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ط ١، ١٤٣٢هـ.
- العسقلاني، ابن حجر، الصواعق المحرقة، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة القاهرة.
- العسقلاني، أبي الفضل أحمد بن حجر، تهذيب التهذيب، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت (طبعة دار المعارف النظامية، الهند ١٣٢٦هـ).
- العطاردي، عزيز الله، مسند الإمام الرضا (ع)، المؤتمر العالمي للإمام الرضا (ع)، نشر آستان قدس الرضوي، ط ١، ١٤٠٦.
- عقيل، محسن، طب الإمام الرضا المعروف بالرسالة الذهبية، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط ٤، ٢٠١٠.
- عيسى، زينب محمد، الإمام الرؤف علي بن موسى الرضا(ع)، جمعية السيدة زينب الخيرية، بيروت، ط ٢، ٢٠١٤م.
- عيسى، زينب محمد، الإمام محمد بن علي الجواد (ع)، نشر جمعية السيدة زينب الخيرية، ط ١، بيروت، ٢٠٠٥.
- عيسى، زينب محمد، الإمام موسى بن جعفر الكاظم (ع)، نشر جمعية السيدة زينب الخيرية، ط ١، بيروت، ٢٠٠٨.
- عيسى، زينب محمد، الخطاب الرسالي للسيدة زينب (ع) بعد وقعة كربلاء، قراءة من منظور التاريخ وعلم النفس الديني والسياسي، جمعية السيدة زينب الخيرية، بيروت، ط ١، ٢٠١٣.
- فضل الله، محمد جواد، الإمام الرضا (ع)، تاريخ ودراسة، دار الكتاب الاسلامي، قم، ط ١، ١٩٧٣.
- فلوريدي، لوتشيانون، الثورة الرابعة، ترجمة لؤي عبد المجيد السيد، عالم المعرفة، الكويت، ٢٠١٧.
- الفيروز ابادي (817)، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العروسقي، مؤسسة الرسالة، ط 8، ٢٠٠٥، 4/13 (ماده عدل).
- القرشي، باقر شريف، حياة الإمام علي بن موسى الرضا (ع)، منشورات سعيد بن جبير، قم، ط ٢.
- القلقشندي، مآثر الإنافة، عالم الكتب، بيروت.
- القمي، عباس، الأنوار البهية، مؤسسة النشر الإسلامي.
- القمي، عباس، منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل، مؤسسة النشر الاسلامي، قم.
- الكليني، أصول الكافي، دار التعارف للمطبوعات، ط ٢، بيروت، ١٤٠١.
- لوساني، أحمد، الدروس البهية في مجمل أحوال الرسول والعترة النبوية، ط ٣، دار التعارف للمطبوعات، ١٩٩٠.
- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، دار احياء التراث العربي، ط ٣، ١٩٨٣.

مجموعة نفيسة من تاريخ الأئمة، نشر شهاب الدين الحسين المرعشي النجفي، مكتبة المرعشي النجفي، مطبعة الصدر، قم، ١٢٥٦هـ

المحقق الأردبيلي (993)، مجمع الفائدة، تح: آغا مجتبی العراقي، ط١، ١٤١٤، مؤسسة النشر الإسلامي التابعه لجماعه المدرسين، قم.

محمد بن محمد القمي، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرايب، تح: حسين دركاهي، ط١، مؤسسة الطبع والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، إيران، ١٩٩١.

محمد جواد البلاغي النجفي، ألاء الرحمن في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت).

محمد جواد مغنبة، في ظلال نهج البلاغة، ط١، انتشارات كلمة الحق، ١٤٢٧.

محمد حسين الطبطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

مرتضى الزبيدي، تاج العروس، تح: علي شيري، ط١، ١٩٩٤، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت لبنان.

مرتضى العاملي، جعفر، الحياة السياسية للإمام الرضا (ع)، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، ط٢، ١٤٠٣.

مرتضى العاملي، جعفر، الحياة السياسية للإمام علي الرضا (ع)،

مرتضى العاملي، جعفر، الصحيح من سيرة النبي الأعظم، دار السيرة، ط٢، بيروت.

المستنبط، أحمد، القطرة من بحار مناقب النبي والعترة، ط١، انتشارات ذوي القربى، قم، ١٤٢٤هـ المسعودي، اثبات الوصية، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٥٥.

المسعودي، أخبار الزمان، دار الأندلسي، ط٢، بيروت، ١٩٦٦.

المسعودي، التنبيه والأشرف، مطبعة خياط، بيروت، ١٩٦٥.

المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق شارل بلا، انشاءات الشريف الرضي، ط١، ايران ١٤٢٢هـ

المطهرى، مرتضى، الإمامة، ترجمة جواد علي كسار، مؤسسة أم القرى لتحقيق والنشر، ط٢، بيروت، ١٤٢٢هـ المطهرى، مرتضى، سيرة الأئمة الأطهار، ترجمة مالك وهبي، دار الهادي، بيروت، ط٢، ١٩٩٢.

المفيد، الاختصاص، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٧١.

المقرم، عبد الرزاق، وفاة الإمام الرضا (ع)، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ط١، ١٩٥١.

المقريزي، النزاع والتخاصم، مكتبة الأهرام، مصر.

مهدي المازندراني، محمد، نور الأبصار في أحوال الأئمة التسعة الأبرار، المطبعة العلمية، النجف الأشرف، ١٩٥٦.

مير سيد علي، تفسير مقتنيات الدرر، ط١، مطبعة الحيدري، طهران، إيران، ١٣٣٧.

ناصر مكارم الشيرازي، الأمل في كتاب الله المنزل، ط١، مطبعة سليمان زادة، نشر مؤسسة الإمام، قم، ١٤٢٦. النباطي، البياضي، زين الدين، الصراط المستقيم، المكتبة المرتضوية.

النعمان، أبي حنيفة، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، ط١، منشورات دار الثقلين، بيروت، ١٩٩٤.

البيعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ البيعقوبي، تحقيق عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٩٣.

السيوطي، جلال الدين، الجامع الصغير: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨١.

- المتقي الهندي، كنز العمّال في الأقوال والأفعال، ضبطه وفسره غريبه الشيخ بكرى حياني صححه ووضع فهرسه ومفتاحه الشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١.
- الشيخ الصدوق محمد بن علي ابن بابويه القمّي، مصادقة الإخوان، مكتبة الإمام صاحب الزمان، الحر العاملي، وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ٥١٤١٤.
- الشيخ الصدوق محمد بن علي ابن بابويه القمّي، ثواب الأعمال، ط٢، ١٣٦٨.
- محمد بن مكّي العاملي (الشهيد الأول)، الدرّة الباهرة من الأصداف الطاهرة، مؤسسة طبع ونشر الاستانة، مشهد الطبعة: ١٣٦٥هـ ١٩٨٦م
- العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، ط٢، ١٩٨٣،
- الحسين بن محمد الحلواني، نزهة الناظر وتنبيهه الخاطر، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي، ١٩٩١.
- الحسن بن محمد الديلمي، أعلام الدين في صفات المؤمنين، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٩٨٨.

### المواقع الالكترونية

- الإمام علي بن موسى الرضا(ع) السيرة المختصرة، موقع سراج القائم.
- قيسات من حياة الإمام الرضا(ع) موقع نور نيوز.
- سيرة الإمام علي بن موسى الرضا(ع) موقع المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى.
- الصدقة الناجحة في كلمات الإمام الرضا(ع) موقع اجتهاد نت.
- الموقع الرسمي لسماحة الشيخ عبدالله اليوسف حفظه الله.
- لماذا عرف الإمام الثامن بالإمام الرؤوف، موقع إذاعة طهران.
- الحياة الدينية والحياة الرقمية، نبيل عبد الفتاح، موقع الأهرام.



## أنماط التحدي العلويّ وقيمات المقاومة الرضوية و أثرهما في تحقيق الأمن المجتمعيّ

أ. د. نعمة دهش فرحان<sup>١</sup>

### الملخص

يُعدُّ موضوع مقاومة الظلم والتحدي السلمي ظاهرةً إنسانيةً راسخةً عبر التاريخ، وقد برز دور أهل البيت (عليهم السلام) بروزاً واضحاً في هذا المجال، إذ اتخذوا من تعاليم الإسلام السمحة منهجاً ونهجاً لمقاومة مختلف أنواع الظلم والقهر؛ من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية واستقرار الأمن المجتمعيّ.

### منهج البحث

اعتمد الباحث على منهجية علمية، تتضمن:

- ١- جمع المعلومات من مختلف المصادر الموثوقة، بما في ذلك الكتب والمجلات والدراسات العلمية والمواقع الإلكترونية.
- ٢- تحليل المعلومات وترتيبها وفقاً لأهداف الدراسة، باستعمال أساليب البحث العلمي.
- ٣- استعمال أدوات التحليل التاريخية والفلسفية لفهم السياق التاريخي والفلسفي لدور أهل البيت (عليهم السلام) في مقاومة الظلم.

### أهم النتائج

- ١- دور أهل البيت (عليهم السلام) في المقاومة والتحدي السلمي:
- ٢- تمييز نهجهم بالوعي والتضحية والصبر.
- ٣- اتباعوا استراتيجيات متنوعة، أهمها: توظيف العلم والمعرفة، واستعمال الخطابة والوعظ، والاسهام في الأعمال الخيرية، والتحلي بالصبر والمصابرة.
- ٤- كان لدورهم الاجتماعيّ تأثيرٌ عميقٌ في تنظيم حركة التاريخ الإسلامي، من خلال: حفظ تعاليم الإسلام الصحيحة، ونشر الوعي بين الناس، وتحفيزهم على مقاومة الظلم والفساد.

### نموذج الإمام الرضا (v) في المقاومة السلمية

تميّز نهج الإمام الرضا عليه السلام بالصبر والتحمل، والوعظ والإرشاد، ونشر الوعي، والحكمة والموعظة الحسنة، والتسامح والعفو، وقد ساعدت مقاومته على تحقيق العدالة الاجتماعيّ الأمن المجتمعي من خلال: نشر الوعي، وتعزيز القيم والأخلاق، وتوحيد المجتمع، والحد من الظلم والفساد.

١ عميد كلية العلوم الإسلامية/ جامعة بغداد، [namaa.d@ircoedu.uobaghdad.edu.iq](mailto:namaa.d@ircoedu.uobaghdad.edu.iq)

## التوصيات

وقد خرج البحث بعددٍ من التوصيات، من بينها:

- ١- الاقتداء بنهج الإمام الرضا (U) :
- ٢- تقديم برامج توعوية التي تسلط الضوء على صبر الإمام الرضا (U) وإبراز تضحياته.
- ٣- الاستفادة من أساليب الإمام الرضا (U) في التحدي والمقاومة السلمية؛ تحقيقاً للعدالة الاجتماعية والأمن المجتمعي.
- ٤- نشر الوعي من خلال الحوار والنقاش وتقديم الأمثلة من سيرة الإمام الرضا (U) .

## إجراء مزيد من الدراسات

- ١- تحليل أثر مقاومة أهل البيت (عليهم السلام) على المجتمعات الإسلامية.
- ٢- دراسة تطبيقية لاستراتيجيات أهل البيت (عليهم السلام) في مقاومة الظلم في العصر الحديث.

**الكلمات الأساسية:** أنماط التحدي، المقاومة السلمية، الأمن المجتمعي.

## المقدمة

منذ فجر التاريخ، واجه الإنسان الظلم والاستبداد، سعى عبر العصور إلى مقاومة الظلم وتحقيق العدالة، مستخدماً في ذلك مختلف الوسائل والطرائق، فمن ثوراتٍ شعبيةٍ عارمة، إلى حركاتٍ إصلاحيةٍ هادئة، ومن مقاومةٍ مسلحةٍ إلى تحدٍٍ سلميٍّ حضاريٍّ.

ومن بين الشخصيات التي أدت دوراً مهماً في مقاومة الظلم، النبي الأكرم وأهل بيته (U) فقد واجهوا الظلم والاضطهاد على مرّ العصور، وقدموا تضحيات جسيمة في سبيل تحقيق العدالة، ورفضوا الخضوع للظلم والفساد، فكانوا رمزاً للمقاومة والصبر والثبات.

يحدثنا التاريخ عن موقف عبقرى ملهم للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل أن يبعث للناس نبياً، فقد وقف حكماً بين قبائل قريش، فنال إعجابها واحترامها، فمن المعروف تاريخياً أنّ العرب كانت تعظم الكعبة، وتعتني بها في الجاهلية، وتحج إليها، وقبل البعثة النبوية بخمسة أعوام انحدر سيل جارف باتجاه الكعبة (تاريخ الطبري، ج٣٧/٢) . فهدمها، وخرّب بناءها، فاجتمعت قريش، وقررت بناء الكعبة وتوسعتها، وطلبت من نجارٍ قبطيٍّ في مكة أن يصنع سقفاً من الخشب، حصلت عليه قريش من حطام سفينة على شاطئ البحر، ثم باشرت القبائل البناء بعد أن تقاسمت جوانب الكعبة فيما بينها، وراحت تواصله حتى بلغ موضع الحجر الأسود، فاختلفوا فيما بينهم على رفعه ووضع في موضعه، فكلّ قبيلة تريد أن تتخصّص بشرف رفع الحجر الأسود ووضع في موضعه من الكعبة الشريفة، واستمر النزاع بينهم أربعة أو خمسة أيام حتى تواعدا بالقتال، وكادوا يقتتلون، ثم اجتمعوا في المسجد، فتشاورا، واتفقوا على أن يكون أوّل داخل على الاجتماع هو الحكم بينهم، وتعاهدوا على الالتزام بحكمه، فكان أوّل داخل عليهم هو النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)

فقالوا: هذا الأمين قد رضينا به، هذا محمّد. (تاريخ الطبري، ج٤١/٢)

قام النبي بالتحكيم بينهم، فكان قضاؤه أن يوضع الحجر الأسود في رداء، فتأخذ كلّ قبيلةٍ من القبائل المشتركة في البناء بطرف من الرداء، ثم يُحمل الحجر الأسود بهذه الطريقة، ويُقرَّب إلى موضعه من الكعبة،

فرضوا بحكمه، واستجابوا له، وحين أوصلوا الحجر الأسود محمولاً بهذه الكيفية رفع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الحجر الأسود بيده الشريفة ووضع في موضعه، ثم بنى عليه. وهكذا احسم النزاع برجاحة عقله، وسمو مقامه. وقد كان لهذا الموقف أثر كبير في نفوس تلك القبائل، وتعميق مكانة الرسول ودوره القيادي؛ وتركيز للثقة بشخصيته وحكمته وأمانته، فكان النبي الخاتم أول من أسس لمبدأ العدالة للجميع ولا ظلم لأحد.

ومن هنا انطلقت فكرة هذا البحث، التي استعمل فيها الباحث أدوات التحليل التاريخية والفلسفية لفهم السياق التاريخي والفلسفي لدور النبي الأكرم وأهل البيت (عليهم السلام) ولاسيما دور الإمام الرضا (U) في مقاومة الظلم والاضطهاد.

ونأمل من هذا البحث أن يُقدم إسهاماً علميةً قيّمةً في فهم دور أهل البيت (عليهم السلام) في مكافحة الظلم والفساد، وإلهام الأجيال القادمة للسير على طريقهم من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية واستقرار الأمن المجتمعي.

قسم الباحث البحث على مبحثين، هما:

### المبحث الأول/ دور أهل البيت (عليهم السلام) في المقاومة والتحدي السلمي

تعدُّ مقاومة الظلم والتحدي السلمي ظاهرةً إنسانيةً راسخةً عبر التاريخ، تُجسّدُ نبلَ القيم الإنسانية، وقد برز دور أهل البيت - عليهم السلام - بشكل بارز في هذا المجال، حيث اتخذوا من تعاليم الإسلام السمحة منهجاً ونهجاً لمقاومة مختلف أنواع الظلم والقهر، من خلال نهجهم الذي اتسم بالوعي والتضحية والصبر؛ إذ شكّلت تجاربهم ومبادئهم مصدر إلهام للأجيال في مواجهة الظلم والقهر، وتؤكدُ إمكانية تحقيق التغيير الإيجابي في الفرد والمجتمع من خلال الوسائل السلمية.

#### أنماط المقاومة والتحدي السلمي:

اتّبع أهل البيت (عليهم السلام) أنماطاً مُتعددةً في مقاومتهم للتحديات، من أهمها:

#### النمط الأول/ ارتباط الإمامة بالنبوة:

يمثل العدل الاجتماعي - بوصفه جزءاً من مفهوم العدل الشامل - الأوامر الموجبة الارتباط بالسلوك الاجتماعي، فالعدل الاجتماعي مرتبط بالقيم الاجتماعية، التي تحدد صنع أداء فعاليات الحياة في أي مجتمع، إلا أن المؤكد هو أن انعدام العدالة الاجتماعية بجميع أشكالها يلحق أضراراً جسيمة بالدول والمجتمعات، فالعدالة الاجتماعية مقصد شرعي، وقيمة أخلاقية مهمة في نهضة المجتمعات وبناء الدول الراشدة (أسس العدالة الاجتماعية في الإسلام، موقع مدونات الجزيرة).

ولا محيص لنا من دراسة الرابطة بين النبوة والإمامة التي تجلت بأروع صورها يوم الغدير؛ إذ رأينا أنّ هناك حالة اندماجية تعبّر عنه المقولة النبوية: «من كنتُ مولاه فعليّ مولاه» فالمولوية هنا عملية استمرار لتطبيق الحكم الشرعي من المنبع السماوي «القرآن والسنة»، وتلك المولوية المتصلة بعضها ببعض، تعني قرارات شرعية متشابهة تحكم القانون الاجتماعي والأعراف والارتكازات العقلانية.

ومن هنا نفهم بأنّ إعلان الولاية لعلي (U) يوم الغدير يعني أنّ هناك تناسقاً فكرياً بين النبوة والإمامة، بمعنى أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) والإمام (U) كانا ينظران إلى المصلحة نفسها، وكانا ينسقان للتخطيط

الاستراتيجي نفسه، الذي ارتضاه الله تبارك وتعالى لسعادة البشرية، وحسن الاستخلاف في الأرض، تخطيط ديني استراتيجي بعيد المدى، وتعبير ثالث، أن كلاهما كان يعلم بمقاصد الآخر ونيته وارتباطه بالله عز وجل علماً يقينياً، ولذلك كان النبي (صلى الله عليه واله) على اطمئنان تام بصحة نقل المولوية منه (صلى الله عليه واله) بعد وفاته الى من هو اهل لتلك المسؤولية؛ لتحقيق العدالة الاجتماعية، وهو علي (ع) وكان ذلك أمر الله سبحانه وتعالى (السيرة الاجتماعية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، زهير الاعرجي، ص ٥٣٤-٥٣٥).

### النمط الثاني/ استعمال الخطابة والوعظ:

تمتع أهل البيت (عليهم السلام) ببيان فصيح وخطابة مؤثرة، فاستخدموا هذه الموهبة لنشر الوعي بين الناس وتحفيزهم على مقاومة الظلم والفساد، فالقيمة العليا للكلمة تدل على ارتفاع منزلتها، وترفع صاحبها، قال تعالى: **(إِنَّهُ يَضَعُ الذُّكُومَ الطَّيِّبَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ يَزْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ فَاطِرُ ١٠،** أما القيمة الدنيا للكلمة؛ فتدل على انحطاط منزلتها، وتخفص صاحبها.

يعتمد الفن الخطابي أساساً على قوة الخطيب البيانية والحجاجية من جهة، وعلى سيرته الأخلاقية التي يسعى إلى تلبسها اجتماعياً، بوصفه مُمثلاً لقيم مثالية، من المفترض احتذاؤها، والسير على هذيتها من جهة أخرى، لذلك غدت الزهراء رمزاً للفضيلة، ومثالاً لصناعة الخطابة، فتفرقت بنية خطابها الحجاجي في مسالك ومفارق متنوعة، ولبست حللاً شتى، تراوحت بين العقلانية والبرهنة، والجمالية الأدبية والاحتمالية التعددية، وسمتها (عليها السلام) بسمات الإنسان ذي القيم العليا.

كان الخطاب الفاطمي أكثر التزاماً وتمسكاً بالعرف اللغوي العام، ففي قولها (عليها السلام): "... لا تلت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبائها، وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذبولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).... ثم أنت أنت أجهش القوم لها بالبكاء. فارتج المجلس. ثم أمهلت هينئة حتى إذا سكن نشيج القوم، وهدأت فورتهم، أفتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله، فعاد القوم في بكائهم...." (شرح خطبة الزهراء عليها السلام، ص/٤١). لا نجدها تنورط فيما نبا وشذ عن الكلام، أو جاوز حدود اللياقة، وفي الغالب نجدها تحوم عن المعنى، ولا سيما في المواقف الحرجة، فتحاول جاهدة البيان بأساليب حُسن التعبير عن حاجاتها وأغراضها، وتكتفي غالباً بالإشارة أو التلميح إلى المقصود.

حسَّ الخطاب الفاطمي في غير موضع على الحيطة والحذر من مخالفة آل الرسول الأطهار، ومنها قولها (عليها السلام): "... وَنَحْنُ بَقِيَّةٌ اشْتَخَلَفَهَا عَلَيْنُكُمْ، وَمَعْنَا كِتَابُ اللَّهِ النَّاطِقِ، وَالْقُرْآنُ الصَّادِقِ، وَالضِّيَاءُ اللَّامِعُ، بَيِّنَةٌ بَصَائِرُهُ، مُنْكَشِفَةٌ سَرَائِرُهُ، مَتَجَلِّئَةٌ ظَاهِرُهُ، مُغْتَبِطَةٌ بِهِ أَشْيَاعُهُ، قَائِدَةٌ إِلَى الرِّضْوَانِ أَتْبَاعُهُ، مُؤَدُّةٌ إِلَى النِّجَاةِ اشْتِمَاعُهُ" (شرح خطبة الزهراء عليها السلام، ص/٤١). فهذان الإتيان والاستماع الفرقان بين الحق والباطل، وقد أفرز عنف الكلمة آثاراً نفسية مؤلمة في قلب الصديقة الزهراء، عبرت عنه بمضض حين قالت (عليها السلام): "هذا ابن أبي قحافة يهتزي نخله أبي، وبلغة ابني، لقد أجهد في خصامي، وألفيته ألد في كلامي، حتى حبسني قيلة نضرها، والمهاجرة وصلها، وعصبت الجماعة ذروني ظرفها، فلا دافع ولا مانع! خرجت كاطمة، وعذت راعمة" (شرح خطبة الزهراء عليها السلام، ص/٤١). واتبعت العقيلة زينب (عليها السلام) مسار أمها في توظيف الخطابة بعد واقعة كربلاء، حيث فضحت ظلم بني أمية، ودعت الناس إلى الثورة ضد الظلم بسلطة الكلمة؛ تحقيقاً للعدالة الاجتماعية (تاريخ الطبري، ج ٦، ص ٢٤٠).

### النمط الثالث/ الإكثار من الأعمال الخيرية

مارس أهل البيت (عليهم السلام) الكرم والجود، فكانوا يُساعدون الفقراء والمحتاجين، ويُقدّمون لهم المساعدات المادية والمعنوية، من أجل التكافل الاجتماعي، فكان الإمام علي (U) يُعرف بكرمه وسخائه، وكان يُوزّع الطعام على الفقراء والمحتاجين (الكافي، ج ٢، ص ٢٣٠).

وعن الحسن البصري قال: "كان الحسين (U) سيداً زاهداً، ورعاً صالحاً، ناصحاً حسن الخلق، فذهب ذات يوم مع أصحابه إلى بستان له، وكان في ذلك البستان غلام يقال له: صافي، فلما قرب من البستان رأى الغلام يرفع الرغيف فيرمي بنصفه إلى الكلب ويأكل نصفه، فتعجب الحسين (U) من فعل الغلام فلما فرغ من الأكل، قال: الحمد لله رب العالمين، اللهم اغفر لي ولسيدي وبارك له كما باركت على أبويه يا أرحم الراحمين، فقام الحسين (U) : ونادى: يا صافي، فقام الغلام فرحاً وقال: يا سيدي وسيد المؤمنين إلى يوم القيامة، إني ما رأيتك فاعف عني، فقال الحسين (U) : اجعلني في حل يا صافي، دخلت بستانك بغير إذنك، فقال صافي: بفضلك وكرمك وسؤددك تقول هذا؟ فقال الحسين (U) : إني رأيتك ترمي بنصف الرغيف إلى الكلب وتأكل نصفه، فما معنى ذلك؟ فقال الغلام: يا سيدي إن الكلب ينظر إلي حين أكل، فإني أستحي منه نظره إلي، وهذا كلبك يحرس بستانك من الأعداء، وأنا عبدك وهذا كلبك تأكل من رزقك معاً، فبكى الحسين (U) ثم قال: إن كان كذلك فانت عتيق لله، ووهب له ألف دينار، فقال الغلام: إن اعتقتني فإني أريد القيام ببستانك، فقال الحسين (U) : إن الكريم إذا تكلم بكلام ينبغي أن يصدقه بالفعل، البستان أيضاً وهبت لك، وإني لما دخلت البستان قلت: اجعلني في حل، فإني قد دخلت بستانك بغير إذنك، كنت قد وهبت البستان بما فيه، غير أن هؤلاء أصحابي لاكلهم الثمار والرطب، فاجعلهم أضيافك وأكرمهم لأجلي أكرمك الله يوم القيامة، وبارك لك في حسن خلقك ورأيك، فقال الغلام: إن وهبت لي بستانك فإني قد سبلتكم لأصحابك" (أحاديث الشيعة في أحكام الشريعة، البروجردي، ج ٨ / ٥١٦).

### النمط الرابع/ التواصي بالصبر والمصابرة:

واجه أهل البيت (عليهم السلام) كثيراً من الاضطهاد والظلم، لكنهم صبروا وتحلوا بصبر جميل، إيماناً منهم بأن الصبر مفتاح النصر، فصدر الإمام الحسين - عليه السلام - على ظلم بني أمية، ورفضه الخضوع لهم، حتى استشهد في واقعة كربلاء، وانتصاره المعنوي خير دليل على ذلك (مقتل الحسين، ج ١ / ٢٥٠).

### النمط الخامس/ التأثيرات التاريخية:

كان لدور أهل البيت (عليهم السلام) في المقاومة والتحدى السلمي تأثير عميق على التاريخ الإسلامي، ومن أهمها:

#### ١- الحفاظ على تعاليم الإسلام الصحيحة:

أدى أهل البيت (عليهم السلام) أدواراً مهمة في حفظ تعاليم الإسلام الصحيحة من التحريف والتزييف، فقد روى الإمام الباقر - عليه السلام - عن أبيه، عن جده أمير المؤمنين - عليه السلام - أنه قال: "أنا مدينة العلم وعلي بابها" (الكافي، ج ١ / ٣٢٠). وقوله (U) : "العلم سلطان، فمن ظفر به ظفر بالعلمين" (نهج البلاغة، ج ١ / ٢٥٠).

#### ٢- نشر الوعي بين الناس:

ساعدت جهود أهل البيت (عليهم السلام) في نشر الوعي بين الناس وتثقيفهم بمبادئ الإسلام الصحيحة، وقد مثلت خطب الإمام علي (U)، حيث شرح فيها مبادئ الإسلام الصحيحة، ودعا الناس إلى التمسك بها (نهج البلاغة، ج ١ / ٥٠).

ومن أهم الوسائل التي اتبعوها في بث الوعي الاجتماعي تركيزهم على اتباع القدوة الحسنة لقوله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) الأحزاب/ ٢١، وتعليمهم الناس التربية الصحيحة والأخلاق الإسلامية، وشجعوهم على التفكير النقدي والوعي الذاتي، وعلى اتباع الحوار البناء والنقاش المفتوح بالحكمة والموعظة الحسنة، من أجل توعية الناس وتصحيح المفاهيم.

### ٣- تحفيز الناس على مقاومة الظلم:

ألهمت مقاومة أهل البيت (عليهم السلام) الناس وتحفيزهم على مقاومة الظلم والفساد، فتوراة الإمام الحسين (U) ضد الظلم والفساد في واقعة كربلاء، حيث ألهمت الناس على مر التاريخ أساليب مقاومة الظلم (تاريخ الطبري، ج ٦ / ٢٤٠).

### المبحث الثاني: ثيمات المقاومة السلمية عند الإمام الرضا (v)

عاش الإمام علي بن موسى الرضا (U) في زمن اتسم بالاضطرابات السياسية والاجتماعية، حيث واجه أهل البيت (U) عمومًا وظلمًا وقمعًا من الحكام الأمويين والعباسيين. اتخذ الإمام الرضا (U) من المقاومة السلمية نهجًا لمواجهة هذا الظلم، إيمانًا منه بقدرتها على إحداث التغيير الإيجابي في استقرار الأمن المجتمعي. وأهم ثيمات المقاومة السلمية التي اتبعها الإمام الرضا (U) ما يأتي:

#### الصبر والتحمل

يُعدُّ الصبر والتحمل من أهم الأدوات التي اتخذها أئمة أهل البيت (عليهم السلام) لمواجهة الظلم والفساد. وكان الإمام الرضا (U) نموذجًا فريدًا في هذا المجال، حيث تميّز بقدرته على التحلّي بالصبر والتحمل في أصعب المواقف. ومن مظاهر صبر الإمام الرضا (U) :

أ/ **رفض ولاية العهد:** واجه الإمام الرضا (U) ضغوطًا هائلة من قبل المأمون العباسي لقبول ولاية العهد، التي كانت تُمثّل رمزًا للسلطة السياسية في ذلك الوقت، لكن الإمام (U) رفض ذلك بكل حكمة وصبر، دون الانجرار إلى أي رد فعل عنيف.

ب/ **مُسوغات رفض الإمام (U) لولاية العهد:** عدم شرعية الحكم العباسي: كان الإمام (U) يرى أنّ الحكم العباسي غير شرعي، وأنه قائم على الظلم والاستبداد. (الكافي، ج ١ / ٢٥٥)

ت/ **الحفاظ على مبادئه:** لم يرغب الإمام (ع) في المشاركة في حكمٍ يقوم على الظلم والفساد، وذلك للحفاظ على مبادئه وقيمه الإسلامية. (بحار الأنوار، ج ٧٥ / ١٢٥)

ث/ **إفشال مخططات المأمون:** كان المأمون يهدف من خلال ولاية العهد إلى إضعاف الإمام (U) ومكانته بين الناس، لكن الإمام (U) أحبط مخططاته بحُكمته وصبره. (عيون أخبار الرضا، ج ٢ / ٢٢). ومن أمثلة صبر الإمام (U) رفضه ولاية العهد، فحينما عرض المأمون ولاية العهد على الإمام (U) للمرة الأولى، رفضها الإمام (U) بكل صبر وحكمة، وبيّن للمأمون عدم شرعية الحكم العباسي. (الكافي، ج ١ / ٢٥٦)

حاول المأمون الضغط على الإمام (U) لقبول ولاية العهد، لكن الإمام (U) صبر وتحمل كل الضغوطات، ولم يُغيّر موقفه. (بحار الأنوار، ج ٧٥ / ١٢٦). لجأ المأمون إلى استخدام التهديدات لإجبار الإمام (U) على قبول ولاية العهد، لكن الإمام (U) لم يُخضع للتهديدات، وظلّ صابرًا ومُتحملاً. (عيون أخبار الرضا، ج ٢ / ٢٣)

**التعامل مع الظلم**

لم يُسلم الإمام الرضا (U) للظلم الذي واجهه من الحكام العباسيين، بل واجهه بكل صبر ورحابة صدر، دون أن يُبادلهم بالظلم. من مظاهر تعامل الإمام (U) مع الظلم:

**١/ الحكمة والموعظة الحسنة:** كان الإمام (U) يُحاور خصومه بالحكمة والموعظة الحسنة، ويُبين لهم خطأ ظلمهم. (الكافي، ج ٢/ ١٠١)

**ب/ الصبر على الأذى:** لم يُظهر الإمام (U) أي غضب أو انفعال عند تعرّضه للأذى من الظالمين. (بحار الأنوار، ج ٧٥/ ١٣٠)

**ت/ الدعاء إلى الله تعالى:** كان الإمام (U) يدعو الله تعالى أن يُصلح أحوال المسلمين، وأن يُزيل الظلم والفساد. (عيون أخبار الرضا، ج ٢/ ٢٥)

ومن أمثلة تعامل الإمام (U) مع الظلم: فقد حاول بعض الحكام العباسيين الإساءة إلى الإمام (U)، وواجههم الإمام (U) بالحكمة والموعظة الحسنة، وبيّن لهم خطأ ظلمهم. (الكافي، ج ٢/ ١٠٢) عندما تعرّض الإمام (U) للأذى من قبل بعض الظالمين، لم يُظهر أي غضب أو انفعال، بل صبر وتحمل الأذى بصبر جميل. (بحار الأنوار، ج ٧٥/ ١٣١) كان الإمام (U) يدعو الله تعالى أن يُصلح أحوال المسلمين، وأن يُزيل الظلم عنهم.

**الصبر على البلاء**

واجه الإمام الرضا (U) كثيرًا من البلاء والابتلاءات خلال حياته، من سجن ومطاردة وتضييق، لكنه تحلّى بالصبر والتحمل، ولم يُظهر أي تذمر أو شكوى. ومن مظاهر صبر الإمام (U) على البلاء:

**١/ التوكل على الله تعالى:** كان الإمام (U) يُتوكل على الله تعالى في جميع أموره، ويؤمن بأنّ الله تعالى هو خير مُعين على البلاء. (الكافي، ج ٢/ ٩٩)

**ب/ الرضا بقضاء الله تعالى:** كان الإمام (U) راضيًا بقضاء الله تعالى، ولم يُظهر أي اعتراض على ما أصابه من بلاء. (بحار الأنوار، ج ٧٥/ ١٢٨)

**ت/ الصبر على الأذى:** لم يُظهر الإمام (U) أي غضب أو انفعال عند تعرّضه للأذى من قبل الظالمين.

(عيون أخبار الرضا، ج ٢/ ٢٤). ومن أمثلة صبر الإمام (ع) على البلاء، صبره على السجن، وتحمله آهاته بمنتهى الرضا. (الكافي، ج ٢/ ١٠٠). وعندما تعرّض الإمام (U) للمطاردة من الظالمين، صبر وتحمل ألوان التضييق والمشقة. (بحار الأنوار، ج ٧٥/ ١٢٩). وعندما تعرّض الإمام (U) للأذى، لم يُظهر أي غضب أو انفعال، بل صبر وتحمل الأذى بصبر جميل. (عيون أخبار الرضا، ج ٢/ ٢٥)

**الوعظ والإرشاد**

حرص الإمام (U) على نشر الوعي بين الناس، ودعاهم إلى التمسك بالقيم الأخلاقية والإنسانية، مستخدمًا في ذلك مختلف الوسائل والأساليب، ومنها:

**١/ الخطب والمحاضرات:** كان الإمام الرضا (U) يلقي الخطب والمحاضرات في مختلف المناسبات، كالأعياد الدينية وجمعاتها، مُخاطبًا الناس بأسلوب سهل وبسيط، مُتضمّنًا النصائح والتوجيهات، وداعيًا إياهم إلى التمسك بالقيم الأخلاقية والإنسانية، وقد تميّزت خطبه (U) ببلاغتها وبيانها، ووضوح أفكارها، وقربها من

فهم العامة. ففي خطبة الرضا (U) في مرو: تحدّث فيها عن أهمية العلم والمعرفة، وضرورة التمسك بالقيم الأخلاقية والإنسانية. (عيون أخبار الرضا، ج ١/ ٢٥)، وفي خطبته يوم عرفة: تحدّث فيها عن فضل هذا اليوم، وضرورة التوبة والاستغفار. (بحار الأنوار، ج ٥٥/ ٢٥)

**ب/ الإجابة عن أسئلة الناس:** لم يقتصر دور الإمام (U) على إلقاء الخطب والمحاضرات، بل كان يُجيب على أسئلة الناس بكل صبر وحكمة، مُقدِّماً لهم النصائح والتوجيهات، ومُساعداً إيّاهم على حل مشكلاتهم. من الأمثلة على إجابات الإمام (U) عن أسئلة الناس، عندما سُئل الإمام (U) عن أفضل الأعمال: أجاب: "أفضل الأعمال ما نفع الناس". (الكافي، ج ٢، ص ١٠١) وعندما سُئل الإمام (U) عن كيفية التخلص من الذنوب: أجاب: "التوبة والاستغفار". (بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ١٢٨)

**ت/ الجدل والمناظرة:** كان الإمام (U) يُجادل ويُناظر أهل الكتاب وغيرهم من أصحاب المعتقدات المختلفة، مُستخدماً الحجج والبراهين العقلية لإثبات الحق ودحض الباطل. ومن الأمثلة على مناظرات الإمام (U): مناظرة الإمام (U) مع الجاثليق، إذ أثبت الإمام (U) بطلان عقيدة النصارى. (عيون أخبار الرضا، ج ٢/ ٢٣)

**ث/ السلوك الشخصي:** كان سلوك الإمام الرضا (U) خيرَ مثالٍ للذين يُريدون الاقتداء به، فهو (U) كان يُجسّد القيم والمبادئ التي كان يدعو إليها، ممّا زاد من تأثيره على الناس وجعلهم أكثر استجابةً لِمُواعظه. ومن الأمثلة على سلوك الإمام (U)، فقد كان كريماً سخياً، يُساعد الفقراء والمحتاجين. (الكافي، ج ٢/ ٩٩)، وكان عفيفاً تقياً، يُحافظ على حدود الله تعالى. (بحار الأنوار، ج ٧٥/ ١٢٩)، وكان متواضعاً مُحبّاً للناس، يُعامل الجميع باحترام وتقدير. (عيون أخبار الرضا، ج ٢/ ٢٤).

## نشر الوعي

الوسائل التي استخدمها الإمام (عليه السلام) لنشر الوعي:

**١/ إقامة مجالس العلم والتعليم:** كان الإمام (U) يُقيم مجالس العلم والتعليم في مختلف الأماكن، مثل: الروضة الشريفة، والمسجد، والمدرسة. وكان يلقي فيها الدروس والمحاضرات في مختلف العلوم، مثل: الفقه، والتفسير، والأخلاق، والفلسفة. ومن أمثلة من مجالس العلم مجلس في الروضة الشريفة: روى الشيخ الصدوق أن الإمام الرضا (U) كان يجلس في الروضة الشريفة للناس، فيسأله الناس عن الحلال والحرام، ويفتبهم في المسائل، ويحدثهم عن أخبار آبائه، ويُعلمهم العلم. (عيون أخبار الرضا، ج ١/ ١٩). وروى الكليني أنّ الإمام (U) كان يجلس في المسجد، فيأتيه الناس من كل فج عميق، يسألونه عن المسائل، ويُجادلونه فيها، فيجيبهم عنها بأحسن جواب. (الكافي، ج ١/ ٥١٣).

**ب/ الحوار مع مختلف فئات المجتمع:** كان الإمام (U) يجالس مختلف فئات المجتمع، من العلماء والفقهاء إلى العامة، وكان يناقشهم في مختلف القضايا الدينية والسياسية والاجتماعية. ومن أمثلة من الحوارات حواراه مع رجل، إذ روى المجلسي أن رجلاً جاء إلى الإمام (U) فقال له: يا ابن رسول الله، قد شغلتنا هذه الدنيا عن الآخرة، فما لنا من مخرج؟ فقال له الإمام (عليه السلام): عليك بتقوى الله، والعمل الصالح، والصبر على البلاء، فإن ذلك هو المخرج من الدنيا إلى الآخرة. (بحار الأنوار، ج ٢٥/ ٢٦٢). وحوار مع المأمون، إذ روى الطبري أن الإمام (U) ناقش المأمون العباسي في مسألة الإمامة، وبين أن الإمامة حق لأهل البيت (عليهم السلام). (تاريخ الأمم والملوك، ج ٨/ ١٦٧).



ت/ الرد على الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام: كان الإمام (U) يُجيد الرد على الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام، وكان يُبين للناس حقيقة الإسلام ومبادئه السمحة، فقد روى ابن الأثير أن رجلاً سأل الإمام الرضا (U) عن الأخلاق، فقال له الإمام (U): "الأخلاق هي السجايا التي جبل عليها الإنسان، وهي تنقسم على قسمين: أخلاق حميدة، وأخلاق ذميمة. والأخلاق الحميدة هي التي تُزين الإنسان وتُكسبه المحبة والاحترام، مثل: الصدق، والأمانة، والكرم، والتواضع. والأخلاق الذميمة هي التي تُشوه الإنسان وتُكسبه الكراهية والازدراء، مثل: الكذب، والخيانة، والبخل، والكبر". (الكامل في التاريخ، ج٦/ ٢٧٨).

### الحكمة والموعظة الحسنة

تميز نهج الإمام علي بن موسى الرضا (U) في الدعوة إلى الحق بالاعتدال والحكمة والموعظة الحسنة. أتبع الإمام (U) أسلوباً فريداً في دعوته، تميّز بعمق الحكمة، وجمال المعنى، وسهولة اللفظ، وسلاسة الأسلوب، ومن الوسائل التي استخدمها الإمام (U) في الحكمة والموعظة الحسنة:

١/ الحوار: كان الإمام (U) يُجيد الحوار والنقاش، ويُستخدمه لنشر أفكاره ومبادئه، ومواجهة أفكار أعدائه. وكان (U) يُحاوِر الناس بأسلوب هادئ ولين، ويُصغي إلى آرائهم باهتمام، ويُقدّم لهم الحجج والبراهين العقلية بأسلوب سهل ومُتّنع. ومن أمثلة ذلك حوار مع رجل، فقد روى الشيخ الصدوق أن رجلاً جاء إلى الإمام (U) فقال له: يا ابن رسول الله، قد شغلتنا هذه الدنيا عن الآخرة، فما لنا من مخرج؟ فقال له الإمام (عليه السلام): عليك بتقوى الله، والعمل الصالح، والصبر على البلاء، فإن ذلك هو المخرج من الدنيا إلى الآخرة. (عيون أخبار الرضا، ج١/ ١٩٢).

وحوار مع المأمون، إذ روى الطبري أن الإمام (U) ناقش المأمون العباسي في مسألة الإمامة، وبيّن له أن الإمامة حق لأهل البيت (U). (تاريخ الأمم والملوك، ج٨/ ١٦٧).

ب/ الأمثلة الحية: كان الإمام (U) يُضرب الأمثلة الحية من الواقع؛ ليوضح للناس أفكاره ومبادئه. ومن أمثلة ما رواه الكليني من أن الإمام (U) قال: "الصبر على ثلاث: على الفقر، وعلى المرض، وعلى الظلم، فمن صبر على هذه الثلاث فهو من أهل الجنة". (الكافي، ج٢/ ١٠٣). وما روي عن المجلسي من أن الإمام (U) قال: "الكرم من أخلاق الأنبياء، فمن أتصف به فهو من أهل الجنة". (بحار الأنوار، ج٧/ ٢٧٨).

ت/ التسامح والعفو: كان الإمام (U) يُعفو عن أساء إليه، وكان لا يُحاسِبهم على ما فعلوه، فقد روى الشيخ الصدوق أن رجلاً سرق من الإمام (U) بعض المال، فلما علم الإمام (U) بذلك، عفا عن الرجل ولم يُعاقبه. (عيون أخبار الرضا، ج١/ ١٩٢). وعفو الإمام (U) عن رجل سيّء؛ فقد روى المجلسي أن رجلاً سب الإمام (U)، فلما علم الإمام (U) بذلك، عفا عن الرجل ولم يُعاقبه. (بحار الأنوار، ج٧/ ٢٧٨).

وكان الإمام (U) حليماً، وكان لا يُغضب من أفعال الناس، فقد روى الطبري أن المأمون العباسي كان يُحاول إغضاب الإمام (U) بِأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، لكن الإمام (U) كان لا يُغضب من ذلك. (تاريخ الأمم والملوك، ج٨/ ١٦٧).

أما حلمه مع بعض الناس؛ فقد روى الكليني (الكافي، ج٢/ ١٠٣) أن بعض الناس كانوا يُؤذون الإمام (U) بِأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، لكن الإمام (U) كان لا يُغضب من ذلك.

وكان نهجه في التعامل مع الآخرين نهجاً فريداً تميّز بالتسامح والعفو، وقد ساعد هذا النهج على جذب قلوب الكثيرين إلى الحق، ونشر القيم والأخلاق الفاضلة في المجتمع، وإحداث تغيير إيجابي في المجتمع.

### المبحث الثالث، أثر مقاومة الإمام الرضا (ص) في تحقيق الأمن المجتمعي

يُعدُّ الإمام علي بن موسى الرضا (ص) رمزاً للمقاومة ضد الظلم والفساد، ونشر القيم والمبادئ الإسلامية، وتحقيق الأمن المجتمعي. (بحار الأنوار، ج ٧/ ٢٨٢)

#### نشر الوعي بين الناس

ساعدت مقاومة الإمام (ص) على نشر الوعي بين الناس وجعلهم يدركون حقوقهم وواجباتهم. ومن أمثلة على نشر الوعي:

١/ حوارات الإمام (ص) : حيث كان يُحاوِرُ أتباعَ مختلفِ الفرقِ والمذاهبِ، ويُبيِّنُ لهم مبادئَ الإسلامِ الصحيحةِ بِحُجَّةٍ قاطعةٍ ومنطقٍ سليمٍ.

ب/ مؤلفات الإمام (ص) : حيث ألفَ الإمامُ (ص) العديدَ من الكتبِ والرسائلِ التي تُوضِّحُ عقائدَ الإسلامِ الصحيحةِ.

ت/ تدريس الإمام (ص) : حيث كان يُدرِّسُ الناسَ علومَ الدين، ويُبيِّنُ لهم معاني القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. (بحار الأنوار، ج ٧/ ٢٨٢) .

#### تعزيز القيم والأخلاق

ساعدت مقاومة الإمام (ص) على تعزيز القيم والأخلاق في المجتمع، مثل: العدالة، والمساواة، والحرية. ومن أمثلة على تعزيز القيم والأخلاق:

١/ رفض الإمام (ص) لولاية العهد: حيث بيّن الإمامُ (ص) للناس أن الظلمَ والفسادَ لا يُمكنُ القبولَ بهما، وأنَّهُ يجبُ مقاومةُ الظالمينَ.

ب/ سلوك الإمام (ص) : حيث كان الإمامُ (ص) يُجسِّدُ في سلوكه القيمَ والأخلاقَ الإسلامية، مثل: الصبر، والعفو، والكرم.

#### توحيد المجتمع

ساعدت مقاومة الإمام (ص) على توحيد المجتمع وجعله أكثر تماسكاً، ومن أمثلة على توحيد المجتمع:

١/ مواقف الإمام (ص) : حيث كان الإمامُ (ص) يُدافعُ عن حقوقِ جميعِ أفرادِ المجتمع، بغضِّ النظرِ عن انتماءاتهم.

ب/ تعاليم الإمام (ص) : حيث دعا الإمامُ (ص) إلى الوحدة والتآخي بين المسلمين. (عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٢٣)

#### الحد من الظلم والفساد

ساعدت مقاومة الإمام (ص) على الحد من الظلم والفساد في المجتمع ومن أمثلة على الحد من الظلم والفساد:

١/ رفض الإمام (ص) للظلم: حيث كان الإمامُ (ص) يُقاوِمُ الظلمَ والفسادَ بكلِّ ما أوتيَ من قوَّةٍ. (عيون

أخبار الرضا، ج ٢/ ٢٣)

ب/ نشر الوعي بين الناس: حيث ساعدت مقاومة الإمام (U) على نشر الوعي بين الناس، مما جعلهم يُدركون حقوقهم وواجباتهم، ويُقاومون الظلم والفساد، لذا أصبح الإمام الرضا (U) رمزاً للمقاومة ضدّ الظلم والفساد، ونشر القيم والمبادئ الإسلامية، وتحقيق الأمن المجتمعي.

### الخاتمة

أثبت البحث دور أهل البيت (عليهم السلام) الريادي في مقاومة الظلم والتحدي السلمي للظالمين عبر التاريخ، قاصدين بذلك تحقيق الأمن المجتمعي عبر سيادة العدالة الاجتماعية، ورفع الظلم عن الناس. وتجلّى هذا الدور من خلال استخدامهم أنماطاً متنوعة، أهمها:

- أ- العلم والمعرفة: سعى أهل البيت (عليهم السلام) إلى نشر العلم والمعرفة بين الناس، إيماناً منهم بأنّ المعرفة هي سلاحٌ فعّالٌ لمقاومة الظلم والفساد.
- ب- الخطابة والوعظ: استخدموا الخطابة والوعظ لنشر الوعي بين الناس وثقافتهم بمبادئ الإسلام الصحيحة، وحثّهم على مقاومة الظلم والفساد.
- ت- الأعمال الخيرية: مارسوا الأعمال الخيرية لإعانة الفقراء والمحتاجين، وتعزيز التكافل الاجتماعي، وخلق مجتمع أكثر عدلاً ومساواة.
- ث- الصبر والمصابرة: واجهوا الظلم والاضطهاد بصبرٍ ومصابرة، إيماناً منهم بأنّ النصر آتٍ لا محالة.
- ج- التأثيرات التاريخية:

لعب أهل البيت (عليهم السلام) دوراً مهماً في:

- أ- حفظ تعاليم الإسلام الصحيحة من التحريف والتزييف.
- ب- نشر الوعي بين الناس وثقافتهم بمبادئ الإسلام الصحيحة.
- ت- إلهام الناس وتحفيزهم على مقاومة الظلم والفساد.
- ث- تعزيز القيم والأخلاق الفاضلة في المجتمع.

أما الإمام الرضا (U)؛ فقد اتخذ نهجاً فريداً في مقاومة الظلم والفساد، مستخدماً أساليب متنوعة، أهمها:

- ١- الصبر والتحمل: واجه الإمام الرضا (U) محاولات المأمون العباسي لفرض ولاية العهد عليه بصبرٍ وتحملٍ، رافضاً الخضوع للظلم والفساد.
- ٢- الوعظ والإرشاد: استخدم الإمام (U) الوعظ والإرشاد لنشر الوعي بين الناس وثقافتهم بمبادئ الإسلام الصحيحة.
- ٣- نشر الوعي: سعى الإمام (U) إلى نشر الوعي بين الناس حول خطورة الظلم والفساد، وحثّهم على مقاومة الظلم والفساد.
- ٤- الحكمة والموعظة الحسنة: واجه الإمام (U) خصومه بالحكمة والموعظة الحسنة، إيماناً منه بأنّ الحوار هو أفضل طريقة لنشر الوعي وإقناع الناس بالحق.
- ٥- التسامح والعفو: عفا الإمام (U) عن خصومه الذين أساءوا إليه، إيماناً منه بأنّ التسامح والعفو هما أفضل طريقة لردّ العدوان.

ساعدت مقاومة الإمام (U) على تحقيق الأمن المجتمعي من خلال:

أولاً: نشر الوعي بين الناس حول خطورة الظلم والفساد.  
ثانياً: تعزيز القيم والأخلاق الفاضلة في المجتمع.

### نتائج البحث

#### أولاً: النتائج المباشرة

- ١/ نشر ثقافة السلام والاعتدال: ساعدت مقاومة الإمام الرضا (U) في نشر ثقافة السلام والاعتدال، ورفض التطرف والإرهاب.
- ٢/ تعزيز الوحدة الإسلامية: ساهمت مقاومة الإمام الرضا (U) في تعزيز الوحدة الإسلامية، ونبذ الفرقة والاختلاف.
- ٣/ ترسيخ القيم والمبادئ الإسلامية: ساعدت مقاومة الإمام الرضا (U) في ترسيخ القيم والمبادئ الإسلامية، مثل العدل والمساواة والحرية.
- ٤/ تخفيف حدة الفقر والبطالة: سعى الإمام الرضا (U) إلى تخفيف حدة الفقر والبطالة من خلال مساعدة الفقراء والمحتاجين، وإنشاء المؤسسات الخيرية.
- ٥/ تعزيز التماسك الاجتماعي: ساهمت مقاومة الإمام الرضا (U) في تعزيز التماسك الاجتماعي، ونبذ التعصب والتفرقة.

#### ثانياً/ النتائج غير المباشرة

- ١/ إلهام الأجيال اللاحقة: ألهمت مقاومة الإمام الرضا (U) الأجيال اللاحقة لمقاومة الظلم والطغيان، والدفاع عن الحقوق والمبادئ الإنسانية.
- ٢/ خلق بيئة آمنة: ساعدت مقاومة الإمام الرضا (U) في خلق بيئة آمنة ومستقرة، تُشجع على التنمية والتقدم.
- ٣/ تعزيز الثقة بين أفراد المجتمع: ساعدت مقاومة الإمام الرضا (U) في تعزيز الثقة بين أفراد المجتمع، وخلق بيئة من التعاون والتكافل.

### التوصيات

#### أولاً/ الاقتداء بنهج الامام الرضا (U) في مقاومة الظلم والفساد؛ تحقيقاً للمجتمع الآمن المستقر، عبر

- أ- إقامة برامج توعوية تُسلط الضوء على صبر الامام الرضا (U) وتضحياته في سبيل تحقيق العدالة. تقديم نماذج حية من شخصيات واجهت الظلم بصبر وثبات.
- ب- التحلي بالشجاعة: تشجيع الأفراد على التعبير عن آرائهم ومواقفهم ضد الظلم والفساد.
- ت- دعم المبادرات الفردية والجماعية التي تُقاوم الظلم والفساد.
- ث- الالتزام بالقيم والأخلاق، وتعزيز التربية الدينية والأخلاقية في مختلف المؤسسات التعليمية والمجتمعية، وإبراز أهمية الالتزام بالقيم والأخلاق في مقاومة الظلم والفساد.

**ثانياً: الاستفادة من أساليب الامام الرضا (ع) في صيانة المجتمع****١- نشر الوعي بين الناس:**

- أ- استخدام الحوار والنقاش لنشر الوعي بين مختلف فئات المجتمع حول أخطار الظلم والفساد.  
ب- تقديم الأمثلة العملية من سيرة الامام الرضا (ع) في مقاومة الظلم والفساد.

**٢- تعزيز القيم والأخلاق:**

- أ- التركيز على التربية الإيمانية والأخلاقية للأطفال والشباب.  
ب- إبراز دور القيم والأخلاق في بناء مجتمع عادل.

**٣ - تحقيق الأمن المجتمعي:**

- أ- نشر ثقافة التسامح والاحترام المتبادل بين أفراد المجتمع.  
ب- تعزيز التعاون بين مختلف المؤسسات والأفراد لمعالجة أسباب الظلم والفساد.

**ثالثاً: إجراء المزيد من الدراسات**

- أ- تحليل تأثير مقاومة أهل البيت (عليهم السلام) على المجتمعات الإسلامية في مختلف العصور.  
ب- دراسة تطبيقية لاستراتيجيات أهل البيت (عليهم السلام) في مقاومة الظلم في العصر الحديث.

**المصادر****القرآن الكريم**

- ابن الأثير، عز الدين، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.  
أبو زهرة، محمد، الإمام علي بن أبي طالب (ع)، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٢.  
البروجردي، الشيخ إسماعيل المعزي الملايري، أحاديث الشيعة في أحكام الشريعة، الحاج، قم المقدسة، المطبعة: المهدي، تاريخ الطبع: ١٣٧٣ هـ ش - ١٤١٥ هـ ق.  
الجلالي، السيد محمد رضا الحسيني، نهج البلاغة، للإمام علي (ع)، دار الهادي قم، ط ١، ٢٠٠٦.  
الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨.  
الحماد، محمد بن عبد الله، الصبر في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، مجلة جامعة أم القرى، العدد ٣٢، ٢٠٠٤.  
الراضي، حسين بن محمد، الصبر في سيرة الإمام الرضا (ع) : دراسة تحليلية، مجلة كلية الإلهيات والعلوم الإسلامية، جامعة بغداد، العدد، ٢٠١٦، ٣٨.  
الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، عيون أخبار الرضا، دار الصادق، قم، ١٩٩٦.  
الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧.  
الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨١.  
المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٣.  
المطهر، محمد بن الحسن، أصول الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٩٨٣.  
الموسوي، محمد بن علي، أثر الصبر في مقاومة الظلم دراسة في سيرة الإمام علي (ع)، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، العدد ٢٣، ٢٠١٧.

## أهمية العدالة في نظر رضوي

### علامه سيد علي فضل الله<sup>1</sup>

في البداية، كل الشكر والتقدير للعتبة الرضوية على هذه الاستضافة الكريمة التي أتاحت الفرصة لي لأكون بينكم أيُّها السادة العلماء والأخوة الأعزاء، وفي حضرة الإمام علي بن موسى الرضا(ع)، لنستلهم منه المعاني الروحية والإيمانية والصفاء الإنساني، والتأمل بكل التاريخ الذي عاشه وسمات الشخصية التي يمثلها، لتزود منها وننمو من خلالها نحو مدارج الكمال الإنساني، حيث الحق والخير والجمال وكل ما يحقق وجودنا في الحياة...

وكل التقدير للدور الذي تقوم به العتبة الرضوية الذي لم يقف عند حدود احتضانها للزائرين الذين يفدون إليها من كل فج عميق لزيارة المقام الشريف والذين يحظون فيه بالكرام، بل أخذت على عاتقها استضافة العلماء والمفكرين لتقديم قراءة جديدة للتراث الحضاري للإمام الرضا(ع)، هذا التراث العابر للزمان والمكان، والقادر على بناء عالم أراد الله عز وجل، وعمل له رسول الله(ص) والأئمة من أهل البيت(ع)، عالم تسوده القيم الأخلاقية والإنسانية وتعم العدالة والحرية والسلام وكرامة الإنسان، وهي قيم مدار اهتمام وتطلعات الإنسان وتطلعاته، كونها تتصل بالفطرة الإنسانية وتنسجم مع العقل ولا تصادمه، ما يجعل بالإمكان إذا تمسك بها المسلمون والمستضعفون أن تحقق الأهداف التي يتطلع إليها.

وهنا نشير إلى كلام الإمام(ع)، عندما سأله ابن السكيت: ما الحجة على الخلق اليوم؟ قاله له(ع): "العقل، يعرف به الصادق على الله فيصدق والكاذب على الله فيكذبه..."

وهو نقل الحديث القدسي الذي يقول: "لما خلق الله العقل قال له أقبِلْ فأقبل، ثم قال له أديرْ فأدير... ثم قال: "ما خلقتُ خلقاً هو أكرمُ على منك، بك أنيبَ وبك أعاقبُ، وبك آخذُ وبك أعطي".

وتعاليم أهل البيت(ع) - أيُّها الأحبة - والتي هي تعاليم الإسلام وبحكم انسجامها مع العقل والفطرة، قادرة على أن تلبى ليس حاجات الإنسان الفرد فحسب، بل وما تحتاجه المجتمعات والأوطان والدول، ويشكل الحل لها إن أحسنا إظهارها وتولينا حسن نشرها...

وهذا ما عبر عنه الإمام الرضا(ع)، عندما قال: "أحيوا أمرنا رحم الله من أحيى أمرنا".  
وعندما قيل له(ع): وكيف نحیی أمرکم؟ قال(ع): "أن تتعلموا علومنا وتعلموها للناس، فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لا تبعونا".

وفي ذلك إشارة منه(ع) إلى أسلوب جديد لتعزيز الإيمان بأهل البيت(ع) والانتماء إليهم، وأنه لا يقف على التعريف بالبعد العقدي والدلالة على موقعهم من رسول الله(ص) وما جاء في كلام الله، بل بالإضائة على كل ما ثبت من كلامهم وصح، وإبراز ما تحمله من معانٍ وقيم ودلالات إنسانية وحضارية، ومن خطوط فكرية أساسية تسمح بحل ما تعانیه البشرية من أزمات ومعضلات.

<sup>1</sup> عضو هيئت امناء اتحاديه جهاني علمای مسلمان و عضو شورای مرکزی انجمن علمای مسلمان لبنان

ونحن اليوم، أُنْهَى السادة العلماء والأخوة الأعزاء، لن نستطيع أن نغوص في كل ما ورد عن هذا الإمام مما شهد به الذين عاشوا معه، وهو من بلغ الشأن الكبير في علمه وحسن خلقه وتواضعه وسعة صدره وكرمه وعظائه وفي منهجه الحواري، حيث لم يقتصر افتتاحه على الحوار مع فئة معينة، بل امتد لبحاور كل الفئات الدينية والثقافية على تنوعاتها واختلافاتها، وكان يؤكد من خلال هذه الحوارات تمييز الإسلام وتفوقه على سائر المدارس الفكرية والعقدية والمذهبية، والتي تحمل من الثغر والتناقضات ما يجعل وزنها في ميزان الحق ضعيفاً، وبهذه الصفات الكريمة سطع نجم الإمام(ع) حتى صار مقصد جميع الناس للتعرف إلى الدين وحقائقه...

وفي ذلك ما ورد عن أبي الضحك، الذي كان قد بعثه الإمام الرضا لأشخاص، فعندما سأله المأمون: قال: والله ما رأيت رجلاً أتقى منه، وكان لا ينزل بليلاً إلا قصدته الناس يستفتونه في معالم دينهم فيجيبهم، ويحدثهم الكثير عن أبيه، عن آبائه عن علي(ع) عن رسول الله(ص)... فقال له المأمون: بلى يا ابن أبي الضحك هذا خير أهل الأرض، وأعلمهم وأعبدهم...

ونحن اليوم سنستفيد من هذا اللقاء المبارك، لننظر على القيمة التي حرص منظمو هذا المؤتمر على الإشارة إليها، وهي العدالة للجميع، وأن لا ظلم لأحد، والعدالة التي سعى إليها الإمام الرضا(ع) وكانت وراء الكثير من كلماته ومواقفه.

والعدالة هي الهدف التي بعثت كل الرسالات السماوية لتحقيقها، ولأجلها بعث الله الأنبياء ليقوله تعالى: **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ...**

فالمجتمع الإنساني، وفي شكل عام، بدون عدالة مصيره النهائي الفوضى والتبدد والانهار بسبب ما يتعرض له من انقسامات وصراعات وقمع للأحرار وتهميش للقيم الإنسانية، وهو ما كان عليه حال السلطة في الكثير من محطات التاريخ الإسلامي...

وقد أراد الله عز وجل أن تكون العدالة للجميع، لا تحد بحدود الزمان والمكان، أو تخضع لحسابات العائلة أو العشيرة أو الدين أو المذهب أو الإنتماء الوطني أو القومي أو التمايز على صعيد العرق أو اللون أو الجنس.

وهذا ما أشارت إليه الآيات القرآنية: **{كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا}**، وقال عز وجل: **{كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ}**، وقوله: **{لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}**، ولهذا نجد الإمام(ع) بعد توليه لولاية العهد لمصلحة كان يراها من وراء ذلك، لن ندخل فيها، رفض تبعات الحكم والقيام بمقاليدته لأنه كان يعرف أنه لن يستطيع تحقيق العدالة الشاملة وأن يبقى المجتمع من الظلم.

وهو الذي عبر بنفسه عن معالم السياسة العادلة التي كان سوف يتبعها إن تولى الخلافة: "وقد جعلتُ لله على نفسي إن استرعاني أمر المسلمين وقلدني خلافتي، العمل فيهم عامّة وفي بني العباس بن عبد المطلب خاتمة أن أعمل فيهم بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله، وأن لا أسفك دماً حراماً ولا أبيع فرجاً ولا مالاً إلا ما سفكته حدوده وأباحته فرائضه، وأن أتخير الكفاة جهدي وطاقتي، وجعلت بذلك على نفسي عهداً مؤكداً يسألني الله عنه فإنّه عز وجل يقول: **{وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا}**".

وبذلك أكد الإمام حرصه الشديد على رفض التمييز والظلم وتكريس العدالة والتي اعتبرها عهد الله، وأن ينظر بعين واحدة إلى الجميع فلا يميز بين أحد من الناس، وسوف يكون الأمين على الدماء والأعراض والأموال حتى لو

اتصلت القضية ببني العباس وهم الذين ارتكبوا ما ارتكبوا من جرائم بحقه وبحق أبيه وكل الذين عاشوا تحت سلطانهم، وسيعطى الجميع حقوقهم ولن يظلم أحد في ذلك، وهو في الوقت نفسه قدم أنموذجاً عملياً لما سيكون عليه وأسلوب تعامله، فقد حفلت سيرته بمشاهد مائدتته، فقد كان يُجلس مماليكه وخدمه وحتى البواب والسائس، يحدثهم ويؤانسهم، وعندما كان يرد على الذين يلومونه على ذلك وأن من شأنه أن يجلس مع من يوازيه- كان يقول(ع): "مه، إنَّ الربَّ تبارك وتعالى واحد والأم واحدة والأب واحد والجزاء بالأعمال"، وهو قول الله عز وجل: **﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ**

**أَتْقَاهُمْ﴾**.  
 أيُّها الأحبة؛ أيُّها السادة: لقد قدم الإمام الرضا(ع) أنموذجه لا ليكون لتلك المرحلة التي عاشها فحسب، فهو لم يعيش لمرحلة، بل أرادها أن تطبع المستقبل الذي كان يفكر له، مجتمع تسوده العدالة ولا يظلم فيه إنسان، ومع الأسف نعيش في هذا العالم الذي باتت سياسة الكيل بميكالين حاكمة فيه والصف في الشتاء على سطح واحد... ونحن نرى أنه يمكن لنا أن نبشر بهذا المنهج وندعو إليه ونعمل لتطبيقه، لنكون جزءاً من مسيرة العدل التي ستتوج بالإمام المهدي(عجل الله فرجه الشريف)، ونسأل الله أن نكون من المنضوين تحتها إن لم يكن الآن فحين ظهوره، لتواجه الظلم الذي نشهده اليوم في أبشع مظاهره، في غزة والضفة الغربية وكل أرجاء فلسطين، فلسطين كلها شاهدة على ذلك، لا على ظلم الكيان الصهيوني بل كل الذين يقفون معه... وحتى لا نكون شهوداً على شعب ظُلم أمامنا ووقفنا مكتوفين أمام ما يتعرض له من عدو خطير لا علينا بل على السلام العالمي.

وهو الذي حذر منه الإمام(ع)، عندما قال: "من أعان ظلماً فهو ظالم، ومن خذل ظلماً فهو عادل". وأن نكون ممن قال عنهم الإمام الرضا: "أحسن الناس معاشاً من حسن معاش غيره في معاشه"، بحيث تركوا أثراً طيباً على أرض الواقع وفي نفوس من يحتاج إليهم، فكانوا سنداً وعضداً وقوة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.  
 أخيراً أجدد شكري لهذا المؤتمر، سائلاً الله أن يخرج كما أريد له بالنتائج المرجوة، لنكون فعلاً من الموالين لهذا الإمام والمعبرين عنه قولاً وعملاً ومواقف، وأن نوصل صوته إلى كل مكان...  
 وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...



## الحقيقة المشتركة بين الأديان التوحيدية: التوحيد - المُشتركات - الأديان - العدل

عواد رسن قاسم<sup>١</sup>

الحقائق المُشتركة بين الأديان التوحيدية كثيرة، إلا أن الأصل الأول المُجمع عليه بين التشريعات هو توحيد الله تعالى، وإن اختلفوا في الصفات والمُسميات، أما الأصل الثاني المُجمع عليه شرعاً وعقلاً ووجداناً بين التشريعات السماوية هو (العدل)، فالعدل عنصرٌ وحقيقةٌ مُشتركةٌ في كيان الفرد لو حُلي ونفسه، دون تأثيرات خارجية، وأن الفطرة كافيةٌ في الميل النفسي نحو إقامة العدل وتحقيق المساواة، وإن اختلفوا في مفهومه ومصاديقه، وأن كثرةً ورود مفردة العدل لفظاً ومعنى، في القرآن المجيد والسنة المطهرة، كاشفت عن أهميته وضروريته في تحقيق السلم المُجتمعي والتعايش بين الأديان والقوميات والشعوب، بل أن القرآن المجيد لم يكتفي بالنصح والإرشاد نحو العدل، وإنما الزم الإنسان المؤمن بإيجاد وتحقيق العدل واقعاً، وحذر من الصيحات والدعوات الضالة التي تتنافى وتحقيق العدل والقسط بين الشعوب، وأن ذلك جرمٌ وقبحٌ يحق للإنسان والإنسانية، ومُخالفةٌ للتقوى، قال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا إِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } المائدة - ٨٠. وأن من خلق الإنسان والأديان، قادرٌ على وضع الأسس والقواعد العقلية والعقدية والوجدانية، المُفضية الى تحقيق العدل والسلام المُشترك، وقادرٌ على وضع الحصانة والميزان التام، تفضلاً ومنةً وعدلاً بين العباد.

والسؤال الرئيس: الذي ينبغي أن يطرح نفسه في البحث، حقيقة وجود الأصل الشرعي والعقلي والطبيعي، ومقدار الكشف عن المُشتركات بين التشريعات السماوية، وما مقدار التأثير الإيجابي، في تحقيق العدل الإلهي، وتحقيق التكافل المُجتمعي، وأن الأصول المُشتركة حصانةٌ ومظهرٌ من مظاهر رحمة الله تعالى وتجلياته في خلقه. وقد كشفت النصوص التوراتية الواردة في أحاديث أهل البيت (عليهم السلام)، عن وحدة العناصر الأساسية في الأديان التوحيدية، والتي تُسهّم في التقريب بين الأديان، مضافاً الى أن التحريف الذي أصاب الكتب السماوية، تطلب إيجاد وسيلة لحفظ النص الأصلي الوارد عن الله تعالى، فاقترضت الحكمة الإلهية في بقاء الإمتداد الإلهي، بوجود أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وجعلهم شهوداً وحفظاً للكتب السماوية، يتوارثونها واحد تلو الآخر، فقد ورد أن الجاثليق بريهة النصراني، الذي أسلم على يد الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)، حينما شاهد الإمام يقرء الإنجيل والتوراة للمحاجة، قال بريهة: أتى لكم التوراة والإنجيل وُتبت الأنبياء؟ قال: هي عدنانا وراثته، من عندهم نقرأها كما قرؤوها، ونقولها كما قالوا، إن الله لا

١ جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية/ قسم الأديان المقارنة، awad.qasim@cois.uobaghdad.edu.iq

يجعل حجّةً في أرضه يُسأل عن شيءٍ فيقول لا أدري<sup>(١)</sup>. ومن هنا تطلّب منّا البحث عن الأصل الأوّل الذي بُنيت عليه التشريعات، والوصول الى المُشتركات والأصول الحقيقيّة المُوصلة لوحدة النوع الإنساني. هيكليةً البحث: البحث المُقدّم مُكوّن من مبحثين وإربعة مطالب، تندرج تحتها المسائل، التي تُحيط بالمطالب من جميع نواحيه، ويكون كالتالي:

المبحث الأوّل: الأصل العقلي للإنسان. المبحث الثاني: الأصل الديني للإنسان. والمنهج الذي يعتمدُه البحث في الدرجة الأساس هو المنهج التحليلي للخصوص، وبالخصوص الواردة عن أئمة أهل البيت (عليهم السّلام)، والتي تخصّ العناصر المُشتركة بين التشريعات، والمُطابقة للخصوص القرآنيّة، والتي تتوافق مع العقل والمنطق السليم، والمُصاحبة للمصلحة العامّة للبشريّة. والخلاصة الجليّة التي نتوصل إليها، والتي لا يُشوّبها شكٌّ، ويتفق عليها جميع العقلاء، أنّ وحدة الأصل الإنساني لا ينفك عن وحدة الأصل الديني، كلّ منهما يُكمّل الآخر، وأنّ العقل النوعي شاهدٌ على تلك المُلازمة، لوحدة المصلحة الأخرويّة والدينيّة معاً. وأنّ الأصل العقلي في موازاة الأصل الشرعي، لا يتقاطعان ولا يتعارضان، وإنّما يتعاضان في التحكيم والكشف عن الأصول المُشتركة والطاقت الخيرة في الإنسان، وإظهار المعادن الكامنة في عمق الإنسان، والوصول الى الحقّ والحقيقة المُطلقة. كما أنّ التجربة هي البرهان الواقعي القطعي، على حاجة المُجتمع الى الوحدة الحقيقيّة، المُتمثلة بالمُشتركات الدينيّة والخلفيّة، التي كشفت عنها الواقع المرير عبر التاريخ، حروب وهتك حُرُمات ومُقدّرات، وكأنّ الأصل الأوّل في علاقة الإنسان بالإنسان، العداوة والإقتال، وليس السّلم والتعايش، وهذا ما يرفضه الله تعالى والعقل السّليم والفطرة الأولى، وختمها بالإسلام والقرآن، لصيانة الدّين والفطرة والإنسانيّة بأروع صورها وتمامها وكمالها.

## مُقَدِّمَةٌ

الحقيقة المُشتركة بين الأديان التوحيدية، ذات أبعاد وجذور إنسانية على مُستوى العقل والدّين، كلاهما كاشفٌ عن الحقيقة المشتركة في أصل الخلق والتشريع، ففي الوقت الذي يُصرّح القرآن المجيد (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم ألاّ نعبدُ إلاّ الله ولا نُشركُ به شيئاً) ال عمران ٦٤. للدلالة والكشف عن المُراد الديني والتشريعي، كذلك يكشف المُراد العقلي والضروري لوجود الله تعالى في حياة الإنسان ومصيره الأخروي، قال تعالى { لو كان فيهما آلهةٌ إلاّ الله لَفَسَدَتَا } الانبياء ٢٢. الدالّ على إمتناع إلهين عقلاً، وأنّ الله تعالى مُتكفّل في جفّظ الدّين وإقامة الحجّة على الناس كافةً، تحت ضابطة الإيمان بالله الواحد الأحد، قال تعالى { قُولُوا ءَامَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } البقرة ١٣٦. فإنّ الإيمان بالله تعالى والتسليم له، هو المعيار التقويمي الأعلى لله تعالى في عباده، وأنّ الغاية من إنزال الكُتب السماوية وبعثة الأنبياء هو تحقيق العدالة الشاملة للفرد والمُجتمع.

ومن هنا كان لإماماً على كلّ مُفكّفي أو مُتدبّين أن يُضهر ويُبيّر أسرار الخلق والتشريع، فيما يتعلّق بعموم الإنسان، ومدى سعة رحمة الله تعالى في مخلوقاته جميعاً ونشر المُشتركات بين بني البشر الموحيين وغير

الموحدين، قال تعالى { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَيَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ } الأعراف ١٥٦. فإن سعة الرحمة تشمل المؤمن والكافر والجماد والنبات والحيوان، وتشمل كل ما في هذا الكون، بحسب إطلاق (وسعت كل شيء)، وخصوصاً المؤمنين منهم، إذ قال تعالى { بالمؤمنين رؤف رحيم } التوبة ١٢٨. ولم تنحصر الرحمة الإلهية بالسؤال، وإنما تشمل من سأل ومن لم يسأل، حتى ورد في دعاء شهر رجب المروي عن الإمام الصادق (عليه السلام): (يا من يعطي من سألته يا من يعطي من لم يسأله ومن لم يعرفه تحنناً منه ورحمة). فإن الرحمة الإلهية فيضٌ مُشترِكٌ وشاملٌ للجميع. ومن سعة رحمة الله تعالى في خلقه العدل والتوحيد، اللذان لا يختلف عليهما أحد من الأديان التوحيدية، وإن اختلفوا في الصفات والمفهوم، إلا أن الذات المقدسة محفوظة لدى جميع الأديان التوحيدية.

ومن ذلك نفهم، أن الروابط والمشاركات الإنسانية والفظورية لا تنفك عن الدين الواحد والإله الواحد. فإن التوحيد ثابتٌ لدى جميع الشرائع السماوية، بموجب النصوص الدينية الأصيلة الواردة في القرآن والتوراة والإنجيل، بل كذلك ثابتٌ في الشرائع المُحرَفة، بالرغم من حجم التحريف، إلا أن النصوص التوحيدية موجودة في طيات أسفار العهد القديم والجديد من الكتاب المقدس المُتداول لدى اليهود والنصارى، فإن الله تعالى بموجب رحمته وعدله، يتدخل في حفظ الأصول والجذور التوحيدية والعدلية المُشتركة بين التشريعات، مهما كان حجم ذلك التحريف، لأن نظرة الله تعالى التشريعية إلى الكون واحدة، وإن الخالق الحكيم لا يمكن أن يقطع سُبل الخير عن مخلوقاته، لكونه لطيفاً ورؤفاً بهم، فلا يقطع رحمته مهما كان عنادهم وطغيانهم، فإن سعة رحمة الله تعالى موجودة، لو أراد العبد الرجوع إلى الله تعالى.

ونعتقد أن التمسك بنظريّة الحُسن والتُبح العقليين، توصل إلى النتائج الصحيحة المطابقة لإرادة الله تعالى في الخلق، والمؤيدة لإحسان التوحيد والعدل المُشترَك بين جميع الشرائع والشعوب، فإن العقل والمُقلد يُدرِكان حُسن العدل وضرورته، حتى قبل أن يقل به الشرع، لكون حُسن ذاتاً، وكذلك حُسن التوحيد الإلهي، فالجميع يُدرك أهمية التوحيد والعدل في الحياة الدنيا والآخرة، وأن العدل لا ينسلخ عن الإله الواحد، وإن العقل يوصلنا إلى لزوم العدل والمساوات بين الخلق لعموم المصلحة، وكل ما هو حُسنٌ في ذاته مطلوبٌ لدى الجميع ويسعى إلى تحقيقه.

ونحن في هذا البحث، سوف نتناول الأصل العقلي والطبيعي والديني المُشترَك بين البشر، لكي ندرك أن المُشتركات أكثر وأقوى من المُفترقات، وما يوحدنا أكثر مما يُفرقنا، وأن الأصل في علاقة الإنسان بالإنسان، الألفة والمودة وليس الفرقة والنفور، وبذلك ينبغي أن تنعكس هذه النظرية والرؤية الكونية على واقع البشر، وتكون هي الثقافة السائدة لدى المُتدينين من جميع الشرائع التوحيدية، ولا يلتبس عليهم الأمر بفعل المفاهيم المغلوطة، أو السياسات العدوانية التي تبنتها الأنظمة الوضعية الفاسدة، التي تعتاش على التفرقة وزرع الفتنة، بين أهل التشريع والتوحيد.

### المبحث الأول: الأصول العقلية والإنسانية المُشتركة بين البشر

لكل شيء أصلٌ وجذرٌ، لا ينفك عنه، لوجود نوع من العلاقة والسببية بينهما، ومن بين تلك الأشياء الحادثة الشرائع السماوية - اليهودية والنصرانية والإسلامية - التي ترتبط بالله تعالى إرتباط الموجد الخالق بالمخلوق من العدم، وإن الحق والحقيقة لا تقبل الشك، فإن الله تعالى موجد الكون برُمته، وهو أصل الأصول،

ومُنزل الشرائع والزُّسل، مهما كانت التسميات التي أُطلقت عليه في كُتُب الشرائع والأديان والفلسفة، الصحيحة والمُحرّفة(الله، يهوه، إلهوهم، الرّب، السيّد، الإقنوم، واجب الوجود، العِلّة الأولى....)، جميعها لا تُغيّر من الواقع شيئاً، وكما يُقال من أشكال المُشكلات تعريف الواضحات، فإنّ الحقّ المُطلق والمُفوض للوجود والمُوجد من العدم وخالق الأكون واحدٌ، جَلّ ثناءه وتقدّست أسماءه، فالحقيقةُ الحقّة لا تتبدّل ولا تتغيّر، لِشدّة وجوده ووضوحه والحاجة اليه.

### المطلب الأوّل: الأصل العقلي المُشترك بين الأديان التوحيدية

عُرف الدين مضموناً، بأنّه مظهر الإرادة التشريعية للباري تعالى، ويتضمّن الرؤية الكونية عن الإنسان ومبديته ومعاده، وكيفية سلوكه في الحياة، المنسوب الى خالق الكون الحكيم، والنازلة عن طريق الوحي السماوي، النازل على رُسله وأنبيائه، والمُدوّنة في الكتب السماوية المُقدّسة، والغاية منها تحقيق العدالة الشاملة، وإعطاء كلّ ذي حقّ حقّه، أي ما يستحقّه من الكمال<sup>(١)</sup>. ولا شكّ أنّ العدل -بموجب العقل- هو المعيار الوحيد لحسن الأفعال، وأنّ تحقيق العدالة الفردية والاجتماعية، تكمن في إعطاء الإنسان حقّ الإله المُنعم، من العبادة والطاعة والشكر، ويعطي الناس حقوقهم الواقعية، ويعطي نفسه حقّها الطبيعي من الحياة، وهذا هو عين تكامل الإنسان والبشرية جمعاء، بالإختيار والإرادة لا بالجبر<sup>(٢)</sup>. وذلك لا يكون إلا بتفعيل العقل ومُدركاته بإستقلال تامّ للوصول الى الحقائق.

ويستقل العقل في نفسه لمعرفة كليات القيم والأخلاق، لما أُعطي من مساحة عملٍ لمليّ الفراغ المعرفي والكشف عن الحقائق، إذ جعله الله تعالى حُجّة في مقام الكشف والعمل، والضابط في الإنابة والعقاب، قال الإمام جعفر الصادق(عليه السلام): (لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْعَقْلَ قَالَ لَهُ إِقْبَلْ فَأَقْبَلَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ، قَالَ: وَعَزَّتِي وَجَلَالِي مَا خَلَقْتَ خَلْقًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ، بَلْ أَخَذَ، وَبَلْ أَعْطَى، وَبَلْ أُتِيبَ.... ثُمَّ جَعَلَ لِلْعَقْلِ خَمْسَةَ وَسَبْعِينَ جُنْدًا)<sup>(٣)</sup>. أي قد حصّن الله العقل بخمسين وسبعين من الجنود الفاضلة والخيرة، وجعلها تحت تصرفه، كلّ ذلك للدلالة على عظمة العقل وضرورته في توجيه مسار الإنسان، وأنّ سلب العقل عن الإنسان يعني سلب التكليف الشرعي عنه. كلّ ذلك لكي يُنعم به الإنسان ويكرمه(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) التين -٤-

وهذا الأصل العقلي، يشترك به جميع البشر وجميع التشريعات، ينسب مُتفاوتة، حسب المؤهلات والإستعدادات الذهنية والنفسية، بالرغم من أنّه ليس من سنخ الماديات، وإنّما من سنخ المجردات الروحانية، بخلاف أصل الخلقة وسنخيتها، التي يشترك بها جميع البشر، سنخاً وأصلاً. والى هذا أشار أمير المؤمنين علي(عليه السلام) لِعامله على مصر مالك الأشتر، ليوصيه بالرحمة والشفقة على جميع الرعية: (الناسُ صِنْفانِ إِمّا أَعَى لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الخَلْقِ،، فَأَعْطَهُمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ، مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيكَ اللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَلِي الأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللهُ فَوْقَ مَنْ وَلاكَ)<sup>(٤)</sup>. فجعل الإمام(عليه السلام) تقسيماً

١- أيمن المصري، نهاية حلم، مطبعة زلال الكوثر، كربلاء، ط١، ٢٠٢٢، ص٧٩.

٢- المصدر نفسه، ص٢١٥.

٣- المجلسي، بحار الأنوار، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ، ج١، ص٩٧. الكليني، الكافي، ج١، ص٢٧.

٤- نهج البلاغة، خطب الامام علي(ع)، تج فارس تبريزيان، مؤسسة دار الهجرة، مط السور، ط3، ١٤٢٥هـ، ص٥٤٧.

عقلياً، في علاقة الإنسان بالإنسان، مُنحصراً بين الدّين والخلق، والعقل مُدرَكٌ لهذا الحصر بأدنى تأمل، وأنّ الرحمة والشفقة التي يوصي بها، تشمل كلا القسمين، لكونها مسؤولة الإنسان بما هو إنسان، مسؤولٌ شرعاً وعقلاً عن إقامة العدل الإلهي واقعا، بلا فرق بين شريعةٍ وشرعية، أو طائفةٍ وطائفةٍ، أو قوميةٍ وقوميةٍ، وإنما تكفي الإنسانية معياراً للرحمة. وقد أجاد المفكر المسيحي جورج جرداق بقوله: ليس من أساس بوثيقة حقوق الإنسان التي نشرتها هيئة الأمم المُتحدة، إلّا وتجد لها مثيلاً في دستور علي ابن أبي طالب، ثمّ تجد في دستوره ما يعلو ويّزيد<sup>(١)</sup>.

وقد يسأل سائل: لماذا قدمنا في بحثنا هذا، الأصل المُشترك العقلي بين الأديان، ولم نقدّم الأصل المُشترك الديني، مع أنّ المُراد الإلهي أولاً وبالذات هو الإمتثال الديني، بينما المُراد العقلي مطلوب ثانياً وبالعرض كواسطة للوصول؟.

نقول: هذا صحيح، ولكنّ الشارع المُقدّس أرادَ التعرّف على أحكام ومفاهيم الدّين بواسطة العقل، والتحقق من صدق التشريع والأحكام، لكي يكون الإمتثال عن إدراك وعلم، ويكون مُطابق للواقع المُراد، ولذا قدّم الأصل العقلي في مقام البحث والبرهان.

ومنّ الشواهد على ضرورة توسّط العقل ومُدرَكَاته في فهم الدّين والعمل به، ما قام به الإمام علي الهادي(عليه السلام) حينما قدّم الحجّة العقلية على الحجّة النقلية، وذلك حينما سأله ابن السكيت: ما الحجّة على الخلق اليوم؟ قال(عليه السلام): (العقل يُعرف به الصادق على الله فيصدق، والكاذب على الله فيكذب)، فقال ابن السكيت: هذا والله هو الجواب<sup>(٢)</sup>. مع أنّ الإمام(عليه السلام) هو الإمام والحجّة بالنصّ النقلية المُتواترة، لكنّه لم يقلّ أنّه الحجّة في مقام البرهان، لأنّه يعلم أنّ ابن السكيت سوف يُطالبه بالدليل، إن قال له بأنّه الحجّة، لذا قال الإمام أنّ الحجّة الأولى الأصلية هو العقل، وبالعقل نعرف الحجّة الثانية المُتمثلة بالإمام(عليه السلام)، وبذلك ندرك أنّ الإمام أراد الإشارة الى ضرورة اللجوء الى العقل والتفكير، في كيفية الوصول الى معرفة العقائد الحقّة، من التوحيد والعدل والنبوة والإمامة، ولا نكتفي بالنقل في مقام البرهان والإستدلال.

وقال الإمام جعفر الصادق(عليه السلام): (إنّ أوّل الأمور ومبدأها وقوتها وعمارتها، التي لا ينتفع شيءٌ إلّا به العقل، الذي جعله الله زيناً لخلقه ونوراً لهم، فبالعقل عرف العباد خالقهم وأنهم مخلوقون، وأنّه المُدبّر لهم وأنهم المُدبّرون،،،)<sup>(٣)</sup>. إذا لا مناص من تقديم العقل في مقام الإستدلال والبرهان، المُلزَم للإنسان عموماً - يهودي أو نصراني أو مُسلم - في معرفة الدّين والشرعية، فالعقل حجّة على الجميع دون إستثناء، حتى قبل نزول الشرائع، وهو حاكمٌ ومُرشدٌ وكاشفٌ عن الحقيقة، بل هو الوسيلة الوحيدة في معرفة الصواب من الخطأ، ولا مناص لنا إلّا بالتمسك.

ومن هنا كان العقل حجّةً على اليهودي والنصراني والمُسلم على حدّ سواء، وهو المُنفذ لهم من المهالك الدنيوية والأخروية، ولم يخلق الله تعالى وسيلةً أخرى، شاهدة ومُوصلة للمعرفة الحقّة والعلم اليقيني والقطعي، في مقام البرهان المنطقي والإستدلال سُوي العقل، وهو الشاهد على جميع التشريعات، والكاشف عن التحريف والتزييف الذي قد يكتنف التشريعات، لأسبابٍ شتى.

١- الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، جورج جرداق، مط ليلي بيروت، ط١، ١٤٣٦هـ، ج١، ص٧.

٢- ابن شعبة الحراني، تحف العقول، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ط٣، ١٤٠٤هـ، ص٤٥٠.

٣- الكليني، الكافي، محمد بن يعقوب، منشورات الفجر بيروت، ط١، ٢٠٠٧م، ج١، ص٣٩.

## مساحة العقل ومساحة الشَّرْع

يشارك الدِّين والعقل في تقديم المصلحة العامة للإنسان، وقد يتصوّر البعض أنّ العمل بنتائج العقل قد يتعارض مع نتائج ومفاهيم الشَّرْع، ولكنّ الواقع غير صحيح، إذ أنّ المساحة التي يعمل بها العقل، تختلف عن المساحة التي يعمل بها الشَّرْع، فلا يوجد بينهما تقاطع، وأنّ لكلٍّ منهما مساحته وإستقلاله في العمل والكشف عن الحقائق، فإنّ المفاهيم الدِّينية مثل الجَنَّة والنار والملائكة وغيرها من الحقائق والمفاهيم التعبدية، لا يستطيع العقل الكشف عنها والإستدلال على وجودها، لكونها مفاهيم خارجة عن مساحته وطبيعية عمله ومجاله، وإنّما مساحة عمله تكمن في الإستدلالات المنطقية والبراهين العقلية والمنطقية القطعية، التي لا تقبل الشكّ، من قبيل إستحالة إجتماع النقيضين، وإستحالة كون الجزء أكبر من الكلّ، وغير ذلك من القطعيّات العقلية والمنطقية، إلّا أنّ أحكام العقل لا تتقاطع مع أحكام الشَّرْع، وإن اختلفت مساحة العمل وطبيعة المسائل بينهما، فلا نستطيع أن نقول أنّ العقل يتقاطع كلياً مع مفاهيم الشريعة، بل لا يستطيع الشَّرْع نفي الأحكام القطعية للعقل، كما في مسألة إستحالة إجتماع النقيضين مثلاً، ولنفس الملاك، وهو إختلاف المساحة التي يعمل بها كلٌّ من العقل والشَّرْع. أمّا ما قبل من وجود تقاطع للدِّين مع مفاهيم وأحكام عقلية، فهي في الواقع ليست عقلية وإنّما عُقلانية عُرفية، إلّا أن العرف يطلق عليها أنها عقلية تجزؤاً.

وكما نستفيد من الأحكام العقلية البرهانية على عدم بطلان المفاهيم الدِّينية، من ناحية الإستحالة والتناقض وغيرها، فيما إذا إستثمر بصورة منطقية، كذلك نستفيد من الشَّرْع في الكثير من نصوصه، تايدة للعقل وشاهد على أهميته، في الوصول الى الكمال والسعادة الدنيوية والأخروية، وأنّه لا دين من لا عقل له.

والثمرة من هذا المسألة، بيان أنّ العقل أصلٌ مُقدَّسٌ خيّرٌ وجَدْرٌ مُحكمٌ، وحاكمٌ على الإنسان الديني، بما له من كاشفية عن الحقيقة، وموصل للقطع والعالم في كثيرٍ من المسائل، والذي يترتب على نتائجه المُحرّكة والباعثية نحو التكليف والإمتثال الشرعي والعقلاني والوجداني، وبذلك يكون العقل أصلٌ وحجّة على جميع الأديان، وعنصرٌ مُشتركٌ بين تلك التشريعات، وأنّ ما يُبته العقل يكون مُلزماً على جميع الأديان، فالعقل مُصدّرٌ خيرٍ ورحمةٍ للعالمين، وهو من نعم الله تعالى الخاضعة على البشر، ليهديهم من الظلمات الى النور، قال تعالى: {وَلَدَاؤُا الْآخِرَةَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ أَتَقَوُا أَفَلَا تَعْقِلُونَ} يوسف ١٠٩. وقال تعالى: {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} البقرة ٢٤٢. وغير لك من الآيات الكثيرة التي تدلّ على أهمية دور العقل في توحيد البشرية بشرائعه وأجناسها، وضرورة التفكّر في المصالح العامة للإنسان على مُستوى الدين والدنيا، من المبداء الى المُنتهى.

## العقل أصلٌ مشتركٌ في الكشف عن الخلق والكون

لماذا تشترك جميع الأديان التوحيدية والوضعية في الحاجة الى العقل، ولماذا العقل حاكم على الجميع في مجال العمل والإمتثال والسلوك، ولماذا تدعو جميع الأديان الى التفكّر والتأمل، ولماذا ترتبط كُتب التشريعات بالتكوين والخلق، حتى نزل القرآن بقوله تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ} العلق ٢-١. وفي سفر التكوين وهو أوّل أسفار التوراة من أسفار العهد القديم المُتداولة، تبتدء (في البَدْءِ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) تك ١:١. حتى مُليء القرآن المجيد بعشرات الآيات الدالة على التعقّل والتدبّر والتفكّر، لتحريك ذهن المُجتمعات التي خاطبها الله تعالى بالهداية نحو الصواب، {أَفَلَا تَعْقِلُونَ} يوسف ١٠٩، {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ} محمد ٢٤. {نُفِصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُتَفَكَّرُونَ} يونس ٢٤.

وذلك أنَّ التعقّل والتفكّر في الخلق مرآة لمعرفة الحقّ، قال تعالى: {لِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} البقرة ١٦٤. فإنَّ العقل يُدرك قُدرة الله تعالى على الخلق والإيجاد، واختلاف الأفلاك وحركة الليل والنهار، ويُدرك ما ينفع الناس وما يُحیی الأرض، فالعقل ينظر الى الكون والأديان نظرة تأمل وتفكّر شاملة، للكشف عمّا هو ممكن وما هو مُستحيل، وما هو نافع منفعة خاصّة أو عامّة للبشريّة، وما هو غير نافع، نظرة المُتأمل في تحديد المصير المُشترك بين أبناء البشر جميعاً، وبالخصوص اهل التوحيد والعدل والإيمان برسالات السماء. وبخلاف العقل وعكسه الجهل، الذي هو مفهوم سلبي، ليس فيه نتاج إيجابي، وإنّما يعكس الظلام والتشائم والحيرة لدى جميع البشر.

ولم تكُ نظرة العقل التعقّليّة والتاملية، مُحصّرة بالشريعة الموسوية، أو العيسوية، أو المحمدية، وإنّما نظرتُه أوسع من ذلك بكثير، بل أنّ مسائل هذه الشرائع والتحقيق من صدقها ومُطابقتها للواقع، مُندرجة تحت مساحة العقل، وتقع تحت إبتدابه وإمضاءه، وأنّ مرجع الخطأ والصواب في تلك التشريعات، يعود الى مُباركة وتصديق العقل، الذي خلقه الله تعالى ليكون حُجّة على الإنسان الديني في مقام العمل والإمتثال. إذا من هذه الناحية، تكون جذور وأصول التشريعات الثلاث واحدة، والمصلحة واحدة، والهدف واحد، وهو تحقيق العدالة الإلهية، من خلال إقامة العدالة الشاملة في الكون، بواسطة التأمل العقلي، فالعقل يحكمم بيقين الظلم ذاتا، وحُسن العدل ذاتا، دون توسط الشرع أو شيء آخر، فالصدق والعدل وحسن الأخلاق وجميع الفضائل، حُسن في ذاتها، ومطلوبة في ميل وفطرة الإنسان ووجدانه، وكذلك الكذب والظلم والغش قبيحة ذاتا، ومُنفرة للإنسان عنها.

### الميل الطبعي الإجتماعي من مُدركات العقل النوعي

يُدرك العقل أنّ ميل الإنسان نحو نوعه وجنسه، ممّا يقتضيه الطبع البشري والميل النفسي، مع قطع النظر عن الدين والمذهب، لذا سُمّي الإنسان بـ(مدني الطبع)، لكونه يميل الى النوع البشري، ويرفض الإنزواء والعيش المُنفرد، وهذا الميل في طبعه، كاشفٌ عن الوحدة البشرية التكاملية، التي دعا الله تعالى لها، وأودعها في الفطرة، فتجد الإنسان ميّالا الى جنسه ونوعه، في العيش والسلوك والتأثر، وهذا لا يُمكن أن يَنكره إلا مُكابِر، فإنّ وحدة النشأة والتركيب الفيسيولوجي، يقتضي الميل والتأثر ووحدة الطبع، وبالنتيجة أنّ الإنسان يدور حول نفسه في مسيرة تكاملية، مُنذُ النشأة حتى الممات، وهذا ما يؤيدهُ العقل في تتبّع مسيرة الإنسان وحرّكته مطلقا، خصوصا حينما تشدّد المُشتركان قوّة و تماسكا، بواسطة الدين أو المذهب أو القومية، فيشدّد الميل والولاء والتعصب، ويتعدّد الإنسان عن الأصل والهدف من الخلق والإيجاد والنشأة، ويفقد الكثير من المُشتركات، ويتعدّد عن الهدف الرئيس من الخلق، وتُضَيّع المصالح الإنسانية العليا، وتتوسّع دائرة الشقاق والفجوة، ولذا دعا الله تعالى الى التفكّر والتعقّل في الخلق، والغاية من الإيجاد، وأنّ الحقيقة الدينية والإنسانية والفطورية واحدة، فليس من المعقول التمسك بأسباب الخلاف وترك أصول الوحدة.

ومن هنا أشار القرآن المجيد الى أهمّ المناشئ والغايات من إيجاب الخلق وتنوعه، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ

حَبِيبٌ) الحجرات ١٣. لِيُنَبِّتَ وحدةَ الخَلْقِ ووحدةَ النَّوعِ، ووحدةَ الغايةِ من التنوُّعِ المَقْصودِ في الشعوبِ والقبائلِ، وهو التعارفُ المُفْضِي إلى التعاونِ وتبادلِ الخُبرَاتِ المُتَنوعَةِ لِإتمامِ مَقْومَاتِ الحياةِ الضَّروريةِ، وتلكَ هي الغايةُ الحَقِيقِيَّةُ في المنظورِ الدينيِّ، والتي هي غاياتٌ وأهدافٌ، لا تتعارضُ ولا تتقاطعُ ومُدركاتُ العقلِ والمنطقِ التسليمِ. بل إنَّ العقلَ المُجَرَّدَ، يُدركُ إستِحَالَةَ وجودِ كونٍ مُنتظمٍ ومُنْتَسِقٍ ومُتكامِلٍ، دونَ أهدافِ إنسانِيَّةٍ شاملةٍ وغاياتِ ساميةٍ، سواءَ شَخَّصَهَا العقلُ بتمامها وكمالها، إمَّ لم يُشخصها، إلاَّ أَنَّهُ يُثبِتُها ويُقرُّها علميًّا ومنطقيًّا، ولا يمكنُ لَهُ نفيها، وذلكَ لِما تملكُهُ النصوصُ الشرعيَّةُ من موضوعيَّةٍ وواقعيَّةٍ ومصداقيَّةٍ.

### المطلبُ الثاني: الأصلُ الإنسانيُّ في علاقةِ الإنسانِ بالإنسانِ

مرَّ علينا في المطلبِ السابقِ، تقسيمُ الإمامِ عليٍّ (عليه السَّلامُ)، لعلاقةِ الإنسانِ بالإنسانِ، إلى قسمينِ رئيسينِ، في قوله: (النَّاسُ صِنْفانِ إمَّا أَحَدٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وإمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الخَلْقِ)، وهذا النَّصُّ في وضوحه وبساطتهِ كلماته، إختزلَ مفاهيمًا كثيرةً، فهو قانونٌ واقعيٌّ وموضوعيٌّ مُتكامِلٌ، فالإنسانُ مَقْسَمٌ لِلدِّينِ والخَلْقِ، وأنَّ الإنسانِيَّةَ الحَقِيقِيَّةَ تنشطرُ من ناحيةِ علاقةِ الإنسانِ بالإنسانِ، إمَّا أن يربطَ معكَ فِي الدِّينِ، وإمَّا أن يربطَ معكَ فِي الخَلْقِ والإنسانِيَّةِ، ولا مفرَّ إلى شيءٍ ثالثٍ، لكي يُلزمَ الإمامَ (عليه السَّلامُ) جميعَ الناسِ، ولذا قالَ (النَّاسُ) ولم يقلِ المؤمنونَ أو المُسلمونَ، لكي يكونَ الخطابُ عامًّا وشاملاً لجميعِ البشرِ، وهو قانونٌ إنسانيٌّ مُحكمٌ، غيرُ قابلٍ للنقضِ والتأويلِ.

ولا شكَّ أنَّ عُلقةَ الخَلْقِ والإيجادِ مُقدِّمةٌ على عُلقةِ الدِّينِ، من حيثِ الترتيبِ الزمانيِّ، مع ما قيلَ من تزامنِ الإيجادِ مع الدِّينِ، دونَ تقدُّمِ أحدهما على الآخرِ، وأنَّه لا يوجدُ إنسانٌ أو قومٌ، إلاَّ وكانَ لَهُم دِينٌ، وإنَّ الدِّينَ مواكبٌ ومُلازمٌ للإنسانِ الأوَّلِ، كما في آدمٍ (عليه السَّلامُ)، إلاَّ أنَّ عُلقةَ الخَلْقِ والإيجادِ، أوسعُ وأشملُ من عُلقةِ الدِّينِ لِكونها تشملُ مَنْ يعتنقُ دينًا، ومَنْ لم يعتنقِ، إذا الإنسانِيَّةُ مِن ذاتياتِ الخَلْقِ والإيجادِ، ومن هذه الناحيةِ تكونُ الإنسانِيَّةُ أصلٌ جامعٌ، يُمكنُ الإتكاءُ عليه في تأسيسِ مبدءِ التعايشِ السَّلميِّ الإيجابيِّ.

### العقلُ معيارُ الثوابِ والحسابِ في الشرائعِ السماويَّةِ

كما أنَّ العقلَ المصدرُ الأوَّلُ والمِيعارُ الأكملُ والأتمُّ، في قبولِ السلوكياتِ والأخلاقياتِ والمُعاملاتِ الدنيويَّةِ، كذلكَ هو معيارٌ في قبولِ العباداتِ والمعاملاتِ المفاهيمِ الدينيَّةِ، فالعقلُ وجهُ آخرٌ للعدلِ الإلهيِّ مِن ناحيةِ الكشفِ والتحقُّيقِ والإستحقاقِ، وأنَّ العقلَ قانونٌ عامٌ يسريُّ على جميعِ الشرائعِ السماويَّةِ، وكذلكَ يسريُّ في الشرائعِ والقوانينِ الوضعيَّةِ، فيما إذا سَخَّرَوه بموضوعيَّةٍ ومصداقيَّةٍ تامَّةٍ، ومن خلالِ العقلِ ومدركاته، نعرفُ حجمَ المُشترَكَاتِ بينِ الشرائعِ السماويَّةِ، والغايةِ من نزولها وحجمِ المُفترقاتِ، كُلُّ ذلكَ بِفضلِ الكشفِ والعقلِ، ونستطيعُ القولَ أنَّ جميعَ الحوارياتِ والمؤتمراتِ التقريبيَّةِ التي تجريها الأديانِ، مِن الزاويةِ الحوارِيَّةِ النظرِيَّةِ المبنِيَّةِ على المنطقِ العقليِّ، تنتجُ التوافقَ والقبولَ والتسليمَ النظريِّ، بينِ فرقاءِ الأديانِ والمذاهبِ، لِكونِ نتائجِ العقلِ والبرهانِ المنطقيِّ المُستندِ إلى العدلِ الشاملِ، مقبولٌ لدى العقلاءِ وذوي الألبابِ، بموجبِ تحكيمِ العقلِ العدليِّ العامِ، إلاَّ أنَّ المُشكلةَ في تطبيقِ تلكِ المُشترَكَاتِ بِصدقٍ وموضوعيَّةٍ تامَّةٍ على أرضِ الواقعِ.

فلا نجدُ شريعةً من الشرائعِ السماويَّةِ، تنكرُ وجودَ الإلهِ الواحدِ الواجدِ للكونِ والحياةِ، بحسبِ ما تحتويه كتبُهُم من النصوصِ الدَّالةِ على الإلهِ الخالقِ، مع قطعِ النظرِ عن التفاصيلِ والصفاتِ، التي قد تتقاطعُ مع أحكامِ



العقل القطعية، إلا أنّ الذات الإلهية المقدّسة محفوظة لدى الجميع، خصوصا ما يتعلّق بالخالقية والربوبية والتوحيد، وهذا متحقق لدى الجميع، قال تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ}، ال عمران ٦٤. فلو لم يكن الإيمان والإقرار بتوحيد الله تعالى موجوداً في الشرائع الأخرى، لما دعاهم القرآن المجيد إلى كلمة (السواء)، كلمة العدل التي يؤيدها العقل، ويتفق الجميع عليها، بحكم العقل، ودعا الله تعالى إلى تحكيم العقل في المسائل التي تخضع إلى قوانين العقل وتدور في ساحته. وهكذا في قوله تعالى {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} الانبياء ٢٢. يحول مسألة قبول الإلهين إلى تحكيم العقل، فإنّ العقل من خلال إستدلالاته وعملياته الذهنية يقطع بفساد هذا القول، ولا ثمرة منه، لأنّ الإلهين إن كان أحدهما أكمل وأصلح من الآخر، وجب إتباع الأكمل، وترك الآخر، وإن كانا بنفس المستوى من الكمال، فلا ثمرة من فرض إلهين بنفس المستوى من الكمال، وأنّه مُجرّد تحصيل حاصل لا فائدة منه، وهكذا يظهر فساد نظرية وجود الإلهين من خلال الإستدلال العقلي والمنطقي.

ومن هنا نقول بكفاية تحكيم العقل وإتباعه في تحقيق التعايش السلمي بين الأديان والمذاهب، والوصول إلى الحقيقة المشتركة بين التشريعات، وتحقيق المصالح العامة للبشرية جمعاء، ولا نجعل الوحدة الدينية مُلقاة على جُزئيات وتفصيل مُحددة، قد يستفيد منها العدو، أكثر ممّا يستفيد منه المُؤخّد، ونحن ننظر إلى حجم العدوان والطغيان الذي يستهدف الأديان السماوية، ويعبث بقيمتها ومُقدّساتها، ونحن كمؤمنين ننظر إلى القشور المُفرّقة، ونغمض العين عن لبّ الشريعة وعدلها ووحدتها ومصالحها العُليا.

ولذا صرّح القرآن المجيد وسُنّة وأحاديث أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، بعدم صحّة وصف الإنسان بالكُفر وإستحقاق العذاب، لمُجرّد أنّه لا يعلم بحقيقة الله تعالى وصفاته، أو ضعيف الإدراك العقلي، ولا يستطيع فهم الحقيقة الإلهية والنبوية، أو أساسا لم يصله شيئا من التشريع والتبليغ، أو كان مُستضعفا فكريا وعقلياً، وإنما الكافر الذي يُحاسب من كان جاحداً مُعاندا ومُنكرا للحقّ والحقيقة، ويكون التقابل بين الكُفر والإيمان تقابل التضاد، أي لا يجتمعان في شيء واحد، ولكن يمكن أن يرتفعان، فيكون الإنسان لا مؤمنا ولا كافرا، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَفُتَّاهِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ جِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ} سببيل النساء ٩٦-٩٨. فقد أشارت جملة من الروايات تفسير (المُستضعفين)، بأنّهم غير مؤمنين وغير كافرين، وإنما أمرّ بين أمرين، فعن حَمَّاد بن الظَّيَّان، قال: سألتُ أبي جعفر الباقر (عليه السلام)، عن المُستضعفين؟ فقال: (هو الذي لا يستطيع جَلَّة الكُفر فيكُفر، ولا يَهْتَدِي سببيلًا إلى الإيمان، لا يستطيع أن يُؤمن، ولا يستطيع أن يكُفر، فهمُ البَيَّانُ وَمَنْ كَانَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ عَلَيَّ مِثْلَ عُقُولِ الصَّبِيَّانِ، مَنْ رُفِعَ عَنْهُ الْقَلَمُ) (١).

قال المجلسي: (على تاويله - عليه السلام - لا يستطيعون حيلة إلى الكُفر، أي لا يقدرّون على إلقاء الشبه القويّة في الكُفر، ولا على الرسوخ فيه إلى الإيمان، أي ليلبثهم وقلة عقلهم ومعرفتهم، لا يستولون على معرفة الحقّ والثبات فيه، فهم في ذلك عذرّ أن يعفو الله عنهم،،،، والحاصل أنّهم لضعف عقولهم وقلة فطنتهم، لم تعرّض لهم شبهة قويّة فيستقروا في الكفر والجحود، ولا داع قويّ من الأغراض الدنيوية، فحجدها الحقّ لذلك،

وإحتالوا في إبطال الدّين وبراهين الأنبياء، بإلقاء الشّكوك والشبه، وليس لهم قدرةٌ على فهم الحق ودلائله في الدين، غُهمٌ لذلك معذرون في الجملة، ويحتمل نجاتهم لذلك<sup>(١)</sup>.

وَعَن أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصّادِقِ (عليه السّلام) في تفسير الآية: (لا يستطيعون حيلةً إلى النّصبِ فينبصون، وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلَ الْحَقِّ، فَيَدْخُلْنَ فِيهِ، وَهَؤُلَاءِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِأَعْمَالٍ حَسَنَةٍ، وَيَاجْتَنِبُ الْمُحَارِمِ الَّتِي نَهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا، وَلَا يَنَالُونَ مَنَازِلَ الْأَبْرَارِ)<sup>(٢)</sup>.

وعن سليمان بن خالد عن الإمام الباقر (عليه السلام)، قَالَ سَأَلْتَهُ عَنِ الْمُسْتَضْعَفِينَ؟ فَقَالَ: (الْبَلْهَاءُ فِي خِدْرِهَا وَالْخَادِمَةُ تَقُولُ لَهَا: صَلِّيْ فُتُصَلِّي، وَلَا تَدْرِي إِلَّا مَا قُلْتَ لَهَا، وَالْجَلِيْبُ الَّذِي لَا يَدْرِي إِلَّا مَا قُلْتَ لَهُ، وَالْكَبِيْرُ الْفَآئِي، وَالصَّبِي، وَالصَّغِيْرُ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَضْعَفُونَ، وَأَمَّا رَجُلٌ شَدِيْدُ الْعُقْبِ، جَدِيْدٌ خَصِيْمٌ، يَتَوَلَّى الشِّرَاءَ وَالتَّبِيْعَ، لَا تَسْتَطِيْعُ أَنْ تَغْنِيَهْفِي شَيْءٍ، تَقُولُ: هَذَا مُسْتَضْعَفٌ؟ لَا، وَلَا كِرَامَةٌ)<sup>(٣)</sup>.

وعن عليّ بن شويد عن أبي الحسن موسى (عليه السلام)، قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنِ الضُّعْفَاءِ؟ فَكَتَبَ إِلَيَّ: (الضُّعِيْفُ مَنْ لَمْ تُرْفَعْ إِلَيْهِ حُجَّةٌ، وَلَمْ يَعْرِفِ الْإِخْتِلَافَ، فَإِذَا عَرَفْتَ الْإِخْتِلَافَ فَلَيْسَ بِمُسْتَضْعَفٍ)<sup>(٤)</sup>. وقال الصادق (عليه السلام): (لو أَنَّ الْعِبَادَ إِذَا جَهِلُوا وَقَفُوا وَلَمْ يَجِدْهُمُ لَمْ يَكْفُرُوا)<sup>(٥)</sup>.

وقد طرّح الشهيد مرتضى المطهري سؤالاً وأجاب عنه: "أَيكون فقدان الاعتقاد بإصول الدين، تحت أي ظرفٍ موجباً للعذاب الإلهي؟ وأجاب عنه: أنه لا شك أن الكفر على شكليْن، كُفر عناد وجحود، وكُفر جهالة وعدم معرفة بالحقيقة، والأول موجباً للكفر بإدلة النقل والعقل القطعية، وأما كفر الجهالة وعدم المعرفة، دون تقصير، فهي تقع موقع عفو رحمة الله تعالى"<sup>(٦)</sup>.

ويرى الدكتور مصطفى عزيزي: "أن الأحاديث تدلُّ على أن الكُفرَ مقروناً بالجحود والعناد للحقِّ والحقيقة، فمن لم تصل اليه الحقيقة، لأنه كان ساكناً في مناطق نائية، أو وصلت اليه ولكنه مُستضعف فكري وعقلي، لا يقدر على التمييز بين الحقِّ والباطل، ولا يستطيع التفرقة بين الاختلافات العقديّة والفكرية، فلم يؤمن بالحقِّ لجهله أو لِقصوره عقله، فهو ليس بكافر، لأنَّ عدم إيمانه ليس نابعا عن الجحود والإنكار واللجاج"<sup>(٧)</sup>.

والنتيجة: أن هناك الكثير ممن إعتنق اليهودية والنصرانية والإسلامية، دون حُجةٍ مُعتبرة أو برهانٍ نقليٍّ مُحكم، أو قطعٍ عقليٍّ وعلميٍّ، فهو لم يؤمن بالدليل وإنما آمن جرياً مع الأهل أو البيعة أو قلة المعرفة، وعلى هذا لا يصحُّ تكفير كلِّ طرفٍ للطرف الآخر، ولا يؤاخذهُ الله تعالى إلا بمقدار عقله ومُستواه الذهني والفكري، كما في الجاهل والصبي والأبله والمرأة التي لا تعلم شيئاً، ومثلهم من لم يصلهُ شيئاً عن الدّين والشريعة والمفاهيم الدنيّة، فيبقى المدار في تقييمه، هو عدل الله تعالى، ومقدار مطابقة فعله وسلوكه لعقله.

١ - المجلسي، محمد باقر، مرآة العقول، تحقيق هاشم رسولي، دارالكتب الاسلامية طهران، ٢، ١٤٠٤هـ ج ١، ص ١٠٤.

٢ - الصدوق، محمد بن علي، معاني الاخبار، تحقيق علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ط ١، ١٤٠٣هـ ص ٢٠١.

٣ - المصدر نفسه، ص ٢٠٣.

٤ - الكليني، اصول الكافي، ج ٢، ص ٤٦٠، م. س.

٥ - المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٨٧.

٦ - العدل الإلهي، مرتضى المطهري، تحقيق عبدالمنعم الخاقاني، شبكة الفكر، ط ٢، ١٤٠١هـ ص ٣٣١.

٧ - ينظر: التعددية الدينية، مصطفى عزيزي، مطبعة عاشوراء، كربلاء، ط ١، ٢٠٢٠م، ص ١٦٤.

## التوحيد العقلي بين الأديان التوحيدية دعوة إسلامية

تقدّم أهمية ودور العقل في تشخيص وتحديد معاني الإيمان والكفر، وتحديد مفهومه ومصاديقه، وأنّ ليس كل من جهل مفاهيم الدّين والعقائد، يُوصف بالكُفر ويستحقّ العذاب، فلا ينبغي إرسال الطعون جُزافاً، وأنّ هذا من الجهل بحقيقة الأمر والواقع، قال تعالى: {وقالت اليهودُ ليستِ النَّصاريّ على شيءٍ وقالتِ النَّصاريّ ليستِ اليهودُ على شيءٍ وهم يتلون الكتابَ كذلك قال الذين لا يعلمونَ مثل قولهم} البقرة ١١٣. فإنّ الذين لا يعلمون {قال الذين لا يعلمون مثل قولهم} بحقيقة الأمر، ردّوا ما قاله أهل الكتاب من التعصّب والتطرّف، من إطلاق الطعون والإتهامات المتبادلة، مع أنّهم لا يعلمون الحقيقة، ولا علاقة لهم بالأمر، غاية الأمر أنّ الجُهلاء إتبعوا قول اليهود والنصارى في الأقوال والطعون المتبادلة، ولم يحكموا عقولهم، فوقعوا في الفتنه، وهذا يدك على مسؤوليّة الكلمة وأثرها السّليبي في المجتمع الدّيني، فضلاً عن غيره. ونتيجة تلك الطعون والغدوانيّة بين اليهود والنصارى، وعدم تحكيم العقل والمنطق الوسطي الإعتدالي، الدّماء وقتل الأنبياء وإزهاق الأرواح البريئة وزرع العداوة والبغضاء، وإنعكاساته على واقع الموحّدين والمؤمنين بالله تعالى.

كلّ ذلك كشف عنه القرآن المجيد، لاخذ العبرة والحذر من صنع العداوة والبغضاء، لمجرّد الاختلاف في الدّين والعقيدة والمذهب، فإنّ هذا مُخالفٌ لدعوة القرآن وهدف الله تعالى من التشريع، مع أن الجميع تحت راية الإله الواحد، وهو الله تعالى، الذي أرسل التشريعات والرّسل للهداية والصلاح والنجاة في الدنيا والآخرة، قال الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام): (التوراة والإنجيل والزيور كلّها مرّوبةٌ أحدها من ليس كمثله شيءٌ هدى لقوم يعقلون)<sup>(١)</sup>. فإنّ هداية التوراة والإنجيل والزيور، يتوقّف على مقدار العقل والتعقل، فلا تنسجم دعوة الله تعالى للهداية والصلاح، مع دعوة بعض التشريعات الى التفرقة والغدوان بسم الدّين، قال تعالى في ردّ الدّعاوات المُتكررة التوحيد والعدل، والغير مُستندة الى برهان عقلي، قال تعالى: {ومن يدعُ مع الله إليها آخز لا بُرهانَ له به فإنما حسابه عند ربّه إنّه لا يُفليحُ الكافرون} المؤمنون ١١٧، ويتحدّاهم أن يقيموا برهاناً عقلياً مُحكما على وجودها آخراً، وهو من يتولّى حسابهم على الشّرك الصّريح، الذي يُؤثر سلباً، ويخدش الفطرة والحقيقة المُشتركة بين التشريعات التوحيدية.

والتوحيد العقلي الذي يدعو اليه الإسلام بقرآنه وسُننه القولية والفعلية، ولبيد العدل الإلهي الشامل للبريئة جمعاء، ومقرون بالمصلحة العامة التي يُجددها الخالق العظيم، والتي تكون موافقة للعقل والعدل، ولذا رفع الله تعالى التكليف عن المجنون والصّبي وغيرهم، ولم يُكلّف بغير المقدور، لأنّه مُخالفٌ للعدل والحكمة والعقل، وخففَ بَعده عن العقول البسيطة مُراعاً لهم. ورفض القرآن الدّعاوى الهدامة لأصل التوحيد والعدل، التي تُخالف العقل والفطرة، وتُفرّق شركاء الدّين الواحد، عن الحقيقة المُشتركة بين الشرائع التوحيدية، نصّاً وعقلاً، وأرجعها القرآن المجيد الى ميزان الحكمة والعدل، قال تعالى: {وما كُنّا مُعذّبين حتّى نبعثَ رسلًا} الإسراء ١٥، وهذا النصُّ القرآني مقرونٌ بتأييد العقل، وكاشفٌ عن العدل الإلهي، الذي لا ينفك عن الحكمة والصواب بحالٍ من الأحوال، فإنّ العقل يكشف عن إستحالة نزول العقاب دون أن يكون هناك أحكام وتعاليم، سماوية سابقة واصلة الى الإنسان، ومُبيّنة للمُراد الشرعي، مع وجود المُقتضي لدى الإنسان، لفهم تلك التعاليم، وهو القُدرة العقلية المُدرّكة للتعاليم والتكاليف الشرعية، ولذا وردَ عن الإمام الصادق(عليه السلام) أنّه قال

١ - الاحتجاج على اهل اللجاج، الطبرسي احمد بن علي ت٥٨٨هـ، تحقيق محمدباقر الخراسان، نشر المرطضي، ايران، ط٣، ١٤٠٣هـ، ج٣، ص٤٠٥.

لهشام بن حكيم: (أَنَّ لَهِ عَلَى النَّاسِ حُجَّتَيْنِ، حُجَّةٌ ظَاهِرَةٌ وَحُجَّةٌ بَاطِنَةٌ، فَأَمَّا الْحُجَّةُ الظَّاهِرَةُ فَالرَّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالْأَثْمَةُ، وَأَمَّا الْبَاطِنَةُ الْعَقُولُ) <sup>(١١)</sup>. فجعل الحُجَّةَ على الناس جميعاً، لا على شريعة معينة، ليكون الخطاب عاماً للهداية، وقال (عليه السلام) يا هشام: (ثُمَّ ذَمَّ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ، فَقَالَ) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا الْفِينَا عَلَيْهِ آبَائُنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) <sup>(١٢)</sup>. وقال يا هشام (إِنَّ الْعَقْلَ مَعَ الْعِلْمِ، فَقَالَ) (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) العنكبوت (٤٣) <sup>(١٣)</sup>.

وهكذا يُرَكِّزُ الإسلام على ضرورة تحريك العقل، في مقام البحث والتحقيق، والوصول إلى الحقيقة المُشتركة بين التشريعات، والكمال الجمعي، وعدم الخوض مع الخائضين، الَّذِينَ تَرَكَوا الْعَقْلَ وَالتَّعَقَّلَ وَفَسَّرُوا المفاهيم الدِّينِيَّةَ والعَقْدِيَّةَ، بالتقليد والعاطفة الغير مُستندة إلى الدليل العقلي المنطقي، فحزفوا الكثير من المفاهيم السماوية، وتفرَّقوا عن الوحدة الحقيقية التي أرادها الله تعالى من الخلق والإيجاد.

لماذا تنقسم الشرائع الموحدة إلى فرقٍ ومذاهب: وهل مُقتضى الحكمة والعقل، أن تتفرَّق إلى طوائفٍ وفرق، وتختلف في مفاهيم العقيدة والدين، فإنقسمت اليهودية إلى أربعة فرق رئيسة، وإنقسمت المسيحية إلى إثني عشر فرقة، وإنقسم الإسلام إلى خمسة فرق رئيسة. بل حتى الديانات الوضعية إنقسمت إلى فرق، كالهندوسية إنقسمت إلى أربعة فرق، والبوذية إلى ثلاث فرق، والجمينية إلى ثلاث فرق، وهكذا غيرها. ويعود سبب الإنقسامات غالباً إلى موت الرسول، وعدم الحفاظ أو تدوين ثوابت الشريعة وتعاليم الرسول، وطرو

اجتهادات العلماء في النصوص، وتأثير السياسات والمصالح الفئوية، وعدم سيادة العقل الجمعي الديني. وهُنَا يُمكن القول: أن النصوص الدينية التي لم تُدوَّن، يمكن أن تُحرَّف أو تُؤوَّل، خصوصاً التعبدية منها، بخلاف النصوص القرآنية والنبوية، التي تحمل في طياتها القواعد العقلية والمنطقية، التي لا تقبل التحريف والتأويل والتناقض والنضاد، لسرعة إنكشاف الخلل والتحريف، لرفضها من خلال العقل والمنطق، وعدم صمودها أمامه، وكذلك الوجدان يقضي بإستبعاد هذه النصوص عن الشريعة الإلهية، لصعوبة نسبتها إلى المنظومة الأخلاقية الدينية، الصادرة عن حكيم لطيف في العباد، جاء بالدين والشرائع للهداية والصالح والنجاة.

نستفيد: من هذه القدرة العقلية ومُدركاتها واللجوء إليها، التمييز والفصل والكشف عن الحقائق، وإثبات صحة الكثير من النصوص المشكوكة، وبطلان الكثير من نصوص الشرائع المُتداولة، التي تتناقض وقواعد العقل والمنطق، أو التي تُسيء إلى قداسة وطهارة الأنبياء والرسل، وغير ذلك من المفاهيم الدينية، والقطع بإستحالة صدورها من حكيم عليهم، وهذا الأمر ينفعنا اليوم كمُوحدين، في تحقيق الوحدة المُشتركة بين التشريعات السماوية الموحدة، من خلال تحكيم العقل ومُدركاته في كيفية جمع الشمل الديني، وفق المُشتركات والمصالح العليا للمُوحدين المؤمنين بالله تعالى.

وبذلك يقول الدكتور أيمن المصري: "أَنَّ الدِّينَ الصحيح بما يحمله من رؤية كونية ومنظومة أخلاقية، هو الَّذِي يُطابق الرؤية الكونية والأخلاقية للعقل البرهاني" <sup>(١٤)</sup>

١ - الكافي، الكليني، ج١، ص٦٦، م. س.

٢ - المصدر نفسه، ج١، ص١٤.

٣ - المصدر نفسه، ج١، ص١٤.

٤ - مكات العقل في القرآن والسنة، أيمن المصري، مؤسسة البديل، كربلاء، مطبعة عاشوراء، ط١، ٢٢-٣٠، ص٤٢.

وهذا ما جعل الشارع المقدّس، إثبات حُجِّيَةِ الْعَقْلِ في جميع الأزمنة، للتأمّل والتفكّر في الكشف عن الحقائق، لِعَلَّمَهُ تَعَالَى بِإِمْكَانِ صُدُورِ التَّحْرِيفِ وَالتَّزْوِيرِ مِنَ الْإِنْسَانِ فِي تِلْكَ النُّصُوصِ الدِّينِيَّةِ، وَتَجَسُّبِهَا لِلصَّالِحِ الشَّخْصِيِّ وَالنَّفْعِيِّ، فَحَتَّى نَحْتَاجَ إِلَى الْكَشْفِ وَالتَّحَرِّيِّ عَنْ أَصُولِ وَجُذُورِ الشَّرِيعَةِ التَّوْحِيدِيَّةِ الْجَامِعَةِ لِلبَشَرِ.

### المبحث الثاني: الأصل الديني المشترك بين الشرائع السماوية التوحيدية

في البدء نؤكد، أنّ الدعوة إلى الحقيقة المشتركة بين التشريعات السماوية، والعمل بالمُشتركان النقلية والعقلية، وفق الرؤيا المعاصرة، لا تعني إلزام التشريعات والأطراف الأخرى، بترك تراثهم الفقهي والأخلاقي والعقدي، الذي لا يتناقض ولا يتعارض والثوابت التوحيدية النقلية والعقلية المشتركة، فالمهم توحيد الرؤى وفق الأصول والجذور السماوية التي لا يرفضها العقل والوجدان والنقل السليم، فهي الحقيقة التوحيدية المشتركة، التي يجب أن نسلّم لها علانيةً وسراً.

المطلب الأول: الرؤيا والحقيقة المشتركة بين الشرائع التوحيدية

التوحيد لُغَةً: عَرَفَهُ الْخَلِيلُ الْفَرَاهِيدِي بِأَنَّهُ: "الرجل الوحيد ذو الوحدة، وهو المُنفرد لا أنيس معه. والتوحيد: الإيمانُ بالله وحده لا شريك له، والله الواحد ذو التوحد والوحدانية"<sup>(١)</sup>.

التوحيد اصطلاحاً: عَرَفَهُ السَّيِّدُ عَبْدِالْعَلِيِّ السَّبْزَوَارِي، بِأَنَّهُ: "كون الموجود له من صفات الكمال والتناهي عن الجلال، بحيث لا يمكن أن يحده حدٌ، ولا يصحُّ فرض ثابٍ له أبداً، فهو الحقُّ الصَّرف الذي يملك كُلُّ شيءٍ، وغيره الباطل الذي لا يملك لنفسه شيئاً". وعَرَفَهُ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ سَعِيدُ الْحَكِيمِ: "تقرّد الله غرٌّ وجل بالالوهية والخلق والتدبير، وعليه يتفرّع استحقاقه تعالى للعبادة، وتفرد به بذلك"<sup>(٢)</sup>. وبذلك لا يتعد معناه الإصطلاحى عن معناه اللغوي كثيراً.

التوحيد والعدل الإلهي حقيقةٌ وصِفَةٌ ذاتيةٌ لا تنفك عن الله الحكيم، ويُسلّم جميع التشريعات لهذا الأمر، ولا يُشككُ بها أحد، وإن اختلفوا في الجزئيات والعوارض، إلّا أنّ الجميع يقول الله واحداً عادلاً، حتّى من الذين يقولون بالتثليث والأقانيم الثلاث، تجدّم واقعا يفسرون بأنّها ثلاثة في واحدٍ وواحدٍ في ثلاث، وعلى أيّ حال فالتسليم بالخالق الواحد العادل مُتحقق، في كيان التشريعات الثلاث التوحيدية، وإن اختلفت في صفاته سلباً وإيجاباً، وهذا الاختلاف موجود لإحتي بين المذاهب الإسلامية برؤيتها العقديّة، ولكن بالتأكيد بصورة أقل.

### التوحيد اليهودي والنصراني

التوحيد في اليهودية والنصرانية أصلٌ في نشئته الأولى، ومُجمَلٌ ومحرّفٌ في ثوبه الحاضر، والقرآن شاهدٌ على صدق الأصل، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾ المائدة ٤٤. وقال تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ المائدة ٤٣. وقال تعالى: ﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ آل عمران ٣. وقال تعالى ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ المائدة ٤٦. ومع هذا الإجمال والتحريف في الأصل الشرعي اليهودي

١- العين، الخليل بن احمد الفراهيدي ت١٧٥هـ، تصح مهدي المخزومي، دار الهجرة، إيران، ط٢، ١٤٠٩هـ، ص٣، ص٢٨١.

٢- التوحيد في القرآن، عبدالأعلى السبزواري، دار الكتاب العربي، لبنان، ط١، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م، ص١٢.

٣- أصول العقيدة، محمد سعيد الحكيم، دار الهلال، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م، ص٥٥.

والنصراني، فإنَّ الله تعالى قد حفظ لنا ما يُثبت حقيقة التوحيد والعدل في تلك الشريعة، فقد رَوَدَ في سفر الخروج مِنَ التوراة: (أنا الربُّ إلهك، الَّذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية، لا يكن لك إلهة أخرى أمامي، لا تصنع لك تمثالا منحوتا،،،، لا تسجد لهُنَّ ولا تعبدهُنَّ) الخروج: ٢٠: ٥٢.

وفي سفرِ أشعياء: (أنا الربُّ وليس آخر، مُصوِّر النور وخالق الظلمة، صانع السلام،،، أنا الربُّ صانعُ كُلِّ هذا) الإصحاح ٤٥: ٧٦. وغير ذلك من النصوص الكاشفة عن أصلِ وجذور التوحيد في الديانة اليهودية والنصرانية، رغم ما أصابها من تحريف وتزوير ودس.

أما ما خرج عن التوحيد والعدل في النصوص اليهودية والنصرانية فهي كثيرة، حتَّى وصل الأمر أَنَّهُم ينسبون الشرَّ والندم والضعف لله تعالى، على سبيل المثال: (فندم الربُّ على الشرِّ الذي قال أَنَّهُ يفعلُه بشعبه) الخروج ٣٢: ١٤. (وفيصنعون لي مقدسا لأسكن في وسطهم) الخروج ٢٥: ٨. وجعلوا النصراني الله تعالى ثالث ثلاثة من الأقانيم، تشترك جميعها في الإيجاد والتشريع والخلق، وغيرها الكثير.

### دور أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في الكشف عن أصول الكُتب السماوية

لا شكَّ أنَّ أئمة أهل بيت النبي (صل الله عليه وآله)، لَهُم دورٌ مُهمٌّ في الكشف عن الغموض واللبس والتحريف، الَّذي أصاب التشريعات السماوية، وتصحيح المفاهيم والعقائد المغلوطة لدى أتباع تلك التشريعات، حتَّى سؤل الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) مِنَ الجائليق بريهة النصراني بعدَ مُحاورةٍ طويلة، أسلمَ على أثرها. قال بريهة: أتى لَكُمْ التوراة والإنجيل وكتبُ الأنبياء؟ قال (عليه السلام): (هي عندنا وراثَةٌ من عندهم، نقرؤها كما قرؤوها، ونقولها كما قالوها، إنَّ الله لا يجعل حجةً في أرضه يُسأل عن شيءٍ فيقول: لا أدري).<sup>(١)</sup>

فقد رَوَدَ عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): (إنَّ مما أوحى الله إلى موسى وأُنزِلَ عليه في التوراة، أتى أنا الله لا إله إلا أنا، خَلَقْتُ الخلقَ وخالَقْتُ الحَيَرِ وأجريتُهُ على يَدَي من أحبُّ، فطوبى لمن أجريتُهُ على يَدَيه)<sup>(٢)</sup>. وعنه (عليه السلام): (في التوراة مكتوبٌ، يا ابن آدم تفرِّغ لِعبادتي، أما قَلْبِكَ غني، ولا أكَلِكَ إلى ظَلْبِكَ، وعيٌّ أن أشدَّ فاقَتَكَ، وأملاً قَلْبِكَ خَوْفا مِنِّي، وإن لا تفرِّغ لِعبادتي، أما قَلْبِكَ شُغلا بالدُّنيا، ثُمَّ لا أشدَّ فاقَتَكَ، وأكَلِكَ إلى ظَلْبِكَ).<sup>(٣)</sup>

وعن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) قال: (إنَّ في التوراة مكتوبا يا موسى إتني خلقتك وإصطفيتك وقويتك وأمرتك بطاعتي ونهيتك عن معصيتي، فإن أطمعني أعنتك على طاعتي، وإن عصيتني لم أعنك على معصيتي، يا موسى ولي المنة عليك في طاعتك لي، ولي الحجة عليك في معصيتك لي)<sup>(٤)</sup>. الدال على أنَّ الفضل المنة كُلُّها لله تعالى، ولا شكَّ أن طاعة الله تعالى تكمن في السلام والألفة بين المخلوقين، فلا ينتفع الله تعالى بطاعة العباد له ولا ينقص بمعصيتهم له، وإمَّا غاية التشريع إقامة العدل الإلهي الشامل، ونشر الرحمة والمودة بين العباد.

١ - التوحيد، الصدوق ٣٨١هـ، تج هاشم الحسيني، مطبعة جماعة المدرسين قم، ط١، ١٣٩٨هـ، ص ٢٧.

٢ - المحاسن، احمد بن محمد البرقي ٢٧٤هـ، دارالكتب الاسلاميه قم، ط٢، ١٣٧١هـ، ج١، ص ٢٨٣.

٣ - الوافي، محمد محسن الفيض الكاشاني ١٠٩١هـ، ط١، ١٤٦٠هـ، ج٤، ص ٣٥٥.

٤ - إعتقادات الإمامية، محمد بن علي الصدوق، تج عصام عبدالسيد، المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم، ط١، ١٤١٣هـ، ق١ - ١٣٧١هـ، ص ٣٩.

وقد كشف الإمام علي الرضا(عليه السلام) ، من خلال مناظراته، في تهذيب المفاهيم والمعتقدات الدينية المغلوطة، التي توارثوها اليهود والنصارى، والتي سرت بعضها الى المسلمين، وإرجاع الشرائع الى الأصل والحقيقة المشتركة، منها مناظرة علي بن أبي قرة للإمام الرضا(عليه السلام) ، قال أبو قرة: ما تقول في الكُتُب؟ فقال(عليه السلام) : (التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وكل كتاب أنزل، كان كلام الله، أنزله للعالمين نورا وهُدًى، وهي كُلهَا مُحدثةٌ، وهي غير الله حيث يقول: {أو يُحدِثْ لَهُمْ ذِكْرًا} طه ١١٣ . وقال {ما يأتيهم من ذكرٍ من ربهم مُحدِثٌ إلا استمعوه وهم يلعبون} الانبياء ٢ . والله أحدث الكُتُب كُلهَا التي أنزلها. فقال أبو قرة: فهل تفتني؟ قال ابو الحسن(عليه السلام) ،،،، ما سوى الله فان، وما سوى الله فعل الله، والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان فعل الله،،،، وكذلك التوراة والإنجيل والزبور، وهي كُلهَا مُحدثةٌ مربوبة، أحدثها من ليس كمثلها شيء لقوم يعقلون، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُنَّ لَمْ يَزَلْنَ مَعَهُ، فقد أظهرَ أَنَّ الله ليس بأوّل قديم ولا واحدٍ، وأنَّ الكلام لم يزل معه وليس له بدءٌ وليس بإله....<sup>(١)</sup> . وهذا الحديث من الإمام الرضا(عليه السلام) فيه إشارات عدّة، منها أن إطلاق حكم واحد من الإمام في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، كاشفٌ عن مكانة الكُتُب السماوية، وأنها صادرة عن الله تعالى، وأنة تعالى مُحدث لجميع الكُتُب والتشريعات، وهذا المعنى يعطي لنا دافعيةً ومُحرّكةً نحو التقارب والتعايش السلمي، لوحدة المنبع ووحدة المصير، فلا ينبغي لنا إنكار الحقيقة المُشتركة بين الناس عموماً والموحّدين خصوصاً.

وَرَادَ الإمام علي الرضا(عليه السلام) ، في مناظراته، ليكشف علاقة الكُتُب السماوية فيما بينها، كُلٌّ منها يؤيّد ويُعايد الآخر، لكونهما من منبع واحد، ففي إحتجاجاته على رأس الحالوت، قال الإمام: ((في التوراة نبأٌ مُحدّد وأُمتة: (إذا جاءت الأمة الأخيرة اتباع ركب البعير، يُسبّحون الرّبّ جدّاً جدّاً، تسبيحاً جديداً، في الكنائس الجُدُد، فليفرغ بنو إسرائيل إليهم والى ملكهم، لِنَظْمَتِنَ قُلُوبَهُمْ، فَإِنَّ بِأَيْدِيهِمْ سُيُوفًا يَنْتَقِمُونَ بِهَا مِنَ الْأُمَمِ الكافرة، في أقطار الأرض) ، إنَّ التوراة تقول لَكُمْ (جاء النور من جبلٍ طُور سيناء، واضءاً لنا من جبلٍ ساعيرٍ، واستعلنَ علينا من جبلٍ فاران).... في التوراة(رأيتُ رَاكِبِينَ أَضَاءَ لَهُمَا الْأَرْضُ، أَحَدُهُمَا رَاكِبٌ عَلَى جِمارِ وَالْآخَرِ عَلَى جَمَلٍ<sup>(٢)</sup> .

ولعلّ ما كَشَفَ عنه أمير المؤمنين علي(عليه السلام) هو الأروغ في معرفته الكاملة للكُتُب السماوية الأصلية، وأن كُلٌّ منها صادقةٌ صالحةٌ للتطبيق المُحكّم والشفّاف، وجميعها تنبع عن منهلٍ عذبٍ واحد، إلا أنّ أصحاب المنافع الخاصة، غيَروا هذا المسار، وأدخلوا فيه ما لا ينسجم ولا يتلائم والمنظومة الإلهية العادلة الشاملة، قال الإمام (عليه السلام) : (لَوْ تَنَبَّأَ لِي وَسَادَةٌ لِحَكْمَتِ أَهْلِ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ حَتَّى يَزْهَرَ إِلَى اللَّهِ، وَلِحَكْمَتِ بَيْنِ أَهْلِ التُّورَةِ بِالتُّورَةِ حَتَّى يَزْهَرَ إِلَى اللَّهِ، وَلِحَكْمَتِ بَيْنِ أَهْلِ الْإِنْجِيلِ بِالْإِنْجِيلِ حَتَّى يَزْهَرَ إِلَى اللَّهِ، وَلِحَكْمَتِ بَيْنِ أَهْلِ الزُّبُورِ بِالزُّبُورِ حَتَّى يَزْهَرَ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلَا آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ لِأَنْبِئَاتِكُمْ بِمَا يَكُونُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ<sup>(٣)</sup> . فإنَّ الموضوعية التي يمتلكها الإمام(عليه السلام) ، تعطي دلالةً واضحةً عن تعامل الإسلام بروح التعايش السلمي، مع جميع الأديان فيما لو كانت السلطنة والغلبة للمُسلمين، وعدم إستغلال السلطنة والقوة في سلوكياتهم ومعاملاتهم إتجاه الأقليات غير المُسلمة، فإنَّ الدين المُعاملة والسلم والأخلاق.

١- الإحتجاج على أهل اللجاج، الطبرسي، ج٢، ص٤٥، م. س.

٢- عيون اخبار الرضا، الصدوق، تحقيق مهدي اللاجوردي، منشورات جهان، طهران، ط١٤٢٠هـ، ج١، ص١٦٥.

٣- بصائر الدرجات، محمد حسن الصقار، ت٢٩٠هـ، نجده محسن عباس، مكتبة المرعشي، قم، ط١٤٠٤هـ، ج١، ص١٣٢.

مُضافاً إلى أنَّ الإسلامَ من خلال أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، كانوا يُراعونَ مشاعر ابناء التشريعات الأخرى، ويُصنّفونهم في القضاء العادل، والمُعايشة الطيبة، وذلك من الدين، وهذا ما جعل الإمام علي (عليه السلام) ينفعل حينما رأى رجلاً نصرانياً يتكفّف في الكوفة، خلال خلافته، فقال مُتعبجاً: ما هذا. فقيل رجل نصراني كبر وعجز ويتكفّف. فقال (عليه السلام) : لم أقل من هذا وإنما قلتُ ما هذا. ثُمَّ قال: ما أنصفتموه إستعملتموه حتّى إذا كَبُرَ وعجز تركتموه، أعطوه من بيت المال<sup>(١)</sup>. إذ شعر الإمام أَنَّهُ جُرءٌ من المظلوميّة، لكونه المسؤولُ الشرعي والأخلاقي والإنساني، لا بصفتِهِ الحاكم. وفي حادثةٍ أنّ الإمام علي (عليه السلام) حينما كان على رأس السُلطة، وجد درعهُ عند نصراني، فتحاكما عند القاضي شريح الذي كان مُنصباً من الإمام نفسه، فقال شريح يا أمير المؤمنين أَلَدَيْكَ بينة، فقال الإمام مُتعرضاً: هذا أوّل ظُلْمِك، ثُمَّ قال: سمّني بِاسمي كما تُسمّي النصراني، وقال ليس عندي بينة، فحكم شريح للنصراني، فتقبّل الإمام الحُكم. فقال النصراني: أمّا أنا فأشهد أنّ هذا حُكم النبيين<sup>(٢)</sup>. وهكذا ينبغي التعامل مع الخلق، والخلق عيالٌ الله فأحبّهم اليه أحسنهم صنيعاً إلى عياله<sup>(٣)</sup>، كما يقول الباقر (عليه السلام) .

### التعيش والحور والوسطية أصل ومبدئ إسلامي

تقدّم أنّ النصوص القرآنيّة الدالة على مبدأ جعل الوسطية والإعتدال والتعاش كثيرية، (وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً) البقرة ١٤٣. وعدم الإكراه في العقيدة (لا إكراه في الدين) البقرة ٢٥٦. (أفأنت تُكفره الناس حتّى يكونوا مؤمنين) يونس ٩٩. (ويُرِيدُ اللهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ) البقرة ١٨٥. وصريحة في (كلمة سواء) ال عمران ٦٤.، وأنّ تنوع الشعوب والقبائل من الجعل التكويني (وجعلناكم شعوباً وقبائل) ، وواضحة الغرض (لتعارفوا) الحجرات ١٣. وعلى هذا لا ينبغي الإختلاف والتناحر والعداوة، بين الأديان والشعوب المؤمنة، والشواهد كثيرة على ذلك، هذا من الجانب النظري، وهذه الكَلِمات على قِلتها تكفي دستوراً للوحدة والتعاش الحقيقي بين جميع التشريعات السماوية، وغيرها.

وأما من الجانب العملي، فكذلك الشواهد كثيرة، نأخذ محل الشاهد وما يمسّعه المقام، فقد وُرد عن الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) ، في واحدةٍ من حواراته الطويلة مع الأديان الأخرى، بسعة صدرٍ وهدوء تام، (أمر المأمون الفضل بن سهل، أن يجمع أصحاب المقولات، مثل الجاثليق كبير النصارى، ورأس الجالوت اليهودي، وزوساء الصابئة والمجوس والزرذشتية والطبيب فسطاط الرومي، وقال المأمون: يا جاثليق هذا ابن عمّي وهو من ولد فاطمة بنت محمد رسول الله، وابن علي بن ابي طالب، وأحبّ ان تُحاججهُ، فقال الجاثليق: وكيف أحاجّ رجلاً يحتجّ بكتابنا أنا أنكره ونبيّ لا أؤمنُ به. قال الرضا: يا نصراني إن حاججك بإنجيلك أتقرّ به، قال: نعم والله، قال الإمام: سئل ما بدى لك، قال الجاثليق: ما تقول في نبوة عيسى وكتابه، قال الإمام: أنا مُقرّ بنبوة عيسى وكتابه،، وكافرٌ بنبوة كُلِّ عيسى لا يُقرّ بنبوة محمد وكتابه، قال الجاثليق: أقم شاهداً من غير ملتك على نبوة محمد، مما لا تنكره النصرانيّة. قال الرضا: ما تقول في يوحنا الديلمي، قال: يخّ يخّ ذكرتُ أحبّ الناس إلى المسيح... قال الرضا: وإن جئتُ بمن يقرّ الإنجيل ويذكر محمد وأهل بيته، قال الجاثليق: سديداً. قال الرضا

١- وسائل الشريعة، الحر العاملي، محمد بن الحسن، بتح عبد الرحيم رباني، المكتبة الاسلامية طهران، ط٤، ١٣٩٧هـ، ج١، ص٥٦٦.

٢- بحار الانوار، المجلسي، ج٩٧، ص٣٩١م. س.

٣- جامع احاديث الشيعة، حسين البروجدي، مطبعة المهر قم، ط٤، ١٣٧٣هـ، ش، ج١٦، ص١٧٧.



لفسطاط الرومي، كيف جفطك للسيفر الثالث، قال فسطاط: ما أحفظني له، فالتفت الرضا الى الجاثليق وقال: أَلَسْتُ تَقْرَأُ الْإِنْجِيلَ: قال نعم، ثُمَّ أَخَذَ الْإِمَامُ الرُّضَا يَقْرَأُ السِّفْرَ الثَّلَاثَ حَتَّى بَلَغَ ذِكْرَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، ثُمَّ قَالَ مَاذَا تَقُولُ يَا نَصْرَانِي، هَذَا قَوْلُ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ، فَإِنْ كَذَبْتَ الْإِنْجِيلَ فَقَدْ كَذَبْتَ عَيْسَى. قَالَ الْجَاثَلِيْقُ: لَا أَنْكَرُ مَا بَانَ لِي مِنَ الْإِنْجِيلِ وَإِنِّي مُقَرَّبٌ بِهِ، ثُمَّ أَخَذَ الْجَاثَلِيْقُ يَسْأَلُ عَنْ عِدَدِ حَوَارِيِي عَيْسَى وَعِلْمَاءِ الْإِنْجِيلِ وَعَشْرَاتِ الْأَسْفَلَةِ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى رَأْسِ الْجَالُوتِ وَالْهَرَبِذِ الْأَكْبَرِ وَأَصْحَابِ زَرَادَشْتِ وَالصَّابِئَةِ وَحَاجِجِهِمْ جَمِيعًا<sup>(١)</sup>. رَأَيْنَا كَيْفَ كَانَتْ الْأَجْوَاءُ الْحَوَارِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ تَسُودُ أَهْلَ الْأَدْيَانِ، وَحَرِيَّةَ الْفِكْرِ وَالْمُعْتَقَدِ، وَهِيَ حَالَةٌ سَائِدَةٌ وَمَأْلُوفَةٌ فِي تِلْكَ الْأَزْمَنَةِ، فَكَيْفَ لَا تَكُونُ مَأْلُوفَةً فِي وَقْتِنَا الْحَاضِرِ، وَنَحْنُ أَحْوَجُ إِلَيْهَا الْيَوْمَ.

### التعائش الإيماني في زمن الظهور

فِي مُعْتَقَدِ الْمُنَظْمَةِ الْفِكْرِيَّةِ لِمَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، لَوْ اجْتَمَعَ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ فِي زَمَانٍ وَاحِدٍ مَا اخْتَلَفُوا، لِوَحْدَةِ الرِّسَالَةِ وَالرُّسُولِ وَالْهَدَفِ، وَهَكَذَا لَوْ اجْتَمَعَ الْأُئِمَّةُ الْمَعْصُومِينَ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ، أَيْ أَنَّ التَّعَائِشَ الْإِيمَانِيَّ مَوْجُودٌ وَقَائِمٌ فِي زَمَنِ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ، فَقَدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، أَنَّهُ قَالَ: (لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ عَيْسَى - نَبِيٌّ، وَأَنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ، رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحَمْرَةِ وَالْبِيضِ.... فَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَيِدْقُ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الْخَنْزِيرَ وَيُضَعُ الْجَزِيَّةَ، وَيَهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمَلَلُ كُلُّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَيَهْلِكُ الْمَسِيحُ الدَّجَالُ، فَيَمَكْتُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يَتَوَفَى فَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ)<sup>(٢)</sup>. وَوَرَدَ عَنْهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكُنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلًا، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الْخَنْزِيرَ وَيُضَعُ الْجَزِيَّةَ)<sup>(٣)</sup>.

وَعَنْ إِبْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): (لَنْ تَهْلِكَ أُمَّةٌ أَنَا أَوْلَاهَا وَعَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ فِي آخِرِهَا، وَالْمَهْدِيُّ فِي وَسْطِهَا)<sup>(٤)</sup>. وَهَكَذَا يُبَشِّرُ النَّبِيُّ الْأَكْرَمُ بِأَنَّ عَيْسَى بْنَ مَرْيَمَ سَوْفَ يَظْهَرُ، وَيُصَلِّي خَلْفَ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ الْمُنْتَظَرِ، وَيَكُونُ حُجَّةً عَلَى النَّصَارَى فِي دُخُولِ الْإِسْلَامِ، وَالْإِيمَانِ بِالْمُخْلِصِ الْمَهْدِيِّ الْمُنْتَظَرِ (عَجَلَّ اللَّهُ تَعَالَى فَرْجَهُ)، وَالْقَضَاءِ عَلَى الظُّلْمِ وَنَشْرِ الْعَدْلِ. قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): (لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ، لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، حَتَّى يَخْرُجَ الْمَهْدِيُّ، فَيَنْزِلَ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ فَيُصَلِّيَ خَلْفَهُ)<sup>(٥)</sup>. كُلُّ ذَلِكَ يَقَعُ تَحْتَ التَّخْطِيطِ الْإِلَهِيِّ الْعَامِ.

وَمِنْ هُنَا نَسْتَطِيعُ الْقَوْلَ، أَنَّ إِيْمَانَ الْمُسْلِمِينَ بِعَيْسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، أَقْوَى مِنْ إِيْمَانِ النَّصَارَى بِهِ، فَهَمَّ يَقُولُونَ أَنَّهُ صَلْبٌ، وَالْمُسْلِمُونَ يَعْدُونَهُ حَيًّا، وَالتَّأثيرُ وَالتَّأثيرُ بِالحَيِّ أَشَدُّ مِنَ التَّأثيرِ بِالمَيِّتِ، وَثَمَرَةُ الحَيِّ أَقْوَى مِنْ ثَمَرَةِ المَيِّتِ. وَمِنْ هُنَا يَقُولُ السَّيِّدُ الشَّهِيدُ مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ صَادِقُ الصِّدْقِ (قَد): (أَنَّ الْإِمَامَ الْمَهْدِيَّ وَالسَّيِّدَ الْمَسِيحَ، هُمَا شَخْصَانِ يَظْهَرَانِ مَعًا، وَيُبْدِلَانِ جَهودًا مُشْتَرَكَةً فِي إِنْقَاذِ الْعَالَمِ، وَتَطْبِيقِ الْعَدْلِ الْكَامِلِ، وَيَتَكَمَّلُ كِلَاهُمَا قِيَادَةً وَاحِدَةً، وَمَهْمَةً وَاحِدَةً)<sup>(٦)</sup>.

١ - منتهى الامال، عباس القمي، مطبعة سرور، قم، ط٢، ج٢، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص١٧٨.

٢ - نقلًا عن: المسيح المنتظر، عباس الزيدي، إصدارات جيم، البصرة، ط٢، ٢٠٠٧م، ص١٩٠.

٣ - المصدر نفسه، ص١٨٩.

٤ - تاريخ ما بعد الظهور، محمد صادق الصدر، مطبعة بني الزهراء قم، ط١، ١٤٢٥هـ، ص٥٩١.

٥ - الإيقاظ من الهجعة في البرهان الى الرجعة، محمد حسن الحر العاملي ١٤٠٤هـ تَج مَشْتَقَاتِ الْمَظْفَرِ، مَط نَكَارَشِ، قَم، ط١، ١٤٢٢هـ، ص٣٠٤.

٦ - تاريخ ما بعد الظهور، محمد صادق الصدر، ص٦٠٠، م. س.

وبهذا نعرف حجم التعارف والتعاشي والتلافح الفكري والروحي والعقدي، بين أنبياء الله تعالى، لرفع مُستوى وعي الأمة، وإقامة العدل الإلهي، وتوحيد الأمة دينياً وروحياً.

### المطلب الثاني: الحقيقة المشتركة بين الأديان بين التنظير والتطبيق

الإيمانُ بالمبدء التعاشي الحقيقي بين الأديان، يحتاج الى سعة الصدر والخُلوص لله تعالى، ومصادقةً تامّةً، وحمل الطرف الآخر على أنه شريك حقيقي طبيعي في الحياة والممات، في الدّين والخلق، في الإنسانيّة ومُتطلبات العيش الكريم. نحتاجُ الى المصادقة في التحوّل المسؤول والشعور بالمسؤوليّة الجمعيّة، فالخلق عيالُ الله تعالى كما مرّ في الحديث الشريف، نحتاج الى التطبيق الحقيقي العادل، ولا نكتفي بالتنظير، والمؤتمرات والمُقررات والمُخرجات فحسب.

النبي محمد(صل الله عليه وآله) ، مؤسس تلك الحضارة الضخمة، التي امتدّت الى مساحاتٍ شاسعةٍ، لم تُأسس على ضوء العُنف والتطرف، وإنما ركّزت في مبدئها على التعاشي العقلاني التعاشي السلمي، والمُخلّص من الظلم والعدوان، وجسد ذلك نظرياً وعملياً، وفق مُنطلقات عُقلائيّة موضوعيّة، فتارةً يعمل في التقريب والتعاشي على ضوء قاعدة (الإنسانيّة) ، وتارةً ثالثة يعمل على ضوء قاعدة(الدّين الواحد) ، وتارةً ثالثةً يعمل على ضوء قاعدة(المواطنة) ، بحسب طبيعة المجتمعات ومُتبنياتهم، لأجل إحياء السلوك الجمعي. فكانت وثيقة(المدينة) - الصحيفة - في السنة الأولى من الهجرة، إنطلاقةً واقعيّةً عمليّةً، ودستوراً مديناً وسياسياً مثاليّاً، لجمع المسلم والمسيحي واليهودي والرومي والفرسي، وهي وثيقة تُرسخ مبدء التعاشي بين الأديان والمذاهب والشعوب.

نضّ وثيقة(المدينة) كاشفةً عن إمكان الوحدة الحقيقيّة بين الأديان:

وتقع في سبع وأربعين فقرة، وتُسمّى الصحيفة، وهي طويلة نأخذ منها محلّ الشاهد، مع مُراعات الإختصار، ومَن أراد الإستزادة فالراجع الوثيقة كاملة في محلها.

الفقرة (١) : "هذا كتابٌ من محمد النبي بين المسلمين المؤمنين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم". وأهل أديان وأجناس متعددة.

الفقرة(٢) : "إنهم أمةٌ واحدة" فأعطى مفهومًا جديدًا للمعنى الأمة، أوسع من القبيلة والقرية والقومية. يقول محمد متولّي الشعراوي: "إنّ إعتراف هذه الصحيفة بجماعة المخالفين، ثمّ وصفهم بالأمة الواحدة، يؤكّد أنّ الألفة بين الجماعات على أرض واحدة، هي حجر الأساس في بناء الوطن..... لعنّ العالم يفتح عينيه من جديد على ما يحمله الإسلام من فكرٍ مُتقدّم في حقوق الإنسان وحقوق المواطنة"<sup>(١)</sup>

الفقرة(٣) : "المهاجرون من قريش على ربيعتهم، يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين.....وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط" إشارة الى التعاون والتكافل الإجتماعي الكامل.

الفقرة(٤) : "إنّ المؤمنين المُتقين أيديهم على كلّ من بغى منهم، أو ابتغى دسيسه، ظلماً أو إثماً أو عدواناً أو فساداً بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم" للدلالة على المصادقة التطبيقية، وعدم التعاطف في من يחדش الوحدة والمعاهدة.

١ - نقلا عن: مبدء التعاشي، رعد عتاف، مؤسسة العهد الصادق، قم، ط١، ٢٠٠٧م، ص٨٥.

الفقرة (٥): "مَنْ تبعنا من اليهود، فإنَّ لَهُ النُّصرة والأسوة" أي كانت نصرتهم واجبة على المسلمين.  
 الفقرة (٦): "وَأَنَّ يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ومواليهم وأنفسهم، إلَّا من ظلم نفسه أثم"  
 الفقرة (٧): "بينهم النصر على مَنْ حارب أهل هذه الصحيفة، وأنَّ بينهم النُّصح والنصيحة والبرِّ دون الإثم"  
 الفقرة (٨): "وَأَنَّ الجار كالنفس غير مُضارٍ ولا أثم" فجعل المُجاورة بين اليهودي والنصراني والمسلم كالنفس الواحدة، يحكم المُجاورة والمواطنة، فكيف إذا كانت بينهم رابطة الإله الواحد، والرَّبُّ الواحد، والخالق الواحد.  
 يقول الشيخ محمد مهدي شمس الدين: "إنَّ ما جاء في الصحيفة، حكمٌ ثابتٌ غير منسوخ، وأنَّ النبي يدعوهم ولكنهم أحرارٌ في القبول والعدم، وأنَّ عدم الإستجابة لا يؤثِّر على حقوقهم المدنية ماداموا مواطنين لم يخونوا.... لو لا أنَّ اليهود أفسدوها بتامرهم ودخولهم في حربٍ مع المسلمين لُنصرة قريش، فخالفوا بنودها، ممَّا أدَّى الى إنهيار المجتمع المتنوع"<sup>(١)</sup>. وإلَّا فإنَّ الأصل القرآني لا يسمح بقتال أهل الأديان وغيرهم، إلَّا إذا كانوا يُريدون قتلهم، قال تعالى: (وَقَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) البقرة ١٩٠.

ومن هنا يقول المفكّر سيّد قطب "لم يكن يوماً من أغراض الحرب في الإسلام، إكراه الناس على إعتناقه، لا في مبادئه النظرية ولا في واقعه التاريخي، اللهمَّ إلَّا فلتات عارضة وقعت خطأ، ممن لم يفهموا حقيقة الدعوة الإسلامية، ولا تُحسب على الدين، لأنَّها ليست من هذا الدِّين، وما انتشر الإسلام بالسيف كما يصفه الجاهلون به، والمُعادون له، وما كان الحرب فيها لإكراه الناس على إعتناقه، وإنما كانت الحرب لإزالة الطواغيت، التي تحوّل بين الناس وبين سماع الدعوة.... وكما كانت لإزالة الطواغيت التي تدعي الإلهية وتغتصب حقائقها، وتعتبد الناس من دون الله"<sup>(٢)</sup>.

وهذا ما أكده المُستشرق (سيرت أرنولد)، في كتابه الدعوة الى الإسلام، بقوله: "نستطيع أن نستخلص أنَّ هذه القبائل المسيحية، التي إعتنقت الإسلام، إنّما فعل ذلك عن إخبار وإرادة حرة، وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مُسلمة، لشاهد على هذا التسامح.... ويمكننا أن نحكم من الصّلات الودية، التي قامت بين المسيحيين والمسلمين من العرب، بأنَّ القوّة لم تكن عاملاً حاسماً في تحوّل الناس الى الإسلام، فمحمد نفسه عقّد حلفاً مع القبائل المسيحية، وأخذ على عاتقه حمايتهم، ومخهم الحرية في إقامة شعائرهم الدينية، كما أتاح لرجال الكنيسة أن ينعموا بحقوقهم ونفوذهم، وقد وجد حلفٌ كهذا بين أتباع النبي وبين مواطنيهم، الذين كانوا يدينون بالوثنية دينهم القديم"<sup>(٣)</sup>.

### وثيقة التعايش الثانية مع أهل الكتاب

وهي وثيقة كاشفة عن حجم المُشتركات والحقيقة الواحدة بين الأديان، وفق الموازين الشريعة والعقلية والإنسانية، عقدها النبي محمد (صل الله عليه وآله) مع كافة النصارى، ويخطّ الوصي علي بن ابي طالب (عليه السلام)، وهي:

١- في الاجتماع السياسي الاسلامي، محمد مهدي شمس الدين، تقديم رزي المبلاد، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ ص ٣٠.

٢- السلام العالمي والإسلام، سيد قطب، دار الشروق، لبنان، ط٤، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، ص ٣٣٣.

٣- نقلا: عن سيد قطب، السلام العالمي والإسلام، ص ٣٤، م. س.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتابٌ كتبه محمد بن عبد الله، إلى كافة الناس جميعاً، بشيراً ونذيراً، ومؤتمناً على وديعة الله في خلقه، لئلاً يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وكان الله عزيزاً حكيمًا، كتبه لأهل ملته، ولجميع من ينتحل دين النصرانية، من مشارق الأرض ومغاربها، وقربها وبعيدها، فصيحتها وإعجمها، معروفها ومجهولها، كتاباً جعله لهم عهداً، فمن نكث العهد الذي فيه وخالفه إلى غيره، وتعدى إلى ما أمره، كان لعهد الله ناكثاً، ولميثاقه ناقضاً، وبدينه مُستهزئاً، وللعنة مستوجباً، سلطانا كان أم غيره، من المسلمين المؤمنين، وإن احتمى راهبٌ أو سائحٌ، في جبلٍ أو وادٍ أو مغارةٍ أو عمرانٍ أو سهلٍ أو رملٍ أو ردةٍ أو بيعة، فإنا أكون من ورائهم، ذابَّ عنهم من كلِّ عدَّةٍ لهم، بنفسي وأعواني وأهلِ ملتي وإتباعي، كأنهم رعيتي وأهل بيتي، وليس عليه جبرٌ ولا إكراه على شيء من ذلك، ولا يُغَيَّر أسقفٌ من أسقفيته، ولا راهبٌ من رهبانيتها، ولا حبيسٌ من صومعته، ولا سائحٌ من سياحته، ولا يُهدم بيتٌ من بيوت كنائسهم ويبيعهم، ولا يدخل شيء من مالِ كنائسهم في بناءٍ مسجد، ولا في منازل المسلمين، فمن فعل شيئاً من ذلك، فقد نكث عهد الله وخالف رسوله، ولا يُحمل على الرهبان والأساقفة، ولا من يتعبد، جزية ولا غرامة، وأنا أحفظ ذمتهم أينما كانوا، من برٍّ أو بحر، في المشرق والمغرب والشمال والجنوب،..... ولا يُجادلون إلَّا بالتي هي أحسن، ويُخَفِّض لهم جناح الرحمة، ويكفُّ عنهم المكروه حيثما كانوا وحيثما حلوا، وإن صارت النصرانية عند المسلمين، فعليه برضاهم وتمكينهم من الصلوات في بيعهم، ولا يُحيل بينهم وبين هوى دينهم<sup>(١)</sup>.

وكما ترى مُراعاة وتعاطف ومشاعر صادقة، من الإسلام إتجاه النصارى، لإشعارهم بالوحدة الحقيقية بين الأديان، وأنهم من منبعٍ ومنهلٍ واحدٍ، فمن غير المعقول التفرق والتشتت والعداوة، وترك هذه الروابط الأصيلة في دين الله تعالى.

ونحن لا نستغرب من سعة هذه العاطفة التي إحتوتها الوثيقة، إذا ما إطلعنا على المبادئ السامية والنبيلة للإسلام العظيم. حتَّى أنَّ الإمام علي (عليه السلام) كان يوصي ابنه محمد بن الحنفية: (واحسن إلى جميع الناس كما تُحب أن يُحسن إليك، وأرض لهم ما ترضاه لنفسك، وإستقيح من نفسك ما تستقبحه من غيرك، وحسن مع جميع الناس حلقك، حتَّى إذا غبت عنهم حتوا إليك وإذا مُتَّ بكوا عليك)<sup>(٢)</sup>. وهي قواعدٌ عدلّية وعقليةٌ ووجدانية، يشعر بها كلُّ إنسانٍ يريد أن يعيش بأمانٍ ويُشعر غيره بالأمان، فكلُّنا من آدمٍ وادمٍ من تراب، فلا ينبغي التكبر والإستعلاء الوهمي دون إستحقاق شرعي أو عقلي أو أخلاقي. نسأل الله تعالى أن يَمُنَّ على جميع الشرائع السماوية بالخير والسلام والأمان، وأن يُفَرِّج عن المنقذ الأوحى والمُخلص الأكمل لكي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما مُليعت ظُلماً وجوراً، وأن يُفَرِّج عن الشعب الفلسطيني بمُسلميه ونصرانيه من هذا العدوان الظالم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## نتائج البحث

١- أنَّ المُشتركات بين التشريعات السماوية مُشتركات حقيقيّة وواقعيّة، وليس وهميّة أو مُجرد تنظير، وإنّما لها واقع علمي وسندٌ شرعي وعقلي ووجداني.

١- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي، محمد حميد الله، دار النفاثس بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ص٥٩.

٢- ما لا يحضره الفقيه، الصدوق ٣٨١هـ، دار الاضواء بيروت، ط٦، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ج٤، ص٣٨٧.

- ٢- أن التوحيدَ في مُقدِّمة الأُصول والجذور الحَقِيقِيَّةِ الجامعة للأديان السماويَّةِ، وهو عمود الدِّين، وأصلُ المُشترَكَات.
- ٣- العَدْلُ الشَّامِل، هو الغاية من التشريع السماوي وبعث الأنبياء والرسل، وهو الحقيقة المُشترَكة التي يسعى جميع الأديان إلى تحقيقها.
- ٤- أنَّ العَقْلَ ومداركهُ من المُشترَكَات الحَقِيقِيَّةِ، التي لا يمكن التجرّد عنه، وهو الأساس العلمي والواقعي في التمييز بين الخير والشّر، ولذا عُدَّ الحُسْن والقبح من المُستقلات العَقليَّةِ، لأهميتها في التحقيق والتمييز والكشف الواقعي.
- ٥- جميع الأديان تشترك وتعترف بحقيقة الكَشْفِ العَقلي عن الواقعيَّات، وأنَّ الله تعبدنا بالعقل، وإن كانت بعض النصوص في الكُتُب المُحرَّفَة، تحتوي على خلاف العقل والمنطق.
- ٦- القرآن المجيد شاهدٌ صريحٌ، في الدعوة إلى الوحدة الحَقِيقِيَّةِ بين الأديان، وإلى كلمةٍ سواء، تحت مظلة الإله الواحد والربّ الواحد وعدم الشَّرِك.
- ٧- مهما حصل حجم التحريف في كتب اليهود والنصارى، فإنَّ الله تعالى أبقى الآثار التي تدلُّ على التوحيد في الديانة اليهودية والنصرانية، وأنَّ التحريف كان من عند أنفسهم وليس في أتصل التشريع.
- ٨- الرسول محمد وأهل بيته (عليهم السلام)، كشفوا عن الكثير من واقع النصوص التوراتية والإنجيلية الأصلية، من خلال المُحاورات والنقاشات مع القساوسة والرهبان من الأديان.
- ٩- ينبغي أن يكون الأصل والمعيار في الكشف عند النصوص المتناقضة لدى الأديان، هو العقل، فهو المائر في بيان التناقضات والمتضادات التي حُضيت بها الشرائع المُحرَّفَة.
- ١٠- أنَّ الإختلاف والتنوع في الشعوب والقبائل هو من الجعل التكويني لله تعالى، لغرض التعارف وتبادل الخبرات، فلا ينبغي أن يكون مقتضى للتفرقة والإنشقاق.
- ١١- أن الإسلام منفتحٌ على جميع الأديان، لكي يُهيئَ الأرضية الخصبة للحوار والتعايش السلمي، ويؤمن بعدم الإكراه في الدِّين.
- ١٢- أن النظرية المهودوية خيرٌ خلاصٍ للشعوب المظلومة، وهي نظرية يطمح ويؤمن بها الجميع، وإن إختلفوا في التفاصيل، وهي جزءٌ من العدل الإلهي الشامل.
- ١٣- إنَّ الدعوة إلى الوحدة الحَقِيقِيَّةِ بين الأديان، لا تعني ترك التراث الفقهي والعقدي لدى الأديان، غاية الأمر العمل بالمشترَكَات وترك المُنفَرَات.

## فهرست المصادر

القرآن المجيد

نهج البلاغة

- ١- التوحيد، محمد بن علي الصدوق، تحقيق هاشم الحسيني، جماعة المدرسين قم، ط ١.
- ٢- نهاية حلم، أيمن المصري، مطبعة زلال الكوش، كربلاء، ط ١، ٢٠٠٢م.
- ٣- بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣.
- ٤- الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، جورج جرداق، مطبعة ليلي بيروت، ط ١، ١٤٢٦.

- ٥ - تحف العقول، ابن شعبة الحراني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط ٢، ١٤٠٤.
- ٦- الكافي محمد بن يعقوب الكليني، منشورات الفجر بيروت، ط ٢، ١٤٠٤.
- ٧- مرآت العقول، محمد باقر، تحقيق هاشم رسولي، دار الكتب الإسلامي طهران، ط ٢، ١٤٠٤هـ.
- ٨- معاني الأخبار، محمد بن علي الصدوق، تحقيق علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي قم، ط ٢، ١٤٠٣هـ.
- ٩- العدل الإلهي، مرتضى المطهري، تحقيق عبد المنعم الخاقاني، شبكة فكر، ط ٢، ١٤٠١هـ.
- ١٠- التعددية الدينية، مصطفى عزيزي، مطبعة عاشوراء كربلاء، ط ١، ٢٠٢٠م.
- ١١- الاحتجاج على اهل اللجاج، احمد بن علي الطبرسي ت ٥٨٨هـ تحقيق محمدباقر الخراسان، نشر المرتضى ايران، ط ١، ١٤٠٣هـ.
- ١٢- مكانة العقل في القرآن والسنة، أيمن المصري، مؤسسة البديل كربلاء، مطبعة عاشوراء، ط ١، ٢٠٢٢م.
- ١٣- العين، الخليل بن احمد الفراهيدي ت ١٧٥هـ تحقيق مهدي المخزومي، دار الهجرة ايران، ط ٢، ١٤٠٩هـ.
- ١٤- التوحيد في القرآن، عبدالأعلى السبزواري، دار الكتاب العربي لبنان، ط ١، ١٤٣٢هـ- ٢٠٠١م.
- ١٥- أصول العقيدة، محمد سعيد الحكيم، دار الهلال، ط ١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- ١٦- المحاسن، احمد بن محمد البرقي ت ٢٧٤هـ دار الكتب الإسلامية قم، ط ٢، ١٣٧١هـ.
- ١٧- الوافي، محمد محسن الفيض الكاشاني ت ١٠٩١هـ ط ١، ١٤٠٦هـ.
- ١٨- إعتقادات الامامية، محمد بن علي الصدوق، تحقيق عصام عبد السيد، المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم، ط ٢، ١٤١٣هـ.
- ١٩- عيون أخبار الرضا، الصدوق، تحقيق، مهدي اللاجوري، منشورات جهان، طهران، ط ١، ١٤١٣هـ.
- ٢٠- بصائر الدرجات، محمد حسن الصفار ت ٢٩٠هـ تحقيق محسن عباس، مكتبة المرعشي قم، ط ٢، ١٤٠٤هـ.
- ٢١- وسائل الشيعة، الحر العاملي محمد بن الحسن، تحقيق عبد الرحمن رباني، المكتبة الإسلامية، طهران، ط ٤، ١٣٩٧هـ.
- ٢٢- جامع احاديث الشيعة، حسين البروجردي، مطبعة المهر، قم، ط ٢، ١٣٧٣هـ.
- ٢٣- منتهى الامال، عباس القمي، مطبعة سرور قم، ط ٢، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
- ٢٤- المسيح المنتظر، عباس الزيدي، اصدارات جيم البصرة، ط ٢، ٢٠٠٧م.
- ٢٥- تاريخ ما بعد الظهور، محمد محمد صادق الصدر، مطبعة بني الزهراء، قم، ط ١، ١٤٠٥هـ.
- ٢٦- الايقاظ من الهجعة في البرهان الى الرجعة، الحر العاملي محمد بن الحسن، تحقيق مشتاق المظفر، مطبعة نكارش، قم، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- ٢٧- مبدء التعايش، رعد عساف، مؤسسة العهد الصادق، قم، ط ١، ٢٠٠٧م.
- ٢٨- في الاجتماع السياسي الاسلامي، في الاجتماع السياسي الاسلامي، محمد مهدي شمس الدين، تقديم زكي ميلاد، دار الكتاب اللبناني، ط ١، ١٤١٢هـ.
- ٢٩- السلام العالمي والاسلام، سيد قطب، دار الشروق، لبنان، ط ١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- ٣٠- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي، محمد حميد الله، دار النفايس بيروت، ط ٧، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
- ٣١- ما لا يحضره الفقيه، الصدوق ت ٣٨١هـ دار الاضواء بيروت، ط ٦، ١٤٠٥م.

## التوجية الاقتصادي للأمام الرضا عليه السلام

انوارحميد كريم

### المقدمة

ان الدين الاسلامي يمتلك نظام اقتصادي متكامل وتركز على الجانب الاخلاقي في التعامل لكي يحقق السعادة للانسان ويعالج المشاكل الاقتصادية لان المجتمعات الانسانية لايمكن لها استغناء عن القيم الاخلاقية في المجال الاقتصادي في سبيل الحصول على اكبر قدر ممكن من الربح او تقوية البنية الاقتصادية وان الاسلام شريعة متكاملة غنية بنظمها ليست مادية خالصة ولا روحانية محضا بل تستقصي جميع انطباعات المادة وجميع الخصائص الروح وتقيم موازنة شاملة عادلة بين جميع ما يحتاج اليه الانسان في حياته، واهتم الاسلام بالجانب المالي للمجتمع الاسلامي ككل ونظر الى الاموال كوسيلة لتحقيق رضا الله وبناء المجتمع وتحقيق خير الفرد ورفاهية الجماعة من خلال ضمان مصالح الفرد الخاصة و عدم الاضرار بمصالح الجماعة العامة وعدم اساءة استخدام الاموال او تحويلها الى غاية واداة طغيان واستغلال بيد الافراد او التعدي والاضرار بالآخرين والتجاوز على الحرمات العامة والخاصة، لذلك وضع الاسلام الكثير من القيود والمحددات والتحذيرات الدنيوية والاخروية وفرض الواجبات المالية على الافراد في اموالهم لصالح الفقراء والمحتاجين من اجل تحصين المجتمع ضد الجوع والفقر والسكن والعوز المادي والمعنوي و تحقيق التكافل الاجتماعي بين الافراد الى جانب الالتزامات التي اوجبتها الشارح المقدس وتحقيق التوزيع العادل للثروة ويجاد سبل التوازن الاجتماعي في المجتمع و الانفاق على المشروعات العامة وتقديم الخدمات الاجتماعية ويحتم على الخزينة العامة بيت المال ان تسعف حالات الطوارئ و الكوارث، فالاسلام مجموعة من النظم الاجتماعية القائمة على القيم الاخلاقية والانسانية وقد قمت بالبحث عن المبحث الاول النظام المالي الاسلامي و مبادئ النظام الاقتصادي الاسلامي و مصادر التمويل الاسلامي والمبحث الثاني الاوضاع المالية بين البذخ والفقر في زمن العباسيين والمبحث الثالث اساسيات النظام الاقتصادي الاسلامي عند اهل البيت عليهم السلام و عدة مطالب و اساس النظام الاقتصادي الاسلامي و الوضع الاقتصادي في عهد الامام الرضا عليه السلام و التوجية الاقتصادي الامام الرضا عليه السلام و دور وكلاء الامام الرضا U الاداري والمالي.

### المبحث الاول: النظام المالي الاسلامي

#### المطلب الاول: مبادئ النظام الاقتصادي الاسلامي

من خصائص الدين الاسلامي ملاءمته للفطرة الانسانية وتعاليمه منسجمة مع هذه الفطرة وهي حب المال ولم يحاربها بل هذبها احسن تهذيب بما يكفل الخير والنماء للإنسان والمجتمع واعطى له حق التملك وبأساليب

مشروعة محدودة فلا يجوز الربح عن طريق الربا و المتاجرة بالمواد المحرمة ثم جعل على ثروة الفرد ضرائب متنوعة كالزكاة والخمس وان الاقتصاد الاسلامي يشجع غزيرة حب التملك لدى الانسان وفي الوقت نفسه يحفظ المجتمع حقه في الثروات الطبيعية العامة فعلاقة المسلم بالمال ليست علاقة عبودية واتباع الشهوات وانما هي علاقة ايجابية خاضعة بطبيعة الحال لإرادة الحق تعالى (١) وان مبادئ الاقتصاد الاسلامي قائمة على ثلاث اركان

١. مبدأ الملكية المزدوجة

٢. مبدأ الحرية الاقتصادية في نطاق محدود مع الأخذ بنظر الاعتبار مصلحة الفرد والمجتمع

٣. مبدأ العدالة الاجتماعية (٢)

### المطلب الثاني: مصادر التمويل الاسلامي

بيت المال: هو الاصطلاح الذي اطلق على المؤسسة التي قامت بالأشراف على ما يرد من الاموال و ما يخرج في اوجه النفقات المختلفة وسمي ايضا بالديوان السامي وذكر مصادر عديدة يسمى الخزانة وسمي ايضا (بيت مال المسلمين) و تتكون الاموال التي يستحقها المسلمون من الناحية الشرعية وهي كالآتي:

١. الزكاة بأنواعها التي يأخذها الامام سواء كانت الزكاة اموال ظاهرة او باطنة كالذهب والفضة من السوائم

والزروع والنقود والعروض ومنها عشور تجار المسلمين اذا مروا بتجارتهم على العاشر

٢. الخمس والمعيار في ثبوت الخمس هو الملك والفائدة والاموال الشخصية بعد استخراج المؤونة فلا

يثبت على الاموال العامة ولا في الاموال غير المملوكة من المباحات الاصلية او المتعينة للجهات

العامة وانما ثبتت في الاموال المملوكة للأشخاص بأعيانهم سواء كانوا مكلفين ام غير مكلفين

وواجبه الله على المسلمين كما قال الله تعالى في كتابه (٣) (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ

خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَإِنَّ السَّبِيلَ) (٤) .

أ- خمس غنائم الحرب المنقولة الحرب بأذن الامام.

ب- خمس المعادن المستخرجة من الارض كالذهب والفضة والحديد وغيرها وهناك من يقول

بخضوع اموال البترول للزكاة للخمس (٥) .

ت- خمس الركائز الكنوز وهو كل مال دفن في الارض بفعل الانسان.

ث- يتوسع الخمس للغنائم فلا يتحدد بغنائم الحرب بل مطلق الفائدة المكتسبة شرعا سواء

اكتسبت برأسمال كأرباح التجارة او بغيره وما يستفاد من دار الحرب من اموال منقولة وغير

منقولة او ما يحصل من حيازة المباحات او نحو ذلك كما في يكتسب بالغوص في البحر (٦)

(١) الجعفري، عبدالسلام كاظم، اضاء على الاخلاق الاقتصادية في الاسلام ودور اهل البيت في نشرها، منشورات دار التفسير،

ايران، ١٤٣٩هـ، ص٢٧

(٢) مصدر سابق، ص٣٤ .

(٣) الحكيم، محمد سعيد، منهاج الصالحين، دار الصفوة، بيروت، ط١، ١٩٩٤هـ، ج١/ ص٤٠٠

(٤) سورة الانفال، آية ٤٠

(٥) الاعرجي، النظام المالي، ص ١٤٩

(٦) النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام، دار الكتب الاسلامية، قم، ط٣، ج٣١، ص١٤٧.



ويشمل الخمس ارض الذمي التي اشتراها من مسلم والحرام المختلط بالحلال اذا لم يتميز<sup>(١)</sup> ويقسم الخمس وفق مذهب اهل البيت الى ستة اقسام منه ثلاثة سهم لله ورسوله وذي القربى ويقصد الأئمة المعصومين و تكون للأمام نوابه اليوم الفقهاء العدول الجامعون للشرائط الفتوى اما الاسهم الثلاثة الاخرى تصرف الى الفقراء المحتاجين من بني هاشم تعويضاً عن الزكاة التي لا يجوز صرف أي شئ منها لهم<sup>(٢)</sup>.

٣. الفئ وهو كل مال تم تحصيله من المشركين من غير قتال وبأجاف خيل ولا ركاب كآمال الهدنة الصلح و الجزية واعشار متاجرهم من اموال منقولة وغير منقولة كالأراضي والعقارات التي جلا عنها الكفار خوفاً من المسلمين<sup>(٣)</sup>.

٤. الخراج والمقاسمة نوعان من الضرائب التي تفرضها الدولة الاسلامية على الأراضي المفتوحة عنوة اي الأراضي التي سيطر عليها المسلمون من خلال قتال الكفار وكل يعمل في هذه الأراضي يدفع سنويا ضريبة للدولة حيث تعود مثل هذه الأراضي لعامة المسلمين ولا يمكن بيعها او شرائها فان منافعها تصرف في المصالح العامة فالخراج تعني ضريبة نقدية تعينها الدولة ومن يعمل في هذه الارض يدفع سنويا مبلغ الى الدولة اما المقاسمة فالدولة مشتركة مع المزارعين في الارض الخراجية<sup>(٤)</sup> ويصرف الخراج بعد جمعه حسب تشخيص الحاكم الاسلامي في المصالح العامة والدفاع وما يصب في خدمة اقتصاد المجتمع الاسلامي.

٥. الجزية ضريبة سنوية تؤخذ من اهل الكتاب ازاء المسؤولية التي تقوم بها الدولة الاسلامية في ضمان امنهم و توفير الخدمات لهم ولا مقدار ثابت للجزية ويتعين مقدارها من قبل الدولة حسب المصالح الشخص البالغ وسالم ولا تثبت اخذ الأئمة جزية الا في زمن الامام علي<sup>(٥)</sup>.

٦. الموارث وهي مال من يموت دون وارث يرثه بقرابة او نكاح او ولاء وتسمى الحشرية واعتمد عليها الخلفاء العباسيين في سد النقص الذي يعانيه بيت المال وقال ويخبرنا البيهقي ان القاضي يحيى بن اكنم حمل الى المأمون من اموال الحشرية اربعمائة الف دينار<sup>(٦)</sup>

٧. الضرائب الاضطرارية من مصادر الحكومة الاسلامية هي الضرائب التي يصنعها الحاكم عند الاضطرار حيث تستجد بعض الاحداث سوء الوضاع الداخلية والخارجية او تحسين الاوضاع الاجتماعية ولا حد معين ولا زمان معين لهذا النوع من الضرائب وهو اراد الحاكم اعادة اعمار منطقة بهدف خلق الرفاهية للناس وشعر بحاجة يفرض ضريبة<sup>(٧)</sup>

٨. العوائد الاضافية: والتي تستطيع صرفه على المصالح المسلمين عامة هو المظالم والكفارات واللقطة والاقواق والوصايا والندور<sup>(٨)</sup>

(١) العاملي، زين الدين الجبعي، الروضة البهية، ج٣، ص

(٢) العاملي، زين الدين الجبعي، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، منشورات النجف الاشرف، ط٣، ١٣٩٥، ج٣،

(٣) الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، الاحكام السلطانية والولايات الدينية، ط١، شركة مطبعة مصطفى البابي، ١٩٦٠م، ١٣٦ص.

(٤) السبحاني، جعفر، مفاهيم القرآن، مؤسسة الامام الصادق، ايران، ج٣، ٥٨٢ ص.

(٥) ابن الجوزي، ج٥، ص ١٦١

(٦) الخراساني، المصادر المالية لاهل البيت، دار العربي، بغداد ص ١٨٨

(٧) السبحاني، مفاهيم القرآن، ٥٨٤

### المطلب الثالث: مميزات النظام المالي الاسلامي

١. يهدف الى دعم الرسالة و اهدافها و حماية الاقتصاد الاسلامي و اقرار التكافل والضمان الاجتماعي و حماية العمل و توفير الفرص و دعم الانتاج و تحديد سبل تنمية و توزيع الدخل توزيعاً عادلاً و احلال التوازن الاقتصادي و ترشيد الانفاق العام و الخاص و يمتاز باستقلاله عن أي نظام مالي اخر و ينبع من القرآن الكريم و السنة النبوية و اجتهادات العلماء المسلمين و تطبيقاتهم
٢. يقوم النظام المالي الاسلامي على اساس العدالة الاجتماعية و يمتاز بالتوفيق و الملائمة بين مصالح الفرد و الجماعة قال أمير المؤمنين عليه السلام ((لَنْ الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقيراً إلا بما مُتَّع به غني والله تعالى سائلهم عن ذلك<sup>(١)</sup>) و هذا المعادلة تجعل لا يوجد فقير على الارض.
٣. النظام المالي الاسلامي جزء من النظام الاسلامي ككل هناك ارتباط بين امور المال و الواجبات الشرعية كالعقيدة و العبادة و الاخلاق و نظام الاسرة و الارث و لا يمكن فصل الواجبات و المتطلبات المالية عن بقية الانظمة الاسلامية و الا أدى الى تشويه معالمه.
٤. يهدف النظام المالي الاسلامي الى احلال التوازن الاقتصادي و الاجتماعي في المجتمع و قد خول الانسان وفق اسس الخلافة الالهية للجماعة التصرف فيه و الاستفادة منه و التمتع به في كل المرافق الاقتصادية و وفق الحدود الشرعية و شجع على انفاقه في سبيله و اوجه احياناً و ذم الادخار و اكتنازه من اجل ان تتحرك الاموال دون تتجمد بل تستثمر بمسؤولية في تنمية المرافق الاقتصادية و بموت الانسان تتوزع الثروات مرة اخرى من جديد و عدم تراكم الثروات الفردية بما يهدد المجتمع<sup>(٢)</sup> كما في قوله تعالى كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ<sup>(٣)</sup> و أكد على احلال التوازن لضمان حد الكفاف و حماية الصدقات الواجبة و فرض ضرائب اضافية ليتم توزيعاً على المجتمع دون حدوث الثروات و الوقوف بوجه التضخم المالي<sup>(٤)</sup>
٥. يتميز النظام المالي الاسلامي وجود نظام رقابة داخلية مالية و ادارية يبدأ الاشراف المالي من اعلى المستويات و هو الخليفة الماليين في الولايات و الدواوين و رقابتهم على الاداء و كيفية تنفيذ الاوامر في اخذ الحقوق الشرعية و يكون للرقابة الشعبية دور فعال على اساس نظام الحسبة الذي يكون تطوعي يقوم به الخليفة او الولاة لمن يجد نفسه لهذا العمل على اساس الامر بالمعروف و النهي عن المنكر<sup>(٥)</sup>

### المبحث الثاني: الوضاع المالية بين البذخ و الفقر في زمن العباسيين

اهتم الاسلام اهتماماً بالغا بمكافحة الفقر فالزم ولاة الامور على زيادة دخل الفرد و تنمية الاقتصاد و بسط الرخاء و الرفاهية بين الناس و كان من بين ما عني به تطوير الاقتصاد ان لزم ولاة المسلمين بأنفاق اموال الدولة على المصالح العامة و ذلك عن طريق تنمية الزراعة و انشاء المشاريع العامة كما منع ولاة المسلمين ان يختاروا

(١) صبحي صالح، نهج البلاغة، ط٢، انتشارات انوار الهدى، قم المقدسة، ١٤٢٤ هـ، ٥٣٣ ص.

(٢) التسخيري، التوازن في الاسلام، ص١١٠-١١٥

(٣) سورة الحشر، آية

(٤) الاصفى، محمد مهدي، النظام المالي و تداول الثروة في الاسلام، موقع شبكة الامامين الحسينين عليهما السلام للتراث و الفكر الاسلامي، ص٢١.

(٥) العرشي، علاء فاضل، النظام المالي ص١٨٣.

لأنفسهم واقربائهم شيئا من خزينة الدولة. هذه المبادئ اقرها الاسلام في سياسته الاقتصادية ولكن لم يلتزم الحكام العباسيون فاتخذوا مال الله دولا وعباد الله خولا، وانفقوا الاموال الطائلة على شهواتهم واصحابهم فبنوا القصور الفخمة ووهبوا الاموال الطائلة على المغنين والجواري والعابثين مما اوقع البلاد في ازمات حادة في الاقتصاد العام وتكونت:

الطبقة الاولى: الطبقة الرأسمالية وهي التي جمعت اموال الامة الاسلامية ولا عمل لها الا البطالة واللهو والاسراف في المحرمات

الطبقة الثانية: طبقة العمال والفلاحين والمحرومين التي شقيت وتعبت وشاع فيها الفقر والحرمان وهذا الانقسام في صفوف المجتمع ادى الى فقدان التوازن في الحياة الاقتصادية وانعدام الاستقرار في الحياة الاجتماعية والسياسية (١) وان الامور المالية للدولة العباسية تدهورت منذ النصف الاول للقرن الثالث الهجري بسبب الثورات التي واجتها وتراخي الخلفاء عن واجباتهم وازدياد تبذيرهم واستمرار مطالبة الجند لهم بالاموال مما ادى الى ضعف الدولة واضطرابها السياسي فاطلق المستعين بالله يد الاتراك في بيوت المال وبان التلاعب عندما عين ابن رائق خليفة وولاه امور الدواوين فسيطر على امور البلاد المالية حتى دخول البويهيين سنة ٣٣٤ هـ (٢) ولعبت اجواء الترف و الرفاهية دورا كبيرا في انتشار وتفشي الانحراف عند الحاكم ومؤسسته وعند الامة فكان الحاكم يعيش مظاهر اللهو واللعب والانسحاق وراء الشهوات فهارون اول خليفة لعب الصلوجة والكرة ورمي النشاب في البرجاس واول خليفة لعب الشطرنج من بني العباس (٣) وكان الرشيد مولعا بالشراب مع جعفر البرمكي ومع اخته العباسية بنت المهدي وكان يحضها اذا جلس للشرب ثم يقوم من مجلسه ويتركها يثملان من الشراب (٤) وسار اولاده على نهجه في البذخ والترف والتلاعب باموال المسلمين فقد بنى محمد الامين قبة اتخذ لها فراشا مبطنا بأنواع الحرير والديباج المنسوج بالذهب الاحمر وغير ذلك من انواع البريسم (٥) أدت الفتوحات الى تدفق الاموال، بالإضافة الى أسلوب المعيشة والصراع والحروب والفتن في الدولة الاموية استنزفت الكثير من مالتها والمشكلة المالية ظهرت منذ قيام الدولة العباسية فقد ضمت الدولة اقاليم واسعة ومتباعدة و متباينة وحين ضعفت همة الخلفاء اصبحوا لا يهتمون لما يدخل بيوت أموالهم و ما يخرج منها ما دامت الجباية وافر غير ان النفقات أصبحت اكثر من الوارد والحق ذلك ان انفصال بعض الولايات عن جسم الدولة وادى الى زعزعة ماليتها ويضاف كثرة الحروب والثورات و كذلك اغراق الخلفاء في الترف والبذخ و تصرفهم المطلق بالاموال وزياد و عدد موظفي الدولة وشيوع ظاهرتي الاقطاع والضمان توضح لنا ضخامة ثروات الخلفاء الخاصة و ثروات العائلة المالكة والحاشية والوزراء والقواد وكبار موظفي الدولة ومصدر هذه الثروات وكثرة حوادث الشغب الجند للمطالبة بأرزاقهم و تكررها في فترات متقاربة وما كانت تثيره من اضطراب و فتن في البلاد وإشاعة القلق في نفوس الناس ففي حصار بغداد ١٩٧ هـ / ٨١٢م، لم يبق مع الامين ما ينفقه في الجند فاضطر الى ضرب انية الفضة والذهب دراهم و دنانير (٦) وانفق

(١) حسين الحاج حسن، الامام علي بن موسى الرضا دائرة المعارف، دار المرتضى، بيروت، ٢٩١ص.

(٢) محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج ٨، ٦٠٨ص

(٣) تاريخ الخلفاء، ص ٢٣٧

(٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، الاميرة، بيروت، ج ٨، ص ٢٩٤

(٥) المسعودي، علي بن الحسين، بن مروج الذهب، مؤسسة النور، بيروت ٣/ ٣٩٢

(٦) الدجيلي، خولة شاك، بيت المال نشاته و تطوره من القرن الاول حتى القرن الريح الهجري، بغداد، مطبعة وزارة الوفاق، ١٩٧٦

ص، ١٣٢.

المأمون في زواجه اموالاً طائلة لا حصر لها وامر بإعطاء خراج فارس والاهواز الى والد زوجته يجبي اليه لمدة سنه (١) وكان ينفق الاموال والهدايا على المغنين و كان مولعا بحب ثلاث من الجوارى المغنيات حتى انشد شعرا وفي الوقت الذي يذهب الاف الجنود ضحايا في الغزوات تجده لا يكثرث من كثرة القتلى والمعوقين وانما يؤلمه موت جارية من جواريه تسمى هيلانة فيرثيها ابيات شعر

فلها تبكي البواكي ولها تشجي المراثي خلقت سقما طويلا جعلت ذاك تراثي

في كتاب الاتجاهات الغنائية في قصر المأمون للدكتور سامي حسيب رفاعي عابدين قال ان احمد بن صدقة قال: دخلت على المامون في يوم السعانيين وهو يوم عيد النصرى بين يديه عشرون وصيفة جلبا روميات مزنرات قد تزين بالديباج الرومي وعلقن في اعناقهن صلبان الذهب وفي ايديهن الخوص والزيتون فقال لي المأمون ويلك يا احمد قد قلت في هؤلاء ابياتا فغني فيها ثم انشدني

ظباء كالذنانير	ملاح فى المقاصير
جلاهن السعانيين	علينا فى الزنانير
واقبلن بأوساط	كأوساط الزنانير

فحفظتها و غنيتها فيها فلم يزل يشرب و ترقص الوصائف بين يديه انواع الرقص من الدستبند الى الابلح حتى سكر (٢) كان من مدارس الغناء في العصر المأمون تتلخص بمدرستين مدرسة اسحاق بن ابراهيم الموصلي و ابراهيم المهدي (٣) لم يفتح المأمون باب منتداه الغنائي فور وصوله الى بغداد فقد كان محافظا حذرا على سيرته خاصة وانه اعاد حقه ليكون خليفة الرشيد بعد اخيه الامين الذي كان له مستواه الفكري الطامع نحو التسلط واللهو من بعد اخيه الامين الذي كان له مستواه الفكري الطامع و اللهو من شراب و غناء و رذيلة لذا يقول الجاحظ فقد اقام بعد قدومه عشرين شهرا لم يسمع حرفا من الغناء ولكنه سرعان ما سمعه وراء حجاب متشبها بالرشيد فظل على تلك الحال سبع حجج لكن تلك الحالة لم تلائم المأمون ولم يستطع عليها صبرا فنسخ موقفه ثم اظهر للندماء المغنين مما ادى ذلك الى الموقف الى الدهشة العجب من قبل اهله فيقول الجاحظ وكان حين احب السماع ظاهرا يعينه اكبر ذاك اهل بيته و بنو ابيه و كان اول من تغنى بحضرته ابو عيسى بن الرشيد (٤)

## المبحث الثالث: اساسيات النظام الاقتصادي الاسلامي عند اهل البيت عليهم السلام

### المطلب الاول: اسس النظام الاقتصادي الاسلامي

١. العمل والانتاج: هو اساس الاقتصاد الاسلامي وحث عليه وجاء بمقاييس خلقية والعمل عبادة يثاب الانسان عليه ولا يمكن ان يظفر المجتمع باقتصاد متطور بإهمال العمل والانتاج وان اهماله يودي الى ضعف الانتاج حيث قال رسول الله (ص) العبادة سبعون جزءا افضلها طلب الحلال (٥)

(١) مروج الذهب، ٣، ص ٤٤٣

(٢) سامي حسيب رفاعي عابدين، الاتجاهات الغنائية في قصر المامون، دار ميرزا، بيروت، ص ١١

(٣) المصدر نفسه، ص ٨٢

(٤) المصدر نفسه، ٨٣-٨٦

(٥) الجعفرى، عبد السلام كاظم، اضاء على الاخلاق الاقتصادية، ص ٣٠

٢. التجارة: حث الاسلام على التجارة وامر بها لانها العصب الحساس في اقتصاد المجتمع واعتبرها تزيد العقل و كما ان تركها تنقص منه<sup>(١)</sup>. تسعة اعشار الرزق<sup>(٢)</sup>
٣. العمران والانشاء: لقد اهتم بأحياء الارض الموات وجعلها ملكا لمن احيائها وان ملكية المحيي للأرض من افضل لتنشيط الحركة العمرانية في البلاد كما انها من العوامل المهمة في ازدهار الحركة الاقتصادية ونموها ولو اهمل العمران سيؤدي الى انتشار البؤس و شيوع الفقر والحاجة<sup>(٣)</sup> و ما اوصى الامام علي لمالك الاشران ببذل المزيد من عمارة الارض قال رسول الله من احيا ارضا مواتا فهي له<sup>(٤)</sup>
٤. شجع الاقتصاد الاسلامي المضاربة: وهو مكون من راس مال من شخص والعمل من شخص اخر و يتقاسمان الربح حسب ما متفق في العقد فتحوله من اداة الانتاج الى منزلة الشريك ولها شروط البلوغ والعقل و الايجاب والقبول والاختيار وعدم الحجر كون راس المال عينا لا منفعة ولسد باب النزاع<sup>(٥)</sup>
٥. وحث على الزراعة والغرس: واهتم الاسلام بالفلاح وكرم الزراع ورفع مكانة في الدنيا والاخرة سمعت ابا عبدالله يقول "الزراعون كنوز الانام يزرعون طيبا اخرجهم الله عز وجل وهم يوم القيامة احسن الناس مقاما واقربهم منزلة يدعون المباركين"<sup>(٦)</sup> قال الامام الصادق الكيمياء الاكبر الزراعة<sup>(٧)</sup>
٦. استثمار جميع المواد: روى ابو هشام البصري عن الامام الرضا U انه قال من الفساد قطع الدرهم والدينار وطرح النوى<sup>(٨)</sup> وضع الامام قاعدة اقتصادية حيث عد التلاعب واستخدام الدرهم الذي يسك من الذهب والفضة في غير الاغراض التي سكا من اجلهما من الفساد لات التلاعب بهما سيفقدما القيمة الاعتبارية التي منحت لهما وهو اسراف من حيث التصنيع اضافة الى الخلل الذي يصيب السوق بسبب النقص الذي يحصل من جراء ذلك وهذا سيضعف الاقتصاد الاسلامي وطرح النوى في حديث الامام والذي عد من الفساد وهو اقل مادة في الطبيعة لها قيمة كناية على ضرورة الاستثمار والاستفادة ما وهب لنا الله<sup>(٩)</sup>
٧. الكفاءة الاقتصادية: ان المعايير الاسلامية بشكل عام تؤدي الى رفع الكفاءة الانتاجية من خلال بث روح الصدق و الاخلاص و الامانة في العلم ومحاربة الغش والغبن والخداع والتدليس الذي يقلل من تكلفة العمل والقابة و كلفة الانتاج.<sup>(١٠)</sup>

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ط١، منشورات الفجر، بيروت، ٢٠٠٧ م، ج٥: ١٤٨

(٢) الكليني، الكافي، ج٣: ١٤٧

(٣) الجعفري، عبد السلام كاظم، اضاء على الاخلاق الاقتصادية، ص٣٣

(٤) الكليني، الكافي، ج٥، ١٦٦ص.

(٥) الجعفري، عبد السلام كاظم، اضاء على الاخلاق الاقتصادية، ص٣٦

(٦) الكليني، الكافي، ج٥، ١٥٤ص.

(٧) الكليني، الكافي، ج٥، ٣٦١ص

(٨) الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، من لايحضره الفقيه، ط٢، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم ج٣، ص١٦٧

(٩) المجلسي، محمداقار، روضة المتقين في شرح ما لايحضره الفقيه، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي، ج٦، ٤٥٤ص

(١٠) الجعفري، عبد السلام كاظم، اضاء على الاخلاق الاقتصادية، ص٦٩

## المطلب الثاني: الوضع الاقتصادي في عهد الامام الرضا عليه السلام

الامام الرضا لا يرى اقتصار رسالته على الجانب الاخلاقي والمعنوي لدى الانسان بل يولي فائق الاهمية للعامل الاقتصادي فلا يمكن الرقي بالجانب المعنوي عند الانسان واثاره كوامنه الاخلاقية وحثه على العبادة دون ان يسند هذا الانسان الى حالة معيشية مطلوبة وقوة بدنية تؤهله الى ذلك ان الاقتصاد لا يعتبر بنية تحتية في المدرسة الاسلامية فالإنسان مركب من جسم وروح ومن الروية الاسلامية تعتبر الاقتصاد نصف السعادة الانسانية لا جميعها وانا اغلب الكتب الشيعية خاضت القضايا الاقتصادية في عدة ابواب باب المكاسب والشفعة والأقالة والصلح والمضاربة والمزارعة والمساقاة والاجارة والعارية والدين والرهن والحجر والضمان والهيبة والوقف والصدقة والارث والزكاة والخمس حتى اردف القرآن لفظ الصلاة بالزكاة وبيان متانة الصلة القائمة على الاقتصاد والدين والمعاش والمعاد ومن ذلك لا يغيب الجانب الاقتصادي عن حياة الانسان ولا بد التعامل معه على اساس بعض عناصره من قبيل الغذاء والسكن وهذه مرحلة تكميلية للناس وعليه بذل الجهود لبلوغ هذه المرحلة كوسيلة لا هدف وغاية (١) وبين الامام الرضا للناس حيث كان ينتقد تصرفات الحكام في اموال المسلمين بغير حق ومن جهه اخرى كان ينشر منهج الاسلام في الاقتصاد بين الناس ليعرفوا حقوقهم الاقتصادية ومن جانب اخر ينبه الحكام الى خطورة تصرفاتهم غير الشرعية في اموال المسلمين ففي رسالة طويلة وجهها الامام الرضا الى المأمون العباسي وضح فيها معالم واحكام الاسلام وقد جاء فيما يتعلق بالشأن الاقتصادي قوله "و اجتناب الكبائر وهي اكل مال اليتامى ظلما واكل الربا والسحت بعد البينة والميسر والبخس في الميزان والمكيال وحبس الحقوق من غير عسر والاسراف والتبذير (٢) حيث كانت واردات الدولة العباسية تضخمت للغاية في عصر الامام الرضا فقد احصيت الواردات من الخراج وحده فكان ما يزيد على أربعمئة مليون درهم ومن كثرة المال وسعه الحال انه كان المال لا يعد عدا وانما يوزن وزنا فكانوا يقولون خمسة الآلاف قطنار او سبعة الاف قطنار من الذهب (٣) لم يكن الامام الرضا على راس السلطة حتى يستطيع اصلاح الأوضاع الاقتصادية اصلاحا فعليا ولذا اكتفى بنشر المفاهيم الاسلامية المتعلقة بالحياة الاقتصادية والنظام الاقتصادي الاسلامي فقد حدد جوامع الشريعة في رسالة طويلة اعتبر الانحراف عن نهج الاسلام الاقتصادي من الكبائر التي يعاقب عليها الانسان ومما جاء في هذه الرسالة واجتباب الكبائر وهي.... اكل مال اليتيم ظلما واكل الربا والسحت بعد البينة والميسر والبخس في الميزان والمكيال وحبس الحقوق من غير عسر والاسراف والتبذير وكان يدعوا الى دفع الزكاة فيقول ان الله امر بثلاثة مقرون بها ثلاثة اخرى امر بالصلاة والزكاة فمن صلى ولم يرك لم تقبل منه صلاته وكان يوضح اسباب الظواهر السلبية ومنها حبس الزكاة فيقول اذا كذبت الولاة حبس المطر واذا جار السلطان هانت الدولة واذا حبست الزكاة ماتت المواشي (٤) وكان يدعوا الى ايصال الزكاة الى مستحقيها فحينما سئل عن اعطاء الزكاة فيمن لا يعرف اي الايمان قال لا ال ولا زكاة الفطرة (٥) وكان يقول وزكاة فريضة.... لا يجوز ان تعطى غير اهل الولاية لأنها فريضة وهذا

(١) الخراساني، علي دوست، المصادر المالية لاهل البيت عليهم السلام، ط١، دار الاميرة، بيروت، ٢٠٠٥م، ٢٣-٢٦ ص.

(٢) الحارثي، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، تحف العقول، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ط٥، ١٩٧٤، ص ٣١١

(٣) القرشي، باقرشريف، حياة موسى بن جعفر، ج١، ٨٢ ص.

(٤) وسائل الشيعة ٩، ص ٣١، الامالي، الطوسي، ١، ٧٧

(٥) وسائل الشيعة، ٩، ٢٢١ ص، الكافي ٣، ٥٤٧ ص.

تصريح يكشف التلاعب بأموال المسلمين من قبل الحكام بتوزيعهم الاموال حسب اهوائهم ورغباتهم دون تقييد بميزان شرعي وكان يدعو الى اعطاء الخمس الى الامام الحق وليس الحاكم المغتصب للخلافة ففي كتابه لاحد تجار فارس ردا على سؤال له يقول "لا يحل مال الامن وجه احله الله ان الخمس عوننا على ديننا وعلى عيالنا وعلى موالينا وما نبذله ونشتري من اعراضنا ممن نخاف سطوته فلا تزوه عنا فان اخراجه مفتاح رزقكم و تمحيص ذنوبكم" (١) وكان يدعو الى التكافل الاقتصادي ويحث عليه قال السخي يأكل من طعام الناس لياكلوا من طعامه (٢) وقال لعلي بن يقطين اضمن لي الكاهلي وعياله واطمن لك الجنة (٣) كان قدوة في العطاء لتقدي به الامة في الصدقة والعطاء لتقدي به الامة ويكون عمله ميزانا تزن به الامة ممارسات الحكام المالية لتمييز بين منهجين اقتصاديين منهج اهل البيت عليهم السلام ومنهج الحكام المتلاعبين بأموال المسلمين وكان ولم يسمح انتشار المفاهيم الخاطئة عن الزهد الذي شجع الحكام على نشره لأبعاد الامة عن المطالبة بحقوقها او الدعوة الى التوازن الاقتصادي فكان عليه السلام يجلس في الصيف على حصير وفي الشتاء على بساط من شعر ويلبس الغليظ من الثياب حتى برز للناس تزين لهم (٤)

### المطلب الثالث: التوجيه الاقتصادي الامام الرضا عليه السلام

ان المذهب الاقتصادي الاسلامي الذي اتبعه اهل البيت عليهم السلام القائم على اساس افكار ومفاهيم معينة ذات طابع اخلاقي او علمي مستندا على القرآن الكريم واحاديث اهل البيت عليهم السلام كان له علمه بالأمور الاقتصادية في ذلك العصر ولهذا وجه الامام U المأمون بان الدولة مسؤولة عن جميع رعاياها دون النظر الى ميولهم واتجاهاتهم وعندما كان المأمون قد فتح احدى قرى كابل اخبر الامام بذلك فقال له وسرك فتح قرية من قرى الشرك فقال المأمون اوليس في ذلك سرور فقال عليه السلام اتق الله وما ولاك الله من هذا الامر وخصك به فانك قد ضيعت امور المسلمين وفوضت ذلك الى غيرك يحكم فيهم بغير حكم الله وقعدت في البلاد وتركت بيت الهجرة ومهبط الوحي ام المهاجرين والانصار يُظلمون دونك ولا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة ويأتي على المظلوم وهو يتعب فيه نفسه ويعجز عن يتعب فيه نفسه ويعجز عن نفقته ولا يجد من يشكو حاله ولا يصل اليك فاتق الله في ذلك (٥)

١. منع تكيس الثروة عن محمد بن اسماعيل بن احد اصحاب قال الامام الرضا U "لا يجتمع المال الا بخصال خمس بخل شديد وامل طويل وحرص غالب وقطيعة رحم واثار الدنيا على الآخرة" (٦).
٢. اجمل الامام الرضا اسباب التكدس الثروة ولم يمنع الفرد المسلم من تطوير نفسه حرفيا وماليا وثقافيا لان العقول تتفاوت من شخص لآخر لان مثلا البخل يؤدي بصاحبه الى التقاعس عن اعطاء الحقوق المنصوص عليها شرعا (٧)

(١) وسائل الشيعة ٩، ٥٣٨ / الكافي ٤٦٠؛

(٢) فرائد السمطين ٢، ٢٢٣

(٣) رجال الكشي، ٤٣٥، ٨٢٠؛

(٤) عيون اخبار الرضا، ج ٣، ١٧٨ ص.

(٥) الصدوق، عيون اخبار الرضا، منشورات الشريف الرضي، ج ٣/ ٣٦٨-٣٦٩

(٦) الصدوق، الخصال، ٢٨٢ ص.

(٧) المجلسي، محمد باقر، روضة المتقين، ج ٣، ١٨٩

٣. وكان يدعو الى دفع الزكاة فيقول "ان الله امر بثلاثة مقرون بها ثلاثة اخرى امر بالصلاة والزكاة فمن صلى ولم يترك لم تقبل منه صلاته" (١) وكان يوضح اسباب الظواهر السلبية ومنها حبس الزكاة فيقول "اذا كذبت الولاة حبس المطر واذا جار السلطان هانت الدولة واذا حبست الزكاة ماتت المواشي" (٢)
٤. وكان يدعو الى اعطاء الخمس الى الامام الحق وليس الى الحكام المغتصب للخلافة ففي كتابة الى احد تجار فارس ردا على سؤاله له يقول لا يحل مال الا من وجه احله الله ان الخمس عوننا على ديننا وعلى عيالاتنا وعلى موالينا وما نبذله ونشتري من اعراضنا ممن نخاف سطوته فلا تزووه عنا ولا تحرموا انفسكم دعانا ما قدرتم عليه فان اخراجه مفتاح رزقكم و تمحيص ذنوبكم (٣)
٥. وكان يدعو الى التكافل الاقتصادي ويحث عليه قال U السخي يأكل من طعام الناس لياكلوا من طعامه (٤)
٦. وكان يحارب الاسراف والتبذير فعن ياسر الخادم قال اكل الغلمان يوما فاكهة فلم يستقصوا اكلها ورموا بها فقال لهم ابو الحسن U سبحان الله ان كنتم استغنيتم فان ناسا لم يستغنوا اطعموه من يحتاج اليه (٥)
٧. وكان ينفق ما يصل اليه من اموال على الفقراء والمعوزين حتى انه وزع بخراسان جميع ما يملك في يوم عرفه (٦)
٨. وكان يحارب التصوف ومفاهيم الزهد الخاطيء الذي شجع عليه الحكام لابعاد الامة عن المطالبة بحقوقها او الدعوة الى التوازن الاقتصادي فكان U يجلس في الصيف على حصير وفي الشتاء على بساط شعر ويلبس الغليظ من الثياب حتى اذا برز للناس تزين لهم ودخل عليه قوم من الصوفية فقالوا والامة تحتاج الى من يأكل الجشب ويلبس الخشن ويركب الحمار ويعود المريض فاجابهم بالقول كان يوسف نبيا يلبس اقبية الديداج المزردة بالذهب ويجلس على متكات ال فرعون ويحكم انما يراد من الامام قسطه اذا قال صدق واذا حكم عدل واذا انجز ان الله لم يحرم لبوسا ولا مطعما (٧) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ (٨) ودعا الامام U الى رفض المفاهيم الخاطئة للزهد في معارضة للحكام الذين سمحوا بانتشار هذه المفاهيم ونجد المتلاعبين بالأموال يستخدمون اساليب متنوعة ومتناسبة مع كل حقبة تاريخية وظروفها كي يلهو الناس عن المطالبة بالحقوق الاقتصادية المشروعة فتارة تشجع مفاهيم التصوف معناه السلبى كي لا يفكروا في ايه حقوق اقتصادية مشروعة وتارة اخرى تشجع الحكام الناس على نشر الفساد والميوعة والتحلل كي ينغمسوا فيها وتارة ثالثة تشغل الناس بسجالات فكرية او عقديّة كي ينشغلوا عن حقوقهم الاقتصادية والسياسية وهو ما يخدم في النهاية سياسة الحكام الظالمة وبالرغم من ان الامام الرضا U لم يكن في موقع الحاكم الفعلي حتى مع تسلمه لولاية العهد الا ان كان يمارس التوجيه الاقتصادي لكي يتعرف الناس على منهج الاسلام في الاقتصاد وكان يقوم بنشر تعاليم الاسلام الاقتصادية وهو دور هام جدا لأنه يربط حياة الناس مباشرة

(١) الصدوق، عيون اخبار الرضا، ج ١، ص ٢٣٤.

(٢) التعاملى، وسائل الشيعة، ج ٩، ص ٣١

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ط ١، منشورات الفجر، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٣٥٢

(٤) عطاري، عزيزالله، مسند الامام الرضا ج ١، ص ٢٩٥، رقم ١٣

(٥) الكليني، الكافي، ج ٦، ص ٢٩٧.

(٦) عطاري، عزيزالله، مسند الامام الرضا، ج ١، ص ٤٨

(٧) بحار الانوار العلامة المجلسي، ج ٤٩، ص ٢٧٦-٢٧٥

(٨) سورة الاعراف آية ٣٢



٩. حكم ادخار قوت السنة: عن الحسن بن النهجم قال سمعت الرضا ع يقول ان الانسان اذا ادخل طعام سنته خف ظهرة واستراح (١) وايضا عن الشيخ الصدوق ع سال معمر بن خلا دابا الحسن الرضا ع حبس الطعام سنة؟ فقال عليه السلام انا افعله يعني بذلك احراز القوت (٢)
١٠. البيع: حكم بيع النخل اذا حمل عن محمد بن يعقوب الكليني عن الحسن بن علي الوشاء سالت الامام الرضا ع هل يجوز بيع النخل اذا حمل قال لا يجوز بيعه حتى يزهو ويعني يحمر ويصفر وشبه ذلك (٣) بيع الشئ مؤجلا بأكثر من السعر عن محمد بن اسحاق بن عمار قال سالت الامام الرضا ع الرجل يكون له المال قد حل على صاحبه ببيعة لؤلؤة تسوي مائة درهم بألف درهم و يؤخر عنه المال الى وقت قال ع لأبأس قد امرني ابي ففعلت ذلك وزعم انه سال ابا الحسن ع عنها فقال له مثل ذلك.
١١. تحريم الربا: كما حذر اهل البيت من الربا و اكل مال الحرام وعمل السلاح للأعداء او بيعه عليهم سمعت رجلا يسال ابا الحسن الرضا عليه السلام فقال اني اعالج الدقيق وابيعه والناس يقولون لا ينبغي فقال الامام الرضا و ما باسه كل شيء مما يباع اذا اتقى الله فيه العبد فلا بأس (٤) وذكر في علة تحريم الربا انما نهى الله عنه لما فيه من فساد الاموال لان الانسان اذا اشترى الدرهم بالدرهمين كان ثمن الدرهم درهما و ثمن الاخر باطلا فبيع الربا وكس النقصان والتنقيص لازم و متعدد على المشتري والبائع فحرم الله تبارك وتعالى الربا لعله فساد الاموال كما حظر على السفية ان يدفع ماله اليه لما يتخوف عليه من افساده حتى يونس منه رشده وهذه العلة حرم الربا وبيع الدرهم بعد البيئه لما فيه من الاستخفاف بالحرام المحرم وهي كبيرة بعد البيان وتحريم الله تعالى لها لم يكن ذلك منه الاستخفاف بالتحريم للحرام والاستخفاف بذلك دخول في الكفر و ذهاب المعروف وتلف الاموال و رغبة الناس في الربح وتركهم الفرض والفرض و الفرض صنائع و لما فيه الفساد والظلم وفناء الاموال (٥)
١٢. عطاء الامام الرضا كان ينفق ويعطي كل ما يقع بيده الى الفقراء و الموالين و المطاردين من السلطات ويتولى دفع لا كثير من الصدقات بنفسه حتى وزع كل ماله في خراسان فقال الفضل بن سهل من كبار وزراء المأمون ان هذا مغرم فقال بل هو المغنم لاتعدن مغرما ما بغيت به اجرا و كرما و امر جميع وكلائه بالسمع والطاعة الى الامام ولده الجواد (٦)
- ١٣ اصلاح المال: لقد ورد عن الامام الصادق ع لا خير فيمن لا يحب جمع المال من حلال يكف به وجهه و يقضى به دينه ويصل به رحمه (٧) وقال ايضا اصلاح المال من الايمان (٨) لان اصلاح المال مما يوجب زيادته وهو نعم العون على عمل الخيرات و المبرات و عدم إصلاحه او خزنه يؤدي الى الحرمان و نشر البطالة و بالتالي اماتة الاقتصاد (٩)

(١) الكليني، الكافي، ج٥، ص٨٩.

(٢) الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، من لايحضره الفقيه، ط٢، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم ج٣، ١٠٢، ٤٠٧، ١٦٩، ص.

(٣) الكليني، الكافي، ج٥، ص ١٧٢.

(٤) الكليني، الكافي، ج٩، ص ٦٤٤.

(٥) الصدوق، محمد بن علي بن الحسين ابن بابويه، عيون اخبار الرضا، لبنان، مؤسسة الاعلمي، ج٣، ص ١٠٠.

(٦) المفيد، الارشاد، ص ٣٠٨.

(٧) الكليني، الكافي، ج٥، ص ٧٢.

(٨) الكليني، الكافي، ص ٨٨.

(٩) عبد السلام كاظم الجعفري، أضواء على الاخلاق الاقتصادية في الاسلام ودور اهل البيت في نشرها، منشورات دار التفسير، ايران، ١٤٢٩، ص ٢٩.

## المطلب الرابع: دور وكلاء الامام الرضا (ع) الاداري والمالي

اتبع ائمة اهل البيت عليهم السلام تعيين مجموعة من الوكلاء الذين يقومون بأدوار متنوعة نيابة عن الامام المعصوم في مختلف الاقطار والامصار وفي عهد الامام الرضا (ع) حيث اتسعت القاعدة الشعبية لاتباع مدرسة اهل البيت اهتم الامام بتعيين مجموعة كبيرة من الوكلاء كتنظيم اداري للتغلب على صعوبة التواصل بينه وبين الناس في مختلف الاقطار والولايات وهذا النظام الاداري كان له دور فاعل جدا في التواصل بين مدرسة اهل البيت والجماهير<sup>(١)</sup> و صار كثير من وكلائه من الذين كانوا ولكلاءه للأماميين الصادق والكاظم فكانوا يأتونه بأموال الحقوق الشرعية واسئلة الناس وحاجاتهم ويرجعون بها على الناس<sup>(٢)</sup> وعندما توفي الامام الكاظم كانت المبالغ التي وجدت عند الوكلاء كان عند زياد بن مروان المقتدي مبلغ سبعين الف دينار و علي بن ابي حمزة ثلاثين الف دينار وثلاثين الف دينار عند عيسى الرواسي وكيل الامام في مصر فلما توفي الامام بعث الامام الرضا رسولا اليهم ليلسملوا له ما عندهم من اموال<sup>(٣)</sup> ومن مهام الوكلاء واسماء وكلاء الامام الرضا عليه السلام

١. نقل الآراء الفقهية لمدرسة اهل البيت الى متبعي هذه المدرسة المباركة والقيام بدور الناصح والمرشد لهم
٢. حل مشاكل الناس او التقليل منها والمساعدة في حلها كإصلاح ذات البين والمساهمة في تزويج العزاب وقضاء الديون وما اشبه ذلك
٣. قبض الحقوق الشرعية كالزكاة والخمس والكفارة وغيرها وتسليمها للامام الرضا (ع) او صرفها حسب ارشاداته
٤. نشر ثقافة وفكر اهل البيت بين الناس و تقوية مدرسة اهل البيت بين الجماهير<sup>(٤)</sup> تكليف البعض منهم بمهام مالية وادارية ياتمنون عليها في مناطقهم فيؤدونها عن الامام وفق ما عهد لهم به بكل ما تحمله كلمة العهد<sup>(٥)</sup> نذكر بعض من وكلائه
١. ابراهيم بن سلامة النيشابوري
٢. ابراهيم بن محمد الهمداني
٣. ايوب بن نوح
٤. صفوان بن يحيى
٥. زكريا بن ادم الاشعري و عبدالعزيز بن المهدي الاشعري
٦. عبدالله بن جندب و الفضل بن سنان
٧. يونس بن عبدالرحمن و الفضل بن شاذان وغيرهم<sup>(٦)</sup>

(١) اليوسف، عبدالله احمد، سيرة الامام الرضا، افاق مركز افاق للدراسات و البحوث، ٢٥٢ص

(٢) الكليني، الكافي، ص٤٩٥

(٣) عيون اخبار الرضا ج١، ص٩٢

(٤) اليوسف، عبدالله احمد، سيرة الامام الرضا، افاق مركز افاق للدراسات و البحوث، ٢٥٢ص.

(٥) العاملي، وسائل الشريعة، ج٢٠ / ٢٣٢

(٦) اليوسف، عبدالله احمد، سيرة الامام الرضا (ع) دراسة تحليلية للسيرة الاخلاقية و العلمية، افاق مركز افاق للدراسات و البحوث، ٢٥٣ص.

## الاستنتاج

١. النظام المالي الإسلامي الى دعم الرسالة وأهدافها وحماية الاقتصاد الإسلامي وإقرار أسس التكافل و الضمان الاجتماعي وحماية العمل وتوفير الفرص المناسبة للقادرين عليه ودعم الإنتاج وتحديد سبل تنمية وتوزيع الدخل توزيع عادل واحلال التوازن الاقتصادي وترشيد الانفاق العام والخاص وسماته هذا النظام قائم من القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة واجتهادات علماء المسلمين وتطبيقاتهم
٢. ان حب المال ولم يحاربه الاسلام بل هذب به احسن تهذيب بما يكفل الخير والنماء للإنسان والمجتمع واعطى له حق التملك وبأساليب مشروعة محدودة فلا يجوز الربح عن طريق الربا والمتاجرة بالمواد المحرمة ثم جعل على ثروة الفرد ضرائب متنوعة كالزكاة والخمس وان الاقتصاد الاسلامي يشع غزيرة حب التملك لدى الانسان وفي الوقت نفسه يحفظ المجتمع حقه في الثروات الطبيعية العامة
٣. ان علامات البذخ والتبذير في الحكم العباسي واضحة وانعدام العدالة الاجتماعية وافتضاح بني العباس و سقوطهم دينيا وايضا سقوطهم اجتماعيا وطلبو من الامام الرضا قبول ولايه العهد مما يغطي على افعالهم بالامة الاسلامية .
٤. ان الوضع الاقتصادي في زمن الامام الرضا يعيش الناس في طبقات منهم الفقيرة والمحرومة وهناك الاغنياء بسبب طغاة الدولة العباسية وحدث عدة ازمات اقتصادية وقام بتوجيهها الامام الرضا عليها
٥. ارتباط الوضع الاقتصادي بالقيم الاخلاقية لانه الاقتصاد الاسلامي يشع غزيرة حب التملك لدى الانسان وفي الوقت نفسه يحفظ المجتمع حقه في الثروات الطبيعية العامة فعلاقة المسلم بالمال ليست علاقة عبودية واتباع الشهوات وانما هي علاقة ايجابية خاضعة بطبيعة الحال لإرادة الحق الله
٥. اقرار الدين الاسلامي الملكية الفردية وجعلها من ضمن المصلحة العامة للمجتمع لان من حق الفرد الذي يعلم ولا يستوي مع الذي لا يعلم ان يملك الانسان المال لأجل تحسين معيشته مع اعطاء الحقوق الشرعية والواجبة عليه من خمس وزكاة وصدقات
٦. شجع الامام الرضا الاستثمار وذلك بعد واطلاق الاموال على الناس لأجل تشغيل الايدي العاملة وعدم وجود البطالة في الشارع الاسلامي

## التوصيات

١. اوصى الامام الرضا عليه السلام اد يدخر قوت الانسان سنة وبعد ذلك يدفع ما عليه من واجبات وحقوق
٢. اوصى كل شي يستثمر حتى النوى
٣. اوصى بالعمل وعدم التقاعس عنه لانة يؤدي الى ضعف الانتاج وعدم تطوير الامة الاسلامية تكنولوجيا واعتبر العمل اساس الاقتصاد
٤. اوصى ايضا بتوزيع الثروة بالعدل
٥. استخدام الاسلوب اللامركزية والمركزية في تسير الامور لان الامام يفوض اعماله الى الوكلاء لمتابعة امور الدولة ولجباية الاموال.

## المصادر

١. القرآن الكريم
٢. ابن الاثير، الكامل في التاريخ، المكتبة الشاملة،
٣. ابن الجوزي المنتظم،
٤. الاعرجي، علاء فاضل علي، النظام المالي في المؤسسة الدينية الاسلامية آراء ومقترحات الطبعة الاولى، العارف للمطبوعات - بيروت
٥. التسخيري، محمد علي، التوازن في الاسلام.
٦. الجعفري، عبد السلام كاظم، اضواء على الاخلاق الاقتصادية،
٧. الحراني، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، تحف العقول، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ط٥، ١٩٧٤
٨. حسين الحاج حسن، الامام علي بن موسى الرضا دائرة المعارف، دار المرتضى، بيروت،
٩. الحكيم، محمد سعيد، منهاج الصالحين، دار الصفوة، بيروت، ط١، ١٩٩٤، ج١/
١٠. الخراساني، علي دوست، المصادر المالية لاهل البيت عليهم السلام، ط١، دار الاميرة، بيروت، ٢٠٠٥ م
١١. الدجيلي، خولة شاكر، بيت المال نشاته و تطوره من القرن الاول حتى القرن الربع الهجري، بغداد، مطبعة وزارة الاوقاف، ١٩٧٦ م
- السبحاني، جعفر، مفاهيم القرآن، مؤسسة الامام الصادق، ايران، ج٢، ١٢٠.
- ١٣ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين ابن بابوية الخصال، منشورات جماعة المدرسين، قم، ١٤٠٣ هـ
- ١٤ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين ابن بابوية، عيون اخبار الرضا، لبنان، مؤسسة الاعلمي، ج٢،
- ١٥ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين ابن بابوية، من لا يحضره الفقيه، ج٣،
- الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ١٦
- ١٧ العاملي، زين الدين الجبعي، الروضة البهية في شرح اللمعة دمشقية، تحقيق محمد كلانتر، منشورات النجف الاشرف، ط٢، ١٣٩٥ ج٢
- ١٨ العاملي، محمد بن الحسن وسائل الشيعة، ج٢٠، /، احياء التراث العربي، بيروت،
- ١٩ القرشي، حياة موسى بن جعفر، ج١
- ٢٠ الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ط١، منشورات الفجر، بيروت، ٢٠٠٧،
- ٢١ الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، الاحكام السلطانية والولايات الدينية، ط١، شركة ومطبعة مصطفى البابي، ١٩٦٠ م
- ٢٢ المجلسي، محمد باقر، روضة المتقين، ج٣.
- ٢٣ المفيد احمد بن محمد بن نعمان العكبري، محمد بن محمد، الارشاد. مؤسسة الاعلمي، بيروت،
- ٢٤ النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام، دار الكتب الاسلامية، قم، ط٣، ج٢١...٢٤
- ٢٥ صبحي صالح، نهج البلاغة، ط٢، انتشارات انوار الهدى، قم المقدسة، ١٤٢٤ هـ
- ٢٦ احمد بن ابى يعقوب بن جعفر، تاريخ يعقوبي، المكتبة الحيدرية، النجف

٢٧ يوسف، عبدالله احمد، سيرة الامام الرضا (ع) دراسة تحليلية للسيرة الاخلاقية و العلمية، افاق مركز افاق للدراسات و البحوث.

٢٨ محمد مهدي الاصفي، النظام المالي و تداول الثروة في الإسلام.

## الامام الرضا (عليه السلام) وأثره في بناء الفرد والمجتمع

م. د. علياء سعيد ابراهيم محمدا

### المقدمة

اللهم صل على علي بن موسى الرضا المرتضي، الإمام التقي النقي وحتجتك على من فوق الأرض ومن تحت الثرى الصديق الشهيد صلاة كثيرة تامة زاكية، متواصلة، متواترة، مترادفة كأفضل ما صليت على أحد من أوليائك. أن مهمة إصلاح الفرد والمجتمع التي تبناها الإمام الرضا (عليه السلام) كانت واحدة من أهم مهمات الأئمة الاطهار (عليهم السلام) الذين أتوا علماً وفهماً واستيعاباً للشريعة بأصولها وفروعها، وعلى الرغم من الظروف القاسية والضغط السياسي المطبق الذي عاشه الامام الرضا (عليه السلام)، والسعي السلطوي الحثيث لفرض طوق من الحصار الاجتماعي والثقافي من حوله، إلا أنه (عليه السلام) أولى هذه المهمة ما تستحقه من العناية على الدوام ومواصلة ومتابعة احوال العامة وارشادهم الى طريق الصواب وتوجيهيهم، لما فيه صلاح الدارين بالمواعظ والحكم والإرشاد. اتبع الامام الرضا (عليه السلام) منهج ابائه في محاربة الفساد؛ وذلك من خلال نشر تعاليم الدين الاسلامي؛ لتعزيز البناء في حركة المجتمع الاسلامي، ويؤكد الامام (عليه السلام) على الفرد وتصرفاته وافعاله واهميته في بناء المجتمع والتي لا بد منه من اتباع منهج السنة النبوية الشريفة والقران الكريم في ذلك، قال الامام الرضا (عليه السلام) : ((ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم، فإن عمل حسناً استزاد الله، وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب إليه وكان لاساليب الامام الرضا (عليه السلام) دور كبير في تعديل وتغيير سلوك الأفراد ومن نواحي عدة: تعليمية وتربوية واجتماعية... الخ نتيجة لما قام بها الامام من امور ادهشت كل الافراد والطوائف والملل، لذلك تم اختيار هذا البحث والتعرف على تلك التغييرات الإيجابية التي حصلت على الافراد .

وهناك اسئلة متنوعة سيتم الاجابة عليه في ثنايا البحث :

ماهي الاساليب التي اتبعها الامام الرضا (عليه السلام) في تغيير سلوك الفرد؟

هل اقتصر دور تصرفات وافعال الامام (عليه السلام) على تعديل جانب واحد للفرد أم من جميع الجوانب؟

هل شمل تغيير السلوك للإفرد المسلم فقط ام لجميع الأفراد في العالم؟.

وعرض هذا البحث الامام الرضا (عليه السلام) وأثره في بناء الفرد والمجتمع، ولأجل التحدث عن هكذا موضوع قسم البحث إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع، تضمن المبحث الاول "شذرات مضيئة من حياة الامام الرضا (عليه السلام) والذي قسم الى مطلبين وضع فيه الولادة والنشأة للامام(عليه السلام) والقابه وكناهه وفضل زيارته واهميتها للفرد ووفاته.

اما المبحث الثاني فتطرق إلى " الامام الرضا (عليه السلام) ودوره في بناء الفرد والمجتمع "والذي قسم الى مطلبين، إذ عرج فيه دور الإمام الرضا (عليه السلام) في تغيير سلوك الفرد اخلاقياً وتربوياً وتعليمياً وتربوياً، وما هي اهم التغييرات التي تحصل للأفراد؛ نتيجة للترامهم بالتعاليم الدين الإسلامي.

واعتمد البحث على مصادر متنوعة من أبرزها الرسائل الجامعية والمراجع والكتب التاريخية القديمة والحديثة، فضلاً عن الموسوعات اللغوية والاصطلاحية.

### الكلمات الرئيسية: الامام الرضا(عليه السلام) - الفرد - المجتمع - الأخلاق - التربية

#### التمهيد

مشكلة واهمية حدود البحث: مشكلة البحث: حظي موضوع بناء الفرد ودوره في المجتمع اهتمام جميع ائمة اهل البيت (عليهم السلام) ومنهم الامام الرضا (عليه السلام) ، الذي عاش في وقت ظهرت فيه بروز العديد من التيارات الفكرية الملحدة البعيدة عن الدين ونهجه وعن بناء الانسان نحو الاتجاه السليم الصحيح، لذلك سعى الامام الرضا (عليه السلام) بكل ما استطاع من ارادة وقوة وعزم على تغيير افكار العديد من افراد المجتمع بما اتبع معهم من خطوات واساليب وطرق جذابه ساهمت في تغيير العديد من سلوك الافراد نحو الاتجاه الصواب، وهذا ما دفعني لاختيار هذه الموضوع والبحث عنه.

اهمية البحث: تسعى جميع الشرائع الى تهذيب وتربية الإنسان لأنه قيمة عليا، وهو خليفة الله في ارضه، كما جاء في قوله تعالى: ((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ/ سورة البقرة اية ٣٠، وإيصاله إلى الكمال المبتغى من خلال المقاصد الآتية: تعميق العقيدة الإيمانية والتوحيدية وترسيخها في النفوس والتي ستودي الى تقويم الشخصية الإنسان وسلوكه، فضلاً عن حثه على تأدية العبادات المختلفة التي تساعد على التخلص على العديد من العادات الغير جيدة القديمة، واستخدام أسلوب الدافع بالترغيب والتعليم بأسلوب القدوة الحسنة في مجمل الحياة وتأدية العبادات والتحلي بمكارم الأخلاق:

هدف البحث: يدور هدف البحث حول اهم الانجازات والاعمال التي قام بها الامام الرضا (عليه السلام) من اجل تغيير سلوك الفرد نحو الاتجاه الصحيح الذي يساهم في بناء المجتمع

منهجية البحث: الوصفي التحليلي والاكاديمي

#### المبحث الأول: شذرات مضيئة عن الامام الرضا (عليه السلام)

##### المطلب الأول: الولادة والنشأة واللقاب للامام الرضا (عليه السلام)

هو علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن ابي طالب، ولد في المدينة المنورة عام ١٤٨ هـ (١) واهم ام ولد واسمها تكتم، وهي من افضل النساء في عقلها ودينها، وكانت لم تجلس بين يدي ام الامام

(١) الطوسي، ابي جعفر محمد بن الحسن (ت: ٣٨٥-٥٤٦)، تهذيب الاحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد،(دار الكتب الاسلامي، تهران، جاب سوم، ١٣٦٤ش)، ج ٦، ص ٩٤؛ الطبري، ابي جعفر محمد بن جرير بن رسته، دلائل الامامة،(منتشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات،بيروت، ط ٢، ١٩٨٨م)، ج ٢٢، ص ١٧٢.

موسى بن جعفر (عليه السلام) اجلالاً لها فطلبت السيدة حميدة من ابنها موسى بن جعفر بالزواج منها وسيكون لها انشاء الله نسلها منها وعندما ولدت له الرضا سميت الطاهرة (١) وقيل امه السيدة نجمة، وقيل اروى، وقيل سكن النوبية وقيل ام لد يقال ام البنين (٢).

ونشأ نشأةً صالحة فكان مثل ابيه الامام الكاظم (عليه السلام) على جانب كبير من العلم والورع و حتى قيل يوماً للشاعر ابو نواس لماذا تركت مدح علي بن موسى الرضا والخصال التي تجمع فيه، فكانت اجابته، لا استطيع مدح إمام كان جبرائيل خادماً لآبيه، والله ما تركت ذلك إلا إعظماً له وليس قدر مثلي أن يقول في مثله (٣).

وكان (عليه السلام) ملازماً أباه (عليه السلام) الامام الكاظم (عليه السلام) ملازماً الظل منذ نعومة أظفاره إلى حين وفاته، وكان الأب العظيم الجليل يعلم ولده الأغر اعذب وأرق المعاني ويغذيه من علومه من علوم آبائه وأجداده (عليهم لسلام)، ويشيد بفضلهم ويقدمه على جميع ولده (٤)، وهو الحجة من بعد، ويؤكد ذلك، مقاله الإمام الكاظم (عليه السلام) الى سليمان بن حفص المرزوي، الذي سأل الامام الكاظم (عليه السلام) عن الحجة على الناس بعده، قال: (يا سليمان، إن عليا ابني ووصيي والحجة على الناس بعدي، وهو أفضل ولدي، فإن بقيت بعدي فاشهد لي بذلك عند شعيتي، وأهل ولايتي، والمستخبرين عن خليفتي من بعدي (٥) . لقب الامام الرضا (عليه السلام) عدة من الألقاب كآبائه (عليهم السلام) وهي: الصابر والولي والزكي والوفاي والرضي (٦) وسراج الله، وقرّة عين المؤمنين، ومكيد الملحدين والفاضل والصدّيق ونور الهدى وخير أهل الأرض وكفو الملك ورتاب التدبير (٧).

لكن اشهر الألقابه هو الرضا (عليه السلام) وقد سماه ابوه بذلك اللقب وليس كما يدعي البعض ان المأمون اطلق عليه ذلك اللقب؛ لأنه رضي بولاية العهد، وقد اوضح الامام الجواد (عليه السلام)؛ سبب تسميته بالرضا وذلك: ((لأنه رضي به المخالفون من أعدائه كما رضي به الموافقون من أوليائه، ولم يكن ذلك لأحد من آبائه؛ فلذلك سمي من بينهم الرضا(٨).

(١) الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي، عيون اخبار الرضا (عليه السلام)، تحقيق: احمد الماحوزي، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، ايران، ٢٠١٦م، ج ١، ص ٥٥.

(٢) الشيخ المفيد، ابي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت: ٣٣٦ - ٥٤١٣هـ)، الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق: مؤسسة ال البيت عليهم السلام لاحياء التراث، مؤسسة ال البيت عليهم السلام لاحياء التراث، بيروت، ١٩٩٥م، ج ٢، ص ٢٤٧؛ الاصفهاني، ابي الفرج (ت: ٢٨٤ - ٥٣٥٦هـ)، مقال الطالبين، تحقيق: احمد صقر، منشورات مؤسسة الاعلمي، ط ٣، بيروت، ١٩٩٨م، ص ٤٥٣؛ الصدوق، المصدر السابق، ص ٥٨.

(٣) العيني، اسحق شاکر، الامام علي الرضا وولاية العهد مع شرح موجز لحركة التشيع (دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١م)، ص ٧٠.

(٤) الذهبي، عباس، الامام الرضا: سيرة وتاريخ (مطبعة ستارة، قم، ١٤٢٢هـ)، ص ٣٦.

(٥) الاصفهاني، عبد الله بن نور الله البحراني، عوالم العلوم والمعارف والاحوال من الايات والاخبار والاقوال، (مطبعة امير، قم، ١٤١١هـ)، ج ٢٢، ص ٤٣.

(٦) الشبلنجي، مؤمن، نور الابصار في مناقب ال بيت النبي المختار، (مطبعة مصطفى محمد، مصر، ج. ت)، ص ١٥٢؛ محمود آل سيف، الامام الرضا (عليه السلام) اضاء من سيرته، (دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٤م)، ص ١٥.

(٧) اياذ صالح عاصي التميمي، الامام علي بن موسى الرضا(عليه السلام) (٢٠٣-١٤١٨هـ / ٧٦٥-٨١٨م) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، (كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠١٧م)، ص ٨ - ١٠.

(٨) الصدوق، عيون اخبار الرضا، ج ١، ص ٦٩.



ويكنى بـ ابو الحسن ويعرف أبي الحسن الثاني، وقد روي عن علي بن يقطين عن موسى بن جعفر (عليه السلام)، قال: هذا أفضه ولدي وأشار بيده الى الرضا (عليه السلام) وقد نحلته كنيته (١)، ويعرف أبا الحسن الأول هو والده الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام)...وأبا الحسن الثالث هو الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) (٢).

## المطلب الثاني: فضل زيارة الامام الرضا (عليه السلام) ووفاته

### فضل زيارة الامام الرضا (عليه السلام)

أن لزيارة مرآد أولياء عز وجل وخصوصاً النبي (صلي الله عليه واله وسلم) واهل البيت (عليهم السلام)، أبعاد كبيرة وأهداف سامية، لا تقتصر على مجرد اكرام المزمور لنيل الأجر والثواب، بل تتعدى ذلك كله، وهي مدرسة روحية تذكر الزائر بالقيم والتضحيات المشرفة للمزور، وتعد تجديد عهد وترسيخ وتثبيت علاقة والتزام بالمتأسي به، ونستدل ذلك عندما نطالع الاحاديث والروايات التي جاءت حول الزيارة، ومدى أهميتها مع التركيز على خصوصية المعرفة (٣)، ومن تلك الروايات ما جاء عن الامام الرضا (عليه السلام) أنه قال: ((من زراني علي بعد داري وشطون مزاري آتيته يوم القيامة في ثلاث مواطن حتى أخلصه من أهوالها: إذا تطايرت الكتب يميناً وشمالاً، وعند الصراط، وعند الميزان (٤)

فضلاً عن ذلك روي في زيارته (عليه السلام) عن حمدان الدسوائي قال دخلت على أبي جعفر الثاني (عليه السلام) فقلت: ما لمن اياك بطوس، فقال (عليه السلام): من زار قبراً أنه يغفر الله لزياره ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال حمدان: فليقتب بعد ذلك ايوب بن نوح بن دراج فقلت له: يا ابا الحسين اني سمعت مولاي ابا جعفر الثاني (عليه السلام) يقول: من زار قبر ابي بطوس غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر فقال ايوب: وازيدك فيه، قلت: نعم: قال: سمعته يقول ذلك - يعني ابا جعفر (عليه السلام) - وانه اذا كان يوم القيامة نصب له منبر بحذاء منبر رسول الله وعلي (عليهم السلام) حتى يفرغ الله من حساب الخلائق: فرايته وقد زار، فقال: جئت اطلب المنبر (٥).

وعن جابر بن يزيد الجعفي، قال: سمعت وصي الاوصياء ووارث علم الانبياء أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (عليه السلام)، يقول عن رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) قال: ((ستدفن بضعة مني بخراسان ما زارها إلا نفس الله كربتة ولا مذنب إلا غفر الله ذنوبه، وكذلك قول امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام): ((سيقتل رجل من ولدي بأرض خراسان بالسم اسمه اسمي واسم أبيه اسم ابن عمران موسى (عليه السلام) ألا فمن زاره في غربته غفر الله ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر ولو كان مثل عدد النجوم وقطر الأمطار وورق الأشجار (٦).

(١) الشاكري، حسين، موسوعة المصطفى والعترة: الامام الرضا (عليه السلام)، (مطبعة ستاره، قم، ١٤١٨هـ)، ج ١٢، ص ٢١.  
 (٢) ابو صبيح، حسن فليح، غيض من فيض الامام الرضا (عليه السلام) بين السائل والمجيب، (دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٩ م)، ص ٤٠.  
 (٣) الحائري، ايوب، لمحات من حياة الامام الرضا واخنته السيدة فاطمة المعصومة، (د. م، ط ٢، ١٤٢٧ هـ) ص ٥.  
 (٤) ابن طاووس، علي بن موسى (ت: ٥٦٤هـ)، مصباح الزائر، تحقيق: مؤسسة الى البيت (عليهم السلام) لأحياء التراث، مؤسسة ال البيت (عليهم السلام) لأحياء التراث، قم، ١٣٧٥هـ)، ص ٣٨٨.  
 (٥) ابن قولويه (ت: ٥٣٦٨هـ)، كامل الزيارات، تحقيق: نشر جواد الفيومي، (مؤسسة نشر الاسلامي، قم، ١٤١٧هـ)، ص ٥٥ - ٥٦؛ الكليني، محمد بن يعقوب (ت: ٥٣٢٩هـ)، الكافي: فروع الكافي، (منشورات الفجر، بيروت، ٢٠٠٧ م)، ج ٤، ص ٣٣٧ - ٣٣٨.  
 (٦) الصدوق، ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن بابويه القمي (ت: ٥٣٨١هـ)، الامالي او المجالس، (منشورات الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ٥، ١٩٩٠ م)، ص ١٠٤ - ١٠٥.

توضح لنا هذه الروايات الى اهمية فضل زيارة غريب طوس؛ لما لها من اثار معنوية في الدنيا من حيث ازالة الهموم وغفران الذنوب وقضاء الحوائج الصعبة وتوسيع الرزق، فضلاً عن الآثار الاخرية للفرد بحضور الامام (عليه السلام) له عند وفاته يوم لا ينفع مال ولا بنين الا من أتى الله بقلب سليم.

## ٢- وفاته

توفي الامام الرضا (عليه السلام) وعمره الشريف خمسة وخمسين عاماً من خلال السم الذي دسه اليه الحاكم العباسي المأمون في صفر عام ٢٠٣ هـ ومشهده يقع في طوس من خراسان في القبة التي فيها هارون، إلى جانبه مما يلي القبلة، وهي دار حميد بن قحطبة الطائي في قرية يقال لها سناباذ من رستاق نوقان (١) . وجاء في الرواية الآتية في معرفة الامام الرضا (عليه السلام) عن كيفية استشهاده، عندما تكلم الى هرثمة بن أعين (القائد العسكري للمأمون)، فقد دعاه المأمون وطلب منه ان يحدثه بما سمع من الإمام (عليه السلام) وما قاله له في سَمِّه بالعبس والرمّان، وجعل هرثمة يحدثه بذلك والمأمون يصفر وجهه مرة ويحمر مرة اخرى (٢)، وهو يقول بنبرات حسرات على ما اقترفته في حق الامام (عليه السلام) قائلًا: ((ويل للمأمون من الله، ويل للمأمون من رسول الله، ويل للمأمون من علي بن أبي طالب، ويل للمأمون من فاطمة، ويل للمأمون من الحسن والحسين، ويل للمأمون من علي بن الحسين، ويل للمأمون، ويل لأبيه هارون من موسى بن جعفر، هذا والله الخسران (٣) .

## المبحث الثاني: الامام الرضا (عليه السلام) ودوره في بناء الفرد والمجتمع

### المطلب الأول: أثر الإمام الرضا (عليه السلام) في تعديل الفرد والمجتمع اخلاقياً وتربوياً

الأخلاق ملكة تبعث الكمال في الروح الإنسانية، وسلوك يبرز الاستقلال والقوة عند الإنسان، وقد أتى الدين لكي يأخذ الإنسانية نحو الصواب، ويقتادها عند حيرتها، ويأخذ بيد العقل عند اضطرابه ويزوده بالقوة عند ضعفه، وطالما صارت الاخلاق تهم الإنسان والمجتمع؛ لأنها سلوك وتصرف وحياة، لذلك فهي رسالة عامة تنسجم وتتلائم مع مبادئ العقلاء وأهل الشرف والذمم في المجتمع (٤) .

كان تعامل الامام الرضا (عليه السلام) مع الرعية تعامل ابوي والتي ارسى دعائمها وفلسفتها ائمة اهل البيت (عليهم السلام)، وكان (عليه السلام) يلبي كل احتياجاتهم الدينية والأخلاقية وحتى المادية في بعض الأحيان (٥)، والتي ولا بد من الالتزام بها وبجميع الاخلاق العالية التي أكد عليها القران الكريم والسنة النبوية الشريفة

(١) ابن شهر اشوب، رشيدي الدين ابي عبد الله محمد بن علي ابن ابي نصر بن ابي نصر بن ابي الجيش السري السري المازندراني، مناقب ال ابي طالب، تحقيق: يوسف السباعي، (دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٩٩١م)، ج ٤، ص ٤٠٣؛ الميلاني، محمد هادي الحسيني، قادتنا كيف نعرفهم، تحقيق: محمد علي الميلاني، (مطبعة شريعت، قم، ١٤٢٦)؛ ج ٤، ص ٩٩، الطبري، المصدر السابق، ص ١٨٤.

(٢) القرشي، باقر شريف، حياة الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام): دراسة وتحليل، تحقيق: مهدي باقر القرشي، (مطبعة شريعت، قم، ٢٠٠٨م)، ج ٣، ص ٥٠٣-٥٠٤ .

(٣) للتفاصيل اكثر عن وفاة الامام الرضا (عليه السلام) انظر: الطبري، المصدر السابق، ص ١٧٤ - ١٧٩؛ الصدوق، عيون اخبار الرضا، ج ٣ ص ١٤٨-١٤٩.

(٤) زهير الاعرجي، الأخلاق العملية عند الامام الرضا (ع)، (د. م. د. ت)، ص ٣.

(٥) يوسف حجيم الطائي، الذكاء المعرفي في المتعدد: دراسة تحليلية في فكر الامام الرضا للحد من ممارسات الخداع الشامل، "الجامعة الاسلامية"، (مجلة)، النجف الاشرف، السنة ١٧، العدد ٦٨، ج ١، كانون الثاني ٢٠٢٢ م، ص ٨٢.

وأئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، وقد جاء عن الإمام الرضا (عليه السلام) ، عن إبراهيم بن العباس عن سمّو أخلاقه (عليه السلام) بقوله: ما رأيت ولا سمعت بأحد أفضل من أبي الحسن الرضا (عليه السلام) ما جفا أحدًا قطّ، ولا قطع على أحد كلامه، ولا ردّ أحدًا عن حاجة، ولا مدّ رجله بين يدي جليس له قط، ولا أتكا بين يدي جليس له، ولا رأيته شتم أحدًا من مواليه ومماليكه، ولا يقهقه في ضحكه قط بل كان ضحكه التبسم، وكان إذا خلا ونصبت مائدته ممالكيه حتى البواب والسائس وكان عليه السلام، قليل النوم بالليل، كثير السهر يحيي أكثر لياليه من أولها إلى الصبح، وكان كثير الصيام فلا يفوته ثلاث أيام في الشهر، ويقول: ذلك صوم الدهر وكان عليه السلام، كثير المعروف والصدقة في السرّ وأكثر ذلك منه في الليالي المظلمة، فمن زعم أنه رأى مثله في فضله فلا تصدقوه (١) .

ومن سلوكه (عليه السلام) الحسنه ومكارم اخلاقه احسانه الى العبيد، وقد روي عن عبد الله بن الصلت عن رجل من أهل بلخ قال: ((كنت مع الرضا (عليه السلام) في سفره الى خراسان فدعا يوما بمائدة له فجمع عليها من السودان وغيرهم، فقلت: جعلت فداك لو عزلت لهؤلاء مائدة فقال: مه إن الربّ تبارك وتعالى واحد والأمّ واحدة والأب واحد والجزء بالأعمال (٢) .

من هذا التصرف للإمام الرضا (عليه السلام) يوضح ويؤكد لنا انه لا فرق بين ابناء المجتمع فكل الناس بشر وخلقوا من اصل واحد ولا فرق بينهم ويؤكد ماجاء في القرآن الكريم: ((يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣) .

ومن صفاته (عليه السلام) الحميدة اكرامه للضيف، وكان يغدق عليه بنعمه واحسانه، ويبادر بنفسه لخدمتهم، وعن عبيد بن أبي عبد الله البغدادي عن أخيه قال: نزل بأبي الحسن الرضا (عليه السلام) ضيف وكان جالساً عنده يحدثه في بعض الليل فتغير السراج، فمد الرجل يده ليصلحه، فزيره أبو الحسن (عليه السلام) ثم بادره بنفسه فأصلحه ثم قال: إنا قوم لا نستخدم أضيافنا (٤) .

ومن أساليبه الراقية العالية والتي يجب على الفرد الاقتداء بها، هو الاستغفار والشكر لله تعالى في كل صغيرة وكبيرة والصبر على البلاء والعمو عن العباد، والدليل على ذلك حينما سُئل (عليه السلام) عن خيار العباد فقال: الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أسأؤوا استغفروا، وإذا أعطوا شكروا، وإذا ابتلوا صبروا، وإذا غضبوا عفوا (٥) .

ومن أخلاقيات الإمام الرضا (عليه السلام) العالية، هو إعطاء الصدقة بالتكتم أو السر وهذه الميزة تمتع بها كل أهل البيت (عليهم السلام) ، وعدت ممارسة يومية وجزء من القيادة الكارزمانية التي يمتلكها؛ لأن هذه العملية تجذب الأفراد الذين يومنون بإعطاء بدون أذى ومنية، كما في قوله تعالى: ((الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَمْنًا وَلَا أَدَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦) . وفي ذلك جاء عن

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، (دار احياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٩٨٣ م)، ج ٩٩، ص ٩١ - ٩٢.

(٢) الصدوق، عيون اخبار الرضا، ج ٣، ص ٣٣.

(٣) سورة الحجرات، آية ١٣.

(٤) المجلسي، المصدر السابق، ج ٤٩، ص ١٠٢.

(٥) البحراني، ابي محمد الحسن بن علي بن الحسين يت شعبية، تحف العقول عن ال الرسول (صلي الله عليه واله وسلم)، (المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، ١٩٦٣م)، ص ٣٣٢

(٦) سورة البقرة، آية ٢٦٢

اليسع بن حمزة قال كنت أنا في مجلس الامام الرضا (عليه السلام) أحدثه وقد اجتمع اليه خلق كثير يسألونه عن الحلال والحرام: اذ دخل عليه رجل، فسَلَّم عليه، وقال له: أنا رجل من مُحَبِّبِكَ و مُحَبِّي آباءِكَ، ومصدري من الحج، وقد نفذت نفقتي، و ما معي ما يبلغ مرحلة، فإن رأيت، أن ترجعني إلى بلدي، فإذا بلغت تصدقت بالذي تعطيني عنك. فقال(عليه السلام) له: اجلس رحمتك الله، و أقبل على الناس يحدثهم، حتى تفرقوا. و بقي هو و سليمان الجعفري، و حيشمة، فاستأذن الإمام منهم، و دخل الدار ثم خرج، وَرَدَّ الباب، و خرج من أعلى الباب، و قال (عليه السلام): أين الخراساني. فقام إليه فقال (عليه السلام) له: خذ هذه المائتي دينار، و استعن بها في مؤنتك و نفقتك، و لا تصدق بها عني. فانصرف الرجل مسروراً، قد غمرته نعمة الإمام (عليه السلام) ، و التفت إليه سليمان فقال له: جُعِلت فداك، لقد أجزلت و رَجِمْتَ، فلماذا سَتَرْتَ وجهك عنه. فَأَجابَهُ (عليه السلام) : إِنَّمَا صَنَعْتُ ذَلِكَ، مخافة أن أرى ذُلَّ السَّوَالِ فِي وَجْهِهِ لِقَضَائِي حاجتَهُ. أما سمعت حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : المُسْتَتِرُ بالحسنة تعدل سبعين حجة، و المُذْبِعُ بالسَّيِّئَةِ مَخْذُولٌ (١) .

ومن توضع الامام الرضا (عليه السلام) و اخلاقه العالية في معاملته الناس، هو انه (عليه السلام) طلب شخص منه في الحمام بأن يدلّكه فقام الامام(عليه السلام) بذلك وكان لا يعرف الامام (عليه السلام) ، لكن عندما عرفه الرجل اخذ يعتذر منه لكن اجابه الامام الرضا (عليه السلام) له هو فعل هذا لطلب الثواب (٢) .  
وكان الإمام الرضا (عليه السلام) كريماً و سخياً مع جميع الأفراد وفي مساعدة الفقراء والمحتاجين، وقد روى أنه مر رجل بأبي الحسن الرضا (عليه السلام) فقال له: أعطني على قدر مروتك قال: لا يسعني ذلك. فقال على قدر مروتني. فقال (عليه السلام) أما ذا فتع، ثم قال: يا غلام أعطه مائتي دينار، وفي رواية أخرى انه (عليه السلام) فرق ماله كله في يوم عرفة فقال له الفضل بن سهل: ان هذا المغرم اي الإسراف، فقال (عليه السلام) : بل هو المغنم لا تعدن مغرماً ما ابتغيت به أجراً و كرمأ (٣) .

لهذا نرى ان كرم الامام(عليه السلام) (عليه السلام) ليس له حدود اذا يعطي كل ما يملك من مال للباري عز وجل، وهذا الموضوع عبره وموعظة لنا من اجل السير على نهجهم ومساعدته الافراد المحتاجين وليس خزن المال.

### المطلب الثاني: دور الإمام الرضا (عليه السلام) في تغيير سلوك الفرد والمجتمع تعليمياً واجتماعياً

فرض سبحانه وتعالى على خلقه جملة من العبادات او الاحكام والتي تحتوي على حكم عدة واسرار ومصالح ترجع جميعها بالخير على الإنسان في الدنيا والآخرة، وقد أشار اليها القرآن الكريم في كتابة العزيز وكذلك على لسان نبيه محمد (صل الله عليه واله وسلم) واهل بيته (عليهم السلام) ، كل ذلك من اجل مصلحة جميع العباد ومن جملة الأمور التي أخذ الناس يكتشفونها يوماً بعد يوم حتى وصلت كأنها الشمس في رابعة النهار، هي حكمة تأييد رسول الله والأئمة الأطهار والسيرة على طريقهم واتباعهم، وقد جاء في حديث الرضا (عليه السلام) عن رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) قال: ((اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، ولن

(١) المجلسي، المصدر السابق، ج٤٩، ص ١٠١.

(٢) ابن شهر اشوب، المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٩١؛ فضل الله، جواد، الامام الرضا: تاريخ ودراسة، (دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٣)، ص ٤٤

٣ المجلسي، المصدر السابق، ج ٤٩، ص ١٠٠؛ علي عاشور، موسوعة اهل البيت (عليهم السلام): سيرة الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام)، (دار نظير عبود، بيروت، ٢٠٠٦م)، ج ١٥، ص ١٢.

يفترقا حتى يراد عليّ الحوض (١) ، ومن بين الأئمة الاطهار هو الامام الرضا (عليه السلام) الذي كان قدوة للإنسان للسير على نهجه في تعامله واسلوبه مع الجميع (٢) .

ويوجد العديد من الأدلة على الدور والعبر من سيرة الامام الرضا (عليه السلام) وفي كيفية تعامله واسالسيه التربوية والتعليمية، ومنها: في جواب الامام الرضا (عليه السلام) الى المامون حينما أرسل اليه الفضل بن سهل عندما طلب منه معرفة الحلال والحرام والفرائض والسنن ويعترف للامام (عليه السلام) بانه حجه الباري عز وجل على خلقه، فكان جواب الامام الرضا (عليه السلام) : على امور عدة: ومنها؛ الصلاة والصوم والزكاة والحج... الخ، فضلاً عن التأكيد بالصلاة على محمد وال محمد: ((الصلاة على النبي (صلي الله عليه واله وسلم) في كل المواطن في الرياح والعطاس وغير ذلك (٣) .

وايضا قول اخر للامام الرضا (عليه السلام) بالتأكيد على الصلاة على محمد وال محمد: ((أكثرُوا من الصلاة على محمّد وآله عليه السّلام، والدعاء للمؤمنين والمؤمنات في آتاء الليل والنهار؛ فإنّ الصلاة على محمّد وآله أفضل أعمال البرّ: واحرصوا على قضاء حوائج المؤمنين وإدخال السرور عليهم ودفع المكروه عنهم، فإنّه ليس شيء من الأعمال عند الله عزّوجلّ بعد الفرائض أفضل من إدخال السرور على المؤمن (٤) .

يتضح لنا من هذه الأقوال للامام الرضا (عليه السلام) بالمداماة بالصلاة على محمد وال ومحمد؛ لما في خير وصلاح وقضاء الحاجات وتسهيل الامور للأفراد كافة في الدنيا والاخرة، كما يؤكد (عليه السلام) في قضاء حاجة المؤمنين والمؤمنات وهي من الامور المهمة في التقرب للباري عز وجل.

واهل البيت (عليهم السلام) والامام الرضا (عليه السلام) كان تعاملهم سواسيه مع اي شخص ومن اي مله او فرقه وتكون اجاباتهم للجميع بكل هدوء وقاء وسكينه وبادله الالعقيلة وباقتناع شخص، والادله على ذلك كثيرة ومنها كما جاء في الروية عن محمد بن عبد الله الخراساني قال: دخل رجل من الزنادقة على الرضا وعنده جماعة؛ فقال له أبو الحسن النا: أيها الرجل: رأيت إن كان القول قولكم - وليس هو كما تقولون - السننا وإياكم شرعا سواء، لا يضرنا ما صلينا وصمنا وزكينا وأقرنا؟ فسكت الرجل. ثم قال أبو الحسن: وإن كان القول قولنا - وهو قولنا - الستم قد هلكتم ونجوننا؟ (٥) .

لقد بدأ الإمام الرضا (عليه السلام) بطرح سؤاله على الرجل الذي ينظر الناس اليه نظرة احتقار، ويتعامل معه بكل احترام واصغاء ومحاورته بالرغم من انه من ديانه اخرى، ودخوله على الامام (عليه السلام) بكل تقدير، وهذا يؤكد على الانفتاح الكبير الذي كان يتمتع به الإمام (عليه السلام) ويمارسه ممارسة تعليمية تحمّل كل شخص يقلده وبيته، على احترام الآخر؛ وهذا السلوك غير المتوقع يعد مدرسة متميزة رائدة في ذلك العصر الذي كان يعتبر المخالف فيه لسياسة الدولة الدينية مارقا يسجن ويُعذب بل يقتل باسم الدين، لكن الإمام الرضا(عليه السلام) الذي يطرح السؤال مبتدئا: رأيت إن كان القول قولكم، ورأيكم الذي يعملكم على

(١) الصدوق، عيون اخبار الرضا، ج ٢، ص ٣٠٣.

(٢) الذهبي، المصدر السابق، ص ١٢٨ - ١٢٩ .

(٣) للتفاصيل على جواب الامام الرضا للمامون ينظر: البحراني، تحف العقول...، ص ٣١٠ - ٣١٦.

(٤) عن بابويه، علي (ت: ٣٢٩)، فقه الرضا، تحقيق: مؤسسة ال البيت (عليهم السلام) -قم، المشرفة، (المؤتمر العالمي للامام الرضا (عليه السلام)، مشهد المقدسة، ١٤٠٦هـ)، ص ٣٣٩.

(٥) الطبرسي، ابي منصور احمد بن علي بن ابي طالب، الاحتجاج، (مطبعة شريعت، قم، ١٣٨٠هـ)، ج ٢، ص ١٤٧ - ١٤٩.

الهزة بالدين والمؤمنين حقاً؛ ألا تكون متساوين، ولن يضرنا الالتزام بصلواتنا وعبادتنا وأداء واجباتنا والأوامر الإلهية؟ مع أن الواقع والعقل والمنطق يقضي بفساد رأيكم... فسكت الرجل متفاجئاً بطرح الإمام وبسؤاله، إذ لم يكن يتوقع منه مثل هذا السؤال العقلاني الذي بهته وفاجأه وجاء مخالفاً كل توقعاته (١) ثم يطرح الإمام سؤالاً آخر يبهت الرجل؛ إذ ما الذي سيحدث إذا كان المؤمنون على الحق؟ ألن يهلك المخالفون ويندموا وتكون النجاة للمؤمنين، وبعد عدة أسئلة واجوبه بين الامام (عليه السلام) والرجل اسلم (٢).

نتعلم من هذا على الفرد ان يتبع السلوك التعليمي المقنع التي يجب الإقتداء به في فن التعامل مع اي الشخص ومن اي مله؛ لأجل اقتناعه باحقية الدين الاسلامي او اي موضوع ينطرح ويناقش بين الافراد لا بد من أن يقترن بالأدلة العقلية والمقنعة.

فضلاً عن ذلك كان الامام الرضا يؤكد على الالتزام بالاحكام الشرعية التي جاء بها القران الكريم وسنه نبيه، كما جاء عنه (عليه السلام) : ((أن الله امر بثلاثة مقرون بها ثلاثة اخرى، أمر بالصلاة والزكاة فمن صلى ولم يرك لم تقبل منه زكاته، وأمر بالشكره وللوالدين فمن لم يشكر والديه لم يشكر الله، وأمر بقاء الله تعالى وصله الرحم، فمن لم يصل رحمه لم يبق الله (٣) ، وفي موضع اخر يقول: ((لا يكون المؤمن مؤمناً حتى تكون فيه ثلاث خصال: سُنة من ربه، وسنة من نبيه صلى الله عليه وآله، وسنة من وليه عليه السلام. فأما السنة من ربه فكتمان السر، وأما السنة من نبيه صلى الله عليه وآله فمُدارة الناس، وأما السنة من وليه عليه السلام فالصبر في البأساء والضراء (٤) ...

نستخلص من ذلك بتأكيد الإمام (عليه السلام) على فريضة الصلاة والصلاة والشكر لله وصله الرحم والصبر على بلاء الدينا التي هي نقطة امتحان للفرد وفيها يعرف مدى قدرة الفرد على تحمل البلايا وفيها اجر عظيم من البارئ عز وجل.

ويؤكد لنا الامام الرضا (عليه السلام) على حسن معاملة الجار، كما روي داود بن سليمان القزويني عن علي بن موسى الرضا عن آبائه عن علي بن موسى بن أبي طالب: قال: قال رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) : ((ما كان ولا يكون إلى يوم القيامة مؤمناً إلا وله جار يؤذيه (٥) .

اي إن الرضا (عليه السلام) يؤكد سنه نبيه (صل الله عليه واله وسلم) على حسن المعاملة الجيدة للجار وعدم اذيته ومعاملته معاملة اخوة ومحبه واحترام.

كما يؤكد الامام الرضا (عليه السلام) على ملازمة العلماء واخذ العظة والعبرة واحكام الدين ويؤكد على زيارة امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) ويؤكد على قراءة القران الكريم لما فيه خير الدين والاخرة، فضلاً عن تأكيده على المعاملة الجيدة للوالدين وحقوقهم وواجباتهم، كما يؤكد (عليه السلام) ذلك قوله (عليه السلام) بتأكيده عن قول رسول الله (صلي الله عليه واله وسلم) : ((قال رسول الله (صلي الله عليه

(١) عبد القادر يوسف ترنتي، مرجعية علي بن موسى الرضا - تصحيح مفاهيم الملتقى وخلق افاق جديدة وتوقعات صادمة، "الجامعة الاسلامية، (مجلة)، النجف الاشرف، السنة ١٧، العدد ٦٨، ج ١، كانون الثاني ٢٠٢٢ م، ص: ٢٤٠ - ٢٤١.

(٢) الطبرسي، المصدر السابق، ص ١٤٧ - ١٤٩.

(٣) الازيلي، ابي الحسن علي بن عيسى بن ابي الفتح، كشف الغمة في معرفة الأئمة، تحقيق: علي ال كوثر، (دار التعارف، بيروت، ٢٠١٢ م)، ج ٣، ص ٣٩٣.

(٤) البحارني، تحف العقول، ص ٣٢٩.

(٥) الازيلي، المصدر السابق، ص ٣٤٩.

واله وسلم) مجالسة العلماء عبادة، والنظر إلى علي عبادة، والنظر إلى البيت عبادة، والنظر إلى المصحف عبادة، والنظر إلى الوالدين عبادة (١) .

يتضح لنا من ذلك أن الإمام الرضا (عليه السلام) يجمع أمور عدة التي ينبغي على الفرد الاستفادة منها، ولا بد من اتباعها ومنها: قراءة القرآن وبر الوالدين وزيارة أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، ولا سيما الإمام علي (عليه السلام) والكعبة الشريفة.

كما ينهى الامام الرضا(عليهم السلام) الفرد عن الكذب والابتعاد عنه وان يلتزم كل فرد بحسبه ونسبه كون الكذب يؤدي بالفرد الى التهلكة، كما جاء في الرواية الآتية حينما ادعت أنه كان بخراسان امرأة تسمى زينب فادعت أنها علوية من سلالة فاطمة عليها السلام، وصارت تصول على أهل خراسان بنسبها، فسمع بها علي الرضا (عليه السلام) فلم يعرف نسبها فاحضرت إليه فرد نسبها وقال: ((هذه كذابة، فسفهمت عليه وقالت: كما قدحت في نسبي فأنا أقدر في نسبي)).

فأخذته الغيرة العلوية فقال عليه السلام لسلطان خراسان وكان لذلك السلطان بخراسان موضع واسع، فيه سباع مسلسلة للانتقام من المفسدين يسمى ذلك الموضع بركة السباع، فأخذ الرضا (عليه السلام) تلك المرأة وأحضرها عند ذلك السلطانوقال: هذه كذابة على علي وفاطمة (عليهما السلام)، وليست من نسلهما فان من كان حقا بضعة من علي وفاطمة فان لحمه حرام على السباع فألقوها في بركة السباع فان كانت صادقة فان السباع لا تقر بها، وإن كانت كاذبة فتفترسها السباع. فلما سمعت ذلك منه قالت: فانزل أنت إلى السباع فان كنت صادقا فانها لا تقربك ولا تفترسك، فلم يكلمها وقام، فقال له ذلك السلطان: إلى أين؟ قال: إلى بركة السباع، والله لانزلن إليها، فقام السلطان والناس والحاشية، وجاءوا وفتحوا باب البركة فنزل الرضا عليه السلام والناس ينظرون من أعلى البركة، فلما حصل بين السباع أقعت جميعها إلى الأرض على أذنانها، وصار يأتي إلى واحد واحد، يمسح وجهه ورأسه وظهره، والسبع يبصص له هكذا إلى أن أتى على الجميع ثم طلع والناس يبصرونه. فقال لذلك السلطان: أنزل هذه الكذابة على علي وفاطمة ليتبين لك فامتنعت فألزمها ذلك السلطان وأمر أعوانه بالقائها فمذ رآها السباع، وثبو إليها واقتسوها، فاشتهر اسمها بخراسان بزینب الكذابة(٢)

نتعلم من تلك الحادثة بعدم الكذب في اي أمر من أمور الدنيا وفي أي مسألة من المسائل؛ كون عاقبة الكذب سيئة على صاحبها .

## الخاتمة

بعد اتمام البحث تم التوصل الى مجموعة من النتائج الآتية  
كان سلوكه (عليه السلام) رائعا كسلوك آيائه الذين عرفوا بنكران الذات والتجرد عن كل نزعة لا تمت الى الحق بصلة، وكم مرة كان يعنى على المأمون تصرفاته التي لا تتفق مع واقع الدين وأمره بتقوى الله عز وجل.  
ان الاساليب العلمية التي بثها الامام الرضا (عليه السلام) ساهمت مساهمة ايجابية في صنع الحضارة الإنسانية، وبلورة الفكر الاجتماعي، وهي بجميع أبعادها ستبقى أعظم رصيد يملكه المسلمون ويفخرون به

(١) الارزلي، المصدر السابق، ص ٣٥٠.

(٢) المجلسي، المصدر السابق، ج ٤٩، ص ٦١ - ٦٢؛ الارزلي، المصدر السابق، ص ٣٣٧ - ٣٣٨.

على أمم العالم وشعوب الأرض، والمرء منذ وجوده يسعى إلى أن لا يترك أبنائه دون وعظ ونصح وإرشاد وتعليم، وكان الامام الرضا (عليه السلام) سباقاً في هذا الموضوع تعدد سلوكيات وتصرفات واقوال الامام الرضا (عليه السلام) مثلاً كبيراً يحتذى به وهي تعبر عن حالة التعاون والإخوة والمودة والتعاون والتضامن الجماعي بين كافة الشرائح المجتمع.

كان الامام الرضا (عليه السلام) متواضعاً وكريماً وسخياً، وهناك مواقف عدة التي حصلت مع الامام (عليه السلام) تؤكد ذلك.

كانت حياة الامام الرضا (عليه السلام) حافلة بأسمى آيات التضحية والفداء لغرض اعلاء كلمة الحق وإصلاح المجتمع والتي دفع الامام الرضا (عليه السلام) ضريبة مواقفه الرسالية بهدف الحفاظ على الدين الاسلامي من حالات التردّي والضياع الذي اصابه على ايدي السلطات الحاكمة في زمانه حتى قدم (عليه السلام) لذلك حياته فداءً للاسلام.

كان (عليه السلام) اسلوبه في التعامل مع الرعية يتميز بالرفقة والتودد ويشعرهم بقلب رحيم ولا يفرق بين شخص واخر بل كان يعاملهم سواسية ممزوجة بالرفقة اتجاه من يتعامل معه.

## المصادر والمراجع

### خير ما نبدئ به القرآن الكريم

#### اولاً: الرسائل الجامعية

ايد صالح عاصي التميمي، الامام علي بن موسى الرضا(عليه السلام) (٢٠٣-١٤٨هـ / ٧٦٥-٨١٨م) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠١٧م.

#### ثانياً: الكتب

ابن شهر اشوب، رشيد الدين ابي عبد الله محمد بن علي ابن ابي نصر بن ابي نصر بن ابي الجيش السروري المازندراني، مناقب ال ابي طالب، تحقيق: يوسف السباعي، (دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٩٩١م)، ج ٤.

ابن طاووس، علي بن موسى (ت: ٥٦٦هـ)، مصباح الزائر، تحقيق: مؤسسة الى البيت (عليهم السلام) لأحياء التراث، (مؤسسة ال البيت (عليهم السلام) لأحياء التراث، قم، ١٣٧٥ش).

ابن قولويه (ت: ٥٣٦٨هـ)، كامل الزيارات، تحقيق: نشر جواد الفيومي، (مؤسسة نشر الاسلامي، قم، ١٤١٧).

ابو صبيح، حسن فليح، غيض من فيض الامام الرضا (عليه السلام) بين السائل والمجيب، (دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٩م).

الاربلي، ابي الحسن علي بن عيسى بن ابي الفتح، كشف الغمة في معرفة الائمة، تحقيق: علي ال كوش، (دار التعارف، بيروت، ٢٠١٢م)، ج ٣.

الاصفهاني، عبد الله بن نور الله البحراني، عوالم العلوم والمعارف والاحوال من الايات والاخبار والاقوال، (مطبعة امير، قم، ٥١٤١١)، ج ٢٢.



- الأصفهاني، أبي الفرج (ت: ٢٨٤ - ٥٣٥٦)، مقاتل الطالبين، تحقيق: أحمد صقر، (منشورات مؤسسة الأعلمي، ط ٣، بيروت، ١٩٩٨م).
- البحراني، أبي محمد الحسن بن علي بن الحسين يت شعبة، تحف العقول عن ال الرسول (صلي الله عليه واله وسلم)، (المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٦٣م).
- بن بابويه، علي (ت: ٣٢٩)، فقه الرضا، تحقيق: مؤسسة ال البيت (عليهم السلام) - قم المشرفة، (المؤتمر العالمي للإمام الرضا (عليه السلام)، مشهد المقدسة، ١٤٠٦هـ).
- بن زكريا، أبي الحسن أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٠م)، ج ٣.
- الحائري، أيوب، لمحات من حياة الإمام الرضا واخته السيدة فاطمة المعصومة، (د. م. ط ٢، ١٤٢٧هـ).
- الذهبي، عباس، الإمام الرضا: سيرة وتاريخ، (مطبعة ستارة، قم، ١٤٢٢هـ).
- زهير الأعرجي، الأخلاق العملية عند الإمام الرضا (ع)، (د. م. د. ت).
- الشاكري، حسين، موسوعة المصطفى والعترة: الإمام الرضا (عليه السلام)، (مطبعة ستاره، قم، ١٤١٨هـ)، ج ١٢.
- الشبلنجي، مؤمن، نور الأنصار في مناقب ال بيت النبي المختار، (مطبعة مصطفى محمد، مصر، ج. ت).
- الشيخ المفيد، أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت: ٣٣٦ - ٥٤١٣هـ)، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق: مؤسسة ال البيت عليهم السلام لأحياء التراث، (مؤسسة ال البيت عليهم السلام لأحياء التراث، بيروت، ١٩٩٥م)، ج ٢.
- الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن بابويه القمي (ت: ٥٣٨١هـ)، الأمالي او المجالس، (منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ٥، ١٩٩٠م).
- الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي، عيون اخبار الرضا (عليه السلام)، تحقيق: أحمد الماحوزي، (مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، إيران، ٢٠١٦م)، ج ١، ج ٢، ج ٣.
- الطبرسي، أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب، الاحتجاج، (مطبعة شريعة، قم، ١٣٨٠هـ)، ج ٢.
- الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير بن رستم، دلائل الإمامة، (منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ٢، ١٩٨٨م)، ج ٢٢.
- الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن (ت: ٣٨٥ - ٥٤٦٠هـ)، تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد، (دار الكتب الإسلامي، تهران، جاب سوم، ١٣٦٤ش)، ج ٦.
- العشي، اسحق شاکر، الإمام علي الرضا وولاية العهد مع شرح موجز لحركة التشيع، (دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١م).
- علي عاشور، موسوعة اهل البيت (عليهم السلام): سيرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام)، (دار نظير عبود، بيروت، ٢٠٠٦م)، ج ١٥.
- فضل الله، جواد، الإمام الرضا: تاريخ ودراسة، (دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٣).
- القرشي، باقر شريف، حياة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام): دراسة وتحليل، تحقيق: مهدي باقر القرشي، (مطبعة شريعة، قم، ٢٠٠٨م)، ج ٢.
- الكليني، محمد بن يعقوب (ت: ٥٣٢٩هـ)، الكافي: فروع الكافي، (منشورات الفجر، بيروت، ٢٠٠٧م)، ج ٤.

المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، (دار احياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٩٨٣ م)، ج ٤٩.  
 محمود آل سيف، الامام الرضا (عليه السلام) اضواء من سيرته، (دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٤ م)  
 الميلاني، محمد هادي الحسيني، قادتنا كيف نعرفهم، تحقيق: محمد علي الميلاني، (مطبعة شريعت، قم، ١٤٢٦)، ج ٤.

### ثالثا: المجلات

عبد القادر يوسف ترمني، مرجعية علي بن موسى الرضا - تصحيح مفاهيم الملتقى وخلق افاق جديدة وتوقعات صادمة، "الجامعة الاسلامية، (مجلة)، النجف الاشرف، السنة ١٧، العدد ٦٨، ج ١، كانون الثاني ٢٠٢٢ م.  
 يوسف حجيم الطائي، الذكاء المعرفي في المتعدد: دراسة تحليلية في فكر الامام الرضا للحد من ممارسات الخداع الشامل، "الجامعة الاسلامية"، (مجلة)، النجف الاشرف، السنة ١٧، العدد ٦٨، ج ١، كانون الثاني ٢٠٢٢ م.

## الإمام الرضا (ع) الإمام في جهاد التبیین والشهید له: جهاد التبیین والمعركة وجهاد التبیین الرضوي أقرب إلى العدالة وأنفى للحرب والظلم

محسن مدنی نژاد<sup>1</sup>

### الملخص

يُعدُّ الإمام الرضا (ع) إماماً في جهاد التبیین، حيث كان يسعى لتوضيح الحقائق ونشر المعرفة بشكل مستمر. وقد استشهد في هذه المسيرة، مما يبرز أهمية دوره في نشر العلم والوعي بين الناس. فكان الإمام الرضا (ع) يؤمن بأن جهاد التبیین هو أساس تحقيق النصر على الجهل والظلم، وهو ما يجعله نموذجاً للتوعية والتثقيف. وبفضل جهوده في هذا المجال، تمكن من تفادي الحروب والصراعات الزائفة التي قد تحدث نتيجة للجهل وعدم فهم الحقائق. إلى جانب جهاد التبیین، كان الإمام الرضا (ع) يؤمن بأهمية جهاد المعركة في سبيل الله، وكان يدعو إلى تحقيق النصر على الأعداء والظلم بوسائل سلمية وقوية في نفس الوقت. فكان يعتبر الجهاد بنوعيه أداة لتحقيق العدالة والسلام في المجتمع. باختصار، يمكن القول إن الإمام الرضا (ع) كان إماماً في جهاد التبیین واستشهد في هذه المسيرة، وبروح الباحث هنا بأن فكرة الجهاد بنوعيه (جهاد التبیین وجهاد المعركة) يساهم في توعية الناس وتحقيق النصر على الأعداء بطرق سلمية وفعالة والأهم أنهما يمنعان الأعداء عن نشوب أي حرب آخر لأنه أولاً شعبك والأمة الإسلامية يفهمون الحقائق ويعرفون الذئاب عن الأغنام في القطيع فلا يتخذون بشتى تزويرات الأعداء وثانياً إذا يرى العدو انه إذا يرتكب أي حماقة فلا بد أن يتدارك ويتحمل خسارات كبرى فلا يقدم مرة أخرى على ارتكاب هذه حماقة وقاتل المسلمين فهذا يكون أقرب للعدالة ودفع الظلم. ولقد استخدمنا كل ما كان متاحاً لنا في البحث من المصادر المكتوبة من الكتب والمقالات وكذلك باستخدام المنهجية الوصفية - التحليلية في توصيف وتحليل ما يصل إلينا من المعلومات والأحاديث و....

**الكلمات المفتاحية:** جهاد المعركة، الجهاد التبییني، الإمام الرضا (عليه السلام)، القصاص.

### المقدمة

الإمام الرضا (ع) كان إماماً بارزاً في جهاد التبیین، حيث كان يسعى جاهداً لتوضيح الحقائق الدينية والفكرية للناس، وذلك من خلال تبیین العقائد الإسلامية وشرحها بطريقة مفهومة وواضحة البارز في مناظراته مع أصحاب الديانات

1. استاذ في الحوزات العلمية والجامعات ومدير لجنة الفقه والقانون المقارن بمعهد الدراسات القرآنية. (خريج مرحلة ما بعد الدكتوراه في الفقه والقانون) وطالب دكتوراه بالمركز العالي للغة والثقافة التابع لجامعة المصطفى العالمية: m66546m@gmail.com

الأخرى التي كان يرتبها المأمون ليصغر علم وقدرة الإمام (ع) في عين الناس لكن الله كان يقدر عكس ذل وكلما كان الإمام (ع) يقوم بمنظرة كان يرفع شأنه ويثبت مدى قوته العلمية وقدرته في دفع الشبهات عن الإسلام وعن الأمة الإسلامية. وقد كانت هذه المساهمة الكبيرة في نشر الوعي الديني والفكري بين المسلمين وغير المسلمين. كما أن استشهاد الإمام الرضا (ع) كان جهاداً حقيقياً في سبيل الله، حيث قدم حياته كفداء في سبيل نشر الحق والعدل. وقد أظهرت استشهاده قوة إيمانه وتمسكه بالقيم الإسلامية، مما يجعله قدوة للمسلمين في التضحية والصبر من أجل الدين. إن جهاد التبيين الذي قام به الإمام الرضا (ع) يعد أحد أشكال الجهاد الأكثر أهمية، حيث يساهم في تصحيح المفاهيم الخاطئة حول الإسلام وتوضيح الحقائق الدينية، مما يعزز الوعي الديني لدى المسلمين وغير المسلمين على حد سواء. بالإضافة إلى ذلك، يجسد استشهاد الإمام الرضا (ع) قيمة الفداء والتضحية في سبيل الله، مما يعزز روح التضحية والإخلاص بين المسلمين، ويذكرهم بأهمية التضحية من أجل دفاع عن الدين والقيم. جهاد المعركة كان له دوره الكبير في تأكيد الدفاع عن الدين وصد الأعداء، وقد قام الإمام الرضا (ع) بتأكيد هذا الجانب من خلال مواقفه وتصرفاته التي تجسدت في مواجهة الظلم والطغيان، مما يعزز قيمة الصمود والمقاومة لدى المسلمين. إن جهاد التبيين وجهاد المعركة يعتبران نوعين مختلفين من الجهاد، حيث يسعى كلاً منهما إلى تحقيق هدف معين، سواء كان ذلك من خلال توضيح الحقائق أو من خلال صد الأعداء. وبالتالي، يساهمان في تعزيز قيم الدين والوطنية والصمود أمام التحديات. كما أنه يساهم في تجنب حروب دموية وصراعات مسلحة، حيث يسعى إلى توعية الناس بالقيم الإسلامية وتبني قيم التسامح والتفاهم، مما يحول دون نشوء صراعات دامية بين المجتمعات. بالختام، يُظهر جهاد الإمام الرضا (ع) في كلاً من جهاد التبيين وجهاد المعركة قدرته على تحقيق التغيير والإصلاح في المجتمع، وذلك من خلال تبني قيم الصبر والتضحية والصمود في سبيل دفاع عن الدين والقيم. ونحن قسمنا مباحثنا في المحاور التالية: المفاهيم النظرية المتعلقة بالبحث مثل مفهوم الجهاد وشروطه و... وكذلك الروايات المتعلقة بالبحث من الإمام الرضا (ع) حول جهاد التبيين والجهاد بالمعركة والنتيجة وبالنهاية ذكرنا المصادر.

## المفاهيم النظرية للبحث

### مفهوم الجهاد في الإسلام وأنواعه

لأن مسألة الجهاد والتعرف على ماهيته أخذ في موضوع الرسالة ويعد كلمة مفصلية ومحورية للرسالة فنضطر إلى أن توغل فيه شيئاً ما بصورة تفصيلية في الفصل الأول، فلا بد أن يفهمنا القراء والأساتذة الأجلاء في تناولنا لهذه القضية وكذلك لكيلا تفوتنا بعض أبعاد هذه القضية المحورية في الرسالة سوف نتطرق على عدة أمور ولكن مراعين جانب الإختصار، فمنها: معنى ومفهوم الجهاد، تشريع الجهاد وشروط وجوبه، وبعض أحكام الحرب في الإسلام.

### إطالة على معنى ومفهوم الجهاد

الجهاد يعني بذل السعي والإجتهد<sup>١</sup> مع التضحية في سبيل الله بالنفس والمال وغيرها من الممتلكات البشرية<sup>٢</sup>، ويطلق الجهاد على الحروب والصراعات التي تتم بهدف نشر الإسلام أو الدفاع عنه، والجهاد يُعدُّ

١. خليل بن احمد الفراهيدي؛ ج٣، كلمة الجهد؛ أبونصر الجوهري، لفظه "جهد"؛ مجد الدين ابن اثير؛ ج٣، ذيل "جهد"

٢. محمد أمين ابن عابدين، حاشية رد المحتار على الدر المختار؛ ج٣، ص٢١٧.

من الأبواب المهمة لكتب الفقه، وينقسم إلى قسمين أساسيين: أحدهما الجهاد الابتدائي والآخر هو الجهاد الدفاعي، وهذا التقسيم لم يرد ذكره صراحة في كتب الفقه السابقة، وعادة ما نصت على قواعد الجهاد الأساسي بشكل موسع، وقواعد الجهاد الدفاعي ضمناً، 'ومسألة "الرباط" أو "المرابطة" التي تعني حرس الحدود هي أيضاً موضوع متعلق بالجهاد وفي بعض الحالات تم عدُّه من مصاديق ذلك.

الجهاد الابتدائي يعني الحرب على المشركين والكفار لتدمير سيطرة الكفر والدفاع عن حق التوحيد للناس وإقامة العدل وإفساح المجال لنشر الدين الإلهي، في هذا النوع من الجهاد، حيث يكون المسلمون هم البادئون بالمعركة.<sup>٢</sup> الجهاد الدفاعي يعني الحرب للدفاع عن المسلمين والأراضي الإسلامية. وبحسب الآيات القرآنية، فإن الذين يضحون بأرواحهم وأمواهم في سبيل الله هم أسمى من سائر المسلمين أمام الله، وقد بشرهم الله بالجنة وبلوغهم منزلة الشهادة، أما نشاهد في العقود الأخيرة، فالغربيون انفسهم خلقوا تلك الجماعات المتطرفة، لتفريق بين المسلمين وايضاً لإندلاع وتأجيج الإسلاموفوبيا.

في النصوص الدينية، تم استخدام كلمة الجهاد أيضاً في أعمال قيمة أخرى غير القتال في ساحة المعركة، مثل الجهاد الأكبر الذي يشير إلى مناضلة الشيطان وهوى النفس،<sup>٣</sup> وفي الأحاديث، عدُّ بعض الأعمال باسم الجهاد الذي كان كما يبدو تكريماً لهذه الأعمال؛ مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والكلام العادل أمام سلطان جائر، وبذل الجهود لإحياء سنة حسنة في المجتمع، وحسن تبعل الزوجة، وكُدُّ الرجل لكسب الرزق الحلال لأسرته.<sup>٤</sup>

### الجهاد كتشريع في الإسلام

إن أول آية حول شرعنة الجهاد هي الآية المعروفة ب"آية إذن الجهاد"، وهي مخصصة بالجهاد الدفاعي، وقد نزلت في السنة الأولى للهجرة وسمحت للمسلمين بالدفاع عن أنفسهم ضد هجمة المشركين،<sup>٥</sup> وهناك عدة آيات في كثير من السور المدنية، ولا سيما في سورة البقرة، والأنفال، وآل عمران، والتوبة، والأحزاب، مختصة بالجهاد والمواضيع ذات الصلة به، ولا بدُّ أن نلتفت إلى شأن نزولها والأهداف الأساسية للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) وخاصة في مجال فلسفة الحرب والسلام؛ في تحليل هذه الآيات.

فبعد فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة نزلت آيات أشارت حسب ظاهرها إلى حرب ضد جميع المشركين في كل مكان وزمان،<sup>٦</sup> فحسب رأي بعض من المفسرين والفقهاء، هذه الآيات وخاصة الآية الخامسة من سورة التوبة، المشهورة بآية "السيف"<sup>٧</sup> نسخت الآيات الأخرى التي كانت تدل بشكل ما على التسامح مع

١. محمد بن يعقوب الكليني، الكافي: ج ٥، ص ٢٣٠٢.

٢. البقرة: ١٩٣؛ الأنفال: ٣٩؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): تفسير آية ١٩٣ سورة البقرة.

٣. محمد بن حسن العاملي (الحزب العاملي)، وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ١٦١.

٤. محمد بن يعقوب الكليني، الكافي: ج ٤، ص ٢٥٩؛ ج ٥، ص ١٠٩، ١٢، ١٠٠، ٨٨؛ محمد بن الحسن (الحزب العاملي)، وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ٣٣٤.

٥. الحج: ٣٩ و ٤٠.

٦. التوبة: ٥، ٣٦، ٤١.

٧. السيد أبوالقاسم الخوئي، البيان في تفسير القرآن: ص ٣٠٥، والذي عنون الآية ٣٦ من سورة التوبة باسم آية السيف.

المشركين<sup>١</sup>، وتكلم بعض المستشرقين حسب هذا الإتجاه يعني وافقوا النسخ، فتبقى في قوتها الآيات التي تدعو المسلمين بظواهرها للجهاد ضد المشركين - ومنهم أهل الكتاب- في أي زمان ومكان، وسائر الآيات التي تجعل وجوب الجهاد يعتمد على وجود شروط معينة مثل إثارة الفتن بواسطة الأعداء، فقد نُسخَت، وفي المقابل يعتقد مخالفي النسخ بأنه حسب القواعد الموجودة للنسخ وتاريخ وشأن نزول الآيات المذكورة، فلا يمكن نسخها. ٢ وبالمناسبة يلزم أن نذكر بأن الإمام الخامنئي يقدم أدلة على أن الجهاد الابتدائي يمكن أن يتم في زمن الغيبة وبوساطة فقيه عادل وجامع للشرائط، ويعتبر هذا الرأي الأقوى ويستند إلى مثل هذه الآيات الموجبة للجهاد الابتدائي ضد الكفار والمشركين.<sup>٣</sup>

هناك بعض الأدلة القرآنية والروايات تحرض المؤمنين على الجهاد مثل:

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۗ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۖ<sup>٤</sup>

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ.<sup>٥</sup>

الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ.<sup>٦</sup>

ويذكر النبي (صلى الله عليه وآله) أن الجهاد في سبيل الله يعد من أفضل الأعمال والأجرا أخرى للمجاهد الشهيد هو بحيث يتمنى الشهيد ان ينال مرة أخرى إلى درجة الجهاد والإستشهاد.<sup>٧</sup>

### شروط وجوب الجهاد الابتدائي

قد اعتبر فقهاء أهل السنة الجهاد الابتدائي واجباً إذا كانت فيه مصلحة للإسلام والمسلمين يعترف بها الحاكم، سواء كان عادلاً أم فاسقاً، وفي رأيهم أن طاعة ولي الأمر في الجهاد واجبة كالصلوات الخمس. ويعتبر معظم الفقهاء الإمامية وجوب الجهاد الابتدائي وحتى مشروعيته مرهوناً بموافقة وإذن الإمام المعصوم أو نائبه.<sup>٨</sup> ومقصودهم من نائب الإمام هنا، النواب الخاصون وليس النائب العام للإمام (يعني الفقهاء) في زمن الغيبة، ومع ذلك، وبحسب رأي البعض الآخر، فإن إذن الإمام المعصوم أو نائبه الخاص ليس ضرورياً للجهاد، وحتى يمكن لنائبه العام أيضاً اللجوء إلى الجهاد الابتدائي من أجل توسيع التوحيد والعدالة، ومنع ظلم واستبداد الظالمين،<sup>٩</sup> كما نقلنا نفس الإتجاه من آراء السيد علي الخامنئي قائد

١. للمثال: الأعراف: ١٩٩؛ البقرة: ١٠٩؛ الأنعام: ١١٢؛ الحجر: ٨٥؛ الزخرف: ٨٩.

٢. السيد أبو القاسم الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص ٣٠٥، ٣٤٥؛ حجر: ٨٥.

٣. مقتطفات من مباحث دروس خارج الفقه للسيد علي الخامنئي موجود على الموقع الإلكتروني للحوزة العلمية: <https://hawzah.net/fa/Article>

٤. النساء: ٩٥

٥. العنكبوت: ٤٩

٦. التوبة: ٢٠

٧. أحمد ابن حنبل، مسند أحمد بن حنبل: ج ١، ص ١٤٠، ج ٣، ص ١٣٦؛ ٥٢؛ محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري: ج ١، ص ١٢، ج ٦، ص ١٥؛ مسلم بن حجاج، ج ١، ص ٨٨؛ محمد بن يعقوب الكليني، الكافي: ج ٥، ص ٢، ٤، ٥٣.

٨. محمد بن يعقوب الكليني، الكافي: ج ٥، ص ٣٣.

٩. السيد أبو القاسم الخوئي، البيان في تفسير القرآن: ج ١، ص ٣٦٤؛ منتظري، ج ١، ص ١١٥.

الجمهورية الإسلامية؛ ويرى هؤلاء الفقهاء الإجماع المزعوم في هذا السياق قابلاً للنقاش، وعبارة "الإمام العادل" في أحاديث الجهاد لا تعني الإمام المعصوم.

### وجوب الجهاد الابتدائي ضد ثلاث فئات

أولاً: الكفار غير الذميين وهم أعم من أهل الكتاب وغير أهل الكتاب؛

ثانياً: الكفار الذميون الذين تجاهلوا شروط الذمة؛

ثالثاً: البغاة.

يتم الجهاد ضد الكفار غير الكتابيين بهدف دعوتهم إلى الإسلام، لديهم خياران فقط: قبول الإسلام أو قبول الحرب.

يقع الجهاد ضد الكفار الكتابيين غير الذميين أو الذميين الذين نقضوا الذمة، إما لقبولهم الإسلام أو لموافقتهم على عقد الذمة ودفع الجزية، نتيجة لذلك، عليهم أن يختاروا واحدة من ثلاث خيارات: اعتناق الإسلام، والبقاء على دينهم مع دفع الجزية، أو خوض الحرب. وكما أشرنا إليه في مسألة جواز الجهاد الابتدائي، يوجد من يخالفون القول بأن أي فقيه عادل يمكنه القيام بهذا العمل، حتى الإمام رحمه الله الذي كان يؤيد الولاية المكلّقة للفقهاء وأكد في "كتاب البيع" و"تحرير الوسيلة" أن ولي الفقيه يمتلك جميع سلطات الحكومة الإمام المعصوم (عليه السلام) إلا في الحالات التي يتم استثنائها وتوجد دليل على استثنائها. ففي كتاب "تحرير الوسيلة" قال بأن "الجهاد الابتدائي" هو واحد من الأمور المستثناة، وهناك اعتقاد بأن الفقيه في زمن الغيبة يمكنه القيام بـ "الجهاد الابتدائي". ومن ناحية أخرى، كان الفقيه البارز المرحوم "صاحب الجواهر" يعارض جواز "الجهاد الابتدائي" في زمن الغيبة، وأحد الحجج الهامة التي كان يستدل بها كان عدم إمكانية حدوث مثل هذه الحالة، حيث لا يمكن لفقيه في زمن الغيبة أن يملك جيشاً أو أسلحة وتجهيزات، ولا يمكن له أن يشارك في القتال ويكون قائداً! ولكن كان يقول السيد القائد في درس خارج فقهه الذي بدأه من كتاب الجهاد - خلافاً لعموم الفقهاء-، رفض هذا الاحتمال وقدم أدلة على أن "الجهاد الابتدائي" في زمن الغيبة وبواسطة فقيه عادل وجامع للشرائط ممكن، بل إنه اعتبر هذا الرأي أقوى.<sup>١</sup>

والجهاد ضد البغاة ليس إلا لنقضهم العهود وخرجهم عن بيعة الإمام وإجبارهم على تجديد البيعة.<sup>٢</sup> في المجموع، ينقسم الجهاد إلى خمسة أنواع عامة، منها أربعة أنواع في فئة الجهاد الدفاعي وكلها تؤكد أن الجهاد دفاعي ووقائي.

١، الجهاد للحفاظ على وجود الإسلام بينما هاجم الأعداء بلاد الإسلام ويستعدون لقمع المسلمين وغزو الإسلام والإستيلاء عليه والتسلط على المسلمين، ويسعون أيضاً إلى استبدال أعمالهم وطقوسهم في بلاد الإسلام.

٢، الجهاد لحفظ دماء المسلمين وأعراض ممتلكاتهم ضد العدو المفسد.

١. مقتطفات من مباحث دروس خارج الفقه للسيد على الخانثري موجود على الموقع الإلكتروني للحوزة العلمية:

<https://hawzah.net/fa/Article>

٢. آبي (آوي)، زين الدين حسن بن ابیطالب، كشف الرموز في شرح المختصر النافع: ج ١، ص ١٤١٨ - ١٤٢٢؛ أحمد بن محمد ابن فهد الحلبي، المهذب البار: ج ٢، ص ٣٠٠ - ٣١٠.

- ٣، الجهاد لمساعدة جماعة من المسلمين الذين خاضوا حرباً ضد الأعداء وهناك احتمال لهزيمتهم وحكم الكفار لأرضهم وأعراضهم.
- ٤، الجهاد لإعادة حكم الإسلام إلى الأراضي الإسلامية التي استولى عليها العدو ووقعت في أيدي الكفار، وتحطم الإسلام ووجوده بسبب استيلاء الكفار.

### الجهاد هو الحل الأخير

من وجهة نظر بعض الكتاب المسلمين، فإن وجوب الجهاد لا يعني وجود مواجهة دائمة بين المسلمين وغير المسلمين، بل الجهاد هو الحل الأخير لتثبيت مصالح الإسلام والمسلمين، وقيل البدء بالجهاد لا بد من دعوة الطرف الآخر إلى الإسلام، وتعاليمه الإلهية، وترك الكفر والعصيان أمام الله، وعدم إهمال حقوق الإنسان، وأولا ينبغي البدء بالمناطق الأقرب، إلى الأراضي الإسلامية.<sup>١</sup>

وحسب رأي بعض الفقهاء، -ونقل الرأي العلمي والفقهي لهؤلاء- بناءً على سيرة الرسول الأكرم، إذا توفرت الظروف وكان الجيش الإسلامي مستعداً للجهاد، يجب القيام بذلك مرة واحدة على الأقل في كل عام، ولا يجوز الهروب، من ساحات الجهاد، إلا في حالات استثنائية.<sup>٢</sup>

غالباً ما تعتبر المدارس البشرية الأخرى الغرض من الحرب هو التوسع، ونهب ثروات الأمم الأخرى، والاستعمار، والبحث عن السلطة، وما إلى ذلك، بينما في الإسلام، يتم إضفاء الشرعية على الجهاد لغرض إنساني وإلهي، ودعوة لقبول الإسلام كما أن الدفاع المشروع عن كيان الأمة وحماية المعتقد والوطن من أهدافها الأساسية.

ولا بأس بان نشير إلى رأي آية الله مكارم الشيرازي من بين مراجع الشيعة حول الحرب في نظر الإسلام، فإنه يقول: "الحرب في منطلق الإسلام ليست أبداً انتقاماً أو طموحاً أو فتح دولة أو الحصول على الغنائم أو احتلال الأراضي الأخرى..، فالإسلام يدين كل هذه الغايات ويقول إن حمل السلاح والذهاب إلى ميادين الجهاد يجب أن يكون فقط في سبيل الله ومن أجل توسيع الشرائع السماوية وبسط التوحيد والعدل والدفاع عن الحق والقضاء على الظلم والفساد والدمار.

فنتعلم نحن كذلك من آيات القرآن الكريم أن الإسلام دين سلام ورحمة<sup>٣</sup> وفي تعاليمه نرى أحياناً أن بعض الأحكام مثل الجهاد، ما تبين جيداً للأفراد، أو الأفعال الخاطئة التي يرتكبها بعض الحركات المتحجرة مثل الوهابيين، وطالبان، والبخ، وبالاستخدام الآلي من الدين والتعاليم المقدسة للدين الإسلامي، تمهدت أرضية الفهم الخاطيء من الإسلام، ولذلك من المهم جداً شرح وجهة نظر الإسلام في هذه الساحة.

### شروط وجوب الجهاد

ولما ذكرنا في بداية ذكر قضية الجهاد من لزوم ذكر بعض الشروط الواردة في المصادر الفقهية لوجوب الجهاد على الشخص، فنذكر المسألة في كمال الإختصار فهي:

الرجولة

العقل

١. السيد أبوالقاسم الخوئي، البيان في تفسير القرآن: ج ١، ص ٣٤٩.

٢. السيد أبوالقاسم الخوئي، البيان في تفسير القرآن: ج ١، ص ٣٧١.

٣. البقرة: ٢٠٨.



## الحرية

القدرة المادية والمالية على الجهاد.

عدم وجود عذر ديني لتركه،

ولذلك فالجهاد ليس واجبا على العبيد والنساء والأطفال والمجانين وكبار السن والمكفوفين وغير القادرين على الجهاد بسبب مرض خطير أو بسبب إعاقة في الأعضاء،<sup>١</sup>

- كما تم إسقاط الجهاد عن عاتق الشخص الذي لا يرضى والديه عن مشاركته في الجهاد، إلا إذا كان الجهاد فرضاً عينياً عليه.

واختلف الفقهاء في وجوب حصول الإذن منال والدين المشركين، وكذلك من الأجداد، وضرورة الحصول على الإذن من الدائن للذهاب إلى الجهاد،<sup>٢</sup> وكذلك هناك اختلاف في تأجير الأجير وجعل الجعالة للجهاد. وليست ضرورة كثيرة من الشروط السابقة للجهاد الدفاعي، ومنها إذن الإمام، لأن الدفاع عن أرواح المسلمين وممتلكاتهم وكراماتهم واجب على كل مسلم قادر على الدفاع عن النفس في أي شرائط.

وبحسب الرأي المشهور في الفقه الإسلامي، فإن الجهاد الابتدائي هو واجب كفائي، أي إذا كان عدد المجاهدين المستعدين للجهاد كافياً، يسقط الجهاد عن عاتق الآخرين، ولكن إذا رأى الحاكم وجود بعض المكلفين ضرورياً في الجهاد لأسباب، فيجب عليهم ذلك بالوجود العيني وبعد التواجد في ساحة الحرب ووقوع المواجهة بين الطرفين، فإن الجهاد يتبدل إلى واجب عيني، ولا يجوز الانسحاب منه.

## بعض الأحكام والآداب للحرب في الإسلام

هناك بعض الأحكام والآداب وردت في الإسلام حول الحرب والجهاد ومنها:

- القتال في الأشهر المحرمة (رجب، ذو القعدة، ذو الحجة، محرم) كان ممنوعاً عند العرب قبل الإسلام، كما أكدته الإسلام، والفقهاء بناء على آيات القرآن ومنها الآية ٢١٧ من سورة البقرة والآية ٥ من سورة التوبة، قالوا بحرمة الجهاد في هذه الشهور<sup>٣</sup> إلا إذا بدأ العدو الحرب ولم يحترم الأشهر المحرمة ونسخت حرمة القتال في الأشهر المحرمة حسب رأي بعض فقهاء السنة فيجوز الجهاد في كل مكان وزمان،<sup>٤</sup>

- الهروب من الحرب حرام، بل هو من كبائر الذنوب<sup>٥</sup>، إلا إذا كان عدد المسلمين أقل من نصف قوات العدو، ففي هذه الحالة لا تجب المقاومة عليهم،<sup>٦</sup>

يجب على الإمام (عليه السلام) أو على من عينه الإمام، دعوة الكفار إلى الإسلام (الشهادة على التوحيد ورسالة الرسول صلى الله عليه وآله وملحقاتها من أصول الدين وفروعه) قبل الشروع في الحرب، إلا إذا كان قد

١. السيد أبو القاسم الخوئي، البيان في تفسير القرآن: ص ٣٤٢-٣٤٣.

٢. السيد أبو القاسم الخوئي، البيان في تفسير القرآن: ج ١، ص ٣٤٢-٣٤٣.

٣. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): تفسير آية ٩٠ منسورة البقرة؛

السيد أبو القاسم الخوئي، البيان في تفسير القرآن: ج ١، ص ٣٤٨-٣٤٩.

٤. محمد حسن نجفي، جواهر الكلام: ج ٢١، ص ٣٢-٣١٤.

٥. محمد حسن نجفي، جواهر الكلام: ج ٢١، ص ٥٤.

٦. محمد حسن نجفي، جواهر الكلام: ج ٢١، ص ٤.

وصل قبل ذلك إليهم الدعوة ففي هذه الحالة يستحب بتكرار الدعوة<sup>١</sup> يجوز قتال العدو بأي نوع من الأسلحة وبأي صفة تؤدي إلى النصر، لكن قطع الأشجار وإلقاء النار وإرسال الماء للعدو مكروه إلا عند الضرورة، وهناك اختلاف في حرمة أو كراهة سكب السم على العدو في حال الضرورة<sup>٢</sup> وقد اعتبر البعض أنه يجوز قطع الأشجار وتدمير الحصون واستخدام المقاتلين إذا توقف الانتصار على هذه الأمور<sup>٣</sup>

يحرم قتل النساء والأطفال والمجانين وكذلك العاجزين عن الحرب كالكبار في السن والعمى المتقاعدین إذا لم تستخدم أفكارهم وآرائهم في الحرب إلا في حالات الضرورة، مثل أنه عندما يستخدم الكفار وجودهم كدروع إنسانية، أو تتوقف إيقاع الهزيمة بالعدو على قتلهم، ويحرم تشويه أعضاء الأعداء بقطع الأذنين والأنف وأجزاء أخرى، و...

وقد ينتهي الجهاد بإحدى هذه الطرق: إما باعتناق العدو للإسلام إذا بدأت الحرب بهدف الهداية<sup>٤</sup>، أو بلجوء الأعداء إلى المسلمين، أو عقد اتفاق مؤقت لترك المحاصنة، أو بمصالحة دائمة.

في باب الجهاد من إمام الرضا (ع)، يلاحظ وجود عدة روايات تم ذكرها بشكل كبير في كتاب مسند الإمام الرضا، على الرغم من أن سماحة السيد الإمام الخامنئي (حفظه الله) قد قدر موقف الإمام الرضا (عليه السلام) كزعيم في جهاد التبيين ونشر الوعي بسبب الظروف الخاصة لعصرهم والمؤامرات والمكائد الحاكمة وأيضاً المناظرات مع علماء وفلاسفة مسيحيين.<sup>٥</sup>

### الروايات الموجودة من الإمام الرضا (ع) في باب جهاد التبيين

تتميز حياة الإمام الرضا (ع) بسمعة خاصة بسبب الظروف الحساسة التي كانت تمر بها في تلك الفترة. فقد تولى سماحته الإمامة في إحدى أكثر الفترات أزمة في تاريخ الشيعة. كان النشاط الثقافي وازدهار المناقشات العلمية، والأزمة في الشرعية السياسية والدينية، والانشقاقات داخل الشيعة، كلها أسباب أدت إلى أن يلجأ الإمام الرضا (ع) إلى وسائل مختلفة لتوضيح وتوجيه الأمة المذهولة والعطشى للمعرفة في تلك الفترة. فقد تم

١. محمد حسن نجفي، جواهر الكلام: ج ٢١، ص ٥١٤ - ٥. ٢. محمد حسن نجفي، جواهر الكلام: ج ٢١، ص ٦٦ - ٦٨؛ أبوالمجد حلي، إشارة السبق: ص ١٣٣؛ قطب الدين الكيدري، إصباح الشيعة: ص ١٨٩. ٣. زين الدين بن علي العاملي (الشهيد الثاني)، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية: ج ٢، ص ٣٩٢. ٤. محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري: ج ١، ص ٣٩؛ محمد بن جرير الطبري، التفسير الطبري: تفسير الآية ١٦ لسورة فتح.

٥. ضمنا كتابي بعنوان "فقه احاديث الامام الرضا و ابنائه الكرام (ع): كتاب الجهاد - كتاب الوصية" در جلد چهارم که از منشورات بنياد پژوهش های آستان قدس رضوی است نیز مشتمل بر این موضوع است. جهاد تبیین توسط امام رضا (ع): حضرت علی بن موسی الرضا علیه السلام، از همان بدو آغاز دور امامت مبارکشاهان جهاد تبیین، روشنگری و بصیرت افزایی را در اولویت خود قرار دادند تا جایی که برخی از یاران از صراحت لهجهی حضرت، احساس خطر می کردند که مبادا هارون الرشید قصد جان پیشوای هشتم را کند. از صفوان بن یحیی نقل شده است که: امام رضا علیه السلام پس از رحلت پدرش سخنانی ایراد کردند که ما بر جانش ترسیدیم و به او عرض کردیم: «مطلبی بزرگ را آشکار کرده ای، ما بر تو از ابن طاغوت (هارون) بیمناکیم.» که حضرت در پاسخ می فرماید که بگذارید هر کاری می تواند انجام دهد یا در جایی دیگر که از محمد بن سنان نقل شده است حضرت در برابر ابراز نگرانی یاران می فرماید: «آنچه مرا بر این کار بی پروا ساخته سخن پیامبر است که فرمود: «اگر ابو جهل یک مو از سر من کم کرد گواه باشید که من پیامبر نیستم.» برگرفته از سایت:

التعبير عن فلسفة الأحكام، وإصدار الروايات العقائدية، وتأليف الكتب والرسائل المختلفة، واتخاذ المواقف السياسية والتاريخية من قبل الإمام (ع)، والأهم من ذلك كله كانت خطبته في نيشابور وتقديمه لتوحيد الله ومعرفة شروط الإمامة كشرط أساسي لقبول التوحيد، وكل هذا كان مخطّطاً في اتجاه الجهاد من أجل توضيح وضرورة توضيح الحقائق في المجتمع الإسلامي. في العديد من الروايات الإسلامية، تم تكليف المسلمين بتوضيح معارف أهل البيت (ع) وتعليم ونشر تعاليمهم القيمة. وقد قام الإمام الرضا (ع) بشكل دائم خلال حياته بالتحديث والعمل والتعبير عن الحقائق في المجتمع الإسلامي. وفي هذا السياق، يقول عبد السلام بن صالح هروي: "قال الإمام الرضا (ع): 'رحم الله عبداً احياً امرناً، أي أن الله يرحم عبداً يحيي أمرناً. وعرضت: 'كيف يحيي أمركم؟' فقال الإمام: 'يتعلم علومنا ويعلمها الناس، فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا، أي أنه يجب أن يتعلم علومنا ويعلمها للناس، فإذا عرف الناس حسن كلامنا، سيتبعونا.' (وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ٩٢).

الإمام الرضا (ع) كان دائماً يستخدم المكونات السابق على المناظرات مثل التبيين، والمعرفة، والحساب، وكذلك المكونات أثناء المناظرة مثل: القوة العقلية، والبرهان، والوضوح، والإيمانية، بالإضافة إلى المكونات الأخلاقية والسلوكية مثل السعة الصدر، والعدالة، والسلوك اللائق والنبيل، من أجل العمل الخالص والوصول إلى الأهداف في جهاد التبيين لتحقيق الرضا الإلهي والتبيين الأكثر لخلق الله والشيعة ومحبي أهل البيت (ع).

إن مأمون كان يعمل على تنظيم سلسلة من المناظرات العلمية التي حضرها علماء مختلف المذاهب والأديان، وكان يطلب من الإمام الرضا مواجهتهم. وبهذا يهدف إلى التقليل من شأن الإمام الرضا، وخوفاً من أن يجذب الناس إليه بشكل كامل. كانت هذه المناظرات تناول في الغالب القضايا العقائدية والفقهية، بما في ذلك القسم الذي أدرجه الشيخ الطبرسي في كتابه "الاحتجاج". ويعتقد معظم الشيعة الإمامية أن هدف المأمون من تنظيم هذه المناظرات هو إزالة الاعتقاد السائد بين الناس بأن أهل بيتنا ليسوا أعلماء في الدين. وقد أشار الشيخ الصدوق في كتابه "عيون أخبار الرضا" إلى أن المأمون كان يجلب كل من ينتمي إلى الفرق المتطرفة والأهواء المضلة لمواجهة الإمام الرضا، حرصاً على استمرارية النظام السائد. فهو (ع) في ظل الظروف التي عاشها في عصره وشهد معاناة الأمة من حكام الظلم والمستبدين الذين فرضوا سيطرتهم على الشعوب، كان يتخذ موقفاً حكيماً للغاية، حيث واجه الأحداث بتوازن وحذر، دون الانجرار إلى المبالغة أو التقصير. كان يسعى لتحقيق تحسين حياة الأمة وتأمين مستقبل مستقر للأجيال القادمة، ويرغب في انتشار وازدهار الإسلام بطريقة واقعية دون تدخلات السلطات الفاسدة وتجاوزات الحكام. كان يستثمر طاقاته العظيمة لتحقيق هذين الهدفين الحيويين من خلال التحضير والتوجيه والتعليم، وكان يكون قدوة حية للجميع في التواضع والمحاذرة والتواصل مع الناس من كافة الأعمار، وكان يشارك في مواجهة التحديات بشجاعة وصبر، حتى يبرر أمام الله تعالى ونفسه. فكانت في بياناته ومواقفه أحسن مواضع الجهاد التبييني، فمثلاً حينما أصبح ولي العهد لم يحفل بأي مظهر من مظاهر السلطة ولم يجعل لها أي وزن وحتى كان يكره مظاهر العظمة التي ان يقومها الناس لملوكهم. (المجمع العالمي لأهل البيت: أعلام الهداية، ١٠ / ٢٨)

أو ما قاله الإمام (ع) لأخيه زيد عندما أراد أن لا يوبخه الإمام (ع) لفعله الخاطيء وقال لإمام أنا أخوك وابن أبيك فقال: أنت أخي ما أطعت الله عزوجل.... ("الصدوق، عيون أخبار الرضا، ٢ / ٢٣٤).

وأشهر رواية تبينها للإمام الرضا، ليست إلا حديث سلسلة الذهب عن جبرئيل: "سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، حِضْنِي، فَمَنْ دَخَلَ حِضْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي." (معاني الأخبار، ص ۳۷۱) والذي بين الإمام عليه السلام فيها أهمية كلمة التوحيد وكذلك أهمية الإمامة في بيان واحد.

### الروايات الموجودة من الإمام الرضا (ع) في باب الجهاد في المعركة

أما ما توصلنا إليه حول الجهاد بالمعركة من الإمام (ع) -ولا ندعي الحصر في هذه- فهي: بإسناد الإمام الرضا قال: قال علي بن الحسين (صلوات الله عليه) بينما أمير المؤمنين (عليه السلام) يخطب الناس ويحضهم على الجهاد إذ قام إليه شاب فقال: يا أمير المؤمنين اخبرني عن فضل الغزاة في سبيل الله فقال (عليه السلام): كنت رديف رسول الله (صلى الله عليه واله) على ناقته العضاء ونحن مقلوبون من غزوة ذات السلاسل فسألته عما سألتني عنه فقال: إن الغزاة إذا هموا بالغزو كتب الله لهم براءة من النار وإذا تجهزوا باهى الله بهم الملائكة الخ.

و الحديث طويل عرض فيه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) الى فضل الغزو والجهاد في سبيل الله الذي هو باب من أبواب الجنة فتحه الله تعالى لخاصة أوليائه- على حد تعبير الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) -. (المصدر: باقر شريف القرشي، حياة الإمام الرضا (عليه السلام): الجزء والصفحة: ج ۱، ص ۲۶۷).

### ومن كتاب الفقه المنسوب للإمام الرضا عليه السلام

نروي أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله رأى بعض أصحابه مُنْصَرِفًا مِنْ بَعْثٍ كَانَ بَعَثَهُ فِيهِ، وَ قَدْ انْصَرَفَ بِسَعْيِهِ وَ غِبَارِ سَفَرِهِ وَ سِلَاحِهِ عَلَيْهِ يُرِيدُ مَنْزِلَهُ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: انْصَرَفَ مِنَ الْجِهَادِ الْأَضْعَرِّ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ، فَقِيلَ لَهُ: أَوْ جِهَادٌ فَوْقَ الْجِهَادِ بِالسَّيْفِ؟! قَالَ: نَعَمْ، جِهَادُ الْمَرْءِ نَفْسَهُ. (روایت می کنیم که سرور ما پیامبر خدا صلی الله علیه و آله یکی از اصحاب خود را دید که از مأموریتی جنگی که او را فرستاده بود برگشته و با موهای ژولیده و غبار سفر بر سر و صورت و جنگ افزار در میان، به سوی منزل خود می رود. حضرت صلی الله علیه و آله فرمود: از جهاد اصغر برای جهاد اکبر برگشتی! عرض کرد: آیا جهادی بالاتر از جهاد با شمشیر هم هست؟! فرمود: آری، جهاد انسان با نفس خود.)<sup>۱</sup>

عن الرضا (ع): إذا زال الشَّهيدُ مِنْ فَرْسِهِ بِطَعْنَةٍ أَوْ بِضَرْبَةٍ، لَمْ يَصِلْ إِلَى الْأَرْضِ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ زَوْجَتَهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ فْتُبَشِّرُهُ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لَهُ مِنَ الْكِرَامَةِ. (وقتی شهید در اثر تیر یا ضربت از مرکبش می افتد هنوز به زمین نرسیده خداوند متعال زوجه حورالعین او را به نزدش حاضر می کند تا مقامات و کراماتی که خدای متعال برایش آماده کرده به وی مژدگانی بدهد. (مستدرک، ج ۱۱، ص ۱۱)

الإمامُ الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: حَرَّمَ اللَّهُ الْفِرَارَ مِنَ الرَّخْفِ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الْوَهْنِ فِي الدِّينِ، وَالِاسْتِخْفَافِ بِالرُّمْلِ وَ الْأَثْمَةِ الْعَادِلَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. [عين أخبار الرضا: ۰۱/۹۲/۲] (امام رضا عليه السلام: خداوند فرار از میدان جهاد را حرام کرده است؛ چون باعث ضعف دین و خفیف شدن پیامبران و پیشوایان عادل عليهم السلام است.)

## به نقل از مسند امام رضا، ص ٣٧٩

(كتاب الجهاد والمرابطة) (باب) \* (فضل الجهاد) \*

١ - الكليني عن عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن محمد بن عبد الله، ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن العباس بن معروف عن صفوان بن يحيى، عن عبد الله بن المغيرة قال: قال محمد بن عبد الله للرضا صلوات الله عليه وأنا أسمع: حدثني أبي عن أهل بيته، عن آباءه عليهم السلام، أنه قال لبعضهم: إن في بلادنا موضع رباط يقال له: قزوين وعدوا يقال له: الديلم، فهل من جهاد أو هل من رباط؟

فقال: عليكم بهذا البيت فحجوه فأعاد عليه الحديث، فقال: عليكم بهذا البيت فحجوه، أما يرضى أحدكم أن يكون في بيته ينفق على عياله من طوله ينتظر أمرنا، فإن أدركه كان كمن شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله بدرًا، وإن مات منتظرًا لأمرنا كان كمن كان مع قائمنا عليه السلام، هكذا في فسطاطه - وجمع بين السبايتين - ولا أقول هكذا وجمع بين السبابة والوسطى - فان هذه أطول من هذه فقال أبو الحسن عليه السلام: صدق. <sup>١</sup>

٢ - عنه عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن خالد، عن سعد بن سعد، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سألته عن قول أمير المؤمنين صلوات الله عليه: "والله لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش" قال: في سبيل الله. <sup>٢</sup>

٣ - الصدوق بإسناده عن الرضا عليه السلام عن أبيه عن آباءه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله عز وجل يبغض رجلاً يدخل عليه في بيته ولا يقاتل. <sup>٣</sup>

٤ - عنه بإسناده عن الرضا عن علي عليه السلام، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها فقد حرم علي دماهم وأموالهم. <sup>٤</sup>

٥ - عنه عن الرضا قال: وحرم الله الفرار من الزحف لما فيه من الوهن في الدين والاستخفاف بالرسول، والأئمة العادلة وترك نصرتهم على الأعداء، والعقوبة لهم على إنكار ما دعوا إليه من الأقرار بالربوبية وإظهار العدل وترك الجور وإماتة الفساد، لما في ذلك من جرأة العدو على المسلمين وما يكون في ذلك من السبي والقتل وإبطال دين الله عز وجل وغيره من الفساد. <sup>٥</sup>

٦ - عنه قال: أبي رحمه الله قال: حدثنا سعد بن عبد الله، عن محمد بن عيسى، عن يونس بن عبد الرحمن عن أبي الحسن عليه السلام، قال: قلت له: جعلت فداك إن رجلاً من مواليك بلغه أن رجلاً يعطي السيف والفرس في السبيل، فاتاه فأخذهما منه ثم لقيه أصحابه فأخبره أن السبيل مع هؤلاء لا يجوز وأمره بردهما. قال: فليفعل قال: قد طلب الرجل فلم يجده وقيل له قد شخص الرجل، قال فليربط، ولا يقاتل قال له: ففي مثل قزوين والديلم وعسقلان وما أشبه هذه الثغور فقال: نعم فقال له: يجاهد؟ فقال: لا إلا أن يخاف على ذراري المسلمين أرايتك، لو أن الروم دخلوا على المسلمين لم ينبغ لهم أن يبايعوهم،

١. الكافي: ٥ - ٢٢.

٢. الكافي: ٥ - ٥٣.

٣. عيون الأخبار: ٢ - ٢٨.

٤. عيون الأخبار: ٢ - ٤٤.

٥. عيون الأخبار: ٢ - ٩٢.

قال: يرباط ولا يقاتل، فان خاف على بيضة الاسلام والمسلمين قاتل، فيكون قتاله لنفسه ليس للسلطان  
قال: قلت: فان جاء العدو إلى الموضوع الذي هو فيه مرابط كيف يصنع؟  
قال: يقاتل عن بيضة الاسلام لا عن هؤلاء لان في دروس الاسلام دروس ذكر محمد صلى الله عليه  
وآله وسلم.<sup>١</sup>

٧ - الطوسي باسناده عن البرقي، عن سعد بن سعد الأشعري، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سألته عن  
قول أمير المؤمنين عليه السلام لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش فقال: في سبيل الله.<sup>٢</sup>  
٨ - (باب) \* (قتال أهل الضلال) \* ٩ - الطوسي باسناده عن محمد بن سهل، عن زكريا بن آدم قال:  
سألت الرضا عليه السلام عن قوم من العدو صالحوا ثم خفروا، ولعلمهم إنما خفروا لأنه لم يعدل عليهم،  
أصلح أن يشتري من سييهم؟ قال: إن كان من عدو قد استبان عداوتهم فاشتر منه، وإن كان قد نفروا  
أو ظلموا فلا تبتع من سييهم.<sup>٣</sup>  
٩ - عنه باسناده عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبي الحسن الرضا  
عليه السلام قال: ذكر له رجل من بني فلان فقال: إنما نخالفهم إذا كنا مع هؤلاء الذين خرجوا بالكوفة،  
فقال قاتلهم، فإنما ولد فلان مثل الترك والروم وإنما هم ثغر من ثغور العدو فقاتلهم.<sup>٤</sup>

## النتيجة

في مقالتي حول مواضع وكلمات الإمام الرضا (ع) حول جهاد التبيين، أشرت إلى أهمية الدور الذي قام به  
الإمام الرضا (ع) في حماية معتقدات والإسلام من خلال جهاد التبيين، وهو الجهاد الذي يتطلب التصدي  
للافكار الضالة وتوضيح الحقائق الدينية للناس. فكان الإمام الرضا (ع) يسعى جاهداً لنشر التوحيد والإيمان  
بالله وتوجيه الناس نحو الحق. بالإضافة إلى ذلك، لقد ذكرنا في مقالتنا أن أهمية الجهاد الدفاعي وضرورة قيام  
الجميع بهذا الجهاد، حيث أنه يشبه الفصاص الذي يتطلب إيقاف المظلومية والدفاع عن النفس والحقوق.  
فالجهاد الدفاعي يأتي كحق مشروع لكل إنسان للدفاع عن نفسه ومجتمعه وحماية حقوقه وحرياته. وبالتالي،  
يجب على الجميع فهم أهمية هذين النوعين من الجهاد، والتصدي للأفكار المضلة والدفاع عن الحقوق  
والحرريات. فالتزامنا بالجهاد التبيين والجهاد الدفاعي يعد ضرورة للحفاظ على الدين والمجتمع وضمن  
استمرارية العدالة والسلام وهذا يكون أقرب للعدالة ودفع الظلم.

## المصادر

فراهيدي، خليل بن احمد، العين، مؤسسة الأعلمي للطبوعات، بيروت، ١٩٨٨م.  
بو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين -  
بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ

١. علل الشرايع: ٢ - ٣٩١ والكافي: ٥ - ٢١.

٢. التهذيب: ٦ - ١٢٣.

٣. التهذيب: ٦ - ١٦٢.

٤. التهذيب: ٦ - ١٤٤.

ابن عابدين، محمد امين، حاشية رد المحتار على الدر المختار، وزارة الأوقاف و الشؤون الاسلامية، كويت، ١٤١٥ق.

الحزب العمالي، وسائل الشيعة، نشر آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، قم، ١٤١٤ق.

١. مقتطفات من مباحث دروس خارج الفقه للسيد على الخامنئي موجود على الموقع الإلكتروني للحوزة العلمية: <https://hawzah.net/fa/Article>

ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد بن حنبل، بيروت، ١٩٩٦م.

الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تهران، قائم آل محمد، ١٣٨٥.

مقتطفات من مباحث دروس خارج الفقه للسيد على الخامنئي موجود على الموقع الإلكتروني للحوزة العلمية: <https://hawzah.net/fa/Article>

آبي (آوي)، زين الدين حسن بن ابیطالب، كشف الرموز في شرح المختصر النافع، جامعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم. مؤسسة النشر الإسلامي، قم ايران، ١٤٠٨ق.

ابن فهد الحلبي، المهذب البارع، جامعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم. مؤسسة النشر الإسلامي، قم ايران، ١٤٠٧ق.

الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، مقدمة الكتاب ص ١٢، الوفاة: ١٤١٣، الطبعة: الرابعة، سنة الطبع 1395: ١٩٧٥م، الناشر: دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بك، تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م.

نجفي، محمد حسن، جواهر الكلام، جامعه مدرسين قم، بي تا.

الحلبي، أبوالمجدد، اشارة السبق، جامعه مدرسين، قم، ١٤١٤ق.

الكيدري، قطب الدين، إصباح الشيعة، مؤسسة إمام صادق (ع)، ١٤١٦ق.

العاملي (الشهيد الثاني)، زين الدين بن علي، الروضة البهية في شرح اللمعة دمشقية، انتشارات دفتر تبليغات اسلامي، قم، ١٤١٢ق.

البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة، ١٤١٠ق.

الطبري، محمد بن جرير، التفسير الطبري، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢ق.

الإمام الرضا (ع)، الفقه المنسوب للإمام الرضا عليه السلام، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، قم، ١٤٠٦ق.

شيخ صدوق، عيون أخبار الرضا (عيون الأخبار)، مؤسسة الأعلمي للطبوعات، ١٤٠٤ق.

شيخ صدوق، علل الشرايع، مكتبة الداوري، قم.

كليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تهران، قائم آل محمد، ١٣٨٥.

الشيخ الطوسي، التهذيب (تهذيب الأحكام)، مطبعة خورشيد، ١٤٠٦ق.

## المنطق والبرهان في مناظرات الامام الرضا(ع) منهج يحتذى لإظهار الحق في وسائل التواصل الحديثة

ميدون مرتضى<sup>1</sup>

### الملخص

في إطار البحث عن معالم المدرسة الرضوية ذات المناهج المتعددة وبعيداً عن الاقتصار على التمدّح والثناء فحسب، نجد أمامنا تراثاً من مناظرات الإمام الرضا(ع) مع أئمة المذاهب، والتي يمكننا من خلالها أن نتبين قواعد المنطق والبرهان المستخدمة في هذه المناظرات وإبرازها بصيغتها. ونحن من خلال هذا الإبراز لا نريد أن ننسب الإمام الرضا(ع) إلى أيّ اختصاص أو عنوان مجرد، بل نريد أن ننسب قواعد المنطق والبرهان المشتقة من جبلّة الإنسان وفطرته ومسلماته إلى ميزانه المستعمل في مناظرات عقائدية مصيرية وذلك من أجل أن نتعلّم منه -نحن أتباعه- المنهج والنتيجة معاً، فلا نقتصر فيما نعتقد على مجرد النتائج التي وصل إليها، بل نتعلّم منه منهج التفكير وميزان المنطق وأسس البرهان أيضاً. وبذلك فنحن ننفذ إلى عمق هذه المدرسة الرضوية بعد أن نكون قد رفضنا الاقتصار على مجرد اسمه وذكره، ولم نقتصر أيضاً في الاقتراب منه على نتائجه ومعتقداته بل نفذنا إلى قلب منهجه ومنطقه وميزانه لنصبح بذلك رضويين بأعمق ما في الكلمة من معنى. إن من يدقق في وسائل البرهان التي اعتمدها الإمام الرضا(ع) في كافة مناظراته، يجد انه قد أرسى فيها المبادئ الأساسية التي يقوم عليها منطق الاقناع المؤدي دائماً الى اظهار الحقائق، دحض الأكاذيب، وتحقيق العدالة. ولأن ممارسات اثمتنا تصلح لكل زمان ومكان، نجد ان أسلوب المنطق الذي غلب على كافة مناظرات الامام(ع) يجب أن يكون مرتكزاً لمنشوراتنا العلمية الهادفة إلى كشف القناع الثقافي الذي يلبسه الغرب حين يخاطبنا بلغة الحقوق والحضارة والديمقراطية. ومن خلال الأسلوب عينه، نستطيع هنك الوسائل التي تتوسلها الهيمنة الاستعمارية، هذه الوسائل التي تتوافد إلينا اليوم تحت عناوين براقة وخداعة تخدم مصالحها وتسلب من الشعوب المستهدفة الكثير من حقوقهم ظلاماً وعدواناً. ومن أجل مواجهتها، نحن بحاجة بالدرجة الأولى إلى توعية الرأي العام العالمي التي لا تتحقق الا بلغة علمية مقنعة عبر وسائل التواصل الحديثة، وهنا يأتي دور منطق الإمام الرضا(ع) الذي أحسن استخدام الأدلة والبراهين من أجل تأكيد سردية المظلوم وتكذيب سردية الظالم.

**مشكلة البحث واسئلته:** نحدد مشكلة البحث في الأسئلة التالية: كيف استخدم الامام الرضا(ع) المنطق في مناظراته من اجل دحض سردية الطرف الاخر واثبات صحة معتقداته؟ ما هي أساليب البرهان الرياضي التي استخدمها الامام في مناظراته؟

<sup>1</sup> أستاذة الرياضيات في الجامعة اللبنانية، منسقة ماجستير الرياضيات في اختصاص "علم البيان والجبر"، لبنان، maydoun.mortada@liu.edu.lb



كيف يمكننا الاستفادة من أساليب الامام الرضا(ع) في مواجهة الحملات الدعائية الموجهة ضد المجتمع الاسلامي على وسائل التواصل الحديثة؟

**منهجية البحث:** سوف يتم اتباع المنهج التحليلي الاستنباطي والمنهج الوصفي لتناسبه مع اهداف البحث.

**كلمات رئيسية:** المنطق، البرهان الرياضي، مناظرات الامام الرضا(ع) ، وسائل التواصل الحديثة، الحملات الدعائية، الرأي العام، الحق.

## المقدمة

من الناحية العلمية المنطق هو العلم الذي يقوم على دراسة مناهج الفكر وطرق الاستدلال السليم. يعتبر المنطق أساس جميع العلوم الإنسانية ومن دونه لا قيمة لأي كلام أو فكرة. فالمنطق يدرس ويحلل البراهين والحجج التي تخص فكرة معينة بهدف التوصل الى تأكيد صحة هذه الفكرة او خطئها، لذلك يعتبر المنطق أداة تعصم الذهن عن الخطأ، ولأجل هذا استحق ان يكون امأ لكل العلوم. ثم ان إدراك تفاصيل كافة العلوم يتطلب الماماً واحاطة بقواعد منطق التفكير السليم.

لأن الرياضيات تقوم على البرهان والاستدلال ولأنها تعدُّ النموذج الأعلى لليقين، فقد نشأت علاقة وثيقة بين الرياضيات و علم المنطق. فالمنطق المعاصر أصبح يعتمد اعتماداً أساسياً على مجموعة من أساليب البرهان الرياضي كما تقوم الرياضيات على مجموعة من المناهج المنطقية. وتصدر الإشارة الى ان كافة العلوم في العصر الحديث تقيس وتقيم مدى صحة نظرياتها على أساس قوة أسلوب البرهان الرياضي الذي أدى الى استنتاج هذه النظريات. ولذلك فان للرياضيات تتداخل مع سائر العلوم التي تستخدم البرهان للاستدلال على صحة قضايها.

كان ولا يزال المنطق محط اهتمام كبار العلماء والمفكرين منذ زمن بعيد وقد اعتمدت مناهج الدراسات القديمة بشكل أساسي على المنطق الأرسطي، في حين ان الدراسات الحديثة اعتمدت منهج المنطق الحديث والذي ترجع جذوره إلى علماء الرياضيات في نهاية القرن التاسع عشر. على الرغم من ان المجتمع العلمي الرياضي يدعي ان بلورة وتنظيم قواعد المنطق الرياضي تعود للقرن التاسع عشر، الا ان أسس هذا المنطق قد ظهرت جليا في مناظرات الامام الرضا(ع) . ولو دأب علماء المنطق الرياضي على دقائق تفاصيل هذه المناظرات لاستطاعوا إرساء العديد من انماط الاستدلال التي ظهرت جليا في مناظرات الامام(ع) والتي استطاع من خلالها مواجهة الساتلين واحقاق الحق وزهق الباطل. من هنا يأخذ البحث عن مبادئ المنطق وأساليب البرهان في مناظرات الامام(ع) أهمية قصوى، اذ ان الامام(ع) في جميع مناظراته كان يسعى إلى دحض سردية الباطل وتثبيت سردية الحق بأساليب منطقية مقنعة. والسؤال هنا: كيف استخدم الامام الرضا(ع) المنطق في مناظراته من اجل دحض سردية الطرف الاخر واثبات صحة معتقداته؟ وما هي أساليب البرهان الرياضي التي استخدمها الامام في مناظراته؟

تؤثر وسائل التواصل الحديثة اليوم على وعي الناس وتلاعب دورا أساسيا في تكوين آرائهم وقناعاتهم وخاصة في اوقات الازمات والحروب، حيث تعتمد الدول المتغطرسة الى نشر الاخبار الكاذبة والدعاية المغرضة التي تصب في مصلحتها. لذا يقع على عاتق كل منا مسؤولية مواجهة الحملات الدعائية التي تنشر المعلومات المضللة وتهدف الى التشويش على أفكار أفراد المجتمعات المستهدفة، وتمزيق نسيجها الاجتماعي ومن ثم

اثارة المخاوف بين افرادها. إن تحمل مثل هذه المسؤولية يتطلب منا جهداً إضافياً يمكننا من تقديم المحتوى المقنع الذي ينتصر للقضايا المحققة ويكشف زيف ووهن الشبهات المدسوسة. ولأننا اتباع ذلك الامام الذي أرسى قواعد المنطق وأساليب البرهان في مناظراته، يرتب علينا ان نستلهم من نهجه القواعد المنطقية التي يجب ان نتبعها من اجل تقديم عرض الكتروني واضح لقضايانا المحققة فنثبت من خلالها صحة هذه القضايا بالحجة والدليل القاطع، كما اننا نستطيع ان نتخذ من أساليب البرهان التي اعتمدها في مناظراته أداة تتيح لنا خوض المناقشات الإلكترونية بعزم وصلابة وذلك لأن مثل هذه الأساليب تتماشى مع عملية التفكير البشري فتؤدي الى اقناع الطرف الآخر بعد ان يلزمه الحجة ويقارعه بالاستدلال.

**خطة البحث:** وتتضمن: المقدمة، وثلاثة مباحث، والخاتمة.

### المبحث الأول: أثر المنطق في عرض القضايا الفكرية وفهمها.

يلعب المنطق دوراً أساسياً في عملية التفكير إذ انه يوفر للعقل البشري القدرة على التحري الواعي عن الحقيقة وذلك عبر تقديم منهج يرشد العقل ويوجهه ويمنعه من الوقوع في الخطأ، كما يشكل له رادعاً يقه عبث الأفكار والمعلومات وخاصة تلك التي تتوافتد الينا بكم كبير عبر وسائل التواصل الحديثة والتي يروج لها على نطاق واسع بهدف التلاعب بعقول الناس وعواطفهم.

يؤدي المنطق هذا الدور المهم عبر ارساء مبادئ وقوانين إن عمل العقل البشري على أساسها استطاع تحديد سلامة الأفكار من فساده، وتمكن أيضاً من تحديد ما إذا كان مسار عملية التفكير المتبع صائب وخال من أي خلل، وفي حال وجود خلل يمكن العقل من تحديده واصلاحه. من هنا تبرز أهمية الإلمام بمبادئ المنطق وقواعده وضرورة الالتزام به أثناء عملية التفكير والاستنتاج.

أما عن علاقة المنطق بسائر المجالات المعرفية، نجد ان المنطق هو الاداة التي تسمح للباحث او المفكر او الناشط بالتعبير عن أفكاره واثبات صحتها وتسهيل ادراكها من قبل الجمهور المستهدف. خلال عملية اثبات القضايا الفكرية، تبرز حاجة ماسة الى المنطق وذلك لان الانسان، وعلى الرغم من قدراته الذهنية التي تميزه عن باقي المخلوقات، الا ان احتمال ارتكابه للخطأ عالٍ جداً، فمن الممكن ان يرتكب خطأ أثناء عملية التفكير، او أثناء عملية تقديم هذه الأفكار واثبات صحتها فيخطئ في إقامة برهانها، او حتى من الممكن ان يخطئ أثناء محاولته فهم قضايا فكرية ليست من صنعته. لذلك يحتاج الانسان الى ما يصوب عملية التفكير لديه وعملية تحويل التصورات الى نصوص علمية مثبتة ومفهومة. إضافة الى ذلك، هو يحتاج ما ينظم لديه عملية الوصول الى استنتاجات صحيحة إذا ما توفرت لديه المقدمات المثبتة. لذا يجب الوقوف عند الدور المهم الذي يؤديه المنطق خلال عملية إيصال قضية فكرية يؤمن صاحبها بصحتها، اذ انه لا يمكن إيصالها الى الآخرين الا بعد إقامة البرهان الذي يثبت صحتها. وتجدر الإشارة هنا الى ان لاصحة لبرهان الاباتيع منهج منطقي ينسجم مع آلية عمل العقل البشري وهذا المنهج ينشأ من خلال اتباع أحد أساليب البرهان التي سوف نتطرق الى البعض منها في المبحث التالي. كما ان اكتمال البرهان يحتاج الى الأدلة والحجج، ولكي يتمكن العقل من التفريق بين الأدلة اليقينية والكاذبة يحتاج الى المنطق.

وفي عصرنا الحالي، وبسبب تحول العالم الى قرية صغيرة، يسهل لاي جهة تملك صلاحية الولوج الى هذه الوسائل الحديثة ان تنشر ما تريد من أفكار وقضايا ومن ثم تتحكم بتوجيه الراي العام الى ما يخدم مصلحتها

ويصب في تسهيل تنفيذ اجندتها، لذا تتزايد الحاجة الى البرهان المحكم من اجل اقناع الجمهور او الراي العام بزيف هذه القضايا وصحة قضايا أخرى. ونلفت النظر هنا الى الدعوة الإلهية الواضحة في القرآن الكريم الى إقامة البرهان من اجل تبيان الحقائق العقائدية والوجودية، اذ يقول تعالى:

{اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [النحل: 125]

والحكمة هنا هي البرهان [6] الذي أولى له القرآن أهمية بالغة في أكثر من موقع، حيث اعتبر ان أي دعوى او اعتقاد لا يقيم معتقدها دليلاً على اعتقاده فهو اعتقاد كاذب وغير مقبول، كما ان الخطاب القرآني يستمد قوته من قوة منطقته وصحة براهينه وتماسك نصوصه.

باختصار، ان الباحث او المفكر او الناشط، المتمكن من القواعد المنطقية، لديه القدرة أولاً على فهم ما يرد اليه من مؤلفات اجنبية وإدراك أهدافها وتبيان الشبهات فيها ثم إصلاحها إن وجدت، وثانياً على تقديم القضايا الصحيحة واثبات صحتها للجمهور، كذلك لديه القدرة أخيراً على تفتيت الشبهات وفهمها واثبات زيفها للعوام عبر أقصر الطرق ووضحها.

### المبحث الثاني: أساليب البرهان وتجليها في مناظرات الامام علي الرضا(ع).

كما ذكرنا سابقاً ان المنطق هو العلم الذي يبحث في دراسة قواعد التفكير الصحيح وطرق الاستدلال وتقديم الحجج. لذلك يعتبر المنطق أداة للتفكير يحمي الذهن من الخطأ اثناء عملية التفكير والتحليل والاستنتاج. ولأن البرهان الرياضي Proof هو حجة استدلالية تهدف الى اثبات صحة قضية رياضية او خطئها استناداً الى عدة مقدمات، تداخلت مبادئ المنطق بمبادئ البرهان الرياضي وصار لزاماً على من يسعى الى فهم علم المنطق ان يعرج على مبادئ وأساليب البرهان الرياضي.

من اجل تقديم عرض واضح لأساليب البرهان الرياضي، نحتاج أولاً الى عرض بعض المفاهيم والرموز. تسمى قضية كل فكرة يمكن الحكم، بدون أي غموض، بصحتها او خطئها. سوف نرسم للقضية باستخدام الحروف  $P, Q, R$ . لتكن قضية  $P$ ، نفي  $P$  هي القضية الجديدة الناتجة عن نفي القضية  $P$ ، أي هي القضية التي تعكس مضمون القضية  $P$ ، وسوف نرسم لها ب  $\neg P$ . مثال على ذلك: لنفترض ان  $P$  هي القضية: "العدد س اقل من واحد"، فالقضية  $\neg P$  تكون: "العدد س أكبر او يساوي واحد". من البديهي ملاحظة ان القضية  $(\neg \neg P)$  هي القضية  $P$  عينها، ومن الواضح انه إذا كانت القضية  $P$  صحيحة، فان القضية  $\neg P$  غير صحيحة.

سيتناول هذا المبحث بعض من أساليب البرهان الرياضي، وسيتم الإضاءة على ظهور هذه الأساليب في مناظرات الامام الرضا(ع) عبر عرض مقتطفات من هذه المناظرات التي بدى جلياً فيها الأسلوب التعليلي المنطقي.

أقيمت هذه المناظرات في بلاط المأمون بعد مجيء الامام الرضا(ع) الى خراسان. في تلك الفترة، بلغت حركة الترجمة ذروتها، حيث تم ترجمة الكثير من الكتب العلمية الوافدة من مختلف بلدان العالم. تسللت في طباط هذه الكتب افكار ومعتقدات لا تمت للإسلام بصلة، تعود جذورها الى الفكر اليوناني والفارسي والسريرياني والهندي وغيره. وعزز وجود المتعصبين من اتباع ديانات غير إسلامية في أوساط المسلمين الى تحفيز انتشار هذه الأفكار بين الشباب. كان المأمون يهدف من عقد جلسات المناظرة الى اثبات ان علم الامام

الرضا(ع) محدود لا يتخطى إطار علوم القرآن وتفاصيل الدين الإسلامي وان الامام غير قادر على مواجهة من يعارضه الراي والفكر. لذلك دعا الى هذه الجلسات كبار علماء الأديان والملل. الا ان الامام(ع) افحم مناظرية بعلمه الواسع الذي يحيط بكافة قضايا الفكر المثارة في ذلك الوقت، كذلك استطاع بأسلوبه المنطقي المدعم بالحجج والبراهين الصحيحة ان يقنع مناظرية باعتلال معتقداتهم، حتى انه استطاع اصلاح هذه العلل لا بل انتزاعها من قناعاتهم. وتجدر الإشارة هنا اننا لم نذكر جميع أساليب البرهان التي اتبعها الامام(ع) في مناظراته واكتفينا بثلاثة منها تعتبر اهم أساليب البرهان الرياضي في الرياضيات الحديثة.

### قاعدة اللزوم والبرهان المباشر

يقول عالم المنطق الرياضي رسل [4] Bertrand Russel: "الاستنباط هو عملية ننتقل فيها من العلم بقضية معينة هي المقدمة الى قضية أخرى معينة هي النتيجة، لكن لن نضع في اعتبارنا ان هذه العملية استنباط منطقي ما لم تكن صحيحة، أي إذا لم توجد هناك علاقة بين المقدمة والنتيجة تتيح لنا الاعتقاد في صحة النتيجة إذا أدركنا ان المقدمة صحيحة." وهذه العلاقة هي محور الاهتمام في النظرية المنطقية للاستنباط.

يطلق على هذه العلاقة اسم علاقة اللزوم او الاقتضاء Implication relation.

ينهض عمل العقل على إدراك المعطيات أولاً ثم إدراك العلاقات التي تحكم المعطيات، وأخيراً تحليلها للوصول الى النتائج. لذلك تعتبر قاعدة اللزوم جوهر الاستدلال. باختصار فإن اللزوم هي جملة قواعد يتبعها الباحث بقصد استنتاج نتيجة معينة انطلاقاً من معطى معين. ان هذا الأسلوب بالاستدلال يتمشى والعقل البشري الذي يعمل بكثير من الأحيان في محاولة الاستدلال على صحة قضية ما بالانطلاق من قيمة قضية أخرى، أو ينتقل من أمر معلوم الى إثبات مجهول مطلوب. يكثر استخدام هذا النوع من الاستدلال في مجمل أصناف المعارف الإنسانية بدءاً من استدلالات بسيطة تمر مع الانسان في يومياته وانتهاءً باستدلالات معقدة تساهم في التطور التكنولوجي الذي يشهده العالم اليوم. من دون علاقة اللزوم لا يعتبر الاستدلال كاملاً، لذلك تعتبر علاقة اللزوم الأساس المنطقي للاستنباط السليم. تتنوع الروابط التي تستخدم للدلالة على علاقة اللزوم في اللغة. ففي اللغة الإنكليزية مثلاً ألفاظاً متنوعة تستخدم للإشارة الى علاقة اللزوم: hence- implies - therefore-consequently - then...-accordingly-it follows then, If...- therefore-consequently الكثير من الألفاظ التي تدل على هذه العلاقة مثال: إذا كان...، فإن... - لو كان كذا...، فإن... - من كذا... نستنتج....

لنفرض أنه قد تم الاستدلال على قضية  $P$  انطلاقاً من قضية  $Q$  عبر علاقة اللزوم، سوف نرمز الى هذه العلاقة او الاقتضاء بالتالي:  $P \Rightarrow Q$ . هنا بعض الأمثلة التي توضح علاقة اللزوم أو الاقتضاء:

إذا المجموعة  $S$  تحوي كل الأرقام الفردية، فإن الرقم 2 لا ينتمي الى المجموعة  $S$ .

إذا كان المكان خالٍ من الهواء، فإن الصوت لا ينتقل من خلاله.

أحمد أكبر من علي وعلي أكبر من حسن  $\Leftarrow$  حسن أصغر من أحمد.

يسمى الجزء الأول من علاقة اللزوم فرضية hypothesis، اما الجزء الثاني فهو ما يعرف بالنتيجة

conclusion. نستطيع الآن تعريف البرهان المباشر: البرهان بالاستدلال او البرهان المباشر direct proof يتحقق

عندما يجري إثبات القضية  $Q$  بسلسلة من الاقتضاءات، انطلاقاً من القضية  $P$ ، ما يعني:  $P \Rightarrow R \Rightarrow T \Rightarrow Q$ ، فيما  $R$  هي قضية تستنتج من  $P$  عبر علاقة لزوم سليمة كذلك  $T$  من  $R$ ....  
 علاقة اللزوم ظهرت جلياً في المنهج الذي اتبعه الإمام (ع) في مناظراته من أجل أن يوصل للطرف الآخر النتيجة التي يريد بعد أن يضع نصب عينيه الحجّة ويقارعه بالبرهان، نذكر أمثلة على ذلك [4]:  
 (بعد ان فشلت رؤساء المذاهب والأديان في امتحان الامام وبان عليها العجز ولم يبق إلا الهريذ الأكبر المرجع الأعلى للمجوس، التفت إليه الامام(ع) فقال له: أخبرني عن زردشت الذي تزعم أنه نبي ما حجتك على نبوته؟ فقال الهريذ: إنه أتى بما لم يأتنا به أحد قبله ولم نشهده ولكن الأخبار من اسلافنا وردت علينا بأنه احل لنا ما لم يحله لنا غيره فاتبعناه. وانبرى الامام(ع) فقال له: أليس انما أتتكم الأخبار فاتبعتموه؟ قال الهريذ: بلى. وراح الامام(ع) يقيم عليه الحجّة التي لا مجال لإنكارها قائلاً: فكذلك سائر الأمم السالفة اتتهم الأخبار بما أتى به النبيون وأتى به موسى وعيسى ومحمد (ص) فما عذرکم في ترك الأقرار بهم اذ كنتم انما أقررتم بزردشت من قبل الأخبار الواردة بأنه جاء بما لم يجيء به غيره. واستولت عليه الحيرة والذهول وحار في الجواب فانقطع عن الكلام، والتفت لسبيل النبوة (ع) الى من حضر من رؤساء الأديان فقال لهم: يا قوم ان كان فيكم أحد يخالف الاسلام وأراد أن يسأل فليسأل غير محتشم.)

نظهر هنا البرهان المباشر الذي استخدمه الامام(ع) لإثبات صحة ما يصبو اليه في الاقتضاء التالي:  
 الهريذ يزعم أنّ زردشت نبي لأنّ الأخبار أتتهم بان زردشت أتى بما لم يأت به أحد من قبله  $\Leftarrow$  الهريذ يجب أن يؤمن بنبوة محمد وعيسى وموسى لأنّ الأخبار تقول انهم أتوا بما لم يأت به أحد من قبلهم.  
 بذلك يكون الإمام قد بنى برهاناً سليماً انطلاقاً من مقدمة يقينية سمحت بالوصول الى النتيجة المتوخاة عبر علاقة لزوم سليمة.

ولان القرآن الكريم تضمن الكثير من أساليب البرهنة الرياضية في آياته الكريمة، لذا نجد من المهم جداً ذكر بعض الأمثلة لإظهار مدى موافقة تلك الأساليب لما توصل إليه علماء الرياضيات حديثاً، ولنبين مدى انسجام مناهج اثمتنا(ع) مع المنهج العلمي التعليلي الوارد في القرآن الكريم. على سبيل المثال الآية الكريمة:  
 {وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ \* قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} [يس: 78-79].

تعالج هذه الآيات قضية قدرة الله على الإحياء، وتثبت هذه القدرة بأسلوب البرهان المباشر كما يلي:  
 الله خلق العظام اول مرة  $\Leftarrow$  الله قادر على إعادة إحياء العظام بعد موتها.  
 ان مقدمة الاستدلال في الآية الكريمة مقدمة صحيحة مؤكدة كما أن العلاقة بين المقدمة والنتيجة علاقة سليمة يقبلها العقل ويقرّ بها.

## (٢) البرهان بالنفي

يعتمد أسلوب البرهان بالنفي Proof by contrapositive على الملاحظة الآتية [٢]، [3]:  
 من أجل اثبات صحة الاقتضاء  $P \Rightarrow Q$  نقوم بإثبات الاقتضاء  $\neg Q \Rightarrow \neg P$ . اذ أنّ القضية  $P \Rightarrow Q$  والقضية  $\neg Q \Rightarrow \neg P$  هما قضيتان متكافئتان. لتوضيح عمل الأسلوب، نقدم المثال التالي: لنفترض اننا نسعى لإثبات صحة الاقتضاء: "س+٩ هو عدد فردي  $\Leftarrow$  س هو عدد فردي". من اجل تحقيق ذلك نبرهن

صحة الاقتضاء: "س هو عدد زوجي  $\iff$  7+9 هو عدد زوجي". من الممكن ان يتساءل القارئ عن الجديد في هذا الأسلوب طالما في الحالتين نحن نحاول اثبات اقتضاء معين! في الحقيقة، إن عملية اثبات الاقتضاء

$$\neg P \implies \neg Q \text{ تكون في كثير من الأحيان أسهل من عملية اثبات الاقتضاء } P \implies Q.$$

تكرر استخدام الامام الرضا لهذا الأسلوب في مناظراته ونذكر مثال على ذلك مقتطف من مناظرته مع الجائليق [٤، ٩]:

(ثم قال له (ع) : يا نصراني، والله إنا لنؤمن بعيسى الذي آمن بمحمد، وما ننقم على عيساكم شيئاً إلا ضعفه وقلة صيامه وصلاته، قال الجائليق: أفسدت والله علمك، وضعفت أمرك، وما كنت ظننت إلا أنك أعلم أهل الإسلام، قال الرضا(ع) : وكيف ذلك؟ قال الجائليق: من قولك: إن عيسى كان ضعيفاً قليل الصيام قليل الصلاة، وما أفطر عيسى يوماً قط، ولا نام بليل قط، وما زال صائم الدهر وقائم الليل، قال الرضا(ع) : فلمن كان يصوم ويصلي؟! فخرس الجائليق.)

لقد افحمت هذه المناظرة الجائليق واثبتت بوضوح مدى الطاقة الفكرية الهائلة التي يمتلكها الامام(ع) ، حيث استطاع الامام(ع) بطريقة بسيطة ومقنعة احراج الجائليق. استخدم الامام(ع) أسلوب البرهان بالنفي كي يدحض ادعاء الوهية عيسى عبر اثبات الاقتضاء التالي:

عيسى يصلي ويصوم  $\iff$  عيسى عبد لله.

وعمد الامام(ع) الى اثبات الاقتضاء أعلاه من خلال أسلوب البرهان بالنفي، ولأجل ذلك اثبت صحة الاقتضاء التالي:

$$\text{عيسى ليس عبداً (عيسى هو الرب)} \iff \text{عيسى لا يصلي ولا يصوم.}$$

وفي موقع آخر من المناظرة عينها يعاود الامام دحض ما يدعيه الجائليق عبر البرهان بالنفي أيضا [٤، ٩]:

(قال الرضا(ع) : يا نصراني، أسألك عن مسألة، قال: سأل، فإن كان عندي علمها أجبتك، قال الرضا(ع) : ما أنكرت أن عيسى كان يحيي الموتى بإذن الله عز وجل، قال الجائليق: أنكرت ذلك من أجل أن من أحيى الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص فهو ربّ مستحق لأن يعبد، قال الرضا(ع) : فإن اليسع قد صنع مثل صنع عيسى، مشى على الماء وأحيى الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص، فلم تتخذة أمته رباً، ولم يعبده أحد من دون الله عز وجل، ولقد صنع حزقيل النبي مثل ما صنع عيسى ابن مريم، فأحيا خمسة وثلاثين ألف رجل من بعد موتهم بستين سنة.)

بما ان أسباب ادعاء الجائليق بالوهية عيسى(ع) هي ما صنعه عيسى(ع) من احياء للموتى وبراء للاكمه والابرص، فقد استحضر الامام(ع) قضية اليسع الذي احيى الموتى وبراء الأكمه والابرص و اشار الى ان احدا لم يدعي بربوبية اليسع. وهو في طرحه هذا يكون قد دحض ادعاء الجائليق عبر اثبات الاقتضاء التالي مستخدماً أسلوب البرهان بالنفي:

$$\text{اليسع ليس رباً} \iff \text{عيسى ليس رباً.}$$

ومن أمثلة استخدام البرهان بالنفي في القرآن الكريم:

{مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ \* الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكْفُرْ مِنْ

الْمُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ٥٩-٦٠]

هذه الآيات موجهة الى أولئك الذين يدعون ان عيسى هو ابن الله. حيث تشير الى ان آدم(ع) خلق من غير أب كعيسى(ع) ، فاذا كنتم تدعون ان عيسى(ع) ابناً لله بسبب ذلك فإن آدم أولى ان يكون ابناً لله اذ انه خلق

من غير اب وام ايضاً. لكن آدم ليس ابنا لله باعترافكم، فإذا عيسى ليس ابناً لله أيضاً [3، 6]. والافتضاء المستهدف في هذه الآية:

آدم ليس ابناً لله  $\Leftarrow$  عيسى ليس ابناً لله.

وقد قام برهانه بأسلوب البرهان بالنفي.

### (3) البرهان بالتناقض

من أجل اثبات صحة قضية  $P$ ، يعتمد أسلوب البرهان بالتناقض Proof by contradiction الى افتراض خطأ القضية  $P$  أي افتراض ان القضية  $\neg P$  صحيحة، ومن ثم يتم التوصل عبر اقتضاءات صحيحة - باستخدام حقيقة ان  $\neg P$  هي صحيحة- الى نفي صحة قضية أخرى  $Q$  التي هي من المعلوم أنها قضية صحيحة [2]، [3]. باختصار، البرهان بالتناقض هو أسلوب البرهان الذي يثبت صحة قضية  $P$  بإثبات أن عكسها  $\neg P$  باطل عبر مجموعة من الاقتضاءات:  $\neg Q \Rightarrow \dots \Rightarrow \neg P$ ، فيما  $Q$  هي قضية معلوم انها صحيحة.

مثال على ذلك: لنفترض اننا نريد اثبات القضية  $P$ : "لا يوجد عدد صحيح أكبر من كل الأرقام الصحيحة". من اجل اثبات صحة هذه القضية، نفترض انه يوجد عدد صحيح أكبر من كل الأرقام أي نفترض ان  $\neg P$  صحيحة. ولنسمي هذا العدد  $s$ ، لذا فان القضية " $s < s+1$ " هي قضية صحيحة، وهذا يعني ان عكس هذه القضية: " $s > s+1$ " هي قضية خاطئة في حين من المعلوم انها قضية صحيحة. لذلك ان افتراضنا هو الخاطئ مما يعني ان عكسه هو الصحيح.

مرة أخرى يبهر الامام الرضا مناظرية باستخدامه العقل والمنطق من أجل الوصول الى الحقيقة وذلك في مناظرته مع رأس الجالوت اليهودي [4]:

(فقال له الرضا(ع) : يا رأس الجالوت، أسألك عن نبيك موسى بن عمران، فقال: سَلْ، قال (ع) : ما الحجّة على أن موسى ثبتت نبوته؟ قال اليهودي: إنه جاء بما لم يجيء به أحدٌ من الأنبياء قبله، قال (ع) له: مثل ماذا؟ قال: مثل فلق البحر، وقلبه العصا حيّةً تسعى، وضربه الحجر فأنفجرت منه العيون، وإخراجه يده بيضاء للناظرين، وعلاماته لا يقدر الخلق على مثلها، قال له الرضا(ع) : صدقت في أنه كانت حجّته على نبوته أنه جاء بما لا يقدر الخلق على مثله، أليس كلٌّ مَنْ ادّعى أنه نبيٌّ ثم جاء بما لا يقدر الخلق على مثله وجب عليكم تصديقه؟! قال: لا؛ لأن موسى لم يكن له نظيرٌ لمكانه من ربه وقربه منه، ولا يجب علينا الإقرار بنبوة مَنْ ادّعاها حتّى يأتي من الإعلام بمثل ما جاء به، فقال الرضا(ع) : فكيف أقرتم بالأنبياء الذين كانوا قبل موسى (ع) ، ولم يفلقوا البحر، ولم يفجروا من الحجر اثني عشرة عيناً، ولم يخرجوا أيديهم مثل إخراج موسى يده بيضاء، ولم يقلبوا العصا حيّةً تسعى؟ قال اليهودي (وهنا غيّر رأس الجالوت كلامه المتقدم): قد خبرتك أنه متى ما جاؤوا على نبوتهم من الآيات بما لا يقدر الخلق على مثله، ولو جاؤوا بما يجيء به موسى، أو كان على غير ما جاء به موسى، وجب تصديقهم، قال له الرضا(ع) : يا رأس الجالوت، فما يمنعك من الإقرار بعيسى ابن مريم وقد كان يحيي الموتى، ويبري الأكمه والأبرص، ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله تعالى؟ قال رأس الجالوت: يقال إنه فعل ذلك ولم نشهده، قال الرضا(ع) : أرأيت ما جاء به موسى من الآيات، شاهدته؟ أليس إنما جاءت الأخبار من ثقافت أصحاب موسى أنه فعل ذلك؟ قال: بلى، قال: فكذلك أيضاً أنتكم الأخبار المتواترة بما فعل عيسى ابن مريم (ع) ، فكيف صدقتم بموسى ولم تصدقوا بعيسى؟ فلم يجِدْ جواباً.)

استخدم الامام (ع) أسلوب البرهان بالتناقض في موضعين من هذه المناظرة: أولاً عندما أقر رأس الجالوت أنه لا يؤمن بنبوة أي إنسان إن لم يأت بما قد أتى به موسى (ع) ، فأثبت له الامام (ع) انه على خطأ لأنه يعترف بنبوة الأنبياء الذين أرسلوا قبل موسى (ع) على الرغم من انهم لم يأتوا بما أتى به موسى (ع) ، وذلك عبر الاقتضاء التالي:

أي إنسان لم يأت بما أتى به موسى (ع) هو ليس بنبي  $\Leftarrow$  الاعتراف بالأنبياء الذين كانوا قبل موسى (ع) هو اعتراف خاطئ.

وفي صحة هذا الاقتضاء ارجح لرأس الجالوت الذي ناقض نفسه بنفسه. ثانياً على اعتبار ان ما يؤمن به رأس الجالوت صحيحاً- أي ان اي شخص يأتي بما قد جاء به موسى (ع) من المعجزات يجب الإقرار بنبوته- فإن هذا المعطى يؤدي الى اثبات صحة الاقتضاء التالي:

عيسى (ع) يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابصر  $\Leftarrow$  عيسى (ع) هو نبي.  
في حين ان رأس الجالوت لم يكن يقر بنبوة عيسى (ع) ، وهنا نشهد ارجاً اخر له بأسلوب منطقي سليم.  
اما القران الكريم فقد ظهر فيه اسلوب البرهان بالتناقض في أكثر من موقع، ومثال على ذلك:

{لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} {الأنبياء: ٢٢}

افتتحت الآية بافتراض ان للكون إله آخر مع الله، ثم ادت هذه المقدمة الى استنتاج عقلائي: انه في هذه الحالة يجب ان تكون السماوات والارض مملوءة بالفساد والجلال، ولكن هذا الاستنتاج يتعارض مع حقيقة ان الدقة والنظام يحكمان أي حركة في العالم العلوي والسفلي [٦].

## المبحث الثاني: آلية استخدام أساليب البرهان في وسائل التواصل الحديثة من أجل مواجهة الهجمات الدعائية

تلعب وسائل التواصل الحديثة اليوم دوراً أساسياً في توجيه الرأي العام والتلاعب فيه، وذلك عبر استخدام فن الدعاية الذي يوفر الانتشار السريع للمعلومات بفضل وسائل الاعلام الرقمية. وللأسف، ان وسائل التواصل تحولت الى ارض خصبة للمعلومات المزيفة والأخبار الكاذبة ومنصات للتضليل الإعلامي. وصار أي مجتمع يعارض أداء إحدى الدول الكبرى المهيمنة معرض لهجوم اعلامي دعائي يهدف الى تشويش أفكار أفرادها، واثارة المخاوف بينهم، ومن ثم تمزيق نسيجه الاجتماعي عبر خطط إعلامية محكمة ترصد لها قدرات فكرية ومادية ضخمة. وفي المقابل، نجد أن الأطراف المتضررة في كثير من الأحيان هي في موقع المتلقي لهذا الهجوم وفي حالة عجز كامل عن التصدي له. فعلى سبيل المثال، في عام ٢٠١٤، أعدت الولايات المتحدة الأمريكية برامج حاسوبية تقوم بنشر مكثف لمنشئين كاذبين للتعليق عبر العديد من المنصات، والهدف من هكذا أعمال هو تضليل جمهور محور المقاومة خلال فترة الحرب على سوريا والتلاعب بنفوسهم وأفكارهم بطريقة تخدم مصلحة الولايات المتحدة، ومن ثم إضعاف الروح المعنوية لدى الجمهور ودفعهم الى التشكيك بقوة وقدرة القيادة.

تستهدف الحملات الدعائية الأفكار والقيم والمبادئ والهويات والأخلاق والأديان بأسلوب ناعم لكنه أشد ضراوة وفتكاً من أسلحة الحروب المعتادة، إذ انها من الممكن ان تؤدي الى مسح الانتماء الوطني وطمس البنية الفكرية والثقافية وإقناع افراد المجتمع المستهدف ان مجتمعهم لم يعد قادراً على النهوض والمواجهة



وبالتالي شق الطريق امام القوى المهيمنة لإخضاعه وربما استعباده اعلامياً. لذلك فإن العقول والنفوس هي التي تحتل في الحرب الدعائية وليست الأرض، وتتضح امام الفرد هزيمته من دون إظهار السلاح في وجهه وإنما عبر اكتشاف حقيقة انه صار عبداً للوسائل التي استعبدهت فكرياً وثقافياً. تعرضت المجتمعات الإسلامية في الفترة الأخيرة للكثير من الهجمات الدعائية التي عرضتها للتفكك أحياناً، ويرجع ذلك الى ضعف المناعة الذاتية والجماعية التي تتغذى على وعي الافراد واقتدارهم فكرياً وثقافياً. وتجدر الإشارة الى ان هذه المناعة هي التي تمكن الافراد من مواجهة الحملات الدعائية الموجهة ضد مجتمعاتهم، وذلك عبر الولوج في مناظرات الالكترونية تسمح لهم بدحض سردية الباطل واثبات صحة معتقداتهم.

من حيث المبدأ، لا تعتبر حملات التضليل والدعاية عملاً مستحدثاً، بل على العكس فهي قد صاحبت مسيرة الانسان منذ القدم ولازمت أطماع كل من حاول السيطرة على أفكار الناس ومعتقداتهم. اما اليوم، وبفعل ما طرأ على وسائل التواصل من تطور وحدائث، صارت هذه الحملات اشد خطورة وأكثر تأثيراً من سابقاتها. في عصر أئمتنا، عمدت الحملات الدعائية الى نشر المعلومات المزيفة عن الإسلام عبر تحريف الحقائق المرتبطة به وتشويه معالم وجوده ومظاهر قوته، الا ان أئمتنا كانوا لهذه الحملات بالمرصاد ولا سيما الامام الرضا(ع). استغل الامام الرضا(ع) الجلسات التي كان يعقدها المأمون ويدعو اليها كبار العلماء والمفكرين من مختلف الأديان والألوان من اجل الدفاع عن الإسلام وتكذيب السردية التي تسعى تلك الحملات الدعائية الى تثبيتها في عقول افراد المجتمع الإسلامي. وبما ان احداث البلاط كانت محط تركيز جميع افراد المجتمع آنذاك وكانت اخبارها تنتشر سريعاً في أوساط العالم الإسلامي، استطاعت هذه الجلسات ان تكون واحدة من أكثر وسائل الاعلام تأثيراً في ذلك الوقت. وما أشبه واقعا اليوم بواقع الامة الإسلامية آنذاك، حيث تقوم الدول المتغترسة باستغلال وسائل التواصل الحديثة بأساليب خطيرة من أجل تضليل الرأي العام وتشويه الحقائق بما يخدم مصالحها وأهدافها. وهنا تجدر الإشارة الى ان حملات التضليل لا تعتمد اسلوب الإكراه وسيلة لتحقيق مبتغاها- أي العمل على فرض ارادتها على الطرف الآخر- وإنما تتخذ من اسلوب الإقناع طريقاً للتأثير والتلاعب بعقول الناس ونفوسهم. وبما ان المنابر متاحة للجميع، فإننا جميعنا مسؤولون عن الحد من آثار هذه الحملات ومواجهتها عبر فضح الظالم وتكذيب سرديته. ومن اجل ان نواجه بنجاح مثل هكذا هجومات، يتوجب علينا أولاً ان ننهياً فكرياً لخوض مناقشات إلكترونية مع كافة الأطراف، ولن نجد مدرسة أفضل من مدرسة المناظرات التي أسسها الامام الرضا(ع) لنهل من ثرواتها العلمية والفكرية ومناهجها الحوارية التي استطاع الامام(ع) من خلالها ان يظهر الحق ويكشف زيف الشبهات بأسلوب عقلاني ومنطقي متمين.

كما ذكرنا سابقاً ان مسؤولية المواجهة تقع على عاتق جميع أفراد المجتمع ولكن نود الإشارة الى ان بعضهم يكون أجدر بالمواجهة من البعض الآخر. فالنشطاء على وسائل التواصل الاجتماعي، وخاصة إذا كانوا من فئة الشباب، يملكون الفرصة التي تتيح لهم النفاذ الى قلب المعركة الالكترونية والتصدي لكافة الحملات الدعائية إذا ما تحلوا بالمقومات والمهارات اللازمة. ولأن الانسان بطبيعته لا يستطيع الايمان باي فكرة الا بعد اقتناعه عقلياً بها، يجب على الناشط ان يثبت أولاً صحة القضايا التي يريد ايصالها الى الجمهور بإقامة البراهين والحجج، ومن ثم يتوجب عليه إزالة ما علق في أذهان الجمهور من الشبهات الزائفة التي تعيق إيصال القضايا المحققة اليه. ولا تقل مهمة "الرد على الشبهات" أهمية عن مهمة "نشر القضايا المحققة"، وذلك لان اقتناع العقل

البشري بفكرة معينة لا يتم بشكل كامل الا بعد ان يتم تطهيره من كل الأفكار المعارضة التي تم دسها عبر الحملات الدعائية. استطاع الامام الرضا(ع) في كافة مناظراته انجاز هاتين المهمتين بلغة خطاب منسجمة ومتناغمة مع طبيعة الإنسان. لذلك، نحن نستطيع اليوم، وبعد مرور مئات السنين، ان نجعل من سلسلة مناظرات الامام(ع) مصدراً لتحديد قواعد ومبادئ المناقشات والحوارات التي تسمح لنا وسائل التواصل الحديثة بإقامتها مع الأطراف المعارضة والمؤيدة لنا. وكما كان الامام(ع) يعتمد على إقامة البرهان من اجل اقناع الطرف الاخر ودحض السردية العالقة في ذهنه، يجب على أي ناشط ان يتبع ذات الاسلوب في كافة مناقشاته التي يقوم بها، ويُخرج على أساسه كل القضايا الفكرية التي يسعى الى طرحها على منصات التواصل. ان اتباع هذا النهج يمكن الناشط من كشف الغطاء عن الخطأ الواقع في تفكير أولئك الذين نجحت الحملات الدعائية في تضليلهم والتلاعب بنفوسهم وآرائهم وتطلعاتهم، ومن ثم يسمح له بإرشادهم الى التحري الدقيق عن الحقيقة والوسائل أو الطرق المؤيدة اليها. بالإضافة الى ما سبق، تجدر الإشارة الى ان الناشط لن يفلح بالوصول الى متغاه من هذا النهج الا إذا تحلى ببعض المهارات التي يمكننا استلهاها من اداء الامام الرضا(ع) خلال المناظرات: الدقة: كما كان الامام(ع) دقيقاً في نقل ونشر المعلومات وحذراً عند توجيه أي اتهام فكري لفريق معارض، يجب على الناشط توخي الدقة عند نقل المعلومات وطرح القضايا الفكرية، ويجب عليه التأكد والتمحيص في حقائق الأمور واصالة الأشياء خصوصاً في وقتنا هذا الذي تسهل فيه انتشار الشائعات والفتن.

الانفتاح على الطرف الاخر: من خلال الأمثلة المطروحة في المبحث الثاني، يمكننا استنتاج مدى المام الامام(ع) بمعتقدات من ناظرهم ومدى احترامه لشخصهم وافكارهم. وهذا ما سمح له ببناء البراهين التي تتماشى مع قناعاتهم ومكّنه من كشف زيف ادعاءاتهم. لذا يتوجب على الناشط الحذر من الوقوع في فخ التفوق ضمن شرنقة الرأي الواحد وبناء الحواجز التي تمنعه من الاطلاع على أفكار الطرف الاخر وقناعاته.

### خلاصة

تناول البحث بعض أساليب البرهان التي تضمنتها مناظرات الامام علي الرضا(ع) من أجل ابراز قوة استخدام المنطق في عملية اظهار الحقائق وكشف زيف الشبهات. لقد أجاب البحث عن الأسئلة المطروحة في مشكلته: كيف استخدم الامام المنطق من اجل دحض سردية الطرف الاخر؟ ما هي أساليب البرهان الرياضي التي استخدمها الامام في مناظراته؟ كيف يمكننا الاستفادة من أساليب الامام الرضا في مواجهة الحملات الدعائية في وسائل التواصل الحديثة؟

وبعد ان قدمنا بعض الأمثلة من مناظرات الامام(ع) ، استطعنا استنباط أساليب البرهان المستخدمة فيها: البرهان المباشر، البرهان بالنفي، والبرهان بالتناقض. وهذه الأساليب موافقة لما توصل إليه علماء الرياضيات حديثاً ضمن مفاهيم معالجة الفكر الرياضي للمنطق العقلي. لازم المنطق كافة مناظرات الامام الرضا(ع) ، فإقامة البراهين تمكن الامام(ع) من دحض سردية مناظريه واثبات صحة معتقداته. وبما ان الانسان مفضوهر على التفكير، يجب على رواد وسائل التواصل ان يحذوا حذو امامهم باتخاذ البرهان أداة لإثبات صحة القضايا الفكرية التي يعملون على ايصالها الى الجمهور ولتكشف زيف المعلومات المضللة عبر تعليقات واستنتاجات منطقية تنفع الرأي العام وتوجهه الى الطريق الصحيح.

ينبغي الإشارة في الختام ان هذا البحث هو بحث مبدئي لم يستقص جميع أساليب البرهان التي اتبعها الامام(ع) في مناظراته، وإنما اقتصر على أهمها. نأمل ان يكون هذا البحث مقدمة لبحث أوسع يشمل استنباط وتحليل كافة أساليب البرهان التي اتبعها الامام(ع) في مناظراته.

### قائمة المراجع الأجنبية

- John Barwise editor. Handbook of Mathematical logic. North-Holland Pub. Co., 1977
- Matthias Beck & Ross Geoghegan «The Art of Proof Basic Training for Deeper Mathematics» Springer 2011 .
- Elliot Mendelson «Introduction to Mathematical Logic. Chapman and Hall» 4<sup>th</sup> edition «1977 .
- Bertrand Russell «Introduction to Mathematical Philosophy. G. Allen and Unwin» London «1970. First published in 1919» thirteenth impression, 1970.

### قائمة المراجع العربية

- ١-إحسان شعراوي، الرياضيات أهدافها واستراتيجيات تدريسها، دار النهضة العربية، ١٩٨٥.
- ٢-اسلام فتحي عبد الباسط محمد، أثر مراعاة القواعد المنطقية في ضبط الفكر، جامعة الأزهر، ٢٠٢٢.
- ٣-خليفة عبد السميع خليفة، الرياضيات في القرآن الكريم، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ١٤٠٨ هـ
- ٤-الشيخ الصدوق، عيون اخبار الرضا(ع) ، بلا ناشر، ١٩٨٤ م.
- ٥-الشيخ الطوسي، رجال الطوسي، بلا ناشر، ١٩٩٥ م.
- ٦-تفسير شبر، السيد عبدالله شبر، بلا ناشر، ١٩٦٦ م.
- ٧-الشيخ عزيزالله العطاردي الخبوشاني، مسند الإمام الرضا عليه السلام الجزء الأول، المؤتمر العالمي للإمام الرضا(ع) ، ١٤٠٦ هـ
- ٨-الشيخ عزيزالله العطاردي الخبوشاني، مسند الإمام الرضا عليه السلام الجزء الثاني، المؤتمر العالمي للإمام الرضا(ع) ، ١٤٠٦ هـ
- ٩-قطب الدين الراوندي، الخرائج والجوارح الجزء الاول، بلا ناشر، ١٤٠٩ هـ
- ١٠-الشيخ محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار الجزء الأول، مؤسسة الوفاء- لبنان، ١٤٠٣ هـ
- ١٢-هبة السيد الجنائني، المنطق الرياضي وآليات الاستنباط الدقيق، مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية، بلا تاريخ.

## الإمام الرضا (عليه السلام) رائداً للعدالة الإسلامية: قراءة دلالية في كتاب (الإمام علي بن موسى الرضا و الفلسفة الإلهية) للشيخ الآملي؛ بحث قدمته الباحثة

أ.م. د. سحر ناجي فاضل المشهدي<sup>1</sup>

### الملخص

يسعى بحثنا الحالي إلى دراسة زيادة الامام الرضا مفسراً في كتاب (علي بن موسى الرضا (ع) و الفلسفة الإلهية)؛ و هذا الكتاب من الكتب الهامة للشيخ الجواد الآملي فقد قرأناه قراءة دلالية متأنية و بعد أن اطلعنا عليه وجدنا أنّ للفكر الرضوي أظهر مزية هامة تنم عن معارف قرآنية بصيرة لم يكشفها التاريخ؛ لذا نجد الروايات الدقيقة جلية عند الإمام في (العقل و التوحيد و النبوة)؛ فتقاربت أفكاره التي عرضها في النبوة و الإمامة، و أصل لمسائل تتناول هذين الموضوعين، و لو كانت النبوة ممتدة إلى ما بعد نبينا محمد (صلوات ربي و سلامه عليه) لكانت لأميرنا أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ و لما للنبوة من مقام رفيع اختصها الباري (عزّ و جل) بأشخاص معينين حُمّلوا أعباء الرسالة الإلهية وجد فيهم الصبر و العزم و التآني في مواجهة أقوامهم كان العنوان موضع تأمل و اهتمام من قبل الباحثة و تقوم دراستنا وفق المنهج الوصفي التحليلي، و قُسم على مطلبين يتقدمهما مقدمة و تمهيد و تختتمهما خاتمة تبرز أهم نتائج الدراسة و نسأل الله (سبحانه و تعالي) أن يوفقنا لاتمام هذا البحث...

### المقدمة

الحمد لله المتجلي لخلقه ببهائه و الصلاة و أتمّ التسليم على جميع الأنبياء و المرسلين سيما خاتمهم محمد بن عبد الله (صلوات ربي و سلامه عليه) و على أهل بيته الطيبين الطاهرين سيما خاتمهم المهدي المنتظر الموعود (عجل الله فرجه الشريف) و من أعدائهم نبترة إلى قيام الدين، و بعد:

لقد تهيأت لمولانا الثامن علي بن موسى الرضا (عليه الأف التحايا و السلام) الأرضية الصالحة لفتح الأذهان و العقول على العلوم الإسلامية بمختلف تخصصاتها، و هذا الكتاب الموسوم (علي بن موسى الرضا و الفلسفة الإلهية) يستحق البحث و التطلع و التفكير، و جدنا تسليط الضوء فيه لمؤلفه الشيخ الآملي على المعارف الأساسية العامة للإسلام والتي تعدّ الخير الكثير؛ لأنّها تبحث في التعمق في كتاب الله الكريم، و بحثه في دراسة متعمقة جادة و دفاعه عن الفلسفة الإلهية التي كانت واضحة في صفحاته الصغيرة و هي ضرورة لاحقاق الحق و تمييزها

1 وزارة التربية، الكلية التربوية المفتوحة، مركز النجف الدراسي، العراق، النجف الأشرف، Sahar.naji.175@gmail.com

عن الباطل ولا يؤتيها إلا الإمام الجليل فهو الفيلسوف الكامل والعالم الرباني، وأمتة وحواريه واصحابه وأنصاره وتلاميذته، يفهمون ويبحثون — من بعده — فهم متعلمون على سبيل النجاة.

والنبوة والإمامة مسألتان مهمتان ذُكرتا في القرآن الكريم منذ بداية خلق الإنسان وتقومان على الهداية التشريعية زيادة على الهدية التكوينية؛ لأن مسيرة الانسان اختيارية و له أن يختار بين طريقين (الهداية أو الضلال)، وأدلة النبوة مذكورة في القرآن الكريم فأية هبوط سيدنا آدم إلى الأرض فيها التسليم لأوامر الذات الإلهية لقوله تعالى: "قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ"<sup>(1)</sup>

و الخطاب موجه لآدم وحواء (عليهما السلام) و إبليس لعنه الله، وهذا يعني منذ خلق آدم على وجه الأرض (أو نزوله فيها) كان هذا الموضوع واضحاً لديه وهو أن أمامه طريقين، ويتم التعيين من قبل الله " وإرسال الأنبياء من قبل الذات الإلهية هدفان: التوحيد و تذكيرهم بالمعاد، وكان التكليف الإلهي لسيدنا ابراهيم واضحاً جلياً في قوله تعالى: " وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ"<sup>(2)</sup>، و جعل الأنبياء و الصالحين من ذريته فاختار منهم: اسحق و يعقوب و يوسف و موسى و هارون و داوود و زكريا و يحيى و عيسى و الياس و اسماعيل و اليسع و يونس و الأسباط، وأكبر دليل على ذلك قوله تعالى: " أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحُكْمَ وَ النَّبُوَّةَ "<sup>(3)</sup> ومنزلة الإمامة تلي النبوة، فالإمام هو الخليفة و العالم المقتدى به و من يؤتم به في الصلاة و يطلق على الذكر و الاثنى.

و كثيراً ما مَرَّجَ بينهما فجعل بعض المفسرين يذهبون إلى الخلط بينهما؛ بل أدخلوا مصطلح الخلافة و بهذا احتجت - بعض المذاهب الاسلامية - فنجد بين الآراء خلط واضح و كبير في أنّ الإمامة وضعت خلفاً للنبوة لحراسة الدين و الدنيا. و علينا أن نبين معناهما في اللغة و الاصطلاح ثم تطورهما الدلالي و من بعدهما تخصيص مفهوميهما في فكر الإمام (عليه السلام).

### التمهيد: ضرورة النبوة و الإمامة

تعد النبوة و الإمامة والعصمة و الإعجاز من الموضوعات المهمة التي تستحق البحث؛ فالنبوة سواء أكانت عامة أم خاصة لا يمكن الاستغناء عنها؛ ففيها هداية و إرشاد لبني آدم و فيها وصف خارجي لا يمكن البرهان الفلسفي عليها؛ لانعدام جريانها في الموجودات الجزئية؛ لذا كان اختيارنا لمسألة النبوة كعنوان للبحث في هذا الكتاب. و قد قام الإمام الرضا بسط مجموعة من الروايات تخص هاتان المسألتان فهي ليست مسائل صدرت من قبل الأنبياء أو الأولياء و نقلت ألفاظها؛ وإنما التفكير و التدبر في أمر الله و هو ما جعل مولانا الرضا يتممها من خلال الفلسفة الالهية بمعرفة آياته النفسية و معرفة الانسان الصادق تتحقق بمعرفة الله و أسماؤه الحسنی من المعرفة الالهية و القرآنية و لا تتحصل تلك المعارف إلا بالعقل و البرهان<sup>(4)</sup>.

و لولا وجود النبوة لفسد الخلق و التشل، و الحكمة تقتضي منع الفساد و هنا يستلزم وجود النبي لهداية الناس و صلاح المجتمع فيتوجب اطاعته لأوامر الاله العظيم، في هذا يقول الإمام الرضا (ع): "إنه أوحى الله سبحانه إلى نبي من الأنبياء إذا أظعت رضيت، و إذا رضيت بركت و ليس لبركتي نهاية، و إذا عصيت غضبت، و إذا غضبت لعنت و لعنتي تبلغ السابع من الوری"<sup>(5)</sup>

فمشاهدة و مشافهة الله سبحانه محالة و هنا لزم وجود معصوم في رسالته في ضبط و حفظ و إملاء ما يتلقاه من الوحي فعصمته شاملة مطلقة في جميع شؤون الرسالة<sup>(١٧)</sup>.

ويقول الإمام الرضا (ع): " ليست العبادة كثرة الصلاة و الصوم، إنّما العبادة التفكر في أمر الله عزّ و جلّ " (١٨).  
فالتفكر في أمر المعبود يتبع العبادة العملية، و العلم موجب لصيرورة الانسان لبيب، و عن الإمام الصادق (ع): " رحم الله امرء أحبب أمرنا " فقلت له (ع) كيف يحيي أمركم ؟ قال: " يتعلّم علومنا و يُعلّمها الناس، فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا " (١٩).

وهذا ما أثبتته امامنا الصادق (ع): " ثبت في كل دهر و زمان مما أتت به الرّسل و الأنبياء من الدلائل و البراهين، لكيلا تخلو أرض من حُجّة يكون معه علمٌ يدك على صدق مقالته و جواز عدالته " (٢٠)

فمنزلة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) تساوي منزلة هارون من موسى (عليه السلام) نفسها فهو وزير له في حياته و كذلك امير المؤمنين (إلاّ إنّهُ لا نبي بعده) بدليل رواية مولانا الرضا (ع)، فلم تنحصر الإمامة في إمام واحد فقد جاء الإمام علي (عليه السلام)، و من بعده اثني عشر إماماً، مختتماً بإمامنا المهدي (عجل الله فرجه الشريف) وهم من ذريته و بنيه، و أوّل من اختصّ بها من الأنبياء سيدنا ابراهيم (عليه السلام)، فوهبه الله بعد أن كان نبياً تحمل أعباء الرسالة فكان على مقام رفيع، وفق عقد إلهي اصطفاه الله لعباده الصالحين.

## المبحث الأول: النبوة و الإمامة

### أولاً: النبوة (لغة و اصطلاحاً)

إن اشتقاق النبوة من (نبو) فالنبي اسمه من النبوة و هو الارتفاع، ففضل على الناس برفع منزلته، و النبي: الطريق. و منه قوله تعالى: " وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِذْ رِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِيقًا نَبِيًّا " (١٠)، و قد يكون اشتقاقه من (نبا) فمن همزه لأنه أنبأ عن الله تعالى، و المُنبّيء هو المُخبر<sup>(١١)</sup>

و النبوة سفارة بين الله و ذوي العقول من العباد لإراحة علتهم في أمر معاشهم و معادهم، و سُمي نبياً لرفعة محله عن سائر الناس و النبي أبلغ من النبيء بالهمز لقوله (صلى الله عليه و آله و سلم) لمن قال يا نبيء الله: " لَسْتُ نَبِيءَ اللَّهِ و لكن نبيء الله " (١٢)؛ لذا أكد الحديث الشريف أنّ هو من (النبوة) بمعنى الارتفاع و هو الطريق الواضح<sup>(١٣)</sup>.

و منه قول أوس بن حجر: لأصبح رتماً دُفاق الحصى مكان النبي من الكاثر<sup>(١٤)</sup>.  
فالنبوة و الإمامة اصول تكمل بعضها عضاً — كما أوضحها السيد الشهيد الصدر (قدس سره الشريف - فالنبوة أصل ثالث من أصول الدّين و تربط بين الإنسان و مثله الأعلى، فالمسيرة البشرية تبنت هذا المثل، و على مر التاريخ الطويل نجد أن الأنبياء (صلوات الله و سلامه عليهم) يحملون الصلة الرابطة بين الله و المجتمع؛ أمّا الإمامة هي أصل رابع من أصول الدّين الإسلامي تلي النبوة و تعني قيادة مندمجة مع النبوة، فالنبي إمام ايضاً، و النبي نبي، إلاّ أنّ الإمامة لا تنتهي بانتهاء النبي، فمجتمعنا لا زال بحاجة إلى قائد يواصل معركة الحق فسيستمر دور النبوة من خلال الإمامة<sup>(١٥)</sup>

فدور النبوة يتمثل في إنّهُ الإنسان الذي يجمع بين المجتمع و إطاعته الله و هو دور يبين الابدولوجية الواضحة للمثل الأعلى، و طاقة روحية مستمدة من الإيمان بيوم القيامة فيجمع بينهما و يمثل شخصية النبي الأعظم، و هذا المركّب هو البشير و النذير و لا بدّ من قيادة و هي (الإمامة) فالإمام هو القائد الذي يتولى هذه المعركة الذي

يندمج مع النبوة وقد بدأت مع سيدنا نوح (عليه السلام) فالإمامة تندمج مع النبوة، والفرق بينهما أن النبي يعدُّ بعداً لا زال المجتمع بحاجة إليه فيمتد دور الامامة بعد انتهاء النبوة<sup>(١٦)</sup>.

### ثانياً: الإمامة (لغة و اصطلاحاً)

لفظ الإمام بمعنى القُدَامَ فإمام أي شيء يعني قدامه، ومن أصل حروفه؛ فالهمزة والميم، يتفرع منه أربعة أبواب، وهي الأصل، والمرجع، والجماعة، والدين. وهذه الأربعة متقاربة، وبعد ذلك أصول ثلاثة، وهي القامة والحين والقصد<sup>(١٧)</sup>.

و إمامة مصدر من (أَمَّ) وقوله: أَمَّهُمْ و أَمَّ بِهِمْ: تقدمهم، والإمام: كلُّ من اتهم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو ضالين، والقرآن إمام المسلمين، ونبينا محمد إمام الأئمة والخليفة أمام الرعية<sup>(١٨)</sup> وهو الطريق الواسع، قال تعالى: " وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مَّبِينٍ " <sup>(١٩)</sup> أما المعنى الاصطلاحي فلم يخرج عن المعنى اللغوي، فالإمام: هو الخليفة والعالم المقتدى به ومن يُؤْتَم به في الصلاة و يطلق على الذكر والأنثى، والإمام اسم لا صفة، يكثر في الرجال دون النساء<sup>(٢٠)</sup>. يقول الراغب: " والإمام المُؤْتَم به إنساناً كان يقتدى بقوله أو بفعله، أو كتاباً أو غير ذلك مُحِقاً كان أو مبطلاً و جمعه أئمةٌ " <sup>(٢١)</sup>.

وقال الماوردي: " الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا " <sup>(٢٢)</sup> فالإمام هو القدوة الحسنة، واختلف بين المذاهب الاسلامية في تطبيق سلطتها هل هي دينية أم سياسية؟ ، فنحن الشيعة نجد أن ممارسة سلوكها سياسي و ديني، وهي ضرورة إمتدادا للنبوة؛ لاتصال الرسول بالوحي وبذلك فإن تنصيب الامام يوجب بالنص من الله حصراً

بينما يرى أهل السنة أن في ممارستها إجتهداً سياسياً بإعتبار أن النبي يقوم بالدور السياسي، ويعتمد الاجتهاد، فتنصيبه عن طريق اختيار الناس له.

نستنج مما سبق أن لفظ (إمام) أعمّ وأشمل من الخليفة والوالي؛ لأن معاني (ولي) تدل على القريب والصاحب والناصر، والخلافة تدل على التالي؛ أما الإمام فهو الأصل والمرجع والطريق المستقيم فهو أعم وأشمل من سابقه. وقد عمل الحكام الأمويون على أن يجعلوا مفهوم الولاية مرادفاً لمفهوم الخلافة، وشاعت هذه المفاهيم في المجتمع القائم آنذاك، فالخلافة نمط من أنماط الإمامة، وكل إمام هو خليفة وليس كل خليفة إمام<sup>(٢٣)</sup>.

و الإمامة قول وفعل وتقرير، والإمام حجة على الناس تجب عليهم الطاعة، بخلاف النبوة التي تقتضي طاعة الأحكام الإلهية فقط، و صرح القرآن بلفظ الإمامة لسيدنا و مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) في آيات عديدة ومنها: (ولي الأمر، الذين آمنوا)، و يعدّ لفظ الإمامة من الألفاظ التي تطورت معانيها الدلالية ففي العصر الجاهلي أُطلق في العصر الجاهلي على خشبة أو خيط يسوى بها البناء

قال النابغة: أبوه قبله، وأبوه أبوه بنوا مجد الحياة على إمام<sup>(٢٤)</sup>

يعني به (المثال) والإمام: خشبة البناء والطرق والقُدَام<sup>(٢٥)</sup>

وفي العصر الاسلامي تطور معناه إذ تكرر لفظ إمام في القرآن الكريم في اثني عشر موضعاً من القرآن الكريم<sup>(٢٦)</sup>، ومنها المعاني التالية:

المثال " إذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ " (٣٧)

فجاء لفظ (إماماً) القدوة أو المثال، فالله جعل سيدنا ابراهيم (عليه السلام) إماماً وسأله بأن تكون الأئمة من بعده في ذريته، ومن هذه الآية تبيين منزلة الامامة التي فاقت منزلة النبوة والرسالة، فقلوه تعالى: " وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَرْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا " (٣٨) (كتاب الأعمال): كقوله تعالى:

"يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا" (٣٩)، فإمامهم: كتاب أعمالهم، فمن أوتي كتابه بيمينه: فرحته وسروره بما فيه من عمل صالح (٣٠) أو يقصد بها (اللوحة المحفوظ) أو (صحائف الأعمال) لقوله تعالى: " إِنَّا نَخْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ " (٣١)، وقد يقصد بها (التوراة): " أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتِهِ مَيْمَنَةٌ وَهُوَ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً " (٣٢) وهنا استفهام انكاري، فالكتاب الذي أنزل على موسى (عليه السلام) و (إماماً) نصب على القطع، ورحمة عطف على الامام، كأنه قيل: ومن قبله كتاب موسى إماماً لبني اسرائيل ياتمرون به ورحمة من الله تلاه على موسى (٣٣)، وقد يقصد بها (الطريق الواضح) لقوله تعالى: " فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ " (٣٤) لقوله تعالى: " إِنَّا نَخْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ " (٣٥) أو (الكتاب السماوي): " وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانِ عَزَبِيًّا لِيُبَيِّنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُبَشِّرَ لِّلْمُحْسِنِينَ " (٣٦)، وقد يكون القائد: " وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ " (٣٧) وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون" (٣٨) " وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ " (٣٩) قوله تعالى: " وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ " (٤٠)

فالإمامة قد تتقدم على منزلة النبوة فنالها سيدنا ابراهيم (ع) بعد ابتلاء واختبار أثبت فيه أهليته فلفظ (جاعل) اسم فاعل ومفعوله إماماً بعد ان اتم ابراهيم الابتلاءات، ثم أنه كان نبياً وأبتلي، بعد أن كبر سنه و تساءل عن بنيه (و من ذريتي) وابناءهم (اسماعيل و اسحق) وبشارته بهم بعد كبره " الحمد له الذي وهبني على الكبر اسماعيل و اسحق " (٤١). فالإمامة هي مقام تشريعي و تكويني و يطلق على شخص تتحقق فيه شروط معينة منها (العصمة)، ولا يكون إلا معصوماً من القبائح والله نفي أن ينال عهده (الامامة) ظالم ومن ليس معصوم. و استدلال الإمامية بان منزلة الإمامة منفصلة عن النبوة لأن الله خاطب ابراهيم و هو نبي فيجعله إماماً جزءاً لفاعله، فالنبي قد لا يكون إماماً و الامام بدون شك هو غير نبي (٤٢).

اذن الإمامة من المعاني التي تطورت دلالتها فتأتي بمعنى (الرئاسة لأمر الدنيا، الرئاسة لأمر الدين و الدنيا، أو تحقيق المناهج الدينية بتطبيق أحكام الدين الاسلامي و بالاضافة الى النبوة و الرسالة، و هي هداية تكوينية. و ذهبت الإمامية الى ان الامام يجب ان يكون منصوباً عليه بدليل قطعي منصوب عليه (٤٣)

## المبحث الثاني: النبوة و الإمامة ضرورة لتحقيق العدالة

لقد سعى ائمتنا من آل بيت النبوة إلى تفسير و بيان معاني النبوة و كيفية ايصالها الينا عن طريق العقل فنجد أن إمامنا الثامن كان يضمن رواياته البليغة لإقامة الأدلة في بيان معناها فقد كان يُسأل من قبل العامة فينبري للإجابة



و سنبين في هذا المبحث مجموعة ماثبيل عنه الإمام في مسألة النبوة ؛ بل و حتى الإمامة في بعض المواضع التي يذكر فيها إمامنا أمير المؤمنين (عليه السلام).

إن توقف إثبات النبوة يقوم على إتيان النبي بمعجزة و تقتضي الحكمة الإلهية تزويده بها، و السؤال المتبادر هنا، ما الذي جهز به نبينا الكريم لاثبات نبوته ؟

و يذكر التاريخ أن سبب هجرة بني اسرائيل إلى الحجاز وإقامتهم في أطراف المدينة هو تبشير الأنبياء السابقين بمجيء نبينا الكريم (صلوات ربي و سلامه عليه)، و دليلنا على ذلك قوله تعالى: " الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ " (٤٥) فالقرائن والدلالات موجودة عندهم، و في كتبهم، و يصف الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي ذلك فيقول: " أهل الكتاب إذن يعرفون انه النبي الموعود ، فالحجة تامة على أهل الكتاب " (٤٦)؛ و لكن من حكم الإله العظيم أن تكون لديه معجزة خاصة و خالدة لا تقتصر على الحاضرين في زمن معين أو مكان واحد، و التحدي كان بكتاب يشبه كتبهم فتحدهم(ان يأتوا بعشر سور مثله، سورة بمثابة) (٤٧)، و هو حديث باللغة العربية بحروف و كلمات مستعملة في حوار يومي ؛ و لكن لا يستطيع أن يأتي بسورة واحدة من مثله.

و نجد أن الطباطبائي (رضوان الله عليه) اختار وجه آخر ؛ فتحدى القرآن لهم بسورة من احدى الجهات و عشر سور من جهة اخرى، فلا فرق بين سورة و اخرى في البلاغة فمجال المعارف و الأحكام و القصص و الأخلاق و لا أي فن (عشر سور) ثم يعقب قائلا: " لعل سورة يونس قد نزلت قبل سورة هود و مع ذلك يوجد معنى للتحدي بعشر سور أيضاً " (٤٨)

و سنبين تفاصيل تلك الروايات و تفسيرها من خلال أربعة مسائل تتعلق بالنبوة سئل عنها الإمام الرضا و أجابها بروايات واقعية تشريعية و من بينها:

### المسألة الاولى: النبوة ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها

تعد النبوة ضرورة من ضرورات الحياة الدنيا لإصلاح الأنظمة الكونية فلولا وجود النبوة لفسد الخلق و الدنيا ؛ فالحكمة الإلهية تستلزم الهداية للوصول بالانسان الى الكمال الانساني و لا تكتمل هذه الإصلاحات إلا بوجود النبوة التي تستمد من الوحي (و هو البرهان الأكبر لضرورة النبوة) و هو ما أكدّه الإمام الرضا بقوله (أوحى الله سبحانه إلى نبي من الأنبياء إذا أظعت رضى، و إذا رضى بارك و ليس لبركتي نهاية، و إذا عصيت غضبت، و إذا غضبت لعنت و لعنتي تبلغ السباع من الورى " (٤٩) و تعرّف النبوة بتلقي الوحي و استماعه من الله بلا واسطة و بهذا يكون الانسان أجل من أن تنال النبوة آية من الآيات الإلهية و يعد النبي مظهر من المظاهر الربانية، و تقسم النبوة على مراتب و قد تكون حافظة لشريعة نبي (٥٠).

و نبوة سيدنا محمد (صلوات ربي و سلامه عليه) بعد التوحيد و المعاد من الاصول الدينية و الاعتقاد بها و صلته أن القرآن وحي الهي و كتاب سماوي (معنى و لفظ و تأليف النبوة الخاصة وصف خارجي و لا يمكن للنبي أن يكون نبياً اذا لم تتحقق معجزة.

فموطن النبوة وحي رباني خاص مجرد عقلي فقد اعترف الشيطان بعجزه عن إغواء المخلصين من عباده. فليست وصفاً اعتبارياً كسائر المناصب الاجتماعية و لا ظرفاً حينياً يظهر و يغيب بل هي وجود تكويني تتحد

معه النبوة - يقول الامام الصادق (عليه السلام) في تعريفه الرسول هو: "الذي يظهر له المَلَك فيكلمه، والنبي هو الذي يرى في منامه، وربما اجتمعت النبوة والرسالة لواحد" (٥١) فالنبي يقظان دائما؛ لأن النبوة يقظة ومصونة عن الشك، لقول الرسول: "إنما معاشر الأنبياء تنام عيوننا ولاتنام قلوبنا، ونرى من خلفنا كما نرى من بين أيدينا" (٥٢)؛ فاليقظان مصون عن الغفلة والأنبياء أيقاظ، فالنبوة والولاية نور الهي يسعى بين يدي النبي (٥٣).

وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد نبي الله موسى (عليه السلام) أوجس خيفة من نفسه؛ لأنه شك ثم خاف من جهل الناس؛ إلا أنه كان متيقناً من معجزته الإلهية، فالكلام الإلهي مصون عن الوهم والشيطان (سواء أكان وحياً بلا واسطة أو من وراء حجاب أو بإرسال الرسول الذي يوحي ذلك الرسول ما يشاء بإذنه) فالكلام منسوب إليه، وحديث ورقة بن نوفل (٥٤) يدل دلالة قاطعة يدل على عد تبيين وحي النبوة لرسول الله. ونجد إجابة الإمام الرضا (ع) لابن السكيت حين سألته (ما حجة الله على الخلق اليوم؟) قال: "العقل يُعرف به الصادق على الله فيصدق، والكاذب على الله فيكذب" (٥٥) ويوضح الآملي ذلك في ما أشار إليه مولانا الرضا (ع) فيشير إلى أنه بهذا يتميز النبي الصادق من المتنبّي الكاذب فمعرفته عقلية بحوار دارج بين الأنبياء والامم فمعرفة النبي ممكنة وطريقها المعرفة (شهود عرفاني وبرهان عقلي او نقل قطعي).

وغاية لإرسال الأنبياء لهداية الناس هي الوصول إلى الصراط الهادي المستقيم فمشاهدة الله ومشافهته غير ممكنة فلا بدّ من رسول بينه وبين خلقه يتلقى الوحي من لدن حكيم عليم (إملاء ما تلقاه وابلغته من غير زيادة ولا نقصان) ولم يخص خصائص معينة لرسول معين في زمان أو مكان محدد يقول إمامنا الصادق (ع): "ثم ثبت ذلك في كل دهر وزمان مما أتت به الرُّسل والأنبياء من الدلائل والبراهين؛ لكيلا تخلو أرض الله من حُجّة يكون معه علم يدلّ على صدق مقالته وجواز عدالته" فهي وصف خارجي شخصي. فالنبوة والعصمة والإعجاز وكل ذلك لا يمكن استيفائه في هذه الصفحات فالنبي له كمال سام معصوم من أي نقص ضار وله معجزة دالة على صدق الدعوة. ويشير الإمام الرضا (ع) إلى أن الله أتقن كل شيء في صنعه؛ فضرورة النبوة من العلة الفاعلية والعلّة الغائية، وهي رجوع الانسان الى الله فالمعاد هدف غائي يتحقق بالشرعية التي تكفلها الشارح السماوي، و"موطن النبوة وحي خاص رباني له تجرد عقلي" (٥٦) ويقول الإمام الصادق (ع) في تعريفه: "الرسول الذي يظهر له المَلَك فيكلمه، والنبي هو الذي يرى في منامه، وربما اجتمعت النبوة والرسالة لواحد" (٥٧)

قال تعالى في وصف الرسل والأنبياء:

"رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِقَلًّا يُكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا" (٥٨) فقد احتيج للرسل؛ لأن العقل الانساني ليس كافيا للاهتداء الى الحجة ففي العقل سراج يدعو إلى ادراك ضرورة النبوة، ويقول الامام الرضا: "فإن قال قائل: لم أمر الخلق بالاقرار بالله وبرسله وبحججه، وبما جاء من عند الله عز وجل؟ قيل: لعل كثيرة منها؛ أن من لم يُقر بالله عز وجل؛ لم يتجنب معاصيه، ولم ينته عن ارتكاب الكبائر، و لم يراقب أحداً فيما يشتهي ويستلذ عن الفساد والظلم. وإذا فعل الناس هذه الأشياء وارتكب كل إنسان ما يشتهي ويهواه من غير مراقبة لأحد؛ كان في ذلك فساد الخلق اجمعين" (٥٩)

هذه العلة وغيرها تلمز فساد الخلق لولا وجود النبوة وفي ذلك خراب للدين ومجيء النبوة الجاهرة بقول الحق ووجب أن يكون هناك أسوة للناس وهو الرسول بين الخالق والمخلوق يتلقى الوحي لا مجال لبطلان الحق معه؛ لأنه مسدّد بقول الحق

بلا زيادة و لانقصان و لاضنة على الغيب لقوله تعالى: "وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ"<sup>(٦٠)</sup> و هذا ما أشار إليه إمامنا الرضا (عليه السلام) بقوله: "فإن قال قائل: فلمَ وجب عليهم معرفة الرُّسل والإقرار بهم و الإذعان لهم بالطاعة؟ قيل: لأنَّه لما أن لم يكن في خلقهم و قواهم ما يكملون به مصالحهم، و كان الصانع متعالياً عن أن يُرى، و كان ضعفهم و عجزهم عن إدراكه ظاهراً؛ لم يكن بُدُّ لهم من رسولٍ بينه و بينهم معصوم يُؤدِّي إليهم أمره و نهيه و أدبه"<sup>(٦١)</sup>

فالرسول منح العصمة المطلقة الشاملة لجميع مراحل رسالته. و هو البرهان على الرسالة بدون تخصيص لاحد منهم، و أفاد الامام الصادق (ع): "ثبت ذلك في كل دهر و زمان مما أتت به الرسل و الأنبياء من الدلائل و البراهين، لكيلا تخلو أرض الله من حُجَّةٍ يكون معه علمٌ يدك على صدق مقالته و جواز عدالته"<sup>(٦٢)</sup>؛ فالنبوة الخاصة و صف شخصي خارجي، و استيفاء المقال في النبوة و العصمة و الأعجاز لا بد له من انسان الهي سان ما يهدي البشر الى الكمال و معصوم من الضرر في الهداية و الرسالة و له معجزة ترتبط بدعوته و بها يتميز الممتنئ الكاذب من الصادق<sup>(٦٣)</sup>.

فلو بلغ الانسان الكامل حد خاص فيوحى اليه فلا مجال للشك فالنبوة وصف اعتباري و ليس منصب اجتماعي او حال طارئة و هي وجود تكويني؛ فالرسول وسيط معصوم بين الناس و الله يؤدي اوامره و ينهي بناوحيه و صفة العصمة الشاملة لجميع مراحل رسالته (وهو أصل النبوة و ضرورتها)

### المسألة الثانية: ضرورة وجود الواسطة (الوحي) بين الذات الإلهية والني

ينقسم الوحي على نوعين: وحي نبوة، وحي إلهام كلوحي أم موسى) فقد كلم الله عدد من الرجال و النساء و أوحى لهم و هم ليسوا بمعصومين، فأمر موسى أوحى لها الله فقذف في قلبها الإلهام، فهو (وحي اطمئنان و أمان و إرضاع) و ليس بوحي نبوة أو نوم<sup>(٦٤)</sup>؛ قال تعالى: "وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَلَبِغَتْ فِي سِمْ و لَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَ جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ"<sup>(٦٥)</sup>

وذهب الزجاج إلى أن معنى الإلقاء: أوحى الله في قلبها، فهو (وحي على جهة الاعلام للضمان لها)<sup>(٦٦)</sup> و منه أيضاً الأيحاء الى النحل "وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ"<sup>(٦٧)</sup> هداية إلهية لبناء البيوت في تلك الصحور و سيقان الأشجار و الخلايا التي يصنعها الانسان و تفسير (بيت) له ما فيه من آثار مرتبة على ذلك و هو اختيار دقيق فالأوكار و الخلايا تصنع بشكل بسيط أما بيوت النحل فلها نظام خاص و منظم و معقد<sup>(٦٨)</sup>

وقريب من هذا ما جاء عن الحواريين، حيث يقول الله تعالى: "وَأَذِّمُوا حَيْثُ إِلَى الْخَوَارِجِ إِنْ آمَنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَآشْهَدُ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ"<sup>(٦٩)</sup>

كما قال الله تعالى في يوسف (ع) قبل أن يبعثه نبياً، عندما أراد اخوته أن يلقوه في اليم و قد قال العلامة الطباطبائي في هذا المجال: "حبذا لو أطلقنا عليه إلهاماً لأنَّه يتفق و الأدب الديني"<sup>(٧٠)</sup>

فهناك صفة مختارة من الأشخاص أو البشر قد يكونوا أنبياء أو غير أنبياء ليسوا بأنبياء لكن يشاركونهم في خصال معينة، فيوحى إليهم و الوحي إلهام ينقل كلام الله الى أنبيائه نقلاً مباشراً، و الوحي جبرائيل اختص به الله (سبحانه و تعالى) نبينا الكريم فنقل إليه؛ أما الوصي فكلام الله يصل اليه نقلاً بالمعاني و المضامين، فسيدتنا مريم (عليها السلام) كلمتها الملائكة نقلاً عن الله (سبحانه و تعالى) مع أنها ليست بنبي و لا وصي لكن عصمتها

ذكرت في القرآن الكريم في قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ" (٧١)

و من بين ممن أُوحى إليهم (الأسباط) وهم أشخاص أُوحى الله إليهم، والوحي ينزل على شخص بعينه كلمهم الله وأوحى إليهم عن طريق الإلهام، و من بينهم سيدا أهل الجنة (الحسن والحسين (عليهما السلام)؛ و لذا فإن مقولة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم): "حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً، وأبغض الله من أبغض حسيناً، حسين سبط من الأسباط" فهو وصي كلمه الله وأوحى إليه، والأوصياء وهم يشاركون الأنبياء في خصال معينة فيوحي إليهم و ان لم يكونوا من الأنبياء، وكذلك أسباط بني اسرائيل وهم أمم من بني اسرائيل، وقد اختلف في مسألة نبوتهم فتعددت الآراء والأقوال في هذه المسألة.

و يعرف الأممي الوحي بأنه إلقاء خفي و ينقسم (حق وصدق و خير و حسن و باطل و كذب و شر و قبيح) ففي الأول - ينسب الى الله و بيده الخير و في الثاني ينسب الى الشيطان و بيده الشر؛ والوسوسة: إيهام شيطاني (٧٢).

و وحي الله الى الصالحين على نوعين: وحي علمي و وحي شهودي، و علمي و عزمي و هو متوجه الى النبي وينحدر الى وصي نبي او ولي؛ فكيفية صنع الفلك وحي علمي، و وحي الأنبياء علمي و عزمي متوجه الى النبي بذاته، قال تعالى: "وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ" (٧٣)

و منه الوحي الى نبي الله نوح (ع) قوله تعالى: "فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا فَأَرِ النَّوَارَ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ" (٧٤)؛ فالبرهان العقلي للنبوة لا يخصص و لا يقيد فلم تذكر بعض القصص الخاصة بالأنبياء؛ لأنهم في الشرق البعيد أو الغرب القاصي و لم تصل أخبارهم للشرق الاوسط و فيه سيد الانبياء و قومه فـ" دأب القرآن الكريم بعد سرد قصة نبي هو دعوة مخاطبيه الى السير في الأرض و النظر في عاقبة من أساءوا و كذبوا رسولهم، و عنوا عتواً مبيهاً و لم يمكن دعوتهم الى الفحص عن الذين كانوا في البلاد القاصية وراء البحار الكبار فلعلهم لذا لم يصرح في القرآن ببلدهم و لا برسولهم، كما لم يتعرض لهؤلاء الذين عاشوا في اقصى الأرض إلا نزريراً يسيراً دعت إليه الضرورة أو المصلحة" (٧٥).

و أما وحي النبوة فله أشكال مختلفة، ولكل شكل آثاره الخاصة به و يستفاد من الروايات أن جبرئيل كان يهبط على الرسول أحياناً - بشكله الحقيقي الذي خلقه الله عليه، و يحتمل أنه هبط بهذا الشكل مرتين فقط طوال عمر الرسول، كما أنه قد يهبط متمثلاً في صورة (٧٦).

### المسألة الثالثة: ضرورة تحقق المعجزة لتأكيد النبوة

تعرف المعجزة بأنها آية خارجة عن المتعارف لم يعهد لها من قبل و لا يفاضلها شيء (٧٧).

وهي شاهد للمعرفة العقلية فأصل العلية يستقى من العقل يقول ابن سينا: "لا يؤدي إلا إلى الموافقة، و ليس إذا توافي شيخان، و جب أن يكون أحدهما سبباً للآخر، و الإقناع الذي يقع للنفس لكثرة ما يورده الحس و التحية فغير متأكد" (٧٨)

فالحوار العقلي بين الأنبياء و الأمم لإقامة البرهان على صحة الدعوة، فقد قيل لنبي الله موسى (ع): "وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ" (٧٩) فالبرهان العقلي للمعارف الإلهية يعتمد على العقل و يظهر بالوحي فإثبات النبوة بالبرهان العقلي يقوم على معرفة الحكم العملية و يكمن

في مشاهدة المعجزة فيإمان مولانا أمير المؤمنين (ع) برسولنا الكريم و إيمان لوط براهيم و يحيى بعيسى إيمان طريقه وعر و هو إيمان لا يقع في ضيق جهالة<sup>(٨٠)</sup>.

فالطريق إلى معرفة النبي واجبة قبل أن تكون ممكنة و برهانها عقلي و قطعي، و وجود الخارج للعادة الخارق لها قد يكون علمي يخضع له العلماء و هو فكري قابل للتعلم و التعليم ك(السحر و الطلسم و الشعبة) و قد يكون علم لدني و مايكشفه أولياء الله فلا طريق للفكر الدراسي اليه.

اذن للمعجزة مباديء قد تكون (مادية أو صورية أو فاعلية أو غائية) و خوارق العادات قد تكون (معجزة و تمنح للنبي) أو (كرامة و تمنح للولي) أو (المعونة و تمنح للمؤمن العامي) أو (الإهانة و تمنح للمنتهي).

### المسألة الرابعة: صحة الدعوى للرسالة

كل معجزة هي آية - و كل آية نبوة و علامة لرسالة ؛ لذا كانت النبوة وصدقها الناس ؛ فالمعجزة هي الطريقة الوحيدة الشاهدة على صحة دعوى الرسالة، و ما جاء في القرآن الكريم يدلّ دلالة واضحة بأن المعجزة آية عقلية على النبوة و تكون مناسبة لفنون العصر و بينهما تلازم عقلي فلو فرضنا أنها صدرت من غير النبي لوجب أن يكون الآتي بها رجل نابغة فالصادر من المنتبئ الشرير صناعي طريقه فكري لا عقلي و يقابله برهان إمامنا الرضا (عليه السلام) في ضرورة النبوة فلا تعرف ؛ لأنها قصرت بالمعجزة و صدرت عن أفك أثيم فمعرفة النبي يمكن ان تكون وزان معرفة المستخلف عنه و في ذلك يقول الامام علي (ع) في خطبته القاصعة: " و لقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه، و لا يراه غيري. و لم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله (ص) و خديجة و أنا ثالثهما. أرى نور الوحي و الرسالة و أشم ريح النبوة. و لقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه -ص- فقلت: يارسول الله ماهذه الرنة ؟ فقال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع، و ترى ما أرى، إلا أنك لست بنبي، و لكنك وزير و إنك لعلى خير" <sup>(٨١)</sup> ؛ فهذا شاهد عيان على معرفة الصديقين للنبوة، و بهذا يتبين أن المعجزة تلازم النبوة عن طريق العقل و استدلالها ببرهان و دليل عقلي و تتمتع من الصدور من غير النبي سواء أكانت في الماضي القديم أو المستقبل القادم<sup>(٨٢)</sup>

و يضيف إمامنا ذلك من إجابته لابن السكيت حين سأله لم بعث الله موسى بالعصا و اليد و آلة السحر و عيسى بالطلب و محمد بالخطب و الكلام ؟ فقال: " إنّ الله تبارك و تعالى لما بعث موسى ع كان الأغلب على أهل عصره السحر فأتاهم من عند الله عز و جل بما لم يكن في وسع القوم مثله، و بما أبطل به سحرهم، و أثبت به الحجة عليهم. وإن الله تبارك و تعالى بعث عيسى (ع) في وقت ظهرت فيه الزمانات\* و احتاج الناس الى الطب، فأتاهم من عند الله عز و جل بما لم يكن عندهم مثله، و بما أحيا لهم الموتى، و أبرأ لهم الأكمه و الأبرص بإذن الله، و أثبت به الحجة عليهم. وإنّ الله تبارك و تعالى بعث محمداً في وقت كان الأغلب على أهل عصره الخطب و الكلام.. فقال ابن السكيت تالله ما رأيتُ مثلك اليوم قط" <sup>(٨٣)</sup>.

### الخاتمة

بعد قرائتنا للدلالة الماتعة مع كتاب (علي بن موسى الرضا و الفلسفة الإلهية) للشيخ عبد الله الجوادى الآملي نقف لنسجل بعضاً من نتائج البحث:

النبوة ذكرت في القرآن الكريم منذ بداية خلق الانسان و تقوم على الهداية التشريعية لمسيرة الانسان فهي اختيارية و له أن يختار بين طريقين (الهداية أو الضلال) فهبوط آدم الى الأرض و الإيحاء اليه بالتسليم لأوامر الذات

الإلهية يشكّل خطاباً لجميع أفراد الإنسان فلا يتوهم أنّه خاص بآدم وحواء أو إبليس و لأعلاقة لسائر الناس به ؛ و نتيجة لذلك ترتب عليه وجود هديتين أولاهما: هداية تشريعية بواسطة (الوحي) و وجود النبوة فيها من تقدير الخالق للإنسان فبدون النبوة لا يمكن اسكانه على وجه الأرض و هو أمر مخالف للحكمة الإلهية.

عزّز الشيخ الأملي آرائه بما وجده عند إمامنا الثامن (سلام الله عليه) من روايات صحيحة ،فوجد في فكره الفيلسفي الإلهي طريقاً واضحاً للاستشهاد بمسألتي النبوة و الإمامة و هما ضرورتان لتحقيق العدالة و المساواة. مُنحت النبوة لأشخاص معينين تحلوا بصفات معيّنة و أيدهم الباري (عزّ و جل) بالتي المعجزة لا يستطيع الفعل المادي و المعنوي إزالتها، و الاعجاز ضروري لاثبات النبوة و ليس منحصرًا بخرق العادة لاثباتها، و اثبات المعجزة من تخصص العقائد و المتكلمين و ليس من تخصص الاصطلاحات القرآنية، و نبوة النبي محمد (صلّى الله عليه و آله و سلّم) بُشّر بها موسى و عيسى من قبله ؛ أمّا من لم يكن على نبوة موسى و عيسى فان اثبات نبوة محمد لديه لم تكن ثابتة، و من هنا نقول فان الدليل العقلي يقول ليس بالضرورة تمتع كل نبي باعجاز و لكنه لا يعمم على جميع الانبياء.

الوحي على نوعين (وحي نبوة و وحي إلهام) فالانبياء كانوا يوحي اليهم (وحي النبوة) وهناك مجموعة من الأولياء و الصالحين نبوتهم إلهام و هداية و على سبيل المثال لا الحصر وحي أمّ موسى (عليها السلام): " وَ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ " (٨٤) و الوحي الى سيدتنا مريم و الوحي الى زوجة ابراهيم، و منه الوحي الى النحل لقوله تعالى: " وَ أَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ " (٨٥)

و فيه هداية إلهية لبناء البيوت في تلك الصخور و سيقان الأشجار و الخلايا التي يصنعها الانسان و تفسير (بيت) له ما فيه من آثار مترتبة على ذلك و هو اختيار دقيق فالأوكار و الخلايا تصنع بشكل بسيط أما بيوت النحل فلها نظام خاص و منظم و معقد (٨٦). و وجود ؛ فوجود الصفوة المختارة من الأشخاص و هم ليسوا بأنبياء و إنّما يشار كونهم في خصال معينة، فيوحي اليهم و الوحي إلهام ينقل كلام الله الى أنبياءه نقلا مباشرا، و الوحي جبرائيل اختصّ به الله (سبحانه و تعالى) نبينا الكريم فنقل إليه ؛ أما الوصي فكلام الله يصل اليه نقلا بالمعاني و المضامين. ينقسم الوحي على : (حق و باطل) و في الحق و الصدق يعم الاستقرار و الطمأنينة و الصدق و الخير و هو ما ينسب الى الله، و في الباطل ينسب الى الشيطان و بيده الشر و الكذب، و منه وسوسة الشيطان، و وحي الله الى الصالحين على نوعين: وحي علمي و وحي شهودي، و علمي و عزمي و هو متوجه الى النبي وينحدر الى وصي نبي او ولي ؛ فكيفية صنع الفلك و العسل و وحي علمي ،و وحي الأنبياء علمي و عزمي متوجه الى النبي بذاته، و منه الوحي الى نبي الله موسى (ع): " وَ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ " (٨٧)، و بهذا نرى أن النبوة و الإمامة مسألتان هامتان يتوقف عليهما وجود الإنسان. وقد عزّز الشيخ الأملي آرائه بما وجده عند إمامنا الثامن (سلام الله عليه) من روايات صحيحة ،فوجد في فكره الفيلسفي الإلهي طريقاً واضحاً للاستشهاد بمسألتي النبوة و الإمامة.

## هوامش البحث

١. سورة الأعراف / ٢٤.
٢. سورة البقرة/ ١٢٤.
٣. سورة الأنعام / ٨٩.

٤. ظ: علي بن موسى الرضا و الفلسفة الالهية: ٢٢.
٥. مسند الامام الرضا (ع): ٤٨ / ١.
٦. ظ: علي بن موسى: ٩٣
٧. مسند الامام الرضا (ع): ٣ / ١
٨. المصدر نفسه: ٨ / ١ و: ٨٦ / ٢.
٩. الاصول من الكافي: ١ / ١٦٨.
١٠. سورة مريم / ٥٦.
١١. ظ: مقاييس اللغة: ٣٨٥ / ٥
١٢. المفردات: ٦٢٤ و ظ: المعجم الوسيط: ٨٩٦.
١٣. ظ: العين (مادة نيو): ٨ / ٣٨٣
١٤. ظ: ديوانه: ١١.
١٥. ظ: المدرسة القرآنية: ١٤٧.
١٦. ظ: المصدر نفسه: ١٤٨.
١٧. مقاييس اللغة (مادة أمم): ٢١ / ١
١٨. ظ: لسان العرب (مادة أمم): ٢٤ / ١٢
١٩. سورة الحجر / ٧٩
٢٠. المصباح المنير: ٢٣ - ٢٤
٢١. المفردات: ٢٩ / ١
٢٢. الاحكام السلطانية: ٣
٢٣. ظ: المصدر نفسه: ٢١ - ٢٣.
٢٤. ظ: ديوانه: ٦٧.
٢٥. ظ: لسان العرب: ٢٥ / ١٢
٢٦. ظ: المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم : ٩٩
٢٧. سورة البقرة / ١
٢٨. سورة الفرقان / ٧٤
٢٩. سورة الاسراء / ٧١
٣٠. ظ: الجامع لأحكام القرآن: ٤٤١ علما ان الاية الواردة هي سورة يس / ١٢
٣١. سورة يس / ١٢
٣٢. سورة هود / ١٧
٣٣. ظ: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٤ / ٢٦٤.
٣٤. سورة الحجر / ٧٩
٣٥. سورة يس / ١٢
٣٦. سورة الاحقاف / ١٢

٣٧. سورة القصص / ٤١
٣٨. سورة التوبة / ١٢
٣٩. سورة السجدة / ٢٤
٤٠. سورة القصص / ٥.
٤١. ظ: الامامة والولاية: ٣٧
٤٢. ظ: التبيان: ٣ / ٣٨٢-
٤٣. الامثل: ١ / ٣٦٩.
٤٤. النبوة: ٨٥
٤٥. سورة البقرة / ١٤٦.
٤٦. ظ: النبوة في القرآن الكريم: ٨٥
٤٧. ظ: المصدر نفسه: ٨٦.
٤٨. ظ: المصدر نفسه: ٨٧.
٤٩. مسند الامام الرضا: ١ / ٤٨.
٥٠. ظ: الوحي والنبوة: ١٠١.
٥١. الكافي: ١ / ١٧٧.
٥٢. بحار الانوار: ١١ / ٥٥.
٥٣. ظ: أصول الكافي (الحديث ٤): ١ / ١٧٧.
٥٤. السيرة النبوية: ١ / ٢٣٨.
٥٥. علي بن موسى الرضا والفلسفة الالهية: ١٠٩
٥٦. المصدر نفسه: ٩٧.
٥٧. اصول الكافي: ١ / ١٧٧.
٥٨. سورة النساء / ١٦٥.
٥٩. مسند الامام الرضا: ١ / ٤٥
٦٠. سورة النجم / ٣ - ٤. و منه قوله تعالى: "وَمَا هُوَ عَلَى الْعُتْبِ بِضَنِينٍ" التكوير / ٢٤.
٦١. مسند الامام الرضا: ١ / ٥٠
٦٢. اصول الكافي: ١ / ١٦٨ الحديث ١ (باب الاضطراب الى الحجّة).
٦٣. ظ: علي بن موسى: ٩٤.
٦٤. ظ: البيان في تفسير القرآن: ٨ / ١٣٢.
٦٥. سورة القصص / ٧.
٦٦. ظ: معاني القرآن: ٤ / ١٣٢ - ١٣٣.
٦٧. سورة النحل / ٦٨.
٦٨. ظ: معارف القرآن: ٣٨٣.
٦٩. سورة المائدة / ١١١.



٧٠. ظ: الميزان: ١٢ / ٣١٢.
٧١. سورة آل عمران / ٤٢.
٧٢. ظ: الوحي و النبوة: ١٤٧.
٧٣. سورة الاعراف / ١١٧.
٧٤. سورة المؤمنون / ٢٧.
٧٥. ظ: الوحي و النبوة: ١٤٨.
٧٦. ظ: نفحات القرآن: ١٨٨.
٧٧. ظ: علي بن موسى الرضا: ١١٠.
٧٨. الالهيات من الشفاء: ٨.
٧٩. سورة البقرة / ٥٥.
٨٠. ظ: علي بن موسى الرضا: ١٠٨.
٨١. نهج البلاغة: خ ١٩٢، ١١٩.
٨٢. ظ: علي بن موسى الرضا: ١١٨.
٨٣. علل الشرائع: ١٢١ (باب ٩٩ الحديث ٦).
٨٤. سورة القصص / ٧.
٨٥. سورة النحل / ٦٨.
٨٦. ظ: معارف القرآن: ٣٨٣.
٨٧. سورة الاعراف / ١١٧.

## المصادر و المراجع

القرآن الكريم.

- الأحكام السلطانية: لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠ هـ)، دار الحديث القاهرة.
- اصول الكافي: محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩ هـ)، ط ١، دار المرتضى، بيروت - لبنان، ٢٠٠٥.
- الالهيات من الشفاء: أبو علي بن سينا، وزارة الثقافة و الارشاد القومي - مصر. د. ت.
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة الميلاني لاهياء الفكر الشيعي.
- بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي (ت ١١١١ هـ)، بيروت، لبنان، د. ت.
- التبيان في تفسير القرآن: لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٠٦ هـ)، تحقيق: احمد حبيب قصير العاملي، دار احياء التراث العربي، د. ت.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للطبري: تحقيق: د. بشار عواد معروف، و عصام فارس الحرستاني، ط ١، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤.
- الجامع لأحكام القرآن: محمد بن احمد الانصاري القرطبي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط ١، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٦.
- ديوان أوس بن حجر: تحقيق: محمد يوسف نجم، دار بيروت، ١٩٨٠.

- ديوان النابغة الذبياني، شرح و تقديم: عباس عبد الساتر، ط ٣، دار الكتب العلمية، ١٩٩٦.
- السيرة النبوية: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري جمال الدين (ت ٢١٣ هـ)، تحقيق: مصطفى السقا و ابراهيم الابياري، ط ٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ١٩٥٥
- علي بن موسى الرضا و الفلسفة الالهية: عبد الله الجوادى الأملى، تحقيق: محمد حسن شفيعيان، دار الاسراء للنشر، ط ٣، ١٣٨٥ هـ
- علل الشرائع: أبو جعفر محمد الصدوق، منشورات المكتبة الحيدرية - النجف الأشرف. د. ت.
- الكافي (الاصول من الكافي): الكليني، مكتبة الصدوق، طهران.
- كتاب العين: لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٠٠ - ١٧٥ هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي و ابراهيم السامرائي، د. ت.
- لسان العرب: لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، تح: عبد الله علي الكبير و محمد احمد حسب الله و هاشم محمد الشاذلي، دار صادر، بيروت لبنان (د. ت)
- المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعي و التفسير التجزيئي و الشنن التاريخية و عناصر المجتمع في القرآن الكريم: محاضرات الشهيد السيد محمد باقر الصدر (قد)، ط ٢، دار الكتاب الاسلامي مطبعة ستار.
- مسند الامام الرضا (عليه السلام): عزيز الله العطاردي القوجاني، مكتبة الصدوق، طهران.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: لأحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي الرافعي (ت ٧٧٠ هـ)، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، ط ٢، دار المعارف، د. ت.
- معارف القرآن: محمد تقي الصباح اليزدي، نقله الى العربية: محمد عبد المنعم الخاقاني، ط ١، ذوي القربى، النجف الأشرف، ١٤٢٦.
- معاني القرآن وإعرابه: لأبي اسحق ابراهيم بن السري الزجاج (ت هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط ١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية، ١٣٦٤.
- معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩
- المعجم الوسيط: ابراهيم انيس و عبد الحليم منتصر و آخران، ط ٤، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤
- المفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بـ(الراغب الأصفهاني)، نزار مصطفى الباز، د. ت.
- الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٤١٧ هـ
- النّبوة في القرآن الكريم: محمد تقي مصباح اليزدي، ترجمة: محمد عبد المنعم الخاقاني، ط ١، مطبعة افق، قم، ١٤٢٦ هـ
- نفحات القرآن - اسلوب جديد في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم - ناصر مكارم الشيرازي و مجموعة من الفضلاء، مطبعة الحيدري، د. ت.
- نهج البلاغة و المعجم المفهرس لألفاظه: كاظم محمدي و محمد دشتي، ط ١، دار التعارف للمطبوعات، ١٩٩٠.
- الوحي و النبوة: عبد الله الجوادى الأملى، ط ١، دار الاسراء للنشر، ١٣٨٧ هـ

## لتسامح واحترام كرامة الإنسان في المدرسة الرضوية

الشيخ بشير موني<sup>١</sup>

بسم الله الرحمن ارحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

الموضوع: التسامح واحترام كرامة الإنسان في المدرسة الرضوية:

وقال الله تعالى في محكم تنزيله: لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ رَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطُّيُوبَاتِ وَ فَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً (٧٠) يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَ لَا يُظَلَّمُونَ فِتْيلاً (٧١) وَ مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَ أَضَلُّ سَبِيلاً (٧٢) .

### التسامح الديني والسياسي

نتعلم من مدرسة الإمام الرضا (عليه السلام) المعنى الحقيقي للتعايش بين الأديان وممارسة الشعائر الدينية بمعزل عن التعصب والتمييز العنصري، وهذا ما أتسمت به الحضارة الإسلامية على مر العصور في مشارق الأرض ومغاربها، حيث أتسمت بالقيم الفاضلة والمعاني الانسانية النبيلة التي من شأنها أن تحافظ على كرامة الانسان واحترامه كإنسان، فبقول الحق تبارك وتعالى "فلقد كرمنا بني آدم" وعلى قيمة الدينية والاجتماعية وعلى عاداته وتقاليده، ولهُ الحق أن يعيش في أمن ووثام مع أفراد المجتمع الذي يعيش فيه.

وهذا يعني إن قيمة التسامح تتمثل في كونه إرهاباً لإقامة مجتمع مدني والاعتراف بوجود الغير المخالف فرداً كان او جماعة ويعترف بشرعية ما لهذا الغير من وجهة نظر ذاتية في الاعتقاد والتصور والممارسة تخالف ما يرتقيه شكلاً ومضموناً<sup>(١)</sup>

إن التسامح الديني السياسي يعتبر من أكثر المواضيع جدلاً، سيما وأن الخلافات في الأيديولوجيات الدينية والسياسية قد تسببت في حروب وحملات تطهير، وقد نادى فلاسفة عصر التنوير الى التسامح الديني وكان لهم تأثير واضح في المجتمعات الأوروبية ولكنهم أهملوا جانب آخر من التسامح ألا وهو التسامح السياسي الذي تسبب في مقتل المئات من البشر في القرن العشرين. إن الآخر حاجة وبدون تردد كما اقتضت حكمة الخلق في الإنسان ان يكون بحاجة الى الآخر كما في قوله تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله على علم خبير) ٢ .

١ استاذ دانشگاه المصطفى واگادوگو، كشور بوركينا فاسو

فغلقتنا شعبياً وقبائل لكل صنف لغته وتجاربه وعاداته وجعل حاجة الانسان الى الانسان في التعليم والطبابة والحماية وتقديم الخدمات حاجة إنسانية ملحة تتصف بها الأمم. إن الانسان بحاجة الى اهله وأقربائه وجيرانه والى بني وطنه وصمام الأمان الانساني هو حب الاجتماع والإلفة والتآلف وحب التودد والرفقة والعشرة. (٣)

تؤكد مدرسة الرسول (صلى الله عليه وآله) ومن تعلم فيها من أهل بيته وصحابته الأخيار المنتجبين على التسامح والإخاء الانساني، ففي فتح مكة كان كثير من الأعداء وحتى الأصدقاء ينتظرون أن تسفك الدماء وتؤخذ الثارات وتثار الفتن والهرج والمرج في مكة وينتقم أصحاب محمد من المشركين والكفار الذين تعاملوا مع المؤمنين معاملة بشعة وعرضوهم الى انواع التعذيب الجسدي والنفسي في مكة وخارجها حيث افرزت هذه الأحقاد شعارات كان يرددتها قادة الفتح منها: (اليوم يوم الملحمة اليوم تسبى الحرمة اليوم أذل الله قريشاً) ولكن عندما سمع الرسول (صلى الله عليه وآله) سرعان ما بادر انطلاقاً من المبادئ الأخلاقية الى شعار (أدفع السيئة بالحسنة) الى أن عفى عن الجميع وأطلق كلمته المشهور (اذهبوا وأنتم الطلقاء) ثم امر (صلى الله عليه وآله) أن يستبدل الشعار الانتقامي بشعار آخر نقيض يفيض احساناً ورحمة وكرامة هو (اليوم يوم المرحمة اليوم أعز الله قريشاً) لقد احدث هذا الموقف تغييراً كبيراً في أفكار أهل مكة من دعوة النبي (صلى الله عليه وآله) حتى إنه على حد وصف الآية الكريمة بدؤا يدخلون الى دين الله افواجاً.

أما مواقف العفو لأمر المؤمنين (عليه السلام) عن ظالميه فهي لا تعد ولا تحصى فلقد سار على خطى ابن عمه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقد هذا القذة بالقذة والنعل بالنعل، ومن كراماته والطافه عندما عفى عن جيش معاوية بن أبي سفيان عندما أحاطوا بشريعة الفرات ومنعوا جيش علي بن أبي طالب (عليه السلام) بفتوى من كبار رجالات معاوية، وعندما اشتد العطش بجيش الإمام علي (عليه السلام) سألهم الإمام علي واصحابه أن يسوغوا لهم شرب الماء، قالوا لا والله لا قطره حتى تموتوا ظمناً كما مات بن عفان، ولما رأى الإمام ذلك الموقف حمل على عساكر معاوية حملات كثيفة حتى زالهم عن مواقعهم وسيطر على ماء الفرات بعد قتال ضريع سقطت فيه الرؤوس والأيدي وصار أصحاب معاوية في الغلاة لا ماء لهم، فقال أصحاب الإمام يا أمير المؤمنين امنعهم حتى يموتوا عطشاً كما منعوك وبذلك لا حاجة لك بالحرب، فقال (عليه السلام) لا والله لا أكافئهم بمثل فعلتهم أفسحوا لهم عن بعض الشريعة ففي حد السيف ما يكفي عن ذلك (٤).

وكما يذكر إن الإمام الرضا (عليه السلام) خاطب أحمد بن أبي نصير البيزنطي بقوله (إياك ومكاشفة الناس فإننا أهل البيت نصل من قطعنا ونحسن الى من أساء اليك، فنرى والله في ذلك العاقبة الحسنة (٥)، ويشير في هذه الوصية إن اهل البيت ينهون الناس عن المكاشفة لأنها إظهار عيوب الناس والعداوة لهم أو كشف حال الناس في معتقداتهم ومذاهبهم وما هو مخفي لديهم من خصوصيات شخصية أو فئوية أو عرقية بحيث تؤدي الى الفتنة.

### الإنسان سيّد الموجودات

إنّ واحدة من أبرز طرق الهداية و التربية التي نتعلمها من الدراسة الرضوية، هي التنويه بشخصية الإنسان و مكانته و مواهبه، لذا فإننا نرى أن القرآن الكريم يقوم هنا بتبيين الشخصية الممتازة للإنسان و المواهب التي منحها إياها رب العالمين، لكي لا يلوّث الإنسان جوهره الثمين، و لا يبيع نفسه بثمن بخس، حيث يقول تعالى وَ لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ.

يشير القرآن هنا إلى ثلاثة أقسام من المواهب الإلهية التي حباها الله لبني البشر، هذه المواهب هي أولاً: وَ حَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَ الْبَحْرِ  
ثم قوله تعالى: وَ رَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطُّبْيَاتِ وَ مع الالتفات إلى سعة مفهوم (الطيب) الذي يشمل كل موجود طيب و طاهر تتضح عظمة و شمولية هذه النعمة الإلهية الكبيرة.  
أما القسم الثالث من المواهب فينص عليه قوله تعالى: وَ فَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا.

### أولاً: وسيلة النقل أول نعمة للإنسان

الملاحظة التي تلفت النظر هنا، هي: لماذا اختار الله قضية الحركة على اليابسة و في البحار، و أشار إليها أولاً من بين جميع المواهب الأخرى التي وهبها للإنسان؟  
قد يكون ذلك بسبب أن الاستفادة من الطيبات و أنواع الأرزاق لا يحدث بدون الحركة، حيث أن حركة الإنسان على سطح الكرة الأرضية تحتاج إلى وسيلة نقل، إذ أن الحركة هي مقدمة لأي بركة.  
أو أن السبب قد يكون لإظهار سلطة الإنسان على الكرة الأرضية الواسعة بما في ذلك البحار و الصحاري. إذ أن لكل نوع من أنواع الموجودات سلطة على جزء محدود من الأرض، أما الإنسان فإنه يحكم الكرة الأرضية ببحارها و صحاريها و هوائها.

### ثانياً، تكريم الإنسان من قبل الخالق

بأي شيء كرم الله الإنسان؟ الآية تقول بشكل مجمل وَ لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ.  
بين المفسرين كلام كثير عن مصداق هذا التكريم، فالبعض يعز و السبب لقوة العقل و المنطق و الاستعدادات المختلفة و حرية الإرادة. أما البعض الآخر فيعز و ذلك إلى الجسم المتزن و الجسد العمودي، و البعض يربط ذلك بالأصابع التي يستطيع الإنسان القيام بواسطتها بمختلف الأعمال الدقيقة، و أيضاً تمنحه القدرة على الكتابة.

و البعض يعتقد أن التكريم يعود إلى أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يأكل طعامه بيده.  
و هناك من يقول: إن السبب يعود إلى سلطة الإنسان على جميع الكائنات الأرضية.  
و هناك من المفسرين من يعزو التكريم إلى قدرة الإنسان على معرفة الله، و القدرة أيضاً على إطاعة أوامره.  
ومن الواضح أن جميع هذه المواهب موجودة في الإنسان و لا يوجد تضاد بينها، لذا فإن تكريم الخالق لهذا المخلوق الكريم يتجلى من خلال جميع هذه المواهب و غيرها.  
خلاصة القول: إن الإنسان له امتيازات كثيرة على باقي المخلوقات، و هذه الامتيازات الواحدة منها أعظم من الأخرى، فمضافاً إلى الامتيازات الجسمية، فإن روح الإنسان لها مجموعة واسعة من الاستعدادات و القدرات الكبيرة التي توهمه لطي مسيرة التكامل بشكل غير محدود.

### ثالثاً: الفرق بين (كَرَمْنَا) و (فَضَّلْنَا)

هناك آراء كثيرة حول التفاوت بين (كَرَمْنَا) و (فَضَّلْنَا) فالبعض يقول: إن (كَرَمْنَا) هي إشارة إلى المواهب التي أعطاه الله ذاتاً للإنسان، بينما (فَضَّلْنَا) إشارة إلى الفضائل التي اكتسبها الإنسان بسبب توفيق الله.

هناك احتمال قوي بأن (كزّمتنا) إشارة إلى الجوانب المادية، أمّا (فضّلنا) فهي إشارة إلى المواهب المعنوية، لأنّ كلمة (فضّلنا) غالبا ما تأتي في القرآن بهذا المعنى.

#### رابعاً: ما معنى كلمة (كثير) في الآية؟

بعض المحققين يعتبرون هذه الآية دليلاً على أفضلية الملائكة على بني الإنسان، فالقرآن يقول بأنّ الإنسان مفضّل على أكثر المخلوقات، و تبقى مجموعة لا يكون الإنسان أفضل منها، وهذه المجموعة ليست سوى الملائكة.

بينما يعتقد الآخرون أن بملاحظة آيات خلق آدم و سجود الملائكة و تعليمهم (الأسماء) من قبل آدم، لا يبقى شك في أنّ الإنسان أفضل من الملائكة.

لذا فسر هؤلاء كلمة (كثير) هنا بمعنى (جميع) . و كما يقول المفسّر الكبير الشّيخ الطبرسي في مجمع البيان، فإنّ استخدام كلمة (كثير) بمعنى (جميع) يعتبر عادياً و وارداً في القرآن الكريم و في لغة العرب. و هكذا يكون معنى الجملة حسب تفسير الطبرسي لها هو: «إنّا فضلناهم على من خلقناهم، و هم كثير. فالقرآن يقول عن الشياطين في الآية (٢٢٣) من سورة الشعراء: (وَ أَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ) بينما من البديهي أنّ كل الشياطين كاذبين و ليس أكثرهم، و إنّما استخدمت الآية (كثير) بمعنى (الجميع) .

#### خامساً: لماذا كان الإنسان أفضل المخلوقات؟

إنّنا نعلم أنّ الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يتكون من قوى مختلفة، مادية و معنوية، جسمية و روحية، و ينمو وسط المتضادات، و له استعدادات غير محدودة للتكامل و التقدّم.

و هناك حديث معروف للإمام علي عليه السلام و هو شاهد على ما نقول، إذ يقول فيه (عليه السلام): «إنّ الله عزّ و جلّ ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، و ركّب في البهائم شهوة بلا عقل، و ركّب في بني آدم كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، و من غلبت شهوته عقله فهو شرّ من البهائم»<sup>٦</sup>. و هنا يبقى سؤال واحد: هل أنّ جميع البشر أفضل من الملائكة، في حين يوجد بين البشر الكفار و المجرمون و الظالمون، و هؤلاء يعتبرون من أسوأ خلق الله... بعبارة أخرى: هل أنّ كلمة (بني آدم) في الآية تنطبق على جميع البشر أم على قسم منهم؟

يمكن تلخيص الإجابة على هذا السؤال في جملة واحدة هي: نعم جميع البشر أفضل، و لكن بالقوة و الاستعداد، يعني أنّ الجميع يملك الأفضلية ليكون أفضل، و لكنهم إذا لم يستفيدوا من هذه الأفضلية و القابلية المودعة فيهم، و سقطوا في الهاوية، فإنّ ذلك يكون بسببهم و يعود عليهم فقط.

و بالرغم من أنّ أفضلية الإنسان هي في المجالات المعنوية و الإنسانية، و لكن بعض العلماء ذكر أنّ الإنسان قد يكون أقوى من سائر الإحياء حتى من جهة القوّة الجسمية بالرغم من أنّه يعتبر ضعيفاً في مناحي أخرى.

«الكسيس كاريل» مؤلف كتاب (الإنسان ذلك المجهول) يقول في كتابه واصفاً قدرات الإنسان: «أنّ جسم الإنسان من المتانة و الإحكام و الدقّة بحيث أنّه يقاوم كل أشكال التعب و العقبات التي يتعرض لها الوجود الإنساني من قلة غذاء، و سهر و تعب، و هموم زائدة، و أشكال المرض و الألم و المعاناة، و هو في ثباته و مقاومته للأشكال الآتفة يبدي استعداداً استثنائياً يبعث على الحيرة و العجب، حتى أنّنا نستطيع أن نقول:

إنّ الوجود الإنساني في تكوينه الروحي والجسدي هو أثبت الموجودات من ذوي الأرواح وأكثرها نشاطا و استعدادا في مضمار الفاعلية الفكرية والجسدية التي يتضمّنها والتي أدّت إلى تشييد المدنية الراهنة بكل مظاهرها»<sup>٧</sup>.

الآية التي بعدها تشير إلى موهبة أخرى من المواهب الإلهية التي حباها الله للإنسان، و ربّيت عليه المسؤوليات الثقيلة بسبب هذه المواهب.

### ففي البداية تشير الآية إلى قضية القيادة و دورها في مستقبل البشر فتقول

يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ يعني أنّ الذين اعتقدوا بقيادة الأنبياء و أوصيائهم و من ينوب عنهم في كل زمان و عصر، سوف يكونون مع قادتهم و يحشرون معهم، أمّا الذين انتخبوا الشيطان و أئمّة الضلال و الظالمين و المستكبرين قادة لهم، فإنّهم سيكونون معهم و يحشرون معهم.

خلاصة القول: إنّ الارتباط بين القيادة و الأتباع في هذا العالم سوف ينعكس بشكل كامل في العالم الآخر، و طبقا لهذا الأمر سيتم تحديد الفرق الناجية، و الأخرى التي تستحق العذاب.

بالرغم من أنّ بعض المفسّرين قد حصر كلمة (إمام) ب (الأنبياء) و البعض الآخر حصرها بمعنى (الكتب السماوية) و البعض الثالّث ب (العلماء)، إلّا أنّ من الواضح أنّ كلمة (إمام) في هذا المكان لها معنى أوسع، و تشمل أية قيادة سواء تمثّلت بالأنبياء أو أئمّة الهدى أو العلماء أو الكتاب و السنة. و يدخل في معنى الكلمة أيضا أئمّة الكفر و الضلال، و بهذا الترتيب فإنّ كل إنسان سيسلك في الآخرة مسار القائد الذي انتخبه لنفسه في الدنيا اماما و قائدا.

هذا التعبير و الإشارة إلى دور الإمامة و كونها من أسباب تكامل الإنسان، يعتبر في نفس الوقت تحذيرا لكل البشرية كي تدقق في انتخاب القيادة، و لا تعطي أزمّة وجودها الفكري و الحياتي بيد أي شخص كان. لذا تقسم الآية الناس يوم القيامة إلى قسمين: فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَ لَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا<sup>٨</sup>. أمّا القسم الآخر فهو: من كان في الدنيا أعمى القلب: وَ مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى. و طبيعي أن يكون هؤلاء العميان القلب أضل من جميع المخلوقات وَ أَضَلُّ سَبِيلًا فهؤلاء لا يوفقون في هذه الدنيا لسلوك طريق الهداية، و لا هم في الآخرة من أصحاب الجنّة و السعادة، لأنّهم أغمضوا عيونهم عن جميع الحقائق و حرّموا أنفسهم من رؤية الحق و آيات الله و كل ما يؤدي إلى هدايتهم، و يقود إلى خلاصهم من المواهب العظيمة التي أعطاهم الله إياها، و لأنّ الآخرة هي صورة منعكسة لوجود الإنسان في هذه الدنيا، إذن ليس ثمّة من عجب في أن يحشر هؤلاء العميان بنفس الصورة في يوم الحشر و القيامة...

### نستفيد من هذه البحوث

#### ١- دور القيادة في حياة البشر

الحياة الاجتماعية للبشر في الدنيا لا يمكن أن تنفصل عن القيادة أو أن تستغني عنها، لأنّ تحديد مسير مجموعة معينة يحتاج دائما إلى قيادة، و عادة لا يمكن سلوك طريق التكامل بدون وجود قيادة، و هذا هو سر إرسال الأنبياء و انتخاب الأوصياء لهم.

و في علوم العقائد و الكلام، يستفاد أيضا من (قاعدة اللطف) في إثبات لزوم بعث الأنبياء و لزوم وجود الإمام في كل زمان، و ذلك لأهمية دور القائد في تنظيم المجتمع، و منع الانحرافات، و بنفس المقدار الذي يقوم به القائد الإلهي و العالم و الصالح بإيصال الإنسان إلى هدفه النهائي بشكل سهل و سريع، فإن التسليم لقيادة أئمة الكفر و الضلال و الانقياد لهم يؤديان بالإنسان إلى الهاوية و الشقاء.

و قد تتضمن المصادر الإسلامية أحاديث متعدّدة توضح مفهومها و تبين الغرض من الإمامة.

ففي حديث تنقله الشيعة و السنة عن الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) بأسناد صحيحة أنّه نقل عن آبائه عن جدّه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)، حول تفسير هذه الآية قوله (صلى الله عليه و آله و سلم): «يدعى كل أناس بإمام زمانهم و كتاب ربهم و سنة نبيهم». ٩

و نقرأ عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) قوله: «ألا تحمدون الله! إذا كان يوم القيامة فدعي كل قوم إلى من يتولونه و دعينا إلى رسول الله و فرعتم إلينا فألى أين ترون يذهب بكم؟ إلى الجنة و رب الكعبة- قالها ثلاثا». ١٠

### ٢- تكريم بني آدم

(بني آدم) وردت في القرآن الكريم كعنوان للإنسان مقرونة بالمدح و الاحترام، في حين أنّ كلمة (إنسان) ذكرت مع صفات مثل: ظلم، جهول، هلوع، ضعيف، طاغي، و ما شابهها من الأوصاف. و هذا يدل على أن بني آدم صفة للإنسان المتربي، أو على الأقل الذي له استعدادات إيجابية (إن افتخار آدم و تفضيله على الملائكة يؤيد هذا المعنى لبني آدم). في حين أنّ كلمة (إنسان) وردت بشكل مطلق، و أحيانا تشير إلى الصفات السلبية. لذا فإنّ الآيات التي نبحتها استخدمت كلمة (بني آدم) لأنّ الحديث فيها هو عن الكرامة و أفضلية الإنسان.

### ٣- دور القيادة في الإسلام

في الحديث المعروف عن الإمام محمد بن علي الباقر (عليهما السلام) ينقل أنّه عند ما كان يتحدث عن الأركان الأساسية في الإسلام ذكر (الولاية) كخامس و أهم ركن، في حين الصلاة التي توضح العلاقة بين الخالق و الخلق، و الصيام الذي هو رمز محاربة الشهوات، و الزكاة التي تحدّد العلاقة بين الخلق و الخالق، و الحج الذي يكشف الجانب الاجتماعي في الإسلام، اعتبرت الأركان الأربعة الأساسية الأخرى. ثم يضيف الإمام الباقر (عليه السلام): «و لم يناد بشيء كما نودي بالولاية».

لمادا؟ لأنّ تنفيذ الأركان الأخرى لن يتحقق إلّا في ظل هذا الأصل، أي في ظل الولاية ١١.

و لهذا السبب بالذات روي عن الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله و سلم) قوله «من مات بغير إمام مات ميتة الجاهلية» ١٢.

التاريخ يشهد أنّ بعض الأمم تكون في الصف الأوّل بين دول العالم و أممها بسبب قيادتها العظيمة و الكفوءة، و لكن نفس الأمة تنهار و تسقط في الهاوية، برغم امتلاكها لنفس القوى البشرية و المصادر الأخرى، إذا كانت قيادتها ضعيفة و غير كفوءة.

ثم ألم يكن عرب الجاهلية غارقين في جهلهم و فسادهم و ذلهم و انحطاطهم، و كانوا نهشة الآكل، بسبب عدم امتلاكهم لقائد كفوء، و لكن ما إن ظهرت القيادة الإلهية الرّبانية المتمثلة بالهادي محمد (صلى



اللّه عليه وآله و سلم) حتى سلك نفس القوم طريق العظمة و التكامل بسرعة كبيرة بحيث أدهش العالم، و هذا يكشف عن دور القائد في ذلك الزمان و هذا الزمان و في كل زمان. طبعاً لقد جعل اللّه للبشرية قائداً لإنقاذ و هداية البشر في كل عصر و زمان، حيث تقتضي حكمته أن لا تطبق السعادة إلا مع وجود ضامن تنفيذي لها. و المهم أن تتعرف المجتمعات على قيادتها و أن لا يقعوا في شباك القادة الضالين و الفاسدين، حيث تكون النجاة من مخالفتهم أمراً صعباً للغاية.

و هذه هي فلسفة عقيدة الشيعة بضرورة وجود إمام معصوم في كل زمان، كما يقول الإمام علي (عليه السلام): «اللهم بلى لا تخلوا الأرض من قائم لله بحجة، إمّا ظاهراً مشهوراً و إمّا خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج اللّه و بيناته» ١٣.

#### ٤- عميان القلوب

في القرآن الكريم تعابير لطيفة في وصف المشركين و الظالمين، حيث يصفهم هنا ب (الأعمى) و هذا الوصف كناية عن الحقيقة التي تقول بأن الحق يكون واضحاً دوماً و في تناول البصر إذا كانت هناك عين بصيرة تنظر، العين التي تشاهد آيات اللّه في هذا العالم الواسع، العين التي تعتبر الدروس المكتوبة على صفحات التاريخ؛ العين التي تشاهد عاقبة الظالمين و المستكبرين، العين التي تنظر الحق دون غيره.

أمّا عند ما تكون هناك ستائر و حجب الجهل و الغرور و التعصب و العناد و الشهوة أمام هذه العين، فإنّها لا تستطيع مشاهدة جمال الحق بالرغم من أنّه غير محجوب بستار.

وفي حديث عن الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير الآية نقرأ: «من لم يبدله خلق السماوات و الأرض، و اختلاف الليل و النهار، و دوران الفلك و الشمس و القمر و الآيات العجيبات، على أن وراء ذلك أمر أعظم منه، فهو في الآخرة أعمى و أضل سبيلاً» ١٤.

على أي حال فإنّ عالم القيامة، هو انعكاس لهذا العالم في كل ما يحويه وجودنا من أفكار و مواقف و مشاعر و أعمال. لذلك نقرأ في الآيات ١٢٤-١٢٦ من سورة طه، قوله تعالى: «وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا. قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى.

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

#### المراجع والمصادر

(الشعراوي، ١٩٩١، ص ٦).

(الحجرات، الآية ١٣)

(العالمي، ٢٠٠٨، ص ١٢).

(قمر، ٢٠٠٨، ص ٨٥).

(العالمي، ٢٠٠٨، ص ٢٢٣).

نور الثقلين، المجلد الثالث، صفحة ١٨٨.

الإنسان ذلك المجهول، الكسيس كارل، ص ٧٣-٧٤.

(فتيل) تعني الخيط الرقيق الموجود في شق نوى التمر، وفي المقابل فإن(نقير) تعني مؤخرة نوى التمر، بينما تعني(قطمير) الطبقة الرقيقة التي تغطي نوى التمر. وكل هذه التعبيرات كناية عن الشيء الصغير جدًا و المحقير.

مجمع البيان عند تفسير الآية.

المصدر السابق.

قال الباقر عليه السلام « بني الإسلام على خمس، على الصلاة، و الزكاة، و الصوم، و الحج، و الولاية، و لم يناد

بشيء كما نودي بالولاية» عن أصول الكافي، ج ٢، ص ١٥.

عن نور الثقلين، المجلد الثالث، صفحة ١٩٤، و كذلك مصادر أخرى.

نهج البلاغة، الكلمات القصار ١٤٧.

تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ١٩٦.

## مناظرة الإمام الرضا مع اليهود والنصارى والزرادشت: الإمام الرضا يرد على اليهود والنصارى والمجوس والقائلين بالنشوء الطبيعي

أحمد راسم النفيس<sup>١</sup>

### ملخص جهاد التبیین

مناظرة الإمام الرضا مع اليهود والنصارى والمجوس والقائلين بالنشوء الطبيعي برز في الآونة الأخيرة مصطلح جهاد التبیین ونعني بها مقارعة الحجة بالدليل سعيًا لإظهار قواعد الحق (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) الرعد. (١٤) ما أشبه اللبلة بالبارحة وقد تكالب أعداء الإسلام المحمدي العلوي لوأده وإطفاء نوره قديما وحديثا والآن يواصلون تحت قيادة اليهودي العالمي.

للمناظرات الفكرية العلنية أهميتها البالغة فهي تكشف للناس حقائق جوهرية عبر البث المباشر ربما فاتت على القارئ الكسول وتنسف الصورة الذهنية المزيفة التي تحيط بتلك الطواويس الفارغة التي تخلو من أي قيمة اللهم إلا ذلك الريش الزاهي والملون!!

مارس أئمة أهل البيت عليهم السلام وأوسطهم طريقة الإمام الرضا جهاد التبیین وقارعوا الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان ونستعرض هنا كيف واجه الإمام صنوف الانحراف الفكري والعقائدي. يحكي لنا التاريخ أن المأمون العباسي تصور أن بوسعه دفع مكانة الإمام الرضا للاهتزاز عبر تحشيد أصحاب الديانات المتنوعة لمناظرته إلا أن الإمام وارث علم الأنبياء أثبت للجميع رسوخ علمه وعلو مقامه. استشار الإمام المحيطين به فقال: (يا نوفلي أتخاف أن يقطعوا علي حجتي؟! قلت: لا. والله ماخفته عليك قط، واني لأرجو ان يظفرك الله بهم ان شاء الله) مشيرا إلى ندم المأمون المتوقع (فقال لي: أتحب أن تعلم متى يندم المأمون؟ قلت: نعم. قال: إذا سمع احتجاجي على أهل التوراة بتوراتهم، وعلى أهل الانجيل بانجيلهم، وعلى أهل الزبور بزبورهم، وعلى الصابئين بعبرانيتهم، وعلى الهراينة بفارسيتهم، وعلى أهل الروم بروميتهم، وعلى أهل المقالات بلغاتهم، فإذا قطعت كل صنّف، ودحضت حجته، وترك مقالته، ورجع إلى قولتي، علم المأمون ان الذي هو بسبيله ليس بمستحق له، فعند ذلك تكون الندامة منه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم).

كان أول المتناظرين هو الجاثليق (رئيس أساقفة النصارى) الذي خاطب الإمام قائلاً: أليس انما تقطع الاحكام بشاهدي عدل؟ قال: بلى. قال: فاقم شاهدين من غير أهل ملتك على نبوة محمد، ممن لا تنكره النصرانية ولسنا مثل ذلك من غير أهل ملتنا. قال الرضا عليه السلام: الان جئت بالنصفه يا نصراني! ألا تقبل مني العدل والمقدم عند المسيح عيسى بن مريم عليه السلام؟ قال الجاثليق: ومن هذا العدل سمه لي؟ قال: ما تقول في (يوحنا) الديلمي؟ قال: بخ بخ ذكرت أحب الناس إلى المسيح. قال: أقسمت عليك هل نطق الانجيل ان يوحنا قال: ان المسيح أخيرني بدين محمد العربي ويشرني به انه يكون من بعدي، فبشرت به الحواريين فأمنوا به؟ قال الجاثليق: قد ذكر ذلك يوحنا عن المسيح، وبشر بنبوة رجل واهل بيته ووصيه وأهل بيته، ولم يلخص متى يكون ذلك، ولم يسم لنا القوم فنعرفهم.

قال الرضا عليه السلام: فان جئناك بمن يقرأ الانجيل فتلا عليك ذكر محمد واهل بيته وأمه أتؤمن به؟ قال: أمر سديد. قال الرضا لنسطاس الرومي: كيف يكون حفظك للسفر الثالث من الانجيل؟ قال: ما أحفظني له، ثم التفت إلى رأس الجالوت فقال عليه السلام: أليست تقرأ الانجيل؟ قال: بلى لعمرى. قال: فخذ علي السفر الثالث، فان كان فيه ذكر محمد وأهل بيته وامته فاشهدوا لي، وان لم يكن فيه ذكره فلا تشهدوا لي! ثم قرأ السفر الثالث حتى بلغ ذكر النبي صلى الله عليه وآله وقف ثم قال: يا نصراني اني اسألك بحق المسيح وامه أتعلم اني عالم بالانجيل؟ قال: نعم. ثم تلا علينا ذكر محمد وأهل بيته وامته، ثم قال: ما تقول يا نصراني؟ هذا قول عيسى بن مريم، فان كذبت ما نطق به الانجيل فقد كذبت موسى وعيسى عليهما السلام، ومتى أنكرت هذا الذكر وجب عليك القتل، لانك تكون قد كفرت بربك ونبيك وبكتابك. قال الجاثليق: لا انكر ما قد بان لي من الانجيل، وانني لمقر به. قال الرضا عليه السلام: اشهدوا على اقراره!

ثم جاء دور المتفلسفين القائلين بالنشوء والارتقاء والتطور الطبيعي وقد حكى القرآن الكريم عن هؤلاء المنكرين لحكمة الخالق وتدبيره كلام عمران الصابي نفسه أو قريباً منه وهو ما اعتمده شارلر داروين من الزعم أن الأجناس والأنواع نشأ بعضها من بعض تحت تأثير العامل الطبيعي وهو ما تكفل الإمام الرضا عليه السلام بإبطاله بقوله إن (الخلق يمسك بعضه بعضاً، ويدخل بعضه في بعض، ويخرج منه. والله جل وتقدس بقدرته يمسك ذلك كله، وليس يدخل في شيء، ولا يخرج منه ولا يؤده حفظه، ولا يعجز عن امساكه، ولا يعرف أحد من الخلق كيف ذلك إلا الله عزوجل، ومن اطلعه عليه من رسله واهل سره، والمستحفظين لامره، وخرانه القائمين بشريعته، وانما أمره كلمح البصر أو هو أقرب، إذا شاء شيئاً فانما يقول له: (كن) فيكون بمشيئته وارادته، وليس شيء من خلقه أقرب إليه من شيء، ولا شيء أبعد منه من شيء) وذلك معنى قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ خَلِيفًا غَفُورًا) فاطر (٤١).

انتهت المناظرة بعلو حجة الإمام الرضا عليه السلام وانضمام الكثير من الجمهور لصف الولاء لأئمة أهل البيت - ومنهم عمران الصابي - فهم باب علم رسول الله وخرانته علمه والنبع الصافي الذين طهرهم الله وأذهب عنهم الرجس والجهل والتخبط والقول بغير دليل ولا برهان.

## البحث

ما أشبه الليلة بالبارحة وقد تكالب أعداء الإسلام المحمدي العلوي لوأده وإطفاء نوره قديما وحديثا والآن يواصلون القيام بنفس المهمة تحت قيادة اليهودي العالمي.

كان لي شرف خوض المناظرات مع الوهابيين الأقحاح وغيرهم منزوعي الأدمغة المزهوين بريشهم الصناعي الملون من الأخسرين أعمالا ممن ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

أذكر أن صديقا مصرياً من الأقباط سألتني قبل عشرة أعوام: لماذا لم تعد تظهر كثيرا على الشاشات كما كان من قبل؟ قلت له لا أعرف!! قال هم يأتون بك، ثم يندمون فلا يكررونها!!.

للمناظرات الفكرية العلنية أهميتها البالغة فهي تكشف للناس حقائق جوهرية عبر البث المباشر ربما فاتت على القارئ الكسول وتنسف الصورة الذهنية الحقيقية للطرف الآخر وتسقط الهالة المزيفة التي تحيط بتلك الطواويس الفارغة التي تخلو من أي قيمة اللهم إلا ذلك الريش الزاهي والملون!!.

سمعنا كثيرا عن الحروب الناعمة والمعارك الفكرية وأهمية جهاد التبيين إلا أننا لم نرى ما يكفي من التصدي الفكري لهذا النوع من المعارك فما زال الصوت الأعلى في الساحات لفلول التيارات الفكرية المنقرضة سواء تلك المادية أو الملتحفة بالإسلام الوهابي (وقد خاب من حمل ظلما)!!.

بين أيدينا تلك المناظرة التي جرت بين الإمام الرضا عليه السلام ورؤوس اليهود والنصارى وأصحاب نظرية النشوء والتطور الطبيعي وهي تحتاج إلى أكثر من بحث، كتاب أو عدة كتب.

روي الحسن بن محمد النوفلي انه قال: 'لما قدم علي بن موسى الرضا صلوات الله عليه على المأمون، أمر الفضل بن سهل أن يجمع له أصحاب المقالات، مثل: الجائليق، ورأس الجالوت، ورؤساء الصابئين، والهريد الأكبر، واصحاب زردشت ونسطاس الرومي، والمتكلمين ليسمع كلامه وكلامهم، فجمعهم الفضل بن سهل، ثم أعلم المأمون باجتماعهم فقال: ادخلهم علي ففعل، فرحب بهم المأمون ثم قال لهم: انما جمعتمكم لخبر، واحببت أن تناظروا ابن عمي هذا المدني القادم علي، فإذا كان بكرة فاغدوا علي ولا يتخلف منكم أحد.'

## أرسل المأمون إلى الإمام الرضا عليه السلام يعرض عليه الأمر فوافق

قال النوفلي: فلما مضى ياسر خادم المأمون التفت اليه الإمام فقال لي: يا نوفلي، فما عندك في جمع ابن عمي علينا أهل الشرك واصحاب المقالات؟ فقلت: جعلت فداك يريد الامتحان، ويحب أن يعرف ما عندك، ولقد بنى على أساس غير وثيق البنين، وبس والله ما بنى. فقال لي: وما بناؤه في هذا الباب؟ قلت: ان اصحاب الكلام والبدع خلاف العلماء، وذلك: ان العالم لا ينكر غير المنكر، واصحاب المقالات والمتكلمون وأهل الشرك أصحاب إنكار ومباهنة ان احتججت عليهم بأن الله واحد قالوا: صحح وحدانيته، وان قلت: ان محمدا صلي الله عليه وآله رسول، قالوا: ثبت رسالته، ثم يباهتون الرجل ويغالطونه حتى يترك قوله، فاحذرهم جعلت فداك!!.

قال: فتبسّم ثم قال لي: يا نوفلي أتخاف أن يقطعوا علي حجتي؟! قلت: لا. والله ماخفته عليك قط، واني لارجو ان يظفرك الله بهم ان شاء الله. فقال لي: يا نوفلي أتحب أن تعلم متى يندم المأمون؟ قلت: نعم. قال: إذا سمع احتجاجي على أهل التوراة بتوراتهم، وعلى أهل الانجيل بانجيلهم، وعلى أهل الزبور بزبورهم، وعلى

الصائبين بعبرانيتهم، وعلى الهرايدة بفارسيتهم، وعلى أهل الروم بروميتهم، وعلى أهل المقالات بلغاتهم، فإذا قطعت كل صنف، ودحضت حجته، وترك مقالته، ورجع إلى قلبي، علم المأمون ان الذي هو بسبيله ليس بمستحق له، فعند ذلك تكون الندامة منه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

تماما مثلما قال صديقنا القبطي!!

القوم لا يؤمنون بشيء وليس لهم برهان أو دليل سوى الجدل بالباطل ليدحضوا به الحق (وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا) الكهف (٥٦) .

مناظرة الإمام الرضا مع الجاثليق

يذكر موقع سانت نكلا القبطي في معنى (الجاثليق) : وبالإنجليزية: General: كلمة "جاثليق" هي كلمة أرمينية من أصل يوناني هو καθολικός (كاثوليكيوس) . وتفيد معاجم اللغة أن الكلمة تعني "متقدم الأساقفة" أي المشرف على أكثر من أسقفية محلية، ويكون تابعاً للبطيريك الذي هو رئيس جميع الإكليروس. وكانت كلمة "جاثليق" تُطلق على كبار الأساقفة الذين يمنعه طول المسافات بين مقرهم ومقر البطيريك الذي يتبعونه من الاتصال به في كل أمر، فصار لهم التصرف شبه المُطلق في تدبير شؤون رعيتهم. وكان هناك كثيرون من "الجاثليق" في العراق تحديداً.

التفت المأمون إلى الجاثليق فقال: يا جاثليق! هذا ابن عمي علي بن موسى بن جعفر وهو: من ولد فاطمة بنت نبينا صلى الله عليه وآله، وابن علي بن أبي طالب عليه السلام، فاحب أن تكلمه وتواجه وتصنفه. فقال الجاثليق: يا أمير المؤمنين كيف احاج رجلا يحاج علي بكتاب أنا منكره، ونبي لا أومن به؛ فقال الرضا عليه السلام يا نصراني فان احتججت عليك بانجيلك أتقر به؟ قال الجاثليق: وهل اقدر على دفع ما نطق به الإنجيل، نعم والله اقر به على رغم أنفي.

فقال له الرضا عليه السلام: سل عما بدا لك واسمع الجواب. قال الجاثليق: ما تقول في نبوة عيسى وكتابه هل تنكر منهما شيئاً؟ قال الرضا عليه السلام: أنا مقر نبوة عيسى وكتابه، وما بشر به امته، وأقرت به الحواريون، وكافر بنبوة كل عيسى لم يقر بنبوة محمد وكتابه، ولم يبشر به امته! قال الجاثليق: أليس انما تقطع الاحكام بشاهدي عدل؟ قال: بلى. قال: فأقم شاهدين من غير أهل ملتك على نبوة محمد، ممن لا تنكره النصرانية ولسنا مثل ذلك من غير أهل ملتنا. قال الرضا عليه السلام: الان جئت بالنصفة يا نصراني! ألا تقبل مني العدل والمقدم عند المسيح عيسى بن مريم عليه السلام؟ قال الجاثليق: ومن هذا العدل سمه لي؟ قال: ما تقول في (يوحنا) الديلمي؟ قال: يخ يخ ذكرت أحب الناس إلى المسيح. قال: أقسمت عليك هل نطق الانجيل ان يوحنا قال: ان المسيح أخبرني بدين محمد العربي وبشرني به انه يكون من بعدي، فبشرت به الحواريين فأمنوا به؟ قال الجاثليق: قد ذكر ذلك يوحنا عن المسيح، وبشر بنبوة رجل واهل بيته ووصيه واهل بيته، ولم يلخص متى يكون ذلك، ولم يسم لنا القوم فنعرههم.

قال الرضا عليه السلام: فان جئناك بمن يقرأ الانجيل فتلا عليك ذكر محمد واهل بيته وأمهته أتؤمن به؟ قال: أمر سديد. قال الرضا لنسطاس الرومي: كيف يكون حفظك للسفر الثالث من الانجيل؟ قال: ما أحفظني

له، ثم التفت إلى رأس الجالوت<sup>١</sup> فقال عليه السلام: أأست تقرأ الانجيل؟ قال: بلى لعمري. قال: فخذ علي السفر الثالث، فان كان فيه ذكر محمد وأهل بيته وامته فاشهدوا لي، وان لم يكن فيه ذكره فلا تشهدوا لي! ثم قرأ السفر الثالث حتى بلغ ذكر النبي صلى الله عليه وآله وقف ثم قال: يا نصراني اني اسألك بحق المسيح وامه أتعلم اني عالم بالانجيل؟ قال: نعم. ثم تلا علينا ذكر محمد وأهل بيته وامته، ثم قال: ما تقول يا نصراني؟ هذا قول عيسى بن مريم، فان كذبت ما نطق به الانجيل فقد كذبت موسى وعيسى عليهما السلام، ومتى أنكرت هذا الذكر وجب عليك القتل، لانك تكون قد كفرت بربك ونبيك وكتابك. قال الجاثليق: لا انكر ما قد بان لي من الانجيل، واني لمقر به. قال الرضا عليه السلام: اشهدوا على اقراره!.

هل كان عيسى عليه السلام عابدا أم معبودا؟

ثم قال: يا جاثليق سل عما بدا لك! قال الجاثليق: اخبرني عن حوار عيسى بن مريم، كم كان عدتهم، وعن علماء الانجيل كم كانوا؟ قال الرضا عليه السلام: على الخبير سقطت. اما الحواريون فكانوا اثني عشر رجلا، وكان أفضلهم وأعلمهم (لوقا) واما علماء النصارى فكانوا ثلاثة رجال (يوحنا) الأكبر - يا حي - (ويوحنا) بقرقيسيا (ويوحنا) الديلمي بزخار وعنده كان ذكر النبي صلى الله عليه وآله، وذكر أهل بيته، وهو الذي بشر امة عيسى وبني اسرائيل به.

ثم قال: يا نصراني والله انا لنؤمن بعيسى الذي آمن بمحمد صلى الله عليه وآله. وما ننقم على عيسى شيئا إلا ضعفه وقلة صيامه وصلاته. قال الجاثليق: أفسدت والله علمك، وضعفت أمرك، وما كنت ظننت إلا انك أعلم أهل الاسلام. قال الرضا عليه السلام: وكيف ذلك؟! قال الجاثليق: من قولك ان عيسى كان ضعيفا، قليل الصيام والصلاة، وما أظفر عيسى يوما قط، وما نام بليل قط، وما زال صائم الدهر قائم الليل.

قال الرضا عليه السلام: فلمن كان يصوم ويصلي؟ فخرس الجاثليق وانقطع.

تعليق: ينكر أغلب النصارى أن ثمة نص يشير إلى أن المسيح عليه السلام أشار إلى نبوة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله ونحن إذا في مواجهة أسلوب المماطلة والتشويش والتشكيك ثم يذهبون إلى الجزم بأن نبوة عيسى عليه السلام كانت هي الخاتمة حيث تجسد الله بنفسه في المسيح الإله ليفدي البشرية من خطاياها ويمنحها الملكوت الأبدى وبالتالي فمجيئه مثل الخلاص النهائي للبشرية بأسرها!!.

إن لم يكن هو فمن هو؟!

نعتقد أن الإيمان بنبوة محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وآله يقدم إجابة شافية وافية على بعض الأسئلة الكبيرة التي لا يمكن لها أن تبقى معلقة بلا رد أو جواب.

من هو يوحنا الديلمي؟

### ذكر الإمام الرضا (يوحنا الديلمي) وهو حسب المصادر المسيحية

مار يوحنا الديلمي هو قديس وراهب من حديثة بنينوى، اشتهر صيته، وخط الكثير من المؤرخين سيرته آخرهم نوح الأنباري. وكان حتى جاز (من الجواز) للراهب يوحنا الديلمي بالتبشير العلني، وبناء الأديرة والكنائس، وأن صاحبه الحجاج بن قيس الحيري (زود يوحنا بكتاب توصية إلى ولاة البلاد بمساعدته، وإسعاف طلبه، ولم

يعارضه أحد حتى بلغ قرية بغدادا (شرقي نينوى). وفي الصراع بين الممضيين، النسطوري واليعقوبي، (تبننت الحيرة الممضى الشرقي أسوة بكنيسة فارس كلها، إلا أن المنوفيزيين (اليعاقبة) حاولوا الانتشار فيها، وقد قام سمعان الأرشمي بجهود كبيرة في هذا الشأن، واكتسب عدداً من الموالين للمنوفيزية، حتى صار لهم أسقف هناك باستمرار بين سنة ٥٥١م و٦٥٠م، إلا أن المنوفيزيين ظلوا في الحيرة الأقلية إزاء الأغلبية النسطورية الساحقة). ومع أن العلاقة بين مملكتي المناذرة النسطورية في العراق والغساسنة اليعقوبية في الشام كانت ظلاً لما يدور بين الإمبراطوريتين، الرومية والساسانية، لكن اختلاف الممضى بين المملكتين دوره المؤثر أيضاً.. ليوحنا دير صغير شمال بلدة قره قوش/بغديدا المسيحية قرب الموصل تم ترميمه عام ١٩٩٨، وله كنيسة عهدت باسمه تحولت لمسجد الشطبية بعد إسلام أهل تلك المنطقة.

تحدثت المصادر الإسلامية عن يوحنا الديلمي بصيغتين الأولى تدل على أنه يوحنا الإنجيلي وهذا خطأ والثانية تدل على أنه يوحنا الديلمي هذا وقد ورد: "أما فهماء النصارى فكانوا ثلاثة رجال: يوحنا الأكبر بأج (مكان) ويوحنا بقرقيسا ويوحنا الديلمي بزجار، وعنده كان ذكر النبي صلى الله عليه وآله، وذكر أهل بيته وأمه، وهو الذي بشرامة عيسى وبني إسرائيل به".

معلوم أن الصراع العقائدي بين النصارى بأطيافهم المتنوعة وتحديدًا بين النساطرة واليعاقبة حول طبيعة المسيح تسبب في قتل وإبادة الكثير منهم مما يخرج عن إطار هذا البحث.

من هو رأس الجالوت؟

رأس الجالوت (عبري: ראש גולגות) و (آرامي: ראש גולגות) وتلفظ بالآرامية <<ريش جالوتنا>> وهي لفظة بالآرامية تعني رأس الجالية، وعنها أخذ العرب لفظة رأس الجالوت. وهو اسم الحاكم على اليهود بعد خراب بيت المقدس.

منذ أن استقر اليهود في بابل بعد سبي نبوخذنصر، كانوا يولون بأمرهم عميدا يرجعون إليه في أمورهم وينيطون به تنظيم شؤون جماعاتهم الغفيرة، وكان اليهود يطلقون على هذا العميد لقب رأس الجالوت، ومن مهامه الإشراف على أمور طائفته وسير إدارتها وتعيين قضاتها وتعيين مقدار الضرائب ورعاية الأيتام اليهود وتحرير من سبي أو استعبد من اليهود وتحسين العلاقات بين الجالية اليهودية والسلطة الحاكمة كما كانت من مهامه محاولة إرجاع النسل الملكي إلى العرش مرة أخرى.

### منصب رأس الجالوت

كانت التقاليد تقضي بأن يكون رأس الجالوت من آل الملك داود وأن ينتقل منصبه إلى الذكور من ذريته، وإذا مات بلا عقب انتقل منصبه إلى من فيه الكفاءة من أبناء أسرته، وكان يطلق عليه لقب أمير، ويمتاز بالصلاحات الملكية على أبناء الجالية اليهودية، وله حظوة ومقام عند الملوك، وعلى جانب عظيم من الحكمة والفقه بأحكام التوراة، ويمتلك العقارات الواسعة والبساتين وأكثرها مما ورثه عن أجداده وله إيراد سنوي عظيم عدا الهدايا التي تتوارد عليه من البلدان القصية فهو على ذلك واسع الثروة.



وكان يسميه المسلمون «سيدنا ابن داود» لأن بيده وثيقة تثبت انتهاء نسبه إلى الملك داود. وقد ضمن الخلفاء الراشدون لليهود، الأمان والحرية الدينية ولم يلزمهم بأكثر من جزية يدفعونها إلى بيت المال. وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب تولى رئاسة الجالوت بسنتاي بن حنيناي سليل رؤساء الجالوت الأقدمين من آل داود، فأقره الخليفة في منصبه بكتاب عهد وجه إليه، فعادت لليهود حرمتهم الدينية وانتظمت إدارتهم الداخلية (640م). ويروي مؤرخو اليهود أنه عندما مر أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب بمدينة فيروز شابور خرج لاستقباله مار إسحاق رأس ميثية فومبيدثة بجمع غفير من اليهود يبلغ تسعين ألفاً، فأكرم أمير المؤمنين وفادته وأقره في منصبه، واستمرت الحالة على هذا المنوال طوال أيام حكم الدولة الأموية ولما تأسست الدولة العباسية أدرك اليهود عزا وبسطة في العيش في صدر الدولة العباسية، غير أن حالتهم ساءت كثيراً في خلافة المتوكل، إذ إنه أغلظ معاملة أهل الذمة وبعد فترة دامت مائة سنة، آل عرش الخلافة العباسية إلى المقتدي لأمر الله محمد (556/555-531). هـ. و ١١٣٦ - ١١٦٠ م). فقرر هذا الخليفة إعادة رئاسة الجالوت إلى سابق ما كانت عليه من رفعة ومقام فتنعمت الجالية اليهودية بالرفاهة والعلم والثراء في ظل الخلافة الوارث. وتقضي التقاليد المرعية بين اليهود والمسلمين وسائر أبناء الرعية بالنهوض أمام رأس الجالوت وتحيته عند مروره بهم وعندما يخرج رأس الجالوت لمقابلة الخليفة يسير معه الفرسان من اليهود والمسلمين ويتقدم الموكب مناد ينادي بالناس: «اعملوا الطريق لسيدنا ابن داود» ويكون الرئيس ممثلاً صهوة جواده وعليه حلة من حرير مقصب، وعلى رأسه عمامة كبيرة تتدلى منها قطعة قماش مربوطة بسلسلة منقوش عليها شعار الخليفة...<sup>1</sup>

هل كل من أحيى الموتى صار إليها يعبد من دون الله؟

ماذا عن اليسع؟

قال الرضا عليه السلام: يا نصراني اني اسألك عن مسألة قال: سل! فان كان عندي علمها اجبتك. قال الرضا عليه السلام: ما انكرت ان عيسى كان يحيى الموتى باذن الله. قال الجاثليق: انكرت ذلك من قبل، ان من أحيى الموتى وابتأ الأكمة والابرص، فهو: (رب) مستحق لان يعبد. قال الرضا صلوات الله عليه: فان اليسع قد صنع مثل ما صنع عيسى عليه السلام، مشى على الماء، وأحيى الموتى، وابتأ الأكمة والابرص، فلم لا تتخذة امته ربا ولم يعبده أحد من دون الله عزوجل.

ولقد صنع حزقيال النبي مثل ما صنع عيسى ابن مريم، فأحيى خمسة وثلاثين الف رجل من بعد موتهم بستين سنة ثم التفت إلى رأس الجالوت فقال: يا رأس الجالوت! أتجد هؤلاء في شباب بني اسرائيل في التوراة، اختارهم (بخت نصر) من سبي بني اسرائيل حين غزا بيت المقدس، ثم انصرف بهم إلى بابل فأرسله الله عز وجل إليهم فأحياهم، هذا في التوراة لا يدفعه إلا كافر منكم؟ قال رأس الجالوت: قد سمعنا به وعرفناه. قال: صدقت، ثم قال: يا يهودي خذ علي هذا السفر من التوراة، فتلا عليه من التوراة آيات، فأقبل اليهودي يترجح لقراءته، ويتعجب ثم أقبل على النصراني فقال: يا نصراني أفهؤلاء كانوا قبل عيسى أم عيسى كان قبلهم؟ قال: بل كانوا قبله. قال الرضا عليه السلام: لقد اجتمعت قريش إلى رسول الله فسألوه أن يحيى لهم موتاهم، فوجه معهم علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له: (اذهب إلى الجبانة، فناد بأسماء هؤلاء الرهط الذين يسألون

1 <https://n9.cl/t5ssen>

عنهم بأعلى صوتك، يا فلان، ويا فلان، ويا فلان يقول لكم رسول الله محمد قوموا باذن الله) فناداهم فقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم، فأقبلت قريش تسألهم عن امورهم، ثم اخبروهم أن محمدا قد بعث نبيا فقالوا: ودنا أن أدركناه فنؤمن به، ولقد أبرأ الاكمه والابرص والمجانين، وكلمته البهائم والطير والجن والشياطين، ولم نتخذة ربا من دون الله، ولم ننكر لاحد من هؤلاء فضلهم، فان اتخذتم عيسى ربا جاز لكم أن تتخذوا اليسع وحزقيل ربين، لانهما قد صنعا مثل ما صنع عيسى بن مريم: من احياء الموتى وغيره، ثم ان قوما من بني اسرائيل خرجوا من بلادهم من الطاعون وهم الوف حذر الموت فأماتهم الله في ساعة واحدة، فعمد أهل القرية فحفظوا عليهم حظيره، فلم يزلوا فيها حتى نخرت عظامهم وصاروا رميما، فمر بهم نبي من أنبياء بني اسرائيل فتعجب منهم ومن كثرة العظام البالية، فأوحى الله إليه أتحب أن احييهم لك فتندرهم؟ قال: نعم. فأوحى الله إليه ان نادهم فقال: ايتها العظام البالية قومي باذن الله! فقاموا أحياء أجمعون ينفضون التراب عن رؤوسهم ثم ابراهيم خليل الله عليه السلام حين اتخذ الطير فقطعهن قطعاً، ثم وضع على كل جبل منهن جزءاً، ثم ناداهن فاقبلن سعيا إليه، ثم موسى بن عمران واصحابه السبعون الذين اختارهم صاروا معه إلى الجبل فقالوا له: انك قد رأيت الله فارنا! فقال لهم: اني لم أره. فقالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة فاحترقوا عن آخرهم فبقي موسى وحيدا. فقال: يا رب اخترت سبعين رجلا من بني اسرائيل فنجت بهم، فارجع أنا وحدي، فكيف يصدقني قومي بما اخبرهم به، فلو شئت اهلكتهم من قبل وإياي أقتلكننا بما فعل السفهاء منا؟ فأحياهم الله عز وجل من بعد موتهم، وكل شئ ذكرته لك من هذا لا تقدر على دفعه، لان التوراة والانجيل والزبور والفرقان قد نطقت به، فان كان كل من أحيى الموتى وأبرأ الاكمه والابرص، والمجانين يتخذ ربا من دون الله فاتخذ هؤلاء كلهم اربابا! ما تقول يا نصراني؟!

### فقال الجاثليق

القول قولك، ولا إله إلا الله. ثم التفت إلى رأس الجالوت فقال: يا يهودي اقبل علي أسألك بالعشر الايات التي انزلت على موسى بن عمران هل تجد في التوراة مكتوبا نبأ محمد صلى الله عليه وآله وامته إذا جاءت الامة الاخيرة أتباع راكب البعير، يسبحون الرب جدا جدا، تسيبها جديدا، في الكنائس الجدد فليفرح بنو اسرائيل إليهم والى ملكهم لتطمئن قلوبهم فان بأيديهم سيؤفقا ينتقمون بها من الامم الكافرة في أقطار الارض، هكذا هو في التوراة مكتوب؟ قال رأس الجالوت: نعم. انا لنجد ذلك كذلك. ثم قال للجاثليق: يا نصراني كيف علمك بكتاب أشعيا؟ قال: اعرفه حرفا حرفا. قال لهما: أتعرفان هذا من كلامه: يا قوم اني رأيت صورة راكب الحمار لابسا جلابيب النور، ورأيت راكب البعير ضوءه ضوء القمر؟ فقالا: قد قال ذلك أشعيا. قال الرضا عليه السلام: يا نصراني هل تعرف في الانجيل قول عيسى: اني اذهب إلى ربكم وربني، والبارا قليباً) جائي هو الذي يشهد لي بالحق كما شهدت له، وهو الذي يفسر لكم كل شئ، وهو الذي يبدي فضايح الامم، وهو الذي يكسر عمود الكفر؟ فقال الجاثليق: ما ذكرت شيئا من الانجيل إلا ونحن مقرون به.

فقال: أتجد هذا في الانجيل ثابتا؟ قال: نعم. قال الرضا عليه السلام: يا جاثليق ألا تخبرني عن الانجيل الاول حين افتقدتموه عند من وجدتموه؟ ومن وضع لكم هذا الانجيل؟ قال له: ما افتقدنا الانجيل إلا يوما واحدا حتى وجدناه غضا طريا فأخرجه الينا يوحنا ومتى. فقال الرضا عليه السلام: ما أقل معرفتك بسنن الانجيل وعلمائه، فان كان كما تزعم فلم اختلفتم في الانجيل؟ وانما الاختلاف في هذا الانجيل الذي في أيديكم

اليوم، فإن كان على العهد الأول لم تختلفوا فيه، ولكني مفيدك علم ذلك، اعلم: انه لما افتقد الانجيل الاول اجتمعت النصارى إلى علمائهم فقالوا لهم: قتل عيسى ابن مريم وافتقدنا الانجيل، وأنتم العلماء فما عندكم؟ فقال لهم الوقا ومرقانوس ويوحنا ومتى: ان الانجيل في صدورنا نخرجه اليكم سفرا سفرا، في كل احد، فلا تحزنوا عليه ولا تخلوا الكنائس، فانا سنتلوه عليكم في كل أحد سفرا سفرا حتى نجمعه كله. فقال الرضا عليه السلام: ان الوقا ومرقانوس ويوحنا ومتى وضعوا لكم هذا الانجيل بعد ما افتقدتم الانجيل الاول، وانما كان هؤلاء الاربعة تلاميذ تلاميذ الاولين. أعلمت ذلك؟ قال الجائليق: اما قبل هذا فلم أعلمه وقد علمته الان، وقد بان لي من فضل علمك بالانجيل وقد سمعت أشياء مما علمته شهد قلبي انها حق، واستزدت كثيرا من الفهم. فقال الرضا عليه السلام: فكيف شهادة هؤلاء عندك؟ قال: جائزة. هؤلاء علماء الانجيل، وكل ما شهدوا به فهو حق. قال الرضا عليه السلام - للمأمون ومن حضره من أهل بيته وغيرهم -: اشهدوا عليه ! قالوا: شهدنا.

### ثم قال للجائليق

يحق الابن وامه، هل تعلم أن (متى) قال في نسبة عيسى: ان المسيح بن داود بن ابراهيم بن اسحاق بن يعقوب بن يهود بن خضر بن خضرون؟ وقال (مرقانوس) -مرقص- في نسبة عيسى عليه السلام: انه كلمة الله أحلها في الجسد الادمي فصارت انسانا؟ وقال (الوقا لوقا): ان عيسى بن مريم وامه كانا انسانين من لحم ودم فدخل فيهما روح القدس؟ ثم انك تقول في شهادة عيسى على نفسه حقا أقول لكم انه لا يصعد إلى السماء إلا من نزل منها إلا راكب البعير خاتم الانبياء، فانه يصعد إلى السماء وينزل فما تقول في هذا القول؟ قال الجائليق: هذا قول عيسى لا ننكره. قال الرضا عليه السلام: فما تقول في شهادة الوقا ومرقانوس ومتى على عيسى وما نسبوا إليه؟ قال الجائليق: كذبوا على عيسى. قال الرضا عليه السلام: يا قوم أليس قد زكاهم وشهد انهم علماء الانجيل وقولهم حق. فقال الجائليق: يا عالم المسلمين احب أن تعفيني من أمر هؤلاء. قال الرضا عليه السلام: قد فعلنا. سل يا نصراني عما بدا لك! قال الجائليق: ليسألك غيري، فوالله ما ظننت أن في علماء المسلمين مثلك.

فالتفت الرضا عليه السلام إلى رأس الجالوت (كبير الحاخامات) فقال له: تسألني أو أسألك؟ قال: بل أسألك. ولست أقبل منك حجة إلا من التوراة، أو من الانجيل أو من زبور داود، أو ما في صحف ابراهيم وموسى. قال الرضا عليه السلام: لا تقبل مني حجة إلا بما تنطق به التوراة على لسان موسى بن عمران عليه السلام، والانجيل على لسان عيسى بن مريم عليه السلام، والزبور على لسان داود عليه السلام. قال رأس الجالوت: من أين تثبت نبوة محمد؟ قال الرضا عليه السلام: شهد نبوته موسى بن عمران، وعيسى بن مريم، وداود خليفة الله في الارض.

فقال له: ثبت قول موسى بن عمران! قال الرضا عليه السلام: تعلم يا يهودي ان موسى أوصى بني اسرائيل فقال لهم: انه سيأتيكم نبي من اخوانكم فيه فصدقوا، ومنه فاسمعوا، فهل تعلم أن لبني اسرائيل اخوة غير ولد اسماعيل، ان كنت تعرف قرابة اسرائيل من اسماعيل والنسب الذي بينهما من قبل ابراهيم عليه السلام؟ فقال رأس الجالوت: هذا قول موسى لا ندفعه. فقال له الرضا عليه السلام: هل جاءكم من اخوة بني اسرائيل غير محمد صلى الله عليه وآله؟ قال: لا. وفي العيون: فقال الرضا عليه السلام: أفليس قد صح هذا عندكم؟ قال: نعم. ولكني احب أن تصححه لي من التوراة. فقال له الرضا عليه السلام: هل تذكر التوراة تقول لكم: جاء النور من قبل طور سيناء، وأضاء للناس من جبل ساعير، واستعلن علينا من جبل فاران؟ قال رأس الجالوت: اعرف هذه الكلمات وما اعرف تفسيرها. قال الرضا عليه السلام: أنا أخبرك به اما قوله: جاء النور من قبل طور سيناء:

فذلك وحي الله تبارك وتعالى الذي أنزله على موسى على جبل طور سيناء، وأما قوله: وأضاء للناس في جبل ساعير، فهو: الجبل الذي أوحى الله عزوجل إلى عيسى بن مريم عليه السلام وهو عليه، وأما قوله: واستعلن علينا من جبل فاران: فذاك جبل من جبال مكة، وبينه وبينها يومان أو يوم. قال شعيا النبي - فيما تقول أنت واصحابك في التوراة - رأيت راكبين أضاء لهما الأرض، أحدهما على حمار، والآخر على جمل، فمن راكب الحمار ومن راكب الجمل؟ قال رأس الجالوت: لا اعرفهما فخيرني بهما ! قال: اما راكب الحمار فعيسى، واما راكب الجمل فمحمد صلى الله عليه وآله أتكر هذا من التوراة؟ قال: لا ما انكره.

قال الرضا عليه السلام: هل تعرف حيقوق النبي عليه السلام؟ قال: نعم. اني به لعارف ! قال: فانه قال - وكتابكم ينطق به -: جاء الله تعالى بالبيان من جبل فاران، وامتلات السماوات من تسييح احمد وامته، يحمل خيله في البحر كما يحمل في البر، يأتينا بكتاب جديد بعد خراب بيت المقدس، يعني بالكتاب: القرآن. أتعرف هذا وتؤمن به؟ قال رأس الجالوت: قد قال ذلك حيقوق النبي عليه السلام ولا ننكر قوله. قال الرضا عليه السلام: فقد قال داود عليه السلام في زبوره - وأنت تقرأه -: اللهم ابعث مقيم السنة بعد الفترة، فهل تعرف نبيا اقام السنة بعد الفترة غير محمد صلى الله عليه وآله؟ قال رأس الجالوت: هذا قول داود نعرفه ولا ننكره، ولكن عنى بذلك: عيسى وامامه هي الفترة. قال الرضا عليه السلام: جهلت ان عيسى لم يخالف السنة، وكان موافقا لسنة التوراة، حتى رفعه الله إليه، وفي الانجيل مكتوب: ان ابن البرة ذاهب و (الفارقليطا) جائي من بعدي، هو يخف الاصار، ويفسر لكم كل شيء، ويشهد لي كما شهدت له، أنا جئتمكم بالامثال وهو ياتيكم بالتأويل، أتؤمن بهذا في الانجيل؟ قال: نعم. لا انكره. قال الرضا عليه السلام: اسألك عن نبيك موسى بن عمران عليه السلام. فقال: سل ! قال: ما الحججة على ان موسى ثبتت نبوته؟ قال اليهودي: انه جاء بما لم يجرى أحد من الانبياء قبله. قال له عليه السلام: مثل ماذا؟ قال: مثل فلق البحر، وقلبه العصا حية تسعي، وضربه الحجر فانفجر منه العيون واخرجه يده بيضاء للناظرين، وعلامات لا يقدر الخلق على مثلها. قال له الرضا عليه السلام: صدقت في انها كانت حجته على نبوته، انه جاء بما لا يقدر الخلق على مثله، أفليس كل من ادعى أنه نبي وجاء بما لا يقدر الخلق على مثله وجب عليكم تصديقه؟ قال: لا. لان موسى لم يكن له نظير لمكانه من ربه وقربه منه، ولا يجب علينا الاقرار بنبوة من ادعاها حتى يأتي من الاعلام بمثل ما جاء. قال الرضا عليه السلام: فكيف أقرتم بالانبياء الذين كانوا قبل موسى، ولم يفلقوا البحر ولم يفجروا من الحجر اثنتي عشر عينا، ولم يخرجوا ايديهم مثل اخراج موسى يده بيضاء، ولم يقلبوا العصا حية تسعي؟ ! قال له اليهودي: قد خبرتك انك متى جاؤا على نبوتهم من الآيات بما لا يقدر الخلق على مثله ولو جاؤا بمثل ما لم يجرى به موسى، أو كانوا على ما جاء به موسى وجب تصديقهم. قال الرضا عليه السلام: يا رأس الجالوت ! فما يمنحك من الاقرار بعيسى بن مريم، وكان يحيي الموتى، ويربي الاكمه والابرص، ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طائرا باذن الله؟ قال رأس الجالوت: يقال: انه فعل ذلك، ولم نشهده. قال الرضا عليه السلام: أرأيت ما جاء به موسى من الآيات وشاهدته ! أليس انما جاء الاخبار من ثقة أصحاب موسى انه فعل ذلك؟ قال: بلى. قال: كذلك أيضا اتاكم الاخبار المتواترة بما فعل عيسى بن مريم. فكيف صدقتم بموسى ولم تصدقوا بعيسى؟! فلم يجر جوابا. فقال الرضا عليه السلام: وكذلك أمر محمد صلى الله عليه وآله وما جاء به، وأمر كل نبي بعثه الله، ومن آياته انه كان يتيما فقيرا راعيا أجيروا، ولم يتعلم، ولم يختلف إلى معلم. ثم جاء بالقرآن الذي فيه قصص الانبياء عليهم السلام وأخبارهم حرفا حرفا، واخبار من مضى ومن بقي إلى يوم القيامة، ثم كان يخبرهم بأسرارهم وما

يعملون في بيوتهم، بآيات كثيرة لا تحصى. قال رأس الجالوت: لم يصح عندنا خبر عيسى، ولا خبر محمد، ولا يجوز لنا ان نقر لهما بما لا يصح عندنا. قال الرضا عليه السلام: فالشاهد الذي يشهد لعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله شاهد زور؟ فلم يجر جوابا.

ثم دعا بالهريذ الاكبر (الكاهن المجوسي القائم على بيت النار). فقال له الرضا عليه السلام: اخبرني عن زردشت الذي تزعم: انه نبي ما حجتك على نبوته؟ قال: انه أتى بما لم يأتنا به أحد قبله، ولم نشهده. ولكن الاخبار من اسلافنا وردت علينا بانه: أحل لنا ما لم يحله لنا غيره فاتبعناه. قال: أفليس انما اتاكم الاخبار فاتبعتموه؟ قال: بلى. قال: فكذلك سائر الامم السالفة، اتتهم الاخبار بما أتى به النبيون، وأتى به موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله، فما عذركم في ترك الاقرار بهم، إذ كنتم انما اقررتم بزردشت من قبل الاخبار الواردة بانه: جاء بما لم يجر به غيره؟ فانقطع الهريذ مكانه.

فقال الرضا عليه السلام: يا قوم إن كان فيكم أحد يخالف الاسلام واراد أن يسأل فليسأل غير محتشم! فقام إليه عمران الصابي - وكان واحدا من المتكلمين - (الفلاسفة) فقال: يا عالم الناس! لولا انك دعوت إلى مسألتك لم اقدم عليك بالمسائل، ولقد دخلت الكوفة والبصرة والشام والجزيرة، ولقيت المتكلمين فلم اقع على أحد يثبت لي واحدا ليس غيره قائما بوحدانيته، أفأذن أن اسألك؟ قال الرضا عليه السلام: إن كان في الجماعة عمران الصابي فانت هو! قال: أنا هو. قال: سل يا عمران وعليك بالنصفة، إياك والخطل والجور! قال: والله يا سيدي ما اريد إلا أن تثبت لي شيئا اتعلق به. فلا أجوزه! قال: سل عما بدا لك! فازدحم الناس وضم بعضهم إلى بعض. فقال: أخبرني عن الكائن الأول وعما خلق؟

قال الرضا عليه السلام: سألت فافهم الجواب! اما الواحد فلم يزل كائنا واحدا، لا شئ معه، بلا حدود، ولا اعراض، ولا يزال كذلك. ثم خلق خلقا مبتدعا، مختلفا، باعراض وحدود مختلفة، لا في شئ اقامه، ولا في شئ حده، ولا على شئ حذاه ومثله، فجعل الخلق من بعد ذلك صفوة وغير صفوة لله، واختلافا وابتلافا، واللوانا، وذوقا، وطعمنا، لا لحاجة كانت منه إلى ذلك، ولا لفضل منزلة لم يبلغها إلا به، ولا رأى لنفسه فيما خلق زيادة ولا نقصانا، تعقل هذا يا عمران؟ قال: نعم والله يا سيدي. قال: واعلم يا عمران! انه لو كان خلق ما خلق لحاجة، لم يخلق إلا من يستعين به على حاجته، وكان ينبغي ان يخلق اضعاف ما خلق، لان الاعوان كلما كثروا كان صاحبهم أقوى. ثم طال السؤال والجواب بين الرضا عليه السلام وبين عمران الصابي، والزمه عليه السلام في أكثر مسأله، حتى انتهت الحال إلى أن قال: أشهد أنه يا سيدي كما وصفت، ولكن بقيت مسألة! قال: سل عما اردت! قال: اسألك عن: (الحكيم) في أي شئ، وهل يحيط به شئ، وهل يتحول من شئ إلى شئ، أو هل به حاجة إلى شئ؟ قال الرضا عليه السلام: اخبرك يا عمران فاعقل ما سألت عنه، فانه من أغمض ما يرد على المخلوقين في مسألتهم، وليس يفهمه المتقارب عقله العازب حلمه، ولا يعجز عن فهمه اولو العقل المنصفون. اما اول ذلك. فلو كان خلق ما خلق لحاجة منه لجاز لقائل أن يقول: يتحول إلى ما خلق لحاجته إلى ذلك، ولكنه عزوجل لم يخلق شيئا لحاجة، ولم يزل ثابتا لا في شئ، إلا ان الخلق يمسك بعضه بعضا، ويدخل بعضه في بعض، ويخرج منه. والله جل وتقدس بقدرته يمسك ذلك كله، وليس يدخل في شئ، ولا يخرج منه ولا يؤده حفظه، ولا يعجز عن امساكه، ولا يعرف أحد من الخلق كيف ذلك إلا الله عزوجل، ومن اطلعه عليه من رسله واهل سره، والمستحفظين لامره، وخزانه القائمين بشريعته، وانما أمره كلمح البصر أو هو أقرب، إذا شاء شيئا فانما يقول له: (كن) فيكون بمشيئته وارادته، وليس شئ من خلقه أقرب إليه من شئ، ولا شئ أبعد منه

من شيء، أفهمت يا عمران؟ قال: نعم يا سيدي فهمت، وأشهد ان الله على ما وصفت ووحدت، وأن محمدا عبده المبعوث بالهدى ودين الحق، ثم خر ساجدا نحو القبلة وأسلم. قال الحسن بن محمد النوفلي: فلما نظر المتكلمون إلى كلام عمران الصابي - وكان جدلا لم يقطعه عن حجته احد قط - لم يدن من الرضا عليه السلام احد، ولم يسأله عن شيء، وامسينا فنهض المأمون والرضا عليه السلام فدخلوا وانصرف الناس. ثم قال الرضا عليه السلام - بعد أن عاد إلى منزله -: يا غلام صر إلى عمران الصابي فأتني به! فقلت: جعلت فداك! أنا أعرف موضعه هو عند بعض اخواننا من الشيعة. قال: فلا بأس قربوا إليه دابة. فصرت إلى عمران فأتيته به، فرحب به، ودعا بكسوة فخلعها عليه، ودعا بعشرة آلاف درهم فوصله به. قلت: جعلت فداك! حكيت فعل جدك أمير المؤمنين عليه السلام. قال: هكذا يجب. ثم دعا عليه السلام بالعشاء فأجلسني عن يمينه، واجلس عمران عن يساره، حتى إذا فرغنا قال لعمران: انصرف مصاحبا وبكر علينا نطعمك طعام المدينة. فكان عمران بعد ذلك يجتمع إليه المتكلمون من اصحاب المقالات فيقبل عليهم أمرهم حتى اجتنبوه. ووصله المأمون بعشرة آلاف درهم، وأعطاه الفضل مالا جزيلا، وولاه الرضا عليه السلام صدقات البلخ فاصاب الرغائب.

عمران الصابي النشوء والارتقاء!!

ما اعتمده عمران الصابي هو نفسه أو قريبا منه ما اعتمده شارلز داروين من الزعم أن الأجناس والأنواع تطور أو نشأ بعضها من بعض تحت تأثير العامل الطبيعي وهو ما تكفل الإمام الرضا عليه السلام بإبطاله بقوله (إن الخلق يمسك بعضه بعضا، ويدخل بعضه في بعض، ويخرج منه. والله جل وتقدس بقدرته يمسك ذلك كله، وليس يدخل في شيء، ولا يخرج منه ولا يؤده حفظه، ولا يعجز عن امساكه، ولا يعرف أحد من الخلق كيف ذلك إلا الله عزوجل، ومن اطلعه عليه من رسله واهل سره، والمستحفظين لامره، وخزانه القائمين بشريعته، وانما امره كلمح البصر أو هو أقرب، إذا شاء شيئا فانما يقول له: (كن) فيكون بمشيئته وارادته، وليس شيء من خلقه أقرب إليه من شيء، ولا شيء أبعد منه من شيء) وذلك معنى قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ يُمَسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّه كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) فاطر (٤١).

(إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ \* فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ \* وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ \* وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرًّا وَمُسْتَوْدَعًا قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ \* وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرَجُ مِنْهُ حَبًّا مَرَاتِكًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَعْلَمُ إِنَّ فِي ذَلِكَمُ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) الانعام ٩٥-٩٩.

ليس من بين تلك الموجودات من يملك وجودا منفردا قائما بذاته مستقلا عن إرادته سبحانه وتعالى أو حتى يتعرض لتأثير مستقل أو جماعي يغير من أصل وجوده فيجعل من بعض القردة بشرا ويبقي الآخرين هم!!  
القول بالنشوء والارتقاء والتطور الطبيعي هو ما حكاه القرآن الكريم عن هؤلاء المنكرين لحكمة الخالق وتدبيره (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ \* وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّبِّئْنَا بِبَابَيْنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) الجاثية ٢٤-٢٥.

لم يدع الإمام الرضا عليه السلام مجالاً من مجالات البحث العقائدي إلا وأرشد المسلمين إلى الصواب فيه منعا للتعلم بالأوهام واعتناق الضلالات حيث يروي صاحب الاحتجاج عن الحسين بن خالد قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: لم يزل الله عز وجل عليماً، قادراً، حياً، قديماً، سميعاً، بصيراً. فقلت: يابن رسول الله ان قوما يقولون: لم يزل عالماً بعلم، وقادراً بقدرته وحياً بحياة، وقديماً بقدم، وسميعاً بسمع، وبصيراً ببصر. فقال عليه السلام: من قال ذلك ودان به فقد اتخذ مع الله آلهة أخرى، وليس من ولايتنا على شيء ثم قال عليه السلام: لم يزل الله عز وجل عليماً، قادراً، حياً، قديماً سميعاً، بصيراً - لذاته - تعالى عما يقول المشركون والمشيبهون علواً كبيراً.

القول أن الله تعالى عالم بعلم وقادراً بقدرته هو معتقد الأشعري الذي تم تعميمه على كثير من أبناء الأمة وجرى فرضه على المسلمين بأوامر السلطة الأيوبية الجائرة وما زال معتمداً حتى الآن من مؤسسة الأزهر رغم أن فك هذه الطلاسم ليس بالأمر اليسير عليهم ورغم عدم انتباههم لخطورة إثبات صفات زائدة عن الذات الإلهية وألا فارق بين هؤلاء وبين من يؤمنون بالتثليث بل أسوأ منهم.

وعن الحسين بن خالد قال: قلت للرضا عليه السلام: يابن رسول الله ان قوما يقولون: ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (ان الله خلق آدم على صورته). فقال: قاتلهم الله! لقد حذفوا اول الحديث، ان رسول الله مر برجلين يتسابان، فسمع احدهما يقول لصاحبه: (قبح الله وجهك ووجه من يشبهك) فقال له صلى الله عليه وآله: (يا عبد الله لا تقل هذا لايحيك! فان الله عز وجل خلق آدم على صورته). وعن ابراهيم بن أبي محمود قال: قلت للرضا عليه السلام: يابن رسول الله ما تقول في الحديث الذي يرويه الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله: ان الله تبارك وتعالى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا؟ فقال عليه السلام: لعن الله المحرفين الكلم عن مواضعه، والله ما قال صلى الله عليه وآله كذلك انما قال صلى الله عليه وآله: (ان الله تبارك وتعالى ينزل ملكاً إلى السماء كل ليلة في الثلث الاخير وليلة الجمعة في اول الليل. فيأمره فينادي هل من سائل فاعطيه؟ هل من تائب فاتوب عليه؟ هل من مستغفر فاغفر له؟ يا طالب الخير فاقبل، يا طالب الشر اقصر، فلا يزال ينادي بهذا حتى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر عاد إلى محله من ملكوت السماء) حدثني بذلك أبي عن جدي عن آباءه عن رسول الله صلى الله عليه وآله. وعن محمد بن سنان قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام: هل كان الله عارفاً بنفسه قبل ان يخلق الخلق؟ قال: نعم. قلت: يراها ويسمعها؟ قال: ما كان محتاجاً إلى ذلك لأنه لم يكن يسألها ولا يطلب منها شيئاً، هو نفسه، ونفسه هو، قدرته نافذة، فليس بمحتاج إلى ان يسمى نفسه، ولكنه اختار اسماً لغيره يدعوه بها، لأنه إذا لم يدع باسمه لم يعرف، فاول ما اختار نفسه (العلي العظيم) اعلا الاشياء كلها، فمعناه: (الله) واسمه: (العلي العظيم) هو اول اسمائه لأنه علا كل شيء. وقال عليه السلام في قوله: (يوم يكشف عن ساق) فساق حجاب من نور يكشف فيقع المؤمنون سجداً، وتدمج اصلاب المنافقين، فلا يستطيعون السجود. وسئل عن قوله عزوجل: (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فقال: ان الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان يحل فيه فيحجب عن عباده، ولكنه يعني: عن ثواب ربهم محجوبون.

ولأن المسلمين المعاصرين لم يسمعوها مباشرة من أئمة أهل البيت عليهم السلام ولم يطلعوا على تراثهم العظيم بل إن حالهم لا يختلف كثيراً عن الرهائن والأسرى الذين يجري التلاعب بهم فالواجب يحتم علينا أن نوصل هذا التراث إليهم.



المؤتمر العالمي الخامس  
للإمام الرضا عليه السلام